مركز البحوث الإسلامية
إستانبول
سِلْسِلَةُ عيُونِ التُّراثِ الإِسْلَامِيِّ

تتمة الكشاف

(حَاشِيَةُ الجَارْبَرْدِي عَلَى الكَشَّاف)

فَخرُ الدِّينِ أبو المكَارِمِ أحمد بن الحسَن بن يُوسُف الجَارْبَرْدِي
(ت. ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

تحقيق
أ.م. ضياء الدين القالش
محمّد عماد النابلسي

إشراف
أ.م. محمد طه بويالق

المجلد الحادي عشر

نشريات وقف الديانة التركي

نشريات وقف الديانة التركي
رقم النشر ١٤٢٨
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمة الكشّاف (حاشية الجارَبَردي على الكشّاف)
فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارَبَردي

المجلد الحادي عشر

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشّاف (حاشية الجارَبَردي على الكشّاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بمركز البحوث الإسلامية (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير أوقان قَدير بِلْماز
المراجعة العلمية محمد طه بوبالق، عبد الرحمن رضوان خَرْش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دَمِيرْآي (التركي)
التصحيح (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)،
علي حيدر أُولُوصُويْ (الإملاء والفهارس)، آزاد سارْشانْتابُوفْ (الإملاء)،
(التركي) عيسى قايا أَلْبْ (الإملاء)، إسماعيل أَزْيِلْكِين (المصادر)
التصميم علي حيدر أُولُوصُويْ، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)،
حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام / İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٧ ورقم ٢٠٢٤/١١.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
ISBN 978-625-428-633-9 (مجموعة)
978-625-428-646-9 (المجلد الحادي عشر)

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارَبَردي
تتمة الكشّاف (حاشية الجارَبَردي على الكشّاف) / فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارَبَردي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد الحادي عشر (٦٤٨ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٢٨. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
(المجلد الحادي عشر) 978-625-428-646-9 (مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9

فهرس المحتويات

سورة التحريم

وتسمَّى سُورةَ النَّبيِّ. مدنيَّة، وهي اثنتا عشرة آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١﴾

رُوي: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بماريةَ في يومِ عائشةَ، وعَلِمتْ بذلك حفصَةُ فقال لها: «اكتُمي عَليَّ وقد حَرَّمتُ ماريةَ على نفْسِي،

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (خلا بمارية)[2] أي: ماريةَ القِبطيَّةِ جاريةِ[3] النبيِّ عليه السلام.[4]

قوله: (حفصة) بنتُ عمر رضي الله عنه.

قوله: («اكتُمي») الكِتمان: السَّتْر، يقال: كتمتُ كَتْمًا وكِتمانًا، قال المطرِّزي في المُغرب: «الكَتْم: إخفاء ما يُسِرُّ، وهو يتعدّى إلى مفعولين، ومنه: كتَمَها الطلاق».[5]

---

١ ف - وبه نستعين.

٢ انظر: جامع البيان للطبري، ٨٥/٢٣ (التحريم، ١/٦٦)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ١١٧/١٢ (١٢٦٤٠)؛ وسنن الدارقطني، ٧٦/٥ (٤٠١٤)؛ وأسباب النزول للواحدي، ص ٤٦١. وفي سنن النسائي، ٧١/٧ (٣٩٥٩)؛ عن أنس رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانت له أمة يطؤها، فلم تَزل به عائشة وحفصة حتّى حرّمها على نفسه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إلى آخر الآية [التحريم ١/٦٦].

٣ ن - جارية.

٤ ف: صلّى الله عليه وسلّم. | وفي هامش د: قال حسّان:

أولادُ جَفْنةَ حولَ قبرِ أبيهم
قَبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المفضِلِ

صحاح. | و"مارية" في قول حسّان هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة. وابنها الحارث الأعرج. انظر: الصحاح للجوهري، «مرا».

٥ المُغرب للمطرّزي، «كتم».

وأُبَشِّرِكِ أن أبا بكرٍ وعمرَ يملكان بعدي أَمْرَ أُمَّتي» فأخبَرَتْ به عَائشَةَ وكانتَا متصَادِقَتين.

وقيل: خلا بها في يوم حَفصَة، فأرْضاها بذلك واستكتَمها فلم تكتُم، فطَلَّقها واعتَزلَ نساءَهُ ومكَث تِسْعًا وعشرينَ لَيلةً في بيت مارية.

ورُوِي أنَّ عمر قال لهَا: لو كان في آلِ الخطَّاب خَيرٌ لَمَا طلَّقكِ، فنزل جبريل عليه السَّلام وقال: رَاجِعها فإنَّها صَوَّامةٌ قوَّامَةٌ، وإنَّها لَمِنْ نِسَائِكَ في الجنَّةِ.

وروي: أنَّه شَرِبَ عسَلًا في بَيْت زَينبَ بِنت جَحْشٍ، فتَواطَأَتْ عائشةُ وحفصَةُ فقَالَتَا لَه: إنَّا نَشَمُّ مِنكَ ريحَ المغافيرِ، ....

هذا كلام[١] المطرّزي، وأنا أقول: إنّما قال عليه السلام:[٢] «اكتُمي عليَّ» لأنّه أجراه مُجرى اللازم، فكأنّه عليه السلام قال:[٣] اجعلي[٤] عليَّ سِترًا، ولا تُظهري ذلك عليّ، فكأنّه عليه السلام[٥] احترَز مِن ذلك كما يُحترَز مِن ظهور ما فيه فضيحةٌ، مع أنّ ذلك كان جائزًا شرعًا مِن غير كراهة، لكن كان يمكن أن يكون قاله لبعض الأعادي، أو تقع[٦] منازعة ومخاصمة مع عائشة رضي الله عنها،[٧] فلذا احترز مِن ظهوره وطلب الستر عليه صلّى الله عليه وسلّم.

قوله: (وأُبَشِّرُكِ أنّ أبا بكر وعمر)... إلخ وإنّما ذكر خلافتهما بعده لأنّ هذه الواقعة تعلّقتْ بعائشة رضي الله عنها[٨] لوقوعها في نوبتها، وبحفصة لاطّلاعها عليها، فذكر خلافة أبوَيهما ليُرضِيَها،[٩] فتسكُتَ عن ذِكرها.

قوله: (ريحَ المغافير)[١٠] المُغفور والمُغثور:[١١] شيء ينضَحُه العُرفُط[١٢] والرِّمْثُ،[١٣]

---

[١] ن: هذ الكلام.

[٢] ف: صلّى الله عليه وسلّم.

[٣] ف + صلّى الله عليه وسلّم.

[٤] ن: اجعل لي.

[٥] ف – عليه السلام.

[٦] ف: يقع.

[٧] د ن – رضي الله عنها.

[٨] د ن – رضي الله عنها.

[٩] ن: ليرضيهما.

[١٠] انظر: صحيح البخاري، ٦/١٥٦ (٤٩١٢)؛ وصحيح مسلم، ٢/١١٠٠ (١٤٧٤).

[١١] ن: والمعثور.

[١٢] العُرفُط: شجر من العِضاه، مفترش على الأرض، وله ورقة عريضة، وشوكة حديدة، وهو خبيث الريح، ولذلك تخبُث ريحُ راعيته وأنفاسها. انظر: لسان العرب لابن منظور، «عرفط».

[١٣] الرِّمث: مرعًى مِن مراعي الإبل، وهو مِن الحمض، وله هدب طوال دِقاق، وهو مع ذلك كلّه كلأ تعيش >

وكان رسولُ الله عليه السلام يكرَهُ التَّفَلَ، فحرَّم العَسل.

فمعناه: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ مِن مِلك اليَمينِ، أو من العَسَلِ.

و﴿تَبْتَغِى﴾ إمَّا تفسيرٌ لِـ﴿تُحَرِّمُ﴾، أو حالٌ، أو استئنافٌ، وكان هذا زَلَّةٌ مِنه لأنّه ليس لأحدٍ أن يُحرِّمَ ما أحَلَّ اللهُ؛ لأنَّ الله إنَّما أحَلَّ ما أحَلَّ لحكْمةٍ ومَصْلحةٍ عَرَفهَا في إحْلالهِ، فإذا حُرِّم كانَ ذلك قلبَ المَصْلحَةِ مَفسَدةً.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ قَد غَفرَ لكَ ما زلَلْتَ فيه ﴿رَّحِيمٌ﴾ قد رَحمكَ فلَم يُؤاخِذكَ به.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ فيه مَعنيانِ:

أحَدُهما: قد شَرَع اللهُ لكُم الاستثناءَ في أَيْمانِكم، من قَولِك: حَلَّلَ فلانٌ في يَمينِه، إذا استَثنَى فيها، ومِنه:

جِـــــلًا أَبِـــــيــــتَ الـــلَّـــعــنَ

مِثل الصَّمْغ، وهو حُلو كالعسل يُؤكل، وربّما سال لَثاه على الثرى مِثل الدِّبس، وله رائحة كريهة.[1] اللَّثا:[2] ما يَسيل مِن الشجر كالصَّمْغ.[3]

قوله: (وكان يكره) جملة معترِضة.

قوله: (التَّفَلَ) التَّفَل: أن يترك التطيّب حتّى يوجد منه رائحة كريهة. ورجل تَفِلٌ: غير متطيّبٍ، / وامرأة تَفِلةٌ: غير مُتطيِّبة، وأتْفلَه غيره.[4] [٤١١ظ]

قوله: (زَلّةً منه) أي: مِن النبيّ عليه السلام.[5]

قوله: (مِن قولك: حَلَّل فلان في يمينه) يقال: حلَّل يمينَه تحليلًا[6] وتَحِلّةً؛

← فيه الإبل والغنم، وربّما خرجَ فيه عسل أبيض، كأنّه الجُمان، وهو شديد الحلاوة، وله حطَب وخشَب، ووَقوده حارّ. انظر: لسان العرب لابن منظور، «رمث».

[1] الصحاح للجوهري، «غثر».

[2] ف: اللَّثاه.

[3] الصحاح للجوهري، «لثا».

[4] الصحاح للجوهري، «تفل»؛ المُغرب للمطرّزي، «تفل».

[5] ف: صلّى الله عليه وسلّم.

[6] ن: تخليلًا.

....

إذا حَلَّها بالاستثناء والكفّارة، وتَحِلّةُ[١] اليمين والقَسَم مَثَلٌ في القِلّة، ومنها[٢] قوله عليه السلام:[٣] «لا يموت لرجل ثلاثة أولادٍ فتمسَّه النار إلّا تَحِلّةَ القَسَم»،[٤] أي: مَسّةً يسيرةً.[٥]

ثمّ اعلم أنّ تحقيق معنى هذا الحديث موقوف على مقدّمة، وهي أنّ لقَولك: "ما تأتينا فتُحدِّثَنا"[٦] معنيان:

أحدهما: جارٍ على قياس أخواته، وهو أن يكون الأوّل سببًا للثاني، وانتفى السبب فانتفى المسبَّب، فكأنّه قيل: لم يوجد الإتيان، فكيف يوجد الحديث؟ فلذلك قيل: ما تأتينا، فكيف تُحدِّثنا؟

والثاني: أن الفعل الثاني لم يَحصُل عقيب الأوّل، وكأنّه نفى وقوعهما بصفة كون الثاني عقيب الأوّل، كما تقول: ما جاءني[٧] زيد وعمرو، أي: ما جاءا[٨] بصفة الاجتماع، فيجوز أن يكون أحدهما[٩] جاء، فكذلك ههنا يجوز أن يكون الإتيان[١٠] وقع دون الحديث؛ إذ لم يَنْفِ إلّا معاقبةَ الثاني الأوّل، فكأنّه نفى[١١] الأوّل بصفة معاقبة الثاني له. وقرَّر سيبويه[١٢] هذه المسألة[١٣] بتقدير الإتيان على سبيل الكَثرة وانتفاء الحديث، فقال: المعنى: كان منك إتيانٌ كثيرٌ، ولم يكن حديثٌ. وإنّما قرَّره كذلك ليوضح أنّ النفي لم يَرِدْ إلّا على ما ذكر. ولم يُرد سيبويه أنّ مدلول الكلام ذلك في كلّ موضع، وإنّما أراد به التمثيل لبعض صُوَره ليتحقّق المعنى المذكور.

---

[١] ن: وتخلّة.

[٢] وفي هامش د ف: أي: بن التَّحِلّة بمعنى التحليل، لا بمعنى الاستثناء.

[٣] ف: صلّى الله عليه وسلّم.

[٤] صحيح البخاري، ٧٣/٢ (١٢٥١)؛ صحيح مسلم، ٢٠٢٨/٤ (٢٦٣٢).

[٥] ن: ليسيرة. | المُغرب للمطرّزي، «حلل».

[٦] ن: فتجدّثنا.

[٧] ف: ما جاني.

[٨] ن: جاء.

[٩] ن: أحد ممّا.

[١٠] ن: للإتيان.

[١١] ن: نفي.

[١٢] انظر: الكتاب لسيبويه، ٣٠/٣.

[١٣] ف: المسلة.

بمَعنى: "استَثْنِ في يَمينِك" إذا أَطْلقهَا، وذلك أن يقول: "إن شاء الله" عَقيبَها حتى لا يَحنَثَ.

والثاني: قد شَرَع لكم تَحليلَها بالكفَّارة، ومنها قولُه عليه السلام: «لا يمُوتُ لِرَجُلٍ ثلاثةُ أوْلادٍ فتَمسُّه النَّارُ إلَّا تحِلَّةَ القَسم»، وقولُ ذي الرُّمَّةِ:

إذا عرفتَ ذلك فنقول: هذا[1] الحديث محمول على الوجه الثاني؛ لأنّ المقصود مِن النفي نفيُ المَسِّ عقيب الموت المذكور، كما أنّ المقصود نفي الحديث عقيب الإتيان. ولا يستقيم[2] معنى الحديث على الوجه الأوّل؛ إذ لا يُقدَّر موتُ الولد سببًا للمَسِّ حتّى ينتفي لانتفائه؛ بل الأمر بالعكس، أي: موت[3] الولد سبب عدم المَسِّ.

ولا يستقيم أن يُحمَلَ الحديث على تفسير سيبويه؛ لقولنا: ما تأتينا فتُحدِّثَنا بالكثرة؛ إذ ليس المقصود مِن الحديث أنّ موت ثلاثةٍ مِن الولد كثير لكلّ واحد، ولكن لا يَحصُل بعده مسّ؛ بل المقصود مِن الحديث أنّ مسَّ النار لا يكون مع موت ثلاثةٍ مِن الولد، كما أنّ المقصود ثمّة أنّ الحديث لا يكون بعد الإتيان، ولكن لمّا اتّفق أنّ مِن صور المسألة[4] أن يقع الأوّل كثيرًا، ولا يقع الثاني؛ مثَّلَها[5] سيبويه ليتَّضِح ويتبيّن الفصل بينه وبين المعنى الأوّل؛ لأنّه يخالفه[6] في ذلك.

قوله: (إذا أطلقها)[7] أي: يقال هذا إذا أطلق اليمين.

قوله: (وذلك) أي: الاستثناء في الأيمان. وقوله: (عَقيبَها) أي: عَقيب الأيمان. وقوله: (إلّا تَحِلّةَ القَسَم) أي: قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم ٧١/١٩]؛ لأنّه بمعنى القَسَم وجارٍ مَجراه، وهذا كقوله:

تــحــيّــةُ[8] بــيــنــهــم ضَــــــرْبٌ وَجــيــعُ[9]

---

[1] ن: هذ.

[2] ف: يستعيم.

[3] ن: موة.

[4] ن ف: المسلة.

[5] ن ف: مثلّها.

[6] ن: يتحالفه.

[7] ن: طلّقها.

[8] ن: تحيّة.

[9] أوّله:

وخَيـلٍ قـد دَلَـفْـتُ لـهـا بخَيلٍ

يُنسب لعمرو بن معدي كرب. انظر: ديوانه، ص ١٤٩.

قــلــيــلًا كــتَــحــلــيــلِ الأَلَـــــى

فإن قلتَ: ما حُكمُ تَحريم الحَلالِ؟

قلتُ: قد اختُلف فيه، فأبو حنيفة يَراهُ يَمينًا في كلِّ شيءٍ، ويَعتَبِرُ الانتِفاعَ المقصودَ فيما يُحرِّمُه، فإذا حَرَّم طعامًا فقد حلَفَ على أَكْلِه، أو أَمةً فعلى وَطئها، أو زَوجةً فعَلى الإِيلاء مِنها إذا لـم يكن له نيَّةٌ، وإن نوَى الظِّهارَ فظِهارٌ، وإن نَوَى الطَّلاقَ فطَلاقٌ بائِنٌ، وكذلك إن نَوى ثِنتَيْن وإن نَوى ثلاثًا فكما نَوى، وإن قال: "نَويتُ الكَذِبَ"، دُيِّن فيما بيْنَه وبَينَ اللهِ ولا يُديَّنُ في القضاء بإبْطال الإِيلاء.

وإنْ قال: "كلُّ حَلالٍ عليه حَرامٌ" فعَلى الطَّعام والشرابِ إذا لـم يَنو، وإلَّا فعلى ما نَوى.

ولا يَراه الشافعيُّ يَمينًا، ولكنْ سببًا في الكفَّارةِ في النِّساء وَحْدَهُنَّ، وإنْ نَوَى الطَّلاقَ فهو رَجْعيٌّ عنده.

قوله:

(قــلــيــلًا كــتــحــلــيــل الأُلـــــى)[1]

الإيلاء: الحَلِف، يقال: آلَى يُولي[2] إيلاءً؛ حَلَفَ، والأَلِيّة: اليمين، والجمع: أَلَايا، مثل: عَطِيّةٍ[3] وعَطايا، / قال الشاعر: [٤١٢و]

قـليـلُ[4] الأَلَايـــا حـافـظٌ ليَمينه   وإن سبقَتْ منه الأَلِـيّـةُ بُـرَّتِ[5]

وكذلك الأَلْوةُ والأُلْوةُ.[6]

قوله: (دُيِّنَ) ومعنى التَّدْيين:[7] أنّه يُقبل باطنًا، أي: فيما بينه وبين الله تعالى.[8]

قوله: (فعَلى الطعام) أي: فمحمول على الطعام.

---

[1] تمامه:
قليلًا كتحليلِ الأُلى ثـمّ قَلَّصَت   به شِيمةٌ رَوعـاءُ تقليصَ طائرِ
وهو في ديوان ذي الرمّة، ١٦٩٢/٣، بلفظ: "الأُلى" جمع أَلْوة، وهي اليمين.
[2] ن: يوالي.
[3] ن: عطيّة.
[4] ف: مليلُ.
[5] لكثير عزّة في ديوانه، ص ٣٢٥.
[6] الصحاح للجوهري، «ألا».
[7] ف: التدين.
[8] ن: في.

وعن أبي بكرٍ وعمرَ وابن عباس وابن مسعود وزيْدٍ رضي الله عنهم: أنَّ الحَرام يمينٌ.

وعن عُمر رضي الله عنه: إذا نَوَى الطَّلاقَ فرجعيٌّ. وعن عليٍّ رضي الله عنه: ثلاثٌ. وعن زيدٍ: واحِدَةٌ بائِنَةٌ. وعن عُثمان: ظِهارٌ.

وكان مَسْروقٌ لا يَراه شيئًا، ويَقُولُ: ما أُبالِي أَحرَّمْتُها أم قَصْعةً من ثَريدٍ.

وكذلك عن الشَّعبيِّ قال: لَيسَ بشيءٍ، مُحتَجًّا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل ١١٦/١٦] وقوله: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة ٨٧/٥] وما لم يُحرِّمْه اللهُ فليْس لأَحَدٍ أن يُحرِّمَهُ ولا أن يَصيرَ بتَحريمِه حَرامًا، ولم يَثْبُت عن رسُول الله أنَّه قال لِمَا أحَلَّهُ الله: هو حَرَامٌ عَليَّ وإنَّما امتنَع من مارِية لِيَمِينٍ تقَدَّمَتْ منه وهو قولُه: «واللهِ لا أَقرَبُها بَعد اليوم» فقِيل له: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾؛ أي: لمَ تَمتَنِعُ مِنه بسَبب اليَمينِ، يَعني: أَقدِمْ على ما حَلفْتَ عليه وكَفِّرْ يمينك، ونحوُه قَولُه تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص ١٢/٢٨]؛ أي: مَنَعناه منها، وظاهِرُ قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ أنَّه كانت منه يمِينٌ.

فإن قلتَ: هل كَفَّر رسُول الله لذلك؟

قلت: عن الحسن: أنَّه لم يكفِّر؛ لأنَّه كان مغفورًا له ما تقدَّم من ذَنْبِه وما تأخَّر، وإنما هو تعليمٌ للمؤمنينَ.

وعن مُقاتلٍ: أَنَّ رسُولَ الله أعتَق رقبةً في تحريم ماريةَ.

﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: سيِّدكُم ومُتولِّي أمُورِكم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يُصْلِحكم فيَشرَعُه لكم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فلا يأمُرُكم ولا يَنهاكم إلَّا بما تُوجِبُه الحكمةُ.

قوله: (ما أُبالي)... إلخ أي: هو لغو.

قوله: (أي: مَنَعناه[1] منها) أي: مَنَعْنا موسى مِن المُرضِعات.

---

[1] ن: معناه.

وقيل: ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾: أَوْلَى بِكُم من أنفُسِكم، فكانَت نَصيحَتُه أَنفعَ لكم من نصَائِحكم لِأنفُسِكم.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

"بعضُ أزوَاجه": حَفصَةُ، والحديثُ الذي أَسرَّ إلَيها: حديثُ ماريةَ وإِمَامَةِ الشَّيخيْنِ.

﴿نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾: أَفشَتْه إلى عائشة، وقرئ: "أنبأتْ به".

﴿وَأَظْهَرَهُ﴾: وأَطْلَعَ النبيَّ عليه السلام ﴿عَلَيْهِ﴾: على الحديثِ؛ أي: على إفشائه على لسَانِ جبريل عليه السلام.

قوله: (فكانت نصيحته) النُّصح: خلاف الغِشّ، واستَنْصَحَه خلاف استَغَشَّه،[١] يقال: نصحتُك نُصحًا ونَصاحةً، قال الذُّبيانِي:

نصحْتُ[٢] بنـي عـوفٍ فلـم يتقبَّلـوا   رسولي ولـم تُنْجِحْ[٣] لَدَيهـم وَسائلي[٤]

وهو باللام[٥] أفصح، قال الله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف ٦٢/٧]، والاسم النصيحة.[٦]

قوله: (وأطْلَعَ[٧] النبيَّ)...[٨] إلخ يعني: يجوز أن يكون الضمير مِن ﴿أَظْهَرَهُ﴾ للنبيّ عليه السلام،[٩] ومِن ﴿عَلَيْهِ﴾ للحديث، فعلى هذا يكون "أظهَرَ" بمعنى: أطْلَعَ،[١٠] مِن ظهَرَ فلان السَّطْحَ إذا عَلاه، وحقيقتُه:[١١] صار على ظهره، فاستُعير للإطْلاع على الشيء، ويجوز في الضميرين العكس، فيكون "أظهَرَ" مِن الظهور خلافِ الخَفاء، أي: جعله الله ظاهرًا عليه.[١٢]

---

[١] ن: استغشة.
[٢] ن: فصحت.
[٣] ن: تنجّي.
[٤] ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٣.
[٥] ن: بالكلام.
[٦] الصحاح للجوهري، «نصح».
[٧] ن: واطّلع.
[٨] وفي هامش د ف: الله.
[٩] ف: صلّى الله عليه وسلّم.
[١٠] ن: الحلع.
[١١] ن: وحقيقة.
[١٢] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ منصوب بإضمار "اذكر". أبو البقاء. | التبيان لأبي البقاء العكبري، ١٢٢٩/٢.

وقيل: أظهَرَ اللهُ الحديثَ على النبيّ، من الظُّهُور.

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾: أَعْلَم ببَعْضِ الحديثِ تكرُّمًا، قال سُفيانُ: ما زال التَّغَافُلُ من فِعْل الكِرام، وقرئ: ﴿عَرَفَ بعضَه﴾؛ أي: جازَى عليه، من قولك لِلمُسيء: لأَعْرِفنَّ لك ذلك، و: قَد عَرفتُ ما صَنعتَ، ومنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء ٤/٦٣]، وهو كثيرٌ في القرآنِ، وكان جزَاؤهُ تَطْلِيقَهُ إيَّاهَا.

وقيل: المُعرَّفُ: حديثُ الإمامَةِ، والمُعْرَضُ عنه: حديثُ ماريةَ.

ورُوي أنَّه قال لها: «ألم أَقُلْ لك اكتُمِي عَليَّ؟»، قالَتْ: والَّذي بَعثَكَ بالحقِّ ما ملكْتُ نفْسِي؛ فرحًا بالكرامةِ التي خصَّ الله بها أَباهَا.

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: "فلمَّا نبَّأت به بَعْضَهُنَّ" و: "عرَّفهَا بَعضَه"؟

قلتُ: ليس الغرَضُ بيَانَ ....

قوله: (وهو كثير) أي: "العلم" بمعنى المُجازاة كثير في القرآن.

قوله: (فرَحًا) تعليل لقوله: (ما ملكْتُ)، وقياسه أن تقول بعد ذلك: "أبي" بدل "أباها"، لكن نقل الراوي كلامها بالمعنى. والأصوب أن نقول: انتهى كلام حفصة بقولها: "فرَحًا". وأمّا قوله: (بالكرامة)... إلخ فمِن كلام الراوي ذكَره لبيان حديث حفصة، فكأنّه قال: تريد حفصة فَرَحَها بالكرامة التي... إلخ. وقيل: هو تعليل لـ"قالت"، لا لِـ"ما ملَكْتُ"، وهذا فاسد؛ إذ ليس المعنى أنّها قالت هذا الكلامَ لرسول الله فَرَحًا، ولو ظَنَّ ظانٌّ أنّه يجوز تعليقُه بـ"قالت" لأنّ الحامل على هذا القول لها هو فرحُها عند سماع حديث الخلافة مِن النبيّ عليه السلام[١] لَكان ظَنُّه فاسدًا؛ لأنّه لو كان كذلك لَما جاز حذف اللام لانتفاء المقارَنة.

قوله: (فإن قلتَ: هلّا قيل) أي: لِم لَم يَذكُرْ مفعول ﴿نَبَّأَتْ﴾؟ ولِمَ لَم يذكر المفعول الأوّل لِـ﴿عَرَّفَ﴾؟

---

[١] ف: صلّى الله عليه وسلّم.

مَن المُذاعُ إلَيه ومَنِ المُعرَّف، وإنَّما هُو ذِكرُ جنَايةِ حفْصَةَ في وجُود الإنباء بهِ وإفشائِهِ من قِبَلها، وأَنَّ رسولَ الله عليه السلام بكَرمهِ وحِلْمهِ لم يُوجَدْ مِنه إلَّا الإعلامُ ببَعْضِه وهو حديثُ الإمَامة، ألَا تَرَى أنَّه لمَّا كان المقصُودُ في قوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ ذِكْرَ المُنَبَّأ كيف أُتِيَ بضَميره.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾

﴿إِن تَتُوبَا﴾؛ أي: من التعاوُنِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم بالإيذاء، خِطابٌ لحفصَة وعائشَةَ على طريقةِ الالْتفاتِ ليَكونَ أبْلَغَ في مُعَاتَبتِهما.

قوله: (مِن قِبَلِها) متعلّق بالوجود، يعني:[1] أنّ الإنباء بالحديث وإفشاءه وُجِدَ مِن قِبَلِها.

قوله: (أنّ رسولَ الله) عطفٌ على قوله: (جِنايةِ)، والأوّل متعلّق بقوله: (المُذاع)، والثاني بقوله: (المعرَّف)، ففي الكلام لفّ ونشر. وقوله: (في وجود) متعلّق بقوله: "جنايةِ"، فإنّ الجِناية كانت حاصلة واقعة في وجود الإنباء.[2]

قوله: (وإفشائه) عطفٌ على (الإنباء)،[3] و"مِن" متعلّق بـ"الإفشاء". يقال: فَشَا الخبر يَفشو، أي: ذاعَ، وأفشاه غيرُه.[4] فالحاصل أنّ حفصة أنبأتْ[5] بالخبر، ثمّ أفشى الناس ذلك الخبر، فالإفشاء وإن كان فِعلَ الناس لكن كان بسبب إنباء حفصةَ، فلذلك قال: "وإفشائه مِن قِبَلِها"، فقوله: "وإفشائه" مضاف إلى المفعول، وفاعلُه: الناس المُفشُون.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا﴾[6] أي: فلمّا أخبر النبيُّ عليه السلام[7] حفصةَ بإفشائها السِرَّ قالت: / مَن أخبركَ بأنّي أفشيتُ سِرَّكَ؟ [٤١٢ظ]

---

[1] ف: أعني.
[2] ن: الأنبياء.
[3] ن: الأنبياء.
[4] الصحاح للجوهري، «فشا».
[5] ن: الانبأت.
[6] ن: نباءها.
[7] ف: صلّى الله عليه وسلّم.

وعن ابن عبَّاسٍ: لم أَزَلْ حَريصًا على أن أَسأَلَ عُمَر عَنهُما حتَّى حجَّ وحَججْتُ مَعه، فلمَّا كان ببَعْض الطريق عَدَل وعَدلْتُ معَه بالإِدَاوَةِ، فسَكَبْتُ الماءَ على يَدِهِ فتوضَّأ، فقُلتُ: مَن هُما؟ فقَال: عجبًا يا ابنَ عبَّاسٍ! كأنَّه كَرِهَ ما سَألتُه عنه، ثم قال: هما حَفصَةُ وعائشةُ رضي الله عنهما.

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: فقَد وُجِد مِنكُما ما يُوجِبُ التَّوبةَ، وهو مَيْلُ قلُوبكُما عن الواجِبِ في مخالَصةِ رسُول الله من حُبِّ ما يُحِبُّه وكَراهَةِ ما يَكرَهُه، وقرأ ابنُ مسعود: "فقد زاغَتْ".

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾: وإن تَعاوَنَا عَليه بما يَسُوءُه من الإفْراطِ في الغَيرةِ وإفشاءِ سِرِّه فلَن يَعْدَم هُو مَن يُظاهِرُه، وكيْفَ يَعْدَمُ المُظاهِرَ منَ اللهِ؟

﴿مَوْلَىٰهُ﴾؛ أي: وَلِيُّهُ وناصِرُه، وزيادةُ ﴿هُوَ﴾ إيذانٌ بأنَّ نُصرَته عَزيمةٌ من عَزائمهِ، وأنَّه يتوَلَّى ذلك بذاتِه.

﴿وَجِبْرِيلُ﴾: رأسُ الكَرُوبيِّينَ، وقَرنَ ذكرَه بذكرِه مُفْرِدًا له من الملائكة تَعظِيمًا له وإِظهارًا لِمكانَتهِ عِندَه.

﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ومَن صَلُح من المؤمنينَ، يَعني: كلُّ مَن آمَن وعمِلَ صالِحًا، وعن سعيدِ بن جُبيْرٍ: مَن بَرِئَ مِنهُم من النِّفاق.

وقيل: الأنبياء وقيل: الصَّحابَةُ، وقيل: الخُلفاء مِنْهُم.

قوله: (فقد وُجِدَ) أشار المصنّف بهذا الكلام إلى أنّ الجزاء محذوف، وهذا[1] المذكور علّته، أي: إنْ تتوبا فقد أتيتُم بالواجب؛ إذ[2] وُجِدَ منكم ما يُوجِبُ التوبة، وهو مَيل قلوبكم. وكذلك قوله: (فلَن يَعدَمَ)؛ لأنّ هذا بالحقيقة هو الجزاء، وعِلّته: "إنّ الله مَولاه"... إلخ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾ حذف إحدى التاءَين.[3]

قوله: (الكَرُوبيّينَ)[4] كرَب الشيءُ، أي: دَنا، والكَرُوبيُّون -بتخفيف الراء-: المقرَّبون.

---

[1] ن: هذ.

[2] د ن: إذا.

[3] ف: التاين.

[4] ن: الكروبيّين.

فإن قلتَ: "صَالحُ المؤمنينَ" واحِدٌ أَمْ جَمْعٌ؟

قلتُ: هو واحدٌ أُريد به الجمْعُ؛ كقولك: "لا يَفْعَلُ هذا الصَّالحُ من النَّاسِ" تريد الجنسَ؛ كقولك: "لا يَفعلهُ مَن صَلُح منهم"، ومثلُه قولُك: كُنتُ في السَّامرِ والحاضِر.

ويجوز أن يكون أصْلهُ: "صالِحُو المؤمنين" بالواو، فكُتِب بغَيْرِ وَاوٍ على اللَّفظ؛ لأن لَفظَ الواحد والجمعِ واحِدٌ فيه كما جاءت أشياءُ في المصْحَف مَتبُوعٌ فيها حكمُ اللَّفظِ دون وَضع الخطِّ.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ على تكاثُرِ عَدَدِهم وامتلاءِ السَّماوات من جُموعهم ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعدَ نُصرَةِ الله وناموسه وصالحي المؤمنين ﴿ظَهِيرٌ﴾: ....

قوله: (هذا الصالح)[١] "هذا" مفعول، و"الصالح"[٢] فاعل.

قوله: (في السامِرِ) السَّمَرُ: المُسامَرة؛ وهو الحديث بالليل، وقد سَمَرَ يَسْمُرُ فهو سامِر. والسامِر أيضًا: السُّمّار؛[٣] وهم القوم يَسمُرون، كما يقال للحُجّاج: حاجّ.[٤] والحاضر: الحيُّ العظيم، يقال: حاضر طَيّ، وهو جمع.[٥] اعلم أنّ في هذه الحاشية نوعَ مخالفةٍ[٦] للمَتنِ، والصحيح هو المذكور في المتن.

قوله: (وناموسِه) أي: جبرئيل[٧] عليه السلام. ناموس الرجل:[٨] صاحب سرِّه الذي يَطَّلِع على باطنِ أمره، ويَخُصُّه بما يستره عن غيره. وأهل الكتاب يُسَمُّون جبرئيل[٩] عليه السلام: الناموس، يقال: نَمَسْتُ الرجل ونامَسْتُه؛ إذا سارَرْتَه، قال الكُمَيت:

فأبلِغْ يزيدَ إن عرضتَ ومنذِرًا ... وعَمَّيهما[١٠] والمُستَّسِرَّ[١١] المُنامِسا[١٢]

---

١ ن: الصالخ.
٢ ن: والصالخ.
٣ ن: السخّار.
٤ ن: خاج. | الصحاح للجوهري، «سمر».
٥ الصحاح للجوهري، «حضر».
٦ ن: مخالقة.
٧ ن: جبريل.
٨ ن: الرجّل.
٩ ن: جبريل.
١٠ ن: وعميهًا.
١١ د: والمبتسِرَّ.
١٢ الصحاح للجوهري، «نمس». والبيت في ديوان الكُميت، ص ٢٣٠.

فوجٌ مُظاهِرٌ لهُ كأنَّهم يَدٌ واحِدةٌ على مَن يُعاديهِ، فما يَبلُغُ تظاهُرُ امْرأتَيْنِ على مَن هَؤلاء ظُهَرَاؤُهُ؟

فإن قلتَ: قولُه: ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ تعظِيمٌ للملائكة ومُظاهَرتِهِم، وقَد تَقدَّمت نصْرةُ اللهِ وجِبريلَ وصَالحِ المُؤمِنينَ، ونُصْرةُ الله أَعْظَمُ وأَعظَمُ.

قلتُ: مُظاهرةُ الملائكة من جُملةِ نُصْرَة اللهِ؛ فكأنَّه فَضَّلَ نُصرَته بهم وبمُظَاهَرتهم على غيْرِها مِن وُجوه نصرتِه لِفَضْلِهم على جميع خلْقِه.

وقرئ: ﴿تَظَّاهَرَا﴾، و: "تَتظَاهَرا"، و: "تَظَهَّرا".

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ۝٥﴾

قرئ ﴿يُبۡدِلَهُۥ﴾ بالتَّخفيف، والتَّشديدِ لِلكثرة.

﴿مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ﴾: مُقِرَّاتٍ مُخلِصاتٍ.

يقال: عرضتُ، أي: أتيت العَروضَ، وهي مكّة والمدينة وما حولها، ومنه قول الشاعر:

يـا راكـبًـا إمّـا عَـرَضـتَ فبلِّـغَـنْ نَـدامـايَ مِـن نـجـران ألّا تَـلاقـيا[1]

وأمّا قول الكُمَيت:

فـأبـلِـغ يـزيـدَ إن عَــرَضْــتَ...

أي: إن مَرَرْتَ به.[2]

قوله: (فما يبلغ) استفهام إنكار، و"ما" منصوب المَحلِّ، أي: أيَّ منزل ومقام، أو أيّةَ منزلةٍ ومرتبة يَبلغ، و"على"، يتعلّق بقوله: (تظاهُرُ).

قوله: (لفَضلهم على جميع خَلْقِه) بناء على مذهب المعتزلة.

---

[1] البيت لعبد يَغوث بن وقّاص الحارثي في لسان العرب لابن منظور، «عرض».

[2] الصحاح للجوهري، «عرض».

﴿سَـٰٓئِحَـٰتٍ﴾: صَائماتٍ، وقرئ: "سيّحات" وهي أَبلغُ، وقيل للصَّائم: سَائحٌ؛ لأنَّ السَّائحَ لا زَادَ معَه، فلا يَزالُ مُمْسكًا إلى أن يجِدَ ما يَطْعَمُه، فشُبِّه به الصَّائمُ في إمسَاكه إلى أَن يَجيء وقتُ إفطارِه.

وقيل: ﴿سَـٰٓئِحَـٰتٍ﴾: مُهاجِراتٍ.

وعن زيد بن أَسْلمَ: لَم تكُن في هذه الأُمَّةِ سِيَاحَةٌ إلَّا الهِجْرةُ.

فإن قلتَ: كيْف تكُون المُبدَلاتُ خَيْرًا مِنهنَّ ولم تكن على وَجْه الأرض نسَاءٌ خَيرٌ من أمَّهاتِ المُؤمنِين؟

قلتُ: إذا طَلَّقَهُنَّ رسولُ الله لِعصيَانِهنَّ لَهُ وإيذائهنَّ إيَّاه لم يَبْقَيْنَ على تلك الصِّفة، وكانَ غَيرُهنَّ من الموصُوفات بهذه الأَوصاف مع الطَّاعة لِرسول الله والنُّزولِ على هواه ورضاه خيْرًا منهنَّ، وقد عرَّضَ بذلك في قوله: ﴿قَـٰنِتَـٰتٍ﴾ لأن القُنُوتَ هو القيام بطاعَة الله، وطاعةُ الله في طاعة رَسُوله.

فإن قلتَ: لِمَ أُخلِيَت الصِّفاتُ كلُّها عن العاطف ووُسِّطَ بين الثيِّباتِ والأَبكار؟

قلتُ: لأنَّهما صِفتَان مُتنَافِيتَانِ لا يَجتمِعْنَ فيهما اجتماعَهُنَّ في سَائر الصِّفات، فلم يكن بُدٌّ من الوَاو.

قوله تعالى: ﴿سَـٰٓئِحَـٰتٍ﴾ ساحَ في الأرض، أي: ذهب.

قوله: (خيرٌ مِن أمّهات) "خيرٌ" صفة (نساء).[1]

قوله: (بهذه الأوصاف) أي: مسلِمات... إلخ.

قوله: (قلتُ: لأنهما صفتان) حاصل الجواب: أنّ كلَّهنَّ مسلمات وكلَّهنَّ مؤمنات إلى سائحاتٍ، وليست كُلُّهنّ ثيبات،[2] ولا كُلّهنّ أبكارًا، فلا بدَّ مِن ضمّ الثيبات[3] إلى الأبكار ليشمل كلَّهنّ.

قوله: (لا يجْتَمِعنَ) أي: الأزواج.

قوله: (اجتماعَهنّ) أي: الأزواج.

---

١ ن: لنساء.

٢ ن: ثيبات.

٣ ن: الثيبات.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ بتركِ المَعاصي وفعل الطَّاعاتِ ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بأن تَأخُذُوهم بمَا تأخذُونَ به أنفسَكم، وفي الحديث: «رَحِمَ الله رجُلًا قال: يا أَهْلاهُ، صَلاتَكُم، صِيَامَكم، زكاتَكُم، مِسْكِينَكُم، يَتِيمَكُم، جِيرَانكُم، لعَلَّ الله يَجمعُهم مَعه في الجنَّةِ».

وقيل: إنَّ أشدَّ الناس عذابًا يَومَ القيامة مَن جَهِلَ أَهْلَه.

وقرئ: "وأهلوكم" عطفًا على وَاوِ ﴿قُوٓاْ﴾ وحَسُن العَطفُ للفاصِل.

فإن قلتَ: أليس التقديرُ: قُوا أَنفسَكُم وَلْيَقِ أَهلوكم أَنفسَهُم؟

قوله: (صلاتكم) أي: الزموها.[١]

قوله: (لعلّ[٢] الله) "لعلّ" متعلّق مِن حيث المعنى بقوله: (رحِمَ الله)... إلخ؛ لأنّ معناه ههنا: قولوا لأهلكم: صلاتكم، فكأنّه قال: قولوا[٣] لأهْليكم: يا أهلاه الزَموا صلاتكم صيامَكم راجين -أو رجاءَ- أنّ الله يجمعكم مع أهليكم في الجنّة. ولا يَبعد أنْ يتعلّق بقوله: (قال)، ويكون فيه التفات، فكأنّه قال: رَحِم الله رجلًا قال ذلك راجيًا أن يجمعه الله مع أهله، ثمّ التفت.

قوله: (فإن قلتَ: أليس التقدير؟)... إلخ وجه السؤال: أنه لمّا كان الأمر للفاعل المخاطَب بالصيغة، وللغائب باللام؛ كان يخيّل أن يكون التقدير: قُوا[٤] أنفسَكم، ولْيَقِ أهلوكم أنفسَهم، / فيكون مِن عطف الجملة[٥] على الجملة. [٤١٣و]
فأجاب بأنّه ليس التقدير كذلك؛ بل لمّا أُريدَ أمرُ المخاطَبِ والغائبِ غُلّب جانبُ المخاطَب فقيل: ﴿قُوٓاْ﴾ بلفظ أمرِ المخاطَب للمُخاطب والغائب بطريق التغليب، ثمّ لمّا جُمع مع المخاطَب الغائبُ بعد صيغة الأمر غُلّب[٦] المخاطَبُ على الغائب في المفعول، فجُعل ضميرهما ضميرَ المخاطَب، فقيل: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾.

---

١ ن: اكرموها.
٢ ن: لعلّى.
٣ ن: قولو.
٤ ف: قولوا.
٥ ف: الحملة.
٦ ن: غلبَ.

قلتُ: لا، ولكنَّ المَعْطوفَ مقارنٌ في التقدير لِلواو و"أَنفُسَكم" واقعٌ بعْدَه، فكأنَّه قيل: قُوا أنْتم وأَهْلوكم أنفسَكم، لمَّا جمَعْتَ مَع المخاطَبِ الغائبَ غلَّبْتَهُ عليه فجَعلْتَ ضَميرَهُما معًا على لفْظِ المخاطَبِ.

﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾: نوعًا من النار لا يَتَّقِدُ إلَّا بالنَّاسِ والحجَارةِ كما يَتَّقِدُ غَيْرُها من النِّيرانِ بالحَطب.

وعن ابن عباس: هي حجارةُ الكِبْريتِ، وهيَ أشَدُّ الأشياء حَرًّا إذا أُوقِدَ علَيها.

وقرئ: "وُقودُها" بالضَّمِّ؛ أَي: ذُو وُقُودِها.

﴿عَلَيْهَا﴾: يَلِي أمْرَها وتعذيبَ أهْلِها ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ يَعني: الزبانيةَ التِّسعَةَ عشَر وأَعْوانَهُم.

قوله تعالى: ﴿نَارًا وَقُودُهَا﴾ الوَقود بالفتح: الحطَب، وبالضمّ المصدر.

قوله: (كما يتَّقد) الكاف صفة مصدر محذوف ممّا دلّ[1] عليه النفي والإثبات[2] في "لا يتَّقِد إلّا"، فكأنّه قال: يتّقِدُ[3] بالناس والحجارة اتّقادًا مِثلَ اتّقاده.

قوله: (هي حِجارة الكبريت) اعلم أنّ المصنّف منعَ هذا التفسير في سورة البقرة،[4] فقال: "هو تخصيصٌ بغير دليل"، فكأنّ هذا النقل لم يكن ثبَتَ عنده حينئذٍ عن ابن عبّاس رضي الله عنه،[5] ولمّا ثبتَ أثبتَه[6] وذكرَ وجه حُسْنه. وقوله: (إذا) معمولُ (أشدّ)، ظرفٌ له. وقوله: (أُوقِدَ) مسنَد إلى (عليها)، أي: على حجارة الكبريت، وليس في "أُوقِدَ" ضمير.

قوله: (على البدل) فيكون بدل اشتمال، و"ما" مصدريّة، وأمّا على الوجه الثاني فمنصوب على حذف الجارّ وإيصالِ الفعل.

قوله: (وأعوانَهم) العَوْنُ: الظهير على الأمر، والجمع: الأعوان.[7]

---

[1] ن: دَلّ.
[2] ن: والإثبات.
[3] ن: يتقَد.
[4] البقرة، ٢/٢٤.
[5] د ن – رضي الله عنه.
[6] ف: وأثبته.
[7] الصحاح للجوهري، «عون».

﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ في أَجْرَامهم غِلظةٌ وشِدَّةٌ؛ أي: جَفَاءٌ وقوَّةٌ، أو: في أَفْعالهم جَفاءٌ وخُشُونَةٌ لا تأخُذُهم رَأفةٌ في تنفِيذِ أوَامِر اللهِ والغَضَبِ له والانتِقامِ من أَعدائه.

﴿مَآأَمَرَهُمْ﴾ في محَلِّ النَّصب على البَدَلِ؛ أي: لا يَعْصُونَ ما أَمَر اللهُ، أي: أَمْرَه؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه ٢٠/٩٣] أو: لا يَعصُونَه فيما أمرَهم.

فإن قلتَ: أَلَيست الجملتانِ في معنًى واحِدٍ؟

قلتُ: لا، فإنَّ معنى الأولى: أنهم يتقَبَّلُونَ أوَامِرَه ويَلتَزِمُونهَا ولا يأبَوْنَها ولا يُنكِرُونهَا، ومَعْنى الثَّانِيَةِ: أَنَّهُم يُؤدُّونَ ما يُؤمَرُونَ به لا يَتَثَاقَلُونَ عنه ولا يَتَوانَوْنَ فيه.

فإن قلتَ: قد خاطَب اللهُ المشركين المُكَذِّبين بالوَحْي بهذا بعَيْنِهِ في قَوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة ٢/٢٤] وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة ٢/٢٤] فجَعلها مُعَدَّةً للكافِرين، فما مَعنى مخاطبَتِه بِهِ المؤمنينَ؟

قوله: (قلتُ: لا) فإنّ معنى الأولى: أنّهم يتقبَّلون، فكأنّ المصنّف[١] أشار إلى أنّهم[٢] إذا قالوا: "قبِلْنا والتزَمْنا" فقد اجتنبوا العِصيان، لكن[٣] في هذا بحثٌ؛ لأنّه هو السَّمْع، والإتيان بالمأمور به هو الطاعة، والترك هو المعصية، ولذلك ذكر تعالى عن المؤمنين أنّهم كانوا يقولون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة ٢/٢٨٥]، وعن الكافرين: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة ٢/٩٣].

وإذا كان كذلك فالوجه في الجواب عن السؤال أن نقول: **الأوّل** للحال، والثاني للاستقبال، فلا يكون الجملتان في معنًى واحد. ويمكن أن يقال: السمع قسمان: سمعُ طاعة؛[٤] وهو أن يكون مع التقبّل والالتزام[٥] وعزم الإتيان وعدم الإباء والإنكار. وسمعُ معصية؛ وهو أن[٦] لا يكون مع التزامٍ؛ بل يكون مع إبطان الإباء والإنكار، أو مع إظهارهما، فيستقيم حينئذٍ كلام المصنّف،[٧] وهذا هو[٨] الصواب.

---

١ ن: المصنف.
٢ ن: أنهم.
٣ ن: من.
٤ ن: طاعته.
٥ ف: والإلزام.
٦ ن – أن.
٧ ن: المصنف.
٨ ن + با.

قلتُ: الفسّاقُ وإن كانَتْ دَركَاتُهم فوقَ دركاتِ الكُفّارِ فإنَّهم مُسَاكِنُون الكفَّارَ في دارٍ واحِدةٍ، فقِيل للَّذين آمَنُوا: قُوا أنفُسَكم باجتِناب الفُسُوقِ مُسَاكَنَةَ الَّذين أُعدَّت لَهُم هذه النَّارُ المَوصُوفةُ.

ويجوز أن يَأمُرَهُم بالتَّوَقِّي من الارْتِدَادِ والنَّدمِ على الدُّخُول في الإسْلام، وأَن يكُون خِطابًا لِلَّذين آمَنُوا بألْسِنَتِهم وهُم المنافِقون، ويَعضُد ذلك قوْلُه على أثَرِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: يُقالُ لَهم ذلك عند دخُولهم النَّار: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ﴾ لأنَّه لا عُذْرَ لكُم، أو لِأنَّه لا يَنفَعُكُم الاعْتِذَارُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾

﴿تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ وُصِفَت التَّوبة بالنُّصْح على الإسْنادِ المَجازِيّ، والنُّصحُ: صِفةُ التَّائِبِينَ، وهُو أن يَنصَحُوا بالتَّوبةِ أَنفسَهُم فيَأتُوا بهَا على طَرِيقَتها مُتَدارِكةً لِلفَرطَاتِ مَاحيَةً لِلسَّيئاتِ، وذلك أَنْ يتُوبوا عن القبائح لقُبحِها نادِمِين عليها مُغتَمِّين أَشَدَّ الاغتمام لِارْتكابِهَا، عَازِمين على أنَّهم لا يَعُودُون في قبيحٍ من القَبائح إلى أن يَعُود اللَّبَنُ في الضَّرع، مُوَطِّنِينَ أنفُسَهم على ذلك.

وعن عليّ رضي الله عنه: أنَّه سمِعَ أَعْرَابيًا يقول: اللّهم إنّي أَسْتَغْفِرك وأتوبُ إليك، فقال: يا هَذا، إنَّ سُرْعَةَ اللِّسان بالتَّوبة تَوْبةُ الكذَّابينَ، قال: ومَا التَّوبة؟ قال: يجمَعُها سِتَّةُ أشيَاءَ: على الماضي من الذُّنُوب: النَّدامةُ، وللفرائض:

قوله: (في قبيح مِن القبائح) هذا إشارة إلى مذهبه مِن أنّ التوبة عن بعض المعاصي مع الإصرار على البعض غير صحيح، وأمّا عند أهل السُّنّة فتلك مقبولة.

قوله: (سِتّة أشياء)... إلخ هذا المذكور سبعة أشياء، لكن رَدُّ المظالم واستحلال الخصوم في حكم شيء واحد؛ لأنّه إن كان المَظلمة ماليًا فالواجب رَدُّه إنْ كان باقيًا، ورَدُّ عِوَضِه إن كان تالفًا، وإن كان متعلّقًا بالعِرْض -كالسَّفاهة

الإعَادةُ ورَدُّ المظَالم واستحلالُ الخُصُوم، وأن تعْزِمَ على أن لا تَعُودَ، وأن تُذِيبَ نفسَك في طَاعة الله كما رَبَّيْتَها في المَعْصيَةِ، وأن تُذِيقَهَا مَرارةَ الطَّاعَاتِ كما أذقْتَها حَلاوةَ المعَاصي.

وعن حُذَيْفة: بحَسْبِ الرَّجُلِ من الشَّرِّ أن يتُوبَ عن الذَّنبِ ثمَّ يَعُودَ فيهِ.

وعن شَهْر بن حَوْشَبٍ: أن لا يَعُودَ ولو حُزَّ بالسَّيْف وأُحْرِقَ بالنَّارِ.

وعن ابن السَّماكِ: أَن تَنْصِبَ الذَّنْبَ أقلَلْتَ فيه الحياءَ من الله أمَامَ عَينِكَ وتَستعِدَّ لمُنْتَظَرِكَ.

وقيل: توبةٌ لا يُتَابُ منها.

وعن السُّدِّيِّ: لا تصحُّ التَّوبةُ إلَّا بنصيحةِ النَّفسِ والمُؤمنين؛ لأنَّ مَن صَحَّتْ تَوْبَتُه أحَبَّ أن يكُونَ النَّاسُ مِثلَهُ.

والغيبة- فالواجب استحلال الخَصم، أو نقول: الأمران الأخيران في حكم شيء واحد، وهما قوله: (وأن تُذيبَ) إلى قوله: (في المعصية)، وقولُه: (وأنْ تُذيقها)[١] إلى قوله: (المعاصي).

قوله: (أقلَلْتَ) صفة (الذنب)، كما في قوله:

عـــلــى الـــلــئــيــم يَــســبُّــنــي[٢]

وقوله: (أمامَ) ظرف لقوله: / (تَنْصِب). وقوله: (لِمُنتَظَرِك) أي: للموت الذي [٤١٣ظ]
تنتظره، فإنّ كلّ أحد مُنتَظِرٌ للموت، والموت مُنتَظَرٌ، فكأنّه قال: تَستعدّ[٣] للموت.

قوله: (لا يُتابُ منها) أي: لا يحتاج إلى أن يُتاب مِن تلك التوبة، فإنّ التوبة إذا لم تكن[٤] عن خُلوص نيّةٍ[٥] تحتاج إلى التوبة.

---

[١] ن: يذيقها.

[٢] تمامه:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني فمضيتُ ثمّتَ قلتُ لا يعنيني

لرجل مِن بني سلول في الكتاب لسيبويه، ٣/٢٤؛ وشرح شواهد المغني للسيوطي، ١/٣١٠.

[٣] د ن: تسعدّ.

[٤] ن: يكن.

[٥] ن: نيّة.

وقيل: ﴿نَصُوحًا﴾ من نِصَاحَة الثَّوبِ؛ أي: توبَةً تَرْفُو خُروقَكَ في دِينك وتَرُمُّ خلَلَكَ.

وقيل: خالصَةً، من قولهم: عسَلٌ ناصحٌ، إذا خلَصَ من الشَّمعِ.

ويجوز أن يُراد: توبَةً تَنْصَحُ النَّاسَ؛ أي: تَدْعُوهُم إلى مِثلها؛ لِظُهُور أَثَرهَا في صَاحِبها، واستعمَالِه الجِدَّ والعَزِيمةَ في العَمل على مُقتضَياتِها.

وقرأ زيدُ بنُ عليٍّ: "تَوْبًا نَصُوحًا".

وقرئ: ﴿نُصُوحًا﴾ بالضَّمِّ، وهو مَصْدَرُ نصَحَ، النُّصْحُ والنُّصُوحُ كالشُّكر والشُّكورِ، والكُفْر والكُفُور؛ ....

قوله: (مِن نصاحة الثوب) أي:[1] خياطتِه.[2] قال الجوهري في صحاح اللغة: «النَّصْحُ -بالفتح- مصدر قولِك: نَصَحْتُ الثوب؛ خِطْتُه، يقال: ومنه 'التوبة النَّصوح'، اعتبارًا بقوله عليه السلام:[3] 'مَن اغتابَ خَرَق، ومَن رفَأَ استغفر'».[4]

وقوله: (تَرْفُو) يقال: رَفَأْتُ الثوبَ أرْفأ رَفْأً؛ إذا أصلحتَ ما وَهَى منه، يقال: «مَن اغتابَ خرَقَ، ومَن استغفرَ رَفَأ».[5] وقد جاء "رَفَا يَرفُو"[6] منقوصًا.[7] ويَقرُب منه قول ابن الزِّبَعْرى في اعتذاره إلى النبيّ عليه السلام:[8]

يا رسولَ المَليك إنّ لساني راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بورُ[9]

قوله: "راتِقٌ ما فَتَقْتُ" أي: مُصْلِحٌ ما أفسَدْتُ، ورافئٌ ما مزَّقْتُ. وقوله: "إذْ" ظرف "فَتَقْتُ". يعتذرُ إلى النبيّ عليه السلام[10] ممّا ذكره في أشعاره في حال كُفره. والبور: الرجل الفاسد الهالك الذي لا خيرَ فيه، وامرأة بورٌ، وقومٌ بورٌ.[11]

---

[1] ف + من.

[2] ن: خياطة.

[3] ف: صلّى الله عليه وسلّم.

[4] الصحاح للجوهري، «نصح». والحديث في المجالسة للدينوري، ٤٣/٨، مِن قول الحسن البصري.

[5] الصحاح للجوهري، «رفأ». والحديث تقدّم في الحاشية السابقة.

[6] د: يرفوا؛ ن: يرقوا.

[7] انظر: المُغرب للمطرّزي، «رفأ».

[8] ف: صلّى الله عليه وسلّم.

[9] ديوان عبد الله بن الزِّبَعرَى، ص ٣٦.

[10] ف: صلّى الله عليه وسلّم.

[11] الصحاح للجوهري، «بور».

أي: ذاتَ نُصُوحٍ، أو: تنصَحُ نُصُوحًا.

أو: تُوبُوا لِنُصْحِ أَنفُسِكم، على أنّه مَفعُولٌ له.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ إطْمَاعٌ من الله لِعبَادِه، وفيه وجهانِ:

أحَدُهما: أَنْ يكُونَ على ما جَرَتْ به عادَةُ الجبَابِرَة من الإجابة بعسَى ولَعلَّ، وَوُقُوعِ ذلك منْهُم مَوْقِعَ القَطْعِ والبَتِّ.

والثاني: أَنْ يَجيءَ به تَعْليمًا لِلعبَاد وُجُوبَ التَّرجُّحِ بينَ الخَوْفِ والرجاء والَّذِي يَدُلُّ على المَعْنى الأَوَّل وأَنَّه في مَعْنى البَتِّ: قِراءةُ ابن أَبي عَبْلةَ: "ويُدْخِلْكُم" بالجزم عَطفًا على محلِّ "عسَى أَنْ يُكفِّر" كأنّه قيل: تُوبُوا يُوجِبْ تكفيرَ سيّئاتِكم ويُدْخِلْكم.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾ نصبٌ بـ﴿يُدْخِلَكُمْ﴾، و﴿لَا يُخْزِى﴾ تَعْرِيضٌ بمَن أَخْزَاهُم اللهُ من أَهل الكُفر والفُسوق، واستحمادٌ إلى المُؤْمِنينَ عَلى أنّه عَصَمهُم مِن مِثْل حالِهم.

﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ على الصِّراط.

﴿أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: يقولُون ذلك إذا طَفِئ نورُ المنافِقينَ إِشْفاقًا.

قوله: (أو توبوا لنُصح)... إلخ عطفٌ على (تنصَح)، أي: هو مفعول مطلَق على أحد الوجهين المذكورين هنا، أو مفعول له.

قوله: (وجوب الترجّح) أي:[١] التردّدِ وكونِهم دائرين بينهما غيرَ مرجِّحين أحدَهما على الآخر.

قوله: (عطفًا) فإنّه إذا عُطف بالجزم على محلّ ﴿عَسَىٰ﴾ عُلِم أنّه في محلّ الجزم، فكأنّه[٢] قيل: إن تتوبوا يُكفِّرْ، فتكون التوبة سببَ التكفير. وأمّا قول المصنّف: (يوجِبْ) فبناء[٣] على مذهبه.

قوله: (واستِحْمادٌ)[٤] الاستِحماد: طلب الحمد.

---

١ ف: إلى.

٢ ف: وكأنّه.

٣ ن: فبذاء.

٤ ن: واستحماذ.

وعن الحسَن: اللهُ مُتمُّه لَهُم ولكنَّهم يدْعُونَ تَقرُّبًا إلى اللهِ؛ كقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر ٥٥/٤٠] وهو مَغفُور لهُ.

وقيل: يَقُولُه أَدْناهُم مَنْزِلةً؛ لأَنَّهم يُعْطَوْنَ من النُّور قَدْرَ ما يُبْصِرُونَ مَواطِئَ أقدَامِهِمْ؛ لأنَّ النُّورَ على قَدْر الأَعْمال فيَسْأَلون إتْمامَه تفضُّلًا.

وقيل: السَّابِقُونَ إلى الجنة يمرُّونَ مِثل البَرق على الصِّراط، وبَعْضُهم كالرِّيحِ، وبَعْضُهم حَبْوًا وزَحْفًا، فأولئكَ الذين يقولُون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

فإن قلتَ: كيف يشفقُونَ والمؤمنون آمنون: ﴿أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [فصلت ٤٠/٤١] ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس ٦٢/١٠] ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء ١٠٣/٢١] أو كيفَ يتَقرَّبُون وليسَتِ الدار دارَ تقرُّبٍ؟

قلتُ: أمَّا الإشفاقُ فيجُوزُ أن يكون على عادة البَشريَّة وإن كانوا معتَقِدينَ لِلأَمْنِ، وأمَّا التَّقرُّبُ فلمَّا كانت حالُهم كحال المتقرِّبين -حيث يطلبون ما هو حاصلٌ لَهُم من الرَّحْمة- سَمَّاه تَقرُّبًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾

قوله: (تقرُّبًا)[١] أي: للتقرُّب.

قوله: (حَبْوًا وزحفًا) مِن زحَفَ الصبيّ[٢] على الأرض قبل أن يمشي. والحبو بمعنى الزحف.

قوله: (فإن قلتَ: كيف؟) هذا السؤال على الوجه الأوّل وعلى ما ذكره الحسن البصري هناك. وقوله: (والمؤمنين) حال. وقوله: (﴿أَم مَّن يَأْتِىٓ﴾ [فصلت ٤٠/٤١]) استشهد المصنّف بثلاث آيات على أنّهم آمِنون.

قوله: (سمّاه: تقرُّبًا) أي: سمّاه الحسَن: تقرُّبًا.

---

[١] ن: تقربًا.

[٢] ن: الصبّي.

﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ بالاحتِجاج، واستعمِلِ الغِلْظَةَ والخُشُونَةَ على الفَرِيقَيْنِ فيما تجاهدهما به من القتالِ والمُحَاجَّة.

وعن قتادة: مُجاهَدة المُنافِقين بإقامَة الحدود عليهم. وعن مجاهد: بالوَعيدِ، وقيل: بإفشاءِ أَسْرَارِهم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

مَثَّلَ الله عزَّ وجَلَّ حالَ الكُفَّار في أنَّهم يُعاقَبُونَ على كُفْرِهم وعَداوتِهم للمؤمنين مُعَاقَبَةَ مِثْلِهم من غيرِ إبْقاءٍ ولا مُحاباةٍ، ولا ينفَعُهم مَع عَداوتهم لهُم ما كان بَينهم وبَينَهُم مِنْ لُحْمةِ نَسَبٍ أو وُصْلَةِ صِهْرٍ؛ لأنَّ عَداوتَهُم لَهُم وكفرَهُم باللهِ ورَسُولِهِ قطَعَ العَلائق وبَتَّ الوُصَلَ وجَعَلهم أبعَدَ من الأَجانبِ وأَبعَدَ وإن كان المؤمنُ الذي يتَّصِل به الكافرُ نبيًّا من أَنبياء الله= بحالِ امرأةِ نوحٍ وامرأةِ لُوطٍ لمَّا نافقَتَا وَخانتَا الرَّسُولَيْنِ لم يُغنِ الرَّسُولَانِ عنهما بحقِّ ما بَينهما وبَينهما من وُصْلةِ الزَّوَاجِ إغنَاءً مّا مِن عذاب اللهِ ﴿وَقِيلَ﴾ لَهُما عند مَوتهما أو يومَ القيامة: ﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ﴾ سائر ﴿ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ الَّذين لا وُصْلَة بَينهم وبَين الأنبياء، أو مَع داخليها من إخوَانكمُا من قَوم نوحٍ وقومِ لوطٍ.

ومَثَّلَ حالَ المؤمنين في أن وُصْلةَ الكافِرين لا تُضرُّهُم ولا تَنقُصُ شيئًا مِن ثوابهم وزُلْفَاهُم عند الله بحال امْرأةِ فرعَوْنَ ومَنزلتِها عِند الله مَع كونها زَوْجَةَ

قولـه: (بإقامـة الحـدود) أي: حـدود الشـرب والزنـا وسـائرِ الجنايـات الصادرة عنهم.

قوله: (مِن لُحْمةِ) اللُّحْمةُ -بالضمّ-: القَرابةُ.

أَعْدَى أَعْداءِ الله النّاطقِ بالكَلمة العُظمَى، ومَرْيـَمَ ابْنةِ عمرانَ وما أُوتِيَتْ من كَرامة الدُّنيا والآخِرة والاصْطِفاء على نساء العالمِين مَع أنَّ قوْمَها كانوا كفَّارًا.

وَفي طَيِّ هَذيْنِ التمثيلَيْنِ تعريضٌ بأُمَّي المؤمِنِين المذكورَتيْن في أوَّلِ السُّورة وما فَرَطَ مِنهما من التَّظَاهُر على رسُول الله بما كَرِهَهُ، وتحْذِيرٌ لَهُما على أَغلَظِ وَجْهٍ وأَشدِّه؛ لِمَا في التَّمثيل من ذِكْر الكُفْر.

ونحوُهُ في التَّغليظِ قَولُه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران ٩٧/٣] وإشارةٌ إلى أنَّ مِن حَقِّهما أن تكونا في الإخْلاص والكمالِ فيه كمِثْلِ هاتين المؤمِنَتيْنِ، وأَن لا تتَّكِلَا على أَنهُما زوْجَا رسُول الله فإنَّ ذلك الفَضْلَ لا يَنفَعُهما إلَّا مع كونهما مُخْلِصَتيْن، والتَّعْريضُ بحَفْصَةَ أَرجَحُ لأنَّ امرأَةَ لُوطٍ أفشَتْ عَلَيْه كما أَفشَتْ حَفصَةُ على رسول الله، وأَسْرارُ التَّنزيل ورُمُوزُهُ في كلِّ بابٍ بالِغَةٌ من اللُّطفِ والخَفاء حَدًّا يَدِقُّ عَن تفطُّن العالمِ ويَزِلُّ عن تَبَصُّرِه.

فإن قلتَ: ما فائدةُ قَوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾؟

قلتُ: لمَّا كان مبنَى التَّمثيلِ على وُجُود الصَّلاح في الإنسان كائنًا مَن كان، وأَنَّه وَحْدَهُ هُو الَّذي يبلغُ به الفَوْزَ ويَنالُ ما عِنْد الله= قال: ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾

قوله: (تعريض بأُمَّي المؤمنين) ولذلك ذكرَ امرأتَين.

قوله: (ونحوه في التغليظ قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [آل عمران ٩٧/٣]) أي: مَقام مَن لم يَحُجَّ.

قوله: (كائنًا مَن كان) "كائنًا" حالٌ[١] مِن (الإنسان)، و"مَن كان" خبر "كائنًا"، و"مَن" موصوفة، أي: النظر إلى الصلاح، ولا نظرَ إلى أنّه في أيّ شخص مِن الأشخاص.

قوله: (وأنّه وحده) عطفٌ على (وجودِ) مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: وبيان أنّه هو الذي.

قوله: (وينال) أي: وينال به ما عند الله، فالعائد محذوف.

---

١ ن - حال.

فذكَرَ النبيَّين المشهورَين العَلَمَيْنِ بأنَّهما عَبْدانِ لم يكُونا إلَّا كسَائر عبادِنا، من غيرِ تفَاوُتٍ بيْنهما وبينهم إلا بالصلاح وَحْدَه؛ إظهارًا وإبَانةً لأنَّ عبْدًا من العبَاد لا يَرْجَحُ عنْدَه إلَّا بالصلاح لا غيرُ، وأنَّ ما سِواه ممَّا يَرْجَحُ بِهِ النَّاسُ عنْدَ النَّاس ليْسَ بسَببٍ للرُّجْحان عنده.

فإن قلتَ: ما كانَتْ خِيَانَتهما؟

قلتُ: نفَاقُهما وإبْطَانُهما الكُفرَ وتظَاهُرُهما على الرسولين، فَامرأةُ نوح قالت لِقَوْمِه: إنَّه مَجنُونٌ، وامرَأةُ لُوط دَلَّت على ضيفانه.

ولا يجوز أن يراد بالخِيانة الفُجورُ؛ لأنَّه سَمْجٌ في الطِّبَاع نَقيصَةٌ عِند كلِّ أحدٍ، بخلافِ الكفر فإنَّ الكفَّارَ لا يستسمجُونَه بل يَستَحْسِنُونَهُ ويُسَمُّونه حَقًّا، وعن ابن عبَّاس: ما بغَتِ امرأةُ نبيٍّ قط.

و"امرأة فرعون": آسيَةُ بنْتِ مُزاحِمٍ، وقيل: هي عمَّةُ مُوسى عليه السلام، آمَنَتْ حين سمعتْ بتلقُّفِ عصا موسى الإفكَ فعذَّبها فرعونُ، عن أبي هريرةَ: أنَّ فرعونَ وتَّد امرأتَه بأربعةِ أوتادٍ، واستَقْبَلَ بها الشمس، وأَضْجَعَها على ظهرِها، ووَضَعَ رحًى على صدرها.

وقيل: أَمَر بأنْ تُلْقَى عليها صخرةٌ عظيمةٌ، فدَعَتِ اللهَ فرَقِيَ برُوحِها، فأُلقيتِ الصخرةُ على جسدٍ لا روحَ فيه.

قوله: (لا يَرْجَح إلَّا بالصلاح لا غير) مثل قولك: ما جاء إلَّا زيد لا عمرو. وقد[1] كتبنا في الحواشي مِرارًا أنَّ صاحب المفتاح منعَ صحَّة مثل هذا[2] التركيب.[3]

قوله: (ممَّا يَرْجَحُ) بيان "ما".

[٤١٤و] قوله: / (فإن قلتَ: ما كانت) "ما" استفهاميَّة، وضمير "كانت" يعود إليه، و(خيانَتهما) خبره، والتأنيث باعتبار الخبر، كما في: مَن كانت أمَّك؟

---

[1] ن: قد.

[2] ن: هذ.

[3] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ١/٢٩٣. | وفي هامش د ف: ونحن أيضًا كتبنا مِرارًا أنّ في كلام صاحب المفتاح نظرًا؛ لمَ قلتَ: إنّه لا يجوز؟ وما المانع؟

وعن الحسن: فنجَّاها الله أكرمَ نجاةٍ فرفَعَها إلى الجنة، فهي تأكلُ وتشربُ وتَنْعَمُ فيها.

وقيل: لمَّا قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ أُرِيَتْ بيتَها في الجنة يُبْنَى، وقيل: إنه مِن دُرَّة.

وقيل: كانت تعذَّبُ في الشمسِ فتظلُّها الملائكةُ.

فإن قلتَ: ما مَعْنَى الجمعِ بين ﴿عِندَكَ﴾ و﴿فِي ٱلْجَنَّةِ﴾؟

قلتُ: طلبتِ القُرْبَ من رحمةِ الله والبُعْدَ من عذابِ أعدائه، ثم بيَّنتْ مكانَ القُربِ بقولها: ﴿فِي ٱلْجَنَّةِ﴾، أو أرادتِ ارتفاعَ الدرجةِ في الجنَّة، وأنْ تكونَ جنَّتُها من الجِنَان التي هي أقربُ إلى العرشِ وهي جنَّاتُ المأوَى، فعبَّرتْ عن القُرْبِ إلى العرشِ بقولها: ﴿عِندَكَ﴾.

﴿مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾: من عملِ فرعونَ، أو: من نفسِ فرعونَ الخبيثةِ وسلطانِه الغَشُومِ وخصوصًا مِن عَمَله، ....

قوله: (قلتُ: طلبَتِ القُرب)... إلخ على ما ذكره يحتمل أن يكون قوله: ﴿فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ متعلِّقًا بفعل محذوف، كأنّه قيل: ابنِ لي بيتًا، ثمّ قُدِّرَ سؤال، وهو: في أيِّ موضعٍ تريد؟ أو في أيِّ[1] موضعٍ أَبنِي؟ فقيل: ﴿فِي ٱلْجَنَّةِ﴾، أي: ابنِ في الجنّة. ويجوز أن يكون ﴿فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ بدلًا مِن قوله: ﴿عِندَكَ﴾ بطريق البيان؛ لأنّ المراد بقولها: ﴿عِندَكَ﴾ هو أن يكون في الجنّة.

قوله: (مِن عمل فرعون) يعني: يكون معنى ﴿مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾: مِن عملِ فرعون، وذِكرُ "فرعون" للتوطئة والتمهيد، كما يقال: أعجبني زيدٌ وكرمُه، أي: أعجبني كرمُ زيدٍ.

قوله: (أو مِن نفس فرعون) هذا معنى قوله:[2] ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾.

قوله: (وخصوصًا)[3] أشار به إلى أنّ المراد بقوله: "مِن نفس فرعون"

---

[1] د - أيّ.

[2] ن: قول.

[3] وفي هامش د ف: أي: معنى "مِن عمله".

وهو: الكفرُ، وعبادةُ الأصنام، والظلمُ، والتعذيبُ بغيرِ جُرْمٍ.

﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: من القِبْطِ كلِّهم، وفيه دليلٌ على أنَّ الاستعاذةَ بالله والالْتِجاءَ إليه ومسألةَ الخَلَاصِ منه عِنْدَ المِحَن والنَّوازِل مِن سِيَرِ الصالحين وسَنَنِ الأنبياءِ والمرسَلِين: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء ١١٨/٢٦] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس ٨٥/١٠].

﴿فِيهِ﴾: في الفَرْج، وقرأ ابن مسعود: "فيها" كما قُرِئَ في سورة الأنبياء، والضميرُ للجملة، وقد مرَّ لي في هذا الظرف كلامٌ.

ومن بِدَع التفاسير: أن الفَرْجَ هو جيبُ الدِّرْع، ومعنى أَحصنَتْه: منعَتْه جبريلَ، وأنه جُمِعَ في التمثيلِ بين التي لها زوجٌ والتي لا زَوْجَ لها تسليَةً للأراملِ وتطييبًا لأَنْفُسِهِنَّ.

﴿وَصَدَّقَتْ﴾ قُرِئَ ....

جميعُ أفعاله مِن تسلّطه وغير ذلك، ثمّ عطفَ المصنّف عليه قولَه: "وخصوصًا"، أي: عمومًا وخصوصًا.

قوله: (﴿فَٱفْتَحْ﴾ [الشعراء ١١٨/٢٦]) استشهاد.

قوله: (﴿رَبَّنَا﴾ [الممتحنة ٥/٦٠]) استشهاد آخر.[١]

قوله: (للجملة) أي: لمريم.[٢]

قوله: (في هذا الظرف) يريد بـ"الظرف" قوله: ﴿فِيهِ﴾، وبـ"الكلام الذي مَرّ" هو أنّ معنى نَفْخِ[٣] الروح في الشيء في كلامه تعالى هو إحياء المَنْفوخ فيه، أي: جعله حيًّا بعد أنْ كان مَواتًا غير حسّاسٍ، فما معنى النَّفْخِ ههنا؟ وجوابه: أنّ في الكلام حذفًا، وتقديره: فنفَخنا في عيسى فيه، أي: كائنًا فيه، كما تقول: نفخ الزَّمّارُ في دار فلانٍ.

---

١ ن: وآخر.
٢ ن: المريم.
٣ ن: تفخ.

بالتشديد، وبالتخفيف على أنها جَعَلَتِ الكلماتِ والكتبَ صادقةً، يعني: وصَفَتْها بالصِّدق، وهو معنى التصديقِ بعَينِه.

فإن قلتَ: فما كلماتُ اللهِ وكُتُبِه؟

قلتُ: يجوز أن يراد بكلماته: صحفُه التي أنزلها على إدريسَ وغيره، سمَّاها كلماتٍ لِقِصَرها، وبكتبه: الكتبُ الأربعةُ، وأن يُرادَ جميعُ ما كلَّم اللهُ به ملائكتَه وغيرَهم وجميعَ ما كَتَبه في اللوح وغيرِه.

وقرئ: "بكلمةِ اللهِ وكتابِه"؛ أي: بعيسى وبالكتاب المنزَلِ عليه وهو الإنجيلُ.

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ على التَّذكير؟

قلتُ: لأنَّ القنوتَ صفةٌ تشملُ مَن قَنَتَ من القبيلَين، فغُلِّب ذكورُه على إناثه.

و﴿مِنَ﴾ للتبعيض، ويجوزُ أن تكونَ لابتداءِ الغايةِ على أنها وُلدت من القانتين؛ لأنها مِن أعقابِ هارونَ أخي موسى عليهما السلامُ، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «كَمُلَ من الرجالِ كثيرٌ ولم يَكْمُلْ من النساءِ إلا أربعٌ: آسيةُ بنتُ مُزاحِمٍ امرأةُ فرعونَ، ومريمُ بنتُ عمرانَ، وخديجةُ بنتُ خُوَيلدٍ، وفاطمةُ بنتُ محمدٍ، وفَضْلُ عائشةَ "رضي الله عنها" على النساءِ كفَضْلِ الثَّريدِ على سائرِ الطعام».

قوله: (بالتشديد) سبعةٌ. وقوله: (بالتخفيف) شاذٌّ. وقوله: (على أنّها) أي: مريم. وقوله: (صادقةً) فيكون "الباء" في ﴿بِكَلِمَٰتِ﴾ للتعدية.

قوله: (على أنّها وُلِدَت) أي: حَصَلَت ووُجِدَتْ ووُلِدَتْ مِن القانتين.[1]

قوله: (امرأةُ فرعون) بدل مِن آسيةَ.

قوله: («كفَضْل الثريد»)[2] قيل: إنّما مثَّل بالثريد لأنّه أفضلُ طعام العرب، ولا يَرَونَ في الشِّبَعِ أغنى غَناءٍ منه. وقيل: إنّهم كانوا يَحمَدون الثَّريد فيما طُبِخَ بلحم،

---

[1] ف: العانتين.

[2] صحيح البخاري، ٢٩/٥ (٣٧٦٩)؛ صحيح مسلم، ١٨٨٦/٤ (٢٤٣١).

وأمَّا ما رُوِيَ أنَّ عائشةَ سألتْ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: كيف سمَّى اللهُ المسلِمةَ -تعني: مريمَ- ولم يُسَمِّ الكافرة؟ فقال: «بُغضًا لها» فقالتْ: فما اسمُها؟ قال: «اسمُ امرأةِ نوحٍ واعلةُ، واسمُ امرأةِ لوطٍ واهلةُ»، فحديثٌ أثرُ الصَّنعةِ عليه ظاهرٌ بيِّن، ولقد سمَّى اللهُ جماعةً من الكفَّارِ بأسمائهم وكُنَاهم، ولو كانتِ التسميةُ للحُبِّ وتركُها للبغضِ ....

وجُعِل فوقَه قَدر مِن اللحم، وقد قال عليه السلام:[1] «سيِّدُ الطعام اللحم»،[2] فكأنّه فضَّلها على النساء تفضيلَ اللحم على سائر الأطعمة، واستدلُّوا في ذلك بحديث عبد الله بن عمر: «فضلُ عائشة على النساء كفَضْل[3] اللحم على سائر الأُدْم».[4]

وهذه الأقاويل مستقيمةٌ غير أنّ أصحابها شُغِلوا بتسوية القول عن سرِّ ما أُودع فيه؛ وهو أنّ الثّريد مُركَّبٌ مِن الخُبزِ واللحم، ولا نظيرَ لهما في الأغذية، ثمّ إنّه جامع بين الغذاء، واللذّةِ، والقُوّةِ، وسهولةِ[5] التناول، وقِلّةِ المَئُونة في المَضغ،[6] وسرعةِ المُرور في المَريء مِن غير ما غُصّة، فضُرِبَ لها[7] المَثل به ليُعلم أنّها أُعطِيَتْ مع حُسن الخَلق حُسنَ الخُلق، وحُسنَ الحديث، وحلاوةَ المنطق، وفصاحةَ اللَّهجة، وجَودةَ القريحة،[8] ورزانةَ الرأي، ورصانةَ العقل، والتحبُّبَ إلى البعلِ، / فهي تَصلُح للتبعُّل والتحدُّثِ والاستئناسِ بها والإصغاءِ [٤١٤ظ]
إليها، وحَسبُك مِن تلك المعاني أنّها عَقلَتْ مِن النبيّ عليه السلام[9] ما لم يَعقِلْ غيرُها مِن النساء، ورَوتْ ما لم يَرْوِ مثلها مِن الرجال.

قوله: (ولم يُسمِّ[10] الكافرة) أي: امرأة نوح ولوط.

قوله: (وكُناهُم) نحو: أبي لهب.

---

١ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

٢ سنن ابن ماجه، ٤/٤٢٦ (٣٣٠٥)، بلفظ: «سيّد طعام أهل الدنيا وأهل الجنّة اللحم».

٣ ن: كفضّل.

٤ الميسّر للتوربشتي، ٤/١٣٤١.

٥ ف: وسهولِ.

٦ ن: اعضغ.

٧ ف: بها.

٨ ن: الفريحة.

٩ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

١٠ ن: يسّم.

لسمًّى آسيةَ وقد قَرَن بينها وبين مريمَ في التمثيل للمؤمنين، وأبَى الله إلا أنْ يَجعلَ للمصنوعِ أمَارةً تَنِمُّ عليه، وكلامُ رسولِ اللهِ أحكمُ وأسلمُ من ذلك.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرَأَ سورةَ التَّحريمِ آتاهُ اللهُ توبةً نَصُوحًا».

قوله: (لسمًّى آسية) "سمّى" مِن قولهم: سمَّيْتُ زيدًا، أي: ذكرتُه، لا مِن قولهم: سمَّيتُه زيدًا،[١] بمعنى: وضعت له[٢] هذا[٣] الاسم، فإنّه يتعدّى إلى مفعولين، ولا معنى له ههنا.

قوله: (للمصنوع) أي: للحديث المصنوع.

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنّه وكرمه.[٤]

---

[١] ن: أبدًا.
[٢] ن: لها.
[٣] ن: هذ.
[٤] ف – تعالى ومنّه وكرمه.

سورة المُلك

مكيةٌ، وهي ثلاثون آيةً.

وتسمَّى: الواقيَةَ والمنجيَةَ؛ لأنها تَقِي وتُنْجِي قارئَها من عذابِ القبر.

وعن ابن شهابٍ: أنه كان يسمِّيها المجادِلة؛ لأنها كانت تجادلُ عن قارئها في القبر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾

﴿تَبَٰرَكَ﴾: تَعَالَى وتعاظَمَ عن صفاتِ المخلوقِينَ ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ على كلِّ موجودٍ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ﴾ ما لم يُوجَدْ ممَّا يدخلُ تحتَ القدرةِ ﴿قَدِيرٌ﴾.

سورة المُلك

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾.

شمَل قوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ جميعَ الموجودات، وقوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ جميعَ المعدومات، فلا يخرجُ شيء من الموجودات والمعدومات[2] عن مُلكه وقدرته.

وقوله: (ممّا يَدخُلُ تحتَ القُدرَةِ) إشارةٌ إلى أنّ هذا العامَّ -وهو قوله تعالى: ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾- مخصوصٌ بالممكنات؛ لأنّ القدرة لا تكون إلّا على الممكن، ومُخَصِّصُه العقل. وأمّا ذِكر اليد فمَجازٌ،[3] وذلك أنْ شُبِّهَ[4] إحاطتُه تعالى بالمُلكِ

---

[1] ف – وبه نستعين.

[2] ن – فلا يخرج شيء من الموجودات والمعدومات.

[3] ن: وأما ذكره اليه غجاز.

[4] ن: يشبه.

وذكرُ اليد مجازٌ عن الإحاطةِ بالملك والاستيلاءِ عليه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾

و"الحياةُ": ما يَصحُّ بوجودِه الإحساسُ، وقيل: ما يُوجِبُ كونَ الشيءِ حِسِّيًا، وهو الذي يَصِحُّ منه أنْ يَعْلَمَ ويقدِرَ، والموتُ عَدَمُ ذلك فيه.

ومعنى خَلْقِ الموتِ والحياةِ: إيجادُ ذلك المصحِّحِ وإعدامُه، والمعنى: خَلَقَ موتَكم وحياتَكم أيها المكلَّفون ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ وسمَّى عِلْمَ الواقع منهم باختبارهم بَلْوَى -وهي الخبرةُ- استعارةً من فعلِ المختبِر.

واستيلاؤه عزَّ وعلا على المُلك بحيث[1] يؤتيه مَن يشاء وينزِعه عمَّن يشاء بكونِ[2] الشيء في يد شخص يتصرّف فيه كيف يشاء قبضًا وبسطًا، إعطاءً[3] وأخذًا. ثمّ قيل: "بيدِه المُلك" وأريد أحاط بالملك واستولى عليه بطريق الاستعارةِ التبعيَّة.

قوله: (عَدَمُ ذلكَ فيه) "ذلك" يعود إلى "ما يصِحُّ" وإلى "ما يوجِب". وقوله: "فيه" يعود إلى "الشيء".

قوله: (ومعنى خَلْقِ الموتِ)... إلخ، فيه لفٌّ ونَشرٌ.

قوله: (والمعنى: خَلَقَ مَوتَكم) يعني: أنّ اللام عوضٌ مِن المضاف إليه أو للعَهد، والمعنى على ما ذُكر.

قوله: (عِلْمَ الواقع) يريدُ أنّه تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعِها أنّها ستقع وستوجد لكنّه تعالى لا يعلمها قبل وقوعها أنّها واقعة؛ لأنّ ذلك لا يكون عِلمًا، فإذا وقعت تلك الأشياء يعلم أنّها واقعة. فالله تعالى خلَقَ المكلَّفين ليعلم ما يصدر منهم باختيارهم أنّها صدرت منهم،[4] فسمَّى هذا اختبارًا؛ لأنّه إذا خلقهم ليعلَمَ واقعًا ما يعلم أنّه يصدُر منهم باختيارهم؛ فكأنّه اختبرهم بخلقه وابتلاهم،

---

[1] ن: بحيثه.
[2] ن: لكون.
[3] ن: المظاهرا.
[4] ف + باختيارهم.

فإن قلتَ: من أين تعلَّقَ قوله: ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ بفِعل البَلوى؟

قلتُ: من حيثُ إنَّه تَضمَّنَ معنى العلمِ؛ فكأنه قيل: ليَعْلَمَكم أيُّكم أحسنُ عملًا، وإذا قلتَ: "علِمْتُهُ أزيدٌ أحسنُ عملًا أم هو" كانت هذه الجملةُ واقعةَ موقعَ التاء من مفعولَيْهِ؛ كما تقول: "عَلِمْتُه هو أحسنُ عملًا".

فإن قلتَ: أتسمِّي هذا تعليقًا؟

قلتُ: لا، إنَّما التعليقُ أنْ تُوقِعَ بعدَه ما يَسُدُّ مَسَدَّ المفعولَينِ جميعًا؛ كقولك: "علِمْتُ أيُّهما عمرٌو" و: "علمتُ أزيدٌ منطلقٌ"، ألا ترى أنَّه لا فصلَ بعد سَبْقِ أحدِ المفعولين بين أن يقعَ ما بعده مصدَّرًا بحرف الاستفهام وغيرَ مصدَّرٍ به،

فالمعنى: ليعلم أيُّكم أحسَنُ عَملًا، أي: ليَعلم[١] المعنَى واقعًا بعد ما علِمَ أنَّ هذا سيحصل وسيكون، وينبغي لك ويجب عليك أن تعلمَ هذا الموضع هكذا، فإنَّه مذهب أهل الإسلام. وخالفَ في هذا المعنى مِن عِلْمِ الله تعالى الفلاسفةُ الذين يعتقدون أنَّ الله تعالى شأنُه يعلم الجزئياتِ على وجهٍ كُلِّيٍ لا على وَجهٍ جُزئيٍ [٤١٥و] تعالى الله عن ذلك. وأمّا المسلمون فيعتقدون أنّه تعالى يعلم جميع / الجزئيّات على وجهٍ جُزئيٍ، أي: عند وجود هذه[٢] الجزئيّات يعلم أنّها وجدت، وعند عدمها يعلم أنّها قد عدمت، وقبل ذلك يعلم أنّها ستوجد وستعدم.

قوله: (فإنْ قلتَ: مِن أينَ تعلَّقَ؟) وجهُ السؤال: أنَّ فعل البلوى يكون مُتعلَّقُه مفردًا، فكيف تعلَّق هنا بالجملة؟ والأَولى أن نقول: وجهُ السؤال أنْ يقال: فِعل البلوَى متعدٍّ إلى مفعول واحد، وقد أخذ هنا مفعوله، وهو الضمير المنصوب المتَّصل، فكيف تعلَّق به قوله:[٣] ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾؟

قوله: (هو أحسَنُ عَملًا) "هو" مبتدأ، "أحسَنُ عملًا" خبره، والجملة مفعول ثانٍ لـ"علمته".

قوله: (مع عمله)[٤] أي: في المفعول الأوّل.

---

[١] ف ن + هذا.
[٢] ف – هذه.
[٣] ن: قولكم.
[٤] لم أجد هذه العبارة في مطبوع الكشّاف.

ولو كان تعليقًا لافترقتِ الحالتانِ كما افْتَرَقَتَا في قولك: "علمتُ أزيدٌ منطلقٌ"، و: "علمتُ زيدًا منطلقًا".

﴿أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ قيل: أخلَصُه وأصوبُه؛ لأنّه إذا كان خالصًا غيرَ صوابٍ لم يُقْبَلْ، وكذلك إذا كان صوابًا غيرَ خالصٍ، فالخالصُ: أن يكونَ لوجهِ الله، والصَّوابُ: أن يكون على السنَّة.

وعن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم: أنّه تلاها فلمّا بَلَغ قولَه: ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ قال: «أيُّكم أحسنُ عقلًا، وأَوْرَعُ عن مَحارِمِ الله، وأسرعُ في طاعةِ الله»، يعني: أيُّكم أتمُّ عقلًا عن الله وفهمًا لأغراضه.

والمراد: أنّه أعطاكم الحياةَ التي تَقْدِرونَ بها على العملِ وتستَمْكِنونَ منه، وسَلَّطَ عليكم الموتَ الذي هو داعِيكُم إلى اختيارِ العملِ الحسَنِ على القبيح؛ لأنَّ وراءَه البعثُ والجزاءُ الَّذي لا بدَّ منه.

قوله: (أخلَصُه وأصوَبُه) الخالص: أن لا يكون بالرياء، والصواب: أن يكون مشتملًا على شرائط الصحة.

قوله: (على السُّنَّة) أي: طريقة الشرع.

قوله: (أحسَنُ عقلًا) قوله عليه الصلاة والسلام: «أحسَنُ عقلًا» إشارة إلى الأصول[1] مِن الاعتقاديّات في صفة[2] الله تعالى وغير ذلك، «وأورَع إلى ترك المعاصي، وأسرَع إلى الإتيانِ بالطاعات».[3]

قوله: (عقلًا عن الله)[4] يقال: عقَلَ عنه إذا أدرك ما قالَه، أو أدرك بعض صفاته وأحواله.

قوله: (تستَمكِنون منه) أي: تستَمكِنون منه بها، فحذف الضمير العائد إلى الموصول مِن الصلة المعطوفة على الصلة.

---

[1] ن: الوصول.

[2] ف: صفات.

[3] هو في مسند الحارث، ٢/٨٠٩ (٨٣١)، بلفظ: «أيُّكم أحسنُ عقلًا، وأورَعُ عن مَحارم الله عزّ وجلّ، وأسرعُهم في طاعةِ الله عزّ وجلّ».

[4] ف + تعالى.

وقدِّم الموتُ على الحياة لأنَّ أَقْوَى النَّاسِ داعيًا إلى العَملِ مَن نَصَبَ مَوْتَه بين عينيهِ، فقُدِّم لأنَّه فيما يَرْجِع إلى الغَرض المَسُوقِ لهُ الآيةُ أَهَمُّ.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالبُ الَّذي لا يُعْجِزُه مَن أساءَ العَمَل ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ لمن تابَ من أَهْلِ الإسَاءةِ.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾

﴿طِبَاقٗا﴾: مُطابَقَةً بعضُهَا فَوقَ بعضٍ، مِن طابَقَ النَّعْلَ: إذا خصَفَهَا طَبَقًا على طبَقٍ، وهذا وَصْفٌ بالمصْدَر، أو على: ذاتِ طباقٍ، أو على: طُوبِقَتْ طِبَاقًا.

﴿مِن تَفَٰوُتٖ﴾ وقُرِئ: ﴿مِن تَفَوُّتٖ﴾، ومعنى البِنَاءينِ واحِدٌ؛ كقولهم: تَظاهَرُوا من نسائِهِم، وتَظَهَّرُوا، وتعَاهَدْتُهُ وتعهَّدتُه؛ أي: من اختلافٍ واضطِرابٍ في الخِلقةِ

قوله: (داعيًا) تمييز مِن الإضافة في "أقوى الناس"، فإنّ داعي مَن نصب موتَه بين عينيه أقوى مِن داعي غيره، وإذا كان داعي ناصِبِ الموتِ بين عينيه أقوى قُدِّم ذكرُ الموت؛ لأنّ ذِكر الموت أهمُّ في المعنى المقصود مِن الآية، وهو البعث على العمل.

قوله: (مُطابَقَةً) ظاهر كلامه مُشعرٌ بأنّه يشير به إلى أنّ "طِباقًا" صفة لـ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾، وهو مُشكلٌ؛ لأنّه لو كان صفة لَكان مجرورًا صفة للمضاف إليه كما في قوله تعالى: ﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾ [يوسف ٤٣/١٢]؛ لأنّ الصفة في الأعداد يكون للمضاف إليه. ولو قيل: هو حال لكان وجهًا؛ لأنّ "سبع سموات" معرفة لشمولها لجميع السماوات، فإنّ السماوات سبع. وهذا قريب مِمّا[1] ذُكر في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق ٢١/٥٠] مِن أنّ محلَّ ﴿مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾ النصب على الحال مِن ﴿كُلُّ﴾ لتعرُّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة؛ وذلك لأنّ النفس بإضافة "كلّ" إليها صارت شاملةً لجميع النفوس، فتعيَّن مدلولها فصارت معرفة.

---

١ ف: ما.

ولا تناقُضٍ، إنَّما هي مُسْتَوِيةٌ مُسْتقيمةٌ، وحقيقةُ التَّفَاوُتِ: عَدَمُ التناسُبِ؛ كأنَّ بعضَ الشَّيءِ يَفُوتُ بَعْضًا ولا يُلائِمُه، ومنه قولُهم: خَلْقٌ مُتفَاوِتٌ، وفي نقيضِه: مُتَنَاصِفٌ.

فإن قلتَ: كيف موقعُ هذه الجُمْلةِ مما قَبْلَها؟

قلتُ: هي صفةٌ مشَايِعَةٌ لِقَوله: ﴿طِبَاقًا﴾، وأَصْلُها: مَا ترَى فيهنَّ من تفاوُتٍ، فوُضِعَ مكانَ الضَّميرِ قَوْلُهُ: ﴿خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ تعظيمًا لخلْقِهنَّ وتنبيهًا على سَبَبِ سَلامَتِهنَّ من التَّفاوُت: وهو أنه خَلْقُ الرحمن، وأنَّه ببَاهِرِ قُدرته هُو الذي يَخلُقُ مثلَ ذلك الخَلْقِ المُتَناسِبِ.

والخطابُ في ﴿مَا تَرَىٰ﴾ للرَّسُول أو لكلِّ مُخاطَبٍ، وقَولُه: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ مُتعَلِّقٌ به على مَعنى التَّسبيبِ، أَخْبَرهُ بأنَّه لا تَفاوُت في خَلْقِهِنَّ ثمَّ قال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ حَتَّى يَصِحَّ عندكَ ما أُخبِرتَ به بالمعايَنةِ ولا تَبْقَى مَعك شُبْهَةٌ فيه.

﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾: من صُدوعٍ وشُقُوقٍ: جَمْعُ فَطْرٍ وهُو الشَّقُّ، يقال: فَطَرَهُ فانفَطَر، ومنه: "فَطَر نَابُ البَعيرِ" كما يقال: شَقَّ وبَزَلَ، ومعناه: شَقَّ اللَّحْمَ فطَلَعَ.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾

وأَمرَهُ بتكريرِ البَصَرِ فيهِنَّ مُتصفِّحًا ومُتَتَبِّعًا يلتَمِسُ عَيْبًا وخَلَلًا ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ﴾؛ أي: إن رَجَعْتَ البَصَر وكَرَّرْتَ النَّظرَ لم يَرْجِعْ إليك بَصَرُك بمَا التَمسْتَه

قوله: (قلت: هيَ صِفةٌ مُشايِعَةٌ) أي: تابعة ولاحقة، فكما أنَّ "طِباقًا" صفة فكذا هذه الجملة، فلذا قال: وأصلها: ما ترى فيهنَّ، ليتحقَّق الضمير العائد إلى الموصوف، ثمّ أشار إلى أنّه وَضَع الظاهرَ موضع المضمَر للتعظيم.

قوله: (متعلِّق به) أي: بقوله: ﴿مَا تَرَىٰ﴾.

قوله: (أَخبَرَه) بيان التعلّق، أي: أخبر الرسولَ عليه الصلاة والسلام أو كلَّ مخاطَب، والضميرُ في قوله: (بأنّه) ضمير الشأن.

[٤١٥ظ] قوله: (فَطَرَ نَابُ البَعيرِ) فهو بعيرٌ فاطر، والنَّابُ: / السِّنُّ، و"البَزْلُ": الشَّقُّ، وشَجَّةٌ بازِلَةٌ: سالَ دمُها، وتَبَزَّلَ: تَشقَّقَ، وبَزَلَ البَعيرُ يَبزُلُ بُزُولًا: فَطَرَ نابُه، فهو بازِلٌ ذكرًا كان أو أنثى، وذلك في السَّنة التاسعة، وربّما بَزَلَ في السَّنة الثامنة.

من رُؤية الخلَل وإدراك العَيْبِ، بل يَرْجعُ إليكَ بالخُسوء والحُسُورِ؛ أي: بالبُعدِ عن إصابة المُلتَمَس، كأنَّه يُطْرَدُ عَن ذلك طَرْدًا بالصَّغَار والقَمَاءَةِ وبالإعيَاءِ والكَلالِ لِطُول الإجَالةِ والتَّرْديد.

فإن قلتَ: كيف يَنْقلِبُ البَصرُ خاسِئًا حَسِيرًا بِرَجْعِهِ كرَّتَيْنِ اثنتَيْنِ؟

قلتُ: مَعْنى التَّثنيَةِ: التكريرُ بكَثْرةٍ؛ كقولهم: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، يُريد: إجَاباتٍ كثيرةً بَعْضُها في إِثْرِ بَعْضٍ، وقَولُهم في المَثَلِ: "دُهْدُرَّيْنِ سَعْدُ القَيْنُ" من ذلك؛ أي: باطِلًا بَعْدَ باطِلٍ.

فإن قلتَ: فما مَعْنى ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ﴾؟

قلتُ: أَمَره بِرَجْعِ البَصَر ثم أَمَرهُ بأَنْ لا يَقتَنِعَ بالرَّجْعةِ الأُولى وبالنَّظْرَة الحَمْقاء، وأَنْ يتوقَّفَ بَعْدَها ويُجِمَّ بَصَرهُ ثمَّ يُعَاوِدَ ويُعاوِدَ إلى أَن يَحْسِرَ بَصَرُه من طولِ المُعَاوَدة فإنَّهُ لا يَعْثُر على شَيءٍ من فُطُورٍ.

قوله: (دُهْدُرَّيْنِ سَعْدُ القَين) الدُّهدُرُّ: الباطل، معناه: أجبتَ يا سعدَ القَينِ بباطل بعد باطل، وكلُّ عامل بالحديد قَينٌ. والقَينُ يوصف بالكذب، يقال: أكذَبُ مِن قَينٍ. وأصلُه: أنّ سعدًا القَينَ[1] كان رجلًا مِن العجم يدور في مَخاليف[2] اليمن[3] يعمل لهم، فإذا كسَدَ عمله قال بالفارسية: "ده بدرود"، كأنّه يودِّع القَرية، ويقول: القريةُ مودَّعٌ، يريد: أنا خارج غدًا، وإنّما يقول ذلك ليُستعمَل، فعرَّبتْه العرب وضربوا به المثلَ في الكذب، وقالوا: "إذا سَمِعتَ سُرَى القَيْنِ فإنّه مُصَبِّحٌ".[4]

قوله: (ويَجِمَّ بصرُه) يقال: جَمَّ الفرسُ جَمًّا وجَمامًا إذا ذهب إعياؤه. ويقال: أَجِمِ نفسَك يومًا أو يومين، وأُجِمَّ الفرسُ إذا تُركَ أن يُركَب على ما لم يسمَّ فاعله، وجُمَّ.

قوله: (لا يَعثُر) أي: لا يَطَّلع.

---

[1] ن: سعد القين.

[2] مخاليف: جمع مِخلاف، وهو الكُورة، وهِي كالمديرية أو المُحافظة في الاصطلاح الحديث. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، «خلف»؛ والمعجم الوسيط مجمع اللغة العربيّة في القاهرة، «خلف».

[3] ن: الثمن.

[4] انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١/٢٦٦.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾

﴿ٱلدُّنْيَا﴾: القُربَى؛ لأنها أقربُ السماوات إلى النَّاس، ومَعْناهَا: السَّماءُ الدُّنيا مِنكم.

و"المصَابيحُ": السُّرُجُ، سُمِّيَتْ بها الكواكبُ لأن النَّاسَ يُزَيِّنُونَ مسَاجدَهم ودُورَهم بأثقاب المَصابيحِ فقيل: ولَقَد زينَّا سُقُفَ الدَّار التي اجتمعْتُم فيهَا ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾؛ أي: بأيِّ مَصَابيحَ لا تُوَازِيها مصابيحُكم إضاءةً، وضَمَمْنا إلى ذلك مَنَافِعَ أُخَرَ: أنَّا جَعلناها رجومًا لأعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النُّور إلى الظُّلُماتِ وتَهتَدُون بها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْر.

قال قتادةُ: خلَقَ اللهُ النُّجومَ لِثلاثٍ: زِينةً للسَّماء، ورُجُومًا للشَّياطِين، وعَلامَاتٍ يُهتَدَى بها، فمَن تَأَوَّلَ فيها غَيرَ ذلك فقد تكَلَّفَ ما لا عِلْمَ له به.

قوله: (لأنها أقربُ) أي: وصفت بالدنيا -أي: القربى- لأنّها، فاللَّام متعلِّق بمحذوف.

قوله: (الدنيا مِنكم) يريد: أنّه حذف منها صلة الدُّنُوِّ، يقال: دنا منه، وأمّا مِن التي يستعمل بها اسم التفضيل فلا تأتي ههنا؛ لأنّها استعملت باللام.

قوله: (والناسُ)... إلخ جملة معترضة.

قوله: (أي: بأيِّ مصابيح) يعني: أنّ التنكير فيها للتعظيم.

قوله: (لا تُوازيها) جملة مستأنفة لبيان التعظيم المستفاد مِن قوله: (بأيِّ مصابيح).

قوله: (الذين يخرجونكم مِن النُّورِ إلى الظلمات) فيه إشارة إلى أنّ الله تعالى يُجازي كلَّ عامل بما يناسب عمله.

قوله: (قال قتادة)... إلخ، قول قتادة: "فيها" أي: في النجوم، وقوله: "غير ذلك" أي: غير الثلاث المذكورة، وأراد بغير الثلاث علم النجوم، ويريد أنّ مَن اشتغل به لا يحصل منه على طائل ولا يدرك منه ما يفيده، فلذلك قال:

وعن مُحمَّدِ بن كَعْبٍ: واللهِ ما لأَحَدٍ من أهلِ الأرضِ في السَّماء نجمٌ، ولكنَّهم يَبْتَغُونَ الكَهَانةَ ويتَّخِذُونَ النُّجومَ عِلَّةً.

و"الرُّجُوم": جَمْعُ رَجْمٍ، وهو مَصْدَرٌ سُمِّيَ به ما يُرْجَمُ به.

ومَعْنى كَوْنِهَا مَرَاجِمَ لِلشيَاطين: أَنَّ الشُّهُبَ التي تنقَضُّ لرَمْيِ المُستَرِقَةِ مِنهم منفَصِلَةٌ من نارِ الكَواكبِ، لا أَنَّهُم يُرْجَمُونَ بالكَواكبِ أنفُسِهَا؛ لأَنَّها قَارَّةٌ في الفَلَكِ على حالِها، وما ذاك إلَّا كقبَسٍ يُؤخَذُ من نارٍ والنَّارُ ثابتةٌ كاملةٌ لا تَنْقُصُ.

وقيل: من الشياطينِ المَرْجُومَةِ مَن يَقْتُلُه الشِّهَابُ، ومِنهم مَن يُخبِّلُهُ.

وقيل: مَعْناه: وجَعَلناهَا ظُنُونًا ورُجُومًا بالغَيْب لشيَاطِين الإِنْس وهُم النَّجَّامُونَ.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآخِرة بَعْد الإِحْراقِ بالشُّهُب في الدُّنيا.

«فقد تكلَّف ما لا عِلم له[1] به»، ويريد[2] أنَّ استدلالًا به[3] تخمينيٌّ لا تَحقيقيٌّ، ولم يُرِدْ أنْ لا فائدة في النجوم ولا حكمة في خَلقِها سوى ما ذكر قتادة ههنا.

قوله: (مَراجِم) المَراجِم: جمع مِرجَم بكسر الميم وفتح الجيم، ولمّا ذكر المصنِّف أنّ المراد بالرُّجُومِ جمع رَجْم، وهو ما يُرجَمُ به، ذكر أنّ كونَها مَراجِم بأيِّ معنًى هو.

قوله: (تَنقَضُّ) يقال: انقضَّ الحائطُ، أي: سقط، وانقضَّ الطائر: هوَى في طيرانه، ومنه انقضاضُ الكواكب.

وقوله: (منهم) "مِن" في "منهم" للتبعيض؛ لأنّ المستَرِقَة بعضُ الشياطين. وقوله: "منهم" حالٌ مِن المسترِقَة. وقوله: (منفصلةٌ) خبر "أنّ".

قوله: (وما ذاكَ) أي: الشُّهب.

قوله: (الشِّهاب) الشِّهاب: شعلة نار ساطعة، والجمع شُهُبٌ وشُهبان، مثل حِساب وحُسبان.

---

[1] ف – له.
[2] ف ن: يريد.
[3] ن: استدلالاته.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: ولِكُلِّ مَن كفَرَ باللهِ مِن الشَّياطينِ وغَيْرِهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ليس الشَّياطِينُ المَرْجُومُون مخصُوصِينَ بذلك.

وقُرِئ: "عَذابَ جهنَّمَ" بالنَّصبِ عَطْفًا على ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾

﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾؛ أي: طُرِحُوا كمَا يُطرَحُ الحَطَبُ في النَّار العَظيمَةِ ويُرْمَى بهِ، ومِثْلُه قولُه: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٨].

﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ إمَّا لأهْلِها مِمَّن تقَدَّم طَرْحُهم فيها ومِن أنفُسِهم كقَوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود ١١/١٠٦]، وإمَّا للنَّار تَشبيهًا لحَسِيسِهَا المُنكَرِ الفَظِيعِ بالشَّهيقِ.

﴿تَفُورُ﴾: تَغْلِي بهِم غَليانَ المِرجَل بما فيه، وجُعلَتْ كالمُغتَاظةِ عليهم لشدة غلَيَانِها بهم، ويقولُونَ: فلانٌ يتميَّزُ غيْظًا، ويتَقصَّفُ غضَبًا، وغَضِبَ فَطَارَتْ منه شِقَّةٌ

[٤١٦و] قوله تعالى: / ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ أي: للشياطين.

قوله: (ليسَ الشياطين)... إلخ، أشارَ بقوله: (ليسَ الشياطين)... إلخ إلى أنّ قوله: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾... إلخ ذكره على سبيل الاستطراد.

قوله: (أو مِن أنفسِهم) أي: يسمع بعضُهم شهيقَ بعض. شهيق الحمار: آخر صوته، وزفيره: أوّله.

قوله: (لحسيسِها) الحِسُّ والحَسِيسُ: الصوت الخفيُّ، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء ٢١/١٠٢].

قوله: (شِقَّة) الشِقَّة: شَظيَّة تَشَظَّى[١] مِن لَوح أو خشبة، والشَّظيَّة: الفَلْقَة مِن العصا ونحوه.

---

[١] ن: شظيه الشظى.

في الأَرْض وشِقَّةٌ في السَّماءِ: إذا وَصَفُوه بالإفراطِ فِيه، ويجوز أن يُرادَ: غَيْظُ الزَّبانِيَة.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ توبيخٌ يَزْدَادُونَه عَذابًا إلى عَذابِهِمْ وحَسْرةً إلى حَسْرَتِهِمْ. و"خزَنَتُها": مالِكٌ وأَعْوانُه من الزَّبانِيَة.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ اعترافٌ مِنْهُم بِعَدْلِ اللهِ، وإقْرارٌ بأنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أزَاحَ عِلَلَهُم ببِعْثَةِ الرُّسلِ وإِنْذارهِم ما وَقَعُوا فيه، وأَنَّهم لم يُؤتَوْا مِن قَدَرِه كمَا تَزْعُم المُجْبِرةُ وإنَّما أُتُوا مِن قِبَل أنفُسِهم واختيارِهِمْ خِلافَ ما اختارَ اللهُ فأمَرَ بهِ وأَوعَد على ضِدِّه.

فإن قلتَ: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ مَن المُخاطَبُونَ به؟

قلتُ: هو من جملةِ قولِ الكفارِ وخِطابِهم للمُنْذِرينَ على أنَّ النَّذِير بمَعْنى الإِنْذارِ،

قوله: (بالإفراطِ فيه) أي: في الغيظ.

قوله: (وأعوانُه مِن الزَّبانيَة) العَون: الظَّهير على الأمر، والجمع: أعوان، والزَّبْن: الدَّفع، والزَّبانيَة عند العرب: الشُّرَطُ، سُمِّي بذلك بعض الملائكة لدفع أهل النار إليها، قال الأخفش: «قال بعضهم: واحدُهم زابِنٌ، وقال بعضهم: زِبْنِيَّةٌ، مثل عِفْرِيَّة»، قال: «والعرب لا تكاد تعرف هذا، وتجعله مِن الجمع الذي لا واحدَ له، نحو: أبابيل».[1]

قوله: (كما تزعُم المُجْبِرَة) هذا الذي ذكره المصنّف ترويجٌ لمَذهبه الباطل، لا يدلُّ عليه القرآن، ولم يأتِ به بيان، وكلُّ شيء بقَدَر.

قوله: (وأَوعَد) عطف على قوله: (أمَر) أي: خلاف ما أوعَد على ضدِّه، فما أوعَد على ضدِّه وهو الإيمان؛ لأنّه أوعد على الكفر، وهو ضدُّ الإيمان، وخلافُ ما أوعَد على ضدِّه هو الكفر، فجعل المصنِّف الكفر تارةً ضدَّ الإيمان وتارةً خلافَه.

قوله: (على أنّ النذيرَ بمعنَى الإنذار) فإذا كان النذير بمعنى الإنذار ويقدر مضاف -أي: أهل نذير- يصحُّ[2] خطابهم بلفظ الجمع.

---

[1] معاني القرآن للأخفش، ص ٣١١.

[2] ن - بمعنَى الإنذار فإذا كان النذير بمعنى الإنذار ويقدّر مضاف -أي أهل نذير- يصحُّ.

والمَعْنى: ألم يأتِكُم أَهْلُ نَذيرٍ، أو وُصِفَ مُنذِرُوهُم لغُلوِّهم في الإنذار كأنَّهم لَيْسُوا إلَّا إِنْذارًا، وكَذلك: ﴿قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ ونَظيرُه قولُه: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء ١٦/٢٦]؛ أي: حَامِلًا رِسَالتِه.

ويجوز أن يكون من كلام الخَزَنة للكفار على إرادة القَوْل، أرَادُوا حِكايةَ ما كانوا عَليْه من ضَلالِهم في الدنيا، أو أرادوا بالضلال الهلاك، أو سَمَّوا عِقَابَ الضَّلال باسْمِهِ.

أو مِن كلام الرسلِ لهم حَكَوه للخَزَنة؛ أي: قالوا لنا هذا فلم نَقْبَلْهُ.

قوله: (أو وُصِفوا) وهذا أيضًا بيان أنّ النذير بمعنى الجمع؛ ليصحَّ خطابهم بلفظ الجمع. وفي كلامه حذف، أي: وصف منذروهم بالإنذار؛[١] لغلوّهم في الإنذار.[٢]

قوله: (ونَظيرُه قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء ١٦/٢٦]) أرسلت فلانًا في رسالة فهو مرسَلٌ ورسول، والرسول أيضًا الرسالة، قال:

أَلَا أَبلِغْ أبَا عَمْرٍو رَسُولًا ... بأنِّي عَن فُتَاحَتِكُم غَنِيّ[٣]

ومنه قَول كُثَيِّر:

لقَد كذَبَ الوَاشُون ما بُحتُ عِندَهم ... بِسِرٍّ ولا أرسَلتُهُم بِرَسُولِ[٤]

أي: برسالة، والفُتاحة بالضمّ: الحُكم.

فقوله: ﴿رَسُولُ﴾ هنا يحتمل أمرين: أن يكون المعنى: أهل رسول؛ أي: أهل رسالة، أو حامل رسالة كما ذكر المصنِّف، أو وصفوا بالرسالة.

قوله: (لهم) أي: للكفّار.

قوله: (حكَوه) أي: الكفّار، وقوله: (هذا) أي: ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾.

---

[١] ن: بالإنذال.

[٢] ن: في الإنذاله.

[٣] لسان العرب لابن منظور، «رسل»، ونسبه إلى الأسعر الجعفي.

[٤] ديوان كُثَيِّر، ص ١١٠، بلفظ:
لقَد كذَبَ الوَاشُون ما بُحتُ عندَهم ... بلَيلَى ولا أرسَلتُهم بِرَسِيل
قال القالي: «ويروى: برسول، والرسول والرسيل: الرسالة هاهنا». الأمالي للقالي، ٦٣/٢.

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾

﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ﴾ الإنذارَ سماعَ طالبِينَ للحقِّ، أو نعقلُه عقلَ متأمِّلِين.

وقيل: إنما جمَعَ بين السَّمْعِ والعَقْلِ لأنَّ مدَارَ التَّكْليفِ على أدلَّةِ السَّمْعِ والعَقْلِ.

ومن بِدَعِ التفاسير: أنَّ المُراد: لو كُنَّا على مذْهبِ أصْحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرَّأيِ، كأنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ بَعد ظُهورِ هذَيْنِ المذهبَيْن، وكأنَّ سَائرَ أصحابِ المذاهب والمُجتَهِدِين قد أَنزلَ اللهُ وَعيدَهُم، وكأنَّ مَن كان مِن هؤلاء فهو من النَّاجِينَ لا مَحالةَ، وعِدَّةُ المُبَشَّرِين من الصَّحابة عَشَرةٌ لم يُضَمَّ إلَيْهم حادِي عشَرَ، وكأنَّ مَن يَجُوز على الصِّراط أكثرُهم لم يَسْمعُوا باسْمِ هذين الفَريقَيْنِ.

﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾

﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾: بكُفرِهِمْ في تكْذِيبهم الرُّسُلَ.

﴿فَسُحۡقٗا﴾ قرئَ بالتخفيف والتثقيلِ؛ ....

قوله: (والمجتَهدين) أي: غير أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، يعني: يلزم من هذا التفسير أن تكون هذه الآية وعيدًا لجميع أصحاب المذاهب والمجتهدين غير أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، وهو باطل قطعًا. هذا تقرير كلام المصنِّف، وهو ضعيف؛ لأنّ مَن ترك الحديث والرأي -أي: الاجتهاد- يكون مِن أهل الوعيد لا محالة.

قوله: (وعِدَّةُ المبَشَّرينَ)... إلخ؛ ذكر المصنِّف قوله: (وعِدَّة)... إلخ لبيان بطلان أنّ كلَّ مَن / يكون مِن هؤلاء فهو مِن الناجين لا محالة. وقوله: (وكأنّ مَن يَجُوز)... إلخ عطفٌ على قوله: (عدَّة)، وهو متعلِّق بقوله: (وكأنّ سائر)... إلخ؛ لبيان بطلانه، فتأمَّل. [٤١٦ظ]

قوله: (بالتخفيف)... إلخ، يريد بالتخفيف سكونَ الحاء، وبالتثقيل ضمَّها.[١]

---

[١] وهما قراءتان صحيحتان، أما قراءة الإسكان فهي قراءة الجمهور، وأما قراءة الضمّ فهي رواية ابن جَمَّاز عن أبي جعفر المدني، وأحد وجهين في رواية عيسى بن وَرْدان عن أبي جعفر، وكذا أحد وجهين عن الكسائي. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢١٧.

أي: فبُعْدًا لَهُم اعترَفُوا أو جَحَدُوا، فإنَّ ذلك لا يَنفعُهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾

ظاهِرُه الأَمْرُ بأَحَد الأمرَين: الإسرارِ والإجهارِ، ومعناه: لِيَستَوِ عِندَكُم إِسْرَارُكُم وإِجْهارُكم في علم الله بهما، ثمَّ عَلَّلَهُ بـ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: بضَمائرها قبلَ أن تُترجِمَ الألسِنةُ عنها، فكَيْف لا يَعْلَمُ ما تُكَلِّم بِهِ؟

ثُم أنكرَ أن لا يُحِيط عِلْمًا بالمُضمَر والمُسَرِّ وَالمُجْهَرِ.

﴿مَنۡ خَلَقَ﴾ الأَشياءَ وحَالُه أنَّه اللَّطيفُ الخبيرُ المُتوصِّلُ عِلمُهُ إلى ما ظَهَر من خلْقِه وما بَطَن.

ويجوز أن يكون ﴿مَنۡ خَلَقَ﴾ منصُوبًا بمَعنى: ألَا يعلَم مخلُوقَهُ وهذِه حَالُه.

قوله: (اعتَرفُوا)... إلخ، يريد أنّ المعنى أنّهم هالكون، سواء اعترفوا أو جحَدوا، فإنّ ذلك -أي: الاعتراف والجحود- لا ينفعُهم.

قوله: (وإجْهارُكم) يقال: أجْهَرَ كلامَه، وإجهار الكلام: إعلانُه، وجهَرَ بالقول: رفع به صوته، وهو رجل جَهْوَرِيُّ الصوت، وجَهير الصوت، تقول منه: جَهُرَ الرجل، بالضم.

قوله: (في عِلْمِ الله) متعلّق بقوله: (لِيَسْتَوِ)، فالإسرار والإجهار مستويان في أنّ الله تعالى يعلمهما، فعِلم الله تعالى مُستَوًى فيه، أعني: عَدَّى الاستواءَ بِـ"في"، وهذا كما تقول: مشترَك فيه. وقوله: (عندكم) أي: في مذهبكم واعتقادكم، كما تقول: هذا عند أبي حنيفة كذا، وعند الشافعيّ كذا، يريد في رأيه ومذهبه. والمعنى: يجب أن تعتقدوا أنّ الله تعالى يعلم السرَّ كما يعلم الجهر، لكن ورد في صيغة الأمر، كأنّه قيل: يُطلب منكم أن تسرُّوا القول ثمّ تنظروا فتعلموا أنّه يعلمه، ثمّ تجهروا فتنظروا فتعلموا أنّه يعلمه.

قوله: (ويجوز أن يكون)... إلخ، وعلى الوجه الأوّل كان ﴿مَنۡ خَلَقَ﴾ فاعلًا.

ورُوِي أنَّ المُشرِكينَ كانُوا يَتكَلَّمونَ فيما بينَهم بأشيَاء فيُظهِرُ اللهُ رَسُوله عليها، فَيقُولُون: أَسِرُّوا قَولكُم لئلَّا يَسْمعَه إلهُ محمَّدٍ! فنبَّه اللهُ على جَهْلهم.

فإن قلتَ: قَدَّرْتَ في ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ مَفعُولًا على مَعْنى: أَلَا يَعلم ذلك المَذكُورَ ممَّا أُضمِرَ في القَلْبِ وأُظْهِر باللِّسانِ مَن خَلقَ، فهَلَّا جَعَلْتَهُ مثلَ قَوْلهم: "هُو يُعْطِي ويَمْنعُ" وهَلَّا كان المَعْنى: أَلَا يكُون عالِمًا مَن هُو خالِقٌ؛ لأنَّ الخَلْق لا يَصحُّ إلَّا مَع العلم؟

قلتُ: أبَتْ ذلك الحالُ التي هي قولُه: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ لأنك لو قلتَ: "أَلَا يكونُ عالِمًا مَن هو خالقٌ وهوَ اللَّطِيفُ الخَبيرُ" لم يكُنْ مَعْنًى صحيحًا؛ لأنَّ ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ مُعتَمِدٌ على الحال، والشَّيءُ لا يُوقَّت بنفْسِهِ، فلا يُقالُ: "أَلَا يَعْلمُ وهُو عالِمٌ"، ولكِنْ: "أَلا يَعْلمُ كذا وهو عالِمٌ بِكُلِّ شَيءٍ".

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

"المشيُ في مَناكِبِهَا": ....

قوله: (فإن قلتَ: قَدَّرْتَ)... إلخ هذا على الوجه الأوّل حيث قال: (أنكر ألَّا يُحيطَ عِلمًا بالمُضمِر والمُسِرِّ والمُجهِر)، وأمّا على الوجه الآخر فلا يتوجّه؛ لأنّ ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ مفعوله.

قوله: (ممّا أضمر) بيانُ "ذلك".

قوله: (الحال) يريد الحالَ النحويَّ.

قوله: (لا يوقَّت بنفسه) التوقيت بالأصل: تعيين الوقت والتقييد بالوقت، ثمّ يستعمل في مطلق التعيين والتقييد.

إذا عُرِفَ ذلك فنقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ لإنكار عدم العلم، فيلزم إثبات العلم، فلو لم يُقدَّر لـ﴿يَعْلَمُ﴾ مفعول. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ حال؛ لأنّ المعنى إلى قولك: "يعلم وهو عالم"، أي: يعلم في حال علمه، وهو ليس معنًى صحيحًا.

مَثَلٌ لِفَرْطِ التَّذليلِ ومُجَاوَزتهِ الغايَةَ؛ لأنَّ المَنْكِبَيْنِ ومُلتقَاهُما من الغَارب أَرَقُّ شَيءٍ من البَعِير وأَنْبَاه عن أن يَطَأَه الرَّاكِبُ بقَدَمِه ويَعْتَمِدَ عَليه، فإذا جعَلها في الذِّلِّ بحَيْثُ يُمشَى في مَناكِبِها لم يَتْرِكْ.

وقيل: مَنَاكِبُها: جِبَالُها؛ قال الزَّجاج: مَعناه: سَهَّلَ لكُم السُّلُوكَ فيهَا، فإذا أمكَنَكُم السُّلوكُ في جِبَالها فهُو أَبْلَغُ التَّذليلِ.

وقيل: جَوانِبُهَا، والمعنى: وإِلَيْه نشُورُكم فهو مُسَائِلُكُم عَن شُكْرِ ما أَنعَمَ به عليكم.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨﴾

﴿مَن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فيه وجهان:

أحَدُهما: مَن مَلَكوتُه في السماء؛ لأنَّها مَسْكنُ مَلائكتهِ وثَمَّ عَرْشُه وكرسيُّه واللَّوحُ المَحفوظُ، ومنها تَنزِلُ قضاياه وكتُبهُ وأوامرهُ ونواهيه.

قوله: (مَثَلٌ لِفَرطِ) شُبِه الأرضُ ببعير يُركَب، ثمّ أُثبِتَ لها مَنكِب، فهو استعارة تخييلية تابعة للاستعارة بالكناية، كما تقول: مَخَالِبُ المَنيَّةِ نَشِبَت. وقوله: (وقيلَ: مَناكِبُها جبالُها) فعلى هذا شبَّه جبال الأرض بالمناكب، ثمّ ذكر المناكب وأريد الجبال، فهو استعارة مُصرَّح بها تحقيقيّة. والضمير[١] مِن قوله: (جوانبُها) يعود إلى الجبال، أي: مناكبُها: جوانبُ جبالها. وقوله: (مِن الغارِب) بيانُ (مُلتقاهما). وقوله: (في الذِّلِّ) الذِّلُّ بالكسر: اللِّين، وهو ضدُّ الصعوبة. يقال: دابّةٌ[٢] ذلولٌ بيِّنة الذِّل مِن دوابَّ ذُلل. وقوله: (لم يترك) أي: لم يترك بقيّة مِن التذليل.

قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

---

[١] ن: هو الضمير.
[٢] ن + في.

والثاني: أنهم كانوا يَعْتقِدُونَ التشبيهَ، وأنَّه في السَّماء، وأنَّ الرَّحمةَ والعذابَ يَنْزلان منه، وكانوا يَدْعُونه مِن جهَتِهَا، فقيل لهُم على حَسَب اعتقادهم: ﴿أَمْ أَمِنتُم﴾ مَن تَزْعُمون أنه في السماء وهو مُتعَالٍ عن المكان أن يُعذِّبَكُم بخَسْفٍ أو بحَاصبٍ؛ كما تقولُ لبعضِ المشبِّهة: أمَا تخاف مَن فوقَ العَرْشِ أن يُعَاقِبَك بما تفعل؟ إذا رأيتَه يرَكْبُ بعضَ المعاصي.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ قُرئ: بالتاء والياء.

﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾؛ أي: إذا رَأيتُم المُنذَرَ به عَلِمتُم كيفَ إنذَارِي حين لا يَنفعُكُم العِلْمُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: باسِطاتٍ أجنحتَهُنَّ في الجوِّ عند طَيَرانِها؛ لأنَّهن إذا بَسَطْنَها صَففْنَ قوادِمَها صَفًّا ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: ويَضمُمْنَها إذا ضرَبْنَ بها جُنُوبَهُن.

فإن قلتَ: لِمَ قِيل: ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ولم يُقَلْ: وقابِضاتٍ؟

قلتُ: لأنَّ أَصل الطَّيَرَانِ هُوَ صَفُّ الأَجنِحةِ؛ لأنَّ الطَّيران في الهواء كالسِّباحَةِ في المَاء، والأصل في السِّباحة مَدُّ الأَطْرافِ وبَسْطُها، وأَمَّا القبْضُ فطَارِئٌ على البَسْط لِلاستظهار به على التحرُّك، فجيءَ بما هُوَ طارئٌ غيرُ أَصْلٍ

"الهَمزَة" و"أم" إذا كانتا بالمعنى الأصليّ يكون للسؤال عن أحد الشيئين مع استوائهما في علم المستَفهِم. وإذا كانتا للإنكار كما في هذا الموضع أفاد إنكار الأمرين، فأفاد ههنا إنكار الأمن مِن الخَسْفِ وإرسال / الحاصب، ثمّ قرّر [٤١٧و]
معنى إنكار الأمن بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ﴾ إلى قوله: ﴿نَكِيرِ﴾، أي: مع علمهم بأنّا جازينا المكذِّبين قبلهم كيف يأمَنون؟

قوله: (وهو مُتَعالٍ) جملة معترضة.

قوله: (حين) بدل مِن قوله: (إذا).

قوله: (لأنّهنّ) اللام متعلِّق بمحذوف، أي: أراد بـ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطات لأنّهنّ...

بلَفْظِ الفعل على معنى: أنّهنَّ صافاتٌ ويكونُ منهنَّ القبْضُ تارةً بعدَ تارَةٍ كما يكُونُ من السَّابح.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بقُدْرَتِه وبما دَبَّرَ لهُنَّ من القَوادِمِ والخَوافي، وبَنى الأجسَامَ على شكلٍ وخصائصَ قد تَأَتّى منها الجَرْيُ في الجَوِّ.

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ يَعلم كيْف يَخلُق وكيف يُدبِّر العَجائبَ.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝٢١﴾

﴿أَمَّنْ﴾ يُشارُ إلَيْه من الجُمُوع ....

قوله: (وبما دبَّرَ) عطف على (قُدرَتِه)، و"ما" مصدريّة، و"مِن" للتبعيض، وهو صفةُ موصوف محذوف، أي: بتدبيره لهنَّ شيئًا مِن القوادم. وقوله: (وبنى) عطف على "دبَّر"، أي: وبنيانه الأجسام. وقوله: (قد تَأَتّى)... إلخ صفة لقوله: (شَكْلٍ وخَصائص)، فإسناد تَأَتِّي الجَرْيِ إليها مجاز، أو نقول: معنى قوله: (مِنها) بسببها.

قوله: (أم مَن يُشارُ إليه مِن الجُموع)... إلخ؛ يريد أنّ "مَن" موصول مبتدأ صِلتُه ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ بتقدير القول، و﴿يَنصُرُكُم﴾ خبر "مَن"، و"أم" منقطعة بمعنى "بل"، والهمزة قبلُ للإضراب عن الاستفهام المتقدّم الذي للتقرير، والهمزة للشروع في هذا الاستفهام الذي للإنكار. وإنّما قال المصنِّف: (مِن الجموع) لأنّ قوله: ﴿جُندٌ﴾ دلّ على أنّ المراد الجمع، لكن اعتبِر اللفظُ[1] فقيل: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ﴾ ولا بدّ مِن تقدير مثل هذا الخبر فيما بعدُ،[2] أي: أم مَن هذا الذي يَرزقكم يَنصركم؟ أو أم مَن هذا الذي يَرزقكم يَرزقكم؟ فحذف الخبر الذي هو "ينصركم" أو "يرزقكم" لدلالة ما قبله عليه. والمراد بـ"ينصركم" المقدَّر هو النصر بالرزق، فلذا قدَّرناه، وإلّا فالمعنى على "يرزقكم" هنا.

---

[1] ف + أي: لفظ جند.

[2] ن – بعد.

ويُقالُ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إنْ أرسَل عليكم عَذابَه ﴿أَمَّنۡ﴾ يُشارُ إلَيْه ويقال: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ﴾. وهذا على التقدير.

قال في الكواشي:[١] «﴿أَمَّنۡ﴾ مبتدأ خبره ﴿هَٰذَا﴾، و﴿ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمۡ﴾ بدل مِن ﴿هَٰذَا﴾، ومحلُّ ﴿يَنصُرُكُمۡ مِنۡ دُونِ الرحۡمَٰنِ﴾ رفعٌ نعت ﴿جُندٌ﴾، تلخيصه: مَنِ المشار إليه بالنصر غيره تعالى؟».

وهذا الذي ذكره صاحب الكواشي يدلُّ على أنّه جعل "مَن" استفهاميّة، وهو يُشكل بدخول "أم" المنقطعة عليه، فإنّها بمعنى "بل والهمزة"، وهمزة الاستفهام لا تدخل على "مَن" الاستفهاميّة. فإن قلت: لمَ لا يجوز ذلك كما جاز دخولها على "هل" في قول الحماسيّ:

سَائِلْ[٢] أُسَيِّدَ هَلْ ثَأَرَتَ[٣] بوَائِلٍ أم هَلْ شَفَيتَ النَّفْسَ مِن بَلْبالِها[٤]

قلت: ليس ذلك كذلك، وذلك لأنّ "هل" في الأصل بمعنى "قد"، فأجيز إدخال حرف الاستفهام عليه باعتبار الأصل كقوله:

سَائِلْ فَوارِسَ يَربُوعٍ بشِدَّتِنا أَهَلْ رَأونا بسَفْحِ القاعِ ذي الأَكَمِ[٥]

ثمّ إنّ قوله: "تلخيصه" لا يخلص عن خلل لقوله تعالى: ﴿هُوَ جُندٌ لَّكُمۡ﴾، وإن قلت: لمَ لا يجوز أن يكون "بل"[٦] فيه لمجرّد الإضراب؟ قلت: ذلك قليل في الاستعمال غيرُ فصيح، فإنّ المراد بالفصاحة هنا الفصاحة اللفظيّة، وهي أن يكون اللفظ في استعمالهم كثيرَ الدور واسعَ الجَري، وكلام الله تعالى جديرٌ بأن يُصانَ عن مثل ذلك.

قوله: (على التقدِير) يريد بالتقدير هذا الشرط، وهو[٧] قوله: ﴿إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ﴾،

---

١ تفسير الكواشي، ٥٥٠ظ.
٢ ن + قبيلة.
٣ ن + قبيلة.
٤ ديوان الحماسة، ص ٩٦، من شعر باعث بن صُرَيم. | قال التبريزي: «سَائل أسيد، أي: اسأل هذه القبيلة هل ثأرت بوائل، أي: أخذت الثار منهُم، والبلبال: الاهتمام بطلَب الثأر». شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ٢٠٧/١.
٥ ديوان زيد الخيل الصحابي، ص ١٥٥.
٦ ف – بل.
٧ ن – قوله: (على التقدِير) يريد بالتقدير هذا الشرط، وهو.

ويجوز أن يكون إشارةً إلى جَميع الأوثانِ؛ لاعتقادِهم أنّهم يُحفَظُون منَ النَّوائبِ ويُرْزَقُون بِبَرَكةِ آلِهَتِهم، فكأنّهم الجُنْدُ الناصرُ والرَّازقُ، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء ٢١/٤٣].

﴿بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾: بل تمادَوا في عِنادٍ ....

[٤١٧ظ] وأشارَ المصنِّف بهذا الكلام إلى / أنّ الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ بمعنى الإنكار، أي: لا أحدَ ممّن يشار إليه إشارةً لفظيّة أو معنويّة.[١] ويقال: هذا الذي يرزقكم أو ينصركم، وهذا المعنى إنّما يستقيم إذا فُرِضَ أنّ الله تعالى أمسك رزقه، فإنّ الله تعالى هو الرزّاق، فلو قدّرنا أنّه أمسك رِزقَه فلا يمكن أن يُوجَد أحدٌ يَرزُق[٢] ممّن يشار إليه ويقال: إنّه يَرزق؛[٣] لأنّه لا يكون حينئذٍ رازق. ثمّ إنّ المصنِّف أشار إلى أنّ مِثل هذا الشرط مقدَّر في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم﴾ حيث قال: (إن أرسل عليكم عذابه)، فقوله: (وهذا على التقدير) متعلّق بالجملتين، وهنا وجه آخر لتقرير كلام المصنِّف، وهو أنّ معنى قوله: (مَن يُشارُ إليه ويُقال)... إلخ هو: أنّ أيَّ جمع فُرِضَ مِن الجموع أنّه جند لكم أو أيَّ جمع فُرِضَ أنّه رازقكم، فلذلك قال المصنّف: (وهذا على التقدير)، وأمّا على الوجه الثاني الذي أشار إليه بقوله: (ويجوزُ أن يكونَ) فليس فيه فَرضٌ ولا تَقدير؛ بل هو إشارة إلى جند معلوم عندهم وهي الأوثان، فلذلك علّل المصنِّف جَوازَ ذلك بقوله: (لاعتقادهم)... إلخ.

ثمّ اعلم أنّ الصواب لتقرير كلام المصنِّف هو هذا الوجه الأخير، لا أن يقال: المراد بالتقدير الشرط. وينبغي أن تعلَمَ أنّ الصواب أنّ "أم" في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ متّصلة معادلة للهمزة في ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾، فإنّه تعالى لمّا أنكر أمنَهم قال مُنكِرًا: "ءَأَمِنتُم"؛ لظنّهم أنّا لسنا قادرينَ عالِمينَ، أو لظنّهم أنّهم قادرون على دفع قدرتنا. وبيَّن قدرتَه وعلمَه تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ إلى ﴿بَصِيرٌ﴾، وعدمَ قدرتهم بقوله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ وليس في كلام المصنِّف

---

[١] ن: ومعنوية.

[٢] ن: يرزقه.

[٣] ن: يرزقه.

وشِرادٍ عن الحقِّ لِثِقَلِهِ عليهم فلَم يتَّبعُوه.

يُجعَل "أكبَّ" مُطاوِعَ "كَبَّه" ويقال: كَبَبْتُه فأكَبَّ، من الغَرائب والشَّوَاذِّ، ونحوُهُ: قَشَعَت الريحُ السَّحابَ فأَقْشَع، وما هُو كَذلك، ولا شَيءَ من بنَاء أَفعَلَ مُطاوِعًا، ولا يُتْقِنُ نَحوَ هذا إلَّا حَملَةُ كتاب سيبَويه، وإنَّما أكَبَّ من باب أنفَضَ وألَامَ، ومَعْناه: دخَلَ في الكَبِّ فصارَ ذا كبٍّ، وكذلك أَقشَع السَّحابُ: دخَل في القَشْعِ، ومُطاوِعُ كبَّ وقَشَعَ: انكَبَّ وانْقَشَعَ.

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٢﴾

فإن قلتَ: ما مَعْنى ﴿يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ وكيف قابَلَ ﴿يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؟

ما يدلُّ على أنّ "أم" منقطعة، فلا تلتفت[1] إلى ما كتبنا في الحاشِية قبلُ مِن أنّ "أم"[2] منقطعة.

قوله: (ويجوز أن يكون) وعلى هذا يكون الإشارة بمعناه الحقيقيّ، ولا يحتاج إلى تقدير مَن يشار إليه ويقال: هذا الذي...، كما قدَّر في الوجه الأوّل.

قوله: (وشِرادٍ عنِ الحقّ) هو معنَى ﴿وَنُفُورٍ﴾، وهو مِثل قوله تعالى: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون ٢٣/٧٠].

قوله: (وما هو كذَلك) أي: ليس "أَكَبَّ" كما ذكروا، وهذا ابتداء كلام مِن المصنّف لِرَدّ قول مَن جعل "أَكَبَّ" مطاوعَ "كَبَّهُ".

قوله: (إلّا حَمَلَةُ) الحَمَلَةُ: جمع الحاملِ، وهو الحافظُ والعالِم.

قوله: (أَنْفَضَ) أَنْفَضَ القَومُ: هَلَكَتْ مواشِيهم وأموالُهم. وأَنْفَضُوا أيضًا مثل أَرْمَلُوا، إذا فَنِيَ زادُهم.

قوله: (وكيف قابلَ) فاعل "قابل" ضمير يرجع إلى قوله: ﴿يَمْشِي مُكِبًّا﴾، وقوله: ﴿يَمْشِي سَوِيًّا﴾ مفعوله، أي: كيف وقع المقابلة بين هذين القولين؟

---

[1] ف: فلا يُلتفت.

[2] ن – أم.

قلتُ: معناه: يَمْشي مُعْتَسِفًا في مكَانٍ متعَادٍ غيْرِ مُستَوٍ فيه انخفاضٌ وارتِفَاعٌ، فيَعْثُرُ كلَّ سَاعةٍ فيَخِرُّ على وَجْهِه مُنْكبًا، فحالُه نقيضُ حَالِ مَن يمشي سَوِيًّا؛ أي: قائمًا سالِمًا من العُثور والخُرُورِ، أو مُستويَ الجهَة قَليلَ الانْحرافِ خِلافَ المُعْتَسِف الَّذي يَنحَرِفُ هكذا وهَكذا على طريقٍ مُسْتَوٍ.

ويجوز أن يُريدَ الأَعْمى الَّذي ....

قوله: (قلت: معناه) أي: معنى ﴿يَمْشِي مُكِبًّا﴾، وقوله: (فحالُه) بيانٌ للمقابلة بين القولين، والحاصل: أنّ في قوله: ﴿يَمْشِي مُكِبًّا﴾ حذفًا كما بيّنه المصنّف، وبه يظهر المعنى ويتبيّن التقابل.

ثمّ إنّه فسّر ﴿سَوِيًّا﴾ بوجهين: الأوّل: قائمًا سالمًا... إلخ، فيكون معنى ﴿مُكِبًّا﴾ على ظاهره، والثاني: مستوي الجهة... / إلخ، فيكون معنى ﴿مُكِبًّا﴾: المُتعسّف...[1] إلخ، وقوله: (على طريقٍ مُسْتوٍ) متعلِّق بقوله: (يمشي) على كلّ واحد مِن هذين الوجهين، ثمّ أشار إلى وجوهٍ أُخرَ بقوله: (ويجوز)... إلخ. [٤١٨و]

قوله: (في مكان مُتعادٍ) يقال: "نِمتُ[2] على مكانٍ مُتعادٍ" إذا[3] كان متفاوتًا ليس بمستوٍ، ويقال: "هذه أرض متعادية ذات جِحَرةٍ ولَخاقِيقَ". والجِحَرة: بكسر الجيم وفتح الحاء جمع جُحرٍ، واللُّخْقُوقُ: شقّ في الأرض.

قوله: (هكذا وهكذا) بيان انحرافه[4] يمينًا وشمالًا، وهما منصوبان على المصدر، فالمصنّف يبيّن انحراف ذلك المتعسّف بالحركة المتمايلة لمَن[5] يتمايل في حركته لتصوير الانحراف، أو هما منصوبان على الظرف، كأنّهما إشارتان إلى اليمين والشمال. وقوله: (على طريق مستوٍ) حال مِن الضمير في "يمشي"، أو ظرف له؛ لأنّه تفسير قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

---

[1] وفي هامش د: المعتسف. وهو الموافق لِما في المطبوع مِن الكشّاف.

[2] ن: غث.

[3] ن: وإذا.

[4] ن: الخرافة.

[5] ف: كمَن؛ ن: عن.

لا يَهتدِي إلى الطَّريق فيَعْتَسِفُ فلا يَزالُ يَنكَبُّ على وجْهه، وأنَّه ليْسَ كالرَّجلِ السويِّ الصَّحيح البصَرِ الماشي في الطَّريقِ المُهتَدِي لَهُ، وهو مَثَلٌ لِلمؤمنِ والكافرِ.

وعن قتادَةَ: الكافِرُ أكَبَّ على معَاصِي الله فحَشرَهُ اللهُ يَوْمَ القيامَة على وجْهه.

وعن الكلبيّ: عُنِي به أبُو جهْلِ بنُ هِشام، وبالسَّويِّ: رسولُ الله عليه السلام.

وقيل: حمزة بن عبد المُطَّلب.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ الضَّميرُ لِلوَعْدِ.

و"الزُّلْفَةُ": القُرْبُ، وانتصابُها على الحال أو الظرف؛ أي: رَأَوهُ ذا زُلْفَةٍ، أو مكانًا ذا زُلفَةٍ.

﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أَي: سَاءتْ رُؤيةُ الوَعْدِ وُجُوهَهُم بأنْ علَتْها الكآبَةُ

قوله: (الصحيح) وعلى هذا يكون المراد بالسويّ: المستوي الأعضاء السالم القويّ، وقوله: (المهتدي) صفة أيضًا للرجل، واللام مِن "له" يتعلّق بالمهتدي، والضمير يعود إلى الطريق. وهو في مقابلة قوله: (لا يهتدي إلى الطريق) فاستعمَل الهُدى تارة بـ"إلى" وتارة باللام، وقد مرّ بيان ذلك مرارًا. وقوله: (وهو مَثَلٌ)... إلخ، أي: قوله: ﴿أَفَمَن﴾... إلخ، ثمّ قرّره بما نَقَل عن المفسّرين.

قوله: (أو مكانًا) أي: في مكانٍ ذي زُلْفَةٍ، فيكون ظرفًا، وعلى الأوّل حالٌ.

قوله: (أي: ساءَتْ)[1] "ساءه" نقيض "سرّه". وقوله: (رؤيةُ الوَعْد)[2] وفي بعض النُّسخ: (الوعيد)، "الوَعْدُ" باعتبار لفظ القرآن، و"الوعيد" لأنّه وعيدٌ لهم.

---

[1] ن: ساءة.

[2] ن: الوعيد.

وغَشِيَها الكسُوفُ والقَتَرةُ وكَلَحُوا، وكما يكُون وَجْهُ مَن يُقادُ إلى القَتْل أو يُعرَضُ على بَعْضِ العَذابِ.

﴿وَقِيلَ﴾ القائِلُونَ: الزَّبانيَةُ.

﴿تَدَّعُونَ﴾ تفتَعِلُونَ من الدُّعاء؛ أي: تَطْلُبُونَ وتستَعجلُون بهِ.

وقيل: هو مِن الدَّعْوَى؛ أي: كنتُم بسَبَبِهِ تدَّعُونَ أنَّكُم لا تُبعَثونَ.

وقرئ: ﴿تَدْعُون﴾.

وعن بعضِ الزُّهَّادِ: أنَّه تلاها في أوَّلِ اللَّيل في صَلاته فبَقيَ يُكرِّرُهَا وهُو يَبكِي إلى أن نُودِيَ لِصَلاة الفجر، ولَعَمرِي إنَّها لَوقَّاذَةٌ لِمَن تَصَوَّر تِلك الحالَة وتأمَّلَها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾

كان كُفَّارُ مكَّة يَدْعون عَلى رسُول الله وعلى المُؤمِنين بالهَلاك، فأُمِرَ بأَن يقُول لَهُم: نحنُ مُؤمِنُونَ مُترَبِّصُونَ لإحدى الحُسنَيَينِ: إمَّا أن نَهلِك كما تَتمنَّونَ فَنَنقلِبَ إلى الجَنَّة، أو نُرحَمَ بالنُّصْرة والإدَالةِ للإسلام كما نرْجُو، ....

قوله: (وكَلَحُوا) الكُلُوح: تكشُّرٌ في عبوس، يقال: كَلَحَ كُلُوحًا وكُلَاحًا. وقوله: (القَتَرة) أي: الغُبار.

قوله: (أي: تطلبون)... إلخ، أي: تطلبونه وتستعجلونه،[١] والباء للتَعْدية.

قوله: (إنّها لَوَقاذَةٌ) وَقَذَه يَقِذُه وَقْذًا: ضربه حتى استرخَى وأشرف على الموت.[٢]

قوله: (والإدالة) الإدالة: الغلبة، يُقال: اللّهمّ أدِلْني على فلان وانصُرني عليه، وأدالَنا الله على عدوّنا؛ من الدوْلة. والباء في قوله: (بالنُّصرة) للاستعانة، كما في قولك: كتبتُ بالقلم، ونَجَرْتُ بالقَدُوم، أي: يرحمنا بأن ينصرنا وينصر الإسلام. ثمّ إنّه يجوز أن يكون النصرة والإدالة متنازِعَين في "للإسلام"، ويجوز أن يكون

---

[١] ن: وتستعجلانه.

[٢] ن: الموة.

فَأَنتُم ما تصنعُون؟ مَن يُجِيرُكم -وأَنتُم كافِرُونَ- مِن عذَاب النَّارِ لا بُدَّ لكم منه؟ يَعني: إنّكم تَطْلبُونَ لنا الهَلاكَ الَّذي هُو استعجالٌ لِلفَوْزِ والسَّعَادة، وأَنتُم في أَمْرٍ هُو الهَلاكُ الَّذِي لا هَلاكَ بَعْدَه وأَنتُم غافِلُونَ لا تَطْلُبون الخَلاصَ منه.

أو: إن أَهْلَكَنا اللهُ بالمَوت فمَن يُجيرُكم بعد مَوْتِ هُدَاتِكُم والآخِذِينَ بحُجَزِكُم من النَّارِ؟ وإنْ رَحِمَنا بالإمْهال والغَلبةِ عَليكم وقتلِكُم فمَن يُجِيرُكُم فإنَّ المقتُولَ على أيدينا هَالِكٌ؟

أو: إن أَهْلَكَنا اللهُ في الآخِرة بذُنوبنا ونحْنُ مُسْلِمُون فمَن يُجيرُ الكافِرينَ وَهُم أَوْلى بالهَلاكِ لكُفْرِهم؟ وإن رَحِمنَا بالإيمان فمَن يُجير مَن لا إيمانَ له؟

فإن قلتَ: لِمَ أُخِّر مفعُولُ ﴿ءَامَنَّا﴾ وقدِّم مَفعُولُ ﴿تَوَكَّلْنَا﴾؟

قلتُ: لِوقُوع ﴿ءَامَنَّا﴾ تَعْرِيضًا بالكافِرين حين وَرد عقيبَ ذِكْرهم؛ كأنَّه قيل: آمَنَّا ولم نكفُرْ كما كَفرْتُم، ثُمَّ قال: وعَلَيه توكَّلنَا خُصُوصًا لم نَتَّكِل على ما أَنْتم مُتَّكِلُون عليه من رجالِكُم وأَمْوالِكم.

التقدير: النُّصرة لنا والإدالة للإسلام، وقوله: (مَن يجِيركم)... جملة مستأنَفة مُبيِّنة لقوله: (فأنتم ما تصنعون؟)، وأشار المصنّف إلى أنّ في الكلام حذفًا.

قوله: (هُداتِكم) الهداةُ: جمع الهادي، والمراد به النبيّ وأصحابه رضي الله عنهم.

قوله: (بِحُجَزِكم) الحُجَز: بضمّ الحاء وفتح الجيم جمع حُجْزة، وهي ما يُدخلُ فيه التكّةُ مِن السراويل، وحُجْزَة الإزار مَعقِدُهُ. ومَن أراد أن يأخذَ أخذًا بقوّة ويُبعده عن شيء يأخذُ بحُجْزتِه ويجُرُّه حتى يُبعدَه عن ذلك الشيء. قال عليه الصلاة والسلام: «أنا آخذٌ بِحُجَزِكم عن النار، هَلُمَّ عن النار، هَلُمَّ عن النار».[1]

قوله: (كأنّه قِيل: آمنّا ولم نكفُر) والحاصل / أنّ المعنى: إنّا آمنّا ولم تؤمنوا. [٤١٨ظ]
وليس المراد الحصر في المفعول، فلم يقدّم[2] المفعول لعدم مقتضيه، وأمّا في الثاني فالمعنى الحصر في المفعول فلذا قُدِّم.

---

[1] صحيح مسلم، ١٧٨٩/٤ (٢٢٨٤)؛ وأوّله في صحيح البخاري، ١٠٢/٨ (٦٤٨٣).

[2] ن: لقدم.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾

﴿غَوْرًا﴾: غائرًا ذاهِبًا في الأَرْض، وعَن الكلبيّ: لا تَنالُه الدِّلاء.

وهُو وصْفٌ بالمصْدرِ كعَدْلٍ ورِضًا.

وعن بعض الشُّطَّار: أنّها تُلِيَتْ عندَه فقال: تَجيءُ بهِ الفُؤُوسُ والمَعاوِلُ، فذهبَ ماء عَيْنَيْهِ نعوذُ باللهِ من الجَراءَةِ على اللهِ وعلى آياتهِ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورة المُلْكِ فكَأنّما أَحْيَا لَيْلَة القَدْرِ».

قوله: (الشُّطّار) الشاطر: هو الذي أعيَى أهله خُبْثًا، والجمع الشُّطّار، مثل: فاجر وفُجّار. و(الفئوس) جمع الفأس، و(المِعوَل): الفأس العظيمة التي يُنقرُ بها الصخر، والجمع المَعَاوِلُ.

قوله تعالى: ﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ معينٍ: ظاهرٍ تنالُه الأيدي، وقيل: جارٍ، وقيل: عَذْبٌ.

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنِّه[1] وكرَمه.[2]

---

[1] ن: منه.

[2] ف - بحمد الله تعالى ومَنّه وكرَمه.

سورة نٓ والقلم

مكيةٌ. وهي ثنتانِ وخمسون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾

قُرِئَ: "نون والقَلم" بالبَيانِ والإدغام، وبسُكونِ النُّون وفَتحها وكسرها كما في ﴿صَاد﴾.

سورة نون

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (بالبَيانِ والإدغام) القراءة بإظهار النون الساكنة وإدغامها في الواو مِن السبعةِ كلاهما،[2] وقُرِئَ في الشاذِّ بفتح النون وكسرها، وهنا قراءةٌ أخرى شاذّةٌ لم يذكرها المصنّف؛ وهي القراءة بضمّ النون،[3] قال أبو عليّ في الحجّة:

> وَجْهُ إظهار هذه النُّوناتِ أنّها في حروف يُنْوَى[4] بها الوَقفُ، فإذا كانت مَوقوفةً -بدلالة اجتماع الساكنين فيها، نحو: ميم لام صاد- كانت في تقدير الانفصالِ ممّا قبلها، وإذا انفصلت ممّا قبلها وجَبَ التبيين؛ لأنّها تُخفَى مع حروف الفَم، وإذا انفصلت عنها فالوقف[5] عليها ولم يتّصل

---

[1] ف - وبه نستعين.

[2] قرأ بإدغام النون في الواو: الكسائي ويعقوب وخلف وهشام، وقرأ بالإظهار أبو عمرو وحمزة وأبو جعفر وقالون وقُنبُل، ورُوِي الوجهان عن عاصم ووَرش والبزّي وابن ذكوان. النشر لابن الجزري، ١٨/٢.

[3] قال القرطبي: «وقرأ عيسى بن عمرَ بفتحها؛ كأنّه أضمَر فِعلًا. وقرأ ابن عبّاس وَنَصْرٌ وابن أبي إسحاقَ بكسرها؛ على إضمار حرف القسم. وقرأ هارون ومحمّد بن السَّمَيقَعِ بضمِّها؛ على البِناء». تفسير القرطبي، ٢٢٣/١٨ (القلم، ١/٦٨).

[4] ن: ينوي.

[5] في المطبوع من الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٣١٠/٦: "بالوَقْف".

والمرادُ: هذا الحَرفُ من حُرُوف المُعجَم، وأمَّا قَولُهم: هُو الدَّواةُ، فما أَدْري أَهُوَ وَضعٌ لُغَويٌّ أَمْ شرعيٌّ، ولا يَخلُو إذا كان اسمًا للدَّواة من أن يكُون جِنسًا أو عَلَمًا، فإن كان جِنسًا فأَيْنَ الإعْرابُ والتَّنوينُ؟ وإن كان عَلَمًا فأَينَ الإعرابُ؟ وأيُّهما كانَ فلا بُدَّ له من مَوْقعٍ في تأليفِ الكلام.

بما قبلها فليس هناك أمرٌ لا يتبيّن له، ووَجْه الإخفاء[1] أنّ همزة الوصل معها لم تُقطع في نحو: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران ٣/١-٢]، وقولهم في العدد: واحد اثنان، فمِن حيثُ لم يُقطعِ الهمزةُ معها عَلِمْتَ أنّه في تقدير الوَصل، وإذا وصلتها أخفيتَ النونَ معها.[2]

قوله: (وأمّا قَولُهم: هو الدَّوَاة) يريد بهذا ردَّ قولِ مَن قال: المراد به الدَّواة؛ وذلك لأنّه لم يَثبُت[3] ذلك المعنى لغةً ولا شرعًا، ثمّ بعْدَ التجاوز عن هذا المقام لا يستقيم وَجهُه بحسب علم النحو. هذا بيان كلام المصنِّف، وهو مردودٌ لما سيجيء في الحواشي.

ثمّ في كلام المُصنِّف حذفٌ بعد فاء الجزاء، أي: وأمّا قولُهم ففاسدٌ إذ لا يعلم...، فحذَفَ الجواب وأقام عليه مقامَه.

وقوله: (أهُوَ) أي: الوَضعُ؛ لأنّ قولهم: "هو الدَّواة" في معنى: هو موضوع للدَّواة، فقال: ما أدري أذلك الوَضع وَضعٌ لغويٌّ أو شرعيٌّ؟

قوله: (جِنسًا) أي: اسم جنس، ولا بدَّ مِن تقدير هذا المضاف هنا؛ لأنّ الجنس معناه الحقيقة،[4] وليس مِن أقسام الأسماء، ولا حاجة إلى هذا التقدير في قوله: (عَلَمًا) فإنّ العَلَم مِن أقسام الأسماء.

قوله: (فأينَ الإعرابُ) ذكَرَ الإعرابَ ولم يَذكر التنوينَ؛ لأنّه يمكن أن يكون غيرَ منصرف بزَعمهم.

قوله: (وأيُّهما كان) "أيُّهما" شرطيّة، مبتدأ "كان"، خَبرُه وجزاؤُه "فلا بدّ"،

---

[1] يريد بالإخفاء هنا الإدغام.

[2] الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٣١٠/٦.

[3] ن: شيت.

[4] ن: الحقيقية.

فإن قلتَ: هُو مُقسَمٌ به؟

قلتُ: وَجَبَ إن كان جِنسًا أن تجرَّه وتُنوِّنَه، ويكونَ القسَمُ بدوَاةٍ مُنكَّرةٍ مَجهُولة؛ كَأنَّه قيل: ودَواةٍ والقَلمِ، وإن كانَ عَلَمًا أن تَصْرِفَهُ وتَجُرَّهُ، أو لا تَصْرِفَه وتَفْتَحَهُ للعَلميَّة والتَّأنيثِ.

وكذلك التَّفسيرُ بالحُوتِ: إمَّا أن يُراد نُونٌ من النِّينَانِ، أو يُجعَلَ عَلَمًا لِلبَهْمُوتِ الذي يَزْعمُون، ....

وهذا هو الوجه الثالث من الوُجوه التي ردّ بها قولهم: "هو الدَّواة"، فالأوّل: فَقْدُ الوَضْع، والثاني: فَقْدُ الإعراب، والثالث: فَقْدُ التأليف.

[٤١٩و] قوله: (بدَواةٍ[1] منكَّرَة) / جوابه: أنّه يمكن أن يكون المراد من التنكير التعظيم.

قوله: (وكذلك التفسيرُ)... إلخ؛ يريد أنّ هذه المعاني لم[2] تَثبُتْ أيضًا، ولم يُرِد أنّه لم تثبُتْ لغةً، وأشار إلى أنّه لا يستقيم أيضًا مِن جهة الإعراب، ويمكن أن يُجاب عن هذه الاعتراضات بأنّه يجوز أن تثبُتَ لغةً وإن لم يسمَعْه،[3] وأمّا بحسب علم النحو فيقال: هو مُقسَمٌ به، ولا يَلزَم شيء ممّا أوردَه المصنِّفُ لإجراء[4] الوَصل مُجرى[5] الوقف، كيف وهذه الوجوه منقولة عن ابن عبّاس وغيره من المفسِّرين رضوان الله عليهم أجمعين، وبعضُها رُفع إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام.

قوله: (للبَهْموتِ) البَهْموتُ:[6] الحوت الذي عليه الأرض.[7]

---

١ ن: بداوة.

٢ ن: إلخ.

٣ ف + المصنّف؛ ن: يستمعه.

٤ ن: لإجزاء.

٥ ن: مجري.

٦ وورد في بعض التفاسير باسم: "البهموت" بالباء. انظر: تفسير القرطبي، ٢٢٤/١٨ (القلم، ١/٦٨)؛ والبحر المحيط لأبي حيان، ٢٥٣/١٠ (القلم، ١/٦٨).

٧ وينقل المفسّرون في ذلك رواياتٍ عن بعض السلَف، ولا يصحُّ من ذلك شيءٌ، وسياق كلام الزمخشري يشير إلى ردِّه، قال أبو حيّان بعد أن أورد المرويّات في ذلك: «لعلّه لا يصِحُّ شيء مِن ذلك». البَحر المحيط لأبي حيّان، ٢٣٤/١٠ (القلم، ١/٦٨).

والتَّفسيرُ باللَّوح مِن نُورٍ أو ذَهَبٍ والنَّهْرِ في الجنَّة نحوُ ذلك.

وأَقسَم بالقَلَم تعظيمًا له؛ لِمَا في خَلْقِه وتسويَتِهِ من الدَّلالة على الحِكمة العَظِيمَة، ولِمَا فيه من المَنافع والفَوائد التي لا يُحيطُ بها الوصْفُ.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: وما يَكتُبُ مَن كتَبَ، وقيل: ما يَسْطُرهُ الحَفظَةُ. و"ما" مَوصُولةٌ أو مَصْدريَّةٌ.

ويجوز أن يُرادَ بالقَلم أصحَابُه، فيكونَ الضَّميرُ في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ لهُم؛ كأنَّه قِيل: وأَصْحابِ القَلَم ومَسْطورَاتِهِمْ، أو: وَسَطْرِهم، ويُرادَ بهم كلُّ مَن يَسْطُرُ، أو الحفَظةُ.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾

فإن قلتَ: بمَ يتعَلَّق الباءُ في ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ وما محَلُّه؟

قلتُ: يتعلَّقُ بـ"مَجْنونٍ" مَنْفيًا؛ كما يتَعلَّقُ بعَاقلٍ مُثبتًا في قولك: "أنتَ بنعمةِ اللهِ عَاقِلٌ" مُستَوِيًا في ذلك الإثباتُ والنَّفيُ استوَاءَهُما في قولك: "ضربَ زيدٌ عمرًا" و"ما ضربَ زيد عمرًا": تُعْمِل الفعل مُثبتًا ومَنفيًا إعْمالًا واحِدًا.

قوله: (وأقسَمَ بالقلم) عطف على جملة[١] قوله: (والمراد)... إلخ، فإنّ قوله: (وأمّا) إلى قوله: (نحوُ ذلك) كالجُمل المعترضة لردِّ ما لا يَرتضيه من التفاسير.

قوله: (وقيل: ما يَسْطُره الحَفَظَة) إشارةٌ إلى أنّ الضميرَ للحفَظَةِ؛ لدلالة العَلَم على ذلك.

قوله: (مَنفيًا) حالٌ من "مَجنونٍ"؛ لأنّه معرفة، إذِ المراد به اللفظ، وكذا (مُثبتًا) حالٌ من "عاقلٍ".

وقوله: (في قولك) ظرفُ "يتعلّق" الثاني، و(مستويًا) صفةُ مَصدرِه، وقوله: (في ذلك) مِن وَضْع الظاهرِ مَوضعَ الضمير؛ كأنّه قال: تعلُّقًا مستويًا فيه الإثبات والنفي.

وقوله: (تُعمِل)... إلخ جملة مبيّنة لقوله: (يتعلّق بمَجنون)... إلخ.

---

[١] ن - جملة.

ومَحَلُّه النَّصبُ على الحال؛ كأنَّه قال: ما أنتَ بمَجنُونٍ مُنعَمًا عَليك بذلك، وَلَم تَمنَعِ البَاءُ أن يَعمَلَ "مَجنُون" فيما قَبلَه لأنَّها زائدَةٌ لتأكيدِ النَّفي.

والمَعْنى: استِبعادُ ما كان يَنْسبُه إليه كُفَّارُ مكَّة عَداوةً وحَسَدًا، وأنَّه مِن إنعام الله عليه بحَصَافَةِ العَقْل والشَّهامَةِ التي يقتَضِيها التَّأهِيلُ لِلنُّبوَّةِ بمَنْزِلٍ.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتِمالِ ذلك وإسَاغةِ الغُصَّة فيه والصَّبرِ عليه ﴿لَأَجْرًا﴾: لثَوابًا ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: غيْرَ مَقْطُوعٍ؛ كقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود ١١/١٠٨]، أو: غيرَ ممْنُونٍ عَليك؛ لأنَّه ثوابٌ تَستَوْجبُه على عَملكَ ولَيْسَ بتَفضُّلٍ ابتدَاءً، وإنَّما يُمنُّ الفواضِلُ لا الأجُورُ على الأعمالِ.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾

استَعْظَمَ خُلُقَهُ لفَرْطِ احتمالِهِ المُمِضَّاتِ مِن قَوْمه، وحُسْنِ مُخالقَتِه ومُدارَاتِه لَهُم، وقيل: هُو الخُلُقُ الَّذي أمرَهُ اللهُ به في قَولِهِ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف ٧/١٩٩].

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ سَعْدَ بن هِشامٍ سَألَهَا عن خُلُقِ رسُول الله فقالت: كان خُلقُه القُرآنَ، ألَسْتَ تَقْرَأُ القرآنَ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون ٢٣/١].

قوله: (بذلك) أي: بالسلامة، أي: منعَمًا عليك بالنبوّة والرسالة.

قوله: (وأنّه مِن إنعامِ اللهِ) هو عطف على "استبعاد"، وفي الكلام حذف؛ أي: وبيان أنّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام. وقوله: (بِمَنزِلٍ) خبر "أنّ"، و"مِن" في "مِن إنعام الله" للابتداء، وهو حالٌ، أو "مِن إنعام" خبرٌ، و"مِن" للاتصال، و"بمَنزِل" حالٌ.

قوله: (وليس بتفضُّلٍ ابتداءً) هذا مبنيٌّ على مَذهبه.

قوله: (المُمِضَّات) أي: المُوجِعات، أَمَضَّني الجرح إمْضاضًا؛ إذا أوجعك.

﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦﴾

﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾: المَجنُون؛ لأنَّه فُتِن؛ أي: مُحِنَ بالجُنون، أو لأنَّ العَربَ يَزْعُمونَ أنَّه من تخبيلِ الجنّ -وهُم الفُتّانُ- للفُتَّاكِ منهم.

والباء مَزيدةٌ، أو ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ مَصْدَرٌ كالمَعقُولِ والمَجْلُود؛ أي: بأيِّكُم الجُنونُ، أو: بأيِّ الفَريقين مِنكم الجُنونُ: أبفَريقِ المُؤمنين أم بفريقِ الكافِرين؛ أي: في أيِّهما يُوجَدُ مَن يَستحقُّ هذا الاسمَ.

وهو تعريضٌ بأبي جَهْلِ بنِ هِشامٍ والوَليدِ بنِ المُغيرة وأضرَابهما، وهذا كقوله: ﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾ [القمر ٥٤/٢٦].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ بالمَجانينِ على الحقيقَةِ، وهُم الَّذين ضَلُّوا ﴿عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ﴾ بالعُقلاء وهُم المُهتَدُونَ.

أو يَكونُ وَعيدًا وَوَعْدًا، وأنَّه أَعْلمُ بجزاءِ الفريقَيْنِ.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ تهييجٌ وإلهابٌ للتصميم على مُعَاصَاتِهم، وكانوا قد أرَادُوه على أن يَعبدُوا اللهَ مُدَّةً وآلِهتَهُم مُدَّةً ويَكُفُّوا عنه غوَائِلهُم.

قوله: (مِن تَخْبيلِ) الخَبالُ: الفساد، يقال: خبَلَه، أي: أفسدَ عقلَه[1] أو عُضوَه.

قوله: (للفُتّاك) الفاتِكُ: الجَريء، والجَمعُ: الفُتَّاك.

قوله: (أو يكون) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (والمجانين)... إلخ، والحاصل: أنّه يجوز أن يكون المراد بـ"مَن ضلَّ" المجانين، وبـ"المُهتَدين" العقلاء، ويجوز أن يكونا[2] إشارةً إلى الضالّ عن الحقِّ والمهتدي.

قوله: (على مُعاصاتِهم) هو نقيض المطاوَعة.

---

[1] ن: علقه.

[2] ن: يكون.

﴿لَوۡ تُدۡهِنُ﴾: لو تَلِينُ وتُصَانِعُ ﴿فَيُدۡهِنُونَ﴾.

فإن قلتَ: لِمَ رُفِعَ ﴿فَيُدۡهِنُونَ﴾ ولم يُنصَبْ بإضمارِ ﴿أن﴾ وهُو جَوابُ التَّمنِّي؟

قلتُ: قد عُدِل به إلى طَريقٍ آخرَ: وهو أَن جُعِل خبَرَ مُبتدَإٍ مَحْذُوفٍ؛ أي: فهُم يُدهنُونَ؛ كقوله: ﴿فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن ١٣/٧٢] على مَعْنى: وَدُّوا لَو تُدْهِنُ فَهُم مُدْهِنُون حِينئذٍ، أو: وَدُّوا إِدْهَانك فهُم الآنَ يُدْهِنُونَ لِطمَعهم في إِدْهَانِكَ.

قال سيبويه: وزَعم هَارُونُ أنَّها في بعضِ المصَاحِفِ: "وَدُّوا لو تُدْهِنُ فيُدْهِنُوا".

﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٥﴾

﴿حَلَّافٖ﴾: كثيرِ الحَلِفِ في الحقِّ والبَاطِلِ، وكفَى به مَزْجَرةً لمَن اعتَاد الحَلِفَ، ومِثلُه قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [البقرة ٢٢٤/٢].

﴿مَّهِينٍ﴾ من المَهانَةِ وهي القِلَّةُ والحَقَارَةُ، يُرِيدُ: القِلَّةَ في الرَّأيِ والتَّمييزِ، أو أرَاد الكَذَّابَ لأنَّه حقيرٌ عند النَّاس.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ [طه ١١٢/٢٠] أي: فهو لا يخاف، فلذلك لم يُجزَم.

قوله: (قارون)[1] هو اسم قارئ.

قوله: (قوله تعالى:[2] ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾)[3] ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة ٢٢٤/٢].

قوله: (أو أرادَ الكذّابَ) فعلى هذا يكون كنايةً.

---

١ كذا وقع في الأصول الخطّيّة، وهو في المطبوع من الكشّاف وكذا في المطبوع من كتاب سيبويه، ٣٦/٣: "هارون"، وهو هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور، العتكي البصري الأزدي مولاهم، روى القراءة عن عاصم الجَحدري وعاصم بن أبي النُّجود وعبد الله بن كثير وابن محيصن وحميد بن قيس وأبي عمرو بن العلاء عن عاصم. قال أبو حاتم السِّجستاني: كان أوّل من سمع بالبصرة وجوهَ القراءات وألّفها وتتبّع الشاذَّ منها فبحث عن إسناده هارونُ بن موسى الأعورُ وكان من القرّاء، مات قبل المائتين. انظر: غاية النهاية لابن الجزري، ٣٤٨/٢.

٢ ن + فلا يخاف.

٣ أي: تمام الآية.

﴿هَمَّازٍ﴾: عَيَّابٍ طَعَّانٍ، وعن الحسن: يَلْوِي شِدْقَيْهِ في أقفيةِ النَّاسِ.

﴿مَشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾: مُضَرِّبٍ نَقَّالٍ للحَديثِ مِن قومٍ إلى قومٍ على وَجْه السِّعايةِ والإفسادِ بَينهُم.

و"النَّميمُ والنَّميمةُ": السِّعايةُ، وأنشَدَنِي بَعْضُ العَرِبِ:

تَـشَـبَّـبِـي تَـشَـبُّـبَ الـنَّـمِـيـمَـه تَـمْـشِـي بـهَـا زَهْــرًا إلـى تَـمـيـمَـهْ

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: بَخيلٍ، والخَيْرُ: المالُ، أو: مَنَّاعٍ أَهْلَه الخيْرَ وهو الإِسْلام، فَذكَر المَمنُوعَ مِنه دُونَ المَمنُوع كأَنَّهُ قال: مَنَّاعٍ مِنَ الخَيْرِ.

قِيل: هُو الوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ المَخزُوميُّ، كان مُوسِرًا، وكان له عَشرةٌ مِن البَنِينَ، فكان يقُولُ لَهُم ولِلُحْمَتِه: مَن أَسْلمَ مِنكُم مَنعْتُه رِفدِي، عن ابن عبَّاسٍ.

وعنه: أنَّه أبُو جَهْلٍ.

وعن مُجاهِدٍ: الأَسْوَدُ بن عَبْدِ يغُوثَ.

وعن السُّدِّي: الأَخْنَسُ بنُ شَرِيْقٍ أَصْلهُ في ثَقِيف وعِدادُه في زُهْرةَ، ولِذلك قيل: زَنِيمٍ.

﴿مُعْتَدٍ﴾: مُجاوِزٍ في الظُّلم حَدَّهُ.

﴿أَثِيمٍ﴾: كَثيرِ الآثامِ.

قوله: (مُضَرِّب) التضريبُ بين القوم: الإغراءُ.

قوله:

(تَـشَـبَّـبِـي تَـشَـبُّـبَ الـنَّـمِـيـمَـة تَمشِـي بهَـا زَهْـرَا إلَـى تَمِيمَــة)[1]

قوله: "تشبَّبِي"[2] يخاطب النار؛ يقول: الْتَهِبي الْتِهابَ النَّميمة تجيء بها هذه المرأة، و"زَهْرَا" اسمُ امرأة، و"تَميمة" اسمُ أُخرى.

قوله: (ولِلُحْمَتِه) اللُّحْمَةُ[3] بالضمّ: القَرابةُ.

---

[1] ذكره كذلك الزمخشري في أساس البلاغة، ١٩٨/١.

[2] ن: تشبي.

[3] ن: وللحمته اللحمته.

﴿عُتُلِّۭ﴾: غَليظٍ جَافٍ، من عَتله: إذا قَادَهُ بِعُنْفٍ وغِلظَةٍ.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعدَ ما عُدَّ لَهُ من المثَالِبِ والنَّقائص ﴿زَنِيمٍ﴾ دَعِيّ، قال حسَّانُ:

وأنْـــتَ زَنِيـــمٌ نِيـــطَ فـــي آلِ هَاشـــمٍ كمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكبِ القَدَحُ الفَرْدُ

وكانَ الوَلِيدُ دَعِيًّا في قُرَيشٍ لَيسَ من سِنْخِهِم ادَّعَاه أَبُوهُ بَعْد ثماني عَشرة مِن مَوْلِدِه.

وقيل: بغَتْ أُمُّهُ ولم يُعْرَفْ حَتَّى نزَلَتْ هذه الآيةُ.

جَعل جَفاءه ودعْوَته أشَدَّ مَعَايِبهِ لأنَّه إذا جَفا وغَلُظ طَبْعُه قَسَا قَلْبُه واجْتَرأَ على كُلِّ مَعْصيَةٍ، ولأنَّ الغالبَ أنَّ النُّطفَة إذا خَبُثَتْ خَبُثَ النَّاشِئُ منها، ومِن ثَمَّ قال رسُول الله عليه السلام: «لا يَدْخلُ الجنَّة وَلدُ الزِّنَا ولا وَلَدُه ولا وَلَدُ وَلدِه».

و﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ نَظيرُ ﴿ثُمَّ﴾ في قَولِهِ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد ٩٠/١٧].

وقرأ الحسَنُ: "عُتُلٌّ" رفعًا على الذَّمِّ، وهذه القِراءةُ تَقوِيَةٌ لِمَا يَدُلُّ عَليْه "بَعْدَ ذلك".

قولـه: (دَعِيًّا) الدَّعِيُّ: مَن تَبَنَّيْتَهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب ٣٣/٤]، والادّعاء في / الاعتِزاء، وهو أن يقول: أنا فلان بن فلان. [٤١٩ظ]

قوله: (مِن سِنْخِهم) أي: أصلِهم.

قوله: (لأنّه إذا جَفَا)... إلخ، فيه لَفٌّ ونَشْر.

قوله: («لا يَدخُلُ الجَنّة») ذكر أئمّة الحديث أنّ هذا الحديثَ مَوضُوع.[1]

قوله: (و"بعدَ ذلك" نظيرُ "ثُمّ") يريد قولَه تعالى: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾.

---

[1] الحديث في حلية الأولياء لأبي نعيم، ٣/٣٠٨، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ وهو في السنن الكبرى للنسائي، ٥/٢١ (٤٩٠٧)، بلفظ: «لا يدخل ولد زِنا ولا شيء مِن نسلِه إلى سبعةِ أبناءِ الجنَّة»؛ وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ٣/١١٠. وقال السخاوي: «وزعم ابن طاهر وابن الجوزي أنّ هذا الحديث موضوع، وليس بجيّد». المقاصد الحسنة للسخاوي، ص ٩٢٠. وفي صحيح ابن حبان، ٨/١٧٥ (٣٣٨٣)، عن عبد الله بن عمرو؛ والسنن الكبرى للنسائي، ٥/١٧ (٤٨٩٦)، ٥/١٩ (٤٩٠٣)؛ وسنن البيهقي، ١١/٩٩ (١٩٩٩٠)، عن أبي هريرة وابن عمرو: «لا يدخل الجنّةَ ولَدُ زِنْيَةٍ».

و"الزَّنِيمُ": مِنَ الزَّنمَةِ، وهي الهَنَةُ من جِلْد المَاعِزةِ تُقْطَعُ فتُخَلّى مُعَلَّقةً في حَلْقِها؛ لِأَنَّه زيادةٌ مُعَلَّقةٌ بغَيْر أَهْلِهِ.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾ مُتَعَلِّقٌ بقَوله: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ يَعني: ولا تُطِعْهُ معَ هذه المَثالبِ لأَنْ كان ذا مالٍ؛ أي: لِيَساره وحَظِّه من الدُّنيا.

ويجوز أن يتعَلَّق بما بَعْدَه على مَعْنى: لِكونه مُتَموِّلًا مُسْتظْهِرًا بالبَنينَ كذَّبَ آيَاتِنا.

ولا يَعمَلُ فيهِ ﴿قَالَ﴾ الَّذِي هُو جَوابُ ﴿إِذَا﴾؛ لأَنَّ ما بعْدَ الشَّرطِ لا يَعْملُ فيما قبْلَهُ، ولكنْ ما دَلَّت عَليه الجُملةُ من مَعْنى التكذيبِ.

وقرئ: ﴿أَأَنْ كان﴾ على الاستفهام، على: أَلِأَنْ كان ذا مَالٍ كذَّبَ؟ أو: أَتُطيعُه لأَنْ كان ذَا مالٍ؟

وَرَوى الزُّهْريُّ عن نافعٍ: "إِنْ كان" بالكَسْر، والشَّرطُ للمُخاطَبِ؛ أي: لا تطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ شارِطًا يَساره؛ لِأَنَّه إذا أَطَاع الكافِرَ لِغِناه فكأَنَّه اشترَط في الطَّاعة الغِنَى، ونَحوُ صَرْفِ الشَّرطِ إلى المخاطبِ صَرْفُ التَرَجِّي إليْه في قَوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه ٢٠/٤٤].

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

الوَجْهُ أكرَمُ مَوْضِعٍ في الجسَدِ، والأَنفُ أكرَمُ مَوضعٍ من الوَجْه لتقَدُّمه لهُ، ولذلك جعَلُوه مكانَ العِزِّ والحَمِيَّةِ واشتَقُّوا مِنْهُ الأَنَفَة، وقالُوا: الأَنَفُ في الأَنْف، و: حَمَى أَنفَهُ، و: فلانٌ شَامِخُ العِرنينِ.

وقالُوا في الذَّليلِ: جُدِعَ أنفُهُ، ورَغِمَ أَنْفُهُ.

قوله: (لأنه زيادة) أي: لأنّ الزَّنيم.

قوله: (ويجوز أن يتعلّق) يعني: هو منصوب بما دلّ عليه ما بعده، لا بما بعده كما صرّح به.

قوله: (والأنف أكرم موضع) قالوا: الحُسْنُ في الأَنفِ، والمَلاحة في السِّنّ.

فعُبّر بالوَسْم على الخُرْطُوم عن غَايةِ الإذلالِ والإهَانةِ؛ لأنَّ السِّمَة على الوَجْه شَيْنٌ وإذَالَةٌ، فكيْفَ بهَا على أكرَمِ مَوْضِعٍ مِنْه، ولَقَدْ وَسَم العبَّاسُ أبَاعرَهُ في وُجُوههَا فقال له رَسُولُ الله: «أكرِمُوا الوُجُوهَ» فَوسَمَهَا في جَواعِرهَا.

وفي لفظ الخُرْطُوم استِخفافٌ بهِ واسْتهَانةٌ.

وقيل: مَعناه: سَنُعْلِمهُ يَومَ القيامَةِ بعَلامةٍ مُشَوِّهَةٍ يَبينُ بهَا عن سَائر الكفَرة كما عَادَى رسُولَ الله عَدَاوةً بانَ بهَا عَنهُم.

وقيل: خُطِمَ يومَ بَدْرٍ بالسَّيْف فبَقِيَت سمَةٌ على خُرْطُومِهِ.

قوله: (فَعبّر) يعني أنّه مَجاز؛ لأنّ الوَسْم على الخُرطوم مستلزِم للإهانة، فأُطلِق المَلزومُ وأُريدَ اللازِمُ.

قوله: (وإذالة) الإذالة: الإهانة،[1] يقال: أذالَ فرَسَه وغلامَه، وفي الحديث: «نهى عن إذالةِ الخَيل»،[2] وهو امتِهانُها بالعمل والحَمْل عليها.

قوله: (في جَواعِرِها) الجاعِرَة: هي مَسْقط الذَّنَب.

قوله: (استخفاف) لأنّه لا يستعمل إلا في الخِنزير بطريق الحقيقة، وفي غيره مجازًا،[3] كما يقال في الإنسان: عظيم المِشْفَر؛ وهو شَفَةُ البَعير.

قوله: (وقيل: معناه) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (الوجه أكرم موضع)... إلخ؛ لأنّه في معنى قولك: معناه: نُذِلّه ونُهينُه في الدنيا.

قوله: (بانَ بها) صفةُ "عداوةٌ"، أي: تميّز بتلك العداوة عن سائرِ الكَفَرة.

قوله: (وقيل: خُطِمَ) فعلى هذا يكون حقيقة[4] بطريق التصريح، لا مجازًا ولا كناية.

---

[1] ن: اللاذالة اللاهانة.

[2] أخرج أبو عبيدة في كتاب الخيل، عن شيخ من الأنصار أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مسح بطرف ردائه وجه فرسه: «أني عُوتبتُ الليلةَ في إذالة الخيل». وأخرج عن عبد الله بن دينار قال: مسح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجه فرسه بثوب، وقال: «إنّ جبريل بات يُعاتبني الليلةَ في إذالة الخيل». كتاب الخيل لأبي عبيدة، ص ٤. وأصل الحديث في الموطأ، عن يحيى بن سعيد، بلفظ: «إنّي عُوتِبتُ اللَّيلةَ في الخيل»، وليس فيه لفظ الإذالة. انظر: الموطّأ للإمام مالك، ٤٦٨/٢ (٤٧).

[3] ف: مجاز.

[4] ن + تبصر.

وقيل: سَنُشهِّرهُ بهذِه الشَّتيمةِ في الدَّارَيْن جَميعًا فلا تَخْفَى كما لا تَخْفى السِّمَةُ على الخُرطُوم.

وعن النَّضْرِ بن شُمَيْلٍ: أَنَّ الخُرطُومَ الخَمرُ، وأَنَّ مَعْناه: سنَحدُّه على شُرْبِهَا. وهو تَعسُّفٌ.

وقيل للخَمرِ: الخُرطومُ؛ كما قيل لهَا: السُّلَافَةُ، وهي ما سَلَفَ من عَصِير العِنَبِ، أو لِأَنَّها تطيرُ في الخيَاشِيمِ.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾

إِنَّا بَلوْنا أَهْلَ مكَّةَ بالقَحْطِ والجُوعِ بدَعْوَةِ رسُول الله عليهم ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهُمْ قَوْمٌ مِن أهْلِ الصَّلاة كانتْ لِأَبيهِم هذه الجَنَّةُ دُون صَنْعاءَ بفَرْسَخيْنِ، وكان يأخُذُ مِنْها قُوتَ سَنَتِه ويَتصَدَّقُ بالبَاقِي، وكان يَتْرُكُ للمسَاكينِ ما أَخْطأَهُ المِنْجَلُ، ومَا في أَسْفَلِ الأَكْداسِ، ومَا أَخْطَأَهُ القِطافُ من العنبِ، وما بَقِيَ على البسَاطِ الَّذي يُبسَطُ تحتَ النَّخْلَةِ إذا صُرِمَتْ، فكان يَجْتمع لَهُم شَيءٌ كَثيرٌ، فلمَّا ماتَ قال بَنُوه: إنْ فعَلْنَا ما كان يَفْعَلُ أبُونا ضَاقَ عَلَيْنا الأمْرُ ونَحنُ أُولُو عِيالٍ، فحَلَفُوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ ....

قوله: (وقيل للخمر: الخُرطوم) إشارةٌ إلى وَجْهِ إطلاق لفظ الخُرطوم على الخَمر لغةً، وليس إشارةً إلى الخِلاف كما في نظائره مِن قبلِ "وقِيلَ"؛ فإنَّها إشارةٌ إلى الخلاف.

قوله: (المِنْجَل) ما يُحصَد به.

قوله: (الأكْداس) الكُدْس: المَوضع المُهيّأُ للطعام مِن نحو البُرّ والشعير، يُداس فيه ليمتاز عن التِّبْن.

قوله: (القِطاف) القَطْفُ: قَطعُ عناقيد العنب مِن الكَرْم، والقِطْف: العنقود، وقال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة ٦٩/٢٣].

في السَّدفِ خُفْيَةً عن المسَاكين، ولم يَسْتَثْنُوا في يَمِينهم فَأَحْرَق اللهُ جَنَّتَهُم.

وقيل: كانُوا من بني إسرائيل.

﴿مُصْبِحِينَ﴾: دَاخِلينَ في الصُّبح مُبْكِرِينَ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: ولا يقولُون: إن شاء اللهُ.

فإن قلتَ: لِم سُمِّي استِثناءً وإنما هوَ شَرطٌ؟

قلتُ: لأنَّه يُؤدِّي مُؤدَّى الاستثناء من حيثُ إنَّ مَعْنَى قولك: "لَأخرُجنَّ إن شاءَ اللهُ" و: "لا أَخرُجُ إلَّا أَن يشاءَ اللهُ" وَاحِدٌ.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ بلاءٌ أو هَلاكٌ ﴿طَآئِفٌ﴾ كقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف ٤٢/١٨] وقرئ: "طَيْفٌ".

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾: كالمَصْرُومةِ لهَلاكِ ثمَرِها.

وقيل: الصَّرِيمُ: اللَّيلُ؛ أي: احتَرَقَتْ فاسْوَدَّتْ.

وقيل: النَّهارُ؛ أي: يبِسَتْ وذهَبَتْ خضرتُها، أو: لم يبقَ فيها شَيءٌ؛ مِن قَوْلهم: بيَّضَ الإناء، إذا فرَّغَهُ.

وقيل: الصَّرِيمُ: الرِّمالُ.

﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿صَٰرِمِينَ﴾: حَاصِدينَ.

قوله: (في السَدَف) قال الأصمعيُّ: «السُّدْفة والسَّدْفة في لغة أهل نجْدٍ: الظُّلْمة، وفي لغة غيرهم: الضوء،[١] وهو مِن الأضداد، وكذلك السَّدَف بالتحريك»،[٢] قال أبو عبيدة:[٣] «وبعضهم يجعل السُّدْفة اختلاط الضوء والظُّلْمة معًا، كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار».[٤]

قوله تعالى: ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ يقال: صَرَمه -أي: قَطَعه- صَرْمًا وصُرْمًا.

---

[١] ن: الوضوء.

[٢] الصحاح للجوهري، «سدف».

[٣] في الصحاح: "أبو عبيد".

[٤] الصحاح للجوهري، «سدف».

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: "اُغْدُوا إلى حَرْثِكُم" وما مَعنى ﴿عَلَىٰ﴾؟

قلتُ: لمَّا كان الغُدوُّ إليه لِيَصْرِموه ويَقطَعُوه كان غُدُوًّا عَليْه؛ كما تقولُ: غَدَا عليْهِم العَدُوُّ، ويجوز أن يُضمَّن الغُدُوُّ معنى الإقبالِ؛ كقَوْلهم: يُغْدَى عَليْهِ بالجَفْنَةِ ويُراحُ؛ أي: فأقبِلُوا على حَرْثِكُم باكِرين.

﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤﴾

﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾: يَتَسارُّونَ فيما بَينَهُم، وخَفَى وخَفَتَ وخَفَدَ: ثلاثتُها في مَعْنَى الكَتْمِ، ومِنهُ الخُفدُود: الخُفَّاشُ.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ ﴿أَن﴾ مفسِّرَةٌ، وقَرأ ابنُ مَسْعُود بطَرْحِها بإضمار القَول؛ أي: يتخَافَتُونَ يقُولُون: لا يَدْخُلَنَّهَا، والنَّهي عن الدُّخول لِلمسْكين نَهيٌ لَهُم عن تمْكينِه منه؛ أي: لا تُمكِّنُوه من الدُّخُول حَتَّى يدخُلَ؛ كقَوْلك: لا أرينَّكَ هاهُنا.

﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٖ قَٰدِرِينَ ۝٢٥﴾

"الحَرْدُ": مِن حارَدتِ السَّنَةُ: إذا مَنعَتْ خيْرَها، وحَارَدَتِ الإبلُ: إذا منعَتْ دَرَّهَا. والمعنى: وغَدَوْا قادِرينَ على نَكَدٍ لا غَيْرُ، عاجِزينَ عن النَّفْعِ، ....

قوله: (لِيَصْرِموه) خبر "كان"، وقوله: (كان) ثانيًا[1] جواب "لمّا"، واسمه ضميرٌ يعود إلى "الغدوّ إليه".

قوله: (يَتسارُّون) يقال: تَسارُّوا، أي: تناجَوا، ويتسارُّون، أي: يتناجَون.

قوله: (لا أَرَيَنَّك) المراد نَهيُه عن مشاهدتِه والكَوْنِ بحَضرتِه، وذلك سبب رؤيته إيّاه، فكان ذِكر المسبَّب دليلًا على ذِكر السبب.

قوله: (لا غير) هذا الحَصْر أفاده تقديم المفعول، أعني: الجارَّ والمجرور، يعني: أنّهم كانوا قادرين على أن ينفعوا الفقراءَ، فلمّا عزموا أن لا ينفعوهم جعلهم الله تعالى عاجزين عن النفع قادرين على مَنع الخير،

---

[1] ن: نيًا.

يَعْنِي: أَنَّهُم عَزَمُوا أَن يَتنكَّدُوا على المسَاكينِ ويَحْرِمُوهُم وهُم قادرُون على نَفْعِهم، فَغَدَوا بحالِ فَقْرٍ وذهَابِ مالٍ لا يَقْدِرُونَ فيهَا إلَّا على النَّكَدِ والحرمانِ، وذلك أنَّهم طلَبُوا حِرْمان المسَاكين فتعجَّلُوا الحِرْمانَ والمسْكَنة.

أو: وَغدوا على مُحَارَدةِ جَنَّتِهم وذهَابِ خيْرِها قادِرِينَ بدَلَ كوْنهم قادِرِين على إصَابةِ خَيْرها ومَنافِعِهَا؛ أي: غدَوْا حَاصِلينَ على الحِرْمانِ مكانَ الانتفاعِ.

أو لمَّا قالُوا: ﴿أَغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ وقد خَبُثَتْ نِيَّتُهم، عَاقَبَهُم الله بأَنْ حَارَدَتْ جَنَّتُهم وحُرِمُوا خَيْرَها، فلم يَغْدُوا على حَرْثٍ وإنَّما غدَوْا على حَرْدٍ، و﴿قَٰدِرِينَ﴾ من عَكْس الكلام للتَّهَكُّم؛ أي: قادِرِينَ على ما عَزَمُوا عَليه من الصِّرام وحِرْمانِ المساكينِ، ....

[٤٢٠و] فالحَرْد على هذا فِعلُ أصحابِ تلك الجنَّة، ثمّ أشار / إلى ما يئُول إليه المعنى بقوله: (يعني: أنّهم)...

قوله: (فتعجَّلوا) أي: أخذوا بالعجلة، فكأنّه قال: أخذوا الحِرمان لنفسهم مُتعجِّلًا.

قوله: (أو وَغَدَوا على مُحَارَدةِ) فعَلى هذا يكون الحَرْد فِعلَ جنّتِهم؛ يعني أنّهم كانوا قادرين على إصابة خير جنّتهم وإصابة منافعها، فلمّا عزموا حِرمان الفقراء جعلهم الله تعالى بحيث لا يقدِرون إلا على ذهاب خير[1] جنّتهم؛ بمعنى أنّهم لمّا لم يَقْدِروا على إصابة خيرها فكأنّهم قادرون على ذهاب خيرها.

قوله: (أو لمّا قالوا) يعني يكون ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ متعلِّقًا بـ﴿غَدَوْاْ﴾ بأن يكون[2] خيرَها،[3] لا بـ﴿قَٰدِرِينَ﴾.

قوله: (للتهكُّم) يعني ﴿قَٰدِرِينَ﴾ على هذا يكون حالًا، ويكون استعارة تهكُّميّة؛ لأنّه ذكَر "قادرين" مكانَ "عاجزين"، فهو مِثل: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٢١/٣].

[1] ن + خيرها.
[2] ن: لكون.
[3] ف: خبرها.

و﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ لَيس بصلَةِ ﴿قَٰدِرِينَ﴾.

وقيل: الحَرْدُ بمَعْنَى الحَرَدِ. وقرئ: "على حَرَدٍ"؛ أي: لم يَقدِرُوا إلّا على حَنَقٍ وغضَبٍ بَعْضُهم على بَعْضٍ كقَوله: ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾ [القلم ٦٨/٣٠].

وقيل: الحرْدُ: القَصْدُ والسُّرْعَةُ، يُقال: حَرَدْتُ حَرْدَكَ، وقال:

أَقبَلَ سَيلٌ جاءَ من أَمْرِ اللهْ   يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ

وقَطًا حِرادٌ: سِرَاعٌ. يَعْني: وغَدَوْا قاصِدِينَ إلى جَنَّتِهم بسُرْعَةٍ ونَشاطٍ، قادرين عِند أنفُسِهم، يقولون: نحن نَقدِرُ على صِرامِهَا وزَيِّ مَنفَعتِهَا عن المسَاكِينِ.

قوله: (و﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ ليس بصِلة ﴿قَٰدِرِينَ﴾) أي: على هذا الوجه،[1] بخِلاف الوجوه المتقدِّمة.

قوله: (وقُرِئ: ﴿عَلَىٰ حَرَدٍ﴾)[2] جملة معترِضة لتقدير أنّ الحَرْد هنا بمعنى الحَرَد.

قوله -شعر-:

(أَقْبَلَ سَيلٌ جاء مِن أمر الله[3]   يَحْرِدُ[4] حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّة)[5]

أي: يقصد الجنَّة المُغِلّة قصدًا.

قوله: (وقَطًا) جمع قَطَاة.

قوله: (وزَيّ) الزَيُّ: الطَّيُّ.

---

[1] ن: الوجهين.

[2] وهي قراءة شاذّة، قال القرطبي: «وقرأ العامّة بالإسكانِ، وقرأ أبو العاليةِ وابن السَّمَيْقَعِ بالفتحِ، وهما لغتان». تفسير القرطبي، ١٨/٢٤٣ (القلم، ٦٨/٢٥).

[3] ن + له، وكذا صحّح في هامش د. | ولم أجد هذه الزيادة في الأصل المطبوع للكشّاف، ولا في أيّ مصدر ورد فيه البيت المذكور، ولعلّ المقصود من زيادتها الإشارة إلى أنّ اسم الجلالة "الله" في البيت يلفظ بحذف الألف، فيلفظ كما يلفظ "له"، ولذلك يؤتى بالبيت في كتب اللغة شاهدًا على حذف الألف من اسم الجلالة، قال البكري بعد أن أورد البيت: «قال المؤلِّف: لا تحذف الألف من اسم الله عزّ وجلّ إلا في الوقف، وقال أبو حاتم: هذا البيت مصنوع، صنعة مَن لا أحسَنَ الله ذكره؛ يعني قطربًا». سمط اللآلي للبكري، ١/٣١.

[4] ن: بحرد.

[5] بغير نسبة في الصحاح للجوهري، «حرد»؛ ولسان العرب لابن منظور، «حرد».

وقيل: ﴿حَرْدٍ﴾ عَلَمٌ للجنَّة؛ أي: غدَوْا على تلك الجنَّة قادرين على صِرامِهَا عِند أنفُسِهم، أو مُقَدِّرِينَ أن يَتِمَّ لَهُم مُرادُهمْ من الصِّرام والحِرْمانِ.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ في بَديهةِ وُصُولهم: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: ضَلِلْنا جَنَّتنا وما هيَ بهَا؛ لِمَا رَأوا من هَلاكها، فلمَّا تَأمَّلُوا وعَرفُوا أنَّها هي قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: حُرِمْنَا خيْرَها لجِنَايتنَا على أنفسنَا.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٩﴾

﴿أَوْسَطُهُمْ﴾: أَعدَلهُم وخَيْرُهم، مِن قولهم: هُوَ مِن سِطَةِ قوْمِه، و: أَغطِني مِن سِطاتِ مالِكَ، ومنه قولُه تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة ٢/١٤٣].

﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: لولا تَذْكُرونَ الله وتتُوبُون إليه مِن خُبثِ نِيَّتِكُم؛ كأَنَّ أَوْسَطَهُم قال لهُم حِين عَزمُوا على ذلك: اذكُروا الله وانتِقامَهُ من المُجْرِمينَ، وتُوبُوا عن هذِه العَزيمة الخَبيثة من فَوْركُم، وسَارِعُوا إلى حَسْمِ شَرِّهَا قَبْلَ حُلُول النِّقمة، فعَصَوْهُ فعَيَّرَهُم، والدَّليلُ عليه قولُهم: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فتَكلَّمُوا بما كان يَدعُوهم إلى التَّكلُّمِ به على أَثَرِ مُقارَفة الخطِيئةِ ولكنْ بَعْدَ خرابِ البَصْرة.

قوله: (مِن فَورِكم) متعلِّق بـ"توبوا"، أي: توبوا في الحال، فـ"مِن" فيه للابتداء.

قوله: (بعدَ خَراب البَصْرة) هذا مثَلٌ للأمر[1] بعد فَوْت وقته، وأصله أنَّه كان بالبصرة عبيد كثيرة مِن الزَّنج، فاتَّفقوا وقتلوا ساداتهم، وقام كلُّ واحد منهم مقام سيِّده في حِرفته وعمله ومنصبه، وبلغ الخبرُ موفَّقَ الخليفة،[2] فبعث جيشًا ليقتُل هؤلاء العبيد، فقال الناس: أرسل الخليفة الجيش إلى البصرة لقتل العبيد، فقال واحد مِن الناس: بعدَ خرابِ البَصرةِ، أي: بعث لكن بعد أن خرِب البصرة، فصار مَثَلًا.

---

[1] ن: الأمر.

[2] ن: الخلفة.

وقيل: المرادُ بالتَّسبيحِ الاستثْناءُ؛ لالْتقائهما في مَعنى التَّعظيم لله؛ لأنَّ الاستثناء تَفويضٌ إلَيْه والتَّسبيحَ تَنْزيهٌ له، وكلُّ واحدٍ مِن التفويض والتَّنْزيهِ تعظيمٌ.

وعن الحسن: هو الصَّلاة، كأنَّهم كانُوا يَتَوانَونَ في الصَّلاة، وإلَّا لنهَتْهُم عن الفحشَاء والمُنكَرِ، ولَكانَت لهُمْ لُطْفًا في أنْ يَسْتثْنُوا ولا يَحْرِمُوا.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ سَبَّحُوا الله ونزَّهُوه عن الظُّلم وعن كلِّ قبيحٍ، ثُمَّ اعترَفُوا بظُلْمهم في مَنْع المعْروفِ وتَرْكِ الاستثناءِ.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝٣٠ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝٣١ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝٣٢﴾

﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾: يَلومُ بَعْضُهم بعْضًا؛ لأنَّ مِنهُم مَن زَيَّن، ومنهُم مَن قَبِل، ومنْهُم من أَمرَ بالكَفِّ وعَذَّر، ومنهم مَن عصَى الآمِرَ، ومنهم مَن سَكَتَ وهو رَاضٍ.

﴿أَن يُبْدِلَنَا﴾ قرئ بالتخفيف والتَّشديدِ.

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾: طَالبُون مِنه الخَيْرَ رَاجُونَ لِعَفْوِه.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾: مِثلُ ذلك العَذابِ الَّذِي بَلَونا بهِ أَهْلَ مكَّةَ وأَصْحابَ الجنَّةِ عذابُ الدُّنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أشَدُّ وأعظمُ منه.

وسُئل قتادةُ عن أَصْحاب الجنَّةِ: أَهُم من أَهْل الجَنَّةِ أمْ مِن أهْلِ النَّارِ؟

قوله: (الاستثناء) أي: قولهم: إن شاء الله، وقوله: (لالتقائِهما) أي: لالتقاء[1] التسبيح والاستثناء في معنى تعظيم الله.

قوله: (ولا يَحرِموا) أي: لا يَحرِموا المساكين.

قوله: (وعذَّر) أي: قصّر، التعذيرُ في الأمر: التقصير فيه.

---

[1] ف: للالتقاء؛ ن: لاتقاء.

فقال: لقَد كَلَّفتَني تَعبًا.

وعن مجاهدٍ: تابُوا فأُبدِلُوا خيْرًا منها.

وروي عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: بَلغَنِي أَنَّهم أَخْلَصُوا وعَرَف اللهُ مِنهم الصِّدْقَ فأبدَلهُم بهَا جَنَّةً يُقالُ لهَا: الحَيَوانُ، فيهَا عِنَبٌ يَحْمِلُ البَغْلُ منه عُنْقُودًا.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤﴾

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في الآخِرة ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ليسَ فيها إلَّا التَّنعُّم الخالصُ لا يَشُوبُه ما يُنْغِصُه كما يَشُوبُ جِنانَ الدُّنيا.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝٣٧ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝٣٨﴾

كان صَناديدُ قُريْشٍ يَرونَ وُفُورَ حَظِّهم من الدُّنيا وقِلَّةَ حُظُوظِ المُسْلِمين منها، فإذا سَمِعُوا بحدِيثِ الآخِرة ومَا وَعَد اللهُ المُسْلمينَ قالُوا: إن صَحَّ أَنَّا نُبعَثُ كمَا يَزْعُم مُحمَّدٌ ومَن مَعَه لم تكُنْ حَالهُم وحَالُنا إلَّا مِثْلَ ما هيَ في الدُّنيا، وإلَّا لم يزيدُوا عَلينا ولم يَفضُلُونا، وأَقصَى أَمْرِهم أَنْ يُسَاوُونَا، فقيل: أَنَحيفُ في الحُكْم فَنَجْعلَ المسلمينَ كالكافِرينَ.

قوله: («كَلَّفْتَني تَعَبًا») قولُ قتادة: «كلَّفْتني تَعَبًا»[1] إشارةٌ إلى أنّ ذلك أمرٌ غائبٌ لم يبلُغه، فلا يَعلَم ذلك إلا اللهُ تعالى.

قوله: (فأَبدلَهم بها جنَّةً) أي: في الدنيا بعد توبتهم بالإخلاص.

قوله: (ليس فيها إلا التنعُّم) الحصر لزِمَ مِن الإضافة، فكأنّه قيل: جنّاتٍ مختصَّةٍ بالنعيم.

قوله: (وإلا) أي: وإن لم يكن حالنا وحالهم مثل ما هي في الدنيا لم يفضُلونا، أي: إن لم نَفْضُل لم نَنْقُص[2] منهم.

---

[1] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ٢/٣٠٩.

[2] ن: ننقض.

ثـمَّ قيل لَهُم على طَريقة الالتفاتِ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هـذا الحُكـمَ الأَعْوَجَ كأنَّ أَمْرَ الجزاء مُفوَّضٌ إليكُم حتَّى تحكُمُوا فيهِ بما شِئْتُم.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ من السَّماء ﴿تَدْرُسُونَ﴾ في ذلك الكِتاب أَنَّ ما تختَارُونَه وتَشْتَهُونَه لكم؛ كَقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ۞ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ [الصافات ١٥٦/٣٧-١٥٧] والأَصلُ: تَدْرُسُونَ أَنَّ لكمْ ما تَتخيَّرُونَ، بفتح "أَنَّ" لِأَنَّه مَدْرُوسٌ، فلما جَاءت اللَّامُ كُسِرَتْ، ويجوز أَن تكُون حِكايةً للمَدْرُوس كما هُو؛ كقَوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۞ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصافات ٧٨/٣٧].

وتخَيَّر الشَّيءَ واختَارَه: أَخَذَ خَيْره، ونحوُه: تَنخَّلَهُ وانْتخَلَهُ: إذا أَخَذَ مَنْخُولَهُ.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝٣٩ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠﴾

لِفُلانٍ عليَّ يَمِينٌ بكذا: إذا ضَمِنتُه مِنْهُ وحَلفْتُ له على الوَفاء بهِ، يَعْني: أَمْ ضَمِنَّا منكم وأَقسَمْنَا لكُم بأَيمانٍ مُغلَّظةٍ مُتناهيَةٍ في التَّوكيدِ.

فإن قلتَ: بِمَ يتعَلَّقُ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؟

قلتُ: بالمُقدَّرِ في الظَّرف؛ أي: هيَ ثابتةٌ لكُم علَينا إلى يَوْم القيَامة لا نَخرُجُ عن عُهْدَتِهَا إلَّا يومَئِذٍ إذا حَكمنَاكم وأَعطَيناكم ما تَحكُمونَ، ويجوز أن يتعلَّق بـ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ على أَنَّها تَبلُغ ذلك اليَوْمَ وتنْتَهِي إلَيْه وَافِرةً لـم تبطُلْ منها يَمِينٌ إلى أن يَحْصُل المُقسَم عليه ....

قوله: (كما هو) يجوز أن يكون نصبًا على الحال و"ما" بمعنى الذي، و"هو" خبر مبتدأ محذوف، كأنّه قال: كالذي هُوَ هُو، أو كافَّة و"هو" في موضع المبتدأ،[١] والخبر محذوف، أي: حكاه كما هو عليه، ويجوز أن يكون "كما هو" نصبًا على المصدر، أي: كحالها الآن.

قوله: (إذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون) مِن قوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

---

[١] ن: وهو بمعنى الذي وهو خبر محذوف.

من التَّحكيم.

وقرأ الحسنُ: "بالِغةً" بالنَّصب على الحال من الضَّمير في الظَّرفِ.

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ جوابُ القَسم؛ لأنَّ مَعْنى ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾: أَمْ أقسَمْنا لكُم.

﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحُكم ﴿زَعِيمٌ﴾؛ أي: قَائمٌ بهِ وبالاحْتِجاج لصحَّتِه كما يقُوم الزَّعيمُ المُتكلِّمُ عن القَوم المتكفِّلُ بأمُورهِم.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾؛ أي: نَاسٌ يُشَارِكُونهم في هذا القَول ويُوافِقُونَهم عَليه ويَذهَبُون مَذهَبَهُم فِيه ﴿فَلْيَأْتُوا﴾ بهم ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعْواهُم، يَعْني: أَنَّ أحَدًا لا يُسَلِّمُ لَهُم هذا ولا يُساعِدُهم عَليْه، كما أنَّه لا كِتابَ لَهُم يَنطِقُ بهِ ولا عَهْدَ لهُمْ به عِند الله ولا زعيمَ لَهُم يَقُوم به.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الكشْفُ عن السَّاقِ والإبداءُ عن الخِدَام: مَثَلٌ في شِدَّة الأَمْر وصُعُوبةِ الخَطْب، وأَصْلُه في الرَّوْع والهَزيمَة وتَشميرِ المُخدَّراتِ عن سُوقِهِنَّ في الهَرَبِ وإِبْداءِ خِدَامِهِنَّ عِند ذلك، قال حاتمٌ:

أَخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ به الحَرْبُ عَضَّها وإن شمَّرَتْ عن سَاقِها الحَرْبُ شَمَّرا

قوله: (مِن التحكيم) بيان المُقسَم عليه.

قوله: (أم أقسَمنا[١] لكم) خبر "أنّ".

[٤٢٠ظ] قوله: / (عن الخِدَام) جمع خَدَمَة، وهي: الخَلْخَال.

قوله -شعر-:[٢]

---

[١] ن: قسمنا.

[٢] ف - شعر.

وقال ابنُ الرُّقَيَّاتِ:

تُـذْهِـلُ الشَّـيخَ عـن بَـنيـهِ وتُـبْـدِي عـن خِـدامِ الـعَقِـيلـةُ الـعَـذْراءُ

فمَعنى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ في مَعنى: يَوم يَشتَدُّ الأَمْرُ ويَتَفاقَمُ، ولا كشفَ ثَمَّ ولا سَاقَ؛ كما تَقُولُ للأَقْطَعِ الشَّحيحِ: "يَدُه مَغْلُولَة" ولا يَدَ ثَمَّ ولا غُلَّ وإنَّما هُو مَثَلٌ في البُخْلِ.

وأمّا مَن شَبَّه فلِضِيقِ عَطَنِه وقِلَّة نظَره في عِلم البيانِ، والَّذي غرَّه منه

(تُـذْهِـلُ الشَّـيْخَ عَـنْ بَنِيهِ وتُبدِي عَـن خِـدامِ الـعَقِـيلَـةُ الـعَـذْرَاءُ)

قبلَه:

كيفَ نَـومِي علَـى الـفِـراشِ وَلـمَّا يَـشْـمَـلِ الـشَّـامَ غَـارَةٌ شَـعْـواءُ[١]

البيت الأوّل ليس في الكتاب، "غارةٌ شعواءُ" أي: فاشيةٌ متفرّقةٌ، "تُذهل" أي: تُشغل، والفعل للغارة، وإنّما خصَّ الشيخَ بالذكر إمّا لِوفور عقله وممارسته[٢] الشدائد، وإمّا لفَرْطِ محبّته بالأولاد، و"العَقِيلة" مِن النساء التي عُقِلَتْ في بيتها؛ أي: خُدِّرَتْ[٣] وحُبستْ، وعقيلةُ كلِّ شيء أكرمُه، والإبداء عن الخِدَام:[٤] مَثَلٌ في شِدّة الأمر وصعوبة الخَطْب، بحيث تُبدي العقيلة عن ساقها للهرب والهزيمة، يقول على سبيل الإنكار: كيف أنام ولم يكن الحال هكذا!؟ قيل في القافية: "شَعواءُ" مرفوع، و"العَذراءِ" مخفوض، وفيهِ الإقواءُ،[٥] وبعضهم يروي: "العذراءُ" مرفوعًا أيضًا، ويقول: حُذِف التنوين مِن "خِدام" لالتقاء[٦] الساكنين، كقوله: ولا ذاكرَ اللهَ إلا قليلًا.

قوله: (وأمّا مَن شبَّه) عطفٌ على قوله: (الكشف عن الساق) مَثَلٌ في الشِّدَّة، يريد أنّ بعض الناس لم يحمِلْ هذا على التمثيل؛ بل قال: المرادُ بقوله ساقُ الرحمَن؛

---

[١] البيتان لعبيد الله بن قيس الرقيّات في ديوانه، ص ٩٥-٩٦، ولفظ البيت الثاني فيه:
تُذهِلُ الشَّيخَ عن بَنِيهِ وتُبدِي
عَـن بُـراهـا الـعَقِـيلَـةُ الـعَـذراءُ

[٢] ن: همارسته.

[٣] ن: خدرة.

[٤] ف: الخدم.

[٥] الإقواء: عيبٌ من عُيوبِ الشِّعر، وهو أن تختلفَ حركاتُ الرَّوِيِّ -وهو الحرفُ الأخيرُ الذي تنتهي به أبياتُ القَصيدة- فبَعضُهُ مرفوعٌ وبعضه منصوبٌ أو مجرورٌ. لسان العرب لابن منظور، «قوي».

[٦] ن: لا التقاء.

حديثُ ابنِ مسعُودٍ رضي الله عنه: «يَكشِفُ الرَّحمنُ عن سَاقِهِ، فأمَّا المُؤمِنُون فيَخِرُّون سُجَّدًا، وأمَّا المُنافِقون فتَكون ظُهورُهم طبَقًا طَبَقًا كأنَّ فيها السَّفافِيدَ»، ومعناه: يَشتَدُّ أمرُ الرَّحمنِ ويَتَفَاقَمُ هَوْلُه وهو الفَزعُ الأكبَرُ يَوم القيَامة.

ثُمَّ كان من حقِّ السَّاقِ أن تُعرَّفَ على ما ذهَب إليْه المُشبِّهُ؛ لأنَّها سَاقٌ مَخصُوصَةٌ مَعْهُودةٌ عِنْدهُ وهي سَاق الرَّحمن.

فإن قلتَ: فلِمَ جاءت مُنكَّرةً في التَّمثيل؟

قلتُ: للدَّلالة على أنَّه أَمْرٌ مبْهَمٌ في الشِّدَّة مُنْكرٌ خارجٌ عن المألُوفِ؛ كقَوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر ٦/٥٤] كأنَّه قِيل: يومَ يقَعُ أَمْرٌ فظِيعٌ هَائلٌ، ويُحكَى هذا التَّشبِيهُ عن مُقَاتِل.

وعن أبي عُبَيْدَة: خَرَج من خُراسَان رَجُلان: أحَدُهما شَبَّهَ حَتَّى مَثَّلَ وهو مقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ، والآخَرُ نَفَى حَتَّى عَطَّلَ وهو جَهْمُ بن صَفوانَ.

ومَن أحَسَّ بعظَمِ مَضارِّ فَقْدِ هَذا العِلْم عَلِمَ مقْدارَ عِظَمِ مَنافِعِه.

وقرئ: "يومَ نَكْشِفُ" بالنُّون، و: "تكشفُ" بالتَّاء على البناء للفاعِل والمفعُول جميعًا، والفِعلُ للسَّاعَةِ أو للحالِ؛ أي: يومَ تَشْتَدُّ الحَالُ أو السَّاعَةُ؛ كما تَقُول:

تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، واستدلَّ هذا القائلُ بالحديث المذكور،[١] فقال المصنِّف: إنَّما وقع هذا القائل في هذا التشبيه لقِلَّة نظره في علم البيان؛ ثمّ قال المصنِّف: لو كان كما ذكره لَوَجَبَ أن تُعرَّف الساق؛ لأنّ المراد بقوله: ﴿سَاقٍ﴾ في الآية الساقُ المعلومة المعهودة، بخلاف ما إذا كان المراد بالساقِ التمثيل فإنّ تنكيره حينئذ ليَدلَّ على أنّه أمر مبهم في الشِّدَّة، وهذا هو المراد بقوله: (فإن قُلتَ)... إلخ.

قوله: (نفَى) أي: نفى الصفاتِ.

قوله: (هذا العِلْمِ) أي: علم البيان.

---

١ الحديث أخرجه عن ابن مسعود مرفوعًا الدارقطني في الرؤية، ص ٢٦٩؛ وأخرج البخاري، ٦/١٥٩ (٤٩١٩)؛ عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: سمعتُ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «يكشِف ربُّنا عن ساقِه، فيسجدُ له كلّ مؤمنٍ ومؤمنة».

"كشَفَتِ الحَرْبُ عن سَاقِها" على المجاز.

وقرئ: "تُكْشِفُ" بالتاء المَضمومة وكسر الشينِ من أَكْشَفَ: إذا دَخل في الكَشْفِ، ومِنْه أكشَفَ الرَّجُلُ فهُوَ مُكْشِفٌ إذا انقَلَبتْ شَفتُه العُلْيَا.

وناصبُ الظَّرْفِ: ﴿فَلْيَأْتُوا﴾، أو إضمارُ: اذكُر، أو: يَومَ يُكشَفُ عن ساقٍ كان كيْتَ وكيْتَ، فحُذِف للتَّهْويلِ البَليغ، وأن ثمَّة منَ الكَوائِنِ ما لا يُوصَفُ لِعظَمِهِ.

عن ابن مسعُود رضي الله عنه: تُعْقَمُ أَصْلابُهم. أي: تُرَدُّ عظامًا بلا مفَاصِلَ لا تَنْثَنِي عند الرَّفعِ والخَفْضِ.

وفي الحَديثِ: وتَبقى أَصْلابُهم طَبَقًا واحِدًا؛ أي: فَقَارةً وَاحِدةً.

فإن قلتَ: لِمَ يُدْعَونَ إلى السُّجُود ولا تكليفَ؟

قلت: لا يُدْعَونَ إلَيْه تعبُّدًا وتكليفًا، ولكِن تَوْبيخًا وتَعْنِيفًا على تَرْكِهم السُّجودَ في الدُّنيا، مع إعْقامِ أَصْلابهِمْ والحَيْلُولَةِ بَيْنهُم وبين الاستطاعةِ تحسيرًا لَهُمْ وتَنْديمًا على ما فرَّطُوا فيه حِينَ دُعُوا إلى السُّجود وهُم سَالِمُو الأصلابِ والمفاصِلِ مُمَكَّنُونَ مُزَاحو العِلَلِ فيما تُعُبِّدُوا به.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

يُقالُ: "ذَرْني وإيَّاه" يُرِيدُونَ: كِلْهُ إليَّ فَإنِّي أكفِيكَهُ؛ كَأنَّهُ يَقول: حَسْبُكَ إيقاعًا به أَن تَكِلَ أَمْرَهُ إليَّ وتُخلِّيَ بَيْني وبينه فإنِّي عالمٌ بما يجِبُ أن يُفْعَل به مُطِيقٌ له، والمرادُ: حَسْبِي مُجَازِيًا لمن يكَذِّبُ بالقُرآن، فلا تَشغَلْ قلبَك بشأنه وتوكَّلْ عليَّ في الانتقامِ منه، تسْلِيةً لِرَسُول الله وتهدِيدًا للمُكذِّبينَ.

"استدرَجَهُ إلى كَذا": إذا استَنْزَلهُ إلَيْه دَرَجةً فدرَجةً حَتَّى يُورِّطَهُ فيه، واستِدْرَاجُ الله العُصَاةَ: أن يَرْزُقَهُم الصِّحَّة والنِّعْمَة، فيَجْعَلُوا رزقَ الله ذَرِيعَةً ومُتَسلَّقًا إلى ازْدِيادِ الكُفْر والمعَاصِي.

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: من الجهة الَّتي لا يَشعُرون أنَّه استدراجٌ،

قوله: (تُعْقَمُ) عَقِمَتْ مفاصل يديه ورجليه إذا يَبِسَت.

وهُو الإنعامُ علَيْهِم لأنَّهم يَحْسِبُونَهُ إيثارًا لهُمْ وتفضيلًا على المؤمنين وهو سببٌ لِهَلاكِهم.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأُمْهِلُهم؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران ١٧٨/٣] والصِّحَّةُ والرزقُ والمَدُّ في العُمُر: إحْسانٌ من الله وإفضالٌ يُوجبُ عليهِم الشُّكرَ والطَّاعةَ، ولكنَّهُم يجعَلُونَهُ سببًا في الكُفرِ باختيَارهِم، فلمَّا تدرَّجُوا بهِ إلى الهَلاك وُصِفَ المُنْعِمُ بالاستِدْراج.

وقيل: كَمْ من مُسْتَدْرَجٍ بالإحْسَان إليه، وكم مِن مَفْتُونٍ بالثناء عليه، وكَم مِن مَغْرُورٍ بالسَّتْرِ.

وسَمَّى إحسَانَه وتَمكينَه كيْدًا كما سمَّاه استِدْراجًا لِكونه في صُورة الكيد حيْثُ كان سبَبًا للتَّورُّطِ في الهَلَكَة، ووصَفَهُ بالمَتانَة لِقوَّة أثَرِ إحْسَانه في التَّسبُّبِ للهلاكِ.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

"المَغرَمُ": الغَرامَةُ؛ أي: لم تَطْلُبْ مِنْهُم على الهِداية والتَّعْليم أجْرًا فيثْقُلَ علَيْهم حَمْلُ الغَراماتِ في أَمْوالهم فيُثَبِّطَهُم ذلك عن الإيمان.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾؛ أي: اللَّوحُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مِنْه ما يَحكمُون بهِ.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: وهو إمْهَالُهم وتأخِيرُ نُصْرَتِك عَلَيْهِم.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يَعْنِي: يُونُسَ عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ في بَطن الحُوتِ ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: مملوءٌ غيْظًا، ....

قوله: (أي: اللوح) يعني اللوحَ المحفوظ.

من كَظَمَ السِّقاء: إذا مَلأَهُ، والمَعْنى: لا يُوجَدْ مِنك ما وُجِدَ مِنه من الضَّجَر والمُغاضَبَةِ فتُبْتَلَى ببلائه.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾

حَسُنَ تَذْكِيرُ الفِعْلِ لفَصل الضَّمير في ﴿تَدَٰرَكَهُۥ﴾.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ وابنُ مسْعُودٍ: "تَدَاركَتْهُ"، وقرأ الحسَنُ: "تدَّاركَهُ"؛ أي: تَتَداركَهُ، على حكايةِ الحالِ الماضِيَة، بمَعْنى: لولا أن كان يُقالُ فيه: تَتَداركُهُ، كما يُقال: "كان زَيدٌ سَيقُوم فمَنعَه فُلانٌ"؛ أي: كان يُقالُ فِيه: سَيقُومُ، والمعنى: كان مُتوقَّعًا مِنه القيامُ.

و"نعمةُ رَبِّه": أَن أَنْعَم علَيْه بالتوفيق للتَّوبة وتابَ علَيْه.

وقد اعتُمِد في جَواب ﴿لَّوْلَآ﴾ على الحال، أَعْني قولَه: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ يَعْني: أَنَّ حالَه كانت على خلافِ الذَّمِّ حين نُبِذَ بالعَراء ولَولا توبَتُهُ لكانت حالُه على الذمّ.

رُوي أنَّها نزلَتْ بأُحُدٍ حِينَ حَلَّ برسُول الله ما حَلَّ به، فأرادَ أن يَدْعُوَ على الَّذين انهَزَمُوا.

وقيل: حينَ أرادَ أَنْ يَدْعُوَ على ثَقِيفٍ.

قوله: (على حكاية الحال) هذا على قراءة الحَسَن، وأمّا على القراءَتَين الأُولَيَين فهو ماضٍ.[1]

قوله: (وقد اعتمد في جواب "لولا") يعني أنّ جواب "لولا" في الحقيقة هو مفهومُ قولِه: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾، وإن كان في الظاهر هو ﴿لَنُبِذَ﴾.

قوله: (رُوِي أنّها) أي: أنّ الآية.

---

[1] قراءة الحسن البصري: ﴿تدّارَكَهُ﴾ بتشديد الدال، وهي قراءة شاذّة، وكذا القراءة المروية عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، انظر: المحتسب لابن جنّي، ٣٢٦/٢؛ وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي، ص ٥٥٣.

وقرئ: "رحمةٌ من ربِّه".

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠﴾

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: فجمعَهُ إليه وقرَّبهُ بالتَّوبة عَلَيْه، كما قال: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه ١٢٢/٢٠].

﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: من الأَنْبياءِ، وعن ابنِ عبَّاسٍ: رَدَّ اللهُ إلَيْه الوَحْيَ وشَفَّعه في نفْسِه وقَوْمِهِ.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾

"إنْ" مُخفَّفةٌ من الثَّقيلَةِ واللَّامُ علَمُهَا.

وقُرئ ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ بضمِّ الياء وفتْحِهَا. وزَلَقهُ وأَزْلَقهُ بمَعنًى، ويُقالُ: زَلَق الرأسَ وأَزْلَقَهُ: حَلقَهُ.

وقرئ: "ليُزهِقُونكَ" مِن زهَقَتْ نفسُه وأزهَقهَا.

يَعني: أنَّهم من شِدَّة تحْدِيقِهِم ونَظَرِهم إليْكَ شَزرًا بِعُيونِ العَداوَةِ والبَغضاء يَكادُونَ يُزِلُّونَ قَدَمكَ أو يُهْلِكُونَكَ، مِن قوْلِهم: "نَظرَ إليَّ نظرًا يَكَادُ يَصْرَعُنِي" و"يَكادُ يَأكُلُني"؛ أي: لو أمكَنهُ بنَظرِه الصَّرْعُ أو الأَكْلُ لَفَعَلَهُ. قال:

قوله: (قُرِئ: "رحمَةٌ") أي: بدلَ ﴿نِعْمَةٌ﴾.

قوله: (مِن قولهم: نظرَ إليَّ) يقال: نظَرَ إليه شَزْرًا؛ وهو نظر الغضبان[1] بمؤخَّر[2] عينِه.

قوله -شعر-:

---

[1] ن: الغصبان.

[2] ن + عليه.

يَتقارَضُونَ إذا الْتَقَوا في مَوْطِنٍ نَظَرًا يُزِلُّ مَواطِئَ الأَقْدامِ

وقيل: كانت العَيْنُ في بَنِي أَسَدٍ، فَكانَ الرَّجُلُ مِنهُم يتجَوَّع ثلاثةَ أيَّامٍ فلا يَمُرُّ به شيءٌ فيقُول فِيهِ: لَم أَرَ كاليَوْمَ مِثْلَه إلَّا عَانهُ، فأُرِيد بَعضُ العَيَّانينَ على أن يَقُولَ في رسُول الله مِثْلَ ذلك، فقال: لَم أرَ كاليَوْم رجُلًا، ....

(يَتقارَضُونَ إذَا التَقَوا في مَوْطِنٍ نَظَرًا يُزِلُّ مَواطِئَ الأقْدامِ)[١]

يقال: القِرْنانِ يتقارضان النظرَ؛ إذا نظر كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه شَزْرًا، وكلُّ أمرٍ يجازى به الناس فهو قرض، وهما يتقارضان الثناء، أي: كلُّ واحد منهما يُثنِي على صاحبه،[٢] يقول: إذا التقَوا في موطن ينظر كلُّ واحد منهم إلى الآخر نَظَرَ حسَدٍ وحَنَقٍ حتى يكادُ[٣] يصرعه، وليس المراد الإصابة بالعين؛ بل المراد نظر العدوِّ إلى العدوِّ بالهَيْبة والغضب.

قوله: (لم أرَ كاليوم مثلَه) فقوله: "مثله"[٤] بدَلٌ مِن قوله: "كاليوم"، وأصلُه: [٤٢١و] لم أرَ رجلًا مثل رجلٍ رأيتُه اليومَ، فحُذف "رجلًا"، بقي: لم أرَ مثل رجلٍ / رأيته اليومَ، حُذف "رأيته" وأضيف "رجل" إلى "اليوم"، صار: لم أرَ مثلَ رجلِ اليومِ، حُذف "رجل" فصار: لم أرَ مثلَ اليومِ، فأُبدِل مِن المثل الكاف، فصار: لم أرَ كاليومِ، ثمّ جيء بقوله: "مِثلَه" ليكون بدلًا مِن "كاليوم"، أي: لم أرَ كاليوم لم أرَ مثل اليوم؛ للمبالغة[٥] في أنّه لم يرَ مثلَه، وأمّا قوله:[٦] (لم[٧] أرَ كاليومِ رجلًا) فأصله: لم أرَ رجلًا مثلَ رجلٍ رأيتُه اليوم، فقدّم[٨] الصفة فصار: لم أرَ مثلَ رجلٍ رأيتُه اليومَ، والباقي ظاهر ممّا[٩] كتبنا في المثال[١٠] المتقدّم.

قوله: (فأُريدَ بعضُ) يُقال: أراده على ذلك، أي: حمله عليه مُرِيدًا منه ذلك،

---

[١] بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «قرض».
[٢] ن - شزرًا وكلُّ أمرٍ يجازَى به الناس فهو قرض، وهما يتقارضان الثناء، أي: كل واحد منهما يثني على صاحبه.
[٣] ن: يطاد.
[٤] ن: مثل.
[٥] ن: المبالغة.
[٦] ن + ثم.
[٧] ن - لم.
[٨] ن: مقدّم.
[٩] ن: ظاهرهما.
[١٠] ن: المثل.

فعَصَمَه اللهُ.

وعن الحَسن: دَواءٌ للإصَابة بالعَيْن أن تُقرَأَ هذه الآيةُ.

﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾؛ أي: القرآنَ، لم يَمْلِكُوا أنفُسَهُم حَسَدًا على ما أُوتِيتَ من النُّبوَّة.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ﴾ حَيْرَةً في أَمْره وتَنْفِيرًا عنه، وإلَّا فقَد عَلِمُوا أنَّه أَعْقَلُهم، والمَعْنَى: أَنَّهم جَنَّنُوه لأَجْلِ القُرآنِ.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ﴾ وموْعِظةٌ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ فكيف يُجَنَّنُ مَن جاء بمِثْله.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورةَ القَلمِ أَعْطَاه الله ثوَابَ الَّذِينَ حَسَّنَ أَخلاقَهُم».

وعِنْتُ الرجل، أي: أصبتُه بعيني، فأنا عاينٌ، وهو مَعِين -مثل: مَبيع- ومَعيون على التمام.

قوله: (فعَصَمَه الله) أي: فقالَه فعصمه تعالى.[1]

ختَمَ السورة بمِثل ما بدأ به.

تمَّت السورة بحمد الله تعالى ومَنِّه وكرمه.[2]

---

[1] ف ن - تعالى.

[2] ف - السورة بحمد الله تعالى ومَنّه وكرمه.

سورة الحاقّة

مكيَّةٌ، وهيَ إحدى أو اثنتان وخَمْسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾

﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾: السَّاعَةُ الواجِبةُ الوُقوعِ الثَّابتةُ المَجيءِ التي هي آتِيةٌ لا ريْبَ فيها، أو التي فيها حَواقُّ الأُمُور من الحسَابِ والثَّواب والعِقابِ.

أو: الَّتي تُحَقُّ فيها الأُمُورُ؛ أي: تُعْرَفُ على الحَقيقةِ، مِن قَوْلِك: لا أَحُقُّ هذا؛ أي: لا أَعْرِفُ حقيقتَهُ، جُعِل الفِعل لهَا وَهُو لِأَهْلِها.

سورة الحاقّة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ الساعة الواجبة)... إلخ، الحاصل:[2] أنّها إمّا مِن قولهم: حقَّ الشيءُ يَحِقُّ بالكسر؛ ثَبَتَ، أو مِن قولهم: حقَقْتُه أحُقُّه، أي: عرَفتُ حقيقتَه،[3] أمّا على الأوّل فإمّا أن يقال: سُمِّيت حاقّة لأنّها ثابتةُ الوقوعِ واجبةُ المَجيء، أو يقال: هو على تقدير حذفِ المضاف، أي: ذو الحاقّة؛ لأنّ فيها[4] الأمور الحَوَاقَّ مِن الحساب والثواب والعقاب، وأمّا على الثاني فالقيامةُ سُمِّيت "حاقّة" بمَعنى: عارفة للأمور، وهو مَجاز؛ لأنّ الخلائق في القيامة تَعرِف الأمورَ، فجُعل الفعلُ للقيامة وهو لأهلِها.

---

[1] ف – وبه نستعين.
[2] ن: حاصل.
[3] ن: حقيقة.
[4] ن: فيهما.

وارتفَاعُها على الابتداء، وخَبَرُها: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ والأَصْلُ: الحَاقَّة ما هِيَ؛ أي: أيُّ شيءٍ هي؟ تفخيمًا لِشَأنِها وتَعْظِيمًا لهوْلهَا، فوُضِعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ المُضْمَرِ لأنّه أَهْوَلُ لهَا.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: وأيُّ شيءٍ أَعْلَمَك ما الحَاقَّةُ؟ يَعْني: إنَّك لا عِلْمَ لك بكُنْهِها ومدَى عِظَمِها، على أنّه مِن العِظَم والشِّدَّة بحَيْثُ لا يبلُغُه دِرايةُ أَحَدٍ ولا وَهمُهُ، وكيف ما قُدِّرَتْ حَالُها فهِي أعظَمُ مِن ذلك.

و﴿مَا﴾ في مَوْضِع الرَّفعِ على الابتِداء، و﴿أَدْرَىٰكَ﴾ مُعَلَّقٌ عنْهُ لِتضَمُّنِه مَعْنى الاستفهام.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ④﴾

"القارِعَةُ": التي تَقْرَعُ النَّاسَ بالأَفْزاع والأَهْوالِ، والسَّماءَ بالانشِقَاقِ والانفِطَار، والأرضَ والجِبالَ بالدَّكِّ والنَّسْفِ، والنُّجومَ بالطَّمْسِ والانكدَارِ،

قوله: (تفخيمًا) مفعول له حُذِف عاملُه؛ كأنّه قال: قال: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ تفخيمًا لشأنِها، ويجوز أن يُقال: هو متعلِّق مِن حيثُ المعنى بقوله: (أي: أيُّ شيءٍ هو)؛ لأنّه في معنى: أريد: أيّ شيء هو تفخيمًا.

قوله: (على أنّه) أي: بناءً على أنّه، والضمير لـ"كُنْهِهَا ومدَى عِظَمِها".

قوله: (و"ما" في مَوضِع الرفع) أي: "ما" مِن قوله تعالى: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ بعد قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾.

قوله: (والنَسْفِ) نَسَفْتُ البِناءَ نسْفًا: قلعْتُه، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ[1] عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه ٢٠/١٠٥]، أي: يقتلِعها باستئصالٍ؛ بأن يجعلَها كالرمْل، ثمّ يُرسِل الريح عليها.

قوله: (والانكِدار) يُقال: انكَدَر، أي: أسرع وانقَضّ، أي: بطغيانهم. على القول الأوّل: "الطاغية" بمعنى اسم الفاعل، والباء للآلة، وعلى الثاني: مصدر، والباء للسببيّة.

---

[1] ن: ليسألونك.

ووُضِعَت مَوْضِعَ الضميرِ لتدُلَّ على مَعْنى القَرْعِ في الحاقَّةِ زيَادةً في وَصْفِ شِدَّتِهَا، ولمَّا ذكرَها وفخَّمَها أتبَعَ ذِكْرَ ذلك ذِكرَ مَن كذَّبَ بها وما حَلَّ بهم بسَببِ التَّكذيبِ؛ تذكِيرًا لِأهْلِ مكَّةَ وتخوِيفًا لهُم من عاقِبة تكْذِيبهم.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝﴾

﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾: بالوَاقِعَةِ المُجَاوِزَةِ للحَدِّ في الشِّدَّة، واختُلِفَ فيهَا: فقيل: الرَّجْفةُ.

وعن ابن عبَّاس: الصَّاعقةُ.

وعن قتادةَ: بَعثَ اللهُ علَيْهم صَيْحةً فأَهْمَدتهُم.

وقيل: "الطَّاغيةُ" مَصْدَرٌ كالعَافية؛ أي: بطُغيَانِهِمْ. ولَيْسَ بذاك؛ لعَدَم الطِّباقِ بَينَها وبَيْن قولِهِ: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ والصَّرصَرُ: الشَّدِيدةُ الصَّوْتِ لهَا صَرْصَرةٌ.

وقيل: البَاردة، من الصِّرِّ؛ كأنَّها التي كُرِّرَ فيهَا البَرْدُ وكُثِّرَ فهيَ تُحرِقُ بشِدَّة بَرْدِهَا.

﴿عَاتِيَةٍ﴾: شَديدةِ العَصْفِ والعُتوّ، استعارةٌ، أو: عَتَتْ على عَادٍ فما قدَرُوا على رَدِّهَا بحِيلةٍ من استِتارٍ ببنَاءٍ أو لِيَاذٍ بجبَلٍ أو اختِفاءٍ في حُفرةٍ، فإنَّها كانت تَنْزِعُهم من مكامِنهم وتُهْلِكُهم.

وقيل: عتَتْ على خُزَّانِها فخرَجَتْ بلا كيْلٍ ولا وَزْنٍ.

ورُوِي عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أَرْسَلَ الله سَفْيَةً من ريحٍ إلَّا بمِكْيالٍ، ولا قَطرةً من مَطرٍ إلَّا بمكْيالٍ، ....

قوله: (مِن اسْتِتارٍ) بَيانُ "حِيلَة".

قوله: (سَفْيَةً) مرَّةً مِن: سَفَتِ الريحُ الترابَ تَسْفِيهِ سَفْيًا.

قولـه: (لعلّها)[١] عبارةُ الضمير يعود إلى الحالة أو القضيَّة التي دلَّ عليها هذا الحديث، وهو قولُه: (عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)... إلخ،[٢]

[١] ن: يعلّها.

[٢] الحديث في جامع البيان للطبري، ٢١٠/٢٣ (الحاقة، ٦/٦٩)، موقوفًا على ابن عبّاس رضي الله عنهما.

إلَّا يومَ عادٍ ويومَ نُوحٍ فإنَّ الماءَ يومَ نُوحٍ طغَى على الخُزَّانِ فلم يكُنْ لَهُم عَلَيه سَبيلٌ»، ثُمَّ قرأَ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ «وإنَّ الرِّيحَ يَوم عادٍ عَتَتْ على الخُزَّانِ فلم يكُن لَهُم عَلَيها سَبيلٌ»، ثم قَرأَ: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

ولعَلَّهَا عبَارةٌ عن الشِّدَّة والإفْرَاطِ فيها.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾

"الحسُوم": لا يَخلُو مِن أن يكونَ جمْعَ حاسِمٍ كشُهُودٍ وقُعُودٍ، أو مَصْدرًا كالشُّكُور والكُفُور:

فإن كان جمعًا: فمَعْنَى قَولـه: ﴿حُسُومًا﴾: نَحِساتٍ حَسَمَتْ كُلَّ خيْرٍ واستأصَلَتْ كُلَّ برَكَةٍ، أو مُتَتابِعَةَ هبُوبِ الرِّياح: ما خَفَتَتْ سَاعةً حَتَّى أتَتْ عَلَيْهم،

والظاهر أنَّ الضمِير مِن "لعلَّها" يعودُ إلى هذا الحديث المَروِيّ، وتأنيثُ الضمير باعتبار الخبر، وهو "عبارَةٌ"، يعني: لعلَّ / هذا الحديث عبارة عن شِدَّة الريح، وقوله: (فيها) أي: في الريح. [٤٢١ظ]

قوله: (فمعنى) مبتدأٌ، خبرُه (نَحِسَات)،[١] وإنَّما نصَبَهما على طريق الحكاية؛ لأنَّه تفسيرُ ﴿حُسُومًا﴾، ثمّ أشار إلى أنّه إذا كان جَمْعًا يكون صفةَ ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾، ويكون إمّا مِن الحَسْم بمعنى القطع، ومعناه: نَحِساتٍ،[٢] على الوَجه الذي بيَّنه،[٣] مثل قوله تعالى: ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾[٤] [فصلت ١٦/٤١]، وإمّا مِن الحَسْم بمعنى تتابع الكَيِّ، ويكون المعنى: أنَّ هبوب الرياح كان متتابعًا فيه، فقوله: (هبوبَ الرياح) نُصِب على التمييز[٥] وإن كان معرفةً. وقوله: (ما خَفَتَتْ ساعةً) جملة مبيِّنة، والصواب: أنّه إذا كان جَمعًا كان حالًا مِن الضمير المفعول لا صفةً؛ لمَا مرَّ أنّ في مِثلِه يوصف تمييزُ[٦] العددِ لا العددُ، كقوله تعالى: ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف ٤٣/١٢].

---

[١] ن: نحساد.
[٢] ن: فحسات.
[٣] ن: بيّنته.
[٤] ن: نخسات.
[٥] ن: التميز.
[٦] ن: تميز.

تمثِيلًا لِتَتابُعها بتَتَابُعِ فِعل الحاسِمِ في إعادة الكَيِّ على الدَّاءِ كَرَّةً بعدَ أُخرَى حَتَّى يَنْحسمَ.

وإن كان مَصْدرًا: فإمَّا أن ينتَصِبَ بفِعْله مُضمرًا؛ أي: تَحْسِمُ حُسُومًا، بمَعْنى: تستأصِلُ استِئْصَالًا، أو تكونَ صفةً كقَولك: ذاتَ حُسُومٍ، أو تكونَ مفعولًا له؛ أي: سخَّرهَا علَيهم للاستئصال.

وقال عبْدُ العزيزِ بن زُرَارَةَ الكِلابيُّ:

فَفَرَّقَ بَيْنَ بَيْنَهُم زمَانٌ تَتَابَعَ فيه أَعْوَامٌ حُسُومُ

وقرأ السُّدِّيُّ: "حَسُومًا" بالفَتحِ حَالًا من الرِّيحِ؛ أي: سخَّرَها عليهم مُستَأصِلةً.

وقيل: هي أيَّامُ العَجُوزِ، وذلك أَنَّ عَجُوزًا من عَادٍ تَوارَتْ في سَرَبٍ فانتَزَعَتْها الرِّيحُ في اليَوْم الثَّامِن فأَهْلكَتْها.

وقيل: هي أيَّامُ العَجُزِ وهي آخِرُ الشِّتاء، وأَسْماؤُهَا: الصِّنُّ والصِّنَّبْرُ والوَبْر، والآمِرُ والمُؤتمِرُ والمُعَلِّلُ ومُطْفِئُ الجَمْر، وقيل: مكْفِئُ الظُّعُن.

ومعنى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾: سَلَّطَها عَلَيْهم كما شاء.

قوله: (بينَ بينَهم) "بينَ" الأوّل مُقْحَمٌ تأكيدًا، وأنا أقول: يحتمل أن يكون الثاني بمعنى الوصل، فالأوّل غير مُقْحَمٍ، فإن كان مُقْحَمًا فالوَجه فَتحُ "بينَ" الثاني؛ لأنّه يكون تكريرًا للأوّل، وإن كان بمعنى الوصل -وهو ظاهر- فيُكسَر.

قوله: (الصِّنُّ)... إلخ، "الصِّنُّ" بالكسر: بَول الوَبْر، وهو مُنتِنٌ، وصنابِر الشتاء: شدَّةُ بَردِه، وكذلك "الصِّنَّبِر" بتشديد النون وكسر الباء، قال طَرَفَة:

بِجِفَانٍ تَعْتَرِي مَجْلِسَنَا وسَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصِّنَّبِرْ[1]

و"الصِّنَّبر" بتسكين الباء: يومٌ مِن أيَّام العَجوز، ويحتمل أن يكونا بمعنًى، وإنّما حُرِّكت الباء للضرورة. و"الوَبْرُ" دويبَّة على قدر السِّنَّوْر[2] غَبْراء، صغيرة الذَّنَب، حسَنةُ العَينين، شديدة الحَياء، تُرْجَنُ في البُيوت، أي: تُحبَس وتُعلَّم،

---

[1] ديوان طرفة بن العبد، ص ٤٣، بلفظ: "نادينا" بدل "مجلسنا".

[2] ن: اكسنور.

﴿فِيهَا﴾: في مَهَابِّها، أو في اللَّيالِي والأيَّام.

وقرئ: "أعجازُ نخيلٍ".

﴿مِنۢ بَاقِيَةٍ﴾: من بقيَّةٍ، أو: مِن نفْسٍ باقِيَةٍ، أو: مِن بَقاءٍ؛ كالطَّاغيةِ: بمَعْنى الطُّغيَانِ.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾

﴿وَمَنْ قِبَلَهُۥ﴾ يُرِيدُ: ومَن عِندهُ مِن تُبَّاعِه، وقرئ: ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾؛ أي: ومَن تقدَّمَهُ،

الواحدة: وَبْرةٌ، قال في جَمعِ التَّفاريقِ:[١] «تُؤكَلُ لأنَّها تَعتلِف البُقول»، و"الائتمار" و"الاستئمار": المشاوَرة، قال الشاعر:

فَـبِــآمِـرٍ وَأَخِـيــهِ مُـؤْتَـمِـرٍ...[٢]

فهما يومان مِن أيَّام العَجوز؛[٣] كأنَّ الأوّل مِنهما يأمر الناس بالحَذَر، والآخرَ يشاوِرُهم في الظعْن والإقامة، و"المُعَلِّل" يوم مِن أيَّام العَجوز؛ لأنَّه يُعلِّل الناس بشيء مِن تخفيف البَرْدِ، و"الكفاء" بالمَدِّ والكسر: شُقَّة أو شُقَّتان تُنصَحُ إحداهما بالأخرى ثمّ يُخَلُّ به مؤخَّر الخِباء، تقول منه: أكفأت[٤] البَيت إكْفاءً، و"الظَّعينة" الهَودَج كانت فيه امرأةٌ أو لم تكن، والجمع: ظُعْن وظُعُن وظعائن.

قوله: (﴿فِيهَا﴾ في مهابّها)... إلخ، يجوز أن يكون الضمير مِن "فيها" يعود إلى الريح، ويكون المضاف محذوفًا، فيكون ظرفَ مكان، ويجوز أن يعود إلى الأيَّامِ، ويكون ظرفَ زمان.

قوله: (ومَن تقدَّمَه) أي: زمانًا.

---

[١] جمع التفاريق في الفروع للإمام أبي الفضل محمد بن أبي القاسم البقالي الحنفي (ت. ٥٦٢هـ/١١٦٦م). انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة، ٥٩٦/١.

[٢] جاء في لسان العرب لابن منظور، «أمر»: «قال أبو شِبلٍ الأعرابي:

كُسِعَ الشِّتاءُ بِسَبعةٍ غُبْرِ
بِالصِّنِّ والصِّنَّبْرِ والوَبْرِ
وبِآمِرٍ وأخِيهِ مُؤتَمِرٍ
ومُعَلِّلٍ وبِمُطفِئِ الجَمْرِ»

[٣] ن: الغجور.

[٤] ن: اكفاءة.

وتعْضُدُ الأُولَى قراءةُ عَبْد الله وأُبَيّ: "ومَن معَه"، وقِراءةُ أبي مُوسَى: "ومَن تِلقَاءَهُ".

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾: قرى قومِ لوطٍ ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: بالخَطَأ، أو: بالفَعْلَة -أو الأَفْعَالِ- ذاتِ الخطَأ العَظيم.

﴿رَّابِيَةً﴾: شَدِيدةً زَائدةً في الشِّدة كما زَادَتْ قبَائحُهُمْ في القُبْحِ، يُقالُ: رَبَا الشَّيءُ يَرْبُو: إذا زَادَ ﴿لِيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الروم ٣٠/٣٩].

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾: حملْنَا آبَاءكُم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾: في سَفينةِ نُوحٍ؛ لأَنَّهُم إذَا كانوا من نَسْل المحمُولِينَ النَّاجِين كان حَمْلُ آبائِهِمْ مِنَّةً علَيْهم وكَأَنَّهُم هُم المحْمُولُونَ؛ لأنَّ نجَاتَهُم سَبَبُ ولادتِهِم.

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ الضميرُ للفَعْلَة: وهي نجاةُ المؤمِنينَ وإغراقُ الكَفرةِ.

﴿تَذْكِرَةً﴾: عِظَةً وعِبْرةً.

﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: مِن شأنِها أَنْ تَعيَ وتحفَظَ ما سَمعَتْ به ولا تُضَيِّعَهُ بِتَرك العَمَلِ، وكُلُّ ما حَفِظْتَهُ في نفْسِك فَقَد وَعَيْتَهُ، وما حَفِظْتَهُ في غيْر نفْسِك فقَد أَوْعَيْتَهُ؛ كقولك: أَوْعَيْتُ الشَّيءَ في الظَّرْف.

قوله: (ومَن تِلقاءَه) "تِلقاءَه" نُصِب على الظرف، والجملةُ صِلة "مَنْ".

قوله: (بالخطأ) الخطأ: نقيض الصواب، وقد يُمَدُّ، وقُرِئَ بهما[١] قولُه تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ [النساء ٤/٩٢].

قوله: (﴿لِيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الروم ٣٠/٣٩]) هذا استشهادٌ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم ٣٠/٣٩].

---

١ القراءة بالمدّ شاذّة، وهي قراءة الأعمش، قال القرطبي: «وقرأ الأعمشُ "خطاء" ممدودًا في المواضع الثلاث». تفسير القرطبي، ٥/٣١٣ (النساء، ٤/٩٢).

وعن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال لعَليٍّ عند نزُول هذه الآية: «سَألتُ الله أن يجعَلَها أُذُنَكَ يا عليُّ»، قال عليٌّ: فما نَسيتُ شَيئًا بَعْدُ وما كان لي أن أنسَى.

فإن قلتَ: لِمَ قيل: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ على التَّوحيدِ والتَّنكيرِ؟

قلتُ: للإيذانِ بأنَّ الوُعَاةَ فيهم قِلَّةٌ، ولتَوْبيخِ النَّاسِ بقلَّةِ مَن يَعِي مِنهم، وللدَّلالة على أنَّ الأُذنَ الواحِدَة إذا وَعَتْ وعَقَلَتْ عن الله فَهِيَ السَّوادُ الأَعْظمُ عند اللهِ، وأنَّ ما سِوَاهَا لا يُبَالَى بهِمْ بَالَةً وإنْ مَلَؤوا ما بين الخَافِقينِ.

وقرئ: "وتعْيَها" بسُكون العَيْن للتَّخفيف، شُبِّه "تَعِيَ" بكَبِدٍ.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣﴾

أُسنِد الفعل إلى المصدر وحَسُنَ تَذكيرُه للفَصْل، وقرأ أبو السَّمال: "نفخةً واحدةً" بالنَّصب مُسْنِدًا لِلفعْلِ إلى الجارِّ والمجرُورِ.

فإن قلتَ: هُما نفختَانِ، فلِمَ قيل: ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؟

قلتُ: معناهُ: أنَّها لا تُثنَّى في وَقتها.

فإن قلتَ: فأيُّ النَّفْختَيْنِ هيَ؟

قلتُ: الأُولَى؛ لأنَّ عنْدَها فسَادَ العالَم، وهكذا الرِّوايةُ عن ابن عبَّاسٍ، وقَدْ رُوي عنه أنَّها الثَّانيةُ.

فإن قلتَ: أمَا قال بَعْدُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [الحاقة ١٨/٦٩] والعَرْضُ إنَّما هو عِند النَّفخة الثانية؟

قلتُ: جُعِلَ اليومُ اسمًا للحينِ الوَاسِعِ الَّذِي تَقعُ فيهِ النَّفختَانِ والصَّعْقةُ والنُّشورُ والوقُوفُ والحسَابُ، فلِذلك قيل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ كما تقُولُ: "جئتُه عَامَ كَذا" وإنَّما كان مجيئُكَ في وَقْتٍ واحدٍ من أوْقَاتِه.

[٤٢٢و] قوله: (سألتُ الله أن يَجعلَها) أي: يجعلَ / الأذنَ الواعيةَ.

قوله: (لا يُبالي بهم) يقولون: ما أُباليهِ بالةً، مثل: عافاه عافية.

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ١٤﴾

﴿وَحُمِلَتِ﴾: ورُفعَتْ من جِهاتِها بريحٍ بَلَغتْ مِن قُوَّةِ عَصْفِها أنَّها تحملُ الأرْضَ والجِبالَ، أو بخَلْقٍ من المَلائكةِ، أو بقُدْرةِ اللهِ من غيرِ سَببٍ.

وقرئ: "وحُمِّلَت" بحَذْفِ المُحمِّلِ وهُو أحَدُ الثَّلاثةِ.

﴿فَدُكَّتَا﴾: فَدُكَّتِ الجُمْلتَانِ: جُمْلةُ الأرضِينَ وجُمْلَةُ الجِبَالِ، فضُرِبَ بَعْضُها بِبعْضٍ حتَّى تَنْدَقَّ وتَرْجِعَ كَثِيبًا مَهيلًا وهَبَاءً مُنبثًّا. والدكُّ أبْلَغُ من الدَّقِّ.

وقيل: فبُسِطتَا بَسْطةً وَاحِدةً فصَارَتَا أَرْضًا لا ترَى فيها عِوَجًا ولا أمْتًا، مِن قَولك: "اندَكَّ السَّنَامُ": إذا تفرَّش، وبَعيرٌ أدَكُّ وناقَةٌ دَكَّاءُ، ومنه: الدُّكَّانُ.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ١٧﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: فحينئذٍ نزَلَتِ النَّازلَةُ وهيَ القِيَامةُ.

﴿وَاهِيَةٌ﴾: مُسْتَرْخِيَةٌ سَاقِطةُ القُوَّة جِدًّا بَعْدَ ما كانَت مُحكَمةً مُستمْسِكةً.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ يُريدُ: والخَلْقُ الذي يُقالُ له المَلَكُ، ورُدَّ إلَيْه الضَّميرُ مَجْمُوعًا في قولِه: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ على المَعْنى.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بينَ قَولِهِ: ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ وبينَ أن يُقال: والملائكةُ؟

قلتُ: المَلَكُ أعَمُّ من المَلائكةِ، ألَا ترى أنَّ قولَك: "ما مِن مَلَكٍ إلَّا وَهُو شاهِدٌ" أعَمُّ مِن قوْلك: "ما مِن ملَائكةٍ".

﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾: على جَوانِبِها، الوَاحدُ: رَجًا مَقصُورٌ، يَعْني: أنَّها تنشَقُّ وهي مَسْكَنُ المَلائكة، فيَنضَوُونَ إلى أطْرافها وما حَوْلَها من حَافاتِهَا.

قوله: (بحذف المُحمِّل) أي: بحذفِ ما حمَّلها، وهو أحد الثلاثة المذكورة، أي: الريح أو الملائكة أو القدرة.

قوله: (فيَنْضَوُونَ) أي: يلجئون.

﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾؛ أي: ثمانيةٌ مِنهم. وعن رسول الله عليه السلام: «هُم اليوْمَ أربعَةٌ، فإذا كان يَومُ القيامة أيَّدَهُم الله بأرْبَعةٍ آخَرِينَ فيَكونونَ ثمانيَة».

ورُوِي: ثمانيةُ أملاكٍ: أَرْجُلُهم في تَخُوم الأَرْضِ السَّابعةِ، والعَرْشُ فوقَ رُؤوسهم، وهُمْ مُطرِقُونَ مُسَبِّحُونَ.

وقيل: بَعْضُهم على صُورة الإنسانِ، وبعضُهم على صُورة الأسَد، وبعضُهم على صُورة الثَّوْر، وبَعْضُهم على صُورة النَّسْر.

وروي: ثمانيَةُ أَمْلاكٍ في خَلْقِ الأوْعَالِ ما بَيْنَ أَظْلافِها إلى رُكَبِها مَسِيرةُ سَبْعِين عامًا.

وعن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ: أَرْبَعةٌ منهم يقُولُونَ: سُبحَانكَ اللّٰهمَّ وبحَمْدِك لكَ الحَمْدُ على عَفْوِكَ بعْدَ قُدْرَتِكَ، وأرْبَعةٌ يقُولُونَ: سُبحانكَ اللّٰهُمَّ وبحَمدِكَ لكَ الحمْدُ على حلْمِكَ بعدَ عِلْمكَ.

وعن الحسن: اللهُ أَعْلمُ كَمْ هُمْ: أَثمَانِيةٌ أَمْ ثَمانِيةُ آلافٍ؟

وعن الضَّحَّاك: ثمَانيةُ صُفُوفٍ لا يَعْلَمُ عدَدَهُم إلَّا اللهُ.

ويجوز أن تكونَ الثَّمانيةُ من الرُّوحِ أو من خَلْقٍ آخَر، فهُو القادرُ على كلِّ خَلْقٍ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يسٓ ٣٦/٣٦].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾

"العَرْضُ": عبَارةٌ عن المُحاسَبةِ والمُسَاءَلةِ، شُبِّهَ ذلك بعَرْضِ السُّلطانِ العَسْكَرَ لِتَعرُّفِ أَحْواله.

قوله: (في تُخُومِ الأرض) تخوم: جمع تَخْم؛ وهو مُنتَهى كلِّ قرية وأرض، وقيل: هو حَدُّها.

قوله: (مِن الرُّوح) "الرُّوح" خلقهم الله تعالى ألطفَ مِن الملائكة.

ورُويَ أنَّ في يَوم القِيامة ثلاثَ عَرَضاتٍ: فأمَّا عَرْضَتانِ فاعتِذارٌ واحتِجاجٌ وتوبيخٌ، وأمَّا الثَّالثةُ ففِيها تُنْشَرُ الكتُبُ، فيَأْخذُ الفَائزُ كِتابَه بيَمِينِه والهَالِكُ كِتابَه بشِمَالِه.

﴿خَافِيَةٌ﴾: سَريرَةٌ وحَالٌ كانَتْ تَخْفَى في الدُّنيا بسَتْرِ الله عَليكم.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَأَمَّا﴾ تَفصيلٌ للعَرْضِ.

"هَاء": صَوْتٌ يُصَوَّتُ بِهِ فيُفْهَمُ مِنه مَعْنَى خُذْ؛ كَأُفٍّ وحَسِّ ومَا أَشْبَه ذلك.

و﴿كِتَٰبَهُۥ﴾ منصُوبٌ بـ﴿هَآؤُمُ﴾ عِند الكوفِيينَ، وعِنْد البَصْريين بـ﴿ٱقْرَءُوا۟﴾ لأنَّه أَقربُ العَامِلَيْنِ، وأصلُهُ: هَاؤُمُ كتَابِي اقرَؤوا كِتَابِيَه، فحُذِفَ الأَوَّلُ لدَلالَةِ الثَّانِي عليهِ، ونظيرُه ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف ٩٦/١٨] قالُوا: ولو كان العَامِلُ الأوَّلَ لقيل: اِقْرَؤوهُ، و: أُفرِغْهُ.

والهَاءُ للسَّكْتِ في ﴿كِتَٰبَهُۥ﴾، وكذلك في ﴿حِسَابِيَهْ﴾ و﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ وحَقُّ هذِه الهاءاتِ أن تَثْبتَ في الوَقْفِ وتَسْقُطَ في الوَصْل، وقد استُحِبَّ إيثارُ الوَقف إيثارًا لِثباتها في المُصحَفِ.

وقيل: لا بأسَ بالوَصْلِ والإسقاطِ.

وقرأ ابنُ مُحَيْصنٍ بإسْكانِ الياء بغيْر هاءٍ.

وقرأ جماعةٌ بإثباتِ الهاء في الوَصْلِ والوَقْفِ جَميعًا لاتِّباعِ المصحَفِ.

قوله: (﴿فَأَمَّا﴾ تَفصيلٌ للعَرْض)[1] يعني: أنّ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا﴾ لتفصيلِ ما قبله.

قوله: (وحَسِّ) حَسِّ:[2] كلمة تقال عند الوَجع.

---

[1] ن: العرض.

[2] ف + وحسّ.

﴿ظَنَنتُ﴾: علِمتُ، وإنَّما أُجْرِي الظَّنُّ مُجْرَى العِلْمِ لأنَّ الظَّنَّ الغالبَ يُقامُ مَقامَ العِلم في العَاداتِ والأحكام، ويُقال: أَظُنُّ ظَنًّا كاليَقينِ أَنَّ الأَمْرَ كَيْت وكيْتِ.

﴿رَاضِيَةٍ﴾: مَنسُوبةٍ إلى الرِّضَا كالدَّارعِ والنَّابِل، والنسبَةُ نِسبتَانِ: نسبَةٌ بالحَرْفِ ونسبَةٌ بالصِّيغَةِ، أو جُعل الفِعلُ لهَا مجَازًا وهُو لصَاحِبهَا.

﴿عَالِيَةٍ﴾: مُرْتَفِعَةِ المكانِ في السَّماء، أو رَفيعَةِ الدَّرجَاتِ، أو رَفيعَةِ المبَانِي والقُصُورِ والأشجارِ.

﴿دَانِيَةٌ﴾ ينالُهَا القاعِدُ والنَّائمُ، يقال لَهُم: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾: أكلًا وشُرْبًا هنيئًا، أو: هَنِئتُم هَنيئًا، على المصْدَرِ.

﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾: بما قَدَّمتُم من الأَعمالِ الصَّالِحة ﴿فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾: الماضيةِ من أيَّام الدُّنيا.

وعن مُجاهِدٍ: أيَّامِ الصِّيامِ؛ أي: كُلُوا واشرَبُوا بدَلَ ما أَمْسَكتُم عن الأَكْل والشُّربِ لوجْه اللهِ.

ورُوي: يقُول اللهُ: يا أَوْليَائِي، طالَما نَظرْتُ إليكم في الدُّنيا وقد قَلَّصَت شِفاهكُم عن الأَشْربة، وغارَتْ أَعْينُكُم وخَمَصَتْ بُطُونكُم، فكُونُوا اليَوْمَ في نعيمكم و﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾

الضَّميرُ في ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ لِلمَوْتة، يقُول: يا ليْتَ المَوْتَةَ التي مُتُّهَا ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾؛ أي: القَاطِعَةَ لأَمْرِي فلَم أُبْعَثْ بعْدَها ولَم أَلْقَ ما أَلْقَى. أو لِلحالَةِ؛ أي: لَيْتَ هذه الحالَة كانت الموتَةَ التي قضَتْ عَليَّ؛ لأنَّه رأى تِلك الحالةَ أَبْشَعَ وأَمرَّ ممَّا ذاقَهُ من مَرارة المَوْتِ وشِدَّته فتَمَنَّاهُ عِندَها.

قوله: (الفِعلَ) أي: الرِّضى، وقوله: (لها) أي: للعِيشة.

قوله: (وقد قَلَصَتْ) أي: انضَوَتْ وانضمَّت.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ نَفيٌ، أو استِفهامٌ على وَجْهِ الإنكارِ؛ أي: أَيُّ شيءٍ أَغْنَى عَنّي ما كان لِي من اليَسار؟

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾: مُلْكِي وتَسَلُّطي على النَّاس، وبقيتُ فقيرًا ذليلًا.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: أنَّها نزَلتْ في الأَسْوَدِ بن عبْدِ الأسَد.

وعن فنَّاخُسْره المُلَقَّب بالعَضُدِ أنَّه لمَّا قال:

عَضُدَ الدَّولةِ وابنَ رُكْنِهَا مَلِكَ الأَفْلاكِ غَلَّابَ القَدَر

لم يُفْلِحْ بَعْده وجُنَّ، فكان لا يَنطِقُ لسَانُهُ إلَّا بِهذِه الآيَة.

وقال ابنُ عبَّاس: ضَلَّتْ عَنِّي حُجَّتِي، ومَعناه: بَطَلَتْ حُجَّتِي التي كُنْتُ أَحْتَجُّ بهَا في الدُّنيا.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ۝٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾

﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾: ثُمَّ لا تُصَلُّوه إلَّا الجحيمَ وهي النَّارُ العُظْمَى؛ لأنَّهُ كان سُلْطانًا يتَعَظَّمُ على النَّاس، يُقال: صَلَى النَّارَ وصَلَاهُ النَّارَ.

"سَلْكُه في السِّلْسِلَة": أن تُلْوَى على جسَدِه حَتَّى تلتَفَّ عَليْه أثناؤُهَا، وهُو فيما بَيْنها مُرْهَقٌ مُضيَّقٌ عَليه لا يَقْدِرُ على حَرَكةٍ، وجَعَلَها سَبْعِينَ ذِرَاعًا إِرَادةَ الوَصْفِ بالطُّولِ؛ كما قال: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ﴾ [التوبة ٩/٨٠] يُريدُ: مَرَّاتٍ كثيرَةً؛ لأنَّها إذا طَالَتْ كان الإرْهَاقُ أشَدَّ.

قوله: (فقيرًا) لعدم المال، وقوله: (ذليلًا) لعدم السلطان.

قوله -شعر-:

(عَضُدَ الدَّولَةِ وابنَ رُكْنِها مَلِكَ الأمْلاكِ غَلَّابَ القَدَر)[١]

أي: ركنُ الدولة.

---

[١] انظر: تجارب الأمم لأبي عليّ مسكويه، ١/٣٩.

والمَعْنَى في تَقديم السِّلْسلَة على السَّلْكِ مِثْلُه في تقْدِيم الجَحِيمِ على التَّصْليَةِ؛ أي: لا تَسْلُكُوه إلَّا في هذه السِّلسلَةِ كأنَّها أفظَعُ من سائر مَواضِع الإرهاقِ في الجَحيم.

ومَعْنى: ﴿ثُمَّ﴾ الدَّلالةُ على تَفاوُتِ ما بين الغَلِّ والتَّصْلِيَةِ بالجَحيم، وما بَيْنها وبيْنَ السَّلْكِ في السِّلْسِلة، لا عَلى تَراخِي المُدَّة.

﴿إِنَّهُۥ﴾ تعْليلٌ على طَريق الاستئْنافِ وهو أبْلَغُ؛ كأنَّه قِيل: ما له يُعَذَّبُ هذا العذابَ الشَّديدَ؟ فأُجِيبَ بذلِك.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ دَليلانِ قَويَّانِ على عِظَم الجُرْمِ في حِرْمانِ المِسْكينِ:

أحَدُهما: عَطفُه على الكُفْر وجَعْلُه قرينةً لهُ.

والثَّاني: ذِكرُ الحَضِّ دُونَ الفِعْل؛ ليُعْلَم أنَّ تَارِكَ الحَضِّ بهذِهِ المَنْزلةِ فكيْفَ بتارِك الفِعل؟

وما أَحْسنَ قولَ القائلِ:

إذا نَـزلَ الأَضْـيَـافُ كـانَ عَـذَوَّرًا على الحيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ

قوله:

(إذَا نَـزَلَ الأَضْـيـافُ كـانَ عَـذَوَّرًا[1] علَى الحَيِّ حتى تَستَقِلَّ مَرَاجِلُـه)[2]

"العَذَوَّرُ"[3] بالعين المهملة: السيّء[4] الخُلُق القليل[5] الصبر فيما يطلُبُه ويَهُمُّ[6] به، و"المَراجل" جمع المِرجَل؛ وهي القِدْر العظيمة النُّحاسيّة، واستقلالها:[7] انتصابُها على الأثافيّ، و"تستقلّ" أي: تُنصَب، يصِفُهُ بأنّه يجمع الحيَّ لأمرِه فيُطاع لسيادته[8]

---

[1] ن: غدوّرا.

[2] ذكره ابن منظور في لسان العرب، «عذر»، ونسبه إلى زينب بنت الطَّثْريّة ترثي أخاها يزيد.

[3] ن: الغدوّر.

[4] ن: السيّي.

[5] ن: بقليل.

[6] ن: ويصمّ.

[7] ن: واستعلالها.

[8] ن: لسادته.

يُرِيدُ: حَضَّهم على القِرَى واستَعْجَلَهُم وتشَاكَسَ عليهم.

وعن أبي الدَّرْداء: أنَّه كان يَحُضُّ امْرأتَه على تكثير المَرَقِ لأَجْلِ المسَاكين، وكان يقُولُ: خَلعْنَا نصْفَ السِّلْسلةِ بالإيمانِ أفَلَا نَخْلَعُ نصْفَها.

وقيل: هُو مَنْعُ الكُفَّارِ، وقَوْلُهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾ [يس ٣٦/٤٧]، والمَعْنى على بَذْل طعَام المِسكين.

﴿حَمِيمٌ﴾: قريبٌ يَدْفعُ عنه ويَحْزَنُ علَيْه؛ لأنَّهُم يتحَامَوْنَهُ ويَفِرُّونَ مِنه؛ كقَوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج ٧٠/١٠].

و"الغِسْلينُ": غُسَالةُ أَهْلِ النَّارِ، وما يَسيلُ من أَبْدانِهم من الصَّديد والدَّمِ، فِعْلِينٌ من الغَسْلِ.

﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾: الآثمُونَ أَصْحَابُ الخطَايا، وخَطِئَ الرَّجُلُ: إذا تعمَّد الذَّنْبَ، وهُم المُشْرِكُون:

عن ابن عبَّاس.

وقرِئ: "الخاطِيُونَ" بإبْدالِ الهَمزة ياءً، و: ﴿الخاطُونَ﴾ بطَرْحِهَا.

وعن ابن عبَّاس: ما الخاطُونَ؟! كُلُّنا نَخطُو.

وجلالة محَلِّه، فإذا نزل به الأضياف قام بنفسه في إقامة القِرى لهم غير معتَمِدٍ على أحدٍ فيه، وإنّه يَعْرِض له في خُلقِه عجَلة يركبها، ويُشَدِّد في الأمر والنهي على جماعة الحيّ حتى تُنصَبَ المَراجل وتُهَيّأ المطاعم، فإذا ارتفع ذلك على مراده عاد إلى خُلقِه الأوّل.

قوله: (يريد: حَضَّهم) أي: يريد الشاعر: حضَّهُم، و"حضَّهُم" فعلٌ ماضٍ.

قوله: (بطَرْحِها) أي: بطرح الهمزة ونقلِ حركتِها إلى الطاء، عن عكرمة: «قرأنا بهذه القراءة عند[1] ابن عبَّاس رضي الله عنهم، فقال: مَهْ كلُّنا نخطو»، ثمّ قال: ﴿إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾.

---

[1] ف: عبد الله.

ورَوَى عَنه أبُو الأَسْوَد الدُّؤَليُّ: ما الخَاطُونَ؟! إنَّما هُو ﴿ٱلْخَـٰطِـُٔونَ﴾، ما الصَّابُونَ؟! إنما هو ﴿الصَّابِئُونَ﴾.

ويجوز أن يُرادَ: الَّذِين يتخَطَّونَ الحَقَّ إلى البَاطلِ ويتَعدَّونَ حُدُودَ الله.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣﴾

هُو إقسامٌ بالأَشيَاءِ كُلِّها على الشُّمول والإحَاطَةِ؛ لأنَّها لا تَخْرُج مِن قِسْمَيْنِ: مُبْصَرٍ وغَيْرِ مُبْصَرٍ.

وقيل: الدُّنيا والآخِرةُ والأجسَامُ والأَرْوَاحُ والإنسُ والجنُّ والخَلْقُ والخالِقُ والنِّعمُ الظَّاهرةُ والبَاطنةُ.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ هذا القُرآنَ ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾؛ أي: يَقُولُه ويَتكلَّمُ بهِ على وَجْهِ الرِّسالة من عندِ الله.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖ﴾ ولا كاهِنٍ كما تَدَّعُونَ.

والقِلَّةُ في مَعْنى العَدم؛ أي: لا تُؤمِنُونَ ولا تَذكَّرُونَ البَتَّةَ، والمعنى: ما أكفَرَكُم وما أَغفلَكُم.

﴿تَنزِيلٞ﴾: هُوَ تَنْزيلٌ، بيَانًا لِأنَّه قَولُ رَسُولٍ نُزِّلَ عليه ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وقرأ أبو السَّمَّالِ: "تَنْزِيلًا"؛ أي: نُزِّلَ تنزِيلًا.

وقيل: الرَّسُولُ الكريمُ جِبْريلُ.

قوله: (والقِلَّة في مَعنى العَدم) تستعمل[١] القِلَّة بمعنى العدم[٢] لقُرب ما بينهما، ثمّ لمّا أكّد "قليلًا" بـ"ما" صار بمعنى: ما تؤمنون البتّة، فأفاد المبالغةَ، وتولَّد منه معنى التعجُّب، فكأنّه قيل: ما أكفَرَكم!

---

[١] ن: يستعمل.

[٢] ن: القدم.

وقولُه: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ دليلٌ على أنَّه محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ المَغنى على إثباتِ أنَّه رَسُولٌ لا شاعرٌ ولا كاهِنٌ.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

"التَّقَوُّلُ": افتِعالُ القَوْلِ لأنَّ فيه تَكَلُّفًا من المُفتَعِلِ، وسَمَّى الأَقْوالَ المُتَقَوَّلةَ أقاوِيلَ تصْغِيرًا بِهَا وتحقيرًا؛ كقولكَ: الأَعَاجِيبُ والأَضاحِيكُ؛ كأنَّها جَمْعُ أُفعُولةٍ من القَوْل، والمَعْنى: ولو ادَّعَى عَلَينا شَيئًا لم نَقُلْهُ لقَتلنَاهُ صَبْرًا كما يَفْعَلُ المُلوكُ بمَنْ يتكذَّبَ عَلَيْهم مُعَاجَلةً بالسَّخطِ ....

قوله: (وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ دليلٌ) هذا ردٌّ من المصنِّف لهذا القول.

قوله: (لأنّ المعنى على إثبات)... إلخ، وإذا كان المعنى إثبات أنّه رسول لا شاعر وجبَ أن يكون المراد به النبيَّ عليه الصلاة والسلام، لا جبريلَ عليه الصلاة والسلام؛ لأنّ الكفّار كانوا يطعنون في النبيّ عليه الصلاة والسلام بأنّه شاعر أو كاهِن، لا في جبريلَ صلواتُ الرحمن عليه.

قوله: (كأنّها[1] جمع أُفعُولة مِن القَول) جمع أُقوُولة؛ كالأعاجيبِ جمع أُعجُوبة، والأَضاحيك جمع أُضْحُوكة، وإنّما قال: "كأنّها" ولم يجزِم[2] لأنّها تحتمل[3] أن يكون جمع أقوال جمعِ قول؛ كأنْعام وأناعيم، وإنّما لم يُصرِّح بذلك الاحتمال الآخر؛ لأنّ المناسب لهذا المقام أن يكون جمع أُفعُولة لِما[4] ذكر.

قوله: (مُعاجَلةً) متعلِّق بقوله: (لقَتَلْناه) أي: لانتقمنا منه في الدنيا / ولا نُؤخِّرُه إلى عذاب الآخرة؛ بل نؤاخذه في الحال. ثمّ إنّ "السُّخْط" و"السَّخَط" [٤٢٢ظ]
خلاف الرضى، فيجوز أن يريد بالسَّخَط ما هو لازمه مِن القتل والتعذيب،

---

[1] ف: كما.
[2] ن: يحزم.
[3] ن: يحتمل.
[4] ن: بما.

والانْتِقامِ، فصَوَّر قَتْلَ الصَّبْر بصُورَتِه ليَكُونَ أَهْوَلَ: وهُو أَنْ يُؤْخَذ بيَدِه وتُضرَبَ رَقَبَتُه.

فيكون قوله: (والانتقام) مِن العطف الذي يكون للبيان، ويجوز أن يريد بالسَّخَط معناه الحقيقيَّ، أي: معاجَلةً بالغضب والانتقام، أي: غضب عليه في الحال، وكذا انتقم منه في الحال، وقوله: (فصُوِّر) عطف على جملة قوله: (والمعنى)... إلخ، وقوله: (بصُورته) وقوله: (هو) الضميران يعودان إلى "قتل الصبر"، لا إلى القتل مطلقًا، فقتل الصبْر: هو أن يُؤخذ يد المقتول ويُضرَبَ عُنُقُه، سواء أُخذ يمينُه أو يسارُه، لكن إذا أُخذ يَمينُه ثمّ يقتل كان أشدَّ على المقتول؛ لنظره إلى السَّيف حينئذٍ.

قوله: (قتلُ الصَّبْر) صَبَرْتُ الرجل: حلَّفْتُه[١] صَبْرًا، أو قتلته صبْرًا، يُقال: قُتِل فلان صَبْرًا، وحُلِّف صَبْرًا؛[٢] إذا حُبِس على القتل حتى يُقتل، أو على اليمين حتى يَحْلِف، وكذلك: أَصْبَرْتُ الرجل؛ بالألِف، وفي حديث النبيّ عليه الصلاة والسلام في رجلٍ أمسك رجلًا وقتله آخر، قال: «اقتلوا القاتل، وأصبروا الصابر»،[٣] أي: احبسوا الذي حبسَه للموت حتّى يموت، هكذا فُسِّر هذا الحديثُ في[٤] صِحاح[٥] اللغة،[٦] وأنا أقول: الظاهر أنّ المعنى: أنّه عليه الصلاة والسلام أمرَ بقَتل القاتل قِصاصًا وبحَبسِ مَن أمسَكَه حتى قُتِل تَعْزيرًا.

قوله: (ليكونَ) اللام متعلِّق بقوله: (صُوِّر)، يريد أنّ المعنى: لَقَتَلناه صَبْرًا، لكن[٧] عَدَل عنه إلى قوله: ﴿لَأَخَذْنَا﴾... إلخ؛ ليَذْكُرَ صورةَ قَتْلِ الصبْرِ، فإنّ ذلك أهوَلُ[٨] مِن "لَقَتلناه صَبرًا"؛[٩] لأنّه كان يريدُ تلك الصورة[١٠] الهائلة.

---

[١] ن: خلفته.

[٢] ن – وحلِّف صبرًا.

[٣] سنن البيهقي، ٩١/٨ (١٦٠٣١)، وروى بسنده عن أبي عُبَيد: «قوله: "اصبِروا الصابر" يعني: احْبِسُوا الذي حَبَسَه».

[٤] ن – في.

[٥] ن: سحاح.

[٦] الصحاح للجوهري، «صبر».

[٧] ف: ولكن.

[٨] ف: أهون؛ ن: الهول.

[٩] ف – صبرًا.

[١٠] ن: الضرورة.

وخَصَّ اليَمينَ عن اليَسار لأنَّ القتَّالَ إذا أرَاد أن يُوقِعَ الضَّرْبَ في قَفَاه أخَذَ بيَسارِه، وإذا أرَادَ أن يُوقِعَهُ في جِيدِه وأَنْ يكْفحَهُ بالسَّيْفِ -وهوَ أشَدُّ على المَصْبُورِ؛ لِنَظَرِه إلى السَّيْف- أخذَ بيَمِينه، ومَعنى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾: لأَخَذنا بيَمِينه؛ كما أنَّ قَولَهُ: ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾: لقَطَعْنا وَتِينَهُ، وهذا بَيِّنٌ.

و"الوَتِينُ": نِيَاطُ القَلْبِ، وهُو حَبْلُ الوَرِيدِ: إذا قُطِعَ مات صاحِبُه.

وقرئ: "ولو تُقُوِّلَ" على البناء للمَفعُول.

قيل: ﴿حَٰجِزِينَ﴾ في وَصْفِ ﴿أَحَدٍ﴾ لأنَّه في مَعْنى الجمَاعة، وهو اسمٌ يَقعُ في النَّفْيِ العَامِّ مُستوِيًا فيه الواحِدُ والجميعُ والمذكَّر والمؤنَّثُ، ومِنه قولُه تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة ٢/٢٨٥] ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٢].

قوله: (وخُصّ اليمينُ عن اليَسارِ) أي: خُصّ اليمينُ بالذكر دون اليسار.

قوله: (أَخذَ بيساره)[1] أي: أخذَ يسارَ المقتول، فالباء في قوله: "بيَساره" زائدة.

قوله: (وأن يَكْفَحَه) كَفَحْتُه كِفَاحًا، أي: استقبلتُه كَفَّةً كَفَّةً.

قوله: (وهو أشدُّ) جملة معترِضة.

قوله: (ومعنى ﴿لَأَخَذْنَا﴾)... إلخ، فقوله: "منه" حالٌ مِن "اليَمينِ" قُدِّم عليه وإن كان ذو الحال مجرورًا؛ لأنّ الجارّ فيه زائدٌ فساغَ التقديم، وإنّما قال: (هذا[2] بيّن) في قوله: ﴿مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ إذ ليس في الوتين حرف الجرّ فلا يُتوهَّم فيه منع[3] التقديم.

قوله: (نِياطُ[4] القلب) ناطَ الشيءَ يَنوطُه نَوْطًا، أي: علَّقه، والنِّياطُ: عِرْقٌ عُلِّق به القلب إذا قُطع مات صاحبُه، وهو النِّيط أيضًا.

قوله: (﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾) قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ﴾... [الأحزاب ٣٣/٣٢].

---

١ ن: بيسار.
٢ ف - هذا.
٣ ف: معنى.
٤ ن: بِياط.

والضَّميرُ في ﴿عَنْهُ﴾ للقَتلِ؛ أي: لا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْكُم أن يَحْجُزَهُ عَن ذلك ويَدْفَعَهُ عَنْه.

أو لِرسُولِ الله؛ أي: لا تَقْدِرونَ أن تحجُزُوا عَنه القاتِلَ وتحُولُوا بَيْنَه وبَيْنَه.

والخطابُ لِلنَّاسِ، وكذلك في قَوْله: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ وهو إيعادٌ على التَّكذيب.

وقيل: الخطابُ لِلمُسْلمينَ، والمَعْنى: أَنَّ منهم ناسًا سَيكفُرونَ بالقُرآن.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ الضَّميرُ للقُرآن ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ على الكافرينَ بهِ المُكذِّبينَ له إذا رَأَوا ثوابَ المُصَدِّقينَ بهِ، أو لِلتكذيبِ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: وإِنَّ القُرآنَ لَلْيَقِينُ حَقُّ اليَقِينِ؛ كقولك: "هُو العَالِم حَقُّ العَالِم" و"جِدُّ العَالِم"، والمَعنى: لَعَيْنُ اليقينِ ومحضُ اليَقينِ.

﴿فَسَبِّحْ﴾ اللهَ بذكرِ اسْمِهِ ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ وهو قَوْلُه: "سُبْحَانَ اللهِ" واعْبُدْهُ شُكرًا

قوله: (عن ذلك) أي: عن ذلك القتل.

قوله: (والخطابُ) أي: في ﴿مِنكُم﴾.

قوله: (والمعنى) هذا على تقدير أن يكون الخطاب للمسلمين، وأمّا إذا كان الخطاب للناس فالمعنى: إنّا لنعلم أنّ بعضكم مُكذِّبون الآن، والمراد به التهديد.

قوله: (وَجِدُّ العَالِم) معناه: أنّ مَن سِواه مِن العلماء فهو بالإضافة إليه هزلٌ، والإضافة فيه وفي "حقّ العالِم" بمعنى "مِن".

[٤٢٣و] قوله: (والمعنى: / لَعَينُ اليقينِ) أي: نفسه.

قوله: (فسَبِّحِ اللهَ)... إلخ، أشار إلى أنّ معناه ليس مثلَ معنى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى ١/٨٧]، بل[١] مفعول "سبّح" محذوف، والباء في "باسم" مثله في قولك: ضربتُه بالسَّوط، فهو مفعولٌ ثانٍ بواسطة الحرف، والمضاف محذوف.

---

١ ف - بل.

على ما أَهَّلَك لهُ مِن إِيحائهِ إِليْكَ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورةَ الحَاقَّةِ حَاسبَهُ الله حسابًا يَسِيرًا».

قوله: (مِن إيحائِه)[1] بيانُ "مَا"، أي: شكرًا على إيحائِه.[2]

تمَّت السورة بحمد الله تعالى ومَنِّه وكرَمِه.

[1] ن: إبحائه.

[2] ن: إبحائه.

سورة المعارج

وتسمَّى: سورةَ الواقع، و: سأَلَ سائل،
وهي مكيةٌ، وهي ثلاثٌ أو أربعٌ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۞ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۞ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۞ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۞﴾

ضُمِّنَ ﴿سَأَلَ﴾ معنى: دعَا، فعُدِّيَ تعدِيَتَه؛ كأنَّه قيل: دَعَا دَاعٍ ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾، من قولك: دعَا بكذا، إذا استَدْعَاهُ وطلبَه، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ [الدخان ٤٤/٥٥].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ....

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (مِن قولك: دعا بكذا) متعلِّق بـ"دعا" مِن قولك: "معنى دعا"، لا بـ"دعا" في قولك: "قيل: دعا"، يُعرف بالتأمّل.

قوله: (ومنه) أي: ومِن "دعا" بمعنى استدعى.

قوله: (قوله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ [الدخان ٤٤/٥٥]) أي: يستَدعون في الجنَّة كلَّ فاكهة.

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما)[2] فعلى[3] ما رُوِي عن ابن عبّاس

---

[1] ف – وبه نستعين. | وتقدمت البسملة في "ف" فوقعت قبل قوله: "فسبح الله"... إلخ.
[2] ف: عنه.
[3] ف: يعني.

هو النَّضرُ بن الحارثِ، قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال ٣٢/٨].

وقيل: هو رسُولُ الله عليه السَّلام استَعْجلَ بعذابٍ لِلكافِرينَ.

وقرئَ: ﴿سالَ سَائِلٌ﴾ وهو على وجهين:

أَن يكون من السُّؤال وهيَ لُغةُ قُرَيْشٍ، ....

يكون معناه مثل معنى قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [العنكبوت ٥٤/٢٩]؛ لأنّ استدعاءَهم كان استعجالًا بطريق الاستهزاء،[١] وقوله: (هو) أي: السائلُ النَّضرُ بن الحارث.

قوله: (قُرِئَ بـ﴿سَالَ سَآئِلٌ﴾) أي: بالألِف، فيكون أجوفَ يائيًا[٢] بدليل قولِه: سِلْتَ، وهما يتسايَلان، فقوله: (مِنَ السؤال) يعني أنّه بمعناه، وإلا فذاك مهموزٌ وهذا أجوف، وبعضهم يقول: أَلِفُ "سَال" منقلبةٌ عن الهمزة، ولم يذكر المصنِّف هذا القولَ ههنا، ومثله: مِنساة في مِنسأة، وقولُ الفَرزدَق:

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ البِغَالُ عَشِيَّةً فَارْعَيْ فَزَارَةُ لَا هَنَاكِ المَرْتَعُ[٣]

وقول[٤] حسّان:

سَالَتْ هُذَيلُ رسولَ اللهِ فَاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيلُ بما قالت ولم تُصِبِ[٥]

وإنّما لم يذكر المصنِّف ههنا أنّ الألِف منقلبةٌ عن الهمزة كما في هذه الأمثلة -مع أنّه[٦] ذكَرَها في المُفصَّل-[٧] لأنّ هذا الإبدالَ راجع إلى السَّماع المَحض، فيُتَّبع تجويزُه فيما سُمع، وقد قال سيبَويه: «ليس ذا بقياسٍ متلئِبٍ،[٨]

---

[١] ن: الانتهزاء.

[٢] ن: بياكيًا.

[٣] ديوان الفرزدق، ٥٠٨/٢، بلفظ:
وَمَضَتْ لِمَسْلَمَةَ الرِّكابُ مُوَدَّعًا
فَارْعَيْ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

[٤] ن: قبول.

[٥] ديوان حسّان بن ثابت، ٤٤٣/١.

[٦] ف: أن.

[٧] المفصَّل للزمخشري، ص ٤٩٠.

[٨] ف: متلئت. | وهو في كتاب سيبويه: "متلئِبّ"، الكتاب لسيبويه، ٥٥٤/٣. ومعنى متلئِبّ: مستقيم. انظر: لسان العرب لابن منظور، «تلأب».

يَقُولُون: سَلْتَ تَسالُ وهُما يتَسايَلانِ.

وأن يكون من السَّيلانِ، ويُؤيِّدُه قِراءةُ ابن عباسٍ: "سَالَ سَيْلٌ" والسَّيْلُ: مَصْدَرٌ في مَعنى السَّائل كالغَوْرِ بمَعنى الغائر، ....

وإنّما يُحفظ عن العرب كما يُحفظ الشيء الذي يُبدل التاء مِن واوه، نحو: أتلج».[١] ولمّا أمكن حمل "سال" على وجه قياسيّ كما نقله مِن لغة قريش لم يحمله على ما يكون سماعيًا محضًا، هذا تقريرُ كلامِه. وأنا أقول: قوله: (هما[٢] يتسايلان) الصواب: يتساولان بالواو، قال أبو عليّ في الحُجّة: «قرأ نافع وابن عامر: "سال" غير مهموز، وقرأ الباقون مهموزًا، فمَن قرأ غير مهموز جعل الألف منقلبة مِن الواو التي هي عينٌ، مثل: قال وخاف، وحكى أبو عثمان عن أبي زيد أنّه سمع مَن يقول: هما يتساولان، وقد قيل: إنّ ذلك وادٍ في جهنّم، فيكون "سال" مثلُ باع».[٣] هذا كلام أبي عليٍّ، والحاصلُ: أنّ "سال" إن جُعل مِن معنى السؤال فألِفُه[٤] مِن الواو، وإن جعل مِن معنى السَّيلان فألِفه مِن الياء، وقد ذكر أبو البقاء أيضًا أنّ ألف "سال" مِن الواو؛ / لقولهم: المساولة،[٥] والحاصل: [٤٢٣ظ]
أنّ الصواب في قوله: (مِن السوال) أن يُقرأ بالواو المَحْضة، ويكون هذا مصدر: سِلْت تسالُ؛ بمعنى السؤال، وأنّ الصواب: يتساولان بالواو.

قوله: (وأن يكون مِن السَّيلان) هذا هو الوجه[٦] الثاني من الوجهين للقراءة بالألِف، أعني أنّ قوله: (وأن يكون) عطفٌ على قوله: (إمّا أن يكون)، ففي الكلام حذف تقديره: وإمّا أن يكون يُقال: سال الماء وغيره سَيْلًا وسَيَلانًا، والسَّيل أيضًا واحد السُّيول، وغارَ الماء غَوْرًا وغُؤورًا،[٧] أي: سَفَلَ في الأرض، وماءٌ غَورٌ، أي: غائِر،[٨] وُصِف بالمصدر.

---

١ الكتاب لسيبويه، ٥٥٤/٣.

٢ ف: فيما.

٣ الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٣١٨/٦، مع تغيير في بعض ألفاظه.

٤ ن: فالقه.

٥ ف: المساواة.

٦ ن: الوجهين.

٧ ن: عوورًا.

٨ ن: غايرون.

والمعنى: اندَفعَ عليْهِم وَادِي عَذابٍ فذَهبَ بِهِمْ وأَهْلَكَهُم.

وعن قتادَةَ: سَألَ سائلٌ عن عذابِ الله على مَن يَنْزِلُ؟ وبِمَن يقعُ؟ فنَزلتْ.

و﴿سَأَلَ﴾ على هذا الوَجْه مُضَمَّنٌ مَعْنى: عُنِي واهتَمّ.

فإن قلتَ: بِمَ يتَّصلُ قولُه: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾؟

قلتُ: هو على القَول الأوَّل متَّصلٌ بـ"عذابٍ" صفةٌ له؛ أي: بعذابٍ واقعٍ كائنٍ للكافِرِين، أو بالفِعْل؛ أي: دعَا للكافِرين بعذابٍ واقع، أو بِـ﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: بعذابٍ نَازلٍ لأَجْلِهم.

وعلى الثاني: هو كلامٌ مُبتَدأٌ جوابٌ للسَّائل؛ أي: هُو للكافرين.

فإن قلتَ: فقولُه ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بمَ يتَّصِلُ؟

قوله: (اندفع عليهم) يُقال: اندفع الفرس،[١] أي: أسرع في سيره.

قوله: (فنزلت) أي: فنزلت هذه الآية.

قوله: (مُضَمَّن معنى عُنيَ) فعُدّي تَعديتَه، فكأنّه عُني به واهتَمَّ لمّا سأل: على مَن يَنزل؟ وسيجيءُ أنّ سؤالَه على سبيل التعنُّت، فيكون في هذا التضمين نوعُ تهكُّمٍ.

قوله: (قلت: هو على القول الأوّل) القول الأوّل هو أن يُضمَّن معنى "دعا".

قوله: (وعلى الثاني) أي: على القول الثاني المَرويّ عن قتادة، وهو أن يُضمَّن معنى[٢] "عُنِيَ".

قوله: (جوابٌ للسائل) أي: للسائل المعهود المذكور في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾، فإنّه تعالى لمّا ذكر أنّ السائل سأل وقال: العذاب لمَن[٣] هو؟ أشار إلى جوابه بقوله: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، أي: قل في جواب هذا السائل: هذا العذاب النازِل إنّما هو للكافرين، أي: مُختصٌّ بهم، ويجوز[٤] أن لا يقدَّر[٥] "قل"، فإنّه تعالى لمّا قال:

---

[١] ن: الفرش.
[٢] ن – دعا قوله: (وعلى الثاني) أي على القول الثاني المروي عن قتادة، وهو أن يضمّن معنى.
[٣] ن: عن.
[٤] ن: يجوز.
[٥] ن: لقدرٌ.

قلتُ: يتَّصل بـ﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: واقعٍ من عندِه، أو بـ﴿دَافِعٌ﴾ بمَعْنى: ليس له دَافِعٌ من جهَتِهِ إذا جاءَ وَقتُه وأَوْجَبَتِ الحِكمةُ وقوعَه.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: ذي المَصاعدِ، جَمْعُ مَعْرَجٍ.

ثمَّ وصفَ المصاعِدَ وبُعْدَ مَداها في العُلُوِّ والارتفاعِ فقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾: إلى عَرْشِه وحيثُ تَهْبِطُ منه أوَامِرُه ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾ كمِقْدارِ مُدَّةِ ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ممَّا يَعُدُّ الناسُ.

و"الرُّوحُ": جَبريلُ عليه السلام، أفْرَدَهُ لتَميُّزِهِ بِفضْلِه.

﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ أتبعه قولَه: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ جوابًا لهذا السائل، وإنّما جعله على هذا جوابًا للسؤال، إذ لا يمكن جعله صفةً لـ"عذاب" على هذا الوجه، إذ لا يستقيم أن يقال: سأل عن العذاب النازل بالكافرين: على مَن ينزل؟ بل هو متعيّن على هذا الوجه أن يكون ابتداءَ كلامٍ.

قوله: (قلت: يتَّصل بـ﴿وَاقِعٍ﴾) ويَحتمل أن يكون متعلِّقًا بـ﴿سَأَلَ﴾ على الوجه الأوّل؛ لأنّ السائل إن كان هو الرسول عليه الصلاة والسلام فلِأنّه سأل الله تعالى أن يُعذِّب الكافرين، وإن كان السائل هو النضْرُ فلقوله: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ [الأنفال ٣٢/٨]، وإن كان متعلِّقًا[١] بـ﴿سَأَلَ﴾ كان ﴿سَأَلَ﴾ مضمَّنًا معنى طلب.

قوله: (ثمّ وصف المَصاعِدَ)... إلخ، وإذا كان عروج الملائكة إلى عرشه هذا المقدار فكان "المعارج" بعيدَ الارتفاع لا محالة.

قوله: (كمقدار) إشارة إلى أنّ المضاف والمضاف إليه محذوف؛ لأنّ مقدار اليوم لا يكون عين الخمسين ألف سنةٍ؛ لأنّه زمانٌ وهذا عددٌ، فلا بدَّ مِن تقدير المقدار ثمّ يقول: لا يكون مقدارُ هذا عينَ مقدارِ ذلك بل مثله، فلذلك قدّر المضاف والمضاف إليه، والحقُّ أنّه لا حاجة إلى التقدير؛ لأنّ المقدار هو ما يُعرف به قدْر الشيء، كالمكيال والميزان لما يعرف به كيلُ الشيء ووزنه،

---

١ ن – فلقوله: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ [الأنفال ٣٢/٨]، وإن كان متعلِّقًا.

وقيل: الرُّوحُ خَلْقٌ هُم حَفَظةٌ على الملائكةِ كما أَنَّ الملائكةَ حَفَظةٌ على النَّاسِ.

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝﴾

فإن قلتَ: بِمَ تَعَلَّقَ قولُه: ﴿فَٱصْبِرْ﴾؟

قلتُ: بـ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ لأنَّ استعْجالَ النَّضْر بالعَذاب إنَّما كان على وجه الاستهزاء برسُول الله والتَّكْذيبِ بالوَحْيِ، وكان ذلك مِمَّا يُضْجِرُ رسُولَ الله فأُمِرَ بالصَّبْر عليه، وكذلك مَن سَأل عن العَذابِ: لِمَن هو؟ فإنَّما سأَلَ على طَريقِ التَّعنُّتِ، وكان من كُفَّارِ مَكَّة.

ومَن قَرأ: "سَالَ سائلٌ" أو "سَيلٌ"، فمَعناه: جاءَ العذابُ لِقُرب وقُوعه فاصْبِرْ فقد شَارَفْتَ الانتقامَ، وقد جُعِل ﴿فِي يَوْمٍ﴾ من صلةِ ﴿وَاقِعٍ﴾؛ ....

فيقول: ما يُعرف به قدر ذلك اليوم هو خمسون ألفَ سنةٍ، فلا حاجة إلى التقدير، وعلى ما ذكره المصنِّف يكون المعنى مُشكِلًا؛ / إذ ينبغي حينئذٍ أن [٤٢٤و] يكون لذلك اليوم مقدار، ولخَمسين[١] ألفَ سنةٍ أيضًا مقدار، وأن يكون هذا المقدار مثلَ ذلك المقدار.

قوله: (قلتُ: بـ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾) والجواب هذا بعينه إن كان السائل هو النبيُّ عليه الصلاة والسلام؛ لأنّه حين ذكر أنّه استعجل قال له: فاصبر، ولمّا كان هذا ظاهرًا لم يذكره المصنِّف، وفي هذا الوجه التفاتٌ؛ لأنّه التفت إليه بالأمر بعد الإخبار عنه بالسؤال.

قوله: (لِقُرب وقوعه) متعلِّق بقوله: "معناه" مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: أريد أنّه قد جاء لقربه، فقوله: (فاصبِر) مسبَّب عن قوله: "سأل".

قوله: (مِن صلةِ ﴿وَاقِعٍ﴾) وعلى الوجه الأول على ما مرّ هو مِن صلة ﴿تَعْرُجُ﴾، وإذا كان قوله: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ من صلة ﴿وَاقِعٍ﴾ كان قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ جملةً معترضةً.

[١] ن: وخمسين.

أي: يَقعُ في يومٍ طَويلٍ مقدارُه خمسُون ألفَ سَنةٍ من سِنِيكُم وهو يَومُ القيامةِ: إمَّا أن يكون استطَالةً له لشِدَّتهِ على الكفَّار، وإمَّا لأنَّه على الحقِيقة كذلك.

قيل: فيه خمسُون مَوْطنًا كُلُّ مَوْطنٍ ألفُ سَنةٍ، وما قَدْرُ ذلك على المُؤمنِ إلَّا كما بين الظُّهْر والعَصْر.

الضَّميرُ في ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾ للعَذاب الواقِع، أو لِيَوم القيَامةِ فيمَن عَلَّق ﴿فِي يَوْمٍ﴾ بـ﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: يَستبعِدُونه على جهَةِ الإحالةِ ﴿وَ﴾ نحن ﴿نراه قريبا﴾: هَيِّنا في قُدرَتنا غيْرَ بعيدٍ عَلينَا ولا مُتعَذِّرٍ، فالمُراد بالبعيدِ: البعيدُ من الإمكان، وبالقريب: القريبُ مِنه.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤﴾

نُصِبَ ﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾ بـ﴿قَرِيبًا﴾؛ أي: يُمْكِنُ ولا يتعَذَّرُ في ذلك اليَوم، ....

قوله: (فيمَن علَّق) يعني: لو عُلِّق ﴿فِي يَوْمٍ﴾ بـ﴿وَاقِعٍ﴾ يجوز أن يكون الضمير في ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾ للعذاب، وأن يكون ليوم القيامة، وأمَا لو علَّقت ﴿فِي يَوْمٍ﴾ بـ﴿تَعْرُجُ﴾ فلا يكون الضمير إلا للعذاب؛ لأنَّ يوم القيامة لا يكون مذكورًا صريحًا ولا ضِمنًا، فلا وجه لرجوع الضمير إليه، بخلاف الوجه الآخر فإنَّ المرادَ بقوله: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ يومُ القيامة.

قوله: (أي:[١] يستبعدونه)[٢] أي: العذابَ أو اليومَ.

قوله: (نُصِبَ ﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾) اعلم أنَّ نصبَ ﴿يَوْمَ﴾ بـ﴿قَرِيبًا﴾[٣] أو بإضمار "يقع" إنَّما يكون على[٤] تقدير عَود الضمير مِن ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾ إلى العذاب لا إلى يوم القيامة، فتأمَّل.

---

١ ن – أي.
٢ ن: يستعيذونه.
٣ ن: تقريبًا.
٤ ن – على.

أَو بإضمارِ "يقعُ" لدلالةِ ﴿وَاقِعٍ﴾ عَليْه، أو: يَوْمَ تكُونُ السَّماءُ كالمُهْلِ كان كَيْتَ وكَيْتَ، أو هُو بدَلٌ عن ﴿فِى يَوْمٍ﴾ فيمَن عَلَّقهُ بـ﴿وَاقِعٍ﴾.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: كَدُرْدِيِّ الزَّيْتِ، وعن ابن مسعود: كالفِضَّةِ المُذابَة في تلَوُّنِها.

﴿كَٱلْعِهْنِ﴾: كالصُّوف المصْبُوغ ألْوانًا؛ لأنَّ الجبالَ ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر ٢٧/٣٥] فإذا بُسَّتْ وطُيِّرتْ في الجَوِّ أَشبَهتِ العِهْنَ المَنفوشَ إذا طَيَّرتْهُ الرِّيحُ.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾؛ أي: لا يَسْأَلُه بـ: كيفَ حالُكَ؟ ولا يُكلِّمُه؛ لأنَّ بكلِّ أحَدٍ ما يَشغَلُه عن المَسألة.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؛ أي: يُبَصَّرُ الأَحِمَّاءُ الأَحِمَّاءَ فلا يَخْفَون عليْهم، فما يَمْنعُهم مِنَ المُسَاءَلةِ أَنَّ بَعضَهُم لا يُبْصِر بَعضًا وإنَّما يَمنعُهم التَّشاغُل.

وقرئ: "يُبْصِرونهم".

قوله: (فيمَن علَّقه) ومَن علَّقه بـ﴿تَعْرُجُ﴾ لا يجوِّز ذلك.

قوله: (كَدُردِيِّ[١] الزيتِ) دُرْدِيُّ الزيتِ[٢] وغيرِه: ما يبقى في أسفله.

قوله: (جُدَدٌ) الجُدَد: جمع جُدَّة، وهي الطريقة.

قوله: (فإذا بُسَّت)[٣] أي: فُتَّت[٤] أو سِيقت.

قوله: (أي: يُبَصَّرُ الأحِمَّاء) التبصير: التعريف والإيضاح،[٥] والأحِمَّاء:[٦] جمع حميمٍ، كأشِدَّاء جمع شديدٍ، لمّا وقع ﴿حَمِيمٌ﴾ في سياق النفي صار عامًّا، فكان في معنى الأحِمَّاء، فلذا أشار المصنِّف إلى أنّ الضميرَين في ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يعودان إلى الأحِمَّاء، وهو جَمع حميمٍ، وهذا معنى ما سنذكره في الجواب.

قوله: (وقُرِئ: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾) أي: مُخفَّفًا.[٧]

---

[١] ن: لدردي.
[٢] ن – دردي الزيت.
[٣] ن: لست.
[٤] ن: فعلت.
[٥] ن: والإصباح.
[٦] ن: والأحمار.
[٧] وهي قراءة شاذّة تنسب إلى قتادة، قال أبو حيّان: «وقرأ قتادة: "يُبْصِرُونَهُم" مخفَّفًا مع كسر الصاد، أي: يُبصِرُ المؤمنُ الكافرَ في النار، قاله مجاهد». البحر المحيط لأبي حيّان، ٢٧٤/١٠ (المعارج ١١/٧٠).

وقرئ: ﴿ولا يُسأَلُ﴾ على البناء لِلمفعُول؛ أي: لا يُقالُ لحَميمٍ: أَيْنَ حَمِيمُكَ؟ ولا يُطْلَبُ منه؛ لأَنَّهم يُبصرُونهم فلا يَحْتاجُون إلى السُّؤال والطَّلَب.

فإن قلتَ: ما مَوقعُ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؟

قلتُ: هو كلامٌ مُستأنِفٌ؛ كأنَّه لمَّا قال: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قيل: لعَلَّه لا يُبْصِرُه، فقيل: يُبَصَّرُونَهم ولكِنَّهم لِتشاغُلِهم لَم يَتمكَّنُوا مِن تَساؤُلِهِمْ.

فإن قلتَ: لم جُمِعَ الضَّميرانِ في ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ وهُما للحَمِيمَيْنِ؟

قلتُ: المَعنى على العُموم لكُلِّ حَمِيمَينِ لا لِحميمَيْنِ اثنيْنِ، ويجوز أن يكُون ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ صِفةً؛ أي: حميمًا مُبَصَّرينَ مُعَرَّفِينَ إيَّاهُم.

قرئ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بالجرّ والفتحِ على البناءِ للإضافة إلى غير مُتمكِّنٍ، و: "مِن عذابٍ يَوْمَئذٍ" بتَنْوينِ "عذابٍ" ونَصْبِ "يومَئذ"، وانتصَابُه بـ"عذابٍ" لأنَّه في مَعْنى: تَعْذيبٍ.

و"فصيلتُه": عَشيرتُه الأَدْنَوْنَ الَّذين فُصِل عَنهم.

﴿تُـْٔوِيهِ﴾: تَضمُّه انتماءً إليها أَوْ لِيَاذًا بهَا في النَّوائبِ.

﴿يُنجِيهِ﴾ عطفٌ على ﴿يَفْتَدِى﴾؛ أي: يَودُّ لو يَفتدِي ثُمَّ لو يُنجِيهِ الافتداءُ، أو ﴿مَن فِى الأَرْضِ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ لاستِبعادِه الإنجاءَ، يَعْني: يَتمنَّى لو كان هؤلاء جَميعًا تحتَ يدِه وبذَلَهُم في فِداء نَفْسِه ثُمَّ يُنْجِيه ذلك، وهيهاتَ أن يُنجيَهُ.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ للمُجْرم عن الوَدادةِ، وتَنبيهٌ على أنَّه لا يَنْفعُه الافتداءُ ولا يُنْجيهِ من العذابِ، ثم قال: ﴿إِنَّهَا﴾ والضَّميرُ للنارِ، ولـم يَجْرِ لهَا ذِكرٌ لأنَّ ذِكرَ العذابِ دلَّ علَيها، ويجوز أن يكون ضميرًا مُبهَمًا تَرْجَمَ عنْهُ الخَبرُ، أو ضميرَ القصَّةِ.

قوله: (وهما للحَمِيمَيْن) أي: فكأنَّ القياس "يُبَصَّرُه"؛ ليكون الضمير المستتر عائدًا إلى أحد الحَميمَين، والبارزُ إلى الحميم الآخر.

قوله: (قلتُ: المعنى على العُموم) لأنَّ النكِرة تَعُمُّ في سِياق النفي.

و﴿لَظَىٰ﴾ علمٌ لِلنَّارِ مَنقولٌ مِن اللَّظَى بمَعْنى اللَّهب، ويجوز أن يُراد اللَّهبُ.

و﴿نزاعةٌ﴾ خَبرٌ بَعْدَ خبرٍ لـ"إنَّ"، أَو خَبَرٌ لـ﴿لَظَىٰ﴾ إن كانت الهاءُ ضميرَ القصَّةِ، أو صِفَةٌ لهُ إن أَرَدْتَ اللَّهَبَ، والتأنيثُ لأنَّه في مَعْنى النَّار.

أو رَفعٌ على التَّهْويلِ؛ أي: هي نَزَّاعةٌ.

وقرئ: ﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنَّصبِ على الحال المؤكِّدةِ، ....

قوله: (و"لَظى" علَمٌ للنار) ولذا لا يَنصرِف، فهو علَمٌ منقولٌ عن اسم جِنس.[١]

قوله: (ويجوز أن يُرادَ اللَّهبُ) وهو يُشكِلُ بترك التنوين.

قوله: (إن أردتَ اللَّهبَ) لأنَّ ﴿لَظَىٰ﴾ حينئذٍ تكون نكرةً تصلحُ أن تكون ﴿نَزَّاعَةً﴾ صفةً له، وأمّا إن كان عَلَمًا للنار فلا يجوز ذلك.

قوله: (على التهويل) أي: رُفِع على الاختِصاص.

[٤٢٤ظ] قوله: (بالنصب على الحال المُؤكِّدةِ) / قال أبو عليّ في الحُجّة:

حَمْلُ نَصْب ﴿نَزَّاعَةً﴾ على الحال يَبْعُدُ؛ لأنّه ليس في الكلام ما يَعمَل في الحال، فإن قلتَ: إنّ قولَه: ﴿لَظَىٰ﴾ فيه معنى التلظِّي والتلهُّب، فإنّ ذلك لا يستقيم؛ لأنّ ﴿لَظَىٰ﴾ معرفةٌ لا يَنْتَصِبُ عنها الحال، ألا يُرَى[٢] أنّ ما استُعمل استعمالَ الأسماء مِن اسم فاعل أو مصدر لا يعمل عملَ الفعل، نحو: صاحب، ودَرّ في قولك: لله دَرُّكَ، فإذا لم يعمل هذا النحو الذي هو اسم فاعلٍ أو مصدر عملَ الفعل مِن حيث جرَى مجرى الأسماء فأَنْ لا يعملَ الاسم المعرفةُ عملَه أولى، ويَدُلُّك على تَعرُّف هذا الاسم وكونِه عَلَمًا أنّ التنوين لم يلحقه، فإذا كان كذلك لم يُنصَب الحال عنه، فإن جعلتَها مع تعريفها قد صارت مُعرِّفةً لشِدَّة التلظّي جاز أن تَنْصِبه بهذا المعنى الحادثِ في العَلَم، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام ٦/٣] عُلِّقت الظرف[٣] بما دلّ عليه الاسم مِن التدبير والإلطاف، فإن عُلِّقت الحال[٤] بالمعنى الحادث في العَلَم

---

[١] ن: جلس.

[٢] ف: ترى.

[٣] ن: الطرف.

[٤] ن + وفي الأرض علقت.

أو على أنَّها مُتَلظِّيَةٌ نزَّاعةٌ، أو على الاختصَاص للتَّهْويل.

و"الشَّوى": الأَطْرافُ، أو جَمْعُ شَواةٍ: وهي جِلْدَةُ الرَّأس تنْزِعُها نزعًا فتَبْتِكُها ثمَّ تُعَادُ.

و﴿تَدْعُواْ﴾ مجازٌ عن إخضارهم كأنَّها تدْعُوهُم فتُحضِرُهم، ونحوُه قولُ ذي الرُّمَّةِ:

تَدْعُو أَنْفَهُ الرِّبَبُ

وقولُه:

كما عُلِّقت الظرف[1] بما دلَّ عليه مِن التدبير[2] لم يمتنع؛ لأنَّ الحال كالظرف[3] في تعلُّقها بالمعنى كتعلُّقِ الظرف[4] به كانَ وجهًا، وإن عُلِّقت ﴿نَزَّاعَةً﴾ بفعلٍ مضمرٍ -نحو: أعنيها نزَّاعةً للشَّوَى- لم يمتنع أيضًا.[5]

قوله: (مُتَلَظِّيَةٌ نزَّاعةٌ) فتكونُ حالًا منتقلةً.

قوله: (قَول ذي الرُّمَّةِ: تَدعُو أَنفَه الرِّبَبُ) أوّلُهُ:

أَمْسَى بِوَهْبِينِ مُجْتَازًا لِمَرتَعِهِ مِن ذِي الفَوَارِسِ تَدْعُو أَنْفَهُ الرِّبَبُ[6]

"وَهْبِين" اسم موضعٍ، والاجتيازُ: السلوك،[7] و"ذي الفوارس" اسم موضعِ رَمْل، وقوله: "تَدعُو أنفَه الرِّبَبُ" أي: تَجرُّه لتأكل؛ يصِفُ[8] الثورَ الوحشيَّ، "الرِّبَبُ" جمع رِبَّةٍ؛ وهي أوّل ما نبتَ مِن الأرض، قال في الصحاح: «الرِّبَّة بالكسر: ضَرْبٌ من النَّبْتِ»،[9] وقال في المُجمَل: «الرِّبَّة: نباتٌ يبقى في آخر الصيف».[10]

وقوله:[11]

---

[1] ن: الطرف.
[2] ف - والألطاف فإن علقت الحال بالمعنى الحادث في العَلم كما علقت الظرف بما دلّ عليه من التدبير.
[3] ن: الطرف.
[4] ن: الطرف.
[5] الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٣١٩/٦-٣٢٠، مع تغيير في بعض ألفاظه.
[6] ديوان ذي الرُّمة، ٧٧/١.
[7] ن: والسلوك.
[8] ن: نصفُ.
[9] الصحاح للجوهري، «ربب».
[10] مجمل اللغة لابن فارس، «ربب».
[11] ن: قوله.

لـيَـالـيَ الـلَّـهْـوِ يَـطْـبِـيـنِـي فـأَتـبَـعُـه

وقولُ أبي النَّجْمِ:

تَـقُـولُ لـلـرَّائـدِ أعْـشَـبْـتَ انْـزِلِ

وقيل: تقولُ لهم: إلَيَّ إلَيَّ يا كافِرُ يا مُنافِقُ.

وقيل: تَدْعُو المنافِقين والكافِرينَ بلسَانٍ فصيحٍ، ثمَّ تلْتَقِطُهم الْتِقاطَ الحَبِّ، فيجوز أن يَخلُقَ اللهُ فيهَا كَلامًا كما يَخلُقُه في جُلُودِهم وأيْدِيهم وأرْجُلِهم، وكما خَلَقه في الشَّجرةِ، ويجوز أن يكون دعاءَ الزَّبانيةِ.

وقيل: ﴿تَدْعُواْ﴾: تُهلِكُ، من قول العرب: دعَاك اللهُ؛ أي: أَهْلَكَكَ، قال:

(لَيالـي[1] اللّهْـوِ يَطْبِينـي فأتبَعُـه)

تمامُه:

كـأَنَّـنِـي ضَـارِبٌ فـي غَـمْـرةٍ لَـعِـبُ[2]

يقال: طَبَاهُ فلان[3] يَطْبيه عن رأيه وأمرِه، أي: صَرَفه، وكلُّ شيءٍ صرف شيئًا عن شيء فقد طباه يَطْبيه.[4] والضارب: السابح. والغَمْرَة: الماء الذي يغمُرُ القامَةَ، أي: هو يصرفني ليالِي اللهو عن رأيي، فأنا أتبعه كأنّني سابحٌ في غَمْرَةٍ من الماء، لعبٌ فيه، والصواب أن نقول في معنى البيت: يطْبيني، أي: يدْعوني، والضمير للَّهْو، قال في الصحاح: «طَبَاه يَطْبوه ويَطْبيه: دعاه»، ثمّ قال بعد الاستشهاد بهذا البيت: «يقول: يدعوني اللهوُ فأتبعه».[5]

وقوله: (وقول أبي النَّجْم:[6]

تَـقـول لـلـرَّائـدِ أعْـشَـبْـتَ[7] انـزِلِ)

أوّله:

---

[1] ن: وليالي.

[2] ديوان ذي الرُّمة، ٣٨/١.

[3] ن: فان.

[4] ن: يطيه.

[5] الصحاح للجوهري، «طبى».

[6] ن: المنجم.

[7] ن: أعشيت.

دَعـــاكَ اللهُ مِـــن رَجُـــلٍ بأَفْعَـــى

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عـن الحـق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عنـه ﴿وَجَمَعَ﴾ المـالَ فجَعلـه فـي وِعَـاءٍ، وكَنَزَهُ ولـم يُؤَدِّ الـزكاةَ والحُقوقَ الواجِبَة فيه، وتشـاغَلَ بـهِ عـن الدِّيـن، وزُهِـيَ باقتِنائـه وتكبَّـر.

مُـسـتَـأسِـدٌ ذِبَّــانُـــهُ فـي غَـيـطَـلٍ[1]

و"المُسْتأسِـدُ": النبات الكثير الطويـل الغليـظ، يقـال: استأسـدَ الـزرع إذا قَوِيَ. و"الذِبَّانُ" جمع الذُّباب. و"الغَيْطَلَةُ": / الجَلَبة، أي: صياح القوم، ويقال للأصوات[2] المختلطة: غَيْطَلة،[3] والكلأ إذا التفَّ وكثُرَ وأزهر كثُر[4] ذِبَّانُه وصوَّتْن. [٤٢٥و]
و"الرائد": الذي يُرسَل في طلب الكلأ. ويقال: أعشب الرجل إذا وجد عشبًا. أي: تقـول الذبّان أعشبْتَ[5] انزل، أي: أصبتَ حاجتك فاقنع ولا تتجاوز،[6] وفي معناه:

وإذا انـتَـهـيـتَ إلـى الـسَّـلامـةِ فــي مَـــداكَ[7] فــلا تُـــجـــاوِزْ[8]

قوله: "مستأسِدٌ" خبرُ مبتدإ محذوف، أي: نباتُه مستأسدٌ.

قوله:

(دَعـــاكَ اللهُ مِـــن رَجُـــلٍ)[9]

أي: يا رجلُ، قوله: "من رجلٍ" "مِن" فيه كما في قولهم: رأيتُ منك أسدًا.

قوله: (وزُهِيَ) الزَّهوُ: الفخر والكِبْر، وزُهِيَ الرجل فهو مزهَوٌّ، أي: تكبَّر،

---

[1] ن: عبطك. | البيت لأبي النجم في أساس البلاغة للزمخشري، ٢٧/١.
[2] ن: الأصوات.
[3] ن – غيطلة.
[4] ن – كثُر.
[5] ن: أعشيت.
[6] ن: الاتجاوز.
[7] ن: فدال.
[8] ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر، ٣٤٧/٤، دون نسبة.
[9] ذكره الزمخشري في أساس البلاغة، ٢٨٨/١، بتمامه، كذلك دون نسبة:
دعـــاكَ اللهُ مِـــن رَجُـــلٍ بأفعَـــى
إذا نَـــامَ العُيُـــونُ سَـــرَت عَلَيـــكا
وذكره ابن منظور في لسان العرب، «دعا»، بلفظ:
دعـــاكَ اللهُ مِـــن قَـيـسٍ بـأفـعَـى...

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾

أُرِيد بـ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: الناسُ، فلذلك استُثني مِنه ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾.

و"الهَلَعُ": سُرْعةُ الجَزَع عند مَسّ المكرُوهِ، وسُرْعةُ المَنع عند مسّ الخَيْر، من قَولِهم: نَاقةٌ هِلْوَاعٌ: سَرِيعَةُ السَّيْرِ.

وعن أحمدَ بنِ يحْيَى: قال لي مُحمَّدُ بنُ عبدِ الله بن طاهِر: ما الهَلَعُ؟ فقُلتُ: قد فسَّرهُ الله، ولا يكونُ تَفسيرٌ أَبْيَنَ من تفسِيره، وهو: الذي إذا نالَه شَرٌّ أَظهَرَ شِدَّة الجَزَعِ، وإذا نالَهُ خيرٌ بَخِلَ به ومنعَه الناسَ.

و﴿ٱلۡخَيۡرُ﴾: المالُ والغِنَى، و﴿ٱلشَّرُّ﴾: الفَقْرُ.

وللعرب أحرف لا يتكلّمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل، مثل قولهم: زُهِيَ الرجل، وعُنيَ بالأمر، وفيه لغة أخرى حكاه ابن دُرَيدٍ: زها يزهو زَهوًا تكبَّر، ومنه قولهم: ما أزهاه، وليس هذا مِن "زُهِيَ"؛ لأنّ ما لم يُسَمَّ فاعله لا يُتعجَّب منه، قال:

لَـنـا صـاحـبٌ مُـولَـعٌ بـالـخِـلافِ ... كَـثِـيـرُ الـخَـطَـاءِ قَـلِـيـلُ الـصـوابِ
أَلَـــجُّ لَـجـاجًـا مِـــنَ الـخُـنْـفُـسَـاءِ ... وَأَزْهَـــى إذَا مَـا مَـشَـى مِـنْ غُـرابِ[1]

قوله: (أُريدَ بالإنسان الناسُ) يعني: أنّه[2] وإن كان مفردًا لكن المراد به الجمع، ولذلك جاز الاستثناء منه.

---

[1] ذكر البيتين ابن منظور في لسان العرب، «زها»، ونسبهما للأحمر النحوي يهجو العتبي والفيض بن عبد الحميد.

[2] ف: وأنّه.

أو: الصِّحَّةُ والمَرَضُ، إذا صحَّ الغَنيُّ منعَ المعرُوفَ وَشحَّ بماله، وإذا مرِض جَزِعَ وأخذ يُوَصِّي.

والمَعنى: أَنَّ الإنسان لإيثاره الجزَعَ والمنْعَ وتمَكُّنِهما مِنه ورسُوخِهما فيه كأنَّه مَجبُولٌ عليهما مطبُوعٌ، وكأنَّه أَمرٌ خَلْقيٌّ وضَرُوريٌّ غيرُ اختيارِيّ؛ كقَوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء ٣٧/٢١] والدَّليلُ عَليْه: أنَّه حينَ كان في البَطْنِ والمَهْدِ لم يَكُن به هَلَعٌ، ولأنَّه ذَمٌّ، والله لا يَذُمُّ فعْلَهُ، والدَّليلُ عليه: استثنَاء المؤمنين الَّذين جاهَدُوا أنفُسَهم وحَملُوها على المَكارِه وظَلَفُوهَا من الشَّهَوات حَتَّى لم يكُونُوا جازِعينَ ولا مانِعينَ.

وعن النبيِّ عليه السلام: «شَرُّ ما أُعطِيَ ابنُ آدمَ شُحٌّ هَالِعٌ وجُبْنٌ خالِعٌ».

قوله: (أو الصحّة) أي: أو الخير: الصحَّة، والشرُّ: المرض. وقوله: (إذا صحَّ)... إلخ، جملة مبيّنة[١] لهذا التفسير الثاني.

قوله:[٢] (والدليل عليه) أي: والدليل على أنّ المَعنى أنّه لإيثاره[٣] ذلك جُعِل كأنّه مجبولٌ عليه،[٤] وليس المراد الحقيقة؛ أنّه لو كان المراد خلقَه كذلك[٥] لكان ذلك لازمًا غيرَ منفكٍّ لكنّه[٦] ينفكُّ عنه كما ذَكَر، وأيضًا لو كان كذلك لكان ذلك فعلَ الله تعالى، فوجب أن لا يُذَمَّ عليه.

قوله: (ولأنّه ذَمٌّ) أي: لأنّ قوله تعالى ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾... إلخ.

قوله: (والدليل عليه) أي: على أنّه ذَمّ.

قوله: (حتى لم يكونوا جازِعين) أي: حتى لم يجزَعوا فلم يستحِقُّوا ذلك الذمّ.

قوله: (شُحٌّ[٧] هالعٌ) أي: يجزَعُ فيه العبد ويحزَن، كما يقال: يومٌ عاصفٌ،

---

[١] ن: مبنية.
[٢] ن + والدليل الثاني.
[٣] ن: لا لساره.
[٤] ف – ذلك جعل كأنّه مجبولٌ عليه.
[٥] ف: لذلك.
[٦] ف: لأنّه.
[٧] ن: شيح.

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ ثمَّ: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؟

قلتُ: معنى دوَامِهم عَلَيْها: أَن يُواظِبُوا على أدائِهَا لا يُخِلُّونَ بهَا ولا يَشتَغِلُونَ عَنها بشَيءٍ من الشَّواغل؛ كما رُويَ عن النَّبيِّ عليه السلام: «أَفضلُ العَمل أَدْوَمُه وإِنْ قَلَّ»، وقَولِ عائشة رضي الله عنها: كان عَملهُ دِيمَةً.

ومُحافَظتُهم عَليها: أَن يُراعُوا إِسْباغَ الوُضوءِ لهَا ومَواقِيتَها، ويُقِيمُوا أَركانها ويُكْمِلُوهَا بسُنَّتِها وآدابهَا، ويَحْفَظُوها مِن الإحباطِ باقترافِ المآثم، فالدَّوَامُ يَرْجعُ إلى أَنفُس الصَّلواتِ، والمُحافظةُ إلى أَحْوالها.

﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾: هُو الزَّكَاةُ لأَنَّها مُقَدَّرةٌ مَعْلُومة، أَوْ صَدَقَةٌ يُوَظِّفُها الرَّجُلُ على نَفْسِه يُؤَدِّيها في أَوقاتٍ مَعْلُومةٍ.

"السَّائلُ": الَّذي يَسأَلُ، و"المحروم": الَّذي يتعَفَّفُ عن السُّؤالِ فيُحسَبُ غَنِيًّا فيُحرَمُ.

﴿يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تَصْدِيقًا بأَعْمالِهم واستِعْدادِهم له، ويشْفِقُونَ من عذاب رَبِّهم، واعترضَ بقَولهِ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾؛ أي: لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ وإِن بالَغ في الطَّاعة والاجتهادِ أن يَأمَنَهُ، وينبَغي أَنْ يكُون مُتَرَجِّحًا بين الخَوفِ والرَّجاءِ.

قرئ: ﴿بشَهَادَتِهم﴾ و﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾، والشَّهادَةُ من جُملَةِ الأَمَاناتِ، وخَصَّها من بَيْنِهَا إبانةً لِفَضْلِها؛ لِأَنَّ في إِقامَتِها إِحْياءَ الحقُوقِ وتَصْحِيحَها، وفي زَيِّهَا تَضْيِيعَهَا وإِبْطَالَها.

وليلٌ نائمٌ، ويحتمل أن يُقال: هالعٌ؛ لمكان الازدواج بخالعٍ، والخالعُ: الذي كأنّه يخلع فؤادَه لشدَّته.

قوله: (مِن الإحباط) هذا مذهبه.

قوله: (واعترض بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾) أي: هي جملة معترضة.

قوله: (مُترجِّحًا) أي: متميّلًا.

قوله: (وفي زَيِّها) أي: منْعها.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨﴾

كان المشركونَ يَحْتَفُّون حَوْلَ النبيِّ عليه السَّلام حلَقًا حلَقًا وفِرَقًا فِرَقًا يَسْتمِعُون ويَسْتهزِئُونَ بِكلامِه، ويقُولُون: إنْ دَخل هَؤلاء الجنَّةَ كما يقُولُ مُحمَّدٌ فلَنَدْخُلنَّهَا قبْلَهُم، فنزلَتْ.

﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُسْرِعينَ نحْوَكَ مادِّي أَعْناقِهم إليْكَ مُقْبِلينَ بأَبْصارِهم عَليْك.

﴿عِزِينَ﴾: فِرقًا شَتَّى، جَمْعُ عِزَةٍ، وأَصْلُها: عِزْوَةٌ، كأنَّ كُلَّ فِرْقَةٍ تَعْتَزِي إلى غَيْرِ مَن تَعْتَزِي إليه الأُخْرَى فَهُم مُفْتَرِقُونَ؛ قال الكُميتُ:

ونَــحْــنُ وَجَــنْــدَلٌ بَــاغٍ تَــرَكْـنَـا   كَـتَـائِـبَ جَـنْـدَلٍ شَـتَّـى عِـزِيـنَـا

وقيل: كان المُستَهزئونَ خمسَةَ أرهُطٍ.

قوله: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ هطَعَ الرجل إذا أقبل[١] ببصره على الشيء لا يقلع منه، يهطَع هُطُوعًا، وأَهْطَعَ إذا[٢] مدَّ عنقه وصوَّبَ رأسَه، وأهطع في عَدْوِه: أسرع.

قوله: (قال[٣] الكُمَيت:

وَنَــحْــنُ وَجَــنْــدَلٌ بَــاغٍ تَــرَكْـنَـا)[٤]

"جندلٌ" مبتدأ، "باغٍ" خبره،[٥] والجملة -أي: "وجندلٌ باغٍ"- اعتراضٌ أو حالٌ، و"تركنا" خبر "نحن"، تقديره: ونحن تركنا كتائب جندلٍ متفرِّقين[٦] شتَّى والحال أنَّ جندلًا باغٍ عاتٍ.

قوله: (خمسةَ أرهطٍ) / لم يقل: خمسةَ رهطٍ؛ لأنَّ المراد أنَّهم ما كانوا [٤٢٥]
خمسة رجلٍ فقط؛ بل كانوا خمسَ[٧] جماعاتٍ كلُّ جماعةٍ منهم رهطٌ، فلذلك قال: "خمسةَ أرْهُطٍ".

---

[١] ن: قيل.
[٢] ن: إذ.
[٣] ن – قال.
[٤] لسان العرب لابن منظور، «غزا».
[٥] ن + أي.
[٦] ن: متفر.
[٧] ن: خمسة.

﴿كَلَّآۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ لَهُم عن طمَعِهم في دخُول الجنَّة، ثم علَّلَ ذلك بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ إلى آخِرِ السُّورَةِ، وهُو كلامٌ دالٌّ على إنكارِهم البَعْثَ، فكأنَّه قال: كَلَّا إنَّهُم مُنكِرُونَ للبَعْثِ والجزاءِ فَمِنْ أَيْنَ يَطمَعُونَ في دُخُولِ الجنَّةِ؟

فإن قلتَ: من أَيِّ وَجْهٍ دلَّ هذا الكلامُ على إنكارِ البعْثِ؟

قلتُ: مِن حيْثُ إنَّه احتجَاجٌ عَليْهم بالنَّشْأَة الأُولى، كالاحتِجاج بها عَليهم في مَواضِعَ مِن التَّنْزِيل، وذلك قولُه: ﴿خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: من النُّطَف، وبالقُدْرةِ على أن يُهْلِكهُم ويُبدِّلَ ناسًا خيرًا مِنْهم، وأنَّه ليْس بمَسبُوقٍ على ما يُرِيدُ تكوِينَهُ لا يُعجِزُه شَيءٌ، والغَرضُ: أنَّ مَن قَدر على ذلك لم تُعجِزْهُ الإعادَةُ.

ويجوزُ أن يُرادَ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: من النُّطْفَة المَذِرَة، وهي مَنْصِبُهم الَّذِي لا مَنْصِبَ أَوْضَعُ مِنه، ولذلك أُبهِمَ وأُخْفِيَ إشعَارًا بأنَّه مَنْصِبٌ يُسْتَحْيَا مِن ذِكْرِه، فمِن أيْنَ يَتشرَّفُونَ ويَدَّعُونَ التَّقدُّمَ، ويقُولُونَ: لنَدْخُلَنَّ الجنَّةَ قَبْلَهُم؟

وقيل: مَعْناه: إنَّا خَلقناهُم من نُطْفَةٍ كما خَلقْنَا بني آدَم كلَّهُم، ومِن حُكْمِنا أَنْ لا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْهُم الجنَّةَ إلَّا بالإيمانِ والعَمَلِ الصَّالح، فلِمَ يَطْمَع أن يَدْخُلَها مَن ليس لَه إيمانٌ وعَملٌ؟

قوله: (فكأنَّه قال) أو نقول: فكأنَّه قال: أنكَروا البعث مع دلالة الدلائل على قدرتنا على البعث، فكيف يسُوغ لهم طمعُ دخول الجنَّة، فإنَّهم مستحقُّون للنار.

قوله: (ويجوز) أي: "ويجوز" عطفٌ على قوله: (وهو كلامٌ دالٌّ)... إلخ، وكذا قوله: (وقيل: معناه) عطف عليه أيضًا، فعلى هذين الوجهين لا يكون ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾... إلخ دالًّا على إنكار البعث؛ بل يكون تعليلَ ردعهم[1] عن طمعهم بوَجهٍ آخَر.

---

[1] ن: دعهم.

وقرئ: "بربِّ المشرِقِ والمغرِب".

و﴿يَخْرُجُونَ﴾ و: "يُخرَجُون".

﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ بالإظهار والإدْغام.

و: ﴿نُصْبٍ﴾ و: ﴿نُصُبٍ﴾: وهُو كلُّ ما نُصِبَ فعُبِدَ من دون الله.

﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسْرِعُونَ إلى الدَّاعِي مُسْتَبِقِينَ كما كانوا يَسْتبِقُونَ إلى أَنصَابهِم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ أَعْطَاه الله ثوابَ الَّذِين هُم لأَماناتِهم وعَهْدهم رَاعُونَ».

قوله: (و﴿نَصْبٍ﴾ و﴿نُصُبٍ﴾)[1] قال في الصحاح: «النَّصْب: ما نُصِبَ فعُبِدَ مِن دون الله، وكذلك النُصْبُ بالضمّ، وقد يُحرَّك، مثل: عُسْرٍ وعُسُرٍ، قال الأعشى:

وَذَا النُّصُبَ المَنْصُوبَ لَا تَعْبُدَنَّهُ   لِعَاقِبَةٍ وَاللهَ رَبَّكَ فَاعْبُدَا[2]

أراد "فاعبُدَن" فوقَف».[3] القراءةُ بضمّ النون والصاد جمعُ "نَصْبٍ"؛ وهو ما نُصِبَ للعبادة، وبفتح النون وسكون الصاد مفرد "نُصُبٍ"، قاله في الكواشِي.[4]

تمّت السورة[5] بحمد الله تعالى.[6]

---

[1] ن – و﴿نُصُبٍ﴾. | قرأ ابن عامر وحفص بضمّ النون والصاد، وقرأ باقي العشرة بفتح النون وإسكان الصاد. النشر لابن الجزري، ٣٩١/٢.

[2] في ديوان الأعشى، ص ١٣٧، بلفظ:
وَذَا النُّصُبَ المَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ
ولا تَعْبُدِ الأوْثَانَ واللهَ فاعْبُدَا

[3] الصحاح للجوهري، «نصب».

[4] تفسير الكواشي، ٥٥٧و.

[5] ف – السورة.

[6] ف: بحمد الله ومنّه.

سورة نوح

مكيةٌ، وهي تسعٌ أو ثمانٌ وعشرون أو ثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾

﴿أَنۡ أَنذِرۡ﴾ أَصْلُه: بأَن أَنْذِر، فحُذِف الجارُّ وأُوصِلَ الفعلُ، وهي ﴿أَنۡ﴾ الناصبَةُ للفِعْل، والمَعْنى: أَرْسَلناهُ بأَن قُلْنَا له: ﴿أَنذِرۡ﴾؛ أي: أَرْسَلنَاه بالأَمْر بالإِنْذارِ.

ويجوز أن تكُون مُفسِّرةً؛ لِأنَّ الإرْسَالَ فيه مَعْنى القَول.

وقرأ ابن مسعُودٍ: "أَنْذِرْ" بغير "أَن" على إرادة القَول.

سورة نوح عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (وهي "أَنْ" الناصبة) يعني: المَصدريّة، وإذا كان "أَنْ" مصدريّةً تكون[2] ﴿أَنۡ أَنذِرۡ﴾ في محلِ النصب، أي: أرسلنا نوحًا إرسالًا ملتبسًا بهذا القول، فيكون "صفةُ مصدرٍ محذوفٍ" فيه نَظرٌ، بل يريد أنّ الباء فيه كما في قولك: ضربْتُ بالسَّوط، يعني: إرسالُه كان بهذا القول، فإنّ قوله: ﴿أَنذِرۡ﴾ هو الإرسال.

قوله: (أي: أرسلناه) أي: أرسلناه بأن أمرناه بالإنذار.

قوله:[3] (على إرادة القول) تقديره: أرسلنا نوحًا قائلًا: أنذر، هذا على

---

[1] ف ن - وبه نستعين.
[2] ف: يكون.
[3] ف + قوله.

و﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ﴾ نحوُ ﴿أَنۡ أَنذِرۡ﴾ في الوَجْهينِ.

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ﴾ مَع إِخبَارِه بامتناعِ تَأخِيرِ الأَجَل، وهل هذَا إِلَّا تَناقضٌ؟

قلتُ: قَضَى اللهُ مَثَلًا أَنَّ قَومَ نُوحٍ إِنْ آمَنوا عمَّرهُم أَلْفَ سَنةٍ، وإِن بَقُوا على كُفْرهم أَهْلكهُم على رَأْس تسعِ مئةٍ، فقيل لهُم: آمِنُوا يؤخِّرْكُم إلى أَجَلٍ مُسمًّى؛ أي: إِلَى وَقْتٍ سَمَّاهُ اللهُ وضَربَهُ أَمَدًا تنْتَهُونَ إليه لا تتجَاوزُونَهُ، وهُو الوقتُ الأَطوَلُ تمامُ الأَلْفِ، ثمَّ أخبَر أنَّه إذا جَاء ذلك الأَجَلُ الأَمدُّ لا يُؤخَّرُ كما يُؤخَّرُ هذا الوقتُ، ولـم تكُنْ لكُم حِيلةٌ فبَادِرُوا في أَوقات الإِمْهال والتَّأخِير.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩﴾

﴿لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾: دَائبًا من غيْرِ فُتُورٍ، مُسْتَغرِقًا به الأَوقاتَ كُلَّها.

مذهب البَصريّين، وأمّا الكوفيّون فلا يُقدِّرون فيه القول؛ لأنّ ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ بمعنى قلنا، وقراءة ابن مسعود تدلُّ على كون "أَنْ" مفسِّرة.

قوله: (في الوجهين) يعني: يجوز أن يكون "أنْ" هي الناصبة، أي: نذير بأن أقول: اعبدوا الله، ويجوز أن يكون "أنْ"[1] مفسِّرة؛ لأنّ الإنذار فيه معنى[2] القول.

قوله: (قلتُ: قضى الله مثلًا) أي: أذكر[3] مثلًا، أي: أمثِّل تمثيلًا، وهي جملة معترضة بين "قضى" ومفعولِه؛ ذكرها المصنِّف لئلّا يَتوهَّم متوهِّم أنّ قضاء الله تعالى تعميرَ قوم نوحٍ واقع تحقيقًا على الوجه المذكور ههنا، فأشار المصنِّف إلى أنّه يذكر هذا المعنى بطريق المثال لتحقيق معنى التأخير في هذا المقام.

قوله: (دائبًا) دأب في عمله، أي: جدَّ وتعِب.

---

[1] ن - أنْ.
[2] ن - معنى.
[3] ف: ذكر.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ﴾ جَعَل الدُّعَاء فاعلَ زِيادَةِ الفِرارِ، والمَعنى على أَنَّهم ازدَادُوا عِنده فِرارًا؛ لأنَّه سَبَبُ الزِّيادةِ، ونحوُه: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة ١٢٥/٩] ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة ١٢٤/٩].

﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾: ليتُوبُوا عن كُفْرهم فتَغفِرَ لهُم، فذَكر المُسبَّبَ الَّذِي هُوَ حَظُّهُم خالِصًا لِيَكُونَ أَقْبحَ لإعْراضِهِمْ عنه.

﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: سَدُّوا مَسَامعَهم عن استماعِ الدَّعوَة ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾: وتغطَّوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابُهم أو تُغَشِّيَهم لئلا يبصروه؛ كراهةَ النظر إلى وجهِ مَن ينصحُهم في دِين الله.

قوله: (والمعنى) جملة معترِضة.

قوله: (ونحوُهُ ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾) ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ/ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة ١٢٤/٩-١٢٥]، الضمير [٤٢٦و] من ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ يعود إلى السورة، والمعنى: أنّ الله تعالى يزيدهم ذلك عند نزول السورة.

قوله: (فذَكَر المُسبَّبَ) أي: ذكر الغفران الذي هو حظُّهم ليكون ذلك أشدَّ إقباحًا[١] لفِعلهم الذي هو الإعراض عن الدعاء.

قوله: (خالصًا) حال عن المسبَّب.

قوله: (لإعراضهم عنه) أي: عن الدعاء.

قوله: (أو تغشِّيهم) يريد أنّ "استفعل" هنا يجوز أن يكون لطلب الفعل الثلاثيِّ المجرَّد، ويجوز أن يكون لطلب المزيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ [البقرة ٢٣٣/٢]، أي: تطلبوا إرضاع أولادكم. غَشِيهُ غشيانًا جاءه، وغشَّيت الشيءَ تغشيةً إذا غطّيته.

---

١ ن: قباحًا.

وقيل: لئلا يَعْرِفَهُم، ويَعْضُده قَوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود ٥/١١].

"الإضرارُ": مِن أصَرَّ الحمَارُ على العَانةِ: إذا صَرَّ أُذُنَيْه وأقبَلَ عَليْها يَكْدِمُهَا ويَطْرُدُهَا، استُعِير للإقْبال على المعَاصي والإكْبَابِ عَليْها.

﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: وأَخذتهمُ العِزَّةُ من اتِّباع نُوحٍ وطاعَتهِ، وذكرُ المَصْدر تأكِيدٌ ودَلالةٌ على فرْطِ استِكبَارِهمْ وعُتُوِّهم.

فإن قلتَ: ذَكرَ أنَّه دعَاهُم لَيْلًا ونهَارًا، ثُمَّ دَعاهُم جِهَارًا، ثُمَّ دعَاهُم في السِّرِّ والعَلَنِ، فيجبُ أن تكُونَ ثلاثَ دعَواتٍ مُختلِفاتٍ حَتَّى يَصحَّ العَطْف؟

قلتُ: قد فعَلَ عليه السَّلام كما يَفعَلُ الَّذي يَأمرُ بالمعرُوفِ ويَنهَى عن المُنكر في الابتداءِ بالأهْوَنِ والتَّرقِّي في الأَشَدِّ فالأَشَدِّ، فافتتَح بالمُناصَحةِ في السِّرِّ، فلمَّا لم يقبَلُوا ثَنَّى بالمُجاهَرَة، فلمَّا لم تُؤثِّر ثلَّثَ بالجَمْع بين الإسْرارِ والإعْلانِ.

ومعنَى ﴿ثُمَّ﴾: الدَّلَالةُ على تبَاعُدِ الأَحْوال؛ لِأنَّ الجِهَارَ أَغْلَظُ من الإسْرَار، والجَمْعُ بين الأَمرين أغلظُ مِنْ إفْرادِ أحَدهما.

قوله: (لئلّا يعرفَهم) متعلّق بقوله: (تَغطُّوا)، وقوله: (كأنّهم) جملة مبتَدأة لتحقيق تفسير الاستغشاء بالتغطية، وقوله: (كراهةَ) علّةُ "لا يبصِروه" علَّل التغطية بعدَم الإبصار، وعلَّل عدمَ الإبصار[١] بالكراهة.

قوله: (على العانة)[٢] العانة:[٣] القطيع مِن حُمُرِ الوَحْش.

قوله: (ويَعْضُدُه قوله تعالى) فإنّ هذه الآية تدلُّ على أنّ استغشاءَهم إنّما كان لئلّا يعرفوه.

قوله: (ثنّى بالمجاهرة).[٤]

---

[١] ن - وعلّل عدم الإبصار.

[٢] د: الغاية. | العانة: القطيع من حُمُر الوحش، والجمع عونٌ. الصحاح للجوهري، «عون».

[٣] د: الغاية.

[٤] كذا في كلّ النسخ أتى بكلام الزمخشري ولم يعلّق عليه بشيء.

و﴿جِهَارًا﴾ مَنْصُوبٌ بِـ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾ نَصْبَ المَصْدرِ؛ لِأَنَّ الدُّعاء أَحَدُ نَوْعَيهِ الجِهارُ، فَنُصِبَ به نصْبَ "القُرْفُصَاء" بـ"قَعد" لِكوْنها أَحَدَ أَنواعِ القُعُودِ، أو لأنَّه أرَاد بـ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾: جَاهَرْتُهم.

ويجوز أَن يكُونَ صِفةً لمَصْدرِ "دعَا" بمَعنى: دُعاءً جِهارًا؛ أي: مُجَاهَرًا بِهِ، أو مَصْدَرًا في مَوْضِع الحالِ؛ أي: مجاهِرًا.

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾

قوله: (القُرفُصاء) القُرفُصاء: ضَربٌ مِن القُعود يُمَدُّ ويُقْصَرُ، فإذا قلت: قعَد فلانٌ القُرفُصاءَ؛ فكأنّك قلت: قعدَ قعودًا مخصوصًا، وهو أن يجلس على أَلْيَتِه[1] ويُلصِقَ فَخِذَيه ببطنه ويَحتبي بيده يضعهما[2] على ساقيه كما يحتَبي بالثوب يكون يداه مكان الثوب، وقيل: هو أن يجلس على ركبتيه مُنْكَبًّا[3] ويلصق بطنَه بفخِذيه ويتأبَّط كفَّيه، وهي جلسةُ الأعراب، قال:

وَلَـوْ نَكَحْتَ جُزهُمًا وكَلْبًا وَقَيسَ عَيْلَانَ[4] الكِرَامَ الغُلْبَا
ثُمَّ قَعَدْتَ القُرفُصَا مُنْكَبًّا مَا كُنْتَ إِلَّا نَبَطِيًّا قَلْبًا[5]

قوله: "جُزهم" حيٌّ مِن اليمن. و"كلبٌ" حيٌّ مِن قُضاعةَ.[6] والنَّبَطُ:[7] جيلٌ مِن الناس بسواد العراق، والواحد نبَطيٌّ، وعن ثعلبٍ عن ابن الأعرابي: رجلٌ نباطيٌّ، ولا تقل: نَبَطيٌّ، قاله في المُغرب.[8] وقال[9] في الصحاح: «يقال: رجلٌ نَبَطيٌّ ونباطيٌّ ونَباطٍ مثل: يمنيٌّ ويَمانيٌّ ويَمانٍ».[10]

قوله: (في موضع الحال) مِن التاء في ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾.

---

[1] ف: أَلْيَتيه.
[2] ن: بعضهما.
[3] ن: مكبًا.
[4] ف: غيلان.
[5] ذكره الجوهري في الصحاح، «قرفص»؛ وقال: إنّ أبا المهدي أنشَده.
[6] ن: فضاعة.
[7] ن: والنيط.
[8] المُغرِب للمطرّزي، «نبط».
[9] ف: وقاله.
[10] الصحاح للجوهري، «نبط».

أمَرَهُم بالاستغفارِ الَّذي هو التَّوبةُ عن الكُفرِ والمَعاصِي، وقَدَّم إلَيْهِم المَوْعِدَ بما هُو أوقعُ في نُفُوسِهِمْ وأحَبُّ إلَيْهِم من المَنافِعِ الحاضِرة والفَوائِدِ العَاجِلةِ؛ ترْغيبًا في الإيمانِ وبَركاتِه والطَّاعَةِ ونَتائجِها من خَيْرِ الدَّارَيْن، كما قال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الصف ١٣/٦١] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ﴾ [الأعراف ٩٦/٧] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [المائدة ٦٦/٥] ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾ [الجن ١٦/٧٢].

وقيل: لمَّا كَذَّبُوهُ بَعْدَ طُول تكرير الدَّعوَة حبَس اللهُ عَنْهُم القَطْرَ وأعْقَم أرْحامَ نِسَائهم أربعينَ سَنةً.

وروي: سَبْعينَ.

فوعَدَهُم أنَّهم إن آمَنُوا رَزَقَهُم اللهُ الخِصْبَ ودَفَع عَنْهُم ما كانوا فيه.

وعن عُمر رضي الله عنه: أنَّه خرَجَ يَسْتَسْقِي فمَا زاد على الاستغفار، فقيل له: مَا رأيناكَ استَسْقَيتَ! فقال: لقَد استسقَيْتُ بمَجاديح السَّماء التي يُستَنزَلُ بهَا المَطرُ.

شَبَّه الاستغفارَ بالأنواء الصَّادقةِ الَّتي لا تُخْطِئُ.

قوله: (مِن المنافع) "مِن" في "مِن المنافع" بيانُ "ما"، وأمّا "مِن" التي يُستعمل بها أفعل التفضيل فمحذوف، أي: أوقع وأحَبُّ[1] مِن كلّ شيء.

قوله: (مِن خير الدارين) بيان النتائج والبركات.

قوله: (وقيل: لمَا كذَّبوه) هذا عطفٌ على قوله: (قدَّم).

قوله: (بمَجاديح السَّماء) المَجاديح: جمع المِجْدَح؛[2] وهو كوكبٌ كان يكْثُر المطر عند طلوعه أكثر ما يكون عند طلوع سائر الكواكب.

قوله: (شبّه الاستغفار) أي: شبَّه عمرُ رضي الله عنه الاستغفار.[3]

---

[1] ن: وأوجب.
[2] ن: المجدوح.
[3] ف: الاستعفار.

وعن الحَسن: أنَّ رَجُلًا شَكا إلَيْه الجَدْبَ فقال: استَغْفِر اللهَ، وشَكا إلَيْه آخَرُ الفَقْرَ، وآخَرُ قِلَّةَ النَّسل، وآخَرُ قِلَّةَ رَيْع أَرْضِه، فأمَرهُم كُلَّهم بالاستغفارِ، فقالَ له الرَّبيع بنُ صُبَيْحٍ: أتَاكَ رجالٌ يَشكُون أبْوابًا ويَسْألُونَ أنواعًا فَأمَرْتَهُم كُلَّهُم بالاستغفارِ! فَتَلا لهُ الآيةَ.

و"السَّماءُ": المُظِلَّةُ؛ لأنَّ المَطر منها يَنْزِلُ إلى السَّحابِ، ويجوز أن يُرادَ السَّحابُ أو المَطَرُ من قولهِ:

إذا نَـــزلَ الـسَّـمـاء بـــأَرْضِ قَـــوْمٍ

و"المِدْرَارُ": الكثيرةُ الدُّرُور، ومِفْعالٌ ممَّا يَسْتَوِي فيه المُذكَّرُ والمُؤنَّث؛ كقولهم: رَجُلٌ -أو امرَأةٌ- مِغطَارٌ ومِتْفالٌ.

﴿جَنَّـٰتٍ﴾ بسَاتِينَ.

قوله: (الرَّبِيع بن صَبيح) هو بفتح الراء وكسر الباء، وبتصغيره سُمِّيت الرُّبَيِّع / بنت مُعوِّذ بن عَفراء، والرُّبَيِّعُ بنت النَّضر عمّة أنس، وكذا والد[1] الرَّبيع صَبيحٌ بفتح الصاد، قال في المُغرب: «وَجهٌ صبيحٌ، أي: حَسَنٌ، وبه سُمِّيَ والدُ[2] الرَّبيع بن[3] الصَّبيح،[4] وهو يروي عن الحسن وعطاء، وعنه الثَّوريّ».[5] [٤٢٦ظ]

قوله:

(إذَا[6] نَـــزَلَ السَّـــمَاءُ بِـــأرضِ قَـــومٍ)

تمامه:[7]

رَعَينَـــــاهُ وإنْ كانُـــــوا غِضَابَـــــا[8]

وقوله: (ومِتْفالٌ) رجل تَفِلٌ، أي: غير متطيّب.

---

[1] ن: ولد.

[2] ن: ولد.

[3] ن: بل.

[4] ف: الصيح؛ ن: لصبيح.

[5] المُغرِب للمطرّزي، «صبح».

[6] ن - إذا.

[7] ف - تمامه.

[8] ذكره ابن منظور في لسان العرب، «سما»، من قول معاوية بن مالك بلفظ:
إذَا سَقَطَ السَّماءُ بأرضِ قَوْمٍ...

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾

﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: لا تَأْمُلُونَ لهُ تَوقِيرًا؛ أي: تعْظِيمًا، والمَعنى: ما لَكُم لا تكُونُونَ على حالٍ تَأمُلُونَ فيهَا تَعْظِيمَ اللهِ إِيَّاكُم في دَار الثَّوابِ، و﴿لِلَّهِ﴾ بيَانٌ للمُوقِّرِ، ولو تَأخَّر لكانَ صِلَةً للوَقارِ.

وقولُه: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ في مَوْضِع الحالِ؛ كَأنّه قال: ما لكُم لا تؤمنُونَ باللهِ والحالُ هذِه، وهيَ حالٌ مُوجِبَةٌ للإيمانِ بهِ؛ لأنَّهُ خَلقَكم أَطْوَارًا؛ أي: تَارَاتٍ: خلقَكُم أوَّلًا تُرابًا، ثُمَّ خَلَقكُم نُطَفًا، ثمَّ خَلقَكم عَلَقًا، ثمَّ خلقَكُم مُضَغًا، ثم خَلقكم عِظَامًا ولَحْما، ثم أَنْشَأكُم خَلْقًا آخَر؟

أو: لا تَخافُونَ لله حِلْمًا وتَرْكَ مُعَاجَلَةٍ بالعِقابِ فتُؤمِنُوا.

وقيل: ما لكُم لا تخَافُونَ للهِ عَظمةً.

وعن ابن عبّاسٍ: لا تَخافُونَ للهِ عاقِبةً؛ لأنَّ العَاقِبةَ حالُ استِقرارِ الأمُورِ وثبَاتِ الثوابِ والعِقابِ، مِن وَقَر: إذا ثبَتَ واستَقَرَّ.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦﴾

نبَّهَهُم على النَّظر في أنفُسِهم أوَّلًا لأنَّهَا أَقْرَبُ مَنْظُورٍ فيهِ مِنْهم، ثُمَّ على النَّظرِ في العَالَم وما سُوِّيَ فيهِ ....

قوله:[١] (توقيرًا) أي: تعظيمًا، فالوقار[٢] بمعنى التوقير، كالسلام بمعنى التسليم.

قوله: (للمُوَقِّر) أي: الذي يفعل التوقير، أي: التعظيم.

قوله: (لأنّها أقربُ منظور فيه منهم) "منهم" صلة "أقربُ"، كما يُقال: قَرُب منه. واستعمل "أقرب"[٣] هنا بالإضافة، وأتى بالمضاف إليه نكرةً، كما يقال:

---

١ ن – غضابًا. وقوله: (ومِتْفالٌ) رجل تَفِلٌ، أي: غير متطيّب. قوله.

٢ ن: فالواقار.

٣ ن – (منظور فيه منهم) "منهم" صلة "أقرب"، كما يقال: قرُب منه، واستعمل أقرب.

من العَجائب الشاهِدة على الصَّانع الباهِر قُدْرتُه وعِلمُهُ: من السَّماواتِ والأَرْضِ والشمس والقمر.

﴿فِيهِنَّ﴾: في السَّماواتِ، وهو في السَّماءِ الدُّنيا لأنَّ بين السَّماوات مُلابَسَةً من حيْثُ إنَّها طِبَاقٌ، فجاز أن يُقال: "فيهنَّ كَذا" وإنْ لم يَكُن في جَمِيعِهِنَّ؛ كما يُقال: في المَدينة كذا، وهُو في بَعض نوَاحيهَا.

وعن ابن عبَّاسٍ وابن عُمر رضي الله عنهما: أَنَّ الشَّمسَ والقَمر وجُوهُهما ممَّا يلي السماء وظهُورُهُما ممَّا يلي الأَرض.

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ يُبْصِرُ أَهْلُ الدُّنيَا في ضَوئِهَا كما يُبْصِرُ أَهْلُ البَيْتِ في ضَوء السِّراجِ ما يحتَاجُونَ إلى إبْصَارِه، والقَمرُ لَيْسَ كذلِك إنَّما هُوَ نُورٌ لم يَبْلُغ قوَّةَ ضِيَاء الشَّمسِ.

ومِثْلُه قَولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس ٥/١٠] والضِّيَاءُ أَقوَى من النُّورِ.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾

زيد أفضل رجلٍ، أي: إذا عُدِّدَ وفُصِّل كل واحدٍ مِن المنظور فيه واحدًا واحدًا تكون أنفسهم أقربَ إليهم مِن الجميع لا محالةَ.

قوله: (مِن العجائب) بيان "ما".

قوله: (مِن السماوات) بيان "العجائب".

قوله: (وهو في السماء) أي: القمر.[١]

قوله: (لأنّ) متعلق بمحذوف، كأنّه قال:[٢] قال تعالى: "في السَّماوات"[٣] مع أنّ القمر في السماء الدنيا، لأنّ بين...[٤]

---

١ ن – قوله: (من السماوات) بيان العجائب. قوله: (وهو في السماء) أي القمر.
٢ ن – قال.
٣ يعني قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ [نوح ١٦/٧١].
٤ ف ن: لاذبين.

استُعِيرَ الإنْباتُ للإنشاء؛ كما يُقالُ: "زَرَعك اللهُ للخَيْر"، وكانت هذه الاسْتعَارةُ أدَلَّ على الحُدُوثِ لِأَنَّهم إذا كانُوا نَباتًا كانوا مُحْدَثِينَ لا مَحالَة حُدوثَ النباتِ، ومنه قيل للحَشْوِيَّةِ: النَّابِتةُ والنَّوابِتُ؛ لحدُوثِ مَذْهَبِهم في الإسْلام مِن غَيْرِ أوَّلِيَّةٍ لَهُمْ فيه، ومِنه قَوْلُهم: "نَجمَ فُلانٌ" لبَعْض المَارِقَة، والمَعْنى: أَنْبتَكُم فَنَبتُّم نَباتًا، أو نُصِبَ بـ﴿أَنۢبَتَكُم﴾ لِتَضمُّنِه مَعْنى: نَبتُّم.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقْبُورِينَ ثمَّ ﴿يخرجكم﴾ يوْمَ القيامة، وأكَّدَهُ بالمصْدرِ كَأَنَّه قال: يُخْرِجُكُمْ حقًّا ولا مَحَالَة.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

جعَلها ﴿بِسَاطًا﴾: مَبْسُوطَةً تتقَلَّبُونَ عَليهَا كما يَتقَلَّبُ الرَّجلُ على بسَاطِه.

﴿فِجَاجًا﴾: واسِعَةً مُنْفَجَّةً.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ رُؤوسَهُم المُقَدَّمِينَ أَصْحَابَ الأَمْوال والأَوْلادِ، وارتَسَمُوا ما رَسَمُوا لَهُم من التَّمسُّك بعبَادة الأصنام، وجَعَل أَمْوالَهُم وأَولادَهُم الَّتي لم تَزِدْهُم إلَّا وَجَاهَةً ومَنْفعةً في الدُّنيا ....

قوله: (لبعض المَارِقة) أي: لبعض الخوارج، سُمِّيت الخوارج مارقةً لقوله عليه الصلاة والسلام: «يَمْرُقون من الدين كما يَمْرُق السهم من الرَّمِيّة»،[١] وأصل المُرُوق الخروج.

قوله: (وارتَسموا ما رَسَموا) رَسَمْتُ له كذا فارتَسَمه، أي: أمرتُه فامتثلَه.

قوله: (مِن التمسُّك) بيان "ما".

---

[١] صحيح البخاري، ٢٠٠/٤ (٣٦١٠)؛ صحيح مسلم، ٧٤٤/٢ (١٠٦٤).

زائِدةً ﴿خَسَارًا﴾ في الآخِرَة، وأَجْرَى ذلك مُجْرى صِفَةٍ لازمةٍ لَهُم وسِمَةٍ يُعْرَفُون بهَا؛ تَحْقيقًا لَه وتثبيتًا وإبطالًا لِمَا سِواه.

وقرئ: "ووُلْدُه"، "ووِلْدُه" بضم الواوِ وكسرِها.

﴿وَمَكَرُواْ﴾ مَعْطُوفٌ على ﴿لَّمْ يَزِدْهُ﴾ وجُمِعَ الضَّمِيرُ وهُو رَاجِعٌ إلى ﴿مَن﴾ لِأنَّه في مَعْنى الجَمْعِ.

والمَاكِرُونَ: هُم الرُّؤسَاء، ومكرُهم: احتِيَالُهُم في الدِّين وكيْدُهم لنُوحٍ، وتحْريشُ النَّاسِ على أذاهُ، وصَدُّهم عن المَيْل إليه والاستماعِ مِنه، وقولُهم لَهُم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ إلى عِبَادة رَبِّ نُوحٍ.

﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ قرِئ بالتَّخفيفِ والتَّثقيلِ، والكُبَار أكبَرُ من الكَبيرِ، والكُبَّارُ أكبَرُ من الكُبَارِ، ونحوهُ: طُوالٌ وطُوَّالٌ.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ كأنَّ هذه المُسمَّاةَ كانت أكبَرَ أَصْنامِهم وأَعْظَمَها عندهُم، فخَصُّوهَا بَعْدَ قَوْلِهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾، وقد انتَقَلتْ هذه الأَصْنامُ عن قوم نُوحٍ إلى العَرب، فكانَ وَدٌّ لِكَلْبٍ، وسُوَاعٌ لهَمْدانَ، ويغُوثُ لِمَذْحِجٍ، ويعُوقُ لمُرادٍ، ونسرٌ لِحميَرَ، ولِذلك سَمَّتِ العَرَبُ بعَبْد وَدٍّ وعَبْد يَغُوثَ.

وقيل: هي أسماءُ رجَالٍ صالحين.

وقيل: مِن أَولادِ آدمَ ماتُوا، فقال إبليسُ لمَنْ بَعْدَهُم: لو صَوَّرتُم صُوَرَهُم

قوله: (زائدةً خسارًا) "زائدةً" مفعول ثانٍ[1] لـ"جعل"، و"خسارًا" مفعول "زائدةً".

قوله: (وأجرَى[2] ذلك) يعني قوله: ﴿لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ لأنّه عبّر عنهم بهذه الصفة.

قوله: (وتثبيتًا) ثبَت الشيءُ ثَبَاتًا وثُبُوتًا، وأثبته غيره وثَبَّته بمعنًى.

قوله: (وتحريشُ الناسِ) التحريش: الإغراء بين القوم.

قوله: (لو صوّرتم) جوابه محذوف، كأنّه قيل: لكانَ خيرًا لكم، وهو بمعنى التمني.

---

[1] ن: فان.

[2] ن: وأخرى.

فكنتُم تَنْظُرون إليهم، ففَعلُوا، فلمَّا ماتَ أُولئك قال لمَن بعْدَهُم: إنَّهم كانُوا يَعْبُدُونهُم، فعَبَدُوهم.

وقيل: كان وَدٌّ على صُورَةِ رَجُلٍ، وسُوَاعٌ على صُورة امرأةٍ، ويَغُوثُ على صُورة أَسَدٍ، ويعُوقُ على صورةِ فرَسٍ، ونَسرٌ على صُورة نَسرٍ.

وقرئ ﴿وُدًّا﴾ بضمّ الواو.

وقرأَ الأعمشُ: "ولا يَغُوثًا ويَعوقًا" بالصَّرف، وهذه قِراءَةٌ مُشْكِلةٌ لأنهما إن كانا عَربيَّين أو أعجميَّين ففيهما سَبَبا منعِ الصَّرف: إمَّا التعريفُ وَوزنُ الفِعل، وإمَّا التعريفُ والعُجمةُ، ولعَلَّه قصَدَ الازدواجَ فصَرَفَهُما لمُصادفَتِه أخواتِهما مُنْصَرفاتٍ وَدًّا وَسُواعًا ونَسرًا، كما قرئَ: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ بالإمَالةِ لوُقوعهِ مَع المُمالَاتِ لِلازدِواجِ.

﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ﴾ الضميرُ للرُّؤساءِ، ومَعناه: وقد أضَلُّوا ﴿كَثِيرٗا﴾ قَبلَ هَؤلاء المُوَصِينَ بأن يَتمسَّكُوا بعبَادةِ الأصْنام، لَيسوا بأوَّلِ مَن أَضَلُّوهُم.

أو: ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ﴾ بإضْلالِهم ﴿كَثِيرٗا﴾ يَعْني: أَنَّ هؤلاء المُضَلِّينَ فيهم كثرةٌ.

ويجوز أن يكون لِلأَصْنام كقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم ٣٦/١٤].

فإن قلتَ: علامَ عُطِفَ قولُه: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟

قلتُ: على قَوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي﴾ على حكايةِ كلام نُوحٍ عليه السَّلام

وقوله: (ففعلوا) عطف على "فقال".

قوله: (وَدًّا) بيان (أخواتِهما).

قوله: (ويجوز أن يكون) أي: الضمير.

قوله: (قلت: على قوله) والحاصل: أنّ نوحًا عليه الصلاة والسلام قال هذين القولين؛ أحدُهما: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي﴾، والثاني: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾، فحكى الله تعالى أحدَ قوليه بعد "قال"، والثاني بعد الواو النائبة[١] عن "قال"، فالواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ﴾ ليس مِن[٢] كلام نوحٍ.

---

[١] ف: النائبه؛ ن: الثانية.

[٢] ن: في.

بعد ﴿قَالَ﴾ وبَعْدَ الوَاوِ النَّائبةِ عَنْه، ومَعْناه: قال: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ وقال: ﴿لا تَزِدِ الظَّالمينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾؛ أي: قال هَذيْنِ القَوْلَين، وهُما في محلِّ النَّصْبِ لِأَنَّهما مَفْعُولَا ﴿قَالَ﴾ كقولك: "قال زَيْدٌ: نُوديَ لِلصَّلاة وصَلِّ في المسْجِدِ" تَحكِي قَولَيْهِ مَعْطُوفًا أحَدُهما على صَاحِبِه.

فإن قلتَ: كيْف جَاز أَن يُريدَ لهُم الضَّلالَ ويَدْعُوَ اللهَ بزِيَادَتِهِ؟

قلتُ: المرادُ بالضَّلال: أن يُخْذَلُوا ويُمْنَعُوا الألْطَافَ لِتَصْميمِهم على الكفرِ ووُقُوعِ اليَأْسِ من إِيمانِهم، وذلك حَسَنٌ جَميلٌ يجُوز الدُّعاء به، بل لا يَحسُنُ الدُّعاءُ بخلافِه.

ويجوز أن يُريد بالضَّلال: الضَّيَاعَ والهَلاك؛ كقَوله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح ٢٨/٧١].

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

تَقديمُ ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ لبيَانِ أَنْ لم يكُنْ إِغرَاقُهم بالطوفانِ فإِدْخَالُهم النَّارَ إِلَّا مِنْ أَجْل خَطيئاتِهم، وأُكِّدَ هذا المَعْنى بزِيادةِ "ما".

قوله: (قال: ﴿لَا تَزِدِ﴾) في بعض النُّسخ: "وقال: ﴿لَا تَزِدِ﴾"، في بعضها: "﴿وَلَا تَزِدِ﴾" بدون "قال"، والمعنى في الوجهين واحد؛ وهو الإشارة إلى أنّ الواو لم يكن في كلام نوح، لكن ذِكرُ "قال" أظهرُ دلالةً على هذا المعنى.

قوله: (تَحكِي قَوليه) مع أنّه لم يَذكر زَيدٌ كلامَيه بطريق العطف.

قوله: (وذلك حسن) / أي: خِذلانهم ومنعهم. [٤٢٧و]

قوله: (الضَّياع)[1] بفتح الضاد، قال في الصحاح: «ضاع الشيء يضيع ضَيْعةً وضَياعًا بالفتح، والضَيْعَة: العَقار، والجمع: ضِياع».[2]

قوله: (وأكِّد) وذلك لأنّ زيادة "ما" في الكلام تفيد تأكيد المعنى المقصود،

---

[1] ف ن + الضياع.

[2] الصحاح للجوهري، «ضيع».

وفي قراءة ابن مسعود: "مِن خَطِيئاتِهِمْ ما أُغرِقوا" بتأخِير الصِّلةِ.

وكَفى بهَا مَزْجَرةً لمُرتكبِ الخطَايَا، فإنَّ كُفْرَ قَوْمِ نوحٍ كان واحدةً من خطِيئاتِهِمْ وإن كانت كُبرَاهُنَّ، وقَد نُعِيَتْ عليهم سَائرُ خطِيئَاتِهم كما نُعيَ عليهم كُفرُهُمْ، ولم يُفرَق بيْنهُ وبَينَهُنَّ في استيجاب العَذاب لِئلَّا يَتَّكِل المُسلم الخاطئُ على إسْلامِه، ويَعْلَمَ أنَّ معَه ما يَسْتَوجبُ به العَذابَ وإن خلَا مِن الخطيئة الكُبْرَى.

وقرئ: ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ بالهَمز، و: "خَطيَّاتِهم" بقَلْبهَا يَاءً وإدْغامِهَا، و: ﴿خَطايَاهُم﴾، و: "خَطِيئتِهم" بالتوحيد على إرَادة الجِنس، ويجوز أن يُراد الكفرُ.

﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارًا﴾ جُعِل دخُولهُم النَّارَ في الآخِرة كأنَّه مُتعَقِّبٌ لإغْراقهم؛ لاقتِرابِه، ولأنَّه كائنٌ لا مَحالةَ فكأنَّه قد كان، أَو أُرِيدَ عذابُ القَبْر.

ومَن ماتَ في ماءٍ أو في نارٍ أو أَكلتهُ السِّباعُ والطَّيْرُ أصَابهُ ما يُصِيبُ المَقبُورَ من العَذاب.

وعن الضَّحَّاك: كانُوا يُغْرَقُونَ مِن جانبٍ ويُحْرَقُونَ مِن جانبٍ.

ولمّا كان معنى التقديم هنا[١] الحصر أفادَ زيادةُ "ما" تأكيدَ ذلك المعنى.

قوله: (وكفى بها) أي: بهذه الآية.

قوله: (كان واحدةً) ضمير "كان" عائدٌ إلى "الكفر"، وأنَّثَ "واحدةً" باعتبار الخَطيئة أي: خطيئةً[٢] واحدةً.

قوله: (وإن كانت كُبراهُنَّ) أي: وإن كانت تلك الخطيئة[٣] الواحدة كُبرَى خطيئاتهم.[٤]

قوله: (ويجوز أن يُراد) عطف على (إرادةِ)، وهما متعلِّقان بقوله: (بالتوحيد).

قوله: (أو أُريد) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (جُعل).

---

[١] ن: صار.

[٢] ف: خطيةً.

[٣] ف: الخطيةُ.

[٤] ف: خطياتهم.

وتنكِيرُ النَّارِ إمَّا لتَعظِيمهَا، أو لِأنَّ اللهَ أعَدَّ لهُم على حسَبِ خطِيئاتهِم نوعًا من النَّار.

﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ تَعْرِيضٌ باتِّخاذِهم آلِهَةً من دُون اللهِ وأنَّها غيرُ قادرةٍ على نَصْرِهم، وتَهَكُّمٌ بهِم؛ كأنَّه قال: فلم يجِدُوا لَهمْ من دُون الله آلِهَةً يَنصُرونَهُم ويمنعُونَهم من عذابِ الله؛ كقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء ٢١/٤٣].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

"ديَّار" من الأسْماءِ المُستَعْمَلةِ في النَّفي العامّ؛ يُقالُ: "ما بالدَّارِ دَيَّارٌ ودَيُّورٌ" كقَيَّامٍ وقَيُّومٍ، وهو فَيْعالٌ من الدَّور، أو من الدَّار، أَصْلهُ: دَيْوَارٌ، ففُعِل بهِ ما فُعِل بأَصْلِ "سَيِّدٍ وميِّتٍ" ولو كان فَعَّالًا لكان: دَوَّارًا.

فإن قلتَ: بِمَ عَلِم أنَّ أولادَهُم يَكفُرونَ، وكيفَ وَصَفهُم بالكُفر عند الولادةِ؟

قلتُ: لَبِثَ فيهِم ألفَ سَنةٍ إلَّا خمسين عَامًا، فذاقَهُم وأكَلَهُم وعَرف طبَاعَهُم وأَحوالَهُم، وكان الرَّجُلُ مِنهم يَنْطلِقُ بابْنِه إليْه ويقُولُ: احْذَرْ هذا فإنَّه كذَّابٌ وإنَّ أَبِي حَذَّرنِيه، فيَمُوتُ الكَبِيرُ وينشَأُ الصَّغيرُ على ذلك، وقد أخبرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود ١١/٣٦].

ومَعْنى: ﴿لَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾: لا يلِدُوا إلَّا مَن سَيَفْجُر ويَكْفُر، فوَصَفَهُم بما يَصِيرُونَ إلَيْه كقَوله علَيْه السَّلام: «مَن قتَلَ قَتيلًا فَله سَلَبُه».

قوله: (وقد أخبره الله) هذا عطف على قوله: (لَبِثَ)،[1] فكأنَّه[2] قال: عَلِمَ بالتجربة وبإخبار الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ﴾ [هود ١١/٣٦].

قوله: (ومعنى ﴿لَا يَلِدُوٓا۟﴾) هذا جواب عن السؤال الثاني.

---

[1] ن: ليت.

[2] ف: وكأنه.

﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ أبوهُ: لَمَكُ بنُ مَتُّوشَلَخَ، وأمُّه: شَمْخَا بِنْتُ أَنُوشَ، كانَا مُؤمِنَيْنِ.

وقيل: هُما آدَمُ وحَوَّاء.

وقرأ الحُسينُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما: "ولوَلَدَيَّ" يُريد: سَامًا وحامًا.

﴿بَيْتِيَ﴾: مَنْزِلِي، وقيل: مَسْجِدي، وقيل: سَفِينَتِي، خَصَّ أوَّلًا مَن يتَّصِلُ به لِأنَّهم أَوْلَى وأَحَقُّ بدُعَائهِ، ثـمَّ عـمَّ المُؤمنيـنَ والمُؤمِناتِ.

﴿تَبَارًا﴾: هَلاكًا.

فإن قلتَ: ما فعَل صِبْيانُهُم حينَ أُغرِقُوا؟

قلتُ: غرِقُوا مَعَهُم، لا عَلى وجْهِ العقابِ ولكنْ كما يَمُوتُون بالأَنْواع مِن أسبَابِ المَوْتِ، وكَـم مِنهُـم مَن يَمُوتُ بالغَرَقِ والحَرَقِ، وكأن ذلك زيادةً في عذابِ الآبَاءِ والأُمَّهاتِ إذا أَبْصَرُوا أَطْفَالَهُـم يَغْرقُونَ.

ومنه قَولُه عليه السَّلام: «يَهْلِكُونَ مَهْلِكًا وَاحدًا ويَصْدُرونَ مَصَادرَ شَتَّى».

وعن الحسَن: أنَّه سُئلَ عن ذلك فقَالَ: عَلِمَ اللهُ برَاءتَهم فأَهْلَكَهُم بغَيْرِ عذابٍ.

وقيل: أَعْقَم اللهُ أَرْحامَ نسَائهم وأَيْبَسَ أَصْلابَ آبَائِهم قبلَ الطُّوفانِ بأَرْبَعينَ -أو سَبْعينَ- سَنةً، فلم يكُن مَعَهُم صَبيٌّ حِينَ أُغرِقُوا.

عن رسُول الله عليه السلام: «مَن قَرأ سُورة نوحٍ كان مِن المُؤمِنينَ الَّذِينَ تُدْرِكُهم دَعْوةُ نُوحٍ عليه السَّلامُ».

قوله: (خَصَّ) ذَكَر أوَّلًا نفسَه، ثمّ مَن يتَّصل به أصلًا وفرعًا، ثمّ مَن جاوره بالدخول في بيته، ثمّ عمَّ المؤمنين.

تمَّت السورة بحمد الله تعالى ومَنّه وكرَمه.[١]

---

[١] ف - السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن - ومَنّه وكرمه.

سورة الجن

مكية، وهي ثمانٍ وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾

قُرِئَ: "أُحيَ" وأَصْلُه: وُحيَ، يقال: أَوْحَى إلَيْه ووَحَى إليه، فقُلِبَتْ الواوُ هَمْزةً؛ كما يُقال: أُعِدَ وأُزِنَ ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات ١١/٧٧] وهو من القَلْبِ المُطْلَقِ جَوازُهُ في كُلِّ وَاوٍ مَضْمُومَةٍ، وقد أَطْلَقَهُ المَازِنيُّ في المَكسُورَة أَيْضًا كإِشاحٍ وإِسَادةٍ و: "إِعاءِ أَخِيهِ".

وقرأ ابنُ أَبي عَبْلةَ: "وُحِيَ" على الأَصْل.

﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ بالفَتح لأنَّه فاعِلُ ﴿أُوحِيَ﴾، ....

سورة الجِنّ

مكيّة، وهي ثمان وعشرون آيةً[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[2]

قوله: (أعِدَ وأزِنَ) أصلهما: وُعِدَ ووُزِنَ.

قوله: (كإشاح، وإسادة،[3] وإعاءِ أخيه) في وِشاحٍ، ووِسادةٍ، ووِعاءٍ.

قوله: (لأنّه فاعل ﴿أُوحِيَ﴾)[4] أي:[5] أوحيَ الاستماع، ويريد بالفاعل المفعولَ

---

١ ن – مكيّة وهي ثمان وعشرون آية.
٢ ف ن – وبه نستعين.
٣ ن: وإشادة.
٤ ن: أحي.
٥ ن – أي.

و﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾: بالكسْرِ لأنَّه مُبتَدأٌ مَحكيٌّ بعدَ القَول، ثمَّ تُحمَلُ عليهما البَواقي، فما كان من الوَحْي فُتِحَ وما كان من قول الجِنِّ كُسِرَ، وكلُّهنَّ من قولِهم إلّا الثِّنتَين الأُخرَيين: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن ١٨/٧٢] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ [الجن ١٩/٧٢]، ومَن فَتح كُلَّهنَّ فعَطفًا على محلِّ الجارِّ والمجرُورِ في ﴿آمَنَّا بِهِ﴾؛ كأنَّه قيل: صَدَّقناه وصَدَّقنا أنَّه تعالى جَدُّ رَبِّنا، وأنَّه كان يقُول سَفِيهُنَا، وكَذلك البَواقي.

﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: جماعةٌ منهُم ما بَيْنَ الثَّلاثة إلى العَشرَة.

وقيل: كانوا مِن الشَّيْصَبانِ، وهُم أكثرُ الجنِّ عَددًا، وعَامَّةُ جنُود إبليسَ مِنهم.

﴿قالوا إنا سمعنا﴾؛ ....

القائمَ مقامه، فقوله: (﴿أَنَّهُ﴾) مبتدأ، وقوله: (بالفتح) خبرُه، وقوله: (﴿إِنَّا﴾) مبتدأ، وقوله: (بالكسر) خبره، وإنّما وقعا مبتدأ باعتبار اللفظ، فكأنّه قال: هذا بالفتح وهذا بالكسر.

قوله: (على محلِّ الجارّ والمجرور) يعني: على محلِّه مِن حيث المعنى؛ لأنّ قولك: "آمنّا به" بمعنى صدّقناه، فلا يكون عطفًا على المُضمر المجرور، هذا[1] معنى كلام المصنّف. وهنا وجه آخر لم يذكره المصنّف وهو أن يكون عطفًا على المجرور، فكأنه قيل: آمنّا بأنّه تعالى جَدُّ ربّنا؛ إذ هو الأصل، ثمّ حذف حرف الجرّ؛ لأنّ حذفَ حرف الجرِّ مع "أنْ" و"أنّ" قياسٌ مستمرٌّ، فيكون مِن العطف على المضمر المجرور بإعادة الجارّ.

قوله: (من الشيْصَبان)[2] الشَّيصَبان: اسمُ قبيلةٍ من الجنّ، ويُنشَدُ:

وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي[3] الشَّيْصَبَانِ ... فَحِينًا أَقُولُ وَحِينًا هُوَهْ[4]

---

[1] ن: وهذا.

[2] ن: الشمصبان.

[3] ن – الشيصبان اسم قبيلةٍ من الجنّ وينشد: ولي صاحب من بني.

[4] كذا في الصحاح للجوهري، «شصب»، ونسبه لحسّان بن ثابت رضي الله عنه، وهو في ديوان حسّان، ٥٢٠/١، بلفظ:

فَطَورًا أَقُولُ وَطَورًا هُوَهْ

أي: قالوا لِقَوْمِهم حينَ رجَعُوا إلَيْهم؛ كقَوله: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾ [الأحقاف ٤٦/٢٩-٣٠].

﴿عَجَبًا﴾: بَدِيعًا مُبَايِنًا لسَائر الكُتبِ في حُسْنِ نَظْمِهِ وصِحَّةِ معَانيه، قائمةٌ فيه دلائلُ الإعجَازِ، و"عجَبٌ" مَصْدَرٌ يُوضَعُ مَوضِعَ العَجِيبِ، وفيه مُبالَغةٌ، وهُو ما خرَج عَن حَدِّ أَشكالِهِ ونَظائرِه.

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝﴾

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾: يَدْعُو إلى الصَّوابِ، وقيل: إلى التَّوحيد والإيمانِ.

الضَّميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآنِ، ولمَّا كان الإيمانُ بهِ إيمانًا باللهِ وبوحدانيَّتِه وبَراءةً مِن الشِّرْكِ قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾؛ أي: ولن نَعُودَ إلَى ما كُنَّا عَلَيْه مِن الإشْراكِ بهِ في طَاعَة الشَّيْطانِ.

ويجُوز أَن يكُون الضَّميرُ لله عزَّ وجَلَّ لأنَّ قولَه: ﴿بِرَبِّنَا﴾ يُفَسِّره.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝﴾

﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾: عَظَمتُه، من قولك: جَدَّ فُلانٌ في عَيْني؛ أي: عَظُمَ.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾) استشهد المصنِّف بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا﴾ [الأحقاف ٤٦/٢٩-٣٠]، ثمّ ذكر قوله تعالى ههنا: ﴿قُرْءَانًا﴾ ففسَّره[١] بقوله: ﴿كِتَٰبًا﴾، وأما قولُ المصنِّف: (أي: قالوا لقومِهم)... إلخ فلم يُذكَر فيه المقول؛ لأنّه معلومٌ، وإنّما أراد أنْ يذكر أنّ المعنى: أنّ الجنَّ قالوا هذا القولَ لقومهم.

[٤٢٧ظ] قوله: (﴿عَجَبًا﴾ بديعًا) العجبُ: ما خرج عن / حدِّ القياس وعَظُمَ قدره عند الناس.

قوله: (وفيه مبالغة) لكونه مصدرًا، وقوله: (وهو ما خرج) أي: العجيب.

قوله: (الضمير) أي: في ﴿بِهِۦ﴾.

---

[١] ن: تعره.

وفي حَديثِ عمرَ رضي الله عنه: كان الرَّجُلُ مِنَّا إذا قَرأَ البَقرةَ وآلَ عمْرَانَ جدَّ فينَا، ورُوِيَ: في أعينِنَا.

أو: مُلكُه وسُلْطَانُه، أو: غِناهُ، استِعَارةً مِن الجَدِّ الَّذِي هو الدَّوْلةُ والبَخْتُ؛ لأنَّ المُلوكَ والأَغنِيَاءَ هُم المَجْدُودُون.

والمَعْنَى: وَصْفُه بالتَّعالِي عن الصَّاحبَة والوَلَدِ لعَظمتِه، أو لسُلطَانِه ومَلكُوته، أو لِغنَاه، وقَولُه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيَانٌ لذلك.

وقُرِئَ: "جدًّا ربُّنا" على التَّمييزِ، و: "جِدُّ ربِّنا" بالكَسْر؛ أي: صِدْقُ رُبُوبيَّتِه وحَقُّ إلاهِيَّتِهِ عن اتِّخاذِ الصَّاحِبةِ والوَلدِ، وذلك أنَّهم لمَّا سمِعُوا القرآنَ وَوُفِّقُوا لِلتَّوحيد والإيمانِ تَنبَّهُوا عَلى الخَطأِ فيما اعتَقَده كَفرةُ الجنِّ من تشبيهِ الله بخلْقِه واتِّخاذِه صَاحبةً وولَدًا، فاستَعظَمُوهُ ونَزَّهُوهُ عنهُ.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝﴾

"سَفِيهُهُمْ": إبليسُ لَعنهُ اللهُ، أو غيرُه مِن مَرَدَةِ الجنِّ.

قوله: (وروِيَ) أي: في حديث عمر رضي الله عنه.[1]

قوله: (وقرِئَ: "جَدًّا رَبُّنا"[2] على التميز) فيكون قد قُدّم التمييز على الفاعل، وهو جائز من غير خلافٍ بين النحويّين فيه، ومنه:

أَرَى كلَّ أرْضٍ دَمَّنَتْهَا وَإنْ مَضَتْ لَهَا حِجَجٌ يَزدادُ طيبًا تُرابُها[3]

وقد ذكرنا مثلَ ذلك فيما تقدَّم عند قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف ٦١/٣].

---

[1] د - رضي الله عنه.

[2] قراءة شاذّة تروى عن عكرمة. انظر: المحتسب لابن جنّي ٢/٣٣٢.

[3] في ديوان الحماسة دون نسبة، وقال التبريزي في شرحه: «"دمَّنتْها" فعل مَبنيّ من الدِّمْنة، وهي أثر الدار وما اسودّ مِن الرماد وغيره، فكأنّ معناه: أثّرت فيها بالإقامة، و"الحِجج" جمع حِجّة بمعنى السَّنة، والمعنى: أنّي أرى كلّ مكانٍ أقامت فيه الحبيبةُ زمنًا يزيدُ ترابُه طيبًا وإن مرّت عليه سِنون». شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ١١٨/٢.

و"الشَّطَطُ": مُجاوَزةُ الحَدِّ في الظُّلمِ وغَيْرِه، ومِنه: أَشَطَّ في السَّوْم: إذا أبْعَدَ فِيه.

أي: يَقُول قَولًا هو في نفْسِه شَططٌ لِفَرْطِ ما أَشطَّ فيه، وهوَ نِسْبَةُ الصَّاحِبَة والوَلَد إلى الله، وكانَ في ظَنِّنا أنَّ أَحَدًا من الثَّقَلَيْنِ لن يَكْذِبَ على اللهِ ولَن يَفْتَرِي عَلَيه ما لَيس بحَقٍّ، فكُنَّا نُصَدِّقهم فيما أَضَافوا إليْهِ مِن ذلك حَتَّى تَبَيَّنَ لنَا بالقرآنِ كَذِبُهم وافتِرَاؤُهم.

﴿كَذِبًا﴾: قَوْلًا كَذِبًا؛ أي: مَكْذُوبًا فيهِ، أو نُصِبَ نَصْبَ المَصْدَرِ لأنَّ الكَذِبَ نوعٌ من القَول.

ومَن قَرأ ﴿أَن لن تَقَوَّلَ﴾ وضَعَ ﴿كَذِبًا﴾ مَوْضِع: تَقوُّلًا، ولم يَجْعَله صفةً لأنَّ التَّقوُّلَ لا يكون إلَّا كَذِبًا.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ۝٦﴾

"الرَّهَقُ": غِشْيَانُ المحَارِم، والمَعنى: أَنَّ الإِنسَ باسْتِعاذَتِهم بهِم زادُوهم كِبْرًا وكُفْرًا، وذلك أَنَّ الرجُل من العَربِ كان إذَا أَمْسَى في وَادٍ قَفْرٍ في بَعض مَسَايره وخافَ على نفسِه قال: "أعُوذ بسَيِّدِ هذا الوَادِي مِن سُفهَاء قَوْمِه" يُرِيدُ الجِنَّ وكَبِيرَهُم، فإذا سَمِعُوا بذلك استَكبَرُوا وقالوا: "سُدْنَا الجِنَّ والإِنْسَ" فذلك رَهَقُهُم.

أو: فزادَ الجِنُّ الإنسَ رَهَقًا بإِغوائهم وإِضْلالِهم لِاستِعَاذتِهم بهِمْ.

قوله: (في السَّوم) يقال: سامتِ الماشيةُ تَسُوم سَومًا، أي: رَعَتْ.

قوله: (غِشْيان) أي: الإتيان بالفعل المحرَّم مِن الكِبْر.

قوله: (زادوهم) أي: زاد[1] الإنسُ الجنَّ[2] كِبْرًا.

قوله: (يريد) أي: يريد بالسيِّد كبيرَ[3] الجنِّ، وبالسفهاء[4] الجنَّ.

---

[1] ف: زادوا.
[2] ف: والجن.
[3] ن: كثير.
[4] ن: بالسفهاء.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: وأنَّ الإنسَ ﴿ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ وهوَ من كلام الجِنّ يَقُولُه بَعضُهم لبَعْضٍ. وقيل: الآيتانِ من جُملةِ الوَحْي، والضَّميرُ في ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ﴾ لِلجنّ، والخِطابُ في ﴿ظَنَنتُمْ﴾ لكفّارِ قُرَيْشٍ.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾

"اللَّمْسُ": المَسُّ، فاستُعِير للطَّلَبِ لأنَّ المَاسَّ طَالبٌ مُتعرِّفٌ؛ قال:

مَسِسْنَا مِنَ الآبَاءِ شَيئًا وكُلُّنَا إلى نَسبٍ في قَومِهِ غَيرِ واضِحِ

يُقال: لمَسَهُ والْتمسَهُ وتَلمَّسَهُ؛ كَطَلَبَهُ واطَّلبَه وتَطَلَّبَه، ونحوُه: الجَسُّ، وقَولُهم: جَسُّوهُ بأعيُنِهِمْ وتَجَسَّسُوهُ، والمعنى: طَلَبنا بلُوغَ السَّماءِ واستماعَ كلامِ أَهْلِهَا.

و"الحَرَسُ": اسْمٌ مُفردٌ في مَعْنَى الحُرَّاسِ؛ كالخَدم في مَعْنى الخُدَّامِ، ولذلك وُصِفَ بـ"شَدِيدٍ"، ولَو ذُهِبَ إلى مَعناه لَقِيلَ: شِدَادًا، ونحوُه:

قوله:

(مَسِسْنا مِنَ الآبَاءِ شَيئًا وَكلُّنَا إلى نَسَبٍ في قَومِهِ غيرَ واضِحِ)[١]

"مَسِسْنا" أي: طلبنا عيبًا.

قوله: (وقولهم: جَسُّوه) أي: أبصَروه.

قوله: (والمعنى: طلبنا بلوغ السَّماء) أي: المضافُ محذوفٌ.

قوله: (ونحوه)... إلخ، أي: ونحوُ قوله: ﴿حَرَسًا شَدِيدًا﴾ في وصفِ ﴿حَرَسًا﴾ بـ﴿شَدِيدًا﴾ قولُ[٢] الشاعر، ثمّ بيّن مشابهته له بقوله: (لأنّ)، واللام متعلّق بقوله: (نحوه)؛ لأنّه في معنى: يُشْبِهُه.

---

[١] البيت ليزيد بن الحَكَم الكلابي، انظر: ديوان الحماسة بشرح التبريزي، ٧٨/١، وفيه بلفظ: "حسب" بدل "نسب".

[٢] ن: قال.

أَخْـشَـى رُجَـيْـلًا أو رُكَـيْـبًـا غَـادِيًـا

لأنَّ الرَّجْلَ والرَّكْبَ مُفرَدانِ في مَعنى الرُّجَّالِ والرُّكَّابِ.

و"الرَّصَدُ" مِثْلُ الحَرَسِ: اسْمُ جَمْعٍ للرَّاصِدِ، على مَعْنى: ذَوِي شِهَابٍ رَاصِدِينَ بالرَّجْم، وَهُم المَلائكةُ الَّذين يَرْجُمونَهُم بالشُّهُبِ ويَمنعُونهم مِن الاستماع، ويجوز أن يكون صفةً للشِّهابِ بمَعْنى الرَّاصِد، أو كقَوله:

ومِـــــعًـــــى جِـــيَـــــاعًـــــا

يَعني: يَجِدْ شِهَابًا رَاصِدًا لهُ ولأَجْلِه.

قوله: (على معنى: ذوي شهابٍ) حاصل الوجه الأوّل: أنّ المراد بقوله: ﴿شِهَابًا﴾ هو الملائكة، و﴿رَصَدًا﴾ صفتُه على الوجه الذي ذكر[1] من حذف المضاف. والثاني: أنّ المراد بالشهاب معناه المشهور مِن غير حذف المضاف، و"الرَّصَد" مفرد لا اسمُ جمع، وهو صفة ﴿شِهَابًا﴾.[2] والثالث: أن يكون المراد بالشِّهاب الجنس، كما في قوله: (ومِعًى[3] جياعًا)، فإنّ المراد بـ"المِعى" هناك الجمع، فلذا وصفه بالجمع، وهو "جياعًا".

قوله: (ومِعًى جياعًا) أوّله:

كـأنّ قُـتُـودَ رَحْـلِـي حِـيـنَ ضَـمَّـتْ حَـوالِـبَ غُـــرَّزًا ومِـعًـى جِـيـاعًـا[4]

القُتُود: عيدان الرَحْل[5] بلا أداةٍ، والحالبان: العِرقان[6] المكتنفان بالسُّرّة، والحَلُوبَة: الناقة ذات اللبن، يقال: غَزُرَتِ الناقة غزارةً فهي غزيرة كثيرة اللبن، و"المِعى": ما يتردَّد مِن الحوايا،[7] غَرُزتِ[8] الناقة: قَلَّ لبنُها، المِعى:[9] واحدُ الأمعاء، وفي الحديث: «المؤمن يأكلُ في مِعًى واحدٍ، والكافرُ يأكلُ في سَبعة أمعاء».[10]

---

[1] ن: ذكره.
[2] ن – شهابًا.
[3] ن: ومعنا.
[4] البيت للقُطامي في ديوانه، ص ٢٧١، بلفظ:
كـأنَّ نُسُوعَ رَحْلي حِينَ ضَمَّتْ...
[5] ن: الرجل.
[6] ن: والعرفان.
[7] ف: الخوايا.
[8] ف: غوُرت.
[9] ن: والمعا.
[10] صحيح البخاري ٧١/٧ (٥٣٩٣)؛ صحيح مسلم ١٦٣١/٣ (٢٠٦١).

فإن قلتَ: كأنَّ الرَّجْم لم يكُن في الجَاهِلِيَّةِ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك ٦٧/٥] فذكَر فائدَتيْنِ في خَلْقِ الكواكِب: التَّزْيِينَ ورَجْمَ الشَّياطِينِ؟

قلتُ: قال بَعْضُهُم: حَدَث بعدَ مَبْعَثِ رَسُول الله وهُو إِحْدَى آيَاتِه، والصَّحيحُ أنَّه كان قَبْلَ المَبْعَثِ، وقَدْ جَاءَ ذِكرُهُ في شعْر أهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؛ قال بشرُ بنُ أبي خازِمٍ:

والعَيْرُ يُرْهِقُها الغُبَارُ وجَحْشُهَا ... يَنقَضُّ خلفَهُما انقِضاضَ الكوكَبِ

وقال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ:

وهو مَثَل؛ لأنّ المؤمن لا يأكل إلا مِن الحلال، ويتوقّى الحرام والشبهات، والكافر لا يبالي ما أكل، ومِن أين أكل، وكيف أكل.

قوله: (ويجوز أن يكون) أي: الرَّصَد.

قوله: (ومِعًى جياعًا) تنزيلًا للواحد -وهو الموصوف- مَنْزِل[١] الجمع.

قوله: (فإن قلت: كأنّ الرَّجم) وجهُ السؤال: أنّ قوله تعالى: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ﴾ يدلُّ على أنّ الرجم لم يكن في الجاهليّة، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾ [الملك ٦٧/٥] يدلُّ على أنّه كان ذلك، فكيف يستقيم؟[٢] وقوله: (وقد قال الله تعالى) الواو في قوله: "وقد قال" واو الحال، أي: يشبه[٣] أن يكون معنى الآية: أنّ / الرَّجم لم يكن في الجاهلية والحال أنّ الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ[٤] زَيَّنَّا﴾ [الملك ٦٧/٥]، فكيف التوفيق بينهما؟ [٤٢٨و]

قوله:

(والعَيْرُ يُرْهِقُها الخَبارُ وجَحْشُهَا)... البيتَ[٥]

يصف بِشْرٌ عَدْوَ[٦] عَيرٍ وأتانٍ وجحشِهما. قوله: "يرهقها" أي: يكلّفها، والخَبار:

---

١ ن: منزلة.
٢ ف: يسنيقم.
٣ ن: نسبة.
٤ ف: وقد.
٥ البيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه، ص ٤٠.
٦ ن – غذو.

وانـقـضَّ كـالـدُّرِّيِّ يَتْبَعُـه نَـقْـعٌ يَـثُـورُ تَـخَـالُـه طُـنُـبَـا

وقال عَوْفُ بنُ الخَرِعِ يَصف الفرس:

يَـرُدُّ علَيْنَا العَيْرَ من دُونِ إِلْفِه أو الثَّورَ كـالـدُّرِّيِّ يتبَعُه الـدَّمُ

الأرض الليّنة، يعني: العَير[١] يكلِّف الأتان اتِّباع أثره في العَدْو. و"ينقضُّ" أي: يهوي، يقال: انقضَّ الطير، أي: هوى من طيرانه ليسقط على شيء، يعني: يُكلِّف العَيرُ الأتان اتِّباع أثره في العَدْوِ، والجحشُ يَعدُو خلفَهما[٢] كما تهوي كواكب الرجم.

قوله:

(وانـقـضَّ كـالـدِّرِّيِّ)... البيتَ[٣]

يصف عَدْوَ فرسٍ ويقول: "انقضَّ كالدِّرِّيِّ" أي: هوَى في[٤] العَدْو كالكوكب[٥] الذي يتبعه نقْعٌ وهو الغبار الساطع، "تَخَالُه" أي: تحسَب الغبارَ "طُنُبًا"[٦] من امتداده، واسم هذا الشاعر[٧] "حَجَر" بفتح الحاء والجيم.

قوله:

(يَـرُدُّ عَـلَـيـنَـا)... البيت[٨]

أي: يَرُدُّ الفرس أو الكلب -أي: كلب الصيد- العَير، وهو الحمار الوحشيّ، "من دون إلفِه" أي: من قريب[٩] إلْفِه وزوجه، مع أنّه إذا كان مع إلْفِه كان أشدَّ نِفارًا وأحدَّ عَدْوًا، ويردُّ أيضًا الثور الوحشيّ وهو ينقضُّ[١٠] في عَدوِه كالكوكب الدِّرِّيِّ الثاقب الذي يُرجَم به، ويتْبعه ثقوبٌ وحُمرةٌ كالدم. و"كالدِّرِّيِّ" يجوز أن يكون صفةً للفرس، ويجوز أن يكون[١١] صفةً للثور.

قوله: (يتبعه الدمُ) لأنّه جُرِح.[١٢]

---

١ ن: العين.
٢ ن: خلفهم.
٣ ديوان أوس بن حجر، ص ٣.
٤ ن – في.
٥ ن: كالكواكب.
٦ ن: طيبًا.
٧ يعني: اسم أبيه.
٨ ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان، ٤٥٩/٦.
٩ ف ن: قرب.
١٠ ن: نقيض.
١١ ن – صفةً للفرس ويجوز أن يكون.
١٢ ن: خرج.

ولكنَّ الشَّيَاطِينَ كانَتْ تَستَرِقُ في بَعْضِ الأَحْوال، فلمَّا بُعِثَ رَسُول الله كَثُرَ الرَّجْمُ وزَادَ زِيادَةً ظَاهِرةً حَتَّى تنبَّه لهَا الإِنسُ والجنُّ، ومُنِعَ الاستِرَاقُ أَصْلًا.

وعن مَعْمَرٍ: قُلْتُ للزُّهْرِيِّ: أَكَانَ يُرْمَى بالنُّجُوم في الجَاهِلِيَّة؟ قال: نَعَمْ، قلْتُ: أرَأيتَ قولَه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾ فقَال: غُلِّظَتْ وشُدِّدَ أَمْرُهَا حِينَ بُعِثَ النَّبيُّ عليه السَّلام.

ورَوى الزُّهْرِيُّ عن عليِّ بن الحُسيْنِ عن ابن عبَّاسٍ: بَيْنَا رسُولُ الله جَالسٌ في نفَرٍ من الأَنْصارِ إذ رُمِيَ بِنَجْمٍ فاستَنَارَ، فقَال: «ما كُنْتُم تَقُولُونَ في مِثْلِ هذا في الجاهِلِيَّة؟»، فقالوا: كنَّا نَقُولُ: يمُوتُ عظِيمٌ أو يُولَدُ عَظيمٌ.

وفي قوله: ﴿مُلِئَتْ﴾ دَليلٌ على أنَّ الحَادِثَ هُو المَلْأُ والكَثْرةُ، وكذلكَ قَولُه: ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾؛ أي: كُنَّا نَجِدُ فيها بَعْضَ المقَاعِد خَالِيةً من الحرَس

قوله: (أرأَيتَ) أي: أخبرني عن معنى الآية، فإنّها دلَّت على حدوث الرَّجم، وأنّها[1] لم تكن قبل المَبعث.

قوله: (وروَى الزُّهريُّ) أوردَ حديثَ الزُّهريِّ[2] لأنّه أيضًا دلّ على أنّ الرجم كان قبل مَبعث رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قوله: (إذْ رُميَ بنجمٍ) "رُميَ" مُسْندٌ إلى "بنجمٍ".

قوله: (دليلٌ على أنّ الحادث) فيدلُّ على أنّ الرجم كان قبل المَبعث،[3] وإن لم يكن بصفة المَلْءِ.

قوله: (وكذلك قولُه تعالى) أي: دلّ هذا أيضًا على وجود الرجم قبل المَبعث.

قوله: (أي: كنّا) فسّره بما يدلُّ على ما ذكرنا.[4]

قوله: (بعضَ) فإنّ التنكير يدلُّ على معنى البَعضيَّة.[5]

---

[1] ن: وإنّما.

[2] صحيح مسلم، ١٧٥٠/٤ (٢٢٢٩).

[3] ن: البعث.

[4] ن – قوله: (أي: كنا) فسّره بما يدلُّ على ما ذكرنا.

[5] ن: العصية.

والشُّهُبِ والآن مُلِئَت المَقاعِدُ كُلُّهَا، وهذا ذِكْرُ ما حمَلَهُم على الضَّرب في البلادِ حَتَّى عَثَرُوا على رَسُول اللهِ واستَمعُوا قِراءَتَهُ.

يقُولُونَ: لمَّا حَدَث هذا الحادِثُ مِنْ كَثْرَة الرَّجم ومَنْعِ الاستِرَاقِ قُلنَا: ما هذا إلَّا لِأَمْرٍ أَرَادَهُ اللهُ بأَهْلِ الأَرْضِ، ولا يَخْلُو مِن أن يكُون شَرًّا أو رَشَدًا؛ أي: خَيْرًا، من عَذابٍ أو رَحْمةٍ، أو مِنْ خِذْلَانٍ أو تَوْفيقٍ.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾

﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: الأَبْرَارُ المُتَّقُونَ ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: ومِنَّا قَومٌ دُونَ ذلك، فحُذِفَ المَوصُوفُ كقَوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات ١٦٤/٣٧]، وهُمُ المُقتَصِدُونَ في الصَّلاحِ غَيْرُ الكامِلينَ فيه، أَوْ أرَادُوا الطَّالحينَ.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ بيَانٌ لِلقسمَة المَذْكُورَة؛ أي: كُنَّا ذَوِي مَذاهبَ مُفْتَرِقَةٍ مُختَلِفَةٍ. أو: كُنَّا في اختِلافِ أَحْوالِنَا مِثْلَ الطَّرائقِ المُختَلِفةِ.

قوله: (والآن) عطفٌ على قوله: "كنّا نجد"، كأنّه قال: كنّا نجد قبل ذلك، ولا نجد الآن.

قوله: (وهذا ذِكْرُ) يعني: أنّ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا[1] لَمَسْنَا﴾... إلخ وَرَد لذكر ما حَمَل الجنَّ على أنْ ضَربوا في الأرض حتى اطّلعوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قوله: (ومنّا قومٌ دونَ ذلك) فقوله: ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ دلَّ على كمالهم في الصلاح، كما في قولك: حاتم الجَواد، فلذا[2] قال في مقابلته: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

قوله: (أرادوا) أي: بقولهم: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

---

[1] كذا في الأصول الخطّيّة: "وإنّا" على القراءة بكسر الهمزة، قال ابن الجزري: «واختلفوا في: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ وما بعدها إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ ذلكَ اثنتا عشرة همزةً، فقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخَلَف، وحَفص بفتح الهمزة فيهنّ، وافقهم أبو جعفر في ثلاثةٍ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾، وقرأ الباقون بكسرِها في الجميع». النشر لابن الجزري، ٣٩١/٢.

[2] ن: فكذا.

أو: كُنَّا في طَرائِقَ مُختَلِفَةٍ؛ كَقَوله:

كـمـا عَـسَـلَ الـطَّـريـقَ الـثَّـعْـلَـبُ

أو: كانَتْ طَرائِقُنا طَرائقَ قِدَدًا، على حَذْفِ المُضَافِ الَّذي هُو الطَّرائقُ وإقَامَةِ الضَّميرِ المُضافِ إلَيْهِ مُقامَهُ، والقِدَّةُ مِن قَدَّ كالقِطْعَةِ من قَطعَ. وَوُصِفتِ الطَّرائقُ بالقِدَدِ لِدلَالَتِها على مَعْنى التَّقطُّعِ والتَّفرُّقِ.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿هَرَبًا﴾ حَالانِ؛ أي: لَنْ نُعجِزهُ كائِنِينَ في الأَرْضِ أَينَما كُنَّا فيها، ولَن نُعجزَهُ هَارِبينَ منها إلى السَّماءِ.

وقيل: لَنْ نُعجزَهُ في الأرْضِ إن أرَادَ بنَا أَمْرًا ولَن نُعْجِزَهُ هَرَبًا إِنْ طَلَبَنا. والظَّنُّ بمَعْنى اليَقِين.

قوله:

(كمَــا عَسَـــلَ[١] الطَّريـــقَ الثعلَـــبُ)

قوله: "عَسَلَ"[٢] أي: عَدا في الطريق.

أوّله:

لَـدْنٌ بِهَـزِّ الكـفِّ يَعْسِـلُ[٣] مَتنُه[٤] فيـه...[٥]

يصف الرمح بأنّه لَدْنٌ يَعْسِل،[٦] أي: يتحرك متنه -أي: ظهره- في الكفِّ، فقوله: "بهزِّ" متعلِّقٌ بقوله: "يَعْسل".[٧] "فيه" / أي: في الكَفّ. [٤٢٨ظ]

قوله: (وقيل: لن نعجِزَه) على هذا الوجه يكون قوله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بمعنى:

---

[١] ن: غسل.

[٢] ن: غسل.

[٣] ن: يغسل.

[٤] ن: مثنه.

[٥] لسان العرب لابن منظور، «عسل»، من قول ساعدةَ بن جُؤيَّة.

[٦] ن: يغسل.

[٧] ن - متنه -أي: ظهره- في الكفِّ، فقوله: "بهزِّ" متعلِّق بقوله: "يَغسل".

وهـذه صِفـةُ أَحْـوَالِ الجِـنِّ ومـا هُـم عَلَيْـه مـن أَحْوالِهـم وعَقائِدِهِـمْ: مِنْهُـم أَخْيَارٌ وأَشْرارٌ ومُقتَصِدُونَ، وأَنَّهُـم يَعْتقِدُونَ أنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَالِبٌ لا يَفُوتهُ مَطْلَبٌ ولا يُنْجِي عنه مَهْرَبٌ.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ١٣﴾

﴿لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾: هُو سَماعُهم القُرآنَ وإِيمَانُهم بِهِ.

﴿فَلَا يَخَافُ﴾: فهُو لا يَخافُ؛ أيْ: فهُو غيرُ خَائِفٍ، ولأنَّ الكلامَ في تَقْدِير مُبتَدإٍ وخَبرٍ دخَلَتِ الفَاءُ، ولَولا ذلك لقيلَ: لا يَخَفْ.

فإن قلتَ: أَيُّ فائدةٍ في رفع الفِعلِ وتقديرِ مُبتَدإٍ قَبْلَه حتَّى يقَع خَبرًا له، ووجُوبِ إِدْخالِ الفَاءِ، وكان ذلك كُلُّه مُستغنًى عنه بأَنْ يُقالَ: لا يَخَفْ؟

ساكنين في الأرض مطمئِنّين في مكاننا، ومعنى[١] ﴿هَرَبًا﴾ هاربين في الأرض من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ آخرَ مِن الأرض.[٢]

قوله: (وهذه) يعني[٣] قوله: ﴿وَإِنَّا[٤] مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هَرَبًا﴾. وقوله: (وما) عطفٌ[٥] على[٦] "أحوال" بطريق البيان، وهو معنى ﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ إلى ﴿قِدَدًا﴾. وقوله: (وعقائِدهم) عطف على[٧] "أحوال"، وهو معنى ﴿ظَنَنَّآ﴾ إلى ﴿هَرَبًا﴾، ثمّ إنّ قوله: (منهم أخيارٌ) إلى (مقتصدون) بيانٌ للأوّل، وقوله: (أنّهم)[٨] إلى (مَهْرَبٌ) بيانٌ للثاني.

قوله: (ولأنّ الكلام) إلى قوله: (لا يخَفْ) تحقيقٌ لتفسير ﴿فَلَا يَخَافُ﴾؛ فهو لا يخاف.

قوله: (لا يَخَفْ) أي: بالجزم على جواب الشرط.

---

١ ف: المعنى.
٢ ن – من قطر إلى قطر آخر من الأرض.
٣ ن: بمعنى.
٤ كذا في الأصول الخطيّة: (وإنّا) على القراءة بكسر الهمزة، وقد سبق ذكر مذاهبِ القرّاء في ذلك قريبًا.
٥ ن: عطو.
٦ ن: عن.
٧ ن + قوله.
٨ ن: إنّه.

قلتُ: الفَائدةُ فيه: أنَّه إذا فُعِلَ ذلك فكَأنَّه قِيل: فَهُوَ لا يَخافُ، فكان دَالًّا على تحقيقِ أَنَّ المُؤمِنَ نَاجٍ لا مَحالةَ وأَنَّه هُو المُختصُّ بذلك دُون غَيْرِه.

وقرأَ الأَعمَشُ: "فلا يَخَفْ" على النَّهيِ.

﴿بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾؛ أي: جزاءَ بَخْسٍ ولا رَهَقٍ؛ لِأنَّه لم يَبْخَسْ أحَدًا حَقًّا ولا رَهِقَ ظُلْم أحَدٍ، فلا يَخافُ جَزاءَهُمَا، وفيه دلَالةٌ على أَنَّ مِن حَقِّ مَن آمَنَ باللهِ أَنْ يَجتنِبَ المظَالِم، ومنه قولُه عليه السَّلام: «المؤمِنُ مَن أَمِنَهُ النَّاسُ على أَنفُسِهم ودمائهم وأَمْوَالهم».

ويجوز أن يُراد: فلا يَخافُ أن يُبْخس بَلْ يُجْزَى الجَزاءَ الأوْفَى، ولا أن تَرْهَقَهُ ذِلَّةٌ، مِن قوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم ٤٣/٦٨].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

قوله: (قلتُ: الفائدة) يقال: فاد المالُ لفلانٍ يَفيد؛ ثَبَتَ، والفائدة: ما استفدتَ مِن علم أو مالٍ، تقول منه: فادتْ له فائدةٌ.

قوله: (ذلك) أي: الرفع والتقدير.[١]

قوله: (وأنّه هو المختَصُّ) "الواو"[٢] فيه بمعنى "أو"، لأنّه إنْ كان قوله: (هو لا يخاف) مِن قَبيل الابتداء يفيد التحقيق والتقرير، وإن كان مِن قَبيل التقديم يفيد التخصيص، ولا يمكن الجمعُ بينهما.

قوله: (على النهي) وإنّما قال: على[٣] النهي؛ لأنّه لا يمكن أن يكون جزمُه على أنّه جزاء الشرط، ولو كان كذلك لمَا جاء فيه الفاء، وإنّما دخل الفاء على هذا التقدير؛ لأنّ[٤] جواب الشرط إذا كان نهيًا وجب دخول الفاء.

قوله:[٥] (ولا رهَقٍ) رهِقَه يَرهَقُهُ رَهَقًا؛ غَشِيَه.

---

١ ن: التقدير.

٢ ن: والواو.

٣ ن – على.

٤ ن: لأنّه.

٥ ن – قوله.

﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾: الكافِرُونَ الجَائرُونَ عن طَريق الحَقِّ.

وعن سعيد بن جُبَيْر: أَنَّ الحَجَّاجَ قال له حِينَ أَرَاد قَتْلَهُ: ما تقُولُ فيَّ؟ قالَ: قَاسِطٌ عَادِلٌ، فقال القَومُ: ما أَحْسنَ ما قال! حَسِبُوا أَنَّه يَصِفُه بالقِسْط والعَدْل، فقال الحجَّاجُ: يا جَهَلَة! إنَّه سَمَّاني ظَالِمًا مُشْرِكًا، وتَلَا لَهُم قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ وقولَه: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام ١/٦].

وقَد زعمَ مَن لا يَرى لِلجِنِّ ثَوابًا أنَّ اللهَ عزَّ وجل أوْعَد قَاسِطِيهِم وما وَعَد مُسْلِميهم، وكفَى به وَعْدًا أَنْ قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ فذَكر سبَبَ الثَّوابِ ومُوجِبَهُ، واللهُ أَعْدَلُ من أَنْ يُعاقِبَ القَاسِطَ ولا يُثِيبَ الرَّاشِدَ.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ "أنْ" مُخفَّفةٌ من الثَّقيلةِ، وهُو من جُملةِ المُوحَى، والمَعْنى: وأُوحيَ إليَّ أَنَّ الشَّأنَ والحديثَ لو استقَام الجِنُّ على الطَّريقَةِ المُثْلَى؛ أي: لو ثَبتَ أَبُوهُم الجَانُّ على ما كان عَلَيْه من عبَادَةِ اللهِ والطَّاعةِ ولم يَسْتَكبِرْ عن السُّجُود لآدمَ وَلم يَكفُرْ، وتَبِعَهُ وَلَدُه على الإسْلام، لأَنْعَمنا عَلَيْهم ولَوَسَّعْنَا رِزْقَهم، وذكرَ الماءَ الغَدَقَ وهو الكثِيرُ -بفتحِ الدَّال وكَسْرِهَا، وقرئَ بهما- لأَنَّه أَصْلُ المعَاشِ وسَعَةِ الرِّزْقِ.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لِنَختَبِرَهُم فيه كَيْفَ يَشكُرُونَ ما خُوِّلُوا منه.

ويجُوز أن يكُونَ مَعناه: وأَنْ لَوَ استقَام الجِنُّ الَّذين استَمَعُوا على طَرِيقَتِهِمْ الَّتي كانُوا علَيْها قَبل الاستِماع ولم ينتَقِلُوا عَنها إلى الإسْلام، لَوسَّعْنَا عَلَيْهم الرِّزقَ

قوله: (حَسِبوا)[١] حالٌ مِن "القوم"، أو جملة مبيّنة لقوله: (قال القوم).

قوله: (وكفى) هذا إشارة إلى الجواب عن الزعْمِ[٢] بوجهين.

[١] ن: حشوا.

[٢] ن: العزم.

مُسْتدرِجِينَ لَهُمْ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لِتَكُونَ النِّعمةُ سَبَبًا في اتِّبَاعِهِمْ شَهَواتِهِمْ وَوُقُوعِهِمْ في الفِتْنةِ وازدِيَادِهم إِثْمًا، أو: لِنُعَذِّبَهُم في كُفرانِ النِّعمةِ.

﴿عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾: عن عبَادتهِ، أو: عَن مَوْعِظَتِه، أو: عَن وَحْيِهِ.

﴿يَسْلُكْهُ﴾ وقرئ بالنُّونِ مَفتُوحةً ومضمُومةً؛ أي: نُدْخِلْهُ ﴿عَذَابًا﴾ والأَصْلُ: يَسْلُكْهُ في عَذابٍ، كقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر ٤٢/٧٤] فعُدِّيَ إلى مَفعُولَيْنِ: إِمَّا بحَذْفِ الجارِّ وإِيصَالِ الفِعْلِ كقَوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧] وإِمَّا بتَضْمِينِهِ مَعْنَى "يُدْخِلْهُ" يُقال: "سَلَكَهُ وأَسْلكه" قال:

حَتَّى إذا أَسْلَكُوهُمْ في قُتَائدةٍ

و"الصَّعَدُ": مَصْدرُ صَعِدَ، يُقالُ: صَعِدَ صَعَدًا وصُعُودًا، فوُصِفَ بهِ العَذابُ لأنَّه يتَصعَّدُ المُعَذَّبَ؛ أي: يَعْلُوهُ ويَغلبُهُ فلا يُطِيقهُ.

قوله: (﴿عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ عن عبادته) فعلى هذا يكون "الذكرُ" مضافًا إلى المفعول، وقوله: (أو عن موعظتِهِ) فعلى هذين يكون مضافًا إلى الفاعل.

قوله:

(حتى إذَا أسلَكوهُم في قُتَائِدَةٍ)

عجُزُه:

شَلًّا كما تَطْرُدُ الجمَّالةُ الشُّرُدا[1]

شَرَدَ البعير: نَفَرَ، فهو شاردٌ وشَرودٌ، وجمع الشَّارِد: شَرَدٌ، نحو: خادِم وخَدَم، وجمع الشَرود: شُرُدٌ،[2] مثل: زَبورٌ وزُبُر.[3] و"قُتَائِدَة" اسم عقبة، أي: حتى أسلكُوهم في طَريقِ قُتائِدةَ، ويقال: شَلَلتُ الإبلَ أَشُلُّها[4] شَلًّا، أي: طرَدْتُها.

قوله: (أي: يعلوه) اعلم أنّ الضميرَ المستترَ في "يعلوه" و"يغلبه"[5] يعود إلى "العذاب"، والبارزَ إلى "المعذَّب"، والضميران في "لا يُطيقُه" بالعكس.

---

[1] لسان العرب لابن منظور، «شرد»، قال: «وأنشد أبو عُبيدة لعبد مَناف بن ربيع الهُذَلي»... فذكره، ثم قال: «ويُروَى: الشُّرَدا».

[2] ن: مشرد.

[3] ن: وزير.

[4] ن: شككت الإبل أشكها.

[5] ن: يعليه.

ومنه قولُ عمر رضي الله عنه: ما تصَعَّدنِي شَيءٌ ما تصَعَّدَتْنِي خُطْبَةُ النِّكاحِ. يُرِيدُ: ما شَقَّ عَلَيَّ ولا غَلَبَنِي.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ مِن جُملةِ المُوحَى، وقيل: مَعْناه: ولأنَّ المسَاجدَ ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ﴾ عَلى أَنَّ اللَّامَ مُتعَلِّقَةٌ بـ"لَا تَدْعُوا"؛ أي: فلا تَدْعُوا ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ في المسَاجِد لأنَّها لله خَاصَّةً ولِعبَادَتِه.

وعن الحسن: يَعنِي: الأَرضَ كُلَّها؛ لِأَنَّهَا جُعِلت للنَّبِيِّ عليه السلام مَسْجِدًا.

وقيل: المُرادُ بها المَسْجِدُ الحَرامُ؛ لِأَنَّه قِبْلَةُ المسَاجِد.

ومِنه قولُه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة ٢/١١٤].

وعن قتَادَة: كانتِ اليَهُودُ والنَّصارَى إذا دَخَلُوا بِيَعَهُم وكنَائِسَهُم أَشْرَكُوا بالله، فَأُمِرْنَا أن نُخْلِصَ لله الدَّعْوَةَ إذا دخَلْنا المَساجدَ.

وقيل: "المسَاجدُ": أَعْضَاءُ السُّجُودِ السَّبْعَةُ؛ قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَن أَسْجُدَ على سَبْعةِ آرابٍ: وهي الجَبْهةُ والأَنفُ واليَدانِ والرُّكْبَتانِ والقَدَمانِ».

قوله: (ما تَصَعَّدني) "ما" نفيٌ.

قوله: (ما تصعَّدتْني) "ما" مصدَريَّة.

قوله: (وقيل) عطف على قوله: (مِن جملة) فكأنّه قال: فَتحُ "أنّ" في ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾؛ لأنّه مِن جملة الموحَى، أو لأنّ التقدير: ولأنّ المساجد.

قوله: (لأنّه قِبلةٌ) اللام في "لأنّه" متعلِّق بقوله: (المراد) وهو إشارة إلى جواب إطلاق لفظ "المساجد" -مع كونه جَمعًا- على المسجد الحرام.

قوله: (ومنه) أي: ومِن أنّ المسجد الحرام قبلة المساجد قيل: "مساجدُ الله" وأريدَ / المسجد الحرام. [٤٢٩]

قوله: (وقيل: ﴿ٱلْمَسَٰجِدَ﴾: أعضاءُ السجود) وإذا كان المراد بـ"المساجد"

وقيل: هيَ جمعُ مَسْجَدٍ وهُو السُّجُودُ.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩﴾

﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾: النَّبيُّ عليه السلام.

فإن قلتَ: هَلَّا قيلَ: رسُولُ الله، أو: النَّبيُّ؟

قلتُ: لِأنَّ تَقْديرَهُ: وأُوحِيَ إليَّ أَنَّهُ لمَّا قَامَ عَبْدُ الله، فلمَّا كانَ واقعًا في كلام رسُول الله عن نفسِه جِيءَ بهِ على ما يَقْتَضِيه التَّواضُعُ والتَّذلُّلُ، أو لأنَّ المَعنى: أَنَّ عِبادةَ عبدِ اللهِ لَيْسَت بأَمْرٍ مُسْتَبْعَدٍ عن العَقْلِ ولا مُسْتَنكَرٍ حَتَّى يكُونُوا عَليْه لِبَدًا.

ومَعنى "قامَ يَدْعُوهُ": قَامَ يَعْبُدُه، يُريدُ: قيامَه لصَلاة الفَجْر بنَخْلَةَ حين أَتاهُ الجنُّ فَاسْتَمعُوا لِقراءتهِ.

﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾؛ أي: يَزْدَحِمُونَ عَليه مُتَراكمينَ تَعجُّبًا ممَّا رأَوا مِن عِبَادَتهِ واقتداءِ أَصْحَابهِ به قَائِمًا ورَاكِعًا وسَاجِدًا، وإِعْجَابًا بِمَا تَلَا مِن القُرآنِ؛

مواضعَ السجود تكون[١] جمعَ مسجَدٍ بالفتح؛ لأنَّ المَسجَدَ بالفتح موضعُ السجود مِن الجبهة وغيرها.

قوله: (وقيل: جمع مَسْجَدٍ، وهو السجود)[٢] وعلى هذا يكون مصدَرًا، والمعنى: أنَّ السجود إنّما هو لله لا لغيره.

قوله: (وإعجابًا) عطفٌ على (تعجُّبًا) يقال: تعجَّبتُ مِن الشيء، وأعجبني هذا الشيءُ لحسنه، فالإعجاب يتعدّى بنفسه إلى واحدٍ، فصيَّره[٣] المصنِّف ههنا متعدِّيًا إلى اثنين بزيادة الباء، فمعنى قوله: (إعجابًا بما تَلَا مِن القرآن) أي: صيَّر بعضُ الجنِّ ما تلا النبيّ عليه الصلاة والسلام مِن القرآن مُعجِبًا بعضًا، فكأنّه إذا قال بعضهم لبعض: انظروا إلى حُسن هذا القرآن وغرائبه في نظمه ومعانيه جعلوا القرآن مُعجِبًا إيّاهم بحُسنه وغرائبه.

---

[١] ن: ويكون.

[٢] ن – من الجبهة وغيرها. قوله: (وقيل: جمع مسجد) وهو السجود.

[٣] ن: فيصيره.

لِأَنّهم رَأَوا ما لم يَرَوا مِثلَه، وسَمِعُوا بمَا لم يَسْمَعُوا بِنظيرِه.

وقيل: مَعْناه: لمَّا قامَ رَسُولًا يَعبُدُ اللهَ وحدَه مُخالِفًا لِلمُشركينَ في عبَادَتهِمْ الآلِهةَ مِن دُونه كاد المُشرِكُونَ لِتَظَاهُرِهِمْ عَلَيْه وتعَاوُنهم على عَدَاوَتهِ يزدحمُون عَلَيه مُتَراكمينَ.

﴿لِبَدًا﴾: جمعُ لِبْدَةٍ، وهيَ ما تَلبَّدَ بَعْضُه على بَعْضٍ، ومِنه لِبْدَةُ الأسَد.

وقُرئ: ﴿لُبَدًا﴾، واللُّبْدَةُ في مَعْنى اللِّبْدَة.

و: "لُبَّدًا": جَمْعُ لابِدٍ؛ كسَاجِدٍ وسُجَّدٍ.

و: "لُبُدًا" بضمَّتَين: جمعُ لَبُودٍ؛ كصَبُورٍ وصُبُرٍ.

وعن قتادةَ: تَلبَّدَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على هذا الأَمْر ليُطْفِئُوهُ، فأَبى اللهُ إلَّا أَنْ يَنْصُرَهُ ويُظْهِرَهُ على مَن نَاوَأَهُ.

ومَن قَرأ ﴿وَإِنَّه﴾ بالكسر جَعَلَه من كلام الجنِّ، قالُوه لقَوْمِهم حِينَ رجَعُوا إِلَيْهـم حَاكينَ ما رَأَوا مِن صَلاتِه وازْدِحام أَصْحابهِ عَليه في ائتمَامِهم بهِ.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾

قوله: (قام رسولًا) يشير به إلى أنّه ليس المراد بالقيام ضدَّ القعود، بخِلافه فيما تقدَّم حيث قال: (يريد قيامه لصلاة الفجر).

قوله: (لِبْدَةُ الأسدِ) ولِبْدَتُه: شَعَراتٌ تكون على قفَا الأسد.

قوله: (وعن قتادةَ) كلام قتادة يؤيّد هذا[1] التفسير الثاني.

قوله: (ناوَأَه)[2] أي: عاداه.

قوله: (في ائتمائِهم) أي: اقتدائِهم.

---

[1] ن: هذه.

[2] ن: ناواه.

﴿قال﴾ للمُتَظاهِرِينَ عَلَيْه: ﴿إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي﴾ يُرِيدُ: ما أَتيتُكُم بأَمْرٍ مُنكرٍ، إنَّما أَعبُدُ رَبِّي وَحْدَهُ ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ وليْسَ ذاكَ ممَّا يُوجِب إِطْبَاقَكُم على مَقتِي وعَدَاوَتِي.

أو قال للجِنِّ عِنْدَ ازدِحَامِهِمْ مُتَعجِّبِينَ: ليس ما تَرَوْنَ مِن عبَادَتِي اللهَ ورَفضِي الإِشراكَ بهِ بأَمرٍ يُتعجَّبُ منهُ، إنما يُتَعَجَّبُ ممَّن يدْعُو غيرَ الله ويجعَلُ له شَرِيكًا.

قوله: (قال) أي: الرسول.

قوله: (للمتظاهرين) أي: مِن المُشركين، وهذا على تفسير ﴿كَادُواْ﴾ بـ"كادَ المشركون لتظاهرهم عليه يزدَحمون"، وقوله:[١] (أو قال للجِنّ) وقوله: (أو قال الجنُّ)[٢] كلاهما على التفسير الأوّل، وهو قوله: (يريد قيامه لصلاة الفجر).

قوله: (ما أتيتُكم) أي: أيُّها المشركون.

قوله: (إنّما أعبُد) لم يأتِ بالعاطف؛ لأنّه بيان "ما أتيتكم" أو جواب سؤالٍ.

قوله: (أو قال الجنُّ) عطف على قوله: (قال للمُتظاهِرِين)[٣] لأنّ تقديره: قال الرسولُ، فكأنّ المصنِّف قال: المعنى: قال الرسول للمتظاهرين أو للجنّ، أو المعنى: قال الجنُّ لقومهم ذلك، أي: قال إنّما. واعلم أنّ قول المصنِّف ذلك إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ[٤] إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي﴾، والحاصل أنّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام لمّا قال: "إنّما أدعو ربِّي" بأحد المعنيين حكى الجنُّ هذا القول لقومهم، وقالوا: إنّما أدعو ربِّي، فقال الله[٥] تعالى حاكيًا عنهم: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ﴾ أي: قالوا -أعني الجنَّ- قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: إنّما أدعو،[٦] فيكون[٧] القول مقدَّرًا بعد قوله: ﴿لِبَدٗا﴾، فكأنّه تعالى[٨] قال: كاد الجنُّ يكونون عليه لِبدًا،

---

[١] ن: قوله.

[٢] ف – وقوله: (أو قال الجنّ).

[٣] الكلام كلّه مبنيٌّ على قراءة ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ﴾ بالفعل الماضي، قال ابن الجزري: «واختلفوا في: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ﴾ فقرأ أبو جعفر، وعاصِم، وحمزة: "قُلْ" بغير ألِف على الأمر، وقرأ الباقون بالألف على الخَبَر». النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٢.

[٤] كذا في الأصول الخطّيّة: "قال"، وانظر الحاشية السابقة.

[٥] ن: والله.

[٦] ف: أدعوا.

[٧] ف + هذا.

[٨] ن – تعالى.

أو قال الجِنُّ لقَوْمِهِمْ ذلك حكايةً عن رسُول الله.

﴿وَلَا رَشَدًا﴾: ولا نَفعًا، أو أراد بالضَّرِّ الغَيَّ، ويَدُلُّ عَلَيه قِراءةُ أُبَيّ: "غَيًّا ولا رَشَدًا".

والمَعْنى: لا أَستَطيعُ أنْ أَضُرَّكُم وأنْ أَنفعَكُم، إنَّما الضَّارُّ والنَّافِعُ اللهُ.

أو: لا أَسْتَطِيعُ أن أَقْسِرَكُم على الغيِّ والرَّشَدِ، إنَّما القادِرُ على ذلك اللهُ عزَّ وجلَّ.

و﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استِثناءٌ مِنهُ؛ أي: لا أَمْلِكُ إلَّا بَلاغًا من الله، و﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾

فقالوا: قال الرسول: إنّما أدعو،[1] فقول المصنِّف: (أو قال الجِنُّ) إشارةٌ إلى ذلك القول المقدَّر بعد "كاد"، وقوله: (ذلك) إشارةٌ[2] إلى قوله تعالى في القرآن: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ وإذا تأمَّلت هذا ظهر لك أنّ قول المصنِّف: "أو قال الجنُّ لقومهم" عطفٌ على ما قبله بسبب حذفٍ في الكلام، أي: أو يقول المعنى: قال الجنُّ لقومهم: قال الرسول: إنّما...

قوله: (ولا نَفْعًا) فسَّر ﴿رَشَدًا﴾ بمعنى نفعًا، فعَلى هذا يكون ﴿ضَرًّا﴾ بمعناه المشهور، / وهو ضدُّ النفع. [٤٢٩ظ]

قوله: (أو أراد بالضرِّ الغَيَّ) فعَلى هذا[3] يكون "الرَشَد" بمعناه المشهور، ثمّ فسَّر الآية على كلِّ واحد مِن الوَجهين، فقوله: (والمعنى) إلى (والنافع الله) على الأوّل، وقوله: (أو لا[4] أستطيع) على الثاني، تأمّل فيه فإنّه في غاية اللطف. ثمّ إنّ قوله: (أقْسِرَكم)...[5] إلخ إشارةٌ خفيَّةٌ إلى مذهبه، فافهمه.

قوله: (استثناءٌ منه) أي: مِن قوله: ﴿لَآ أَمۡلِكُ﴾... إلخ، ويكون استثناءً متّصلًا؛ لأنّ ﴿ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ في معنى: لا أملك شيئًا ما، أو ﴿رَشَدًا﴾ شاملٌ للبلاغ وغيره، فاستثناه منه.

---

١ ف: أدعوا.
٢ ف – إشارة.
٣ ف – هذا.
٤ ن + لا.
٥ ن: أفسركم.

جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ اعتُرِضَ بهَا لِتَأكيد نَفْيِ الاستطاعَةِ عن نفْسِه وبيَانِ عجْزِه، على مَعْنى: أَنَّ اللهَ إِنْ أَرَادَ بِهِ سُوءًا من مَرَضٍ أو مَوْتٍ أو غيْرِهمَا لـم يَصِحَّ أَنْ يُجيرَه منه أَحَدٌ أو يَجِدَ مِن دُونهِ مَلاذًا يَأوِي إلَيْه.

و"المُلتَحَدُ": المُلتَجَأ، وأَصْلُه: المُدَّخَلُ، من اللَّحْدِ.

وقيل: مَحِيصًا ومَعْدِلًا.

وقرئ: "قال لا أَمْلِكُ"؛ أي: قال عَبْدُ اللهِ للمُشرِكينَ أو للجِنِّ، ويجوز أن يكُونَ مِنْ حكاية الجنِّ لقَوْمهم.

وقيل: ﴿بَلَـٰغًا﴾ بدَلٌ من ﴿مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: لنْ أَجِدَ من دُونِه مَنجًى إِلَّا أَن أُبلِّغَ عَنه ما أَرْسَلَنِي بِهِ.

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هيَ "إِنْ لَا" ومَعْناهُ: إِنْ لا أُبَلِّغْ بَلاغًا؛ ....

قوله: (جملةٌ معترضةٌ) وتحقيق كونها جملةً معترضةً أنّه إذا لم يُجِزْه مِن الله أحدٌ ولا يَجد مِن دونه ملتحَدًا؛ فكيف يملك الضرَّ والنفع لغيره؟ وقوله: (لم يصحَّ أن يُجيره) هذا المعنى مستفاد مِن "لن" فإنّه للتأكيد.

قوله: (به) أي: بالنبيِّ عليه الصلاة والسلام.

قوله: (مِن اللَّحد) اللحد[1] بالتسكين: الشَّقُّ[2] في جانب القبر، تقول: لَحَدْتُ القَبر لَحْدًا، والمُلْتَحَدُ: الملجأ؛ لأنّ اللاجئ يَميل إليه.

قوله: (أو[3] قال عبد الله) فيكون مِن كلام الله حكايةً لِمَا قاله عبد الله، مثل قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا﴾، فقوله: (قال عبد الله للمشركين أو للجنّ) على تقدير تفسير قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَدْعُواْ﴾ بقوله: (قال للمتظاهرِين أو قال للجنّ) وقوله: (ويجوز) على تقدير تفسيره بقوله: (قال الجنُّ لقومهم).

قوله: (ومعناه: إنْ لا أبلِّغْ) أي: لن يجيرني إنْ[4] لا أبلِّغْ بلاغًا، وإنْ لا أبلِّغْ رسالاته.

---

[1] ف: واللحد.

[2] ن: الشن.

[3] في مطبوع الكشّاف: "أي".

[4] ف: لن.

كقَولك: إنْ لا قيَامًا فَقُعُودًا.

﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عَطفٌ على ﴿بَلَٰغًا﴾؛ كأنَّه قيل: لا أَملِكُ لَكُم إلَّا التَّبليغَ والرِّسَالاتِ، والمَعنى: إلَّا أن أُبلِّغَ عن اللهِ فَأقُولَ: "قال اللهُ كَذا" ناسِبًا لِقوله إليه، وأَنْ أبَلِّغَ رِسَالاته الَّتِي أرْسلَني بهَا من غيْرِ زيادةٍ ولا نُقْصَانٍ.

فإن قلتَ: ألا يُقالُ: بَلَّغَ عَنه، ومِنه قَولُه عليه السَّلام: «بَلِّغُوا عَنِّي» «بَلِّغُوا عَنِّي»؟

قلتُ: ﴿مِنَ﴾ لَيسَت بصلَةٍ لِلتَّبليغ، إنَّما هُو بمَنْزِلةِ ﴿مِنَ﴾ في قَوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/١] بمَعنى: بَلاغًا كَائنًا مِنَ الله.

وقرئ "فأنَّ له نارَ جَهنَّم" على: فجزَاؤهُ أَنَّ له نارَ جَهنَّم؛ كقَولِهِ: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال ٨/٤١]؛ أي: فحُكْمُه أَنَّ لله خُمُسَه.

وقال: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حَمْلًا على مَعْنى الجَمْعِ في ﴿مَنْ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٤﴾

فإن قلتَ: بِمَ تَعَلَّق ﴿حَتَّىٰٓ﴾ وجُعِل ما بَعْدَهُ غايةً لهُ؟

قوله: (كقولك) شبَّهَه بهذا القول مِن حيث حذفُ الفعل بعد "إنْ" الشرطية داخلةً على "لا" النافية، وإقامةُ المصدر مُقامه.

قوله: (كأنَّه قيل: لا أملِك) هذا مبنيٌّ على التفسير الأوّل لقوله: ﴿بَلَٰغًا﴾، ثمّ بيَّن معنى قوله: (إلَّا التبليغ والرسالات) على هذا التفسير الأوّل، فقوله: (فأقول)... إلخ تفسيرُ قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، وقوله: (وأنْ أبلِّغَ)... إلخ هو معنى ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾.

قوله: (بمعنى: بلاغًا كائنًا) فيكون صفة له متعلِّقًا بمحذوف.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾) ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ﴾... [الأنفال ٨/٤١].

قوله: (وجعل) عطف على قوله: (تعلَّق) عطفَ الجملة على الجملة، كأنَّه قيل: تعلَّق "حتى" بأيِّ شيء؟ وجُعل ما بعدَهم غايةً لأيِّ شيء؟ لكن لمّا كان

قلتُ: بقَوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدًا﴾ [الجن ١٩/٧٢] عَلى أنَّهم يتظاهَرون عَلَيْه بالعَدَاوة ويَسْتَضعِفُونَ أنصَارَهُ ويَستقِلُّونَ عَدَدهُ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ مِن يَوْم بَدْرٍ وإظْهارِ الله لهُ عَليْهم، أو مِن يَومِ القيامةِ ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حينئذٍ أيُّهمْ ﴿أَضۡعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾.

ويجُوز أن يتَعَلَّقَ بمَحذُوفٍ دَلَّتْ عَليه الحالُ مِن استِضعَافِ الكُفَّار له واستِقْلالهم لِعَدَدِه؛ كَأنَّهُ قال: لا يزَالُونَ على مَا هُم علَيْه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾.

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥﴾

قال المشرِكُون: مَتَى يكُونُ هذا المَوعُودُ؟ إنْكارًا لَهُ، فقِيلَ: ﴿قُلۡ﴾: إنَّه كائنٌ لا رَيبَ فيه فلا تُنكرُوهُ، فإنَّ الله قَدْ وعَدَ ذلك وهُوَ لا يُخْلِفُ الميعَادَ، وأمَّا وَقتُه فمَا أَدْرِي مَتى يكُونُ؛ لأنَّ الله لم يُبَيِّنْهُ لِمَا رَأَى في إخْفَاءِ وقتِه من المَصْلحةِ.

فإن قلتَ: ما مَعْنى قَوْلِه: ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ ....

لـ"مَا" الاستفهاميَّة صَدْرُ الكلام قُدِّم[1] على الفعل فصار الكلام على[2] ما ترى، وأمّا الضمير العائد إلى "ما" الاستفهاميَّة فلا يلزم رعايةُ ذلك فيه.

قوله: (قلتُ: بقوله: ﴿يَكُونُونَ﴾) هذا إذا كان المعنى: كاد المشركون يزدَحِمون عليه.

قوله: (ويجوز أن يتعلَّق) هذا يستقيم[3] على جميع الوجوه في ﴿كَادُواْ﴾، فإنّك إذا علَّقتَ "حتى" بمحذوفٍ، فلا يتفاوتُ في هذا تفسير "كاد" بأيِّ وجه كان مِن المذكورات.

قوله: (واستقلالهم) استقلّه، أي: نسبه إلى القِلّة وعدّه قليلًا.

قوله: (قال المشركون) ابتداء كلام من المصنِّف لتفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾.

---

[1] ن: تقدم.
[2] ن – على.
[3] ن: تقسيم.

والأمَدُ يكونُ قَريبًا وبَعيدًا، ألَا ترى إلى قَوله: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران ٣/٣٠]؟

قلتُ: كان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَسْتَقْرِبُ المَوْعِدَ، فكَأنَّهُ قالَ: ما أَدْرِي أَهُوَ حَالٌّ مُتَوَقَّعٌ في كُلِّ سَاعةٍ أمْ مُؤجَّلٌ ضُرِبَتْ لهُ غايةٌ؟

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

أي: هو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾، ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾: فلا يُطْلِعُ.

و﴿مِن رَّسُولٍ﴾ تَبيينٌ لـ﴿مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ يَعْنِي: أنَّه لا يُطْلِعُ على الغَيْب إلَّا المُرتضَى الَّذي هو مُصْطَفًى لِلنُّبوَّةِ خاصَّةً لا كُلُّ مُرْتَضًى.

وفي هذا إبْطالٌ لِلكَراماتِ؛ لِأنَّ الَّذينَ تُضَافُ إلَيْهم وإنْ كانُوا أَوْلِيَاءَ مُرْتَضَيْنَ فلَيْسُوا برُسُلٍ، وقد خصَّ اللهُ الرُّسُلَ من بَيْنِ المُرْتضَيْنَ بالاطِّلاع على الغَيْبِ وإبطَالِ الكَهانة والتَّنْجيمِ لأنَّ أَصْحَابَهُما أبْعَدُ شيءٍ مِن الارتضَاءِ وأَدْخَلُه في السَّخَطِ.

قولـه: (والأمـد يكـون قريبًـا) وإذا كان كذلـك فكيـف جَعـلَ "الأمـدَ" فـي مقابلة ﴿قَرِيبٌ﴾؟

قوله: (حالٌّ) يقال: حلَّ عليه الدَّين -وجَب ولزِمه- حلولًا، ومنه: الدَّين الحالُّ خلاف المؤجَّل.

[٤٣٠و] قوله: (وفي هذا إبطال) ليس دليلٌ على بطلان / الكرامات؛ لأنّ سياقَ الكلام يُشعرُ بأنّ المراد ما يتعلَّق بالرسالة والنبوَّة مِن[١] الوحي والإخبار عن أمورٍ غائبةٍ تتعلَّق بالرسالة والنبوَّة، ألَا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾؟ والله أعلم.

---

[١] ن: ومِن.

﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾؛ أي: بينِ يَدَيْ مَن ارْتضَى للرِّسَالَةِ ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾: حَفَظَةً مِن المَلائكة يَحفَظُونَهُ من الشَّياطِين، يَطرُدُونَهُم عَنْه ويَعْصِمُونَه من وسَاوسِهِمْ وتَخاليطِهم حَتَّى يُبَلِّغَ ما أُوحيَ بهِ إِلَيْه.

وعن الضَّحَّاك: ما بُعِثَ نَبيٌّ إِلَّا ومَعهُ مَلائكةٌ يَحرُسُونَهُ من الشَّياطينِ أن يَتشبَّهُوا بصُورَةِ المَلَكِ.

﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ اللهُ ﴿أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ يَعني: الأَنبياءَ، وَحَّدَ أَوَّلًا على اللَّفْظِ في قَوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ ثمَّ جمَعَ على المعنَى؛ كقَوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ [الجن ٧٢/٢٣]، والمَعنى: ليُبَلِّغُوا رسَالاتِ رَبِّهم كمَا هيَ محرُوسَةً من الزِّيادة والنُّقصَانِ، وذِكرُ العِلم كذِكْرِه في قولِهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد ٤٧/٣١].

وقُرِئ: ﴿لِيُعلَمَ﴾ على البناءِ للمفعول.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾: بما عِنْد الرُّسُلِ من الحُكْمِ والشَّرائعِ لا يَفُوتُه مِنها شَيءٌ ولا يَنْسَى منهَا حَرْفًا، فَهُو مُهَيْمِنٌ عَليهَا حَافِظٌ لهَا.

﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾: من القَطْرِ، والرَّمْلِ، ووَرَقِ الأَشْجار، وزَبَد البحَارِ، فكيْفَ لا يُحِيطُ بما عِنْد الرُّسُل مِن وَحْيِهِ وكلَامِه.

و﴿عَدَدًا﴾ حَالٌ؛ أي: وضَبَط كُلَّ شَيءٍ مَعْدُودًا مَحْصُورًا، أو مَصْدَرٌ في مَعْنَى: إِحْصَاءً.

قوله: (يحفظونه) أي: المرتضَى، وكذا الضمير في (عنه) و(يَعصِمونه) و(يبلِّغَ) و(إليه) يعود إلى المرتضَى.

قوله: (أنْ يتشبَّهوا) بدلٌ من (الشياطين) أي: يحرسون المرتضَى مِن أنْ يتشبَّه له الشياطين بصورة المَلَك.

قوله: (مِن القَطْر) أي: المطر.

تمَّت السورة بحمد الله تعالى ومَنِّه وكرمه.[1]

---

[1] ف – تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن – ومنّه وكرمه.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأَ سُورةَ الجِنِّ كان لهُ بعَدَدِ كُلِّ جنِّيٍّ صَدَّقَ مُحمَّدًا وكذَّبَ بهِ عِتْقُ رقبَةٍ».

سورة المزمل

مكيَّة، وهي ثمان عشرة أو تسعَ عشْرةَ أو عشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③﴾

﴿ٱلْمُزَّمِّلُ﴾: المُتزَمِّلُ -وهُوَ الَّذِي تَزمَّلَ في ثِيَابهِ؛ أي: تلفَّفَ بهَا- بِإدْغامِ التَّاءِ في الزَّاي، ونحوُه: ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ في المُتَدَثِّرِ.

وقرئ: "المُتزمِّلُ" على الأَصْل، و: "المُزَمِّلُ" بتخفيف الزَّاي وفتح الميم وكَسْرهَا، على أنَّه اسمُ فاعِلٍ أو مَفْعُولٍ مِن زمَّلَهُ، وهُو الَّذِي زَمَّلَهُ غَيرُه أو زمَّلَ نفسَهُ.

وكان رسُول الله عليه السلام نَائمًا باللَّيلِ مُتَزَمِّلًا في قَطيفَةٍ، فنُبِّه ونُودِيَ بما يُهَجِّنُ إليْه الحَالةَ الَّتي كان علَيها من التَّزمُّل في قَطيفَتِه واستعْدَادِه للاستِثْقال في النَّوم كما يَفْعل مَن لا يُهِمُّه أَمْرٌ ولا يَعْنيهِ شَأنٌ، ألا ترى إلى قولِ ذِي الرُّمَّةِ:

وكَائِنْ تخَطَّتْ ناقتِي من مَفازةٍ   ومِن نَائمٍ عن لَيْلِهَا مُتزَمِّلِ

سورة المُزَّمِّل

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله رحمه الله: (وَكائِنْ تَخَطَّتْ)... البيتَ[2]

تقديره: كائِنْ -أي: كَمْ- مِن مَفازةٍ تخَطَّت ناقتي فيها، وكائنْ مِن نائمٍ عن ليلِ تلك المَفازةِ غافلٍ عنها غيرِ عارفٍ لها! وقوله: "ومن نائمٍ" عطفٌ على "مِن مفازةٍ"، وكلاهما بيان "كائن"؛ لأنَّه بمعنى "كم".

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ديوان ذي الرُّمَّة، ١٤٨٧/٣.

يُرِيدُ: الكَسْلانَ المُتقَاعِسَ الَّذي لا يَنْهَضُ في مَعَاظِم الأُمُورِ وكِفاياتِ الخطُوبِ، ولا يُحمِّلُ نفسَهُ المشَاقَّ والمَتَاعِبَ، ونحوُه:

سُـــهُـــدًا إذا مَـــا نـــامَ لَـــيْـــلُ الـــهَـــوْجَـــلِ

وفي أَمثَالِهم:

أورَدَهـــا سَـعْـدٌ وسَـعْـدٌ مُشتَمِلْ مَـا هـكـذَا تُـــورَدُ يـا سَـعْـدُ الإِبـــلْ

قوله: (المُتقاعس) تقاعس عن الأمر: إذا تأخَّر ولم يتقدَّم.

قوله: (ونحوه:

سُـــهُـــدًا[١] إذًا مـا نـــامَ لَـــيـــلُ الـهَـوجَـــلِ)

أوّله:

فَـــأَتَـــتْ بـــه حُـــوشَ الـــفُـــؤادِ مُـبَـطَّـنًـا[٢]

"حُوشَ الفؤاد" أي: حديد الفؤاد، يقول: أتتِ الأمُّ بهذا الولد متيقِّظًا حذِرًا حديدَ الفؤاد ذكيًّا ساهرًا[٣] إذا نام الثقيل البليد،[٤] وإنّما قال المصنِّف: "نحوه" لأنَّ وصف الشاعر بهذا يدلُّ على أنّ غيرَه صفةُ ذَمّ، والصواب أنَّ الاستشهاد في البيت بقوله: "نام ليلُ الهَوْجَلِ" حيث أسنَد النوم إلى الليل، كقولهم: نهارُه صائمٌ، وليلُه نائمٌ؛ ليدُلَّ على المبالغة في نومه بالليل، وعلى ثِقَلِه وكَسَالتِه، وعلى عدم تهيئتِه للأمور المهمّة، وعلى غفلته عنها، والهَوجَلُ: الثقيل الأحمَق الكسلان.

قوله: (أوردَها سَعدٌ) هذا سعد[٥] بن زيد مناةَ، أخو مالك بن زيدِ مناةَ، ومالكٌ هذا هو الذي يقال له: آبَلُ مِن مالكٍ؛ لأنّه كان آبَلَ أهلِ زمانه،[٦] ثمّ إنّه تزوَّج وبنى بامرأته، فأورد الإبلَ أخوه سعدٌ، ولم يُحسِن القيام عليها والرفق بها، فقال مالك: "أوردَها سَعدٌ وسعدٌ مشتمل"، أي: أتى بها الوِرْدَ، والحال أنّه مشتمِلٌ بكِسائِه

---

١ ن: شهدًا.

٢ ن: منطنًا. | والبيت لأبي كبير الهُذلي. انظر: لسان العرب لابن منظور، «سهد».

٣ ن: شاهدًا.

٤ ن: والبليد.

٥ ن – سعد.

٦ أبَلَ -كنَصَرَ وفرِحَ- أبالةً وأبَلًا، فهو آبِلٌ وأبِلٌ: حَذَقَ مَصلحة الإبِل والشّاء، وإنّه مِن آبَلِ الناس: من أشدِّهم تأنُّقًا في رِعْيَتِها. القاموس المحيط للفيروزآبادي، «أبل».

فَذمَّهُ بالاشتِمالِ بكسَائِهِ، وجَعل ذلك خِلافَ الجَلْدِ والكَيِّسِ.

وأُمِرَ بأَنْ يَختَار على الهُجُود التَّهَجُّدَ، وعلى التَّزمُّلِ التَّشمُّرَ والتَّخفُّفَ للعبَادةِ والمُجاهَدة في اللهِ.

لا جَرمَ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قد تشمَّرَ لذلِك معَ أَصْحابهِ حَقَّ التَّشمُّر، وأَقبَلُوا على إحياءِ لَياليهم ورَفضُوا لهُ الرُّقادَ والدَّعَة، وتجَاهَدُوا فيه حَتَّى انتفخَتْ أَقْدامُهُم واصْفَرَّتْ أَلْوانُهم وظَهَرت السِّيماءُ في وُجُوهِهِمْ، وتَرَامَى أَمْرُهم إلى حَدٍّ رَحِمَهُم لَهُ رَبُّهم فخَفَّف عَنهُم.

وقيل: كان مُتَزَمِّلًا في مِرْطٍ لعَائشةَ يُصَلِّي، فهُو على هذا ليْسَ بتَهْجِينٍ، بَل هُو ثنَاءٌ عليه وتَحسينٌ لحَالهِ الَّتي كان عَليهَا، وأَمْرٌ بأَن يَدُومَ على ذلك ويُواظِبَ عَليْه.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أَنَّها سُئِلَتْ ما كان تَزْمِيلُه؟ قالَتْ: كان مِرْطًا طُولُه أَربعَ عَشْرَة ذِراعًا نِصْفهُ عَليَّ وأنَا نائمةٌ ونصفُه عليه وهُو يُصَلِّي، فسُئلَتْ: ما كان؟

ليس مشمّرًا، فذمَّه بالاشتِمال بالكِساء، وجعل ذلك خلاف الجَلْد والكَيِّس.[١] وهذا البيتُ صارَ مثلًا فيمَن يشتغل بأمرٍ لا على وجه تيقُّظٍ وتشمُّرٍ،[٢] فلذا قال المصنِّف: (وفي أمثالِهم).

قوله: (فذمَّه بالاشتمال) أي: فذمَّ[٣] الشاعرُ سعدًا بالاشتِمال.

قوله: (ورفضوا له) أي: لله.[٤]

قوله: (ما كان) يجوز أن يكون المعنى: أيَّ تزميلٍ كان تزميلُه، على أنَّ "ما كان" في محلِّ المصدر، فقالت عائشة رضي الله عنها:[٥] «كان مِرطًا»،[٦] أي:

---

١ ن: الحس.

٢ انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٢/٣٦٤.

٣ ف: قدّم.

٤ ن: الله.

٥ د – رضي الله عنها.

٦ الحديث قال فيه الزيلعي: «قلت: غريب، وروى البيهقي في كتاب الدعوات الكبير... عن عُروة عن عائشة قالت: لمّا كانت ليلة النصفِ مِن شعبان انْسَلَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مِن مِرطِي، ثمّ قالت: والله ما كان مِرْطِي مِن حريرٍ ولا قَزٍّ ولا كتّانٍ ولا كُرسُفٍ ولا صوفٍ، قلنا: فمِن أيّ شيء كان؟ قالت: إن كان سُداه لَمِن شعر، وإن كان لُحْمَته لمِن وَبَر». تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٤/١٠٧.

قالت: واللهِ ما كان خَزًّا ولا قَزًّا ولا مِرْعِزًّى ولا إِبْرِيسَمًا ولا صُوفًا، كان سَدَاهُ شَعرًا ولُحْمتُه وَبَرًا.

وقيل: دخَلَ على خديجَة وقَد جُئِثَ فَرَقًا أوَّلَ ما أَتاهُ جبريلُ وبوادرُهُ تُرْعَدُ فقال: «زَمِّلُونِي»، وحَسِبَ أنَّه عُرِضَ لَهُ، فبَينَا هُو على ذلك إذ نَادَاه جبريلُ فقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

[٤٣٠ظ] كانَ ما تزمَّل به مِرْطًا، فإنّ التَّزمُّل بالمِرطِ نوع من أنواع التَّزميل، / ويجوز أن يكون التزميلُ بمعنى ما تزمَّل به، أي: أيَّ شيء كان[١] ما تزمَّل به؟ فالجواب ظاهرٌ.

قوله: (فسُئلَتْ: ما كان) فالأوّل سؤالٌ عن الجِنْس، وهذا عن الوصف.

قوله: (خَزًّا)...[٢] إلخ، الخَزُّ: اسم دابَّةٍ، ثمّ سُمِّي الثوب المتَّخذ من وَبَره خَزًّا، ويقال: الخَزُّ: الثوب من الإبريسم والصوف. و"المِرعِزَّى" إذا شدَّدتَ[٣] الزاي قصَرْتَ، وإذا خفَّفْتَ مددْتَ، والميم والعين مكسورتان، وهو مِفْعِلَّى؛ لأنَّ فِعْلِلَّى[٤] لم يجئ، وقد يقال: مَرْعِزَاء؛[٥] بفتح الميم مخفَّفًا ممدودًا، وهي كالصُّوف تحت شعر العَنز.

قوله: (شَعَرًا) الشَّعَر للمَعز، والوَبَر للإبل.

قوله: (وقد جُئِثَ[٦] فَرَقًا) "جُئِثَ"[٧] أي: خِيف، و"فَرَقًا" أي: خوفًا، الجَأْثُ:[٨] التخويف، جُئِثَ[٩] الرجل فهو مَجئُوثٌ،[١٠] أي: مَذعورٌ، وقوله: "فرَقًا" نصب على المصدر.

قوله: (وبوادِرُه) أي: اللّحْمة[١١] التي بين المَنكِب والعنق.

قوله: (عُرِض) أي: عَرَضَ له الجنّ، يعني: حسِب أنّه جُنَّ، قال في الصحاح: «يقال: هو رجلٌ عِرِّيضٌ، مثال فِسِّيق،[١٢] أي: يتعرَّض للناس بالشرّ».[١٣]

---

[١] ف – كان.
[٢] ن: خز.
[٣] ن: أسندت.
[٤] ن: فعللن.
[٥] ن: مرعزا.
[٦] ن: جئت.
[٧] ن: جئت.
[٨] ف ن: الجأت.
[٩] ن: جئت.
[١٠] ن: مخوف.
[١١] ن: للحمة.
[١٢] ن: فستق.
[١٣] الصحاح للجوهري، «عرض».

وعن عكرمَة: أنَّ المَعنى: يا أَيُّها الَّذي زُمِّلَ أَمْرًا عظِيمًا؛ أي: حُمِّلَه، والزِّملُ: الحِمْلُ، وازْدَمَلَهُ: احتَملَهُ.

وقرئ: "قُم الليل" بضمِّ الميم وفتحِها.

قال عثمان بن جنِّي: الغَرضُ بهذِه الحَركةِ التَّبلُّغُ بهَا هَرَبًا من الْتِقاء السَّاكنين، فبِأيِّ الحَركاتِ تُحرِّكُ فقَدْ وَقعَ الغَرَضُ.

﴿نِّصْفَهُۥ﴾ بدَلٌ من ﴿ٱلَّيْلَ﴾، و﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استِثناءٌ من النِّصفِ؛ كأنَّه قال: قُم أقلَّ من نصفِ اللَّيل، والضَّميرُ في ﴿مِنْهُ﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾ للنِّصْفِ، والمعْنى: التَّخييرُ بينَ أَمْرَين: بين أَن يَقُوم أَقَلَّ مِن نصْفِ اللَّيلِ على البَتِّ، وبينَ أن يَختارَ أحَدَ الأَمْرَينِ وهُما النُّقصَان من النِّصف والزِّيادَةُ عَليه.

وإِن شِئْتَ جعَلت ﴿نِّصْفَهُۥ﴾ بَدلًا من ﴿قَلِيلًا﴾ وكان تَخْيِيرًا بينَ ثلاثٍ: بينَ قيامِ النِّصف بتمامِه، وبينَ قيامِ النَّاقصِ مِنهُ، ....

قوله: (وعن عِكرمة) وهذا الذي ذكره عِكرمة[١] على القراءة بتخفيف الزاي وفتح الميم المشدَّدة،[٢] وأمّا على سائِر القراءات، فكأنّه قلَّد نفسَه بالتزام ذلك وقَبوله، أو المعنى: يا أيّها المُتقَلِّدُ.

قوله: (التبليغ بها) أي: الاكتفاء، يقال: تبلَّغ بكذا، أي: اكتفى به.

قوله: (استثناء مِن[٣] النصف) مقدَّم على المستثنى منه.

قوله: (وبين أن يختار) عطفٌ على (بين أن يقوم)، وكلاهما بدلٌ من قوله: (بين أمرين).

قوله: (بدلًا) بدل الكلِّ.

قوله: (بين قيام)... إلخ، بدلٌ مِن (بين ثلاثٍ).[٤]

---

١ ن - وهذا الذي ذكره عكرمة.

٢ القراءة المنسوبة إلى عكرمة بتخفيف الزاي شاذَّة. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/٣٣٥.

٣ ف: على.

٤ ن - قوله: (بين قيام)... إلخ بدلٌ من بين ثلثٍ.

وبين قيَامِ الزَّائدِ علَيه، وإنَّما وُصِف النِّصْفُ بالقِلَّة بالنِّسبَة إلى الكُلِّ.

وإن شئتَ قُلتَ: لمَّا كان مَعْنَى ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۞ نِّصۡفَهُۥٓ﴾ إذا أَبْدَلْتَ النِّصْفَ مِن اللَّيْل: قُم أقَلَّ مِن نصْفِ اللَّيلِ، رَجَع الضَّميرُ في ﴿مِنۡهُ﴾ و﴿عَلَيۡهِ﴾ إلى الأقَلِّ منَ النِّصْف؛ فكَأنَّه قِيلَ: قُم أقَلَّ من نِصْفِ اللَّيْلِ، أو قُم أنقصَ مِن ذلك الأقَلِّ أو أَزيَدَ مِنه قَليلًا، فيَكُونُ التَّخييرُ فيما ورَاءَ النِّصْفِ بَيْنَهُ وبَيْنَ الثُّلثِ.

ويجُوز إذا أبدَلْتَ ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ من ﴿قَلِيلٗا﴾ وفَسَّرْتَه بهِ أن تَجعَل ﴿قَلِيلٗا﴾ الثَّانيَ بمَعْنى ....

قوله: (الزائد) وهو أدنى مِن الثلثين قريبًا منه، كما سيجيء عن الكلبيّ،[١] وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ﴾.

قوله: (وإنّما وُصف) فإنّه إذا جُعِل "النصف" بدلًا مِن[٢] "قليلًا" ظهر أنّ المراد بالقليل[٣] النصفُ، فيكون قد ذكر النصف[٤] بلفظ القليل.

قوله: (قُمْ أقلَّ) خبر "كان".

قوله: (قيل: قُمْ أقلَّ مِن نِصف الليل) يكون المراد به أزيدَ مِن الثلُث؛ لأنّه لو كان المرادُ الثلُثَ أو أقلَّ لَقال: الثلُث أو أقلَّ مِن الثلُث، ثمّ لمّا قال: أو انقص مِن ذلك الأقلّ يكون[٥] المراد به ما هو بين ذلك الأقلِّ وبين الثلُث، ولمّا قال: أو زِدْ على ذلك الأقلِّ يكون المراد بالزيادة ما هو بين ذلك الأقلّ وبين النصف، فيكون التخيير فيما وراء النصف لكن الأجزاء التي بين النصف والثلُث، فقوله: (بينه وبين الثلُث) إمّا بدَلٌ مِن "وراء" أي: فكان التخيير فيما بين النصف وبين الثلُث، وإمّا حالٌ مِن "ما".

قوله: (وفسَّرْتَه) أي: قليلًا.

قوله: (به) أي: بنصفه.

---

[١] ن: الحلبي.
[٢] ن – من.
[٣] ن: بالعليل.
[٤] ف: المصنّف.
[٥] ن – يكون.

نصْفِ النِّصْفِ: وهُو الرُّبعُ؛ كأنَّه قيل: أو انقُصْ منه قليلًا نصْفَهُ، وتجْعَلَ المَزِيدَ على هذا القَليلِ -أَعْنِي: الرُّبعَ- نِصْفَ الرُّبْعِ؛ كأنَّه قِيل: أَو زِدْ عَليه قليلًا نِصفَه، ويجُوز أن تَجعَلَ الزِّيادةَ لِكونها مُطْلَقَةً تتِمَّةَ الثُّلث، فيَكُونَ تخييرًا بيْن النِّصْف والثُّلْثِ والرُّبع.

فإن قلتَ: أكانَ القيَامُ فَرْضًا أمْ نَفْلًا؟

قوله: (نصفِ النصفِ) بقرينةِ[١] تفسير ﴿قَلِيلًا﴾ بالنصف فيما مرّ، وكأنّه حُذِف هنا لذِكره أوّلًا.

قوله: (منه) أي: من النصف.

قوله: (نصفَه) أي: نصفَ النصفِ، أي: قُمْ ربُع الليل، فحذف هذا البدل بطريق التفسير؛ لأنّ المذكور قبله يدلُّ عليه.

قوله: (أعني) أي: بهذا القليل، وقوله: / (نصفَ الربُعِ) مفعولٌ ثانٍ لـ"تجعَل". [٤٣١و]

قوله: (أو زِد عليه قليلًا نصفَه) وذلك لأنّه لا بدَّ لِـ"زِدْ" مِن مفعول، ودلّ[٢] ما تقدَّم على أنّه "قليلًا"، وقد فُسِّر بنصفٍ فيما مرّ فيحمَل عليه، والمعنى: قمْ ربُعَ الليل ونصفَ ربُعِه، فيكون التخيير بينَ أمورٍ ثلاثةٍ: الأوّل: النصفُ، والثاني: الربُع، والثالث: الربُع والثمُن، وهو في غاية الحُسن، فقد ذكَر أوّلًا قليلًا نصفَه، وذكر ثانيًا قليلًا وحذف نصفَه، وحذف ثالثًا قليلًا ونصفَه.

قوله: (لكونِها مطْلَقةً) فإنّ الزيادة غيرُ مذكورة ههنا، والكسر المُنطَقُ[٣] بعد الربُع[٤] هو الثلُث، فيحمَل عليه لأنّه هو الكسر بينهما، أي: بين النصف والربُع، لا[٥] واسطةَ بين شيء منهما وبينه من الكسور المُنْطَقةِ[٦] المفردة.

قوله: (تتمَّة الثلُث) مفعولٌ ثانٍ لـ"تجعل".[٧]

---

[١] ن: بقريبة.
[٢] ن + على.
[٣] ن: المتعلق.
[٤] ن: الرفع.
[٥] ن: إلّا.
[٦] ن: المنطمة.
[٧] ن: ليجعل.

قلتُ: عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ اللهَ جعَلَه تَطوُّعًا بَعْدَ أَن كانَ فريضَةً.

وقيل: كان فَرْضًا قَبل أن تُفْرضَ الصَّلواتُ الخَمْسُ، ثُمَّ نُسخ بهِنَّ إلَّا ما تَطوَّعُوا بهِ.

وعن الحَسن: كانَ قيامُ ثُلُثِ اللَّيلِ فريضةً فكانُوا على ذلك سَنةً.

وقيل: كان وَاجِبًا، وإنَّما وَقَع التَّخييرُ في المِقْدارِ، ثمَّ نسِخَ بَعْدَ عَشْر سِنينَ.

وعن الكَلبيِّ: كانَ يَقُوم الرَّجُلُ حَتَّى يُصْبِحَ مَخافَةَ أَنْ لا يَحْفَظَ ما بَيْنَ النِّصْفِ والثُّلُثِ والثُّلُثَيْنِ.

ومِنهُم مَن قال: كان نَفْلًا، بدليل التَّخيير في المِقدار، ولِقَوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء ١٧/٧٩].

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾

"ترتيلُ القُرآنِ": ....

قوله: (بعد أن كان فريضةً) فعُلِم أنّه كان فرضًا.

قوله: (إلّا ما تطوّعوا به) "إلّا" بمعنَى "لكنّ"، و"ما" مصدريَّةٌ، والضمير مِن "به" يعود إلى قيام الليل، وخبر "لكنّ" محذوف، أي: لكنّ تطوُّعهم بقيام الليل كان واقعًا حاصلًا.

قوله: (وعن الكلبيّ) هذا الوجه المرويُّ عن الكلبيّ لم يُشِر إليه المصنِّف فيما مرَّ، وتركه ليذكره ههنا؛ بل وجْهُه أن يقول: قد ذكر وهو عين الوجه الثاني، كما ذكره بأن يكون نصفه بدلًا مِن "قليلًا"، والضميران يعودان إلى النصف، أي: قم نصفَ الليل أو انقص من النصف وهو الثلُث، أو زِد على النصف وهو الثلُثان، وظاهرُ لفظ القرآن يدلُّ على هذا.

قوله: (في المِقدار) إذ لـم يَجُز التخيير بين القليل والكثير مِن شيءٍ واحدٍ في الفرائض، وهو منقوضٌ بالتخيير في الصلاة بين القصر والإتمام في السفر.

قِراءتُه علَى تَرسُّلٍ وتُؤَدَةٍ بتَبيينِ الحرُوفِ وإشْبَاعِ الحَركاتِ حَتَّى يَجيءَ المَتْلُوُّ مِنه شَبيهًا بالثَّغْرِ المُرتَّلِ: وهُو المُفَلَّجُ المُشَبَّهُ بِنَورِ الأُقحوانِ، وأن لا يهُذَّهُ هَذًّا ولا يَسْرُدَهُ سَرْدًا، كما قال عُمَرُ رضي الله عنه: شَرُّ السَّيْرِ الحَقْحقَةُ، وشَرُّ القِراءة الهَذْرَمَةُ، حَتَّى يُشبِهَ المَتْلُوُّ في تتَابُعِه الثَّغْرَ الألَصَّ.

وسُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن قِراءةِ رسُول اللهِ فقالَتْ: لا كسَرْدِكُم هذا، لَو أرَادَ السَّامِعُ أن يَعُدَّ حروفَه لعَدَّها.

و﴿تَرْتِيلًا﴾ تأكيدٌ في إيجابِ الأَمْر به، وأنَّه ما لا بُدَّ مِنه للقَارِئ.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝﴾

هذه الآيةُ اعتِرَاضٌ، ويَعْني بالقَول الثَّقيل: القرآنَ وما فيه من الأوامر والنَّواهِي التي هي تكاليفُ شَاقَّةٌ ثقيلةٌ على المكَلَّفين، خاصَّةً على رسُول الله لأنَّه مُتحمِّلُهَا بنَفْسِه ومُحمِّلُها أُمَّتَهُ، فهيَ أَثقَلُ عليه وأَبهَظُ لهُ، وأرادَ بهذا الاعتراضِ:

قوله: (وأنْ لا يَهُذَّه) عطف على قوله: (قراءتُه)، أو على قوله: (تبيينِ الحروف)، وهذا هو الوجه.

قوله: (الحَقحَقة) الحَقحَقة: أرفعُ السَّير وأتعَبه،[1] وقيل: هو السير في أوّل الليل، وقد نهي عن ذلك، و(الهَذرَمة): السرعة في القراءة، و(الألَصُّ): المتقارِبُ الأضراس.

قوله: (حتى يُشبِه)[2] بدلٌ مِن قوله: (حتى يجيءَ)، أو هو متعلِّقٌ بقوله: (لا يَهُذُّه).

قوله: (وأنّه ما لا بدّ) عطف على "إيجاب"، أي: تأكيد في أنّه.

قوله: (هذه[3] الآية) أي: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي﴾.

قوله: (خاصّةً) فلذلك قال: ﴿عَلَيْكَ﴾.

قوله: (وأبهظ)[4] أي: أثقل.

---

[1] ن: وأتبعه.
[2] ن: نسبه.
[3] ن: وهذه.
[4] ن: انهط.

أَنَّ ما كَلَّفَه من قِيامِ اللَّيل من جُمْلةِ التَّكاليف الثقيلة الصَّعْبَةِ التي ورَدَ بها القُرآنُ، لأنَّ اللَّيلَ وَقتُ السُّباتِ والرَّاحَةِ والهُدُوءِ، فلا بُدَّ لمَنْ أَحْيَاهُ من مُضَادَّةٍ لطَبْعِه ومُجاهَدةٍ لنفسِه.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: كان إذا نزلَ عليه الوَحْيُ ثَقُلَ عليه وتَربَّدَ له جِلْدُهُ.

وعن عائشة رضي الله عنها: رَأَيْتُه يَنْزِلُ عليه الوحْيُ في اليَوْم الشَّدِيدِ البَرْدِ فيَفصِمُ عَنه وإنَّ جَبِينَهُ لَيَرفَضُّ عرَقًا.

وعن الحَسن: ثَقيلٌ في المِيزانِ.

وقيل: ثَقِيلٌ على المُنافِقين.

وقيل: كلامٌ لهُ وَزْنٌ ورُجْحانٌ لَيسَ بالسَّفْسَافِ.

قوله: (وعن ابن عبّاس) هذا وجهٌ آخر في وصف القُرآن بالثّقيل.

قوله: (تربّد)[١] أي: اسودّ وتغيَّر.

قوله: (فيُفصَم) أفصَمَ عناءُ الشتاءِ: إذا انجلَى، وأفصَمَ المطرُ: أقلَعَ، وأفصَمَتْ عليه الحمّى، وأفصَى المطرُ: أقلع،[٢] ويقال: أفصَى[٣] عنك الحرُّ، أي: خرج، ولا تقول: أفصَى[٤] عنك البرْد.[٥]

قوله: (لَيرفضُّ) أي: يسيل.[٦]

قوله: (بالسَّفساف) السَّفساف: الرديءُ مِن كلِّ شيء، والأمرُ الحقير، وفي الحديث: «إنّ الله تعالى يحبُّ معاليَ الأمور وأشرافَها،[٧] ويَكره سَفْسافَها»،[٨] وقد أسَفَّ الرجلُ، أي: تتبّع مداقَّ الأمور، ومنه قيل للَّئيم: مُسَفْسِفٌ، والإسفاف: شِدَّة المطر وحِدَّتُه، وفي / الحديث: «أنّ الشَّعبيَّ كرِه أن يُسِفَّ الرجلُ النظرَ [٤٣١ظ]

---

[١] ن: تربد.

[٢] ن – وأفصمت عليه الحمى، وأفصى المطر أقلع.

[٣] ف: أفضى؛ ن: أقصى.

[٤] ف: أفضى.

[٥] ن – ولا تقول: أفصى عنك البرد.

[٦] ن – قوله: (ليرفضّ) أي يسيل.

[٧] ف: أشرفها.

[٨] المستدرك للحاكم، ١/١١٢ (١٥٣).

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: النَّفسَ النَّاشئةَ باللَّيل، الَّتي تنْشَأُ من مَضْجَعِهَا إلى العبَادة؛ أي: تَنهْضُ وتَرْتَفِعُ، من نشَأتِ السَّحابةُ: إذا ارتفَعَتْ، ونشَأَ من مَكانهِ ونَشَزَ: إذا نهَضَ، قال:

نشَأنَا إلى خُوصٍ بَرى نَيَّهَا السُّرَى وأَلصَقَ مِنْها مُشْرِفاتِ القَماحِدِ

أو: قيامَ اللَّيلِ، على أنَّ النَّاشئةَ مَصْدرٌ مِن نشَأَ: إذا قامَ ونهَضَ، على فاعِلةٍ كالعَافِية، ويَدُلُّ علَيهِ ما رُوِي عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ: قُلْتُ لعَائشةَ رضي الله عنها:

إلى أمِّه وابنتِه[1] وأختِه».[2] قاله[3] الجوهري في صِحاح اللغة.[4]

قوله: (﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾) مبتدأ خبره "النفسُ النَّاشئة"، وقوله: (التي) صفةٌ أخرَى للنفس، وقوله: (أو قيام) عطف على "النفس".

قوله:

(نشأنا إلى خُوصٍ)... البيت[5]

"نشأنا" أي: نهضنا. والخُوص: جمع أخوَص وخَوصاء، وهي الغائرةُ الأعْيُن. و"النَيُّ":[6] بفتح النون الشَّحم، أي: أذاب شَحمَها سيرُ الليل. و"اللَّصَقُ" واللَّسَقُ: لصوقُ[7] الرِّئة بالجَنْب مِن العطش، يقال:[8] لَسِقَ البعير ولَصِق، وهذا[9] في صفةِ البَعير، وفاعل "ألصَقُ" ضمير "السُّرى"، ومفعوله "مُشرفاتِ"، وقوله: "منها" حالٌ[10] من "المشرفات"، والضمير يعود إلى "الخوص"،[11] أي: قصدنا نُوقًا مهزولةً من السُّرَى مُلصقةً رئَاتها بالجَنب من العطَش ورحلناها، والهمزة في "ألصق"[12] للتعدية،

---

[1] ن: ابنه.
[2] المصنَّف لابن أبي شيبة، ٤/١١ (١٧٢٧٧).
[3] ف: قال.
[4] الصحاح للجوهري، «عرض».
[5] ذكر البيت أبو البقاء في الكليات، ص ٥٠٥، كذلك دون نسبة، بلفظ:
نَشأنا على حَرفٍ بَرَى مَتنَها السُّرى
وألصق مِنهَا لابتَيها القماحدُ
[6] ن: التي.
[7] ن: لصوف.
[8] ن: ويقال.
[9] ن: هذا.
[10] ن - حال.
[11] ن: الحوض.
[12] ف: ألص.

رَجُلٌ قامَ من أوَّلِ اللَّيْلِ، أَتَقُولِينَ لَهُ: قامَ ناشئةً؟ قالَتْ: لا، إنَّمَا النَّاشِئةُ القيامُ بَعْدَ النَّوْم. ففَسَّرتِ النَّاشئةَ بالقيام عن المَضجَعِ.

أو: العبَادَةَ التي تَنشأ باللَّيْلِ؛ أي: تَحْدُثُ وتَرتفِعُ.

وقيل: هيَ سَاعاتُ اللَّيلِ كلُّها؛ لأنَّها تَحدُثُ واحِدةً بعد أُخرَى.

وقيل: السَّاعَاتُ الأُوَلُ مِنه.

وعن عليِّ بن الحُسَين رضي الله عنهما: أنَّه كان يُصَلِّي بيْنَ المَغْرِب والعِشَاء ويَقُولُ: أمَا سَمِعْتُم قَولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ هذِه ناشِئَةُ اللَّيلِ.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾: هيَ خَاصَّةً دُونَ ناشِئَةِ النَّهارِ أَشَدُّ مُواطَأَةً: يُوَاطِئُ قَلْبُها

ومعنى "ألصَقَ مشرفاتِ[1] القَماحِد"؛ صيَّر[2] السُّرى مشرفاتِ القماحد لاصقةً رِئاتها بجنبها ونيِّها، أي: لحمها. و"القَماحِد" جمع القَمَحْدُوَة، وهو مؤخَّر القَذال.[3]

قوله: (الأُوَلُ منه) أي: من الليل.

قوله: (وعن عليّ بن الحسَين رضي الله عنهما) والمرويّ عن عليّ بن الحسين رضي الله عنهما[4] يَصْلُحُ[5] لأن يُستدَلّ به على الأوجه الثلاثة الأخيرة؛ لأنّ "هذه" يحتمل أن تكون إشارة إلى الصلوات التي صلّاها، وإلى ساعاتِ الليل، وإلى الساعات الأُوَل.

قوله: (وِطاءً) قال في الكواشي: «القراءة "وِطَاءً" بكسر الواو وفتح الطاء مَدًّا مصدَرُ أطاءَ: وافق، وبفتحها وسكون الطاء مصدرُ وَطِئ الشيءَ: داسَه برجلِه، أو جعل عليه ثِقَلَه»، هاتان القراءتان مذكورتان في الكواشي بهذا الوجه فهما مِن السبعة،[6] وأمّا كسر الواو وسكون الطاء فلم يُذكر فيه أصلًا.

[1] ف: مشرفاتٍ.

[2] ن: صبر.

[3] القَذَال: جِماع مُؤَخَّر الرأس. لسان العرب لابن منظور، «قذل».

[4] د - رضي الله عنهما.

[5] ن: بصلح.

[6] قال ابن الجزري: «واختلفوا في ﴿أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾؛ فقرأ أبو عمرو وابن عامِر بكسر الواو وفتح الطاء وألِف ممدودة بعدها، وقرأ الباقون بفتح الواو وإسكانِ الطاء مِن غير مدّ». النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٢.

لِسَانهَا إنْ أَردْتَ النَّفسَ، أَو: يُوَاطِئُ فيهَا قَلْبُ القائمِ لِسَانَه إن أرَدْتَ القِيامَ أَو العِبادة أو السَّاعَاتِ.

أو: أَشدُّ مُوافَقَةً لِمَا يُرادُ من الخُشُوع والإخلاص.

وعن الحسَن: أشَدُّ مُوَافقةً بين السِّرِّ والعَلانيةِ لانقطاعِ رُؤيةِ الخلائِق.

وقُرئَ ﴿أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ بالفتح والكسر، والمَعنى: أَشَدُّ ثَباتَ قَدَمٍ وأَبْعَدُ من الزَّلَل، أو أَثقَلُ وأَغْلَظُ على المُصَلِّي مِن صَلاةِ النَّهارِ، مِن قَولِهِ عليه السَّلام: «اللَّهُم اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ».

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: وأَسَدُّ مَقَالًا وأثبَتُ قِراءةً لهُدُوِّ الأَصْواتِ.

وعن أنسٍ رضي الله عنه أَنَّه قرأَ: "وأَصْوَبُ قِيلًا" فقيل له: يَا أبا حَمزةَ! إنَّما هيَ: ﴿وَأَقْوَمُ﴾؟ فَقال: إنَّ "أَقوَمَ" و"أَصْوَب" و"أَهْيَأَ" وَاحِدٌ.

ورَوَى أبُو زيْدٍ الأَنصاريُّ عن أبي سَرَّارٍ الغَنَويِّ أنَّه كانَ يَقْرَأُ: "فحَاسُوا" بحَاءٍ غيرِ مُعْجمَةٍ، فقِيل له: إنَّما هُو "جاسوا" بالجيم فقال: "جَاسُوا" و"حَاسُوا" وَاحِدٌ.

قوله: (إن أردتَ) أي: بالنّاشئة.

قوله: (يا أبا حمزة) "أبو حمزة" كُنيةُ[١] أنسٍ رضي الله عنه، وكأنّه أورد هذا اللفظ بطريق التفسير لا بطريق قراءة القرآن، فلمّا قيل له: إنّما هي[٢] أقوم؛ قال: أردتُ بيان المعنى، والكلُّ بمعنًى واحدٍ.

قوله: (يقرأُ: "فحاسوا")[٣] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا[٤] بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾[٥] [الإسراء ١٧/٥]. و"الجَوْس": مصدر "جاسوا"،[٦] ﴿خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ أي: يُخلِّلوها[٧] فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الأخبار، أي: يطلبها، والحَوس[٨] بالحاء المهملة بمعناه.

---

١ ن: كتبه.
٢ ن – هي.
٣ ن: فجاسوا.
٤ ف: أولاها.
٥ ن: إلى آخبه.
٦ ن: جاوس.
٧ ن: حللوها.
٨ ن: الجوس.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧﴾

﴿سَبۡحٗا﴾: تَصرُّفًا وتقلُّبًا في مُهِمَّاتكَ وشَواغِلكَ، ولا تَفرُغُ إلّا باللَّيلِ، فعَلَيْكَ بمُناجَاةِ الله الَّتي تَقْتَضي فَراغَ البَالِ وانتِفَاءَ الشَّواغِلِ.

وأمَّا القِراءةُ بالخاءِ فاستِعَارَةٌ من سَبْخِ الصُوفِ -وهُو نَفْشُه ونَشرُ أجزائه- لانتِشارِ الهَمِّ وتَفرُّقِ القَلْبِ بالشَّواغِلِ.

كَلَّفهُ قيَامَ اللَّيلِ، ثمَّ ذَكَر الحِكمةَ فيما كلَّفَه مِنهُ: وهُو أَنَّ اللَّيلَ أَعوَنُ على المُواطَأةِ وأَسدُّ لِلقرَاءةِ؛ لِهُدُوِّ الرِّجْلِ وخُفوتِ الصَّوْتِ، وأَنَّه أَجْمعُ للقلبِ وأَضَمُّ لِنَشْرِ الهَمِّ مِن النَّهارِ؛ لأنَّه وَقْتُ تَفرُّقِ الهُمُومِ وتَوزُّعِ الخَواطِر والتَّقلُّبِ في حَوائجِ المعَاشِ والمعَاد.

وقيل: فَراغًا وسَعَةً لنَومِكَ وتَصرُّفِكَ في حَوائجِكَ.

وقيل: إن فَاتكَ مِن اللَّيلِ شَيءٌ فلكَ في النَّهارِ فَرَاغٌ تَقدِرُ على تَدارُكِهِ فيه.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾: ودُم عَلى ذِكْرِه في لَيلِكَ ونهَارِكَ واحرِصْ عليه، وذِكرُ اللهِ يتَناوَلُ كُلَّ ما كانَ ....

قوله: (﴿سَبۡحٗا﴾ تصرُّفًا) السَّبح:[1] التقلُّب، ومنه: السابح في الماء؛ لتَقلُّبه[2] بيديه ورِجليه.

قوله: (فعليك بمناجاة الله) أي: في الليل، فحذف ذلك لدلالة ما تقدَّم عليه.

قوله: (لانتشار) هذا هو المستعار له.

قوله: (وخُفوتِ) خَفَتَ الصوتُ خُفُوتًا: سكنَ.

قوله: (على تداركِه) أي: تداركِ ما فاتك مِن عبادة الليل.[3]

قوله: (فيه) أي: في النهار.[4]

---

[1] ن: السيح.
[2] ن: التقلبه.
[3] ف: الله.
[4] ن – قوله: (فيه) أي في النهار.

من ذِكْرٍ طَيِّبٍ: تسبيحٍ وتَهليلٍ وتَكبيرٍ وتمْجِيدٍ وتَوْحِيدٍ وصَلاةٍ، وتِلاوَةِ قُرآنٍ، ودِرَاسَةِ علمٍ، وغيْرِ ذلك ممَّا كان رسُول الله يَستَغْرِقُ به سَاعاتِ لَيْلِه ونهَاره.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾: وانقَطِعْ إليه.

فإن قلتَ: كيف قيلَ: ﴿تَبْتِيلًا﴾ مكانَ: تَبتُّلًا؟

قلتُ: لأنَّ مَعْنى "تبتَّلَ": بَتَّلَ نَفْسَهُ، فجِيء به على مَعْناه مُراعَاةً لحقِّ الفَواصلِ.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ قرئ مرفُوعًا على المَدْحِ، ومجْرُورًا على البَدَلِ من ﴿رَبِّكَ﴾، وعن ابن عبَّاسٍ: ....

قوله: (تسبيحٍ) بدلٌ مِن قوله: (ذكرٍ) وهو أن يقول: سبحان الله، وكذا قوله: / (تهليلٍ) وهو أن[1] يقول: لا إله إلا الله، يقال: هلَّل الرجل؛ إذا قال: لا إله إلا الله. [٤٣٢و] و"التمجيد": أن يُنسَب[2] الشخصُ إلى المَجد، والمَجد: الكرَم، والمجيد: الكريم، وفي المَثل: "في كلِّ شجَرٍ نارٌ، واستَمجَدَ المَرْخُ والعَفارُ"، أي: استَكثَرا منها، كأنَّهما أخذا مِن النار ما هو حسْبُهما، ويقال: لأنَّهما يُسرعان الوَرْيَ فشُبِّها بمَن يُكثِر العطاء طلبًا[3] للمَجد، والمَرْخ: شجرٌ سريعُ الوَرْيِ، والعَفارُ: شجرٌ تقدحُ منه النار، هما[4] زَندان يقدَح بهما، والعَفار: الزَّند، وهو الأعلى، والمَرخ: الزَّنْدة، وهي الأسفل.

قوله: (قلت: لأنّ معنى) يعني: أنَّ التبتُّل وإنْ كان لازمًا فهو في معنى التبتيل؛ لأنَّ الانقطاع هو قطع النَّفس عن الغير، ولمّا كان في معناه جيء بقوله: ﴿تَبْتِيلًا﴾ على معنى "تبتُّلًا" وإنْ لم يكن على لفظه؛ رعايةً لتناسب[5] الفواصل.

قوله: (على المدح) أي: هو ربٌّ.

قوله: (ومجرورًا على البدل من ﴿رَبِّكَ﴾) ويجوز أن يكون على البدل مِن الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾، كقوله:

---

[1] ن – أن.
[2] ن: يتسب.
[3] ف: وطلبًا.
[4] ف ن: فهمًا.
[5] ن: ليناسب.

على القَسَم بإضمارِ حَرْفِ القسَمِ؛ كقولك: "اللهِ لأفْعَلنَّ" وجَوابُه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما تَقُول: واللهِ لا أحَدَ في الدَّار إلَّا زَيْدٌ.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ: "رَبُّ المشَارِق والمغَارِب".

﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ مُسَبَّبٌ عن التَّهْليلةِ؛ لأنَّهُ هُوَ وَحْدَه هُو الَّذي يَجِبُ لِتَوحُّدِهِ بالرُّبُوبِيَّة أن تُوكَلَ إلَيْه الأُمُورُ.

وقيل: ﴿وَكِيلًا﴾: كَفِيلًا بما وَعَدكَ من النَّصر والإظهارِ.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑩﴾

"الهَجْر الجَميلُ": أن يُجَانبَهُم بقَلْبِه وهَواهُ ويُخَالِفَهُمْ، معَ حُسْنِ المُخالَقةِ والمُدَارَاةِ والإغضَاءِ وتَركِ المُكافَأةِ.

وعن أبي الدَّرْداء رضي الله عنه: إنَّا لنَكْشِرُ في وُجُوهِ قَوْمٍ ونَضْحَكُ إلَيْهم وإنَّ قُلُوبَنا لتَقْلِيهِم.

وقيل: هُو مَنسُوخٌ بآيةِ السَّيْفِ.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ⑪﴾

علَى حَالَةٍ لَو أنَّ في القَومِ حاتِمًا   على جُودِهِ لَضَنَّ بالمَاءِ حاتِمِ[١]

قوله: (وجوابه) أي: جواب القسم.

قوله: (لأنّه هو وحدَه هو) تأكيد، و"وحدَه" حال، و"هو" ضمير الفصل.

قوله: (إنا لنكْشِرُ) الكشْرُ: بُدُوُّ الأسنان، قال ابن السِّكِّيت: «الكَشْرُ: التبسُّم، يقال: كشَرَ الرجلُ، وانكَلّ، وابتسم، وافترّ، كل ذلك تبدو منه الأسنان».[٢]

قوله: (وإنّ قلوبنا لتَقْلِيهم) أي: تبغضهم، والقِلَى والقَلاء:[٣] البُغض، فإن كسَرتَ القاف قصَرتَ، وإن فتحتَ مددتَ.

---

١ لسان العرب لابن منظور، «حتم»، من قول الفرزدق، بلفظ:
... علَى جودِهِ مَا جادَ بالمالِ حاتِمُ

٢ الصحاح للجوهري، «كشر».

٣ ن: القلاء.

إذا عَرفَ الرَّجُلُ مِن صَاحِبِه أَنَّهُ مُسْتَهِمٌ بخَطْبٍ يُريد أن يُكْفاهُ، أو بِعَدُوٍّ يَشتَهي أَنْ يُنتَقَم لَهُ مِنه، وهُوَ مُضْطَلِعٌ بذلك مُقْتَدِرٌ عليه، قال: "ذَرْنِي وَإِيَّاهُ"؛ أي: لا تَحتاجُ إلى الظَّفَرِ بمُرادِكَ ومُشتهَاكَ إلَّا أَنْ تُخَلِّي بَيْني وبَيْنَه بأَنْ تَكِلَ أَمْرَهُ إليَّ وتَستَكفِينِيهِ، فإِنَّ فيَّ ما يُفَرِّغُ بالَكَ ويُجَلِّي هَمَّكَ، وليس ثَمَّ منْعٌ حَتَّى يَطْلُبَ إِلَيْه

قوله: (مُسْتَهِمٌّ) يقال: همَّ بالأمر إذا قصده، واستَهَمَّ به للمبالغة فيه، كأنّه يقصِده قصدًا جدًّا، أو للطلب، أي: يطلب من يَهُمُّ بذلك الأمرِ ويقصدُه.

قوله: (يريد) صفة "خَطْبٍ"، أو جملة مستأنفة، وهذا أحسن.

قوله: (بذلك) "ذلك" إشارة إلى "الخَطْب"، والضمير مِن "عليه" يعود إلى "العدوّ"، ففي الكلام لفٌّ ونشرٌ.

قوله: (يشتهي) صفةُ "عدوٍّ"، أو مستأنَفةٌ، و"ينتقم" مستندٌ إلى أحد الظرفين.

قوله: (إلى الظَّفَر) "إلى" متعلّق بمحذوفٍ، أي:[1] ذاهبًا إلى الظَّفَر أو متوجِّهًا إليه، ولا يَحْسُنُ أن يكون صلةَ "تحتاج" كما في قولك: تحتاج إليه، إذ المعنى لا يساعده فتأمَّل. وأمّا صِلة تحتاج فمحذوفٌ، وقوله: (إلا أن تخلِّي) مستثنًى مِن ذلك المحذوف، فهو استثناء مفرَّغ، أي: لا تحتاج[2] ذاهبًا إلى الظَّفَر بالمراد إلى شيءٍ ما مِن الأشياء إلّا إلى التخلية بيني وبين ذلك المراد،[3] و"الباء"[4] في "بأن تكِلَ" متعلِّق بـ"تُخَلِّي"، كما في قولك: ضربتُ بالسَّوط.

قوله: (وتَستكفِينِيه) يُقال:[5] كَفاهُ مُؤنَتَه يَكفِيه[6] إيَّاها[7] كِفايةً، واسْتَكْفَيْتُه الشيءَ فكَفانِيه.

قوله: (فإنّ فيَّ ما يفرِّغُ) أي: فإنّي أفرّغ، كقوله[8] تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١/٣٣]، والمعنى: أنّ رسول الله أسوةٌ حسنةٌ،

---

[1] ف – أي.
[2] ن: يحتاج.
[3] ن: والمراد.
[4] ن: بالباء.
[5] ن: فقال.
[6] ن – يكفيه.
[7] ن: أتاها.
[8] ف: لقوله.

أن يذَرَهُ وإيَّاهُ إلَّا تَرْكُ الاسْتِكْفَاءِ والتفويض؛ كأنَّه إذا لم يَكِلْ إلَيه أَمْرَهُ فكأنَّهُ مَنعَهُ مِنه، فإذا وَكَلَهُ إلَيه فقَد أزَالَ المنْعَ وتَرَكَهُ وإيَّاهُ، وفيهِ دَلِيلٌ على الوُثُوقِ بأنَّه يتمكَّنُ من الوَفَاء بِأَقصَى ما تَدُورُ حَوْلَهُ أُمْنِيَة المُخاطَبِ وبِمَا يزيدُ عليه.

"النَّعْمةُ" بالفتح: التَّنعُّم، وبالكسرِ: الإنْعَامُ، وبالضَّمِ: المَسرَّةُ، يُقالُ: "نَعَمْ ونُعْمَةَ عَيْنٍ"، وهُم صَناديدُ قُرَيْشٍ وكانوا أَهْلَ تَنعُّمٍ وتَرفُّهٍ.

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾

﴿إِنَّ لَدَيْنَا﴾ ما يُضَادُّ تنعُّمَهُمْ:

مِن أَنْكَالٍ: وهي القُيود الثِّقالُ، عن الشَّعْبيّ: إذا ارْتَفعُوا استَفْلَتَ بهم، الوَاحِدُ: نِكْلٌ ونُكْلٌ.

ومن جحيم: وهي النَّارُ الشَّدِيدةُ الحَرِّ والاتِّقادِ.

[٤٣٢ظ] وأتى بالفاء؛ لأنّه تعليلٌ / لقوله: (لا تحتاج)...[١] إلخ، إذ معناه: تحتاج إليَّ ولا تحتاج[٢] إلى غيري، فعلَّله بما فيه أيضًا معنى الحَصْر،[٣] لأنَّ تقديم الجارِّ -أعني: "فيَّ"- أفاد أنّي[٤] أفرّغُ بالك لا لغيري، وإنّي[٥] أُجَلِّي همَّك لا غيري.

قوله: (وفيه دليل) أي: في هذا القول، وهو قوله: (ذرْني وإيّاه).

قوله: (نَعَم ونُعمة) "نَعَم" حرف إيجابٍ، يقول المُجِيب للطالب: "نَعَم، ونُعمةُ عَينٍ"، ونُعمة العَين: قُرّتها؛ من: نَعِمت عينُك؛ قرّتْ، وذلك لأنّ السرور سببُ قُرَّتها.

قوله: (وهم صناديدُهم) أي: المكذِّبون، والصِّنديد: السَّيد الشجاع، وغَيثٌ صِنديدٌ: عظيمُ القَطر.

قوله: (استقَلَّتْ[٦] بهم) الباء في "بهم" للتعدية.

---

[١] ن: يحتاج.
[٢] ن: يحتاج.
[٣] ن: الحضر.
[٤] ن: إلى.
[٥] ف: وأنّي.
[٦] ن: اسفلت.

ومن طعامٍ ذي غُصَّةٍ: وهُو الَّذي يَنشَبُ في الحُلُوقِ فلا يُسَاغُ، يَعْني: الضَّريعَ وشجَرَ الزَّقُّوم.

ومِن عذابٍ أليمٍ من سَائر العذابِ.

فلا ترَى مَوْكُولًا إلَيْه أَمْرُهُم مَوْذُورًا بَيْنه وبَيْنَهُم ينتقِمُ مِنهم بمِثْل ذلِك الانتِقام.

ورُوي: أَنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام قَرأ هذه الآيَةَ فصَعِقَ.

قوله: (ذي غُصَّةٍ) الغُصَّة: الشَّجَى، والجمع: غُصَصٌ، والغَصَصُ بالفتح مصدرُ قولك: غصِصْتَ يا رجلُ تَغَصُّ، فأنت غاصٌّ بالطعام وغصَّان، وأغصَصْتُه أنا، والمنزِل غاصٌّ بالقوم، أي: ممتلِئٌ بهم، الشَّجَى: ما يَنشَبُ في الحلق مِن عَظْم وغَيره.

قوله: (وهو الذي) أي: الغُصَّة، وإنّما ذكَّره باعتبار الخبر.

قوله: (يعني:[١] الضريع) أي: يعني بالطعام: الضريعَ.

قوله: (مِن سائر العذاب) يشير به إلى أنّ التنكير في ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ للدلالة على النوع، أي: هذا النوع مِن أنواع العذاب، فإنّ العذاب[٢] الأليمَ نوعٌ مِن أنواع العذاب، فبالصفة[٣] يدلّ[٤] على النوع، ولمّا نكَّره زاد إبهامَه وكونَه أليمًا.

قوله: (فلا ترَى) أي: ذرْني فإنّك لا ترَى.

قوله: (مَوكولًا) صفة موصوف محذوف، أي: أحدًا موكولًا[٥] إليه، وكذا: "مَوذورًا"، والضمير مِن "إليه" و"بينه"[٦] يعود إلى الموصوف المحذوف، ولا ضمير في شيء منهما، فإنّ "مَوكولًا"[٧] مستندٌ إلى "أمرُهم"، و"مَوذورًا" إلى "بَينَه". وقوله: (ينتقم) صفةٌ أخرى للمحذوف، أو[٨] مفعولٌ ثانٍ لـ"ترى"[٩] إنْ كان مِن[١٠] رؤيةِ القلب.

---

١ ن: معنى أي.
٢ ن – فإن العذاب.
٣ ن: وبالصفة.
٤ ن: بدل.
٥ ن: موكلًا.
٦ ن: ومنه.
٧ ن: موكلًا.
٨ ن: و.
٩ ف: لنرى؛ ن: لتري.
١٠ ف: بين.

وعن الحسن: أَنَّه أَمْسَى صَائمًا، فأُتِي بطعَام فعَرضَتْ لهُ هذهِ الآيةُ فقال: ارْفَعْه، ووُضِعَ عِندَه اللَّيْلَةَ الثانيةَ فعَرضَتْ لهُ فقال: ارْفَعْهُ، وكذلك اللَّيلةَ الثَّالثةَ، فأُخبرَ ثابتٌ البُنَانيُّ ويَزِيدُ الضَّبيُّ ويَحْيَى البَكَّاء فجَاؤوا فلم يزَالُوا بهِ حَتَّى شَرِبَ شَرْبةً مِن سَويقٍ.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ مَنْصُوبٌ بمَا في ﴿لَدَيْنَا﴾.

و"الرجفةُ": الزَّلزَلةُ والزَّعزَعةُ الشَّدِيدةُ.

و"الكَثِيبُ": الرَّمْلُ المُجتمِعُ، مِن كَثَبَ الشَّيءَ: إذا جَمعَهُ؛ كأنَّه فَعيلٌ بمَعْنى مَفْعُولٍ في أَصْلِه، ومنه: الكُثْبةُ من اللَّبنِ، قالت الضَّائنةُ: أُجَزُّ جُفَالًا وأُحْلَبُ كُثَبًا عجَالًا.

قوله: (أمسى) أي: دخل في المساء، فهي تامَّة، و(صائمًا) حالٌ، ولمّا كان آخرُ الصوم يتَّصل بأوّل الليل صحَّ أن يقال: دخل في المساء حال كونه صائمًا، وإلا لمَا كان يصحُّ هذا الكلامُ منه.

قوله: (بما في ﴿لَدَيْنَا﴾) أي: بمعنى الفعل الذي في ﴿لَدَيْنَا﴾؛ لأنّه ظرف فيه معنى الفعل.

قوله: (والزَّعزعة) الزَّعزعة: تحريك[1] الشيء، يقال: زعزعتُه فتزَعزع.

قوله: (ومنه الكُثْبة)[2] كلُّ شيء جمعتَه مِن طعام أو غيره بعد أن كان قليلًا فهو كُثْبةٌ.[3]

قوله: (أُجَزُّ جُفالًا، وأُحْلَبُ كُثَبًا عِجَالًا) الجُفال: الصُّوف الكثير، قالت:[4]

---

[1] ن: تحريد.

[2] ن: الكتبة.

[3] ن: كتبه.

[4] "قالت" الأولى يعني بها العرب، أي: قالت العرب: قالت الضائنة...، قال ابن منظور: «ومنه قول العرب في بعض ما تضَعُه على ألسنة البهائم: قالت الضَّائنة...» فذكره. لسان العرب لابن منظور، «كتب».

أي: كانت مِثلَ رَمْلٍ مُجْتَمِعٍ هِيلَ هَيْلًا؛ أي: نُثِرَ وأُسِيلَ.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾

الخِطابُ لأَهْلِ مكَّة ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يَشهَدُ عَليْكم يوْمَ القِيَامةِ بكُفْرِكُمْ وتكذِيبِكُم.

فإن قلتَ: لِمَ نَكِّرَ الرَّسُولُ ثُمَّ عُرِّفَ؟

قلتُ: لأنَّه أرَاد: أرسَلنا إلى فرعَون بعْضَ الرُّسل، فلمَّا أعَادَهُ وهوَ مَعهُودٌ بالذِّكْر أَدْخَل لامَ التَّعريفِ إشارةً إلى المَذْكُور بعَيْنِهِ.

﴿وَبِيلًا﴾: ثَقيلًا غلِيظًا، من قَولهم: "كَلأٌ وَبيلٌ": وَخِيمٌ لا يُسْتَمرأ لِثِقَلِه، والوَبيلُ: العَصا الضَّخمة، ومِنه: الوَابِلُ، للمَطر العَظيمِ.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧﴾

﴿يَوْمًا﴾ مَفعُولٌ بهِ؛ أي: فكيْفَ تَقُونَ أنفُسَكُم يوْمَ القِيامة وهَوْلَه ....

"قالت[١] الضَّائِنة: أُوَلَّد رُخَالًا، وأُجَزُّ جُفَالًا وأُحْلَبُ كُثَبًا ثِقالًا،[٢] ولم ترَ مِثلي مالًا"، قولها:[٣] "جُفالًا" أي: أُجَزُّ بمرَّةٍ واحدةٍ، وذلك أنَّ صوفَها لا يسقط إلى الأرض شيءٌ منه حتى يُجَزَّ[٤] كلُّه. "الرَّخِلُ" بكسر الخاء: الأنثَى مِن ولَد الضَّأن، والجَمع: رِخالٌ،[٥] ورُخال.

قوله: (وهَوْلَه) قول المصنِّف: "وهَوله" مِن العطف الذي للبيان، يشير به إلى أنّ معنى "كيف تَقُونَ يومًا": كيف تَقُونَ هولَ يوم وعذابَ يومٍ، فيكون المضاف مَحذوفًا / في لفظ القرآن المجيد.[٦] [٤٣٣و]

---

١ ف – قالت.
٢ ن: قفالًا.
٣ ن – قولها.
٤ ف ن: يجزّه.
٥ ن – بكسر الخاء: الأنثَى من ولد الضأن، والجمع: رِخالٌ.
٦ ن – "وهَوله" مِن العطف الذي للبيان، يشير به إلى أنّ معنى "كيف تَقُونَ يومًا": كيف تَقُونَ هولَ يوم وعذابَ يومٍ، فيكون المضاف محذوفًا في لفظ القرآن المجيد.

إن بَقيتُم على الكُفرِ ولم تُؤمِنُوا ولم تعمَلُوا صَالحًا.

ويجُوز أن يكُون ظرْفًا؛ أي: فكيف لكُم بالتَّقوى في يوم القيامةِ إنْ كَفرْتُم في الدُّنْيا؟

ويجوز أن يَنتَصِبَ بـ﴿كَفَرْتُمْ﴾ على تَأويلِ: جحَدتُمْ؛ أي: فكيف تَتَّقُونَ اللهَ وتَخْشَوْنَه إن جحَدْتُم يومَ القيَامة والجزاءَ؛ لأنَّ تَقوى الله خَوْفُ عِقابه.

و﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ مَثَلٌ في الشِّدَّةِ، يُقال في اليَوم الشَّديد: يومَ يُشَيِّبُ نَواصِيَ الأَطْفالِ.

والأَصْلُ فيه: أَنَّ الهمُومَ والأَحْزانَ إذا تفاقَمَتْ على الإنسانِ أَسْرَعَ فيه الشَّيْبُ، قال أبُو الطَّيِّب:

وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسيمَ نحَافةً ويُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبيِّ ويُهْرِمُ

وقد مَرَّ بِي في بعْضِ الكُتُبِ أَنَّ رجُلًا أَمْسَى فَاحِمَ الشَّعْرِ كحنَكِ الغُراب، وأَصْبحَ وهو أَبيَضُ الرَّأسِ واللِّحْيةِ كالثَّغامَةِ، ....

قوله:[١] (إنْ بَقِيتم)[٢] فسّر قوله تعالى: ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ بقوله: إن بَقِيتم على الكفر؛ لأنّ المخاطبين كافرون.

قوله: (لأنّ تقوى الله خوفُ عقابه) فإذا لم تعتقدوا القيامة وجحدتُّموه وأنكرتُموه فلا تعتقدون العقابَ، فكيف يكون لكم خشيةٌ لله[٣] تعالى. وقوله: (لأنّ) متعلِّق بمعنى قوله: (كيف تتَّقون) فإنّه بمعنى: لا تتَّقون، فكأنّه قال: لا تتَّقون؛ لأنّ قوله: (تفاقَمتْ) أي: عَظُمت.

قوله: (كحَنَكِ) الحَنكُ: المِنقار، يقال: أسودُ كحَنِك الغُراب، وأسودُ حانِكٌ، مثلُ: حالِك، و(الثَّغامة) نبتٌ يكون في الجَبل يَبيَضُّ إذا[٤] يبِس، تُجمَع على ثَغامٍ، يقال له بالفارسيّة: "درمنهٔ سپيد"، يُشبَّه به الشَّيب.

---

[١] ن – قوله.

[٢] ن + قوله.

[٣] ف ن: الله.

[٤] ن: إذ.

فقال: أُرِيتُ القيامةَ والجنَّةَ والنَّارَ في المَنام، ورأيتُ النَّاسَ يُقادُونَ في السَّلاسلِ إلى النار، فمِنْ هَوْلِ ذلك أَصْبَحْتُ كمَا ترَوْن!

ويجوز أَنْ يُوصَف اليَوْمُ بالطُّول، وأنَّ الأَطْفَال يَبْلُغُون فيه أوَانَ الشَّيخُوخةِ والشَّيْبِ.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ وَصْفٌ لِليَوْمِ بالشِّدة أَيْضًا، وأنَّ السَّماءَ على عِظَمِها وإِحْكامِها تَنفطِرُ فيه، فما ظَنُّكَ بغَيْرِها مِن الخلائقِ؟

قرئ: ﴿مُنفَطِرٌ﴾ و: "مُتَفَطِّرٌ".

والمَعنى: ذاتُ انفطارٍ، أو على تأويل السماءِ بالسَّقْفِ، أو: السَّماءُ شَيءٌ مُنفَطِرٌ.

والبَاء في ﴿بِهِۦ﴾ مِثْلُها في قولك: "فَطرْتُ العُودَ بالقَدُومِ فانفَطَرَ بهِ"، يَعْني: أنَّها تَنفطِرُ بشِدَّةِ ذلك اليَوْم وهَوْلِهِ كما يَنفطِرُ الشَّيءُ بما يُفطَرُ بهِ.

ويجُوز أن يُراد: السَّماءُ مُثقَلةٌ بهِ إثْقالًا يُؤدِّي إلى انفطارهَا لِعظَمِهِ عليها وخَشيَتِهَا مِن وُقُوعه؛ كقوله: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف ٧/١٨٧].

﴿وَعۡدُهُۥ﴾ مِن إضافة المصْدَر إلى المَفعُول والضميرُ لليَوْم، ويجوز أَن يكُون مُضافًا إلى الفاعِلِ وهُو اللهُ عزَّ وَجلَّ، ولم يَجْرِ لهُ ذِكْرٌ لكَونه مَعْلومًا.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآياتِ النَّاطقةَ بالوَعيد الشَّديد ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾: مَوعِظةٌ ﴿فَمَن شَآءَ﴾ اتَّعظَ بها، واتَّخذَ سبيلًا إلى الله بالتَّقوَى والخشيَة، ومَعْنى اتِّخاذ السَّبيل إليْه: التَّقرُّبُ والتوسُّلُ بالطَّاعةِ.

قولـه: (وأنّ) عطفٌ على "وَصفٌ" مِن حيثُ المعنى، أي: وبيان أنّ السماء، أو هو عطفٌ على "الشِّدّة"، أي: وصفٌ لليَوم بأنّ السماء...

قوله: (والمعنَى: ذاتُ انفطارٍ) فلذلك لم يقل: "مُنفطرة" مع أنّ السماء مؤنَّثٌ.

قوله: (أو علَى تأويلِ) أي: هو على تأويلِ...

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾: أقلَّ منهما، وإنَّما استُعِير الأَدْنَى -وهُو الأقرَبُ- لِلأقلِّ لأنَّ المَسافة بين الشَّيئين إذا دَنَتْ قَلَّ ما بيْنَهما من الأَحْيَازِ وإذا بعُدَت كثُرَ ذلك.

وقرئ: ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ بالنَّصب على: أنَّك تقُوم أقلَّ من الثُّلُثَيْنِ وتقُومُ النِّصْفَ والثُّلُثَ، وهُو مُطابِقٌ لِمَا مرَّ في أول السُّورة من التخيير بين قِيام النِّصف بتمامِه، وبين قيام النَّاقصِ منه وهو الثُّلُثُ، وبَين قيامِ الزائد عليه وهو الأَدنى من الثُّلُثَيْنِ.

قوله: (لأنّ المَسافة)... إلخ، أصل هذا التركيب أنّ أحدَ الشيئين إذا دَنَا مِن الآخَر قلَّ ما بينهما مِن الأحياز،[١] وإنّما قلنا: إنّ الأصل ذلك؛ لأنّ الدنوّ إنّما يكون بين الشيئين، ولا معنى هَهنا لدنوِّ المسافة، فالمصنِّف أسند[٢] الدنوّ إلى المسافة مجازًا، وكأنّه أراد بالمسافة طرفي المسافة الواقعة بين الشيئين، قال في الصحاح: «المسافة:[٣] البُعد، وهو من قولهم: سُفْتُ الشيء أَسُوفُه سَوفًا، أي: شَمِمْتُه؛ وذلك أنّ الدليل في الطرُق كان يَشَمُّ التراب ليعلمَ أنّه على الطريق أم لا، فغلَبَ حتى قالوا للبُعد: مسافة».[٤] وقوله: (إذا دنَتْ قَلّ) فيكون الدنوّ مَلزومًا لقِلّة ما بينهما، فأطلق الملزوم على اللازم، فيكون مجازًا، أي: استعارةً.

قوله: (لِما مرّ) وهو الوجه الثاني مِن الوجوه المذكورة، وهو المرويّ عن الكلبيّ.

---

[١] لأحْياز: جمع حيّز، والحيّز: الناحية، قال الفيّومي: «الحَيّز: النّاحِيةُ أيضًا، وهو فَيْعِلٌ، وربّما خُفِّفَ، ولهذا قيل في جمعه: أَحْيَاز، والقياس: أَحْوَاز، لكنّه جُمِعَ على لفظ المُخفَّف... وأَحْيَازُ الدارِ: نواحيها ومرافقها». المِصباح المنير للفيّومي، «حوز».

[٢] ن: أسندفة.

[٣] ن: المسا.

[٤] الصحاح للجوهري، «سوف»، بمعناه.

وقرئ: ﴿ونِصْفِه وثُلُثِه﴾ بالجرِّ؛ أي: تقُوم أَقلَّ من الثُّلُثَين وأقَلَّ من النِّصْف والثُّلُثِ، وهو مُطابِقٌ للتخيير بين النِّصْف: وهُو أدنى من الثُّلُثين، والثُّلُثِ: وهُو أَدْنَى من النِّصفِ، والرُّبعِ: وهو أَدْنى من الثُّلُثِ، وهو الوَجْهُ الأخير.

﴿وَطَآيِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾: وتقُوم ذلك جماعةٌ من أَصْحابك.

﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: ولا يَقْدِرُ على تقدير اللَّيلِ والنَّهارِ ومَعْرفةِ مَقاديرِ سَاعَاتِهما إلَّا اللهُ وَحْدَهُ، وتَقْدِيمُ اسْمِه عزَّ وجلَّ مُبتَدأً مَبْنيًّا عليه ﴿يُقَدِّرُ﴾ هُو الدالُّ على معنى الاختصاص بالتَّقْدير، والمعنى: أنَّكُم لا تَقدِرُون عليه.

والضميرُ في ﴿لَّن تُحۡصُوهُ﴾ لِمَصْدرِ ﴿يُقَدِّرُ﴾؛ أي: عَلِم أنَّه لا يَصِحُّ مِنْكُم ضَبطُ الأوقاتِ ولا يَتأتَّى حِسابُها بالتَّعْدِيلِ والتَّسْويةِ إلَّا أَنْ تأخُذوا بالأَوْسَعِ للاحتِياط، وذلك شاقٌّ عَليكم بالغٌ مِنكم.

﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ عبَارةٌ عن التَّرْخيص في تَرْكِ القيام المقدَّرِ؛ كقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ [البقرة ١٨٧/٢]، والمعنى: أنَّه رَفَع التَّبِعَةَ في تَرْكِه عنكم كما يَرْفَعُ التَّبِعَة عن التَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَطَآيِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ فيكون ﴿وَطَآيِفَةٌ﴾ عطفًا على الضمير المستتر، وجاز ذلك للفَصْل.

قوله: (ويقوم ذلك) أي: أدنَى ونصفَه وثلثَه.

قوله: (الاختصاص) أي: لا يقدِّر إلا هو.

قوله: (وذلك شاقّ) أي: الأخذُ بالأوسع، كما رُوي عن الكلبيِّ: «أنَّ الرجُل كانَ يقوم حتى يصبِح مخافةَ أنْ لا يحافِظَ ما بين النصف والثلُثِ والثلُثين».

قوله: (القِيام المقدَّر) أي: بالنصف أو بالناقِص أو بالزائد.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾) واعلم أنَّ في تشبيهِه نظرًا؛ لأنَّ عمرَ رضي الله عنه وغيرَه مِن أصحاب النبيِّ عليه الصلاة والسلام باشروا النساء في ليل[1]

---

[1] ن + الليل في.

وعَبَّر عن الصَّلاة بالقِراءة لأنَّها بعْضُ أرْكانِها؛ كما عَبَّر عنها بالقيام والرُّكوع والسُّجُود، يُرِيد: فصَلُّوا ما تَيسَّر عليكم ولم يتَعذَّرْ من صَلاة اللَّيْل، وهذا ناسِخٌ للأوَّلِ، ثمَّ نُسِخَا جميعًا بالصَّلواتِ الخمْس.

رمضان حين كانت المُباشرَة في ليالي رمضان حرامًا، واعترفوا عند النبيّ عليه الصلاة والسلام بالمباشرة، فعاتبهم النبيُّ عليه الصلاة والسلام في ذلك، ثم[١] أنزل[٢] الله تعالى قَبولَ توبتهم والعفوَ عن جريمتهم بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾[٣] [البقرة ١٨٧/٢]، وأنزل تعالى أيضًا الرخصة في ذلك فقال تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ [البقرة ١٨٧/٢].[٤]

[٤٣٣ظ] قوله: (ما تيسَّر عليكم) / قال محيي السُّنة[٥] في شرح السُّنّة:

أكثرُ أهلِ العلم مِن الصحابة فمَن بعدهم على أنّ الصلاة لا تُجْزِئ إلا بقِراءة فاتحة الكتاب[٦] إذا كان يُحسِنُها، منهم عمرُ وعليٌّ وجابرٌ وعِمران[٧] بن حُصين وغيرُهم[٨] مِن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين،[٩] وبه يقول ابن المُبارك والشافعيُّ وأحمدُ وإسحاق، وذهب قوم إلى أنّه لا يتعيَّن عليه قراءةُ الفاتحة، وهو قول أصحاب الرأي لقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾، وهو عند الآخرين فيمَن لا يُحسِن الفاتحة، أو هو مُجملٌ يحتمل أنّه أراد به سورةً بعينِها، ويحتمل أنّه أراد به كلَّما وقع عليه اسمُ قرآن، فيُحمل هذا المُجملُ على ما فسَّره في حديث عبادةَ وغيره.[١٠]

وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «لا صلاةَ لمَن لم يقرأ فيها بفاتحةِ الكتاب».[١١]

قوله: (نُسِخا) أي: نُسِخ القيام المقدَّر ونُسِخ ما تيسَّر.

---

١ ف – ثم.
٢ ف: فأنزل.
٣ ن: إلى آخره.
٤ سنن أبي داود، ٣٧٨/١ (٥٠٦).
٥ محيي السُّنَّة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت. ٥١٦ هـ/١١٢٢م).
٦ ن – الكتاب.
٧ ن: عمر.
٨ ف: وغيره.
٩ ف ن – رضي الله عنهم أجمعين.
١٠ شرح السنة للإمام البغوي، ٤٦/٣.
١١ صحيح البخاري، ١٥١/١ (٧٥٦)؛ صحيح مسلم، ٢٩٥/١ (٣٩٤).

وقيل: هي قِرَاءةُ القرآنِ بعَيْنِها، قيل: يَقرأ مئةَ آيةٍ، ومَن قرأ مئة آيةٍ في ليْلَةٍ لم يُحاجَّهُ القُرآنُ.

وقيل: مَن قرأ مئةَ آيةٍ كُتِبَ مِن القَانِتِينَ، وقيل: خمسين آيةً.

وقد بَيَّنَ الحِكمةَ في النَّسْخِ، وهي تعذُّرُ القيام على المَرْضَى والضَّاربين في الأَرض للتِّجارة والمجاهِدين في سبيل الله.

وقيل: سَوَّى اللهُ بين المُجاهِدين والمُسَافرين لِكسْب الحلال.

وعن عبد الله بن مسعُودٍ رضي الله عنه: أيُّما رَجُلٍ جَلَب شيئًا إلى مدينةٍ من مدَائن المُسلمين صَابرًا مُحتسبًا فباعَه بسعْرِ يَوْمِهِ كان عند الله من الشُّهداء.

وعن عبد الله بن عمَر: ما خلق اللهُ مَوْتةً أَمُوتُها بعد القتلِ في سَبيل الله أَحبَّ إليَّ من أَن أمُوتَ بين شُعْبَتي رَحْلٍ أَضرِبُ في الأرض أَبْتَغِي من فضل الله.

و﴿عَلِمَ﴾ استئنافٌ على تقدير السُّؤال عن وَجْه النَّسْخ.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يَعْني: المفرُوضَةَ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجِبةَ، وقيل: زكاةَ الفطر؛ لأنَّه لم يكن بمَكَّة زَكاةٌ، وإنَّما وجَبَتْ بعد ذلك، ومَن فسَّرهَا بالزَّكاة الواجبةِ جعَل آخرَ السُّورة مَدنِيًّا.

﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يجُوز أن يُرِيدَ: سائرَ الصَّدقاتِ، وأن يُريد: أداءَ الزَّكاة على أَحْسنِ وجهٍ؛ مِن إخْراج أَطْيَبِ المال وأَعْوَدِه عَلى الفُقراءِ، ومُراعَاةِ النِّيَّة، وابتغاءِ وَجْهِ الله، والصَّرْفِ إلى المُستحِقّ.

وأن يُرِيد: كُلَّ شَيءٍ يُفعَلُ من الخيْرِ ممَّا يتَعلَّقُ بالنَّفْسِ والمال.

﴿خَيْرًا﴾ ثاني مَفعُولَي "وجَدَ"، وهوَ فَصْلٌ، وجاز وإنْ لم يقَعْ بين مَعْرِفتَيْنِ، لأنَّ "أَفعَلَ مِن" أَشْبَهَ في امتناعِه من حرف التعريف المَعْرِفَةَ.

قوله: (وأَعْوَدِه) أي: أنفعِه.

قوله: (لأنَّ[١] "أَفعَلَ[٢] مِن") أي: لفظ "أَفعَلَ مِن" أشبَهَ المعرفة، يعني: أنَّ "أفعلَ"

[١] د ف: لا أنَّ.

[٢] ف: فعل.

وقرأ أبُو السَّمالِ: "هُو خَيْرٌ وأَعظَمُ أَجْرًا" بالرَّفع على الابتداءِ والخبَر.

عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأَ سُورَة المُزَّمِّلِ دفَع الله عنه العُسْر في الدُّنيا والآخِرة».

التفضيل إذا استُعمل بـ"مِن" يُشابِه المعرفةَ في امتناع دخول حرف التعريف.

تمَّت السورة بحمد الله تعالى ومَنّهِ.[١]

---

١ ف – تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه؛ ن – ومنّه.

سورة المدثر

مكيةٌ، وهي خمسٌ أو ستٌّ وخمسُون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾

﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾: لابِسُ الدِّثارِ، وهو ما فوْقَ الشِّعار: وهُوَ الثَّوبُ الَّذي يَلي الجسَدَ، ومنه قَولُه عليه السَّلام: «الأَنصَارُ شِعَارٌ والنَّاسُ دِثارٌ».

وقيل: هي أوَّلُ سُورة نزلَتْ.

سورة المُدَّثِّر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (الشِّعار) الشِّعار: ما يلي الجَسد مِن الثياب لِمُماسَّتِه الشَّعْرَ، و(الدِّثارُ) ما كان مِن الثِّياب فوق الشِّعار، يريد النبيُّ عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث:[2] أنّهم[3] أصدقائي وبِطانتي وأقربُ الناس إليَّ، يريد بالنسبة إلى بعض الناس، فإنَّ الأنصار وإنْ عُرِفوا بالإيواءِ والنُّصرة لكن لا يَبْلُغونَ درجةَ المهاجرين السابقين، وكيف والأنصارُ مقيمون في بلدهم متوطِّنون[4] في أماكنهم، وهم قد أُوذوا وأُخرجوا مِن ديارهم وأموالهم؟ فهو نبيٌّ مهاجريٌّ لا أنصاريٌّ.[5]

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] الحديث في صحيح البخاري، ١٥٧/٥ (٤٣٣٠)؛ صحيح مسلم، ٧٣٢/٢ (١٠٦١).

[3] ف: أنتم.

[4] ن: هوطنون.

[5] ن: الأنصار.

رَوَى جابرُ بنُ عَبْدِ الله عن رسول الله عليه السلام: قال: «كنتُ على جَبَل حِرَاء، فنُودِيتُ: يا محمَّدُ، إنَّك رَسُول الله، فنَظرْتُ عن يَميني ويَسَارِي فلم أَرَ شَيئًا، فنَظرْتُ فَوقِي فرأيْتُ شيئًا».

وفي روايةِ عائشةَ: «فنظَرْتُ فَوقي فإذا بِهِ قاعدٌ على عَرْشٍ بَيْن السَّماء والأرض -يَعني: الملكَ الَّذي نَاداهُ- فرُعبْتُ ورَجَعتُ إلى خَديجةَ فقُلْتُ: دَثِّرُوني دَثِّرُوني، فنَزل جبريلُ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾».

وعن الزُّهريِّ: أوَّلُ ما نَزل: سُورةُ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فحزِنَ رسُولُ الله وجعَلَ يَعْلُو شَواهِقَ الجِبَال، فأتاه جبريل: إنَّك نبيُّ الله،

قوله: (قال: كنتُ) الأصل فيه[1] ذِكْر "قال" مرَّتين، لأنَّ المَعنى قال جابرٌ: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «كنتُ»...، ذُكِر في كتب علم[2] الحديث: أنّه يكتب في مِثل هذا الموضع "قال" مرّة واحدة، ويلفظ به مرَّتين.[3]

قوله: (على جبل حِراءَ) قال في الصحاح: «"حِراء" بالكسر والمدّ: جبلٌ بمَكة يُذكَّر ويؤنَّث، قال:

أَلَسْنَا أكرَمَ الثَّقَلَينِ طُرًّا   وأعظَمَهم ببَطْنِ حِرَاءَ نَارًا»[4]

قوله: (فإذا به) أي: فإذا أنا ملتَبِسٌ به، وقوله: (قاعدٌ) خبر مبتدأ محذوف، أي: هو قاعدٌ.

قوله: (فرُعِبتُ) أي: خُوِّفْتُ، يقال: رَعَبْتهُ فهو مَرعوبٌ، ولا تقل: أرْعبتُه.[5]

قوله: (فأتاه جبريلُ: إنّك) أي: قائلًا: إنّك رسولُ الله.

قوله: (فحَزِن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم) قال الراوي: «وفَتَرَ الوَحيُ حتى حَزِن النبيُّ عليه الصلاة والسلام -فيما بلغَنا- حزنًا غدا منه مِرارًا كي يتردّى

---

[1] ف + الأصل فيه.

[2] ن: علم كتب.

[3] قال ابن الصلاح: «وإذا تكرَّرت كلمة 'قال' كما في قوله في كتاب البخاري: "حدّثنا صالحُ بن حَيّانَ قال: قال عامِرٌ الشَّعبي"، حذَفوا إحداهما في الخطِّ، وعلى القارئ أن يلفِظ بهما جميعًا». مقدّمة ابن الصلاح، ص ٢٢٧.

[4] الصحاح للجوهري، «حرا»، وذكر البيت بغير نسبة.

[5] ن: أرعبه.

فرجَع إلى خدِيجةَ وقال: «دَثِّروني وصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا» فنَزلَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

وقيل: سمِعَ من قريشٍ ما كرِهَهُ فاغتمَّ، فتغَطَّى بثوْبهِ مُفكِّرًا كما يَفعَلُ المَغمُوم، فأُمِرَ أَن لا يدَعَ إِنذارَهُمْ وإِن أسمَعُوهُ وآذَوهُ.

وعن عِكرِمَةَ رضي الله عنه: أنَّه قرأ على لَفظ اسم المفعُول من دَثَّرهُ. وقال: دُثِّرتَ هذا الأمْرَ وعُصِبَ بكَ، كما قال في المُزمَّل: قُمْ مِن مضجَعِك، أو: قُمْ قيَامَ عَزمٍ وتضميمٍ.

مِن رءوس شَواهق الجبال، فكلّما أَوفَى بذِروة جبل لِكي يُلقي نفسَه منه تبدّى له جبريلُ فقال: يا محمَّد، / إنّك رسولُ الله حقًّا، فيَسكن لذلك جأشُه وتَقَرُّ نفسُه».[١] [٤٣٤و]

قوله: "فتَرَ" الفَترةُ: الانكسار[٢] والضعف. وتردّى: إذا سَقط في بئرٍ أو تهوَّر مِن جبلٍ. والشاهق: الجبل المرتفع، وشَهِقَ يَشْهَقُ، أي: ارتفع. وأوفَى على الشيء، أي: أشرف. وذُرَى الشيء بالضمِّ: أعاليه، الواحد: ذِروةٌ وذُروة أيضًا بالضم.[٣] وتبدَّى، أي: ظَهر. والجأش: جأشُ القلب، وهو رُواعه إذا اضطرب عند الفَزَع.

قوله: (وإنْ أسمَعوه) يقال: أسمَعَه الحديثَ، وأسمَعَه أي: شتمه.

قوله: (كما قال في المزَّمِّل) أي: بتخفيف[٤] الزاي المفتوحة، وتشديد الميم المفتوحة.

قوله: (وتصميمٍ) صمَّم في السَّير وغيره، أي: مضى، وصمَّم أي: عضّ ونيَّب فلم يُرسِل ما عضَّ، وصمَّم السيفُ: إذا مَضى في العَظم وقطَعه، فأمّا إذا أصاب المَفصِل وقطعه فيقال: طبَّق، قال[٥] يصِفُ سَيفًا:

يُصَمِّمُ[٦] أحيانًا وحِينًا يُطَبِّقُ[٧]

---

[١] صحيح البخاري، ٢٩/٩ (٦٩٨٢).

[٢] ن: بالانكسار.

[٣] ن - أعاليه الواحد ذروة، وذروة أيضًا بالضم.

[٤] ف: بتجفيف.

[٥] ن - قال. | وفي الصحاح: «قال الشاعر».

[٦] ن: بضم.

[٧] شطر من بيت للفرزدق، كما في تاج العروس للفيروزآبادي، «طبق»، قال: «قال الفَرَزدَق يمدح الحجّاجَ ويشبِّهه بالسيف:
وما هو إلّا كالحُسامِ مجَرَّدًا
يُصَمِّمُ أحيانًا وحِينًا يُطبِّقُ»

﴿فَأَنذِرْ﴾: فحَذِّرْ قومَك من عذابِ الله إنْ لم يُؤمِنُوا، والصَّحيحُ أَنَّ المَعْنى: فافعَل الإنذارَ، من غير تخصيصٍ له بأحَدٍ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: واختَصَّ ربَّك بالتكبير، وهُو الوصْفُ بالكِبْرياء وأن يُقَالَ: اللهُ أكبَرُ.

ويُروى: أنَّه لمَّا نزلَ قال رسُول الله: «اللهُ أكبَرُ» فكبَّرتْ خديجَةُ وفَرِحَتْ وأيقنَتْ أنَّه الوَحيُ. وقد يُحمَلُ على تكبير الصَّلاة.

ودَخلت الفاءُ لمَعنى الشَّرط؛ كأنَّه قيل: وما كان فلا تدَعْ تكبيرَه.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أُمِرَ بأن تكون ثيابُه طاهرةً من النَّجاساتِ لأنَّ طَهارة الثِّيابِ شرْطٌ في الصَّلاة لا تصحُّ إلَّا بِهَا، وهي الأَوْلَى والأحَبُّ في غَيْر الصَّلاة وقبِيحٌ بالمُؤمِنِ الطَّيِّبِ أن يَحْمِلَ خبَثًا.

وهذا هو المذكور في الصحاح.[١]

فمعنى قول المصنِّف: "تصميمٍ" أي:[٢] ثباتٍ واستقرارٍ، ومعنى قولهم: عزمٌ مصمِّمٌ بكسر الميم، أي: ثابتٌ مستقِرٌّ.

قوله: (مِن غير تَخصِيصٍ) أي: بقوله: "قومَك" وغيره.

قوله: (وما كان فلا تدَعْ تكبيرَه) أي: أيَّ شيءٍ كان فلا تدَعْ تكبيرَه،[٣] يريد: أنّه جواب شرطٍ محذوفٍ، وكذا حكم باقي الفاءات هنا.

قوله: (وهي الأَولى) الثِّيابُ[٤] النَّجسة يجوز لُبسُها والانتفاع بها في غير الصلاة ونحوها؛ لأنّ نجاستها عارضةٌ سهلةُ الإزالة، لكنّ الأَولى والأحبَّ طهارةُ الثياب في غيرِ الصلاة، يريد أنّ هذا[٥] الأمر -وهو "طَهِّر"- مختصٌّ بالصلاة؛ لأنّ ذلك إنّما يجب في الصلاة، وأمّا في غيرها فمُستَحبٌّ.

---

[١] الصحاح للجوهري، «صمم».
[٢] ن - أي.
[٣] ف + أي؛ ن: تكبيرة.
[٤] ن: الثبات.
[٥] ن: هو.

وقيل: هُو أَمْرٌ بتَقْصيرها ومُخالفَةِ العَرَبِ في تطويلهم الثِّيابَ وجَرِّهم الذُّيولَ، وذلك ممَّا لا يُؤْمَنُ مَعه إِصابةُ النَّجاسة.

وقيل: هُو أَمْرٌ بتَطْهير النَّفْس مِمَّا يُستقذَرُ من الأفعال ويُستَهجَنُ من العادات؛ يُقال: "فُلانٌ طاهِرُ الثِّياب"، و: "طاهِرُ الجَيْب، والذَّيل، والأَرْدانِ": إذا وصَفُوه بالنَّقاءِ من المعَايبِ ومَدَانسِ الأَخْلاقِ، و: "فُلانٌ دَنِسُ الثِّيابِ" لِلغَادِر، وذلك لأنَّ الثَّوبَ يُلابِسُ الإنسان ويَشتَمِلُ عليه فكُني بهِ عنه، ألا ترى إلى قولهم: "أعجَبني زيْدٌ ثوبه" كما يقُولون: "أعجَبني زَيْدٌ عَقْلُه وخَلْقُه" ويَقولُون: "المجد في ثَوبهِ" و"الكَرَمُ تحتَ حُلَّتِه"، ولأنَّ الغالبَ أنَّ مَن طهَّر باطِنَهُ ونَقَّاه عُنِيَ بتَطهيرِ الظَّاهِر وتَنقِيتِهِ، وأَبَى إلَّا اجتِنابَ الخُبْثِ وإيثَارَ الطُّهْرِ في كُلِّ شَيءٍ.

﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ قرئ بالضم والكسرِ، وهو العذابُ، ومَعْناه: اُهْجُر ما يُؤَدِّي إليه من عبادةِ الأَوثانِ وغيْرِها من المآثِم، والمعنى: الثَّباتُ على هَجْرِه؛ لأنَّه كان بَرِيئًا مِنه.

قرأ الحسَن: "ولا تمُنَّ".

و﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ مَرفُوعٌ منصُوبُ المحَلِّ على الحَال؛ ....

قوله: (وذلك ما لا يؤمَن) أي: التطويل شيءٌ لا يؤمَن معه إصابةُ النجاسة، يريد: أنّ التقصير مستلزمٌ للطهارة، فذَكَر الطهارةَ وأراد التقصير، فيكون كنايةً.

قوله: (والأَرْدان) الرُدْن: أصلُ الكُمِّ.

قوله: (عُنِيَ بتطهير) فيكون تطهير[1] الظاهر مِن لوازم تطهير الباطن، فيكون كنايةً.

قوله: (ما يؤدِّي إليه) أي: إلى الرِّجز.

قوله: (مرفوع) هذا[2] في قراءة السبعة، يريد: أنّ الفعلَ المضارع مرفوعٌ لِخُلوِّه عن الناصب، والجملة -أعني الفعل مع الضمير- في محلِّ النصب.[3]

---

[1] ن - تطهير.

[2] ف - هذا.

[3] قال الدمياطي: «وعن الحسن "تَستَكثِرْ" بالجزم بدلًا مِن الفعل قبله، والجمهور بالرفع على أنّه في موضع الحال أي: لا تمنُن مستكثرًا ما أعطيت، أو على حذف "أنّ" على أنّ الأصل: أن تستكثر، فلمّا حذفت "أنّ" ارتفع». إتحاف فضلاء البشر للدمياطي، ص ٥٦٢.

أي: ولا تُعْطِ مُستكثِرًا رائيًا لِمَا تُعْطِيه كثِيرًا، أو طالِبًا لِلكثِير، نَهيٌ عن الاستِغْزار: وهُو أَن يَهَبَ شَيئًا وهو يَطْمَعُ أن يتَعوَّضَ من الموهُوب له أكثرَ من المَوهُوب، وهذا جَائزٌ، ومِنه الحَديثُ: المُستَغزِرُ يُثَابُ من هبَته، وفيه وجهانِ:

أحَدُهما: أن يكونَ نهيًا خاصًّا برسُول الله؛ لِأنَّ اللهَ اختَارَ له أشرَفَ الآدابِ وأحسَن الأَخلاقِ.

والثاني: أَن يكونَ نَهْيَ تَنزيهٍ لا تحريمٍ لَهُ ولأُمَّتِه.

وقَرأَ الحَسنُ: "تَستكْثِرْ" بالسُّكون، وفيه ثلاثةُ أَوْجُهٍ:

الإِبْدالُ من ﴿تَمْنُن﴾؛ كأنَّه قِيل: ولا تمنُنْ ولا تَستكثِرْ، على أنَّه من المَنِّ في قوله عزَّ وعلا: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة ٢/٢٦٢] لأنَّ من شَأن المنَّانِ بما يُعطِي أن يَسْتكثِرَهُ؛ أي: يَراه كثيرًا ويَعتَدُّ بهِ.

قوله: (أي: ولا تُعطِ) فهو مِن المَنِّ الذي بمعنى الإنعام.

قوله: (عن الاستغزار) الغَزارةُ: الكثرة، وقد غَزُرَ الشيء بالضمّ يَغزُر فهو غَزير.

قوله: (أنْ يتعوَّض)[١] أي: بأخذ العِوض.[٢]

قوله: (يُثاب) أي: يعوَّض مِن هِبته.

قوله: (نَهيًا خاصًّا) أي: نهيَ تحريمٍ.

قوله: (كأنّه قيل: ولا تَمنُنْ لا تَستكثِرْ) أي: لا تَرَه ولا تعدَّه كثيرًا.

قوله: (ثلاثةُ أوجُه) ولم يذكر أنّه جواب النهي؛ لأنّه لا يَستقيم أن يكون التقدير: إنْ لا تمننْ تستكثر.

قوله: (لأنّ مِن شأن) بيان[٣] صحّة إبدال[٤] "لا تستكثِر" مِن[٥] "لا تَمنُنْ".

قوله: (أي: يراه)[٦] منصوبٌ؛ لأنّه تفسير "يستكثِر"، فيتبعه في الإعراب.

---

[١] ن: يتعرض.
[٢] ن: العرض.
[٣] ف: شأن.
[٤] ن: الإبدال.
[٥] ن – من.
[٦] ف: براه؛ ن: نراه.

وأنْ يُشَبَّه ﴿ثِرُوَ﴾ بـ"عَضُدٍ" فيُسكَّنَ تخفيفًا.

وأنْ يُعْتَبرَ حالُ الوقفِ.

وقرأَ الأعمشُ بالنَّصْبِ بإضمارِ "أَن"؛ كقَوْلِهِ:

ألا أيُّهذا الزَّاجِري أَحْضُرَ الوَغى

وتُؤَيِّدُه قراءةُ ابن مسْعُودٍ: "ولا تَمنُنْ أَن تَستكثِرَ".

ويجوزُ في الرَّفع أَن تُحْذَفَ "أَنْ" ويُبْطَل عَمَلُها كما رُوِي: "أَحْضُرُ الوَغَى" بالرَّفع.

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾: ولِوَجْهِ الله فاستَعْمِل الصَّبرَ، وقيل: على أَذَى المُشرِكينَ، وقيل: على أَداءِ الفرائضِ.

وعن النَّخعيّ: على عَطِيَّتِك. كأنَّه وصَلَه بمَا قبلَه وجَعَله صبْرًا على العَطاء من غير اسْتِكثارٍ.

والوَجْهُ: أن يكون أَمْرًا بنفس الفِعْل، ....

[٤٣٤ظ] قوله: (وأن يُشَبَّهَ / "ثِرُ وَ") أي: الخروجُ مِن كسرة الثاء إلى ضمَّة الراء مِن ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ وإلى فتحة[1] الواو من ﴿وَلِرَبِّكَ﴾.

قوله:

(ألا أيُّهــذا[2] الزَّاجِــرِي أحضُــرَ الوَغَــا)

تمامُه:

وأنْ أشْــهَدَ اللَّــذَّاتِ هَــلْ أنْــتَ مُخْلِــدِي[3]

قوله: (في الرفع) أي: قراءةِ الرفع[4] التي مرَّت.

قوله: (فاستعمل) أي: هو جارٍ مَجرَى اللازم غيرَ متعدٍّ إلى ما يُصبَر عليه.

قوله: (وقيل: على أذى المشركين) فيكون هذا متعلَّقَ الصبر، حذَفَه للعِلم به.

قوله: (والوجه) وهذا هو الوجه الأوّل.

---

١ ف: صحة.

٢ ن: بهذا.

٣ البيت لطرفة بن العبد في ديوانه، ص ٢٥.

٤ ن: الرقع.

وأَن يتنَاوَل على العُموم كُلَّ مَصْبُورٍ عليه ومَصْبُورٍ عَنْه، ويُرادَ الصَّبْرُ على أذَى الكفَّار لأنّه أحَدُ ما يَتناولُه العامُّ.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

والفاءُ في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ للتَّسبيبِ؛ كأنه قال: اصْبِر على أذاهُم فبَيْنَ أَيْديهِمْ يَومٌ عَسيرٌ يَلقَونَ فيه عاقِبةَ أذاهُم وتَلْقَى عاقِبةَ صَبْرِك عليه.

والفاءُ في ﴿فَذَٰلِكَ﴾ للجزاء.

فإن قلتَ: بِمَ انتصَبَ "إذا"، وكيف صَحَّ أن يَقع ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظَرْفًا لـ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾؟

قلتُ: انتصَبَ "إذا" بما دل عليه الجَزاءُ؛ لأنَّ المَعْنى: فإذا نُقِرَ في النَّاقُور عَسُرَ الأَمْرُ على الكافِرين.

والَّذي أَجازَ وُقُوعَ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرْفًا لِـ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾: أنَّ المعنى: فذلك وَقْتَ النَّقْرِ وقوعُ يَوْمٍ عَسيرٍ؛ لأنَّ يوْمَ القيامةِ يَأتِي ويَقعُ حينَ يُنقَرُ في النَّاقُور.

قوله: (كلَّ مَصبورٍ عليه) أي: الطاعات.

قوله: (ومَصبورٍ عنه) أي: المعاصي.

قوله: (ويراد الصبر) أي: بالقصد الأوّل.

قوله: (فإن قلت: بمَ[1] انتصَب)... إلخ، يعني: أنّ "إذا" شرطية، وجوابه: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، وهذا الجزاء دلّ على قوله: (عَسُرَ)، وهو العامل في "إذا".

قوله: (والذي أجاز)[2] إشارةٌ إلى الجواب عن السؤال الثاني، يريد: أنّ "ذلك" مبتدأ، ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبرُه، أي: زمان النَّقْر يومٌ عسيرٌ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ حالٌ مِن ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ مقدَّمٌ عليه، ولمّا كان ظرفًا في محلِّ الحال عنه حَكَم بأنّه ظرفه، وهذا معنى قوله: (المعنى:[3] فذلك وقت النقر وقوعُ يوم عسِير)، فإنّه لمّا كان التقدير: "فذلك إلى زمان النقر يومٌ عسيرٌ واقعًا يومئذٍ" عبَّر المصنِّف عنه بما عبَّر،[4]

---

[1] ف ن: ثم.
[2] ف: أجازه.
[3] ن – المعنى.
[4] ن: غبر.

....

ولا يمكـن حَمْـل كلام المصنِّف على ظاهـره؛ لأنّـه يمتنـع أن يعمـل المصـدر -وهـو "وقـوع"- فيمـا قبلـه، فكيـف يكـون "يومئـذ" ظرفًـا لـ"يـوم" بتقديـر: وقـت النقـر وقـوع يـوم؟[١] فتأمَّـل.

وأيضًـا لا يمكـن جعلُ قولـه: (وقوعُ يوم) خبرًا لقوله: (فذلك)، فلا بدّ مِن تقدير مضـافٍ آخرَ قبل قولـه:[٢] "وقوع" ليصيرَ الكلام هكذا: زمان النقر يومئذ زمانُ وقوعِ يوم عسير، ولو كان التقدير هكذا لـم يستقم؛ لأنّه لا يمكن جعل يومئذ ظرفًا لما بعده؛ لأنّه يلزم عمل المصدر الذي هو مضافٌ إليه فيما قبلَ المضاف، فثبت أنّ المعنى ما ذكرنا. وحاصل المعنى: زمانُ النقر يومٌ عسيرٌ، وذلك اليوم العَسير حاصلٌ وحادثٌ يومئذ.

وتحقيق معنى إضافة النقر إلى "إذ" أنّ المرادَ بـ"يوم" هو الزمان الطويل مِن قبيل النقر إلى انقضـاء يوم القيامة، وبـ"إذ" هو الجزء الذي حدث ووقع فيه النقر والقيامة، فأضاف اليوم بالمعنى[٣] المذكور لتهويل ذلك اليوم وتعظيمه، ثمّ جعل اليوم -الذي هو عبارة عن الزمان الطويل الممتدِّ- ظرفًا لـ﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ بالمعنى المذكور؛ لأنّ ذلك الزمان لمّا كان جزءً مِن هذا فكأنّه واقعٌ وحاصلٌ فيه، هذا بيان كلام المصنِّف، فيه نظَر.

قال أبو عليّ الفارسيُّ رحمه الله[٤] في أوائل الحُجّة عند ذكر قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة ١/٤]:

> قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٍ يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ القَول فيه: إنّ ذلك إشارةٌ إلى النقر، كأنّه قال: فذلك النقر يومئذٍ يومٌ عسيرٌ، / أي: نقرُ يوم عسير، فقوله: ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ على هذا متعلِّق بذلك؛ لأنّه في المعنى مصدرٌ، وفيه معنى الفعل، فلا يمتَنع أن يعمل في الظرف كما[٥] عمِل في الحال، [٤٣٥و]

---

١ ن - يوم.
٢ ن: قوم.
٣ ن: بمعنى.
٤ د - رحمه الله.
٥ ن: لما.

....

ويجوز أن يكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفًا لقوله: ﴿يَوْمٌ﴾، ويكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بمنزلة "حينئذٍ"، ولا يكون اليوم الذي يعني به وضَحَ النهار، ويكون اليوم الموصوف بأنّه عسير خلاف الليلة، فيكون التقدير: فذلك اليومُ يومٌ عسيرٌ حينئذ، أي: ذلك اليوم يومٌ في ذلك الحين، فيكون متعلِّقًا بمحذوف، ولا يتعلَّق بـ﴿عَسِيرٌ﴾؛ لأنّ ما قبلَ الموصوف لا يعمل فيه الصفة، فأمّا "إذا" في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ فالعامل فيه المعنى الذي دلّ عليه قوله: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، تقديره: إذا نُقِر في الناقور عسُرَ الأمر وصَعُب، كما أنّ ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ﴾ [الفرقان ٢٢/٢٥] يدلّ على أنّهم يحزَنون.[١]

هذا كلام أبي عليّ[٢] في هذا الموضع، وذكر قبلَه بورقتين أنّ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان ٢٢/٢٥] عاملُه مضمَر يدلّ عليه ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[٣] [الفرقان ٢٢/٢٥].[٤]

وقال أبو عليّ الفارسيُّ في الحُجّة في تفسير الفاتحةِ في قولِ جَريرٍ:

وقَـدْ عَـلَاكَ مَشِيبٌ حِينَ لا حِينِ:[٥]

"لا" فيه زائدةٌ، والتقدير: حينَ حينٍ، وهذه الإضافة مِن باب "حلقة فضّة" و"خاتم حديد"؛ لأنّ "حين" تقع على الزمان القليل كالساعة ونحوها، يدلّ على ذلك قوله:

تُطَلِّقُهُ حِينًا وحِينًا تُرَاجِعُ[٦]

وتقع على الزمان الطويل، كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم ٢٥/١٤]، فصار "حين حينٍ"، كقَول الآخر:

---

١ الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٣٣/١.

٢ ن + رحمه الله.

٣ ن – عامله مضمر يدلّ عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين.

٤ الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٢٩/١.

٥ ديوان جرير، ٥٥٧/٢، وتمامه:
ما بالُ جَهلِكَ بعدَ الحِلمِ والدِّينِ
وقد علَاكَ مَشيبٌ حينَ لا حينِ

٦ ذكره الجَوهري في الصحاح، «نذر»، مِن قول النابغة الذبياني يصف حيّة، وتمامه:
تَناذَرَها الرَّاقُونَ مِن سُوءِ سُمِّها
تُطَلِّقُهُ حِينًا وحِينًا تُراجِعُ
وهو في ديوان النابغة، ص ٥٤، بلفظ:
تُطَلِّقُهُ طَورًا وَطَورًا تُراجِعُ

....

وَلَــــولَا يَـــومٌ يَـــومٍ مَــا أَرَدْنَـــا جَـــزَاءَكَ والـقُـروضُ لهـا جَـزاءُ[١]

هذا[٢] هو المذكور في الحُجّة،[٣] وقال المطرّزي في المُغرب: «الحِينُ كالوقت في أنّه مُبهَمٌ يقَع على القليل والكثير، ومنه قول النابغة يصفُ حيَّةً:

تَـنَـاذَرَهَـا الـرَّاقُـونَ مِـن سُـوءِ سُمِّهَا تُـطَـلِّـقُـهُ حِـينًـا وَحِـينًـا تُـرَاجِـعُ[٤]

يعني: أنّ السُّمَّ يَخفُّ ألمُه وقتًا ويعود وقتًا، وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص ٣٨/٨٨]، أي: بعد قيام الساعة»،[٥] هذا هو المَذكور في المُغرب.

وأراد الشاعر بالحين القَدْر الذي يكون بين تحريك الوجع وسكونه، وهو قليل. وقوله: "تناذَرها" أي: أنذر بعضُ الرَّاقين بعضًا أن لا يقربوا هذه الحيَّة؛ لأنّها لا تجيب الرُّقَى.

اعلم أنّ كلام أبي عليّ والمطرّزي كلامٌ حسنٌ، لكن لا يفِي ببيان المراد هنا، وقال المَرزوقيُّ في شرح قوله:

مَــن رَأَى يَومَنَــا ويَــومَ بنَــي التَّيــمِ إذَا التَـــفَّ صِيقُــــهُ[٦] بِـــــدَمِ:[٧]

«أرادَ باليوم الوَقعة، لولا ذلك لما صلح أن يكونَ "إذا"[٨] ظرفًا له، ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ[٩] يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، ألا ترَى أنّ في قوله: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[١٠] معنى فعلٍ، فصار ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفًا له، كأنّه قال: فذلك النَّقر يومئذ[١١] نَقْرُ يومٍ عسير».[١٢]

---

[١] ذكره البغدادي في خزانة الأدب، ٤٦/٤، ونسبه للفرَزدَق، ولم أجده في ديوانه.

[٢] ن: وهذا.

[٣] الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ١٦٦/١.

[٤] سبق البيت قريبًا في كلام أبي عليّ في الحجّة، وسبق التعليق عليه.

[٥] المُغرِب للمطرّزي، «حين».

[٦] ن: صيفه.

[٧] ذكره في ديوان الحماسة عن بعض شعراء حميَر، قال المرزوقي: «فيقول: مَن شاهد يومنا مع بني التيم حين التفّ غبار الجوّ بالدم، وتندَّى به وابتلَّ حتّى قلّ. والصِّيق: الغبار الجائل في الجوّ، وأضافه إلى اليوم لكونه فيه، والتفافه كان برشاش الدم القاطر مِن الجراح». شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٣٣٠/١.

[٨] ن: إذ.

[٩] ن – يومئذ.

[١٠] ن – ألا ترَى أنّ في قوله: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

[١١] ن: يوم.

[١٢] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٣٣٠/١.

واختُلف في أنَّها النفخةُ الأُولَى أَمْ الثانيةُ.

ويجوز أن يكُون ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ مَبْنيًّا مَرْفُوعَ المحَلِّ بدَلًا من ﴿ذلك﴾ و﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ خبَرٌ؛ كأنّه قيل: فيَومُ النَّقْرِ يومٌ عَسيرٌ.

فإن قلتَ: فما فائدةُ قوله: ﴿غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ و﴿عَسِيرٌ﴾ مُغْنٍ عنه؟

قلتُ: لمَّا قال: ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فقَصَر العُسْرَ عليهم قال: ﴿غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ ليُؤذِن بأنَّه لا يكُونُ عليهم كما يكُون على المُؤمنين يَسيرًا هَيِّنًا؛ ليَجْمعَ بين وَعيدِ الكافرين وزيادةِ غيْظِهم وبِشارة المؤمنينَ وتَسْليَتِهم، ويجوز أن يُراد أنَّه عَسيرٌ لا يُرْجَى أن يَرْجِع يَسيرًا كما يُرجى تَيْسيرُ العَسيرِ من أمُور الدُّنيا.

قوله: (لأنّ المعنى) وإذا كان المعنى عليه فكأنّه قيل كذلك، والحاصل: أنّ العامل معنى ﴿فَذَٰلِكَ﴾... إلخ.

قوله: (والذي أجاز) والصواب في تقدير قوله: (والذي أجاز وقوعُ / ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ ظرفًا لـ﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾) أن نقولَ: يريد: أنّه ظرفٌ لقوله: ﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ [٤٣٥ظ] مع تقدير المُضافَين، أي: فذلك زمان وقوع يوم عسير يومئذٍ، أي: فزمان النقر في الناقور زمان وقوع يومٍ عسير في زمان النَّقر[١] في الناقور، فعامِلُهُ مقدَّر مقدَّمًا، هذا هو الصواب، فكأنّه قيل: زمان النقر في النَّاقور[٢] زمان يقع فيه يوم عسيرٌ، والمراد بوقوعه هو ابتداؤه وحدوثه وظهوره.

قوله: (وقت النَّقر) بيان ذلك.

قوله: (واختُلف في أنّها) أي: النقر،[٣] وأُنِّثَ[٤] باعتبارِ "النفخَة".

قوله: (ويجوز) وقد كان على الوجه الأوّل مُعرَبًا منصوبًا ظرفًا لـ﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾.

قوله: (كأنّه قيل) كأنّه قيل:[٥] إذا نقر في الناقور عَسُر الأمر، فيوم النقر يومٌ عسيرٌ.

قوله: (و﴿عَسِيرٌ﴾ مغنٍ عنه) الواو للحال.

---

[١] ن: نقر.

[٢] ن - فعامِلُهُ مقدَّر مقدَّمًا، هذا هو الصواب، فكأنّه قيل: زمان النَّقر في النَّاقور.

[٣] ن: النفس.

[٤] ن: وأنت.

[٥] ف ن - كأنّه قيل.

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ۝١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝١٥﴾

﴿وَحِيدٗا﴾ حالٌ من الله عزَّ وجلَّ على مَعنَيين:

أحَدُهما: ذَرْني وَحْدِي معَه فأنَا أُجْزِئُكَ في الانتقام منه عن كُلِّ مُنتَقِم.

والثاني: خلَقْتُه وَحْدي لَم يَشْرَكنِي في خَلْقِه أحَدٌ، أو حَالٌ من المخلُوقِ على معنى: خلَقْتُه وهُو وحِيدٌ فرِيدٌ لا مالَ له ولا وَلدَ كقَوله: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام ٦/٩٤].

وقيل: نزَلَتْ في الوليد بن المُغيرة المَخزُوميّ، وكان يُلَقَّب في قوْمِه بالوَحيدِ، ولَعلَّهُ لُقِّبَ بذلك بعْدَ نزُول الآيةِ، فإن كان مُلَقَّبًا به قبْلُ فهُو تَهكُّمٌ به وبلقَبِهِ،

قوله: (حال مِن الله عزَّ وجلَّ) أي: مِن الياء في ﴿ذَرۡنِي﴾، أو مِن التاء في ﴿خَلَقۡتُ﴾.

قوله: (فأنا أُجْزِئُكَ) مِن قولهم: أجزأني الشيءُ؛ كفاني، أي: أنا كافيك[1] في الانتقام مِمَّن خلقته، وأما قوله: (عن كلِّ منتقِم) فهو حال، إمّا مِن فاعل "أُجزِئُ"،[2] أو مِن مفعوله، فإن كان مِن الفاعل فالمعنى: أنا أكفيك مُجاوزًا أنا عن كل منتقم، إذ لا احتياج[3] في ذلك الانتقام إلى أن يعاونني أحدٌ في الانتقام؛ بل أنتقم منفردًا، وإن كان مِن المفعول فالمعنى: أكفيك مجاوِزًا[4] أنت عن كلِّ منتقِمٍ مكتفيًا بي ومعتمِدًا عليَّ وتاركًا لمَن عاداني، إذ يتِمُّ مقصودُك ويحصُل بي، يقال: هذا يجزِئ عن هذا، أي: يقضي أو يَنوب عنه، ومنه البَدَنة تُجزِئ عن سبعةٍ، وأجزأت[5] عنك مُجْزَأَ فلانٍ، أي: كَفَيتُ كفايتَه ونُبْتُ منابَه.

قوله: (فإن كان) هو قسِيم قولِه: (ولعلَّه). وقولُه: (فهو) أي: هذا الكلام، وهو قوله تعالى: ﴿وَحِيدٗا﴾.

---

[1] ف: أكافيك.
[2] ن: أخرى.
[3] ف ن: أحتاج.
[4] ن: محاذًا.
[5] ن: وأحراب.

وتغييرٌ له عن الغَرض الَّذي كانُوا يَؤُمُّونَه من مَدْحِه والثَّناء عليه بأنَّه وَحِيدُ قوْمِه لرِيَاسَتِه ويَسارِه وتقَدُّمِه في الدُّنيا= إلى وَجه الذَّمِّ والعَيْبِ، وهُو أنَّه خُلِقَ وحيدًا لا مالَ له ولا ولَد فآتَاهُ اللهُ ذلك فكفَر بِنِعمَةِ الله وأَشْركَ به واستَهْزأ بدِينِه.

﴿مَمْدُودًا﴾: مَبْسُوطًا كثيرًا، أو: مُمدًّدا بالنَّماء، من مَدَّ النَّهرُ، ومَدَّهُ نهرٌ آخَرُ.

قيل: كان له الزَّرعُ والضَّرْعُ والتِّجارةُ.

وعن ابن عبَّاس: هو ما كان له بين مَكَّة والطَّائِفِ من صُنُوفِ الأَموال.

وقيل: كان له بُستانٌ بالطَّائِفِ لا تنقطِعُ ثِمَارهُ صَيْفًا وشِتاءً.

وقيل: كان له أَلْفُ مثقَالٍ، وقيل: أربعَةُ آلافٍ، وقيل: تسْعَةُ آلافٍ، وقيل: أَلْفُ أَلْفِ مِثْقالٍ.

وعن ابن جُرَيْجٍ: غَلَّةُ شَهْرٍ بشَهْرٍ.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾: حُضُورًا مَعه بمكَّةَ لا يُفارِقُونه للتَّصرُّفِ في عَملٍ أو تجارَةٍ؛ لأَنَّهُمْ مَكْفِيُّونَ؛ لوُفُور نِعْمةِ أَبِيهِم واستِغنائهم عن التَّكسُّبِ وطلَبِ المعاش

قوله: (يَؤُمُّونَه) أي: يقصِدونه.[١]

قوله: (والضَّرْعُ) الضرع للشاة وغيرها.

قوله: (غلَّة شهرٍ بشهرٍ) أي: بحلول شهرٍ، أي: كان يأخذ غلّة عَقاره كلَّ شهرٍ، أو المعنى: كان له غلّة شهرٍ متَّصلًا بغلّة شهرٍ آخر، يريد: لا ينقطع غَلاتُه شهرًا بعد شهرٍ.

قوله: (المعاشِ) العَيشُ: الحياة، وقد عاش الرجل معاشًا ومَعيشًا، وكلاهما يصلُح أن يكونَ مصدرًا وأن يكون اسمًا، مثل: مَعاب ومَعيب،[٢] هكذا ذكَر في الصحاح.[٣] وأما قول المصنِّف: "طلب المعاش" يحتَمل أن يكون[٤] المَعاش فيه بمعنى المَعيشة تسميةً للمفعول به بالمصدر، إذِ المَعيشة هي ما يُعاش به،

---

١ ف: يقصدوه.

٢ ن: مغيب.

٣ الصحاح للجوهري، «عيش».

٤ ن – المعاش يحتمل أن يكون.

بأنفُسِهم، فهو مُستَأنِسٌ بهم لا يَشتَغِل قَلبُه بغَيبتهم وخوْفِ معَاطِب السَّفرِ علَيْهم، ولا يَحزَنُ لِفراقهم والاشتياقِ إليهم.

ويجوز أن يكون معناه: أنَّهم رجالٌ يَشْهدُونَ مَعه المَجامعَ والمحافِلَ، أو تُسمَعُ شهَاداتُهم فيمَا يُتحاكَمُ فيه.

وعن مُجاهدٍ: كان له عشَرةُ بَنِينَ، وقيل: ثلاثةَ عشرَ.

وقيل: سَبْعَةٌ كلُّهم رِجالٌ: الوَليدُ بنُ الوَليدِ وخَالدٌ وعُمَارَةُ وهِشَامٌ والعَاصُ وقَيْسٌ وعَبْدُ شَمْسٍ، أَسْلَم مِنهُم ثلاثةٌ: خالدٌ وهِشامٌ وعُمارةُ.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾: وبَسطْتُ له الجَاهَ العَرِيض والرِّياسَةَ في قوْمِه، فَأتْمَمْتُ عليه نعْمَتَي الجاهِ والمالِ، واجتِماعُهما هو الكمَالُ عِندَ أهْلِ الدُّنيَا.

ومنه قولُ النَّاس: "أَدامَ اللهُ تَأيِيدَك وتمْهِيدكَ" يُرِيدونَ: زِيادةَ الجاهِ والحِشمة.

وكان الوليدُ مِن وُجَهاء قرَيشٍ وصَناديدهم ولذلك لُقِّب: الوَحِيدَ، ورَيْحانةَ قُرَيْشٍ.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ﴾ استِبْعادٌ واستِنكارٌ لطَمعه وحرْصه، ....

وقال المطرِّزي في المُغرب: «معيشةُ الإنسان ما يُعِيشُه مِن مَكسَبِه».[1] ويحتمل أن يكون المضاف محذوفًا، أي: مِن طلب وجه المَعاش.

قوله: (بأنفسِهم) الباء في "بأنفسهم" متعلِّق بـ"التكسُّب"[2] أو بـ"الطلب" على طريق تنازع العاملَين. وأشار بقوله: "بأنفسِهم" إلى أنّه يَكتسِب لهم عبيدُهم وخدمُهم وعاملوهم.[3]

قوله: (مَعاطِب) العَطَب: الهلاك، والمَعاطِب: المهالك، والواحد: مَعْطَبٌ.

قوله: (رجالٌ) أي: بلغوا سنَّ الرجوليّة.

قوله: (﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ﴾) أي: ثمّ / يرجو أن أزيدَ في ماله وولده، كلَّا لا أفعل [٤٣٦و]
ولا أزيدُه، إنّه كان معانِدًا لِمَا جاء به محمَّد عليه الصلاة والسلام.

---

[1] المُغرِب للمطرِّزي، «عيش».
[2] ن: بالمكسب.
[3] ف - وعاملوهم.

يَعني: أنَّه لا مَزِيدَ على ما أُوتيَ سَعةً وكثْرَةً.

وقيل: إنَّه كان يَقُولُ: إنْ كان محمَّدٌ صادِقًا فما خُلِقَتِ الجَنَّة إلَّا لِي.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ له وقَطْعٌ لرجَائه وطمَعهِ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ تَعْليلٌ للرَّدْع على وَجْهِ الاستئنافِ؛ كأنَّ قائلًا قال: لِمَ لا يُزادُ؟ فقيل: إنَّه عَانَدَ آياتِ المُنعِم وكفَر بذلك نِعمتَهُ، والكافِرُ لا يَسْتحِقُّ المَزيد.

ويُروى: أنَّه ما زال بَعْد نزول هذه الآيةِ في نُقصَانٍ من ماله حَتَّى هَلك.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾: سأُغْشِيهِ عَقبةً شَاقَّةَ المَصْعَد، وهو مَثَلٌ لِمَا يُلَقَّى من العذاب الشَّاقِّ الصَّعْبِ الذي لا يُطاق.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلام: ....

قوله: (ردْعٌ وقطعٌ لرَجائه) مبنيٌّ على التفسير الأوّل لقوله: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾، وهو قوله: (لا مزيدَ) إلى قوله: (وتسميته[1] القرآنَ سِحرًا) على ما سَيجيء.

قوله: (بذلك) أي: بذلك[2] العِناد.

قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ يقال: رَهِقه بالكسر يَرهَقُه رَهَقًا؛ غَشِيه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس ١٠/٢٦]، ويقال: أرهقَه طغيانًا، أي: أغشاه إيَّاه.

قوله: (وعن النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم) عطف على قوله: (هو مثَلٌ) يعني: قيل: "الصَّعُود" مَثَلٌ عن العذاب، وقيل: اسم جَبلٍ؛ كما روي عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام.[3]

---

[1] ن – وتسميته.

[2] ن – أي بذلك.

[3] الحديث الأوّل: في المعجم الأوسط للطبراني، ٣٦٦/٥ (٥٥٧٣). والحديث الثاني: في سنن الترمذي، ٢٨٤/٤ (٢٥٧٦).

«يُكَلَّفُ أَن يَصْعَد عَقَبةً في النَّار كُلَّما وَضَع عليها يَدَهُ ذابَتْ فإذا رَفعها عادَتْ، وإذا وضَع رِجْلَه ذابَتْ فإذا رفعَها عادَتْ».

وعنه عليه السَّلام: «الصَّعُود جَبَلٌ من نَارٍ يَصْعَدُ فيه سبعين خَرِيفًا ثُمَّ يَهْوِي فيه كذلك أَبَدًا».

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ تَعليلٌ للوَعيدِ؛ كأنَّ الله عَاجَلهُ بالفَقْرِ بعدَ الغِنَى والذُّلِّ بعد العِزِّ في الدُّنيا لعنَادِه، ويُعاقِبُه في الآخِرة بأَشَدِّ العذابِ وأَفْظعِهِ لبُلُوغهِ بالعنادِ غايَتَهُ وأَقْصَاهُ في تفكيرِه وتسمِيَته القُرآنَ سِحْرًا.

ويجوز أن تكون كلمةُ الرَّدْعِ مَتْبوعَةً بقوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ رَدًّا لِزُعْمِه أنَّ الجنَّة لم تُخلَقْ إلَّا لهُ، وإخبارًا بأنَّه من أشَدِّ أهْلِ النَّارِ عَذابًا، ويُعَلَّلَ ذلك بعنادِه، ويَكُونَ قولُه: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ بدَلًا مِن قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ بيَانًا لِكُنْهِ عِنادِه.

ومَعْناه: ﴿فَكَّرَ﴾ ماذا يقول في القرآنِ ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نَفْسِه ما يَقُولُه وهيَّأَهُ.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجِيبٌ من تَقْدِيره وإِصَابتِه فيه المَحزَّ، ....

قوله: (كلّما)[1] صفة "عقبةً"، أو جملةٌ مستأنفةٌ.

قوله: (عاجَلَه) عُلِّل قوله: ﴿كَلَّآ﴾ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾، فمنه قال: (عاجَلَه[2] بالفقر)، وعُلِّل قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾، فمنه قال: (يعاقبه في الآخرة بأشدِّ العذاب).

قوله: (عاجلَه) مِن قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ﴾ بعد قوله: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾.

قوله: (ويجوز) مبنيٌّ على التفسير الثاني لقولِه: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾، وهو قولُه: (كان يقول: إنْ كان[3] محمَّدٌ صادقًا)... إلخ.

---

[1] ن: كما.

[2] ن: عاجلة.

[3] ن - يقول إن كان.

ورَمْيِهِ الغرَض الذي كان يَنْتحيهِ قريْشٌ، أو ثَناءٌ عَليه على طَرِيقَةِ الاستهزاء بهِ، أو هي حكايةٌ لمَا كَرَّروهُ مِن قَولهم: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تهَكُّما بهم وبإعجابهم بتَقْديرِه واستِعظامهم لقَوله.

ومَعْنى قولِ القائلِ: "قتَلَهُ اللهُ ما أَشجَعَهُ!"، و: "أَخزاهُ الله ما أَشعَرَهُ!": الإِشْعَارُ بأنَّه قد بَلَغ المَبْلَغ الَّذِي هو حَقِيقٌ بأَنْ يُحسَدَ ويَدْعُوَ عليه حاسِدُه بذلك.

رُوي: أنَّ الوَليدَ قال لبَنِي مَخزُومٍ: والله لقد سَمعْتُ من مُحمَّدٍ آنِفًا كَلامًا ما هُو من كلامِ الإنسِ ولا من كلام الجِنِّ، إنَّ له لحَلاوةً، وإنَّ عَلَيْه لَطُلاوةً، وإنَّ أَعْلاه لمُثْمرٌ، وإنَّ أَسْفَله لمُغْدِقٌ، وإنَّه يَعْلُو وما يُعْلَى! فقالَت قُريشٌ: صَبأَ واللهِ الوَليدُ، والله لَتَصْبَأَنَّ قُرَيْش كلُّهم! فقال أبُو جَهلٍ: أَنا أَكْفِيكُموه، فقعَدَ إلَيْه حَزِينًا وكَلَّمه بما أَحْماه، فقَام فأَتاهُم فقال: تَزْعُمونَ أَنَّ محمدًا مَجنُونٌ، فهل رَأيتُمُوهُ يُخنَقُ؟! وتَقُولُون: إِنَّه كاهِنٌ، فهَلْ رَأيتمُوه قَطُّ يتكَهَّنُ؟! وتزْعمُونَ أنَّه شاعِرٌ، فهَل رَأيتمُوه يتعَاطَى شِعرًا قَطُّ؟! وتَزعمُونَ أنَّه كذَّابٌ، فهلْ جَرَّبْتُم عليه شيئًا من الكذِبِ؟! فقَالُوا في كُلِّ ذلك: اللَّهُمَّ لا، ثُمَّ قَالُوا: فما هُو؟ فَفكَّرَ فقال:

قوله: (الذي) صفة لكلّ واحدٍ مِن "المَحَزِّ" و"الغَرَض".

قوله: (كرَّرُوه) أي: قريش.

قوله: (بأنْ يُحسَدَ) الضمير مِن "يُحسد" وما بعدَه يرجع إلى ما يرجع[١] إليه الضمير مِن "قتَلَه".

قوله: (لَطُلَاوةً) الطُّلَاوة:[٢] الحُسْن والقَبول.

قوله: (واللهِ لتَصبَأَنَّ قريشٌ) أي: بسبب الوليد، وبسبب أنّه صَبَأ وقال مِثل هذا القول.

قوله: (فقَعد[٣] إليه) أي: إلى الوليد.

قوله: (يُخنَق) اعتقادُهم أنّ الشيطان يَخنُق المجنون.

---

١ ف - إلى ما يرجع.

٢ يجوز في "طلاوة" فتحُ الطاء وضمّها. انظر: لسان العرب لابن منظور، «طلي».

٣ ف: فقعدا.

ما هُوَ إلَّا سَاحرٌ، أمَا رأيتُمُوه يُفَرِّقُ بين الرَّجُلِ وأَهْلِه ووَلدِه ومَواليهِ، وما الَّذِي يَقُوله إلَّا سحْرٌ يَأْثُرُه عن مُسَيْلِمةَ وعن أَهْل بَابِلَ. فارْتجَّ النَّادِي فرحًا، وتفرَّقُوا مُعْجَبِينَ بقَوله مُتَعجِّبينَ مِنه.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وُجُوهِ النَّاس، ثمَّ قطَّبَ وَجْهَهُ، ثمَّ زحَفَ مُدْبِرًا وتشَاوسَ مُسْتَكْبِرًا لمَّا خَطرَتْ ببَالِه الكلِمةُ الشَّنْعَاءُ وهمَّ بأَنْ يَرْميَ بها، وصَف أَشْكالَه الَّتي تَشَكَّلَ بها حتى استَنْبَط ما استَنْبَط، استهزاءً به.

وقيل: قدَّر ما يقُولُه، ثُمَّ نظرَ فيهِ، ثمَّ عبسَ لمَّا ضَاقَتْ عَليه الحِيَل ولم يَدْرِ ما يقولُ.

وقيل: قطَّبَ في وَجْه رسُول الله.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحقِّ ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عنه فقال ما قال.

و﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ عَطفٌ على ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ والدُّعَاءُ اعتراضٌ بَيْنهما.

فإن قلتَ: ما مَعنى: ﴿ثُمَّ﴾ الدَّاخلةِ في تكْرِير الدُّعاء؟

قلتُ: الدَّلَالةُ على أَنَّ الكَرَّة الثَّانيةَ أَبْلَغُ مِن الأُولَى، ونحوُه قَولُه:

ألَا يَـا اسْـلَمِي ثُـمَّ اسـلَمِي ثُمَّـت اسْـلَمِي

فإن قلتَ: فمَا معْنَى المُتوسِّطةِ بين الأَفعال الَّتي بَعْدَها؟

قوله: (فارتجَّ) أي: اضطرب وتحرَّك، يقال: تَشاوسَ إليه؛ وهو أن ينظر إليه بمؤخَّر العَين، ويُميل وجهَه في شِقِّ العَين التي ينظر بها.

قوله: (زحَف) زَحَف إليه زَحفًا؛ مشى.

قوله: (وَصَف) هذا ابتداءُ كلامٍ من المصنِّف لبيان قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾... إلخ، أي: وصَف الله تعالى أشكال الوليد وهيأتَه التي تَشَكَّلَ الوليد بها.

قوله: (استهزاءً به) أي: وصف استهزاءً بالوليد.

قوله: (فإن قلتَ: فما معنى المتوسِّطة) أي: إذا بيَّنْتَ معنى "ثمَّ" الداخلةِ في تكرير الدعاء، فما معنَى "ثمَّ" المتوسِّطة بين الأفعال؟

قلتُ: الدَّلالةُ على أنَّه قد تأنَّى في التَّأمُّلِ وتمهَّلَ، وكانَ بينَ الأَفعال المُتناسِقَة تَراخٍ وتَباعُدٌ.

فإن قلتَ: فلِمَ قيل: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا﴾ بالفاء بَعد عطفِ ما قبلَهُ بـ﴿ثُمَّ﴾؟

قلتُ: لأنَّ الكلِمَة لمَّا خطَرَت ببالِه بعد التَّطَلُّبِ لم يتَمالك أَن نَطَق بها من غيْرِ تلَبُّثٍ.

فإن قلتَ: فلِمَ لَمْ يُوسَّط حَرْفُ العَطْفِ بين الجُملتين؟

قلتُ: لأنَّ الأُخرى جَرَتْ من الأُولَى مَجْرَى التَّوكيد من المؤكَّد.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ بدَلٌ من ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.

﴿لَا تُبْقِى﴾ شيئًا يُلقَى فيها إلَّا أَهلكته، وإذا هَلك لم تَذرْهُ هالِكًا حتَّى يُعاد، أو: لا تُبْقِي على شَيءٍ ولا تَدَعُهُ من الهلاكِ، بل كُلُّ ما يُطْرَحُ فيها هالِكٌ لا محَالةَ.

﴿لَوَّاحَةٌ﴾ من لَوَّحَ الهجَيْرُ، قال:

قوله: (مِن غير) حالٌ مِن الضمير في "ينطِق".

قوله: (الجملتين) الجملة الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾، والثانية: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾.

قوله: (أو لا تُبقِي على شيء) هو مِن قولهم: أبقَى على الشيء، أي: رحمه، فعلى هذا يكون معنى ﴿لَا تُبْقِى﴾ قريبًا مِن معنى ﴿لَا تَذَرُ﴾، وعلى الأوّل كان المعنيان متباينَين متباعدَين.

قوله: (﴿لَوَّاحَةٌ﴾ مِن لوَّح) يقال: لاحه السَّفر؛ غيَّره، ويقال: لوَّحَتْه الشمس؛ غيَّرته، فقوله: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ اسم فاعل للمبالغة مِن لاحَه؛ غيَّره، وفيها مُبالغة، ولذا قال: (مِن لوَّح).

تَقُولُ: ما لاحَكَ يا مُسَافِرُ؟ يا ابنَةَ عمِّي لاحَنِي الهَواجِرُ

قيل: تلفَحُ الجِلْدَ لَفْحةً فتَدَعُه أشَدَّ سَوادًا من اللَّيلِ، والبَشَرُ: أَعالِي الجُلُود.

وعن الحَسن: تلُوح لِلنَّاس؛ كقوله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر ١٠٢/٧].

وقُرِئ: "لوَّاحةً" نصْبًا على الاختصاص للتَّهويل.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾؛ أي: يَلِي أمْرَها ويتسَلَّطُ على أَهْلِها تسعَةَ عَشَر ملَكًا، وقيل: صِنْفًا من الملائكة، وقيل: صَفًّا، وقيل: نَقِيبًا.

وقرئ: ﴿تسعَةَ عْشَرَ﴾ بسُكونِ العَين لِتَوالي الحركاتِ في ما هو في حُكْم اسمٍ واحدٍ.

وقرئ: "تسعةَ أَعْشُرٍ": جَمْعُ عَشِيرٍ، مثلُ: يَمينٍ وأَيْمُنٍ.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

قوله: (تقول)... البيت، أي:[١] تقول بنت عمِّي.

قوله: (تلفَح) يقال: / لفَحتْه النارُ والسَّموم، أي: أحرَقته. [٤٣٦ظ]

قوله: (تلوح للناس) مِن قولهم: لاحَ إذا بدا وظهر.

قوله: (نَقيبًا) النقيب: شاهد القوم وضَمِينهم، والجمع: النُّقباء، يقال: نَقَبَ عليهم نِقابةً.

قوله: (وقرِئ: "تسعةُ أَعْشُرٍ")[٢] أي: تسعة أصدقاء.

قوله:[٣] (جمع عَشيرٍ) أي: "الأَعْشُر" جمع "عشيرٍ".

---

[١] ف: أو.

[٢] وهي قراءة شاذّة، منسوبة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٣٣٨/٢.

[٣] ف + قوله.

جَعَلهُم ملائكةً لأنَّهُم خِلافُ جِنس المُعذَّبِينَ من الجنّ والإنس، فلا يَأخُذُهم ما يأخُذُ المُجانِسَ من الرَّأفَةِ والرِّقَّةِ، ولا يَستروِحُون إليهم، ولأنَّهُم أقوَمُ خلْقِ الله بحَقِّ اللهِ وبالغَضَبِ له فَتُؤمَنُ هَوادَتهُم، ولأنَّهُم أشَدُّ الخَلق بأسًا وأقْواهُم بَطْشًا.

عن عَمرِو بن دينَارٍ: وَاحدٌ منهم يَدْفعُ بالدَّفعةِ الواحدةِ في جَهنَّم أكْثرَ مِن رَبيعةَ ومُضَر.

وعن النَّبيّ عليه السَّلام: «كأنَّ أَعْيُنَهم البَرْقُ، وكأنَّ أفوَاهَهُم الصَّيَاصِي، يَجرُّونَ أشعَارَهم، لأحَدِهم مِثلُ قُوَّةِ الثَّقلَيْنِ، يَسُوقُ أَحَدُهم الأمَّةَ وعلى رَقبتِه جَبلٌ، فيَرْمي بهم في النَّار ويَرْمِي بالجبَلِ عليهم».

ورُوِي أنَّه لمَّا نزلَتْ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبُو جهْلٍ لِقُرَيشٍ: ثَكِلتْكُم أُمَّهاتُكُم! أسمَعُ ابنَ أَبي كَبْشَةَ يُخْبِرُكُم أنَّ خَزنةَ النَّارِ تسعَةَ عشَر وأَنتُم الدَّهْمُ،

قوله: (ولا يستَروِحُون) يقال: استَروَح إليه، أي: استَنام، واستَنام إليه، أي: سكَن إليه واطمأنَّ.

قوله: (هَوَادَتُهم) أي: مَيلهم.

قوله: (وكأنّ أفواهَهم الصَّياصيَ) أي: أنيابُهم كالصَّياصيّ،[1] وفي التفسير[2] الوسيط: «أعينُهم كالبَرق الخاطف، وأنيابُهم كالصَّياصيّ»،[3] والصِّيصَة: القلعة، والجَمع: الصَّياصِيّ، وصَياصِيُّ البَقر: قُرونُها، وربّما كانت تُرَكَّب في الرِّماح مكانَ الأسِنَّة.

قوله: (ابن أبي كَبْشة) هو رجلٌ كان بمكَّة على دِين قُريشٍ، ثمّ خالفهم فكان يعبد الشِّعْرى، فسمَّوا رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك، يعني أنّه صَبَأ مِن الدِّين كما أنّ ذلك الرجل صَبَأ مِن دين قريش.

قوله: (الدَّهْمُ) الدَّهْم: العددُ الكثير، والجمع: الدُّهوم.

---

[1] ن - أي أنيابهم كالصياصيّ.

[2] ف: تفسير.

[3] التفسير الوسيط للواحدي، ٣٨٤/٤ (المدّثر، ٣٠/٧٤).

أيَعْجِزُ كُلُّ عشَرةٍ مِنْكُم أن يَبْطِشُوا برجُلٍ مِنْهُم؟! فقال أبُو الأشَدِّين أَسيد بن كَلَدَةَ الجُمَحِيُّ وكان شَديدَ البَطْش: أَنا أَكْفِيكُم سَبْعَة عشَر فاكفُوني أَنتُم اثنَين، فأنزَل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾؛ أي: ما جعَلناهُم رجَالًا من جِنْسِكُم يُطَاقُونَ.

فإن قلتَ: قد جُعِل افتِتَانُ الكافِرين بعِدَّةِ الزَّبَانيَةِ سَبَبًا لاستِيقانِ أهْلِ الكِتاب وزيادةِ إيمان المُؤمِنين واستهزاءِ الكافِرين والمُنافِقين، فما وَجْهُ صحَّةِ ذلك؟

قلتُ: ما جُعِل افْتتَانُهم بالعَدَّةِ سَببًا لذلك، وإنَّما العِدَّةُ نفسُها هي الَّتِي جُعِلَتْ سبَبًا، وذلك أنَّ المُرادَ بقَولِه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: وما جعَلنا عِدَّتَهُم إلَّا تِسْعَةَ عَشر، فوُضِعَ ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مَوضعَ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾؛

قوله: (أبو الأشدِّين) في التفسير الوسيط: «فقال أبو الأشدِّين، وهو رجل من بني جُمَح».[1]

قوله: (فإن قلت: قد جعل) تقريرُه: أنّه لمّا انتقض النفي بـ﴿إِلَّا﴾ صار تقدير الكلام: جعلنا عدَّتهم فتنةَ الكافرين للاستيقان...[2] إلخ،[3] فيلزم منه أن يكون افتتان الكافرين بتلك العِدَّة سببًا لاستيقانِ أهلِ الكتاب وازدياد إيمان المُؤمنين، فما وجه صِحَّة ذلك؟

قوله: (ما جُعل افتتانُهم) يعني:[4] أنّ ظاهر الآية وإنْ دلَّ على ما ذكرتم[5] لكن ليس المراد بها الظاهر؛ بل المقصود بالفتنة سببُ الفتنة، وهو العددُ المخصوص، أي: تسعةَ عشر، فكأنّه قيل: ما جعلنا عدَّتهم إلا تسعةَ عشر تقريرًا وتحقيقًا لقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ليكون ذلك ردًّا لطعن الطاعن في أنّ عددَهم كذلك،[6] ثمّ لمّا قرّر ذلك بيّن الحكمة في ذكر خصوصية هذا[7] العدد بقوله:

---

[1] التفسير الوسيط للواحدي، ٣٨٤/٤ (المدّثر، ٣٠/٧٤).

[2] ن: الاستيقان.

[3] ن + فيلزم منه أن يكون افتتان الكافرين للاستيقان... إلى آخره.

[4] ف: بمعنى.

[5] ن: بمعنى أنّ الظاهر ما ذكرتم.

[6] ف: لذلك.

[7] ن – هذا.

لأنَّ حالَ هذه العِدَّةِ الناقِصَة وَاحِدًا من عَقْدِ العِشرين أن يَفتَتِنَ بهَا مَن لا يُؤمِنُ باللهِ وبحكمتِه ويَعْتَرِضَ ويَسْتهزئ، ولا يُذعِنَ إذْعانَ المُؤمنِ وإن خَفِي علَيْه وَجْهُ الحكمةِ؛ كأنَّه قيل: ولقد جَعلنا عِدَّتَهُم عِدَّةً مِن شَأنها أَنْ يُفتَتَنَ بها لأَجْلِ استِيقَانِ المُؤمنين وحَيْرَةِ الكافِرين، واستِيقَانُ أَهْلِ الكِتاب؛ لأنَّ عِدَّتَهُم تسعَةَ عشَر في الكتَابَيْن، فإذا سمِعُوا بمِثْلها في القرآنِ أَيْقَنُوا أَنَّه مُنَزَّلٌ من اللهِ، وازدِيادُ المؤمنينَ إيمانًا لتَصْدِيقِهم بذلك كما صَدَّقُوا سَائرَ مَا أُنزِلَ، ولِمَا رَأَوا من تَسْلِيم أَهْلِ الكِتاب وتَصْدِيقهم أنَّه كذلك.

فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ والاستِيقانُ وازديادُ الإيمانِ دَلَّا على انتفاء الارتيابِ؟

﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾... إلخ، والمراد بالجَعل هنا قولَه وذكرَه أنّ عددَهم كذا، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف ٤٣/١٩].

قوله: (واحدًا) مفعول "الناقصة".

قوله: (وإنْ خَفيَ) حالٌ مِن "المؤمن".

قوله: (لأجل استيقان المؤمنين) إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ إلى ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. وقوله: (وحَيرة[1] الكافرين) إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ﴾ إلى ﴿مَثَلًا﴾. وأما قوله: (واستيقان) إلى قوله: (مِن الله) فلِتحقيق معنى قوله تعالى:[2] ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾. وقوله: (وازدياد) إلى قوله: (كذلك) لتحقيقِ ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾. ثمّ إنّ المصنِّف رحمه الله[3] لم يذكر لتحقيق ﴿وَلِيَقُولَ﴾ إلى ﴿مَثَلًا﴾ شيئًا ههنا؛ لأنّه قد تبيَّن مِن قوله: (حال هذه العدَّة... أنْ يَفْتَتِنَ بها)، فتأمَّل.

[٤٣٧و] قوله: (واستيقان) مبتدأ، قوله: (لأنّ عدَّتهم) / خبرُه.

قوله: (على انتفاءِ الارتياب) أي: عن الذين أوتُوا الكتاب والمؤمنين.

---

[1] ن: وحيرة.

[2] ن – تعالى.

[3] د – رحمه الله.

قلتُ: لأنَّه إذا جَمَع لهُم إثباتَ اليقِين ونفيَ الشَّكِّ كان أَبْلغَ وآكَد لِوَصْفِهم بسُكونِ النَّفس وثَلَجِ الصَّدْرِ، ولأنَّ فيه تعْرِيضًا بحالِ مَن عَداهُم؛ كأنَّه قال: ولتُخالِفَ حالُهم حالَ الشَّاكِّين المُرتابينَ مِن أَهْلِ النِّفاقِ والكُفْرِ.

فإن قلتَ: كيف ذكرَ الَّذِينَ في قُلُوبهِمْ مَرضٌ -وهُم المُنافِقُونَ- والسُّورَةُ مكيَّةٌ، ولم يكُنْ بمَكَّةَ نفاقٌ وإنَّما نجَمَ بالمدينةِ؟

قلتُ: مَعْناه: ﴿وَلِيَقُولَ﴾ المُنافقونَ الَّذين يَنْجُمُونَ في مُستَقبل الزَّمانِ بالمَدينةِ بعْدَ الهِجْرة ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بمَكَّة: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ ولَيْس في ذلك إلَّا إِخْبارٌ بما سيَكون كسَائرِ الإِخباراتِ بالغُيوبِ، وذلك لا يُخالِفُ كَوْنَ السُّورة مكيَّةً.

ويجوز أَن يُراد بالمَرضِ: الشَّكُّ والارتِياب؛ لأنَّ أَهْلَ مكَّةَ كان أَكْثَرُهم شَاكِّينَ وبَعْضُهم قاطِعِينَ بالكَذِب.

فإن قلتَ: قد عُلِّلَ جَعْلُهم تِسْعةَ عشَر بالاستيقانِ وانتِفاءِ الارتيابِ وقولِ المُنافقينَ والكافِرينَ ما قالُوا، فهَبْ أَنَّ الاستِيقان وانتفاءَ الارْتيابِ يصحُّ أن يكُونا غرَضَيْنِ، فكيْفَ صَحَّ أن يكُونَ قولُ المنافِقينَ والكافِرين غَرَضًا؟

قوله: (كان أبلَغ) أي:[1] مِن إثبات اليقين مِن غير نفي الشكّ.

قوله: (وثَلَجِ) يقال:[2] ثَلَج، أي: اطمأنَّ.

قوله: (نجَمَ) أي: ظهَر النِّفاقُ.

قوله: (والسورة) الواو[3] للحالِ.

قوله: (كان أكثرهم) أي: كان أكثرُ كفّار مكَّة شاكّين في أمر النبيّ عليه الصلاة والسلام، وبعضُهم[4] كانوا قاطعين بأنّه عليه الصلاة والسلام كاذبٌ.

قوله: (غَرَضًا) فإنّه قبيحٌ لا يجوز أن يكونَ غَرَضًا لله تعالى، ولا أن يريدَه،

---

[1] ف - أي.
[2] ن: ويقال.
[3] ن: والواو.
[4] ن: بعضهم.

قلتُ: أَفادتِ اللَّامُ مَعْنى العِلَّةِ والسَّببِ، ولا يجبُ في العِلَّةِ أَن تكون غرَضًا، أَلَا ترى إلى قَوْلك: "خرَجْتُ من البَلدِ لمخافةِ الشَّرِّ" فقَد جعَلْتَ المخافةَ علَّةً لخُرُوجِكَ وما هِيَ بِغَرضِك.

﴿مَثَلًا﴾ تمييزٌ لـ"هذا"، أو حالٌ منه؛ كقَوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف ٧/٧٣].

فإن قلتَ: لِمَ سَمَّوهُ مثَلًا؟

قلتُ: هو استعارةٌ من المثَل المضرُوبِ، لأنَّه ممَّا غَرُبَ من الكلام وبَدُعَ؛ استِغرابًا منهُمْ لِهذا العَدَد واستِبْدَاعًا له، والمَعنى: أَيَّ شيءٍ أرَادَ اللهُ بهذا العَدَد العجِيبِ؟ وأَيَّ غرَضٍ قَصَد في أَنْ جَعَل المَلائكةَ تسعةَ عشرَ لا عِشْرينَ سَواءً؟ ومُرادُهُمْ إِنْكارُه مِن أَصْله، وأنَّه ليْسَ من عِند الله، وأنَّه لو كان من عند الله لَمَا جاءَ بهذا العدَد النَّاقِص.

الكافُ في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصبٌ، و"ذلك": إشارةٌ إلى ما قبْلَهُ من مَعْنَى الإِضْلالِ والهُدَى؛ أي: مثْلَ ذلك المَذكُورِ من الإِضْلال والهُدَى يُضِلُّ الكافرين ويَهْدِي المُؤمنينَ، يَعني: يَفْعَلُ فِعْلًا حسَنًا مَبنِيًّا على الحِكمَة والصَّوابِ، فيَراهُ المُؤمِنُونَ حِكمةً

وذلك على مذهبِه. وأنا أقول: كرَّر اللامَ في قوله: ﴿وَلِيَقُولَ﴾ لئلَّا يلزم استعمال اللفظ الواحد في معنَيين مختلفين، فإنَّ اللام في الصورة الأولى بمعنى الغرَض، بخِلافه[1] في الصورة الأخيرة على ما ذكَر المصنِّف.

قوله: (لأنّه) أي: المَثَل المَضروب.

قوله: (استغرابًا) متعلّق "استعارة"، فكأنّه قال: استعاروه مِن المَثَل لاستغرابِهم هذا العدد.

قوله: (مِن معنى الإضلال) معنى الإضلال في قوله: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ﴾، ومعنى الهُدى في قوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ﴾... إلخ.

قوله: (يعني يَفعَل فعلًا حسنًا) هذا الكلام لتأييدِ مذهبِه، وهو أنّه تعالى لا يَهدِي ولا يُضلُّ على الحَقيقةِ بل يفعل فِعلًا حسنًا... إلى آخر ما ذكَره،

---

[1] ن - في الصورة الأولى بمعنى الغرض بخلافه.

ويُذعِنُونَ له لاعتِقادِهم أَنَّ أَفعالَ الله كلَّها حسَنةٌ وحِكْمةٌ، فيَزِيدُهم إيمانًا، ويُنكِرُه الكافِرُونَ ويَشُكُّونَ فيه فيَزِيدُهم كُفْرًا وضَلالًا.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ وما عليه كلُّ جُنْدٍ من العَدَد الخاصِّ مِن كون بَعْضِها على عَقدٍ كاملٍ وبَعْضِها على عدَدٍ ناقصٍ، وما في اختِصاص كلِّ جُنْدٍ بعَدَدِهِ من الحِكمَةِ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ ولا سَبيلَ لأحَدٍ إلى مَعْرفة ذلك؛ كما لا يَعْرِفُ الحكمةَ في أَعْداد السَّماوات والأَرضِينَ وأيَّامِ السَّنةِ والشُّهُورِ والبُروجِ والكَواكبِ وأَعْدادِ النُّصُبِ والحُدودِ والكفَّاراتِ والصَّلواتِ في الشَّريعَةِ.

وأمّا عندَنا أهلَ السُّنّة والجماعةِ فيُضِلُّ الله مَن يشاء ويهدي مَن يشاء على الحقيقة كما هو ظاهرُ لفظ[1] القرآن في هذا المَوضع وفي مواضعَ كثيرةٍ.

قوله: (وما عليه كلُّ جندٍ) هذا قريب مِن العَطف الذي يكون للبيان كما تقدم، وإنّما فسَّرَه بهذا لأنّ الكلام في حِكمة كونِ عددِ الزَّبانية تسعةَ عشرَ، والعطفُ في "وما في اختصاص" أيضًا للبيان، وهذا هو مَحَطُّ المعنى أي: وما يعلم الحِكمة في اختصاص كلِّ جُندٍ بعدَده إلا هو. وقوله: (مِن العدد) بيان "ما".

قوله: (مِن كَون) "مِن" فيه ابتدائية متعلِّقة بقوله: (عليه) ولا يكون بيانًا؛ لأنّ العددَ ليس نفس الكون.

قوله: (مِن كَون بعضها) بيان العدد.

قوله: (عددٍ ناقص) كتسعةَ عشرَ.

قوله: (مِن الحكمة) بيان "ما".

قوله: (ذلك) إشارةٌ إلى "ما في اختصاص".

قوله: (كما لا يعرف) أي: أحدٌ.

قوله: (وأعدادِ النُصُب) كنصاب الزكاة.

قوله: (في الشريعة) متعلِّق بقوله: (أعدادِ النُصُب)... إلخ.

---

[1] ن - لفظ.

أو: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ لفَرْطِ كَثْرَتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ فلا يَعِزُّ عَليه تَتميمُ الخزَنةِ عِشْرين، ولكنَّ له في هذا العَدد الخاصِّ حِكمةً لا تَعْلَمُونهَا وهُو يَعْلَمُهَا.

وقيل: هُو جوابٌ لقَول أبي جَهْل: أَمَا لربِّ محمَّدٍ أعْوانٌ إلَّا تسْعَة عشَر؟!

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ إلى: قَوله ﴿إِلَّا هُوَ﴾ اعتِراضٌ، وقولُه: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ مُتَّصِلٌ بوَصْفِ سَقَر، و﴿هِىَ﴾ ضميرُها؛ أي: وما سَقرُ وصِفَتُها إلَّا تذكرةٌ ﴿لِلْبَشَرِ﴾، أو ضميرُ الآياتِ الَّتِي ذُكرَتْ فِيهَا.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾

﴿كَلَّا﴾ إنكارٌ بعد أَن جَعلها ذِكرى أن تكُونَ لَهُم ذِكرَى لِأَنَّهُم لا يتَذكَّرُونَ، أو رَدْعٌ لِمَن يُنكِرُ أَنْ تكُونَ إِحْدى الكُبَرِ نَذِيرًا.

و﴿دَبَرَ﴾ بمَعْنى: أَدْبرَ؛ كقَبَل بمَعنى: أَقبلَ، ومِنه: صَارُوا كأمْسِ الدَّابرِ.

وقيل: هُو مِن دبَرَ اللَّيْلُ النَّهارَ: إذا خَلفَه.

وقرئَ: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾.

قوله: (وقيل) هو جوابٌ لقول أبي جَهل، وعلى أنّه جواب لقَول أبي جَهل يكون المعنى ظاهرًا غيرَ محتاج إلى التأويلين المَذكورين.

قوله: (ذُكِرَت فيها) أي: في "سَقَر"، أعني: في شأن "سَقَر"[١] وبيانها.

قوله: (أو رَدْعٌ) كأنّ منكِرًا أنكَر كونَها إحدى الكُبَر نذيرًا، فرُدِع بقوله: ﴿كَلَّا﴾، فعلى هذا يكون كلمة الرَّدع متبوعةً بقوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝ نَذِيرًا﴾.

قوله: (كقَبَل) بمعنَى "أقبل"، وهما نقِيضَا دَبَر وأدبَر.

قوله: (ومنه) أي: مِن "دَبَر" بمعنى "أدبر" هذا الكلام، فقوله: (صاروا)... إلخ في محلِّ الابتداء، خبره "منه".

---

١ ن: سفر.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ جَوابُ القسَم، أو تعلِيلٌ لِـ﴿كَلَّا﴾ والقسمُ معترِضٌ للتوكيدِ.

والكُبَرُ: جَمْعُ الكُبْرَى، جُعِلت أَلِفُ التَّأنيث كتَائها، فكما جُمِعَتْ فُعْلَةٌ على فُعَلٍ جُمِعَتْ فُعْلَى عَليها، ونظيرُ ذلك: السَّوافِي، في جمْعِ السَّافِيَاء، والقَواصِعُ في جمع القاصعَاء؛ كأنها جمعُ فاعِلَةٍ؛ أي: لإِحْدَى البَلايَا أو الدَّواهي الكُبَرِ، ومَعْنى كَوْنِها إِحْدَاهُنَّ: أنَّها مِن بينِهنَّ واحدَةٌ في العِظَم لا نظِيرةَ لهَا، كما تقولُ: "هو أحَدُ الرِّجال" و: "هي إحدَى النِّساء".

و﴿نَذِيرًا﴾ تمييزٌ من ﴿إحدَى﴾ على مَعْنى: إنَّها لإحْدَى الدَّواهِي إنذارًا، كَمَا تقولُ: "هي إِحْدَى النساء عَفافًا".

قوله: (﴿إِنَّهَا﴾) أي: إنَّ[1] سَقَر لإحدَى الكُبَر.

قوله: (أو تعليل لـ﴿كَلَّا﴾) على تقدير أن يكون ﴿كَلَّا﴾ / رَدْعًا لمَن ينكر، [٤٣٧ظ] والمراد بالتعليل: أنّه ورد في جواب مَن أنكر كونَها إحدى الكُبَر نذيرًا، كما يُقال في جواب[2] مَن أنكر قيام زَيدٍ: إنَّ زيدًا لقائمٌ، والحاصل: أنَّ ﴿كَلَّا﴾ إن كان[3] إنكارَ أن تكون ذكرى لهم فقولُه: ﴿إِنَّهَا﴾ جوابُ القسَم، وإن كان ﴿كَلَّا﴾ ردعًا لمَن ينكر أنّ تكون[4] إحدى الكُبَر فقوله: ﴿إِنَّهَا﴾ إمّا جوابُ القسَم، أو تعليل لـ﴿كَلَّا﴾، والقسَم معترضٌ.

قوله: (فكمَا جُمعت فُعْلَة) كَبُرقَة[5] على بُرَقٍ، والبُرقة: غِلَظ فيه حجارة ورمْل وطين.

قوله: (السَّافياء) أي: الريح، سَفَت الريح[6] التراب؛ ذَرَتْه ورَمَت به، و"القاصِعاء" إحدَى جِحَرة اليَربوع.

قوله: (تمييز) وإذا جعل تمييزًا يكون المعنى على أنّها إنذار، كما قال:

---

[1] ن - إنّ.
[2] ن - مَن أنكر كونَها إحدى الكُبر نذيرًا، كما يُقال في جواب.
[3] ن - إن كان.
[4] ن: يكون.
[5] ن: لبرقه.
[6] ن - الريح.

وقيل: هيَ حالٌ.

وقيل: هُوَ مُتَّصِلٌ بأوَّلِ السُّورَةِ، يَعْني: قُمْ نَذِيرًا. وهُو من بِدَعِ التَّفاسيرِ.

وفي قراءة أُبيّ: "نَذيرٌ" بالرَّفع خبَرٌ بعدَ خبرٍ لـ"إنَّ"، أو بحَذفِ المُبتَدَأ.

﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ في مَوضع الرَّفع بالابتداء، و﴿لِمَن شَآءَ﴾ خَبرٌ مُقَدَّمٌ عليه؛ كقولك: "لمَن توضَّأ أن يُصَلِّيَ" ومعناه: مُطْلَقٌ لمن شاء التَّقدُّمَ أو التأخرَ أن يَتقدَّمَ أو يَتأخَّر، والمرادُ بالتَّقدُّم والتَّأخُّر: السَّبقُ إلى الخَير والتخلُّفُ عَنهُ، وهو كقَولهِ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف ١٨/٢٩].

ويجوز أن يكون ﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدلًا من ﴿لِلْبَشَرِ﴾ على أنَّها مُنْذِرةٌ لِلمكلَّفِينَ المُمكَّنِينَ الَّذين إن شاؤوا تَقدَّمُوا فَفازُوا وإن شاؤوا تأخَّرُوا فهَلكُوا.

﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾،[١] أي: إنّ سَقَر إنذار، كما أنّها[٢] تذكرة على ما مرّ.

قوله: (وهو مِن بِدَعِ[٣] التفاسير)[٤] ردٌّ مِن المصنِّف لهذا القَول، وكأنّه ردَّه للفاصِل بينَ ﴿قُمْ﴾ و﴿نَذِيرًا﴾، ولكنّ هذا الفاصل ليسَ بأجنبيّ عن قيامِه وكونه نذيرًا، ثمّ إنّ هذا القَول نقله الواحدي في الوسيط عن الكسائيّ والزَّجّاج، ثمّ قال: «رواه عطاء عن ابن عبّاس».[٥]

قوله: (بحَذف المبتدأ) أي: هو خبرٌ بحذف[٦] المبتدأ.

قوله: (لمَن شاءَ التقدُّم) يعني مفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوف، والمعنى: أنّ العبد متمكِّن من السَبْق إلى الخَيرات ومِن التخلُّف عنها، فمَن أراد الخَير فهو متمكّن منه فليفعل، ومَن أراد الشرَّ فهو متمكّن منه أيضًا فليفعل، وفيه نوع تهديدٍ، فلذا شبَّهه بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف ١٨/٢٩].

---

١ في الأصول المخطوطة: "إنّها تَذكِرة"، وهي هنا في المدّثر: ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾، أمّا قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ففي (عبس، ٨٠/١١).

٢ ن: إنّما.

٣ ن: بدع.

٤ ن: التفاسيه.

٥ التفسير الوسيط للواحدي، ٣٨٥/٤ (المدّثر، ٣٦/٧٤).

٦ ن: بحرف.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝٤٧﴾

﴿رَهِينَةٌ﴾ لَيسَت بتَأنيثِ رَهينٍ في قَوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور ٢١/٥٢] لتَأنيث النفس؛ لأنَّه لو قُصِدَت الصِّفَةُ لَقيلَ: "رَهِينٌ"؛ لأنَّ فَعِيلًا بمَعنى مفعُولٍ يَستَوي فيه المذكَّرُ والمؤنَّثُ، وإنَّما هيَ اسْمٌ بمَعْنى الرَّهْنِ كالشَّتِيمةِ بمَعْنى الشَّتْم؛ كأنَّه قيل: كلُّ نفس بما كَسَبت رَهْنٌ، ومِنه بيتُ الحَماسةِ:

أَبَعْدَ الَّذِي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رَهِينةِ رَمْسٍ ذي تُرابٍ وجَنْدَلِ

كأنَّه قال: رَهْنِ رَمْسٍ.

قوله: (في قوله) متعلِّق بمحذوف صِفة ﴿رَهِينٌ﴾ [الطور ٢١/٥٢]، يعني[١] أنَّ ﴿رَهِينَةٌ﴾ في قوله ههنا: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ليست مؤنث ﴿رَهِينٌ﴾ في قوله تعالى في الطور: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور ٢١/٥٢]؛ بل ﴿رَهِينَةٌ﴾ ههنا بمعنى الرَّهْن، ويريد المصنِّف بهذا الكلام رفعَ وَهْم مَن يتوهَّم أنَّه كما ذُكِّر ﴿رَهِينٌ﴾ في الطور لتذكير ﴿ٱمْرِئٍ﴾ أُنِّثَ ﴿رَهِينَةٌ﴾ في هذه السورة لتأنيث ﴿نَفْسٍ﴾. ثمّ اعلم أنّ قوله: (لتأنيث) متعلِّق بـ"تأنيث رهين" مع[٢] قَطع النظر عن كلمة النفي، ثمّ اعتبر دخول حرف النفي، كأنّه قيل:[٣] كون ﴿رَهِينَةٌ﴾ مؤنَّث ﴿رَهِينٌ﴾ لتأنيث النفس المَذكورة ههنا مُنتفية.

قوله:

(أَبَعْدَ الَّذِي بالنَّعْفِ)... البيتَ[٤]

النَّعْفُ: أنفُ الجَبل، قال في الصحاح: «ما انحدَر[٥] مِن حُزُونة الجبل وارتفع

---

[١] ف ن: بمعنى.

[٢] ن - ﴿نَفْسٍ﴾. ثمّ اعلم أنّ قوله: (لتأنيث) متعلّق بـ"تأنيث رهين" مع.

[٣] ف: قبل.

[٤] ديوان الحماسة بشرح المرزوقي، ص ١٧٩، قال المرزوقي: «وقال ابنه -يعني: زيادةَ الحارثي- مِسورُ حين عَرض عليه سعيد بن العاص سبعَ دِيات بأبيه فأبَى، ويقال: هي لعَبّه» فذكره.

[٥] ن: انحدر.

والمعنى: كلُّ نفسٍ رَهْنٌ بكَسْبها عند الله غيرُ مَفكُوكٍ ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ فإنَّهم فَكُّوا عنه رِقابَهُم بما أَطابُوه مِن كسْبِهم كما يُخلِّصُ الرَّاهِنُ رَهْنَهُ بأداء الحقِّ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه فسَّر أصْحَابَ اليمين بالأَطفال؛ لأنَّه لا أعْمالَ لهم يُرتَهَنُونَ بهَا.

وعن ابن عبَّاس: هُم الملائكةُ.

في ﴿جَنَّٰتٖ﴾؛ أي: هُم في جنَّاتٍ لا يُكتَنَهُ وَصْفُها ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يَسْأَلُ بَعْضُهم بَعْضًا عَنْهم، أو: يتَساءلُونَ غيْرَهُم عَنْهم؛ كقولك: دَعَوْتُه وتَدَاعَيْناه.

فإن قلتَ: كيفَ طابَقَ قولُه: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾ -وهُو سُؤالٌ للمُجْرِمين- قولَه: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وهو سُؤالٌ عنهم، وإنَّما كان يتَطابَقُ ذلك لو قِيل: يتَساءلُونَ المُجْرِمينَ: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾.

قلتُ: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾ ليس ببيَانٍ لِلتَساؤُل عنهم، وإنَّما هو حكايَةُ قول المَسؤُولين عَنهم؛ لأنَّ المسؤُولينَ يُلْقُون إلى السَّائلين ما جرَى بَيْنهُم وبين المُجْرمين فيقولُون: قُلنا لَهُم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾؟ ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ إلَّا أنَّ الكلامَ جِيءَ بهِ على الحَذْف والاختِصار كما هو نهْجُ التَّنزيلِ في غرَابةِ نَظْمهِ.

عن مُنحدَر الوادي فمَا بينَهما نَغفٌ».[١] وقال في المُجمل: «النَّغْفُ: مكانٌ مُرتفعٌ في اعتراض».[٢] و"الرَّمْسُ": ترابُ القبر، وهو في[٣] الأصل مصدرٌ.

قوله: (لا أعمالَ لهم) أي: لا يجبُ عليهم شيء مِن[٤] الأعمال، فلا يكونون مُرْتهَنين.

قوله: (دعوتُه، وتداعيناه) أي: دعوتُه أنا، وتداعيناه نحن، كقولك: رأيته أنا، وتراءيناه نحن، فعلى هذا ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ بمعنى: يسألون.

قوله: (ذلك) إشارةٌ إلى القَولين، أعني: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾ و﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾، وقوله: / (لو قيل: يتساءلون المجرمين) ولو قيل هكذا لكان ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ بمعنى: يسألون. [٤٣٨و]

قوله: (قول المسئولين) أي: الذين سُئلوا عن المجرمين.

---

١ مجمل اللغة لابن فارس، «ربب».
٢ الصحاح للجوهري، «عيش».
٣ ن - في.
٤ ن - من.

"الخَوْضُ": الشُّرُوع في الباطِل ومَا لا يَنبغِي.

فإن قلتَ: لِمَ يَسْألُونَهُمْ وهُمْ عَالِمُونَ بذلك؟

قلتُ: توبيخًا لَهُم وتَحْسِيرًا، ولتَكُون حكايةُ الله تعالى ذلك في كِتابه تذكِرَةً للسَّامِعينَ، وقد عضَد بَعضُهم تَفسيرَ أصحابِ اليمينِ بالأطفال: أنَّهم إنَّما سَألُوهُم لأنَّهم وِلدَانٌ لا يَعْرِفُونَ مُوجِبَ دُخولِ النَّار.

فإن قلتَ: أيُرِيدُونَ أنَّ كلَّ واحِدٍ مِنهُم بمجمُوعِ هذِه الأَرْبع دَخلَ النَّارَ، أَمْ دَخلَها بَعْضُهمْ بهذِه وبعْضُهم بهذِه؟

قلتُ: يَحتمِل الأمْرين جميعًا.

فإن قلتَ: لِمَ أُخِّرَ التَّكذِيبُ وهُو أَعْظَمُها؟

قلتُ: أرَادُوا: أنَّهم بَعْدَ ذلك كُلِّه كانُوا مكَذِّبين بيومِ الدِّين؛ تَعْظِيمًا للتَّكذيبِ؛ كقَوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد ١٧/٩٠].

و﴿ٱلْيَقِينُ﴾: المَوْتُ ومُقدِّماتُه.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

أي: لو شفعَ لهُم الشافعُون جميعًا من المَلائكةِ والنَّبيِّينَ وغَيْرِهم ....

قوله: (أنّهم إنّما سألوهم) أي: بأنّهم،[١] أي: أنّ الأطفال يسألون غيرهم عن أحوال المُجرمين، فقوله:[٢] (وقد عَضَدَ) جوابٌ آخر عن السؤال بأنّ السائلين سألوا لأنّهم غيرُ عالمين بذلك.

قوله: (أي: لو شَفَعَ)... إلخ تركيبٌ مُشْكِلٌ، لأنّ "لو" تدلُّ[٣] على الربط بين الشيئين[٤] مع انتفاء الثاني ليدلَّ على انتفاء الأوّل، كقوله[٥] تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء ٢٢/٢١]، ولدَلالته على انتفاء الثاني لا يُذكر المقدمةُ[٦] الثانيةُ

---

١ ف – بأنّهم.
٢ ن: قوله.
٣ ف: يدل.
٤ ن: السنين.
٥ ن: لقوله.
٦ ن: المتقدّمة.

لـم تنفَعْهُـم شَفَاعَتُهم؛ لأنَّ الشَّفاعَةَ لِمَن ارتضَاهُ اللهُ وهُـم مَسْخُوطٌ علَيْهـم، وفيهِ دليلٌ على أَنَّ الشَّفاعةَ تَنْفعُ يَومَئذٍ لأنَّها تَزِيدُ في دَرَجاتِ المُرتضَيْنَ.

مع "لو" غالبًا كما في الآية، إذ التقدير: وما فسدتا، فلو حُمِل قولُ المصنِّف: (لو شَفَعَ)... إلخ على هذا المعنى لأفاد انتفاءَ معنًى: لـم ينفعهـم،[١] وانتفاءُ عدم النفع هو النفع، فيئول المعنى إلى أنّهم ينفعهم الشفاعةُ، فلا تكون شفاعة الشافعين، كما أنّ المعنى في الآية المُستشهدة: ما فسدتا، فلا يكون آلهةٌ إلا الله، ولا يخفى أنّ المعنى ليس على إثبات نفع الشفاعة، ولا هو مراد المصنِّف، فالوجه أن نقول: إنّ "لو" هنا مستعمَلٌ في غير ما يُستعمل فيه غالبًا، وهو أن يكون المراد به نفيَ الثاني على طريق البتِّ والقطع، كما في حديث عمر: «نِعْم العبدُ صُهيبٌ لو لم يَخَفِ اللهَ لم يَعصِه»،[٢] إذ المراد به نفيُ عِصيانه بَتًّا، لأنّه إذا استلزم نفيُ الخوفِ نفيَ العصيانِ كان استلزام الخوفِ عدمَ العصيان أولى، فكذا[٣] إذا استلزم شفاعةُ جميعِ الشافعين عدمَ نفع الشفاعة فاستلزام عدمِ شفاعة الجميع عدمَ النفع أولى. ثمّ أشار المصنِّف بقوله: (لأنّ الشفاعة)...[٤] إلخ إلى أنّه ليس المراد مِن الآية ومِن تفسيره إثباتَ الشفاعة ونفيَ نفعِها؛ بل المراد أنْ لا شفاعةَ ولا نفعَ على طريقة:

ولا تَـــرَى الـضَّـــبُّ بِـهـا يَـنْـجَـحِـرْ[٥]

أي: لا[٦] ضبَّ ولا انجحارَ، فاللام في قوله: (لأنّ) متعلِّق بما يدلُّ عليه المعنى، فكأنّه قال: المعنى:[٧] لا شفاعةَ؛ لأنّ الشفاعة إنّما تكون لمَنِ ارتضاه اللهُ تعالى.

---

١ ن + وانتفاءُ معنى لم ينفعهم.

٢ قال السُّيوطي: «لا أصل له، لكن في الحِلية مِن حديث ابن عمر مرفوعًا: "إنّ سالمًا شديدُ الحبِّ لله، لو لـم يَخَفِ اللهَ ما عَصاه"». الدرر المنتثرة للسيوطي، ١/١٩٦، ولفظه في الحِلية: «لو كان لا يخافُ اللهَ عزّ وجلّ ما عَصاهُ». حِلية الأولياء لأبي نعيم، ١/١٧٧.

٣ ف: فلذا.

٤ ن: الشافاعة.

٥ نسبه الزبيدي في تاج العروس، «فلت»، لابن الأحمر، وتمامه فيه: ١

لَا تُـفْـزِعُ الأَرنَـــبَ أَهْـوَالُـهَـا
وَلَا تَـرَى الـضَّـبُّ بـهَـا يَـنـجَـحِـرْ

٦ ن: إلا.

٧ ف – المعنى.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾

﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾: عن التَّذكير وهو العِظَةُ، يُرِيدُ: القُرآنَ أو غَيْرَه من المَواعِظِ.

و﴿مُعْرِضِينَ﴾ نصْبٌ على الحال؛ كقولِكَ: ما لك قائمًا؟

و"المُستنفِرَةُ": الشَّديدةُ النِّفارِ كأنَّها تَطلُب النِّفارَ من نُفُوسها في جَمْعِهَا له وحَمْلِهَا عَلَيْهِ.

وقرئ بالفتح: وهي المُنفَّرةُ المَحْمُولَةُ على النِّفار.

والقَسْوَرةُ: جماعةُ الرُّماةِ الَّذِينَ يَتَصَيَّدُونَها، وقيل: الأَسَدُ، يقالُ: لُيُوثٌ قَسَاوِرُ.

وهي فَعْوَلَةٌ مِن القَسْر: وهو القهْرُ والغلبَةُ، وفي وَزْنِه: الحَيْدَرةُ مِن أَسْماء الأَسَدِ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: رِكْزُ النَّاسِ وأَصْوَاتُهم.

وعن عِكْرِمَة: ظُلْمَةُ اللَّيل.

شَبَّهَهُم في إعراضِهم عن القرآنِ واستماعِ الذِّكْر والمَوْعِظَةِ وشِرَادِهم عنْهُ بحُمُرٍ جَدَّتْ في نِفارِهَا ممَّا أَفزعها.

وفي تشبيههم بالحُمُرِ مَذمَّةٌ ظَاهِرَةٌ وتَهجِينٌ لحَالهِمْ بيِّنٌ؛ كما في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة ٦٢/٥] وشهَادةٌ عليْهم بالبَلَهِ وقِلَّة العَقْل، ولا تَرى مِثْلَ نِفَارِ حَميرِ الوَحْشِ واطِّرَادِهَا في العَدْو إذا رَابَها رَائبٌ، ....

قوله: (في جَمعها) متعلِّق بقوله: (تطلب)، فعلى هذا يكون طلبُها عبارةً عن جَمعِها.

قوله: (وفي وزنه) يريد[1] في مجرَّد الحَركات والسَّكنات، وإلا فالأُولى:[2] فَعْوَلَة، والثانية:[3] فَيْعَلَة.

---

[1] ن: يجوز.

[2] ف: فالأوّل.

[3] ف: والثاني.

ولذلـك كانَ أَكْثَرُ تَشبيهَاتِ العَرب فـي وَصْـفِ الإبـل وشِـدَّةِ سَـيْرِهَا بالحُمُـرِ وعَدْوِهـا إذا ورَدَتْ مَـاءً فَأَحَسَّـتْ عليـه بقَانِـصٍ.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢﴾

﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾: قَراطيسَ تُنْشَرُ وتُقْرَأُ كالكتُبِ التي يَتَكاتَبُ بهَا، أو: كُتُبًا كُتِبَتْ في السَّماء ونَزلتْ بها الملائكةُ سَاعةَ كُتِبَتْ مُنَشَّرةً على أَيْدِيها غَضَّـةً رطْبَةً لم تُطْوَ بَعْدُ، وذلك أَنَّهم قالُوا لرسُول الله: لَنْ نتَّبِعَك حَتَّى تَأْتِيَ كُلَّ واحدٍ مِنَّا بكُتبٍ

قوله: (بالحُمُر) أي: بحُمُر الوَحش، وفيه لفٌّ ونشرٌ، فقوله: (في وَصف الإبل) متعلِّق بـ"الحُمُر"، و(شدَّة سَيرها) متعلِّق بـ"العَدْو"، أو نقول: العطف في قوله: (وشدَّة سَيرها) وقوله: (وعَدْوِها) مِن العَطف الذي يكون للبيان، فكأنّه قال: أكثر تشبيهاتهم في وصف شدَّة سَيرها بعَدْوِ[1] الحُمُر، فلا يكون لفًّا ونَشرًا. وقوله: (بالحُمُر) هو خبر "كان" فهو متعلِّق بمحذوف، أي: أكثرُ تشبيهاتهم تشبيهٌ بالحُمُر. وقوله: (في وصف) حالٌ مِن "تشبيهات"، / أو ظرفٌ[2] لها. [٤٣٨ظ]

قوله: (بقانصٍ) أي: صائد.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ﴾.

"بل"[3] في قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ﴾ لترك النظر في إعراضِهم كالحُمُر المستَنفِرة على الوجه المذكور إلى[4] النظر فيما هو أعجَبُ منه وأغربُ، وهو طلبهم الصحف.

قوله: (يتكاتَب بها) أي: يكتبها بعضُ الناس إلى بعضٍ ويُرسلها إليه فينشرُها[5] المبعوث إليه ويقرؤها.

قوله: (وذلك) متعلِّق بالتفسِيرَين للصُّحُف المنشَّرة، أي: سببُ ذلك القول -وهو قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ﴾... إلخ- أنّهم قالوا.

---

[1] ن: بعد.
[2] ن: طرت.
[3] ن - بل.
[4] ن + أن.
[5] ن: فيبسرها.

من السماءِ عُنوانُها من ربِّ العَالَمين: إلى فُلان بن فلانٍ، نُؤمَرُ فيها باتِّبَاعِكَ، ونحوُهُ قَولُه: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء ١٧/٩٣] وقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الآية [الأنعام ٦/٧].

وقيل: قالُوا: إن كانَ مُحمَّدٌ صَادِقًا فليُصْبِحْ عند رَأس كُلِّ رَجُلٍ منَّا صَحِيفةٌ فيها برَاءتُه وأَمْنُه مِن النَّارِ.

وقيل: كانوا يقُولُونَ: بلَغَنا أنَّ الرَّجُلَ من بني إسْرَائيل كان يُصْبح مكتُوبًا على رَأسه ذَنْبُه وكفَّارَتُه، فَأتِنا بمِثْل ذلك. وهذا من الصُّحُفِ المُنَشَّرة بمَعزل، إلَّا أَن يُراد بالصُّحُفِ المُنَشَّرة: الكتابَاتُ الظاهِرَةُ المكشُوفةُ.

وقَرأ سعِيدُ بن جُبَيْرٍ: "صُحْفًا مُنْشَرةً" بتخفيفِهما على أنَّ أَنْشَر الصُّحُفَ ونَشَّرهَا واحِدٌ؛ كأنزَلَهُ ونَزَّله.

﴿كَلَّآ ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

رَدَعهُم بقَوله: ﴿كَلَّا﴾ عن تِلك الإرَادةِ وزَجَرهُم عن اقتِراحِ الآياتِ، ثم قال: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ فلِذلك أَعْرَضُوا عن التَّذكِرَة، لا لامتِناع إيتاء الصُّحُف،

قوله: (وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا﴾)... إلخ [الأنعام ٦/٧] متعلِّق بقوله: (أنهم قالوا لرَسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم)[1] يعني: أنَّ الكفَّار قالوا ذلك، وقد ردَّ الله[2] تعالى ذلك عليهم بأنَّهم لا يقولون ذلك الكلام لطلب المُعْجِز حتى يؤمنوا؛ بل يقولون ذلك عِنادًا واستهزاءً، ولو أنَّهم أُعطوا ما اقترحوا لمَا آمنوا؛ بل كابَروا وعانَدوا، كما أنَّهم يعانِدون ويكابِرون مع المعجزات الظاهرة والحُجج الباهرة الفائتةِ[3] للحَصر.

قوله: (ثمّ قال: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ﴾) أضربَ بقوله: ﴿بَل﴾ عن قول مَن يقول:

---

[1] د ف – صلَّى الله عليه وسلَّم.
[2] ن – الله.
[3] ن: الفانية.

ثمَّ رَدَعهُم عن إعْراضِهم عن التَّذكِرَة وقال:

﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ يَعْني: تَذكِرَةٌ بليغَةٌ كافيةٌ مُبْهَمٌ أمْرُهَا في الكِفاية.

﴿فَمَن شَآءَ﴾ أن يَذْكُرَه ولا يَنْساه، ويجعَلَهُ نُصْبَ عيْنَيه، فَعَلَ، فإنَّ نَفْعَ ذلك رَاجِعٌ إلَيْه.

والضَّميرُ في ﴿إِنَّهُۥ﴾ و﴿ذَكَرَهُۥ﴾ للتَّذكِرة في قَوْلِه: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾ وإنَّما ذُكِّرَ لأنَّها في مَعْنى الذِّكر أو القُرآنِ.

﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يَعْني: إلَّا أن يَقْسِرَهُمْ على الذِّكْرِ ويُلْجِئَهُم إلَيْه، لأنَّهُم مَطبُوعٌ على قلُوبهِمْ، مَعْلُومٌ أنَّهم لا يُؤْمِنُون اختيارًا.

﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾: هو حَقيقٌ بأَنْ يتَّقِيَهُ عِبَادُهُ ويَخافُوا عقابَه فيُؤمِنُوا ويُطيعُوا، وحقِيقٌ بأن يَغْفِرَ لَهُم إذا آمَنُوا وأطَاعُوا.

ورَوى أنَسٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هُو أَهْلٌ أن يُتَّقَى وأَهْلٌ أن يَغفِرَ لمَن اتَّقاه».

إنَّهم لم يؤمنوا لعدم إتيانهم الصحف، فقال: لم يتركوا الإيمانَ لذلك؛ بل لأنَّهم لا يخافون الآخرة، وطلبُهم الصحيفة[1] أيضًا عِناد وتَعنُّت واستهزاء.

قوله: (ثمّ رَدَعَهم) يريد: أنّ قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ متعلِّق بقوله: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾، وما بينهما كالجُمل المعترِضة والاستطراديّة، تأمَّل فيه فإنّه دَقيق.

قوله: (نَصْبَ عينه) النصب: ما نُصِب، فَعْلٌ بمعنى مَفعول، نحو: خَبْزٌ بمعنى مَخبوز، وقد يطلق على ما نُصِب فعُبِدَ مِن دون الله تعالى، وكذلك: النُّصْبُ بالضمّ، وقد تُحرَّك مثل: عُسْرٍ وعُسُرٍ، والمُراد بالنصْبِ هنا: ما يكون حاضرًا عنده، لا يَصرِفُ عنه النظر والقصد.

قوله: (أنْ يَقْسِرَهم) فيه إشارةٌ إلى مَذهبه، والله أعلم.[2]

---

[1] ن + فقال: لم يتركوا.

[2] د – والله أعلم.

وقرئ ﴿يَذْكُرُونَ﴾ بالتاء والياء مُخفَّفًا ومُشدَّدًا.

عن رسُول الله عليه السلام: «مَن قَرأَ سُورةَ المُدَّثِر أَعْطَاه الله عَشْرَ حَسناتٍ بعدَدِ مَنْ صَدَّقَ بمُحمَّدٍ وكذَّبَ بهِ بمَكَّةَ».

تمَّت السورة بحمد الله تعالى[١] ومنّه.[٢]

---

١ د ف – تعالى.

٢ ف – تمّت السورة بحمد الله ومنّه؛ ن – ومنّه.

سورة القيامة

مكيةٌ، وهي تسعٌ وثلاثون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾

إدخالُ "لا" النَّافيةِ على فِعل القسَم مُستفيضٌ في كلامِهم وأشعارِهِم؛ قال امرُؤ القيْسِ:

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (إدخال "لا" النافية) حاصل الكلام: أنّ "لا" النافية أدخلت كثيرًا على فعل القسَم للتأكيد، ثمّ اختلفوا في ذلك فقال بعضهم: إنّها زائدة، واعتُرض على هذا القول بأنْ لا تُزادُ إلا في الوسَط، وأجيب عن هذا الاعتراض بأنّ "لا" ههنا في حكم المتوسّطة، فقال المصنِّف:[2] هذا الاعتراض صحيحٌ؛ لأنّ "لا" النافية لا تُزاد إلا في وسط الكلام، وأمّا جوابُهم فضعيفٌ؛ لأنّه قد يأتي في أوّل القصيدة كما في قولِ امرئ القيس، فلو كانت "لا" هذه زائدةً لَمَا جاءت في أوّل القصيدة، فثبَتَ أنّ هذا القول -وهو أنّ "لا" الداخلةَ على فعل القسَم / زائدةٌ- ضعيفٌ، ولمّا أبطل هذا القول أشار إلى قولٍ آخر، وهو أنّها للنفي [٤٣٩و]
على ما ذكر مِن الوجهين.

---

[1] ف ن - وبه نستعين.

[2] ن: وأجيب عن.

لا وأَبِـيـكِ ابـنـةَ الـعَـامـرِيـ ـيِ لا يَـدَّعِـي الـقـومُ أنِّـي أفِـرّ

وقال غُوَيَّةُ بن سُلْميّ:

ألَا نـادَتْ أُمـامَـةُ باحـتـمالِ لِـتَـحـزُنَـنِي فـلا بِـكِ مـا أُبـالِـي

وفَائدتُها: توكيدُ القَسم.

وقالوا: إنَّها صِلةٌ مِثْلُها في ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الحديد ٥٧/٢٩]، وفي قَوله:

فـي بِـئْـرِ لا حُـورٍ سَـرَى ومـا شَـعَـر

واعتَرضُوا عليْه: بِأنَّها إنَّما تُزادُ في وسَط الكلام لا في أوَّلِه.

وأجَابُوا: بأن القرآن في حكم سُورةٍ واحِدَةٍ مُتَّصلٌ بَعْضُه ببَعضٍ.

قوله: (ابنةَ[١] العامريّ) حذف حرف النداء، يريد: يا ابنة العامريّ؛ أنا لا أفِرُّ مِن الحرب البتّة، وأشهدْتُ[٢] بأني ألازِم الحَرب ولا أفِرُّ منها بحيثُ لا يقدِر أحدٌ[٣] أنْ يدَّعيَ أنْ أفِرَّ[٤] مِن الحَرب.

قوله: (باحتمالٍ) أي: بارتِحالٍ، أي: نادت بأنّها ترتحل وتنتقل إلى مَوضع آخر، وتفارقَ[٥] الشاعر، وإنّما نادت بذلك لتُحزنَ الشاعر بارتِحالها، فأجابها الشاعر بأنّ ارتحالَها لا يُحزِنه وأنّه لا يبالي بذلك.

قوله: (وفائدتُها توكيد القسَم) اعلم أنّ هذا التأكيد مِثل تغليظ القسَم بالألفاظ المتكرّرة الدالّة على الصفات العِظام، وكما يُغلَّظ بالزمان والمكان، وذلك لأنّ الزيادة للازدياد في المعنى،[٦] ولمّا كان لفظة "لا" دالةً على القسَم أفاد تأكيد القسَم، وأمّا أنّه يلزَم منه تأكيدُ تحقّقِ المُقْسَم[٧] عليه فشَيء آخَر لَزِم مِن ذِكْرِ[٨] فيقوَى بقوّته ويزداد بزيادته.

---

[١] ف ن: ابنت.

[٢] ن: وأشهرت.

[٣] ن: إحدى.

[٤] ن: أقرّ.

[٥] ن: يفارق.

[٦] ف – في المعنى.

[٧] ن: القسم.

[٨] كذا في جميع الأصول المخطوطة، وكذا ضبطه في "د"، ولعله: "لزم مِن ذِكرِه"، أو "لزِمَ مَن ذُكِرَ".

والاعْتِراضُ صحيحٌ؛ لِأَنَّها لم تقع مزيدةً إلَّا في وَسطِ الكلام، ولكنَّ الجوابَ غَيْرُ سَديد، ألا ترى إلى امرئ القَيْسِ كيف زادَها في مَستهَلِّ قصِيدتهِ.

والوجهُ أن يُقال: هي للنَّفيِ، والمَعْنَى في ذلك: أنَّه لا يُقسَم بالشيء إلَّا إعظامًا له، يَدُلُّكَ عليه قولُه تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة ٥٦/٧٥-٧٦] فكَأنَّه بإدْخالِ حَرْف النَّفي يقُول: إن إعْظامِي لهُ بإقْسامي بِه كلَا إعظامٍ، يَعْني: أنَّه يَستَأهِلُ فَوْقَ ذلك.

وقيلَ: إنَّ ﴿لَآ﴾ نفيٌ لِكلام ورَدٌّ له قَبلَ القَسم، كأنَّهم أنكرُوا البَعْث فقيل: ﴿لَآ﴾؛ أي: ليْسَ الأمر على ما ذكرتم، ثُمَّ قِيل: ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

قوله: (غير سديد) لأنّا وإنْ سلَّمنا أنّ القرآن في حكم سورةٍ[١] واحدةٍ[٢] لكنّها قد زِيدت[٣] في أوّل الكلام في غيرِ القرآن كما ذكر.

قوله: (والوجه)... إلخ، هذا تقريرٌ وتحقيقٌ لقوله: "وفائدتُها توكيدُ القسَم"، فإنّه إذا كان الغَرضُ مِن القسم إعظام المقسَم به فتأكيدُ القسم يكون تأكيدًا لإعظام[٤] المقسَم[٥] به.

قوله: (في بئرِ لا حُورٍ)[٦] والحُور:[٧] الهلاك، أي: في بئرِ هلاكٍ.

قوله: (غيرُ سَديد) لأنّا وإن سلَّمنا أنّ القرآن في حُكم سورةٍ واحدةٍ لكنّها قد زيدت في أوّل الكلام في غير القرآن كما[٨] ذكر.

قوله: (قبل القسَم) يجوز أن يكون صفةً لقوله: (كلام)، أي: نفيٌ لكلام مقدَّر قبل القسَم، ويجوز أن يكون ظرفًا لـ"نفيٌ وردٌّ" أي: ردًّا لكلام[٩] منكِرِ البعث قبل أن يُقسِم على البَعث.

---

[١] ن: سوة.
[٢] ن: واحد.
[٣] ن: ريبت.
[٤] ن: لأعظم.
[٥] ن: القسم.
[٦] البيت للعجّاج في ديوانه، ٢٠/١.
[٧] ف: الحور.
[٨] ن: لما.
[٩] ن – لكلام مقدّر قبل القسَم، ويجوز أن يكون ظرفًا لـ"نفيٌ وردٌّ" أي: ردًّا لكلام.

فإن قلتَ: قولُه تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء ٦٥/٤] والأَبْياتُ التي أَنْشَدْتَها: المُقسَمُ عَليه فيها مَنْفيٌّ، فهَلَّا زعمْتَ أنَّ "لا" الَّتي قبل القسَم زيدَتْ مُوطِّئةً للنَّفي بَعْدَه ومُؤكِّدةً له، وقَدَّرْتَ المُقسَمَ عليه المحْذوفَ هاهنا مَنفيًّا كقوله: لا أُقْسِمُ بيومِ القيامةِ لا تُتْرَكُون سُدًى.

قلتُ: لو قَصَرُوا الأمْرَ على النَّفي دُون الإثباتِ لكان لهذا القَوْلِ مَسَاغٌ ولكنَّه لم يُقْصَر، ألَا ترَى كيْفَ لُقِّيَ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد ١/٩٠] بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد ٤/٩٠] وكذلك: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة ٧٥/٥٦] بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة ٧٧/٥٦].

وقرئ: ﴿لَأُقْسِمُ﴾ على أَنَّ اللَّامَ للابتداء، و﴿أُقْسِمُ﴾ خبَرُ مُبتدَأ مَحْذُوفٍ مَعْناه: لَأَنَا أُقسِمُ، قَالُوا: ويعْضُدُه أنَّه في الإمام بغَيْرِ ألِفٍ.

﴿بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: بالنَّفس المُتَّقية التي تلُوم النُّفوسَ فيه ....

قوله: (قلت: لو قُصِر الأمرُ) الأمرُ هنا بمعنى الشأن والفعل، أي: لو كان هذا المعنى -وهو دخول "لا" النافية- مقصورًا على النفي بأن لا يُزادَ "لا" إلا في كلامٍ منفيّ لكان لما ذكرتم وجهٌ، لكنّها قد تدخل في الإثبات.

قوله: (لَأُقسِم) كلتا[١] القراءتين مِن السبعة.[٢]

قوله: (خبر مبتدأ محذوف) وإنّما قدّر في "لَأقسِم" مبتدأ محذوف؛[٣] لأنّ لام الابتداء لا تدخل إلا[٤] على المبتدأ[٥] والخبر.

قوله: (في الإمام) هو مصحفُ عثمان.

قوله: (فيه) إشارةٌ إلى أنّ في الكلام حذفًا تقديرُه: اللوامة فيه، وإنّما حُذِفَ لذِكْر يومِ[٦] القيامة عن قريب.

---

١ ن: لتا.

٢ القراءة بحذفِ الألِف قراءةُ ابن كثير المكّي بخُلْف عن البَزّي، وقرأ جمهور القرّاء بإثبات الألِف. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٨٢/٢.

٣ ن - وإنّما قدّر في "لأقسم" مبتدأ محذوف.

٤ ف - إلا.

٥ ن - لا تدخل إلا على المبتدأ.

٦ ن - يوم.

-أَي: في يَوْمِ القِيَامة- على تَقْصِيرِهِنَّ في التَّقْوَى، أو بالَّتي لا تزالُ تلُومُ نفْسَها وإن اجتهدَت في الإحسانِ.

وعن الحسن: أنَّ المُؤمِنَ لا تَراه إلَّا لائمًا نفسَهُ، وأنَّ الكافر يَمْضِي قُدُمًا لا يُعاتِبُ نفسَه.

وقيل: هي الَّتي تتَلوَّمُ يَومئذٍ على تركِ الازديادِ إن كانت مُحْسِنةً، وعلى التَّفرِيطِ إن كانَت مُسيئةً.

وقيل: هي نفسُ آدمَ لم تَزل تَتلوَّمُ على فِعْلها الذي خرَجتْ بهِ مِن الجنَّة.

وجوابُ القَسم ما دلَّ عليه قولُه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ وهو: لَتُبْعَثُنَّ.

وقرأ قتادةُ: "أنْ لَن تُجْمَعَ عظامُه" على البناء للمفعول.

والمعنى: نجْمعُها بعد تفَرُّقِها ورجُوعها رَمِيمًا ورُفاتًا مُختَلِطًا بالتُّرابِ، وبَعْدما سَفَتْها الرِّياحُ وطيَّرَتها في أَباعِد الأرضِ.

قوله: (أي: في يومِ[1] القيامة) ويحتمل وجهًا آخرَ؛ بأن يقال: تلوم النفوس في الدنيا على تركهم التقوى، فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

قوله: (قُدُمًا) يقال: مضى قدُمًا بضمّ الدال؛ لم يُعرِّج ولم ينثنِ.

قوله: (يومئذٍ) أي: يوم القيامة، فعلى هذا الوجه الثالث أيضًا فيه حذف كما في الوجه الأوّل.

قوله: (والمعنى) أي: معنى قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، وذلك لأنَّ معناه إنكارُ الحِسبان، وإذا أنكر الحِسبان أنكر المحسوب، وهو عدم / الجمع، [٤٣٩ظ] ويلزم منه تحقيق أنْ نجمعها،[2] ولذا قال: (والمعنى: نجمعها).

قوله: (بعد تفرُّقها)... إلى آخرِ ما ذكر، استُفِيد مِن قوله تعالى: ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾... إلخ لمَن تأمّل.

---

[1] ن - يوم.

[2] ن: يجمعها.

وقيل: إنَّ عدِيَّ بنَ أَبي ربيعَة خَتَنَ الأخنَسِ بن شَرِيقٍ -وهُما اللَّذان كان رسول الله يقُول فيهما: «اللَّهمَّ اكفِني جَارَي السُّوء»- قال لرسُول الله: يا مُحمَّدُ، حَدِّثنِي عن يَوْم القيامة مَتى يكون وكيف أَمْرُهُ؟ فأخبرَهُ رسُولُ الله، فقال: لو عايَنْتُ ذلك اليَوْمَ لم أُصَدِّقْكَ يا مُحمَّدُ ولم أُومِنْ بهِ، أَوَيَجْمعُ اللهُ العِظامَ؟ فنَزَلت.

﴿بَلَىٰ﴾ أوجَبَتْ ما بعْدَ النَّفي وهو الجمْعُ، فكأنَّه قيل: بلى نَجْمَعُها.

و﴿قَٰدِرِينَ﴾ حال من الضَّميرِ في "نجْمَعُ"؛ أي: نَجمعُ العِظامَ ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ﴾ تأليِفِ جَميعها وإعادَتِها إلى التَّركيبِ الأوَّلِ إلَى أن نُسَوِّيَ بنَانَه؛ أي: أصَابعَه التي هي أَطْرَافُه وآخِرُ ما يَتِمُّ بهِ خَلْقُه.

أو: على أن نُسوِّيَ بنانَه ونَضُمَّ سُلامَيَاتِه على صِغرهَا ولَطافتِهَا بعْضَها إلى بعضٍ كما كانت أوَّلًا مِن غير نقصانٍ ولا تفاوتٍ، فكيفَ بكبارِ العِظام؟

وقيل: مَعناه: بلى نجمَعُها ونحْنُ قادرُون على أَن نُسوِّي أَصَابعَ يدَيْه ورجْلَيه؛ أي: نَجعَلَها مُسْتَوِيةً شَيئًا واحدًا كخُفِّ البَعير وحَافِرِ الحِمارِ لا نُفرِّق بَينها،

قوله: (جارَيِ السُّوء) إضافة "الجارَين" إلى "السُّوء" كما تقول: رجُلًا سُوْءٍ.

قوله: (إلى التركيب) متعلِّقٌ بـ"الإعادة"، يقال: أعاده إليه، وقوله تعالى إلى ﴿أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ غايةٌ لهذا المجموع،[١] وهو الإعادة إلى التركيب الأوّل، يعني: أنّ الإعادة إلى التركيب الأوّل يَبلُغُ وينتهي إلى أن يُسَوَّى،[٢] فقوله: (إلى أنْ) ليس بدلًا[٣] من "إلى التركيب"، فتأمَّل.[٤]

قوله: (إلى أنْ) بدلٌ من "إلى التركيب".[٥]

قوله: (أو على أن) عطف على قوله: "على تأليف".

قوله: (بعضَها) بدلٌ[٦] من "سُلامياته".

---

[١] ن: الجموع.
[٢] ن: يستوي.
[٣] ن: بذلًا.
[٤] ن – فتأمل.
[٥] ن – قوله: (إلى أنْ) بدلٌ مِن "إلى التركيب".
[٦] ن: بذل.

فلا يُمكِنُه أَنْ يَعْمَلَ بهَا شيئًا ممَّا يَعْمل بأَصَابعِهِ المُفَرَّقة ذات المفاصلِ والأَناملِ من فُنونِ الأعمال والبَسْط والقَبْضِ والتَّأتِّي لمَا يُرِيدُ مِن الحَوائج.

وقرئ: "قادرُونَ"؛ أي: نحنُ قادرونَ.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾

﴿بَلْ يُرِيدُ﴾ عَطفٌ على ﴿أَيَحْسَبُ﴾ فيَجُوز أن يكون مِثْلَهُ استفهامًا، وأن يكُون إيجابًا على أنْ يُضْرَبَ عَن مُستَفْهَمٍ عنه إلى آخَرَ، أو يُضْرَبَ عن مُستفهَمٍ عنه إلى مُوجَبٍ.

﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾: ليَدُوم على فجُورِهِ فيما بين يدَيْه مِن الأَوْقاتِ وفيما يَستقْبِلُه من الزَّمانِ لا ينْزِع عنه.

قوله: (فيجوز أن يكون) فيكون عطفًا إمّا على ﴿أَيَحْسَبُ﴾ بالهمزة، فلا يكون استفهامًا؛ بل يكون إيجابًا، أو على ﴿أَيَحْسَبُ﴾ بدون الهمزة، فيكون مِثلَه[1] استفهامًا[2] للإنكار.

قوله: (عطف على ﴿أَيَحْسَبُ﴾)[3] فيه إطلاق وإجمال، وقوله: (فيجوز)... إلخ تفصيلٌ له وتبيينٌ، فقوله: (على أن يُضربَ) متعلق بقوله: (أن يكونَ مثله)، وقولُه: (أو يضرب) متعلِّق بقوله: (وأن يكون إيجابًا).

قوله: (إلى آخرَ) أي: إلى مستَفهَمٍ عنه آخر.

قوله: (أو يُضربَ) فيه لفٌّ ونَشرٌ.

قوله: (﴿أَمَامَهُۥ﴾) نُصِب على الظرف، أي: أوقاتًا وأزمنةً أمامَه،[4] وعلى تفسير سَعيد بن جُبير[5] تقديره: زمانَه ووقتَه المتقدِّم، كما سيجيء.

قوله: (فيما بين يديه) أي: الأزمنة القريبة، وقوله: (فيما يَستقبله) يريد: الأزمنةَ البعيدةَ.

---

[1] ن – استفهامًا بل يكون إيجابًا، أو على ﴿أَيَحْسَبُ﴾ بدون الهمزة، فيكون مثله.
[2] ن: استفامًا.
[3] ن: الحسب.
[4] ن – أمامه.
[5] ن: خبير.

وعن سعيد بن جُبَيرٍ: يُقدِّمُ الذَّنْبَ ويُؤخِّر التَّوبةَ، يقُولُ: سَوْفَ أَتُوبُ سَوْف أَتُوبُ، حتَّى يأتيَهُ الموتُ على شرِّ أَحْوالهِ وأَسْوأ أعْمالهِ.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦﴾

﴿يَسْـَٔلُ﴾ سؤالَ مُتعنِّتٍ مُستبْعِدٍ لقِيامِ السَّاعة في قَوله: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ونحوُه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [يونس ١٠/٤٨].

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾

﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾: تحيَّرَ فزَعًا، وأَصْلُه مِن بَرِق الرَّجُلُ: إذا نَظَر إلى البَرْق فَدُهِشَ بَصرُه.

وقرئ: ﴿بَرَقَ﴾ من البَريقِ؛ أي: لمعَ من شِدَّةِ شخُوصِهِ.

وقرأ أبو السَّمَّال: "بَلَقَ": إذا انفتَح وانفرَجَ، يُقالُ: بَلَقَ البابُ، وأَبلَقْتُه وبَلَّقتُهُ: فتَحْتُهُ.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ وذهَب ضَوؤه أو ذهبَ بنفسِه. وقرئ: "وخُسِفَ" على البناء للمفعُول.

قوله: (وعن سعيد بن جُبير) عطف مِن حيثُ المعنى على "ليدوم"، ومعنى هذا الوجه: أنّه يريد أن يَفجُر في زمانِه المتقدِّم على زمانِه المتأخِّر، يعني: أنّه يفجُر في أيِّ[1] زمانٍ يأتيه ويؤخّر التوبةَ فلا يزال في الفُجور،[2] فهو على هذا[3] ظرفٌ أيضًا، لكن معنَيا "الأمام" يتفاوتان.[4]

قوله: (ذهب) أي: المراد: ذهابُ ضوئه،[5] أو ذهابه بانعدامه.

---

[1] ن + يفجر في أي.
[2] ن + في زمانه المتقدِّم على زمانِه المتأخِّر، يعني: أنّه يفجُر في أيِّ زمانٍ يأتيه، ويؤخّر التوبة فلا يزال في الفجور.
[3] ن – هذا.
[4] ن: يتفاوت ان.
[5] ن: صوته.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ حيث يُطْلِعُهما اللهُ من المَغْرِب.

وقيل: وجُمِعَا في ذهَاب الضَّوءِ.

وقيل: يُجمعَانِ أَسْودَيْنِ مُكوَّرَيْنِ كأنَّهُما ثَوْرَان عَقِيرَانِ في النَّار.

وقيل: يُجْمعَان ثمَّ يُقْذفانِ في البَحْر فيكونُ نَارَ الله الكُبْرَى.

﴿ٱلْمَفَرُّ﴾ بالفَتْحِ المَصْدَرُ، وبالكسر: المكانُ، ويجوز أن يكون مَصْدرًا كالمَرْجِع، وقرئ بهما.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن طلبِ المَفرِّ ﴿لَا وَزَرَ﴾: لا مَلْجأ، وكُلُّ ما الْتجأتَ إليه من جبَلٍ أو غيْرِه وتخَلَّصتَ به فهُوَ وَزَرُك.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خَاصَّةً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مُستَقرُّ العِبادِ؛ أي: استِقرارُهم، يَعني: أنَّهم لا يَقْدِرُونَ أَنْ يَستَقِرُّوا إلى غيره ويَنصَبُّوا إليه.

أو: إلى حُكْمِه تَرْجِعُ أمُورُ العِباد لا يَحْكُم فيها غيرُه؛ كقَوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر ٤٠/١٦].

قوله: (أو ذهبَ بنفسه) فهو مِنَ الخسْفِ بمعنى الذهاب، يقال: خَسَفَ الله به الأرضَ خسفًا، أي: غابَ به فيها،[1] وخَسَفَ هو في الأرضِ وخُسِف.[2]

قوله: (كأنّهما ثَوران) التشبيه بالثور في الذلّ؛ لأنّ الثور يُضرَب به المثل في البَلادة، فإذا عُقِرَ ازداد بلادةً فيزداد ذلًّا.

قوله: (أي: استقرارهم) يعني: إنّما يتوجَّهون ويلتجئون إليه لا إلى غيره.

قوله: (أو إلى حُكمه) يعني: هو يَحكم[3] لا غيرُه، والمعنى الثالثُ ظاهرٌ.

---

[1] ف: فها.

[2] ن - قوله: (أو ذهبَ بنفسه) فهو من الخسْفِ بمعنى الذهاب، يقال: خَسَفَ الله به الأرضَ خسفًا، أي: غابَ به فيها، وخَسَفَ هو في الأرضِ وخُسِف.

[3] ن: حكم.

أو: إلى ربِّك مُستقرُّهم؛ أي: مَوضِعُ قَرارِهم مِن جنَّةٍ أو نارٍ؛ أي: مُفوَّض ذلك إلى مَشِيئتِه، مَن شاء أدْخَله الجَنَّة ومَن شاءَ أدْخلهُ النَّارَ.

﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من عَملٍ عَمِلَهُ ﴿وَ﴾ بما ﴿أَخَّرَ﴾ مِنه لم يَعمَلْهُ.

أو: بما قدَّم من مالهِ فتصَدَّق بهِ، وبما أخَّرهُ فَخلَّفَه.

أو: بما قَدَّم من عمَلِ الخَيْرِ والشَّرِّ وبما أَخَّر من سُنَّةٍ حَسنةٍ أو سيِّئةٍ فعُمِل بها بعده.

وعن مجاهدٍ: بأوَّلِ عمَلِه وآخِرِه. ونحوُه: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة ٥٨/٦].

﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾

﴿بَصِيرَةٌ﴾: حجَّةٌ بيِّنةٌ، ....

قوله: (مِن جَنَّةٍ) بيان "مَوضعُ قرارِهم".

قوله: (عَمِلَه) تفسيرٌ لقوله: ﴿قَدَّمَ﴾، وكذا قوله: (لم يعمله) تفسيرٌ آخرَ.

قوله: (فخلَّفه) ومنه قولهم: ربِحنا ما قدَّمنا، خسِرنا ما خلَّفنا.

قوله: (وبما أخَّر مِن سُنَّةٍ حسَنةٍ)[1] فكأنَّه قيل: بما عمله في حياته، وأتى به بنَفسه فيها، وبما أبقاه[2] بعدَ حياته أي: تركه باقيًا فيما بعدَها سُنَّةً لغيره.

[٤٤٠و] قوله: (ونحوه) يعني: في الوعيد بالإنباء، وإن / لم يكن فيه التفصيل الذي فيما نحن فيه.

قوله: (حجةٌ بيّنةٌ) يعني: أنَّ[3] ﴿بَصِيرَةٌ﴾ صفةُ موصوف مَحذوف، ومعنى الآية: أنَّه تعالى لما قال: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أضرب عن الاحتياج إلى الإنباء بأنَّه يكون يومئذٍ عالمًا بما فعله بحيث يشهد عليه ويكون عليه حجَّةٌ واضِحةٌ، فسمَّاه حجَّةً؛ لأنَّ الشاهد حجَّةٌ، ثمَّ إنَّ الحُجَّة إذا كانت واضحةً سَهُلَ الاهتداءُ بها،

---

[1] ن – حسنة.

[2] ن: ألقاه.

[3] ن – أن.

وُصِفت بالبَصارة على المَجاز كما وُصِفت الآياتُ بالإبصارِ في قَوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ﴾ [النمل ١٣/٢٧].

أو: عينٌ بَصِيرَةٌ، والمعنى: أنَّه يُنَبَّأ بأعْمالِهِ، وإنْ لم يُنَبَّأ ففِيه ما يُجْزِئُ عن الإنباء لأنَّه شاهدٌ عليها بما عَمِلَتْ؛ لأنَّ جَوارِحَه تنطِقُ بذلك: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور ٢٤/٢٤].

﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: ولو جاء بكُلِّ مَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُ بهَا عن نفسه ويُجادِلُ عنْها.

وعن الضَّحَّاك: ولَو أَرْخَى سُتُورَهُ، وقال: المعاذِيرُ: السُّتُورُ واحِدُها مِعْذارٌ. فإن صَحَّ فلأنَّه يمنَعُ رُؤْيَة المُحْتجِب كما تَمنعُ المعَذْرةُ عقُوبةَ المُذْنبِ.

فإن قلتَ: أليَسَ قياسُ المَعْذِرة أن تُجمَع "مَعاذِرَ" لا "معَاذِيرَ"؟

كما أنَّ الهادي في الطرُق إذا[١] كان بصيرًا سَهُل الاهتداء به، فسَمَّى الحجَّةَ "بَصيرةً"، فوَصَف[٢] الحجَّةَ بالبصيرة مجازًا؛ لأنَّ الإبصار إنَّما هو لصاحب الحُجَّة، وذلك كوَصف الآياتِ بالإبصار.

قوله: (وُصِفَتْ) أي: الحُجَّة.

قوله: (لأنَّه شاهدٌ عليها) أي: لأنَّ الإنسان شاهدٌ على نفسِه.

قوله: ﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ من الشروط التي تُذكر للمُبالغة، وذلك أنَّ المراد ممّا[٣] تقدَّم: أنَّه يُلام على أفعاله ويعاقَبُ عليها، فكأنَّه قال: يُلام ويُعاقَب ولو أتى بكلِّ معذِرةٍ، أو ولو كان أرخَى السُّتُور في دار الدنيا؛ لأنَّها لا تستُرُه عنّا.

قوله: (ولو جاء بكلِّ مَعذرةٍ) ما قُبِلَتْ مِنه، وعلى التفسير الثاني، أي: لو أرخَى السُّتور وأغلق الباب لم ينفعه ذلك.

قوله: (فإن قلتَ: أليسَ) على التفسير الأوّل جعل "المعاذير" جمع معذرةٍ، فلذا أورد هذا السؤال.

---

[١] ف: وإذا.
[٢] ن: بوصف.
[٣] ن: ما.

قلتُ: المعَاذيرُ ليْسَ بجمْعِ مَعْذِرةٍ، إنَّما هو اسمُ جَمْعٍ لهَا، ونحوُه: المَناكيرُ في المُنكَر.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾

الضَّميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ للقُرآنِ، وكان رسولُ الله عليه السَّلام إذا لُقِّنَ الوَحْيَ نازعَ جبريلَ القراءةَ ولم يَصْبِر إلى أَنْ يُتِمَّها؛ مُسَارَعةً إلى الحِفْظ وخَوفًا من أن يَتفلَّتَ مِنه، فأُمِرَ بأَن يَسْتَنصِتَ له مُلْقِيًا إليْه بقَلْبِهِ وسَمْعِه حتى يَقضِيَ إليه وحْيَه ثُمَّ يُقفِّيَهُ بالدِّراسَةِ

قوله: (إلى أن يُتِمَّها) متعلِّق بـ"يصبر" مع قَطع النظر عن حرف النفي، ثمّ دخل عليه حرف النفي، وأمّا قوله: (مسارعةً) فمتعلِّق بمعنى "لم يصبِر"، أعني الفعلَ مع حرف النفي، كأنّه قال: ترك الصبرَ مسارعةً، أو استعجل مسارعةً.

قوله: (أنْ ينفَلِتَ)[١] الانفِلاتُ: خُروجُ الشيء فَلتةً، أي: بغتَةً، وكذلك الإفلاتُ والتفلُّت، يقال: أفلتَتِ الدابَّة، والضمير من قوله: "ينفَلِت"[٢] للوَحي، ومن "منه" للرسول صلّى الله عليه وسلّم، وقوله: (يَستنصِت)[٣] مبالغةٌ في "يُنصِت"،[٤] كأنَّ المعنى: ينصِتُ ويطلبُ من نفسه زيادةَ الإنصات.

قوله: (ثمّ يُقفِّيَه) يقال: قَفَوتُ أثرَه قَفْوًا وقُفُوًّا إذا اتَّبعته، وقَفَّيتُ على أثَره بفلان إذا أَتْبعته إيّاه، والمراد بقوله: (يقفّيَه بالدِّراسة) أن يقرأَ الرسول القرآنَ المُوحى بعد فراغ جبرئيل مرارًا كثيرةً[٥] إلى أن يرسَخَ -أي: يثبُتَ- ذلك في ذهنه محفوظًا فلا ينساه بعد ذلك، وهذا معنى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: إذا[٦] فرَغَ جِبرائيلُ من قراءته عليك فاقرأه[٧] أنت مرارًا كثيرةً حتى يثبُتَ في ذهنك؛ كمَن يكرِّر الدرس بعد الحفظ ليستقِرَّ في ذهنه ولا ينساه.[٨]

---

[١] ن: يستنصت. | في مطبوع الكشّاف: يتفلّت.
[٢] ف: ينقلب.
[٣] ن: يستنصب.
[٤] ن – مبالغة في "ينصت".
[٥] ن: كثيرًا.
[٦] ن – إذا.
[٧] ن: بإقراره.
[٨] ن – بعد الحفظ ليستقرّ في ذهنه ولا ينساه.

إلى أَنْ يَرْسَخَ فيه.

والمعنى: لا تُحرِّكْ لسَانك بقراءةِ الوَحْيِ ما دام جبريلُ صلواتُ الله عليه يقرأُ ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾: لِتَأْخُذَه على عجَلةٍ وَلئلًا يتَفلَّتَ منك.

ثمَّ علَّل النَّهْيَ عن العَجلة بقَوْله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صَدْرِك وإثبات قِراءتِهِ في لسَانكَ.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ﴾ جَعَل قراءةَ جبريلَ قِرَاءتَهُ، والقُرآنُ: القِراءة.

﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: فكُنْ مُقفِّيًا لَه فيه ....

قولـه: (وَحيَـهُ)[١] الضمير من "وَحْيَـه" يجوز أن يكـون للرسـول ولجبرائيـل عليهمـا السـلام.

قولـه: (وإثبـاتَ قِراءتِـه) يشـير إلـى أنّ ﴿قُرْءَانَهُۥ﴾ بمعنـى: قراءتـه، وأنّ المضاف محذوف.

قوله: (جعلَ) أي: جعلَ قراءةَ جبرائيل قراءةَ الله تعالى؛ لأنّه تعالى قال: ﴿قَرَأْنَـٰهُ﴾ والمراد / قراءةُ جبرائيل، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: [٤٤٠ظ] فاتَّبع قراءةَ جبرائيل، أي: فكن مُقَفِّيًا أي: تابِعًا له لجبرائيل في قُرآنِه،[٢] أي: في قراءته، ثمّ اعلم أنّ المُصنِّف رحمه الله[٣] أشارَ إلى معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ إجمالًا بقوله: (فأُمِرَ) إلى قوله: (يرسَخ فيه)، وفُهِم منه أنّ معنى ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ كرّره مرةً بعد أخرى؛ إذا فَرَغ جبرائيل ليثبّتَ في ذهنك، ثمّ عاد المصنّف إلى ذكر المعنى بعبارةٍ أبسط لحلِّ لفظ القرآن، فقال: (والمعنى)... إلخ، وفسّر قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ بما معناه: فكُن تابعًا له في القراءة ولا تقرأ معه، فعلى هذا يقول: لمّا منعه أوّلًا مِن القِراءة معه بقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾... إلخ قال: فإذا فَرَغ من القراءة اقرأ ولا تقرَأ معه؛ بل كن تابِعًا له، وهذا معنًى مغايرٌ للمعنى الأوّل، فتدبَّر.[٤]

---

[١] ن: وحية.
[٢] ن: قراءته.
[٣] د – رحمه الله.
[٤] ن: فتدبره.

ولا تُرَاسِلْهُ، وطَأْمِنْ نفسَك أنَّه لا يبْقَى غَيرَ محفُوظٍ فنحنُ في ضَمانِ تحفيظِه.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ إذا أَشْكلَ عليك شيءٌ مِن معَانيهِ؛ كأنَّه كانَ يَعْجَلُ في الحِفْظِ والسُّؤال عن المَعنى جميعًا كما تَرى بَعْضَ الحِرَاصِ على العِلم، ونحوُه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه ٢٠/١١٤].

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۝٢١﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لرسُول الله عن عادة العَجَلَةِ، وإنكارٌ لهَا عليه، وحَثٌّ على الأَناةِ والتُّؤَدَةِ، وقد بالَغَ في ذلك بإتْباعهِ قَولَهُ: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ كأنَّه قال: بل أنتُم يا بَنِي آدَمَ لأنَّكُم خُلِقْتُم من عَجَلٍ وطُبِعْتُم عَليْه تَعْجلُونَ في كلِّ شَيءٍ ومِن ثَمَّ تُحِبُّونَ العَاجِلةَ.

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ وقرئ باليَاءِ وهو أَبْلَغُ.

فإن قلتَ: كيْفَ اتَّصلَ قولُه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ إلى آخِره بذكْرِ القِيامة؟

قلتُ: اتِّصالُه به مِن جهَةِ هذا التَّخلُّصِ منه إلى التَّوْبيخ بحُبِّ العَاجِلة وترْكِ الاهْتِمام بالآخِرة.

قوله: (لا تراسله) أي: لا تكن رَسِيلًا له، رسيلُ الرجل: الذي يراسله في نضالٍ وغيره.

قوله: (وطَأْمِنْ) طأمَنْتُ منه: سكَّنْتُ.

قوله: (ونحوه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ [طه ٢٠/١١٤]) هذا نحوه في المَنع مِن التعجيل، وأمّا وعدُ البيان فكأنّه في ضِمن قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه ٢٠/١١٤].

قوله: (في ذلك) أي: في الإنكار والحثّ.

قوله: (وهو أبلغ) وإنّما كان القراءةُ بالياء أبلغ لأنّه يكون التِفاتًا، فكأنّه أعرَض عنه وتوجَّه إلى شخصٍ آخَر، كالشاكي ممّن كان يُخاطبه.

قوله: (قلت: اتِّصاله) يَرِدُ في خاطِري -والله أعلم- أنّ قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ في هذا البيان إنّما كان لأنّه عليه الصلاة والسلام كان قد فعل هذا التعجيلَ ههنا فمُنع عن ذلك، ثمّ وُصِل به باقي الكلام واتَّصل ما قبله بما بعده.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝﴾

"الوجهُ": عبارةٌ عن الجُملة، و"الناضرةُ" مِن نَضْرَةِ النَّعيم.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تَنْظُر إلى ربِّها خاصَّةً لا تَنْظُر إلى غيرِه، وهذا معنى تقديمِ المفعولِ، ألَا تَرى إلى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة ١٢/٧٥] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة ٣٠/٧٥] ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى ٥٣/٤٢] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة ٢٤٥/٢] ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران ٢٨/٣] ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود ٨٨/١١] كيفَ دَلَّ فيها التَّقديمُ على مَعْنَى الاختصاصِ، ومعْلومٌ أنَّهُم يَنْظُرونَ إلى أشيَاءَ لا يُحيط بها الحَصْرُ ولا تدخلُ تحْتَ العَدَدِ في مَحْشَرٍ يجتمع فيهِ الخلائقُ كلُّهم، فإنَّ المؤمِنينَ نَظَّارَةُ ذلك اليَوْم لأنَّهُم الآمِنُونَ الَّذين لا خَوْفٌ عليهم ولا هُم يَحْزَنُونَ، فاختِصَاصُه بنظَرِهم إليه لو كان مَنْظُورًا إليه مُحالٌ، فوَجب حَمْلهُ على مَعنًى يَصحُّ مَعه الاختصاصُ، ....

قوله: (وهذا معنى تقديم المفعول)... إلخ، ما تمسَّك به مِن الآيات كلُّه[١] حقٌّ، لكن يريدُ به الباطلَ؛ لأنّه يجعله مقدِّمةً لبيان أنّ المراد مِن الآية لا يجوزُ أن يكون رؤيةَ الله تعالى.

قوله: (ومعلومٌ)... إلخ مرتبطٌ بقوله: (هذا معنى تقديم المفعول)، وقوله: (ألَا ترى) إلى قوله: (الاختصاص) جملة معترضة لإفادةِ التقديم هنا معنى الحصر.

قوله: (فاختصاصه)[٢] أي: فاختصاص اللهِ تعالى، أي: لو كان المراد بالنظر هنا النظر بالبصر لامتنع اختصاصُ الله تعالى بالنظر بمعنى أن ينظُرَ المؤمنون إليه تعالى لا إلى غيره.

قوله: (فوجب) جواب شرطٍ محذوف، أي: إذا ثبت امتناع حمله على النظر بالبصر فوجب...، ثمّ اعلم أنّ فيما ذكَرَه نظرًا؛ لأنّهم إذا رُزِقوا النظر إليه تعالى

[١] ن: كلمة.

[٢] ن: باختصاصه.

والَّذي يصحُّ معَه أن يكُون مِن قول النَّاس: "أنَا إلى فُلانٍ ناظِرٌ ما يَصْنَعُ بِي" تُرِيدُ معنَى التَّوقُّعِ والرَّجاء.

ومِنه قولُ القَائل:

وإذا نَظَرْتُ إلَيك من مَلِكٍ والبَحرُ دُونكَ زِدْتَنِي نِعَمَا

وتمكّنوا مِن ذلك لا يَنظرون إلى غيره تعالى وإن كانُوا آمنِين اغتنامًا منهم لهذه الفرصة العظيمة ورعايةً للأدب،[1] كما قال تعالى في حقّ النبيّ عليه الصلاة والسلام:[2] ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ﴾ لكنّ المصنِّف يريد ترويجَ مذهبه بتفسيرِه، ويبيّنُ[3] هذا المعنى ما روى الواحدي في تفسيرِه بإسناده عن صُهَيبٍ عن النبيّ عليه الصلاة والسلام: «إذا دخل / أهلُ الجنَّة الجنَّة يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أزيدُكم؟ فيقولون: ألَمْ تُبيِّض وجوهنا؟ ألَمْ تُدخِلْنا الجنَّة وتُنجِّنا مِن النار؟ قال: فيَكشِفُ الحِجابَ، فما أُعطُوا شيئًا أحبَّ إليهم مِن النظر إلى ربِّهم»،[4] [٤٤١و]
ويقول العبدُ الضعيفُ أحمدُ بنُ الحَسَنِ الجاربردِيّ:[5] "تقديمُ الجارِّ هنا لأنّهم حينئذٍ لا ينظرُون إلا إليه تعالى، وتَنصرِف أبصارُهم عن غيرِه، وأحمَدُ الله على التوفيق".

قوله: (والذي يصحُّ) أي: الاختصاص.

قوله: (ما يصنع) "ما" استفهاميّة، وهو متعلِّق بمحذوف؛ كأنّه قال: أنا ناظر لأعلَم ما يصنع بي، وقوله: (يريد) الضمير من قوله: "يريد" راجع[6] إلى ما دلَّ عليه "الناس"، وهو كلُّ واحدٍ واحدٍ، ولذا قال: "أنا"، "ناظرٌ"، "بي"، ولو اعتبَر المصنِّف لفظ "الناس" لقال: يريدون.

قوله: (مِن مَلِكٍ)[7] "مِن" فيه مثلُها في قولك: رأيتُ منك أسدًا؛ بمعنى: إنّك أسدٌ.

---

١ ن: الأدب.

٢ ف – عليه الصلاة والسلام.

٣ ن: وبيّن.

٤ صحيح مسلم، ١٦٣/١ (١٨٦)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٣٩٤/٤ (القيامة، ٢٣/٧٥).

٥ ن: الجاربدي.

٦ ن: الراجع.

٧ ن: مالك.

وسَمِعْتُ سَرَوِيَّةً مُسْتَجدِيَةً بمكَّة وقْتَ الظُّهر حينَ يُغلِّقُ النَّاسُ أَبوابَهُم ويَأوونَ إلى مَقَائلِهِمْ تقُولُ: عُيَيْنَتِي نُوَيْظِرَةٌ إلى الله وإلَيْكم.

والمعنى: أنَّهم لا يتوقَّعُون النِّعْمةَ والكَرامة إلَّا مِن ربِّهم؛ كما كانُوا في الدُّنيا لا يَخْشَونَ ولا يَرْجُونَ إلَّا إيَّاه.

و"البَاسِرُ": الشَّدِيدُ العُبُوسِ، و"البَاسِلُ" أشَدُّ مِنهُ ولكنَّهُ غَلبَ في الشُّجَاع إذا اشتَدَّ كُلُوحُه.

﴿تَظُنُّ﴾: تَتوقَّعُ ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا﴾ فِعْلٌ هُو في شِدَّتِه وفظَاعتِه ﴿فَاقِرَةٌ﴾: داهِيةٌ تقصِمُ فَقَارَ الظَّهْرِ كما تَوقَّعَتِ الوُجُوهُ النَّاضِرَةُ أَنْ يُفعلَ بها كُلُّ خَيْرٍ.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن إيثَارِ الدُّنْيا على الآخِرة؛ كأنَّه قيل: ارْتدِعُوا عن ذلك وتَنبَّهُوا

قوله: (والبحر دونَك) أي: أقلُّ منك في الجُود،[1] والمعنى: إذا رجوتُ عطاءَك وأنتَ ملِك، والحالُ أنّ البحر أقلُّ منك في الجُود؛ زدَّتني نِعَمًا، هذه تسمَّى "مِن" التجريديَّة، وتحقيقُه أنّه بيانُ الكاف في "إليك".

قوله: (سَرَوِيَّةً)[2] هي بلادٌ مِن بلادِ العربِ تسمّى "سَرَواتٍ"، والسَّرْوُ محله حِمْيَر، وقوله: (مسْتجدِيَةً) أي: سائلةً، يقال: جَدَوتُهُ واجتَدَيتُهُ واستَجديتُهُ، أي: سألتُ جَدواه، قال:

جِئنا نُحَيِّيكَ ونَستَجدِيكا ... مِن نائلِ اللهِ الذي يُعطيكا[3]

والجادي: السائل، وأجداه أي: أعطاه.

قوله: (والمعنى) أي: معنى الآية.

قوله: (عن إيثار الدنيا على[4] الآخِرة) المشار إليه بقوله: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ﴾... إلخ،

---

[1] ن: الجرد.

[2] ن: سورية.

[3] البيت لأبي النجم في الصحاح للجوهري، «جدى».

[4] ن: عن.

على ما بَينَ أيْدِيكُم من الموت الَّذِي عِندَه تَنقطِعُ العَاجلَةُ عنكم وتَنْتَقلُونَ إلى الآجِلَةِ التي تَبْقَونَ فيها مُخَلَّدِينَ.

والضميرُ في ﴿بَلَغَتِ﴾ للنَّفسِ وإن لم يَجْرِ لهَا ذِكْرٌ؛ لأنَّ الكلام الَّذي وقعَتْ فيه يَدُلُّ عليها؛ كما قال حاتمٌ:

أمَاوِيَّ ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عن الفَتَى إذا حَشْرَجتْ يَوْمًا وضاقَ بها الصَّدْرُ

وتقُولُ العرَبُ: "أرْسَلَتْ" يُرِيدُونَ: جَاء المَطرُ، ولا تَكاد تسمعُهم يَذكُرون السَّماء.

"التراقي": العِظامُ المُكْتَنِفَةُ لِثُغْرةِ النَّحْر عن يَمينٍ وشِمالٍ، ذكَّرهم صُعوبَةَ المَوْتِ الَّذي هُو أوَّلُ مَراحِلِ الآخِرة حينَ تَبْلُغ الرُّوحُ التَّراقِيَ ودَنا زُهُوقُها، وقال حَاضِرُو صَاحِبِها -وهو المُحْتَضَرُ- بَعْضُهم لبَعْضٍ: ....

فقوله: ﴿وُجُوهٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَاقِرَةٌ﴾ جملة معترضة لبيان أنّه ينبغي أن لا يختار الدنيا على الآخرة.

قوله: (وقَعَتْ) أي: وقعت لفظة ﴿بَلَغَتِ﴾.

قوله: (عليها) أي: على النفس.

قوله:

(أمَاوِيَّ ما يُغني الثَّراءُ)... البيتَ[1]

الثَّراء: كَثرةُ المَال، كأنّ ماويّةَ كانت تمنَعُه عن الجود المؤدِّي إلى قلَّة المال، وتدعوه إلى البُخل المُفضِي[2] إلى كَثرة المنال،[3] فردَعَها عن ذلك. الحَشرجَةُ: الغَرغَرةُ عند المَوت وتردُّدُ النفْس، هي ماويّة بنت عفزَر،[4] كانت ملكةً، وهي تحت حاتمٍ، والهمزة للنداء.

قوله: (أرسلَتْ) أي: أرسلَتِ[5] السماء المطرَ.

---

[1] ديوان حاتم الطائي، ص ٢١٠.
[2] ن: المقتضي.
[3] ن: المال.
[4] ن - عند الموت وتردُّدُ النفْس، هي ماويّة بنت عفزَر.
[5] ن - أي: أرسلت.

﴿مَنۡۜ رَاقٍ﴾ أيُّكم يَرْقِيه ممَّا بهِ؟

وقيل: هو مِن كلام ملائكة الموت: أيُّكُمْ يَرْقَى برُوحهِ: مَلائكةُ الرَّحْمةِ أَمْ مَلائكةُ العذابِ؟

﴿وَظَنَّ﴾ المُحتَضَرُ ﴿أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾: أَنَّ هذا الَّذي نزَل بهِ هُو فِراقُ الدُّنيَا المحْبُوبَةِ.

﴿وَٱلۡتَفَّتِ﴾ ساقُهُ بسَاقِهِ والتوَتْ علَيْها عند عَلَزِ المَوْتِ.

وعن قتادة: ماتَتْ رِجْلاهُ فلا تَحْمِلانهِ وقد كان علَيْهمَا جَوَّالًا.

وقيل: شِدَّةُ فِراق الدُّنيا بشِدَّة إِقْبال الآخِرة، على أَنَّ السَّاقَ مَثَلٌ في الشِّدَّة.

وعن سعيد بن المُسيِّب: هما سَاقَاه حِينَ تُلَفَّانِ في أكْفانِه.

﴿ٱلۡمَسَاقُ﴾؛ أي: يُسَاقُ إلى الله وإلَى حُكْمِه.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣﴾

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ يَعْني: الإنسانَ في قَوله: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة ٣/٧٥]، ألا تَرى إلى قَوله: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ [القيامة ٣٦/٧٥]، وهو مَعْطُوفٌ على ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة ٦/٧٥]؛ أي: لا يُؤْمِنُ بالبَعْث ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ بالرَّسُول والقُرآن ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾.

قوله: (يَرقِيه ممَّا به) يعني: يجوز أن يكونَ مِن الرُّقية المعروفة، يقول: رَقَاني رُقيَةً.

قوله: (وقيل) أي: ويجوز أن يكون بمعنى رَقِيَ؛ بمعنى صعِد.

قوله: (عَلَزِ) العلَزُ: قلقٌ[1] وخِفَّةٌ وهلَعٌ يصيبُ الإنسانَ، أي: قَلَقُ[2] الموتِ واضطرابُه عنده.

قوله: (ألَا يُرَى[3] إلى قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ﴾) فإنّ ظهورَ "الإنسان" هنا دلّ على أنّ المُضمرَ في قوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ ضمير "الإنسان". ثمّ اعلم أنّ قوله:

---

[1] ن: فات.

[2] ن: فات.

[3] ف ن: ترى.

ويجوز أَنْ يُراد: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ مالَه، بمَعْنَى: فلَا زَكَّاه.

﴿أَيَحْسَبُ﴾ بدل مِن قوله: ﴿أَيَحْسَبُ﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ إشارةٌ إلى القدرة، كما أنّ قوله: ﴿بَلَىٰ / قَٰدِرِينَ﴾ إشارةٌ إليها، وقوله: ﴿يَسْـَٔلُ﴾ حالٌ مِن ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾، [٤٤١ظ] وقوله: ﴿أَلَيْسَ﴾ كالنتيجة ممّا ذكر، فكأنّه قيل: قد ثبت أنّه قادرٌ، فلا وجهَ لإنكارِه وحِسبانِه أنّه غير قادر على جَمع عظامه، ولو تأمَّلتَ في تمام السورة وجدتَّها مرتبطًا بعضُها ببعضٍ ارتباطًا لطيفًا دقيقًا معجزًا للبشر.[١]

قوله: (ويجوز أن يُراد: فلا صدَّق مالَه) اعلم أنّ في كَون ﴿صَدَّقَ﴾ بهذا المعنى نظرًا، فإنّ معطيَ الزكاة هو المتصدِّق، وأما المصَدِّق فهو الآخِذ للصدقة، قال في الصحاح: «المُصَدِّق:[٢] الذي يُصدِّقك في حديثِك، والذي يأخذ صدقاتِ الغنَم، والمُتصدِّق: الذي يعطي الصدقة، ومررتُ برجلٍ يسأل، ولا[٣] تقل: يتصدَّق، والعامّة تقولُه، إنّما[٤] المتصدِّق الذي يعطي».[٥] وقال صاحب المُجمَل فيه: «وأمّا "المتصدِّق" فخبَّرنا أبو الحسن القطّان فيما قرأتُ عليه، قال حدَّثنا أبو بكر المفسِّر عن القُتَيبيِّ قال: وممّا يضعُه[٦] الناس غير مَوضعه قولهم: هو يتصدَّق؛ إذا سأَل، وذلك غَلَطٌ إنّما المتصدِّق المُعطي، قال الله تعالى في قصّة مَن قال: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ [يوسف ١٢/٨٨]، فهذا قولُ ابنِ قتيبة، وقال الخليلُ: المُطعِم متصدِّقٌ، والسّائلُ متصدِّقٌ،[٧] وهما سَواءٌ، فأمّا الذي في القرآن فهو المُعطي، والمصدِّق:[٨] الذي يأخذ صدقات الغَنم»،[٩] هذا هو المذكور في الكتابين، وأنا أقول: فقد اتّفقا على أنّ المُصدِّق هو آخذ الصدقة لا معطيها، لكن قياس مَن قال: قد يكون المتصدِّق بمعنى الآخذ أن يكون المصدِّق بمعنى المُعطي، فلذا قال: (ويجوز)... إلخ، والله أعلم.

---

[١] ف: لبشر.
[٢] د – المصدّق.
[٣] ن: فلا.
[٤] ن: وإنّما.
[٥] الصحاح للجوهري، «صدق».
[٦] ن: يصنعه.
[٧] ن: يتصدق.
[٨] ن: والمتصدق.
[٩] مجمل اللغة لابن فارس، «صدق».

وقيل: نزلَتْ في أبي جهل.

﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾: يتبخْتَرُ، وأَصْلُه: يتَمطَّطُ؛ أي: يتَمَدَّدُ لِأنَّ المُتَبخترَ يمُدُّ خُطَاهُ.

وقيل: هو من المَطَا -وهوَ الظَّهْرُ- لأنَّهُ يُلَوِّيهِ.

وفي الحديث: «إذا مَشَتْ أُمَّتِي المُطَيْطَاء، وخَدَمتْهُم فارِسُ والرُّومُ، فقد جُعِلَ بأْسُهم بيْنَهُم».

يَعْني: كذَّبَ برَسُول الله، وتوَلَّى عنه وأَعْرَض، ثمَّ ذهَب إلَى قوْمِه يَتبَخْتَرُ افتِخارًا بذلك.

﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ۝٣٥﴾

﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾ بمعنى: وَيْلٌ لك، وهُو دُعَاءٌ عليه بأنْ يَلِيَهُ ما يَكْرَهُ.

قوله: (وفي الحديث: «إذا مَشَتْ»)[١] هذا الحديث مِن دلائل نبوَّتِه عليه الصلاة والسلام؛ لأنّه عليه الصلاة والسلام أخبر عن الغيب ووافقَ الواقعَ، فإنّهم لمّا فتحوا بلادَ فارس والروم وأخذوا أموالَهم وسَبَوا أولادهم فاستخدموهم سلَّط الله قتلةَ عثمان[٢] عليه حتى قتلوه، ثمّ سلّط بني أميّة على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا.

قوله: (﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾ بمعنى: ويلٌ[٣] لك) هو أفعلُ مِن الوَلْي، وهو القُرْب، أي: وليَكَ ما تكره،[٤] قال في مجمل اللغة: «وأمّا قولُهم في الشَّتم: "أولَى له" فحدَّثني عليّ بن عمرَ قال: سمعتُ ثعلبًا يقول: "أولَى" تهدُّدٌ ووعيدٌ، وأنشد:

فأَوْلَى ثمّ أَوْلَى ثمّ أَوْلَى[٥] وهل للدَّرِّ يُحلَبُ مِن مَرَدِّ[٦]

قال الأصمعيُّ: قارَبَه ما يُهلِكُه، أي: نزل به، وأنشد:

فعادا بين هادِيَتَينِ مِنها وأَوْلَى أن يزيد على الثلاث

---

[١] سنن الترمذي، ٥٢٦/٤ (٢٢٦١).
[٢] ف: عثمن.
[٣] ن: ويك.
[٤] ن: فأنكره.
[٥] ن – ثم أولى.
[٦] ن: مدر.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَخَلَقَ﴾: فقَدَّرَ ﴿فَسَوَّىٰ﴾: فعَدَّل.

﴿مِنْهُ﴾: مِن الإنسان ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾: الصِّنفين.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الذي أنشأ هذا الإنشاءَ ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ على الإعادةِ.

ورُوي: أنَّ رَسُول الله كان إذا قرأهَا قال: «سُبْحانك بَلَى».

أي: قاربَ أن يزيدَ، قال ثعلبٌ: ولـم يقُل أحدٌ في "أَوْلَى" أحسنَ ممّا قاله الأصمَعيُّ، وقال غيره: "أولَى" تحسُّرٌ على ما فات».[1] وقال في الصحاح أيضًا مثلَه.[2] وأنا أقول: هو مِن الوَلْيِ بمعنى القُرْب، تقول: وَلِيَه، أي: قَرُبَ منه، والحاصل: أنّه جاء "أَوْلَى" بمعنى ولِيَ، لكن اختصَّ استعمالُه في التهدُّد والوعيدِ وأمثالِهما[3] مِن الشتم والتحسُّر.

قوله تعالى: ﴿مِن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾، المنيُّ: ماء الرجل، وهو مُشدَّد، والمَذْيُ
[٤٤٢و] / والوَدْي مخفَّفتان، وقد مَنَى الرجل وأمنَى بمعنًى، وقوله تعالى: ﴿مِن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ قرِئ بالتاء على النطفة، وبالياء على المَنيّ،[4] واستمنى، أي: استدعَى خروجَ المنيّ، قاله في الصحاح.[5] وقال في الوسيط: «﴿تُمْنَىٰ﴾ [النجم ٥٣/٤٦]، تُصبُّ في الرَّحم»،[6] قال في الكواشي: «تُراقُ في الرَّحم».

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾.

---

[1] مجمل اللغة لابن فارس، «ولي».
[2] الصحاح للجوهري، «ولي».
[3] ن: وأمثالها.
[4] اختلف القرّاء العشر في قوله تعالى: ﴿مِن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾، فقرأه بالياء على التذكير يعقوب وحفص، وهو أحد الوجهين عن هشام، وقرأه الباقون بالتاء على التأنيث. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٤.
[5] الصحاح للجوهري، «مني».
[6] التفسير الوسيط للواحدي، ٤/٢٠٤ (النجم، ٥٣/٤٦).

عن رسول الله عليه السَّلام: «من قَرأ سُورةَ القيامة شهِدْتُ له أنا وجبريل يوْمَ القيامة أنَّهُ كان مُؤمِنًا بيَوْم القيامةِ».

قال الواحدي في التفسير الوسيط: «﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ فخلق مِن مائه أولادًا ذكورًا وإناثًا»،[١] والله أعلم.

تمَّت السورة بحَمد الله تعالى[٢] ومنّه وكرمِه.[٣]

---

[١] التفسير الوسيط للواحدي، ٣٩٦/٤ (القيامة، ٣٩/٧٥).

[٢] د ف – تعالى.

[٣] ف – تمت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن – ومنّه وكرمه.

سورة هل أتى

مكيةٌ، وهي إحدى وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾

﴿هَلْ﴾ بمَعنى: "قد" في الاستفهام خاصَّةً، والأَصْلُ: أَهَلْ، بدَليلِ قَولِهِ:

أَهَــلْ رَأَونـــا بسَفـحِ القَـاعِ ذِي الأَكَـمِ

سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (في الاستفهام) متعلِّق بمحذوف، أي: يُستعمل أو يقع في الاستفهام، ولا يجوز أن يتعلَّق بقوله: (بمعنى "قد") لفساد المَعنى، إذ يَئول المعنى إلى أنّه في غير الاستفهام لا يكون بمعنى "قد"؛ بل يكون بمعنًى آخر، وليس كذلك؛[2] لأنّه مختَصٌّ بالاستِفهام، وقوله: (خاصَّةً) حالٌ مِن المستَتِر في العامل المحذوف، أي: يُستعمَل في الاستفهام حالَ كونِها مختصَّةً بالاستِفهام.

قوله: (أَهَلْ رَأَوْنا)...[3] البيتَ، أوّلُه:

ســائِــلْ فـــوارِسَ يَــربُــوعٍ بِـشَـدَّتِـنـا[4]

"يَربُوع" أبو[5] حيّ[6] مِن تمِيم، "بشَدَّتِنا" بفتح الشين، وهي الحَمْلة، ويُروَى

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ن: لذلك.

[3] ن: دلونا.

[4] البيت لزيد الخَيل الطائي في ديوانه، ص ١٥٥.

[5] ن: أو.

[6] ن: بوحي.

فالمَعنى: أقَد أَتَى؟ عَلى التَّقريرِ والتَّقرِيب جميعًا؛ أي: ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ قبْلَ زمانٍ قريبٍ ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾؛ أي: كان شَيئًا مَنْسِيًّا غيرَ مذْكُورٍ: نُطفةً في الأَصْلابِ، والمرادُ بالإنسان: جِنسُ بني آدمَ، بدليلِ قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾: طائفةٌ من الزَّمن الطَّويل المُمْتَدِّ.

فإن قلتَ: ما محَلُّ ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾؟

قلتُ: محلُّه النَّصْبُ على الحال من ﴿ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ كأنَّه قيل: هل أَتى عَليه حِينٌ من الدَّهْرِ غيرَ مَذكُورٍ، أو الرَّفعُ على الوَصْفِ لـ﴿حِينٌ﴾ كقَوله: ﴿يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان ٣١/٣٣].

وعن بعْضِهم: أنَّها تُلِيَتْ عِندَه فقال: ليْتَها تمَّت، أرادَ: ليْتَ تِلك الحالةَ تَمَّت، وهي كَوْنُه شيئًا غيرَ مذْكُور ولم يُخْلَقْ ولم يُكلَّفْ.

بكسر الشين، وهي القُوَّة، وسَفْح الجبل: أسفلُه، والقاعُ: المُستوِي مِن الأرض، والأكَمَة: تَلٌّ.

قولـه: (على التقدِير والتقريب) أمّا "التقدير"[١] فمِن همزة الاستفهام، وأمّا "التقريب" فمِن "قد".

قوله: (نُطفةً) إشارةٌ إلى أنّ المرادَ بالشيء المَنْسِيّ الغَيرِ[٢] المَذكُور هو النُّطفة؛ وذلك لأنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ كالبيان للجملة المتقدِّمة يدلُّ على أنّ المراد بالشيءِ النُّطفةُ، ولكونه بيانًا وتقريرًا لم يُعطَف.

قوله: (أو الرفع) وإذا كان محلُّه رفعًا على الوصف كان العائدُ محذوفًا، والتقدير: لم يكن فيه، أي: في ذلك الحين، ولذلك[٣] شبَّهه بقوله: ﴿يَوْمًا لَّا يَجْزِى﴾ [لقمان ٣١/٣٣]، فإنّ تقديره: لا يَجزِي فيه.

قوله: (ولم يُخْلَق)[٤] عطفٌ على قوله: (شيئًا).

---

١ ف: التقرير.
٢ ن: والغير.
٣ ن: كذلك.
٤ ن: يلحق.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾

﴿نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ كبُرمةٍ أَعْشارٍ، وبُرْدٍ أَكْياشٍ، وَهي ألفاظٌ مُفرَدةٌ غيرُ جمُوعٍ، ولذَلك وقعَتْ صفاتٍ للأفراد، ويقال أيضًا: نُطْفةٌ مَشَجٌ، قال الشَّمَّاخُ:

طَوَتْ أَحْشاءَ مَرْتِجَةٍ لِوَقتٍ   على مَشَجٍ سُلالَتُه مَهينِ

ولا يَصِحُّ "أمشَاجٌ" أَنْ يكُون تكسِيرًا لهُ، بل هُمَا مِثْلانِ في الإفرادِ؛ لِوَصْف المفرَدِ بهما، ومَشَجَهُ ومَزَجَه بمعنًى، والمَعنى: مِن نُطفةٍ قد امتزَج فيها المَاءان.

قوله: (كَبُرمَةٍ أعشارٍ) بُرْمَةٌ[١] أعشارٌ؛ إذا انكسرت قِطَعًا، والأكياشُ: ثوبٌ يُغزَل غَزْلُه مرّتين، يقال: "عليك بالثوب الأكياشِ، فإنّه[٢] مِن ثياب الأكياسِ".[٣]

قوله:

(طَوَتْ[٤] أحشَاء)... البيتَ[٥]

"طَوَتْ"[٦] مِن الطيّ. يقال: أَرْتَجَتِ النّاقةُ؛ إذا أُغلِقَت[٧] رحِمُها على الماء، ويقال: أَرتَجَ البابَ؛ أغلقَه إغلاقًا وثيقًا، وفي الحديث: «إنّ أبوابَ السماء تُفتح فلا تُرتَج»،[٨] أي: فلا تُطبَق ولا تُغلَق. والمَشج: المُختلِط حمرةٌ في بياضٍ، وهو شِبه ماء الرجل في بياضِه وماءِ المرأةِ في رِقّتِه واصفرارِه. والسُّلالةُ: ما ينسَلُّ مِن بين الأصابع مِن الطين، ومِن النُّطفة: ما يَنسَلُّ ويندَفِقُ. و"مَهينٌ" حقيرٌ؛ يصِف أنثى قبلت ماءَ الفحل وحَمَلَتْ منه، وسلالتُه فاعلُ[٩] "طوتْ"،[١٠] وضميرُه[١١] يعودُ إلى البعير، ويجوز في تاء "مُرتِجَة" / الكسر والفتح؛ فإن كُسِر فالمعنى: [٤٤٢ظ]
ناقة مُرتِجَة رَحمَها، حُذِف المفعولُ لدلالة الكلام عليه، وإن فُتِح فعلى حَذف المضاف، والأصل: مُرْتَجٍ رحمُها، حُذِف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه،

---

١ البُرْمَةُ: قِدْر مِن حجارة، والجمع: بُرَمٌ وبِرامٌ وبُرْمٌ. لسان العرب لابن منظور، «برم».
٢ ن: فيانه.
٣ ف ن: الأكياش.
٤ ن: طرت.
٥ ديوان الشمّاخ بن ضرار، ص ٣٢٨.
٦ ن: طرت.
٧ ن: علقت.
٨ مسند الإمام أحمد ٥٤٨/٣٨: أخرجه عن أبي أيّوب الأنصاري، بلفظ: «إنّ أبواب السماء تُفتح إذا زالتِ الشمس، فلا تُرتَجُ حتى يُصَلّى الظهر».
٩ ن: على.
١٠ ن: طرق.
١١ ن – ضميره.

وعن ابن مسْعودٍ: هي عروقُ النُّطفة.

وعن قتادة: ﴿أَمْشَاجٍ﴾: أَلْوانٍ وأَطْوارٍ، يُرِيدُ: أَنَّها تكونُ نطفةً ثمَّ علَقةً ثمَّ مُضغةً.

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ في مَوضع الحال؛ أي: خلَقْناه مُبتَلينَ له بمَعنى: مُرِيدِينَ ابتِلاءَه؛ كقولك: "مَررتُ برَجُلٍ معه صَقْرٌ صائدًا بهِ غدًا" تريد: قاصِدًا به الصَّيْدَ غدًا.

واللام في "لوَقت" للتاريخ، كما في قولك: كُتِبَ لخمسٍ مضَت مِن الشهر، ويريد به وقتَ الحَمْل، والتقدير: طَوَت[١] سُلالة البَعير أحشاءَ ناقةٍ مرتِجَة في وقتِ حَملِها على مِشج مَهين. وقوله: "على مِشْج" يجوز أن يتعلَّق بقوله: "طوَت"[٢] أو بقوله: "مُرتِجة".

قوله: (وعن ابن مَسعود رضي الله عنهما)[٣] وعلى تفسير ابن مسعود لا بُدَّ من تقدير حذف المُضاف، أي: ذاتِ أمشاجٍ، وكذا على تفسيرِ قتادة.

قوله: (عُروق)[٤] أي: عروق العلق تبدُو[٥] في النُّطفة.

قوله: (صائدًا) حالٌ[٦] مِن "رجلٍ" وإن كانَ نكِرةً؛ لأنّه بسببِ الصفة[٧] قرُب مِن المعرفة فجاز تأخيرُ الحال عنه، أو نقول: هو حالٌ مِن الضمير البارز المجرور في[٨] "معه"؛ لأنّه في المعنى مفعولٌ، أي: حاصلٌ معه ثابتٌ معه، ولا يجوز أن يكون حالًا مِن الضمير المستَتر في "معه" بناءً على أنّ "صقرٌ"[٩] مبتدأ، "معه" خبره؛ لوجهين: الأوّل:[١٠] أنّ قولَه: "معه" لمَا اعتَمَد على مَوصوفه قَوِيَ فعمِلَ في "صقر"[١١] عمَلَ الفِعل فلا مستَتِر. والثاني: لو كان حالًا مِن الضمير المستَتِر العائدِ إلى "صقر"[١٢] لكان جاريًا على غير مَن هي له، فكان[١٣] يلزم إبرازُ الضمير وأن يقال: صائدًا هو به.

---

١ ن: يرطوت.
٢ ن: طرت.
٣ د – رضي الله عنهما.
٤ ف: وعروق.
٥ ن: تبدوا.
٦ ن – قوله: (صائدًا) حالٌ.
٧ ن – الصفة.
٨ ن – في.
٩ ن: صفة.
١٠ ن: أحدهما.
١١ ن: صفة.
١٢ ن: صفة.
١٣ ن: لكان.

ويجوز أَنْ يُراد: ناقِلينَ له من حالٍ إلى حالٍ، فسَمَّى ذلك ابتِلاءً على طَريقِ الاستعارة.

وعن ابن عباس: نُصَرِّفُه في بَطْنِ أُمِّه نُطْفَةً ثمَّ علقةً.

وقيل: هو في تقدير التَّأخِير؛ يَعْني: فجعَلناه سَميعًا بصيرًا لِنَبْتَلِيَهُ. وهُو من التَّعسُّفِ.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾

﴿شَاكِرًا﴾ و﴿كَفُورًا﴾ حالانِ من الهاء في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾؛ أي: مَكَّنَّاه وأَقْدَرْناه في حالتَيْه جميعًا، أو: دَعوْناه إلى الإسْلام بأدِلَّة العقل والسمع كان مَعْلُومًا مِنه أنَّه يُؤمِنُ أو يَكفُرُ لإلزام الحُجَّة.

ويجوز أن يكونا حَالين من ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾؛ أي: عرَّفناه السَّبيلَ إمَّا سَبيلًا شَاكِرًا وإما سَبيلًا كَفُورًا؛ كقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد ٩٠/١٠] ووصْفُ السَّبيل بالشُّكر والكُفْرِ مَجازٌ.

قوله: (فسمَّى ذلك ابتلاءً) شَبَّه النقلَ مِن حالٍ إلى حالٍ بفِعل مَن يفعل أفعالًا مختلِفَة للابتِلاء.

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما)[١] تفسيرُ ابنِ عبّاسٍ يدلُّ على أنّه بمعنى النقل. وقوله: (نُصرِّفه) أي: نجعلُه نطفةً مُصرِّفين.

قوله: (وقيل: هو في تَقديرِ التأخير) قال الواحدي في الوَسِيط: «قال الفرّاءُ: المعنى: جعلْنَاه سَميعًا بَصيرًا لِنبتَليَه، ذَكَر أنّه أعطاه ما يصِحّ معه الابتلاءُ، وهو السمع والبصر»،[٢] وعلى هذا يكون فيه قلبٌ وكثرةُ حذفٍ؛ لأنّ الأصل: لِأنْ نَبتلِيَه، حُذِف حرفُ الجر بقي: أنْ نبتلِيَه، ثمّ[٣] حُذِف "أنْ" ورُفِع الفعلُ المضارع، فلِلُزومِ القَلْبِ وكَثرةِ الحَذفِ قال المصنِّف: (هو مِن التعسُّف).

قوله: (في حالَتَيه) أي: في حالَتَيِ الشكر والكُفران هو مُتمكِّن قادرٌ.

---

[١] د - رضي الله عنهما.

[٢] التفسير الوسيط للواحدي، ٣٩٨/٤ (الإنسان، ٢/٧٦).

[٣] ن - حذف؛ لأنّ الأصل: لأنْ نبتلِيَه، حذف حرف الجر بقي: أنْ نبتلِيَه، ثم.

وقرأ أبو السَّمَّال بفتح الهمزة في "أَمَّا" وهي قِراءةٌ حَسنةٌ، والمَعْنى: أَمَّا شاكِرًا فبِتوفيقِنَا، وأَمَّا كَفُورًا فَبِسُوء اختيارِه.

ولمَّا ذكَر الفريقَيْنِ أَتبعَهما الوَعيدَ والوعْدَ.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾

وقرئ: ﴿سلاسل﴾ غيرَ مُنَوَّنٍ، و: ﴿سَلَٰسِلَا۟﴾ بالتَّنوين، وفيه وجْهانِ:

أَحَدُهما: أن تكون هذه النُّونُ بَدلًا من حَرْفِ الإطلاقِ ويُجْرَى الوَصْلُ مُجْرَى الوقف.

والثاني: أن يكون صاحِبُ القراءةِ به ممَّن ضَرِيَ برواية الشِّعرِ ومَرَنَ لسَانُه على صَرْفِ غيرِ المنصَرِف.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾

﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾: جَمْعُ بَرٍّ أو بارٍّ؛ كرَبٍّ وأَرْبابٍ، وشاهِدٍ وأَشهَادٍ.

قوله: (والمعنى: أمّا شاكِرًا فبتَوفيقنا) وأصل هذا التركيب: مَهما يكن مِن شَيء فصار شاكرًا بتَوفِيقنا،[1] ثمّ حُذِف الفعلُ وقُدِّم قوله: ﴿شَاكِرًا﴾ على الفاء، ثمّ حُذِف قوله: "بتَوفيقنا"؛ لدلالة قولِه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ﴾ عليه.

قوله: (ويُجرَى[2] الوَصلُ مُجرَى الوَقف) أي: أُجرِيَ الوصلُ مُجرَى الوقفِ فزيد ألفُ الإطلاق ثمّ أبدل منه التنوين.[3]

قوله: (والثاني: أن يكون) هذا الوجه الثاني ضعيفٌ؛ لأنّ رواةَ ذلك بلغوا حدَّ التواتر، وهم ينقلون ممَّن رَوَوا تواترًا،[4] وإنّما نقلوا كما سمِعوا وكما هو منزَلٌ، فالوجه هو المذكور أوّلًا، وإنّه صُرِف للتناسُب، ويمكن أن يقال: لمّا تَقرَّر

---

[1] ن – وأصل هذا التركيب: مهما يكن مِن شيء فصار شاكرًا بتوفيقنا.

[2] ن: يجري.

[3] ن: التونين.

[4] ن: تونرًا.

وعن الحسن: هُم الَّذين لا يُؤذُون الذَّرَّ.

والكأسُ: الزُّجاجَة إذا كانَتْ فيها خمرٌ، وتسمَّى الخَمرُ نفسُها: كأسًا.

﴿مِزَاجُهَا﴾: ما تُمْزجُ بهِ ﴿كَافُورًا﴾: ماءَ كافورٍ، وهو اسمُ عينٍ في الجنَّةِ مَاؤُها في بيَاضِ الكافور ورائحتِهِ وبَرْدِه، و﴿عَيْنًا﴾ بدَلٌ مِنه.

وعن قتادة: تُمزَجُ لهم بالكافور وتُختَمُ لهُم بالمِسْك.

وقيل: تُخلَقُ فيها رائحةُ الكافُورِ وبيَاضُه وبَرْدُهُ فكَأنَّها مُزِجَتْ بالكافور.

و﴿عَيْنًا﴾ على هذِينِ القوْلَيْنِ بدَلٌ من محلِّ ﴿مِن كَأْسٍ﴾ على تقديرِ حَذفِ مُضافٍ؛ كأنَّه قيل: يَشربُون خَمرًا خَمْرَ عينٍ، أو نَصْبٌ على الاختصاص.

فإن قلتَ: لِم وُصِلَ فعْلُ الشُّرْبِ بحرف الابتداءِ أوَّلًا وبحرف الإِلْصَاق آخِرًا؟

أنّ القراءاتِ السبعَ مُتواترةٌ فيما ليس مِن قَبيل الأداءِ / كالمَدِّ والإمالةِ وتَخفيف [٤٤٣و] الهمز، وأمّا ما هو مِن قَبيلِ الأداءِ فليس بمُتواتِرٍ،[١] فيجُوزُ وقوع الزيادة والنقصان فيه،[٢] لا جرَم المصنِّف ذكَر الوجهَ الثاني، فيندفعُ الاعتراض المذكور عنه.

قوله: (**وتُسمَّى**[٣] **الخمرُ نفسُها كأسًا**) وهذا هو المُراد في الآية.

قوله: (**وعن قتادة**) الكافورُ على قول قتادة: هو مِن الطيب، وكذا على القَول الآخر.

قوله: (**بدل مِن محلٍّ**) إذ لا يمكن أن يكون بدلًا مِن ﴿كَافُورًا﴾.

قوله: (**كأنّه قيل: يشربون خمرًا**) لمَا مرَّ مِن أنّ الخمر تسمّى كأسًا.

قوله: (**بحرف الابتداء**) أي: في ﴿مِن[٤] كَأْس﴾، وقوله: (**وبحرف الإلصاق**) أي: في ﴿بِهَا﴾.

---

[١] ن: متواتر.

[٢] ظاهر كلام الجاربردي هنا يوهم أنّ أصول القراءة كالمدّ والإمالة وتخفيف الهمز ليس بمُتواتر، وقد ذهَب إلى ذلك بعض الأصوليّين منهم ابن الحاجب، وقد ردَّ الحافظ ابن الجزري هذا الوهم وبيّن ما فيه مِن فساد. انظر: منجد المقرئين لابن الجزري، ص ٧٢.

[٣] ن: يسمى.

[٤] ن – من.

قلتُ: لأنَّ الكأسَ مُبتَدأُ شُرْبِهم وأوّلُ غايتِه، وأمَّا العَيْنُ فَبِهَا يَمزُجُونَ شرابَهُم، فكأنَّ المَعنى: يَشربُ عبادُ الله بها الخمرَ؛ كما تقول: شَرِبْتُ الماءَ بالعَسل.

﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾: يُجْرُونهَا حيثُ شَاؤوا من منازِلهم ﴿تَفْجِيرًا﴾ سَهْلًا لا يَمتنِعُ عليْهم.

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرًا ۝٧﴾

﴿يُوفُونَ﴾ جوابُ مَن عسَى يَقُولُ: ما لهُم يُرْزَقُون ذلك؟ والوفاءُ بالنَّذْرِ مُبالغةٌ في وَصْفِهم بالتَّوفُّرِ على أدَاء الواجباتِ؛ لأن مَن وَفى بما أوجَبَهُ هو على نفسِه لوجْهِ الله كان بما أَوْجَبَه الله عليه أَوْفَى.

﴿مُسْتَطِيرًا﴾: فاشِيًا مُنْتَشِرًا بالغًا أَقْصى المَبَالِغِ، مِن استطَارَ الحريقُ واستَطار الفَجْرُ،

قوله: (قلت: لأنّ الكأس) واعلم أنّ هذا الجوابَ إنّما يستقيم على الوجه الأوّل في تفسير ﴿كَافُورًا﴾، والمصنِّف قد يذكر وجوهًا في هذا الكتاب، ثمّ يبني الكلام على الوجه الأوّل مِن الوجوه المذكورة، وله في هذا الكتاب نظائر، وأمّا على[1] الوجهين الأخيرين[2] فيقول: الباء زائدة، وتقديره: ويشربون خَمرًا خَمرَ[3] عينٍ يشربها -أي: يشرب خمرَها- عبادُ الله، أو الباء[4] بمعنى "مِن"، أو ضُمِّن ﴿يَشْرَبُ﴾ معنى[5] "يلتذُّ"، أي: يلتذُّ بها عباد الله شاربين، ويؤيِّد[6] كون الباء بمعنى "مِن" قولُ المصنِّف في سورة عمَّ: «قرأ عِكرمة: "وَأَنزَلنَا بِالمُعصِرَاتِ"...؛ لأنّه إذا كان الإنزال منها فهو بها، كما تقول: أعطى مِن يده درهمًا، وأعطى بيدِه».

قوله: (وأوّل غايته) كما يقولون: ابتداء الغاية، فعلى هذا يكون المراد بالغاية جميع المسافة، لا الجزء الأخير، وقد مرَّ بيان ذلك.

قوله: (الحَريق) قال في المُغرب: «الحريق: النار، وأمّا الحديث: «الحريق شهيدٌ»[7]

---

١ ن – على.
٢ ن: الاخرين.
٣ ن: وخمر.
٤ ن: التاء.
٥ ن: بمعنى.
٦ ن: يريد.
٧ لم أجده بهذا اللفظ، وفي سنن أبي داود، ٥/٢٧ (٣١١١)، من حديث جابر بن عتيك: «صاحِب الحَريقِ شهيد».

وهو مِن طار بمنْزِلَةِ استَنْفَرَ مِن نَفَر.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضميرُ للطَّعام؛ أي: معَ اشتِهائه والحاجةِ إليه، ونحوُه: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة ٢/١٧٧] ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران ٣/٩٢].

وعن الفُضَيل بن عِيَاضٍ: على حُبِّ الله.

﴿وَأَسِيرًا﴾ عنِ الحسن: كان رسول الله عليه السَّلام يُؤتَى بالأَسِيرِ فَيَدْفعُه إلى بعضِ المُسلمين فيقول: "أَحْسِنْ إليه"، فيكونُ عِنده اليومَينِ والثَّلاثَةَ فيُؤْثِرُه على نفسِه.

وعند عامَّة العلماء: يجُوز الإحسانُ إلى الكُفَّار في دارِ الإسْلام، ولا تُصْرفُ إلَيهم الواجِباتُ.

وعن قتادة: كان أَسيرَهُم يومئذٍ المُشْرِكُ، وأَخوك المُسلِمُ أحَقُّ أَن تُطْعِمَهُ.

وعن سعيد بن جُبَيْرٍ وعَطاءٍ: هو الأَسيرُ مِن أهْلِ القِبلة.

وعن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ: هو المَملوكُ والمَسجُونُ.

وسمَّى رسُولُ الله عليه السَّلام الغريمَ أَسيرًا فقال: «غَريمُك أَسيرُك فأَحْسِن إلى أَسيرك».

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ على إرادة القَول، ويجوز أن يكُونَ قولًا باللِّسان ....

فالمراد المُحرَق،[١] وإن[٢] لم أجدْه، ونظيره: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس ١/١٠] على أحد القولين، والحَرَقَى في جمعه مبنيٌّ عليه، كقتلى وجرحى في قتيل وجريحٍ».[٣]

قوله: (بمنزلة) أي: للمبالغة.

---

[١] ف: المُحرِق.
[٢] ن: فإن.
[٣] المُغرب للمطرِّزي، «حرق».

مَنْعًا لهم عن المُجازَاة بمِثْله أو بالشُّكْرِ؛ لأنَّ إحسَانَهمْ مَفعُولٌ لوَجْهِ الله فلا مَعنى لمُكافَأةِ الخَلْقِ.

وأن يَكُونَ قولُهم لهم لُطْفًا وتَفقِيهًا وتَنْبِيهًا على ما يَنبغِي أن يكُونَ عَلَيْه مَن أخْلصَ لله.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّها كانت تَبعَثُ بالصَّدَقةِ إلى أهْلِ بيْتٍ ثُمَّ تسْألُ الرسُولَ: ما قالُوا؟ فإذا ذكرُوا دُعاءً دعَتْ لَهُم بمِثْله ليَبْقَى ثوَابُ الصَّدقة لهَا خالِصًا عِند الله تعالى.

ويَجُوز أن يكونَ ذلك بيَانًا وكشفًا عن اعتِقادهم وصحَّةِ نيَّتِهم وإن لم يقُولُوا شيئًا.

وعن مُجاهِدٍ: أمَا إنَّهم ما تكلَّمُوا بهِ ولكنْ عَلِمَهُ اللهُ مِنْهم فأثْنَى عَليهم.

و"الشُّكورُ والكُفورُ" مصدَرانِ كالشُّكْرِ والكُفْرِ.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾

﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ يَحتمِل: إنَّ إحسَانَنا إليْكم للخَوفِ من شِدَّة ذلك اليَوم لا لإرادة مُكافَأتِكُم، و: إنَّا لا نُرِيد مِنكُم المُكافَأةَ لخَوفِ عِقاب الله على طلَب المُكافَأةِ بالصَّدَقةِ.

ووَصْفُ اليوم بالعَبُوس مجازٌ على طَرِيقين:

قوله: (منعًا لهم) والمراد[1] بالمنع عن أحدهما: هو المنع الكلّيّ؛ لأنّه في معنى السَّلْب مِن حيثُ إنّه نقيضُ جواز أحدِهما.

قوله: (وأن يكون) عطف على قوله: (منعًا) أي: يجوز أن يكون قولهم للعَطف[2] والتنبيه.

قوله: (ثمّ تسأل الرسول) أي: الذي أرسلته.

قوله: (بيانًا وكشفًا) أي: يبيّن الله اعتقادَهم.

---

[1] ن + وجريح. قوله: (بمنزلة).

[2] ف: للطف.

أَنْ يُوصَفَ بصفَةِ أَهْلِه من الأَشقياء كقَوْلِهم: نهَارُكَ صَائمٌ؛ روي أَنَّ الكافرَ يَعْبِسُ يَومئذٍ حَتَّى يَسيلَ مِن بَيْن عَينَيْهِ عَرَقٌ مثلُ القَطِرَانِ.

وأَن يُشبَّه في شِدَّته وضرَرِه بالأَسَدِ العَبُوسِ أو بالشُّجاعِ البَاسِل.

و"القَمْطَرِيرُ": الشَّديدُ العُبُوسِ الَّذي يَجمعُ ما بين عَيْنَيه.

قال الزَّجَّاج: يُقال: اقمَطرَّت النَّاقَةُ: إذا رَفعَتْ ذَنَبَها وجمَعتْ قُطْرَيْهَا وزَمَّتْ بأَنفِها.

فاشتقَّهُ من القُطْرِ وجعَلَ الميمَ مَزِيدةً، قال أَسَدُ بنُ ناعصَةَ:

واصْطَلَيتَ الحرُوبَ في كلِّ يَوْمٍ   باسِلِ الشَّرِّ قَمْطَرِيرِ الصَّباح

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾؛ أي: أَعطاهُم بدَلَ عُبُوسِ الفُجَّار وحُزْنهم نَضْرَةً في الوُجُوه وسُرُورًا في القُلوب، وهذا يدلُّ على أن اليومَ مَوْصُوفٌ بعُبُوسِ أَهْلِه.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾

﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾: بصَبْرِهم على الإيثارِ.

وعنِ ابن عبَّاسٍ: أَنَّ الحسَنَ والحسينَ رضي الله عنهما مَرِضَا، ....

قوله: (الباسل)[1] الباسل: الباسِر؛[2] بل هو أشدُّ مبالغةً، والبَسَلُ:[3] كريه[4] الوجه.

قوله: (زمَّتْ) أي: رفعت، يقال: أخذ الذِّئب سَخْلةً فذهب بها زامًّا[5] رأسَه، أي: رافعًا، ويقال: زمَّ بأنفِه،[6] أي: تكبَّر فهو زامٌّ.

قوله: (وهذا يدلُّ) لأنَّه ذكَر في مقابلة عُبُوس اليومِ نَضْرةَ هؤلاء وسرورَهم.

---

[1] ن: ثم الباسل.

[2] بَسَرَ يَبْسُرُ بَسْرًا وبُسُورًا: عَبَسَ. ووَجْهٌ بَسْرٌ: باسِرٌ، وصف بالمصدر. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة ٧٥/٢٤]. لسان العرب لابن منظور، «بسر».

[3] ن: السبل.

[4] ن: لريه.

[5] ن: رافًا.

[6] ن: ناقته.

فعَادَهما رسُول الله في ناسٍ مَعهُ، فقالُوا: يا أبَا الحَسن، لو نذَرْتَ على وَلدِكَ، فنَذرَ عَليٌّ وفاطِمةُ وفِضَّةُ جاريةٌ لَهُما إنْ بَرَأا ممَّا بهِمَا أن يَصُومُوا ثلاثة أيَّام، فشُفِيَا وما مَعهُم شيءٌ، فاستَقرضَ عَليٌّ من شَمعُونَ الخيْبَريِّ اليَهوديِّ ثلاثَ أَصْوُعٍ من شَعيرٍ، فطحَنت فاطمَةُ صَاعًا واختَبزَت خمسَةَ أَقراصٍ على عَدَدهم، فوَضَعُوهَا بين أيديهم ليُفطِرُوا، فوَقفَ عليهم سَائلٌ فقال: السَّلامُ عَليكم أهلَ بيْتِ محمَّد، مِسْكينٌ مِن مسَاكين المُسلمينَ، أطْعمُونِي أطعَمَكُم الله من مَوائدِ الجنَّة، فَآثَرُوهُ وبَاتُوا لم يَذُوقُوا إلَّا المَاء وأَصْبَحُوا صِيَامًا، فلمَّا أَمسَوا ووَضعُوا الطَّعامَ بين أيْدِيهم وقَفَ علَيْهم يَتيمٌ فآثرُوه، ووَقفَ عَليهِم أَسيرٌ في الثالثة ففَعلُوا مِثلَ ذلك، فلمَّا أَصْبحُوا أَخَذ عليٌّ رضي الله عنه بيَدِ الحَسن والحُسينِ وأَقبَلُوا إلى رسُولِ الله، فلمَّا أَبْصَرَهُم وهُمْ يَرْتَعِشُونَ كالفِراخِ مِن شدَّةِ الجُوعِ قال: «ما أَشَدَّ ما يَسُوءُنِي ما أَرى بكُم!» وقام فانْطلَقَ مَعَهُم فرأى فاطِمةَ في مِحْرابها قد التَصَقَ ظَهْرُهَا ببَطْنِها وغارَتْ عَيْنَاهَا، فسَاءَهُ ذلك، فنَزل جبريلُ وقال: خُذهَا يا محمَّدُ هَنَّأكَ اللهُ في أَهْلِ بَيْتِك، فأقرَأَهُ السُّورةَ.

قوله: (فقالوا) أي: قالوا لعليّ رضي الله عنه.

قوله: (يرتعِشون كالفِراخ) الرَّعَشُ بالتحريك: الرِّعدة، وقد رَعِشَ بالكسر وارتعَش، أي: ارتَعَد. والفَرْخ: ولد الطائر، والأنثى فَرْخةٌ.

قوله: (ما أشدَّ) "ما" للتعجُّب، و"ما" في "ما يسوءُني" مصدريَّة، وفي "ما أرى" بمعنى "الذي" فاعل "يسوء"،[١] وهو مِن ساءَه / نقيضِ سرَّه، أي: ما أشدَّ سُوء ما أراه بكم إيَّاي، أو "ما"[٢] في "ما يسوءُني"[٣] موصولة، وتمّ الكلام عنده، وقوله:[٤] "ما أرَى بكم" جملة مستأنَفة استفهاميَّة، فكأنّه قيل: ما أشدَّ الذي ما[٥] يسوءُني، أي: مِن حالِكم، ثمّ قال لتعظيم ما بهم: "ما أرَى بكم". [٤٤٣ظ]

قوله: (وغارتْ) يقال: غارتْ عينُه تغور غَورًا؛ دخَلَت في الرأس.

قوله: (وقال: خذها) الضمير للسورة.

---

١ ن: السوء.
٢ ن: و"ما".
٣ ن: يستوي.
٤ ن: قوله.
٥ ن: كما.

فإن قلتَ: ما مَعنى ذِكْرِ الحَرِيرِ معَ الجَنَّة؟

قلتُ: المَعْنَى: وجزَاهُم بصَبْرِهم على الإيثارِ وما يُؤدِّي إليه من الجُوعِ والعُرْيِ بُستانًا فيه مَأكَلٌ هَنِيٌّ وحَرِيرًا فيه مَلْبَسٌ بَهِيٌّ.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾

يَعْنِي: أَنَّ هَواءَها مُعْتدلٌ لا حَرُّ شَمْسٍ يُحمِي ولا شِدَّةُ بَرْدٍ تُؤْذِي، وفي الحديث: هَواءُ الجنَّة سَجْسَجٌ لا حَرٌّ ولا قُرٌّ.

وقيل: الزَّمهريرُ: القَمرُ، وعن ثعلبٍ: أنَّه في لُغَة طَيِّ، وأنشَدَ:

ولَـيْـلَـةٍ ظَـلامُـهـا قـد اعـتـكَـرْ قَـطَـعْـتُـهـا والـزَّمْـهـريـرُ مـا زَهَـرْ

قوله: (يُحمِي) حَمِيَ: اشتدّ حرُّه.[1]

قوله: («لا حَرٌّ ولا قُرٌّ») قوله عليه الصلاة والسلام: «لا حَرٌّ ولا قُرٌّ»،[2] تفسير "السَّجْسَج"،[3] قال في الصحاح: «يومٌ سَجْسَجٌ:[4] لا حَرٌّ مؤذٍ[5] ولا قُرٌّ».[6]

قوله تعالى: ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ الزَّمهَرير: البرد الشديد.

قوله:

(وليلـةٍ ظلامُهـا قـد اعْتَكَـر)...[7] البيـتَ[8]

أي: رُبَّ ليلةٍ شديدة الظلمة قطعتُها بالسُّرى، والحال أنّ القمر ما طلَع وما أضاء. يقال: عَكَرَ يَعكِر، أي: عَطَف، واعتَكَر الظلام: اختلط، كأنّه كرَّ بعضُه

---

[1] ن: أشد حرة.

[2] المصنَّف لابن أبي شيبة، ٣٠/٧ (٣٣٩٧٠)؛ الزهد لابن المبارك، ٥٣٤/١ (١٥٢٥): أخرجاه موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه، بلفظ: «الجنَّةُ سَجْسَجٌ، لا قُرٌّ فيها ولا حَرٌّ».

[3] ف: السجْجُ؛ ن: السحيح.

[4] ف: سَجْجٌ؛ ن: سحيح.

[5] ن: مزدي.

[6] الصحاح للجوهري، «سجج». والقُرُّ: البرد... يقال: قَرَّ يومُنا يَقِرُّ قُرَّةً، ويومٌ قَرٌّ بالفتح، أي: بارِدٌ، وليلةٌ قَرَّةٌ. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، «قرر».

[7] ن: اعبلر.

[8] الثعلبي في الكشف والبيان، ٢٢١/٢٨ (الإنسان، ١٣/٧٦)، عن ثعلب.

والمَعْنى: أَنَّ الجنَّة ضِيَاءٌ فلا يُحتاجُ فيها إلى شمسٍ وقمَرٍ.

فإن قلتَ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ عَلامَ عُطِفَتْ؟

قلتُ: على الجملة التي قبلَها، لأنَّها في مَوْضِع الحالِ من المَجزِيِّينَ وهذه حالٌ مِثْلُها عَنْهم لرُجُوع الضَّمير منها إلَيْهم في ﴿عَلَيْهِمْ﴾، إلَّا أنَّها اسمٌ مُفرَدٌ وتِلك جُمْلةٌ في حُكْمِ مُفْرَدٍ تَقْديرُه: غَيْرَ رَائِينَ فيهَا شَمْسًا ولا زَمْهَرِيرًا ودَانيةً عليهم ظِلَالُها، ودَخلت الواوُ للدَّلالَةِ على أنَّ الأمْرَينِ مُجتَمعانِ لَهُم؛ كأنَّه قيل: وجَزاهُمْ جنَّةً جامِعين فيها بين البُعْدِ عن الحَرِّ والقَرِّ ودُنوِّ الظِّلالِ عَليهم.

وقُرِئَ: "ودانِيةٌ" بالرَّفع على أنَّ ﴿ظِلَٰلُهَا﴾ مُبتَدأٌ و"دَانِيةٌ" خَبرٌ والجُملةُ في مَوضِع الحال، والمَعنى: لا يرَوْنَ فيها شمسًا ولا زَمهريرًا والحالُ أَنَّ ظِلَالهَا دانِيةٌ علَيْهم.

ويجوز أن تَجْعَلَ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ و﴿لَا يَرَوْنَ﴾ و﴿دانيةً﴾ كلَّها صِفاتٍ لـ﴿جَنَّةً﴾.

ويجُوز أن يكونَ ﴿وَدَانِيَةً﴾ معطوفةً على ﴿جَنَّةً﴾؛ أَي: وجنَّةً أُخْرَى دانِيةً عليهم ظِلالُها، على أَنَّهم وُعِدُوا جنَّتيْنِ كقَوْلِه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن ٤٦/٥٥] لأَنَّهم وُصِفُوا بالخَوف: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾.

على بعضٍ مِن بُطءِ انجِلائِه.[1] وزهرَت النار زهورًا: أضاءت، وأزهرتُها أنا.

قوله: (قلتُ: على الجملة الّتي قبلها) وهي ﴿لَا يَرَوْنَ﴾.[2]

قوله: (والمعنى)... إلخ، يشير بهذا الكلام إلى أنّه إذا قُرِئ: ﴿وَدَانِيَةً﴾ بالنصب يكون الحالُ مفردًا، فلا بدّ[3] أن يكون الواو فيه للعطف، فيكون عطفًا على الحال المتقدِّمة، وإذا قُرِئ: ﴿وَدَانِيَةٌ﴾ بالرفع يكون الجملة الاسميّة حالًا، فلا بدّ أن يكون الواو فيه للحال لا للعَطف، فيكون حالًا مِن الضمير في ﴿لَا يَرَوْنَ﴾.

قوله: (ويجوز أن يُجعل) وفي جَعْل ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ صفةً ضَعْفٌ؛[4] لأنّه جارٍ حينئذٍ على غير مَن هو له، فكان يجب إبرازُ الضمير بأن يقال: متّكئين هم فيها.[5]

---

[1] ن: نحلائه.

[2] ن – قوله: (قلت: على الجملة التي قبلها) وهي: ﴿لَا يَرَوْنَ﴾.

[3] ن: فلأنّه.

[4] ن: ضعيف.

[5] ن: ههنا.

فإن قلتَ: فعلامَ عُطف ﴿وَذُلِّلَتْ﴾؟

قلتُ: هي إذا رَفَعْتَ "ودانيةٌ" جُملةٌ فِعليَّةٌ معطُوفةٌ على جُمْلةٍ ابتِدائيَّةٍ، وإذا نصَبْتَها على الحالِ فهي حالٌ من ﴿دانيةً﴾؛ أي: تَدْنُو ظِلالُها عليهم في حالِ تذليلِ قُطُوفِها لهُم، أو مَعْطوفةٌ علَيها على: ودانيةً عليهم ظِلالُها، ومُذَلَّلَةً قُطُوفُها.

قوله: (حال مِن ﴿دَانِيَةً﴾) هذا الكلام يقتضي أنّه يقع الحال مِن الحال، فهو مِثل ما ذَكَر في سورة هود في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [هود ٦٤/١١]، حيث قال: «فإن قلت: بِمَ[1] يتعلّق ﴿لَكُمْ﴾؟ قلت:[2] بـ﴿ءَايَةً﴾ حالًا منها متقدِّمة؛ لأنّها لو تأخّرت لكانت صفة لها، فلمّا تقدّمت انتصبت على الحال»، وهذا[3] مُشكِل؛ لأنّ وقوع الحال ذا الحال لم يتبيّن في شيء مِن القواعد النحويّة، وكلام المصنّف ههنا يحتمل معنًى آخر؛ وهو أن يكون "مِن" في قوله: "مِن ﴿دَانِيَةً﴾" اتصاليّة، يريد: أنّه حال متّصلة بـ﴿دَانِيَةً﴾، بأن يكون حالًا مِن فاعلِها، وهو ظِلالها، أو مِن الضمير المجرور، فإنّ دُنوَّ ظِلالها يقتضي دُنوَّها، فتأمّل، وهذا هو المراد، يدلُّ عليه قوله: "أي: تدنو ظِلال الجنّة عليهم حالَ تَذليل[4] قُطوفِ[5] الجنّة"، فإنّه تصريح بأنّ المراد كونُه حالًا مِن ذلك الضمير المجرور، وإذا كان حالًا[6] يكون "قد" معها مقدَّرَةً. وقوله: (حالٌ) أي: مِن الضمير المضاف إليه في ﴿ظِلَٰلُهَا﴾.

قوله: ﴿ظِلَٰلُهَا﴾ أي: الجنّة، وقوله: ﴿قُطُوفُهَا﴾ أي: الجنّة.

قوله: (أو[7] معطوفةٌ) عطف على قوله: (حالٌ)، أي: أو هي معطوفة على ﴿دَانِيَةً﴾، وإذا[8] كانت معطوفةً على ﴿دَانِيَةً﴾ تكون حالًا من المَجْزِيّين، كما أنّ ﴿دَانِيَةً﴾ حالٌ من المَجزِيّين.

قوله: (على ﴿وَدَانِيَةً﴾)[9] أي: على معنى ﴿وَدَانِيَةً﴾.

---

[1] ن: ثم.
[2] ن – قلت.
[3] ن: هذا.
[4] في جميع الأصول الخطيّة: "بدليل"، والظاهر أنّه تصحيف لـ"تذليل"، فعبارة الكشّاف في المطبوع: "أي تدنو ظلالها عليهم في حالِ تذليل قطوفها".
[5] ن: فطرت.
[6] ف – من ذلك الضمير المجرور، وإذا كان حالًا.
[7] ن: أي.
[8] ن: وإذا.
[9] ن – تكون حالًا من المَجزِيّين، كما أنّ ﴿دَانِيَةً﴾ حالٌ من المَجزِيّين. قوله: (على ﴿وَدَانِيَةً﴾).

وإذا نصَبْتَ ﴿وَدَانِيَةً﴾ على الوصف فهيَ صفةٌ مِثلُها، ألَا ترَى أنَّك لو قلْتَ: "جنَّةٌ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها" كان صحيحًا.

وتَذْليلُ القُطُوفِ: أَن تُجْعَلَ ذُلَلًا لا تَمْتَنِعُ على قُطَّافِها كيف شَاؤُوا، أو تُجعَلَ ذليلةً لَهم خَاضِعَةً مُتقَاصِرةً، مِن قولهم: "حائطٌ ذَليلٌ" إذا كان قصيرًا.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿قَوَارِيرَا۠ ۞ قَوَارِيرَا۠﴾ قُرِئا غيرَ مُنوَّنينِ، وبتَنوينِ الأوَّلِ، وبتَنوينهمَا، وهذا التنوينُ بدَلٌ من أَلِفِ الإطلاقِ لأنَّه فاصِلَةٌ وفي الثاني لإتْبَاعِه الأوَّلَ ومَعنى ﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾: أَنَّها مخلوقةٌ من فِضَّةٍ وهي مع بَياضِ الفضَّةِ وحُسْنِها في صَفاء القَوارِير وشفيفِها.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿كَانَتْ﴾؟

قلتُ: هو مِن "يكُونُ" في قَوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: تكوَّنَتْ قَواريرَ بتَكْوين الله؛ تفخيمًا لِتلك الخلْقةِ العجيبَةِ الشَّأنِ الجامِعةِ بين صفَتي الجوْهرَين المُتبَايِنَيْنِ، ومنه ﴿كَانَ﴾ في قَوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان ٧٦/٥].

وقرِئَ: "قواريرُ من فضَّةٍ" بالرَّفْعِ على: هيَ قوارِيرُ.

﴿قَدَّرُوهَا﴾ صفةٌ لِـ﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾، ومعنى تقديرِهم لهَا: أنَّهم قَدَّروها في أنفُسِهم أَنْ تكُونَ على مقَادِيرَ وأَشْكالٍ على حَسَبِ شَهَواتِهِم فجَاءتْ كما قَدَّرُوا. وقيل: الضَّميرُ للطَّائفِينَ بها، ....

قوله: (وشَفِيفِها) أي: رِقَّتِها.

[٤٤٤و] قوله: (تفخيمًا) مفعول / له مِن معنى[١] الفعل في "أي"، فكأنّه قيل: أريدُ تفخيمًا، أو التقدير: فُخِّم تفخيمًا.

---

[١] ن: المعنى.

دلَّ عَليه قولُه: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ على أنَّهم قَدَّرُوا شَرابَها على قَدْرِ الرِّيِّ، وهو أَلَذُّ للشَّارِب لِكوْنه على مقدار حاجتِهِ لا يَفضُلُ عنها ولا يَعْجِز.

وعن مجاهِدٍ: لا تَفيضُ ولا تَغِيضُ.

وقرئ: "قُدِّروها" على البِناء للمفعول، ووَجْهُه أن يكون من قدَّر منْقُولًا من قدَرَ، تَقُولُ: قدَرْتُ الشيءَ وقدَّرنيهِ فُلانٌ: إذا جَعَلكَ قَادرًا له، ومعناه: جُعِلُوا قادِرينَ لهَا كما شاؤُوا، وأُطلِقَ لهُم أَنْ يَقْدِرُوا على حسَبِ ما اشتَهَوا.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾

سُمِّيَت العَيْنُ زنجبيلًا لِطَعْم الزنجبيلِ فيها، والعَربُ تَستلِذُّه وتَستَطِيبُه، قال الأعْشَى:

كأنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنجبيـ ... ـلَ باتَا بفِيها وأَرْيًا مَشُورًا

وقال المُسيّبُ بن عَلَسٍ:

وكأنَّ طعْمَ الزَّنجَبِيلِ بهِ ... إذْ ذُقتَه وسُلافَةَ الخَمرِ

قوله: (دلَّ عليهم[١] قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾) أي: قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ يدلُّ على الطائفين، فيكون تقدُّمه معنويًّا.

قوله: (لا تَفِيضُ ولا تَغِيضُ) فاضَ الماء يَفيضُ فَيضًا وفَيضوضَةً[٢] إذا كثُرَ حتى سالَ على ضِفَّة الوادِي، وغاضَ الماء يَغيضُ[٣] غَيضًا، أي: قلَّ ونَضَبَ. الضِّفَّة بالكسر: جانبُ النهر، وضِفَّتاه: جانِباه.

قوله: (أرْيًا) الأرْيُ: العَسَل، وشُرتُ العَسَل،[٤] أي: اجتَنَيتُه.

قوله:

(وكأنَّ طَعْم الزَّنجبيل)... البيت[٥]

---

[١] في مطبوع الكشّاف: "عليه".

[٢] ن: فيضوضة.

[٣] ن – الماء يغيض.

[٤] ن – وشرتُ العسل.

[٥] ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ١/١٧٣، وبيّن اسم المسيّب بن عَلَس، فقال: «زهير بن عَلَس، وإنّما لقّب «المسيّب» ببيت قاله، وهو جاهليّ لم يدرك الإسلام».

و﴿سَلْسَبِيلًا﴾ لسَلاسَةِ انحدَارهَا في الحلق وسُهولة مسَاغها، يَعني: أَنَّها في طعمِ الزنجبيلِ وليس فيها لَذْعُهُ، ولكنْ نقيضُ اللَّذْعِ وهو السَّلاسة.

يُقال: شرابٌ سَلْسَلٌ وسَلْسَالٌ وسَلسَبيلٌ، وقد زيدَتِ الباء في التَّركيبِ حَتَّى صَارتِ الكلمةُ خُماسيَّةً، ودلَّت على غايَةِ السَّلاسة.

قال الزَّجّاجُ: السَّلسبيلُ في اللُّغة: صفةٌ لِمَا كان في غايةِ السَّلاسَةِ.

وقرئ: "سلسبيلَ" على منعِ الصَّرفِ؛ لاجتماعِ العلميَّة والتَّأنيث.

وقد عَزَوْا إلى عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أَنَّ معناه: سَلْ سبيلًا إليها. وهذا غيرُ مُستقيم على ظاهِره إلَّا أن يُراد أَنَّ جُملةَ قَولِ القائلِ: "سَلْ سَبيلًا" جُعِلَتْ عَلَمًا لِلعين كما قيل: "تأبَّط شرًّا" و"ذَرَّى حَبًّا"، وسُمِّيَتْ بذلك لأَنَّه لا يَشْرِبُ منها إلَّا مَن سَأَلَ إلَيها سَبيلًا بالعَملِ الصَّالحِ، وهوَ مَع استقامتِه في العَربيَّةِ تكَلُّفٌ وابتِداعٌ، وعَزْوُهُ إلى مِثْلِ عليٍّ رضي الله عنه أَبدَعُ، وفي شِعْرِ بعض المُحْدَثِين:

سَلْ سبيلًا فيهَا إلى راحَـةِ النَّفْـ ـسِ بـرَاحٍ كـأنَّـهـا سَلسبيلُ

و﴿عَيْنًا﴾ بدَلٌ من ﴿زَنجَبِيلًا﴾.

يصِفُ طِيب رُضابِ[1] مَحبوبَتِه، كما[2] قيل: طيِّبُ الرِّيق. و"سُلافَة الخَمر" أوّل ما يَخرج مِن عَصرِها.

قوله: (اللَّذْعُ)[3] لَذَعَتْه النار لَذعًا، أي: أحرَقَته، واللَّدْغُ[4] بالدال المُهملة والغين المُعجمة: هو اللَّسع، وأمّا اللَّذْعُ[5] بالذال المُعجمة والعين المُهملة: هو الإحراق.

قوله:

(سَـل سبيـلًا فيـهـا)... البيـتَ[6]

"فيها"[7] أي: في الجنّة. والرَّاح: الخَمر، والباء متعلق بـ"الرّاحة".

---

[1] الرُّضَاب: الريق. انظر: الصحاح للجَوهري، «رضب».
[2] ن: لما.
[3] ن: للذع.
[4] ف: اللذع؛ ن: اللدغ.
[5] ن: اللدغ.
[6] ذكره الثعالبي في خاصّ الخاصّ، ص ١٨٢.
[7] ف – فيها.

وقيل: تُمزجُ كأسهُم بالزَّنجَبيلِ بعَينه، أو يَخلُقُ الله طعْمَه فيها، و﴿عَيْنًا﴾ على هذا القول مُبْدَلَةٌ مِن ﴿كَأْسًا﴾؛ كأنَّه قيل: ويُسْقَونَ فيها كأسًا كأسَ عَيْنٍ، أو مَنْصُوبةٌ على الاخْتِصاص.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ١٩﴾

شُبِّهُوا في حُسْنِهم وصَفاءِ ألوانِهم وانبِثاثِهم في مَجالسِهم ومَنازلِهم باللُّؤلُؤِ المَنْثُورِ.

وعن المأمون: أنَّه ليْلَةَ زُفَّتْ إليْه بُورَانُ بنتُ الحسن بن سَهْلٍ وهو على بِسَاطٍ مَنسُوجٍ من ذَهَبٍ وقَد نَثَرتْ عليه نسَاءُ دار الخلافةِ اللُّؤلؤَ، فنظرَ إليه مَنْثُورًا على ذلك البِساط فاستحسَن المَنْظَرَ وقال: لله دَرُّ أَبِي نُواسٍ كأنَّه أَبْصَر هذا حَيْثُ يقولُ:

كأنَّ صُغْرَى وكُبْرَى مِن فَواقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ على أَرْضٍ من الذَّهَبِ

وقيل: شُبِّهوا باللُّؤلؤ الرَّطْبِ إذا نُثِر من صَدَفهِ لأنَّه أحسَنُ وأكثَرُ ماءً.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ٢٠﴾

﴿رَأَيْتَ﴾ ليسَ له مَفعُولٌ ظاهِرٌ ولا مُقَدَّرٌ ليَشيعَ ويَعُمَّ؛ كأنَّه قيل: وَإِذا أَوْجَدْتَ الرُّؤيَة ثَمَّ، ومَعناه: أنَّ بَصَر الرَّائِي أينما وقَع لم يتَعلَّق إدْراكُه إلَّا بنَعيمٍ كثيرٍ ومُلْكٍ كَبيرٍ.

قوله: (وقيل: تُمزَجُ) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (بدل)، فإنَّ المرادَ بـ"الزَّنجبيل" هو العَينُ على الوجه الأوّل، وعلى الثاني الزنجبيل المشهور.

قوله: (مِن فَوَاقِعِها) فَواقِع: جمع فاقِعة، وهي الحَبَابة[1] على وجه الخمر.

قوله: (ومَعناه)... إلخ إشارةٌ إلى أنَّه ليس المرادُ بقوله: ﴿رَأَيْتَ﴾ الخطابَ مع مخاطب معيَّن؛ بل كلُّ مَن يصلح أن يكون مُخاطَبًا داخلٌ في هذا الخطاب.

[1] حَبَابُ المَاء: فَقَاقِيعُه، واحدتُه: حَبَابةٌ. المخصّص لابن سيده، ٢/٤٥٤.

و﴿ثَمَّ﴾ في مَوْضِع النصب على الظَّرف، يعني: في الجنَّة، ومَن قال: "معناه: مَا ثَمَّ" فقد أَخْطَأ؛ لأنَّ ﴿ثَمَّ﴾ صِلةٌ لِـ"مَا"، ولا يجُوز إسْقَاطُ المَوصُول وتَرْكُ الصِّلة.

﴿كَبِيرًا﴾: وَاسِعًا وهَنِيئًا، يُرْوَى: «إنَّ أَدْنى أَهْلِ الجنَّة مَنْزِلةً ينْظرُ في مُلْكه مسِيرةَ ألف عامٍ يرَى أَقصَاه كما يَرى أَدْناه».

وقيل: لا زَوالَ له، وقيل: إذا أَرَادُوا شَيْئًا كانَ.

وقيل: يُسَلِّمُ عليهم المَلائكةُ ويستأذنُونَ عليْهم.

﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

قُرِئَ ﴿عاليْهم﴾ بالسُّكُون على أنَّه مبتدأ خبرُه ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾؛ أي: ما يَعْلُوهم من لِبَاسهم ثيابُ سُندُسٍ، و﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ بالنَّصب على أنَّه حالٌ من الضَّمير في ﴿يَطوفُ عليهِم﴾ أو في ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾؛ أي: يَطُوفُ عَلَيْهِم ولْدَانٌ عاليًا للمَطُوفِ عليهم ثيابٌ،

قوله: (﴿كَبِيرًا﴾: واسعًا) فسّر قوله: ﴿كَبِيرًا﴾ بقوله: (واسِعًا هنيئًا)، والمراد بـ"الواسع": امتدادُه في الطول والعرض، وبـ"الهنِيء": سلامتُه عمَّا يُنغِص، ثمَّ حقَّق كونَه "واسِعًا" بقوله: (يُروَى)... إلخ، وحقَّق كونَه "هنيئًا" بقوله: (قيل: لا زَوال له) وذلك لأنّ النعمة إذا كانت في مَعرِض[1] الزوال لا يتلذَّذ به صاحبُه ولا يتهنّأ ولا يستبشِر به الاستبشارَ التامَّ، قال:[2]

أَشَــدُّ الـغَــمّ عـنـدي فـي سـرور ... تَـيـقَّـنَ عـنـه صـاحـبُـه انـتِـقـالَا[3]

قوله: (يستأذِنُون) أي: يستأذِن الملائكةُ للدخول عليهم، فلا يَدخلون عليهم إلّا بعد الاستئذان.

قوله: (مِن الضمير) أي: المجرور.

---

[1] ن: موضع.

[2] ف: قوله.

[3] البيت للمتنبي. انظر: خزانة الأدب للحموي، ١/١٨٩.

أو: حَسِبْتَهُم لُؤْلُؤًا عَالِيًا لهُم ثِيابٌ، ويجوزُ أن يُرادَ: رَأيتَ أَهْلَ نعيمٍ ومُلكٍ عاليَهم ثيابٌ.

و: "عالِيَتهم" بالرَّفع والنَّصب على ذلك، و: "عَليهِم".

و﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: بالرَّفع حملًا على الثِّياب، وبالجرِّ على السُّنْدس.

وقرئ: "وإستبرقَ" نصْبًا في مَوضِع الجرِّ على مَنْعِ الصَّرْفِ لأنَّه أعْجميٌّ، وهو غَلَطٌ لأنَّه نكِرةٌ يدْخُله حَرْف التَّعريف؛ تقُول: الإستَبرقُ، إلَّا أَنْ يَزْعُم ابنُ مُحَيْصِنٍ أنَّه قد يُجعَل علَمًا لهذا الضَّرْب من الثِّياب.

وقرئ: "واسْتَبْرَقَ" بوَصْل الهَمْزة والفَتْح على أنَّه مُسمًّى بـ"استَفْعَلَ" من البَرِيقِ، وليس بصَحيحٍ أيْضًا لأنَّه مُعَرَّبٌ مَشْهُورٌ تَعْرِيبُهُ وأنَّ أَصْلَه: إسْتَبْرَهْ.

﴿وَحُلُّوٓاْ﴾ عطْفٌ على ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾.

فإن قلتَ: ذكرَ هاهُنَا أَنَّ أَسَاوِرَهُم من فضَّة، وفي مَوضعٍ آخَر أَنَّها من ذهَبٍ.

قلتُ: هَبْ أنَّه قيل: "وحُلُّوا أسَاوِرَ من ذَهَب ومِن فضَّةٍ" وهذا صحيحٌ لا إشكال فيه على أَنَّهم يُسَوَّرُونَ بالجِنْسَيْنِ: إمَّا على المُعَاقَبة، ....

قوله: (أهلَ نَعيمٍ) فيكون حالًا مِن ﴿نَعِيمًا﴾ بحذف المضاف.

قوله: (على ذلك) يعني: على ما مرّ مِن أنّ الرفعَ على الابتداء، والنصبَ على الحال.

قوله: (وقُرِئ: ﴿وَإِسْتَبْرَقَ﴾ نصبًا) والقارئ به هو ابنُ مُحَيصنٍ[1] على ما سيصرِّح به في تَوجيه هذه القراءة.

قوله: (على أنّهم) أي: على معنى "أنّهم".

---

[1] المَرويُّ عن ابن مُحَيصِن وصلُ الألف وفتحُ القاف، قال الدمياطي: «وعن ابن محيصن "واستبرقَ" حيث جاء بوَصل الهمزةِ وفتح القاف بلا تنوين، قال أبو حيّان: جعله فعلًا ماضيًا على وزن استَفعَل مِن البريق، وعنه في سورة الإنسانِ خلفٌ، وافقه الحسَنُ في سورة الإنسان». إتحاف فضلاء البشر للدِّمياطي، ص ٣٦٦. وهي قراءة شاذّة.

وإِمَّا على الجَمْع، كما تُزاوِجُ نِسَاءُ الدُّنيا بَيْنَ أَنواعِ الحُلِيِّ وتَجمع بَينَها، وما أحسنَ بالمِعْصَم أَنْ يكون فيه سِوَارَانِ: سِوارٌ من ذهب وسِوَارٌ من فضَّة!

﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾: ليس برِجْسٍ كخمْرِ الدُّنيا؛ لأنَّ كونهَا رجْسًا بالشَّرع لا بالعَقلِ، وليست الدَّارُ دارَ تَكْلِيفٍ.

أو: لأنَّه لم يُعْصَر فتمَسَّهُ الأَيْدي الوَضِرةُ وتدُوسَهُ الأَقدامُ الدَّنِسةُ، ولم يُجعَلْ في الدِّنانِ والأَباريقِ الَّتي لم يُعْنَ بتَنظيفِها.

أو: لأنَّه لا يَؤُولُ إلى النَّجاسة؛ لأنَّه يرشَحُ عرَقًا من أَبدانِهِمْ لهُ ريحٌ كَريحِ المِسْكِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

أي: يقال لأَهْلِ الجنَّة: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ -و﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من عطاء الله لهُم- ما جُوزِيتُم بهِ على أَعْمالكُم وشُكِرَ به سَعْيُكم، والشُّكرُ مجازٌ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾

تكريرُ الضَّمير بَعد إيقاعِه اسمًا لـ"إنَّ" تأكيدٌ على تأكيدٍ ....

قوله: (تُرَاوِح)[١] المُراوَحة في العَملين: أن يعمل هذا مرَّة وهذا مرَّة، فـ"كمَا تُراوِح" متعلِّق بـ"المعاقبة"، و"تَجمَع"[٢] بقوله: (على الجَمع)، وفيه لفٌّ ونَشرٌ.

قوله: (وما أحسنَ) تعجُّبٌ.

قوله: (ما جُوزِيتم) خبر "إنَّ"، وقوله: (وهذا) إلى قوله: (لهم) جملةٌ معترِضةٌ.

قوله: (تكرير الضمير)... إلخ، يعني: أصل هذا التركيب: نزَّلنا نحن عليك القرآن، فقُدِّم "نحن" فصار: "نحن[٣] نزَّلنا"،[٤] فأفاد التقديمُ التخصيص، فأُدخِل عليه "إنَّ" فصار: "إنَّا / نزَّلنا"، فأفادَ تأكيدَ التخصيص، فكرَّر الضمير فصار: [٤٤٤ظ]

---

[١] في مطبوع الكشّاف: تُزاوِج.
[٢] ن: تجتمع.
[٣] ن: إنا.
[٤] ن: أنزلنا.

لمَعنى اختِصَاصِ الله بالتَّنزيل؛ ليَتَقرَّرَ في نفسِ رسول الله أنّه إذا كان هو المُنزِّلَ لم يكُن تَنْزِيلُه على أيِّ وجهٍ نُزِّلَ إلَّا حِكمةً وصَوابًا؛ كأنَّه قيل: ما نزَّل عليك القرآنَ تنزيلًا مُفرَّقًا مُنجَّمًا إلَّا أنا لا غيْري، وقد عَرفْتَني حكيمًا، فاعِلًا لكلِّ ما أفعَلُه بدوَاعي الحِكمة، ولقَدْ دَعَتْني حِكمةٌ بالغةٌ إلى أن أُنزل عَليك الأمْرَ بالمُكافَّةِ والمصُابَرة وسأُنزِلُ عليك الأمْرَ بالقِتالِ والانتقامِ بَعْدَ حِينٍ.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الصادرِ عن الحكمة، وتغلِيقِه الأُمُورَ بالمصالح، وتأخيرِه نُصْرَتَك على أَعْدائك من أَهْلِ مكَّة، ولا تُطِع مِنْهُم أحَدًا قِلَّةَ صَبْرٍ مِنك على أَذاهُم وضَجرًا من تَأخُّرِ الظَّفر.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾، فأفاد تأكيدًا على تأكيد لمعنى الاختصاص. وقوله: (لمَعنى) متعلِّق بـ"التأكيد". وقوله: (ليتقرَّر) تعليل للتأكيد.

قوله: (لا غَيري) مِثل قولِك: ما جاء إلّا زيدٌ لا عمرٌو أو لا غيرُ، وقد كتبنا في الحاشيةِ مِرارًا: أنّهم مَنعوا صِحَّة مِثل هذا التركيب؛ لأنّ شرطَ العَطف بـ"لا": أن لا يكونَ مَنفيُّها مَنفيًّا قبلَ ذلك بشيءٍ آخر.

قوله: (وتأخيرِه) كالبيان لحُكمِه تعالى،[١] فهو عطفٌ على قوله: (﴿لِحُكْمِ﴾) بطريقِ البيان.

قوله: (قلَّةَ صَبر) علّةُ عدم الطاعة، أي: لا يَحمِلَنَّك قِلَّةُ الصبر على عدَم الطاعة.

اعلم أنّ هذه الحاشيةَ سَهوٌ، والصواب أن يُقال: قلَّةُ الصبر عِلَّة الطاعة، أي: علَّة طاعَة النبيِّ لِلكفّار، فيَنهاه اللهُ تعالى عن طاعة الكفّار لقِلَّة صَبره، أي: يَقول: لا يَحمِلَنَّك قِلَّةُ صَبرِك على طاعتِهم، وهذا معنى قول المصنِّف: (ولا تُطِع...[٢] قِلَّةَ صَبر)،[٣] وأمّا الصبرُ المَذكُور في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ فتَقريرُ معناه أن يقال: تنزيلُ الله القرآنَ عِلَّة لصَبرِه ولتَركِ طاعتِه الكفّار.

---

[١] ن - ذلك بشيءٍ آخر. قوله: (وتأخيرِه) كالبيان لحُكمِه تعالى.

[٢] ن: قطع.

[٣] ن: الصبر.

وكانوا مع إفراطهم في العداوة والإيذاءِ له ولمَن مَعه يَدْعُونَهُ إلى أن يَرْجِع عن أَمْرِه ويَبْذُلُون له أموالَهُم وتزويجَ أكرَمِ بنَاتِهم إن أجَابَهُم.

فإن قلتَ: كانوا كلُّهم كفَرةً فما مَعنى القِسمة في قوله: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾؟

قلتُ: معناه: ولا تُطِعْ مِنهم راكبًا لِمَا هُو إثْمٌ داعِيًا لك إلَيْه أو فاعلًا لِمَا هو كفرٌ داعيًا لك إليه، لأنَّهم إمَّا أنْ يَدْعُوه إلى مُساعَدتهم على فِعْلٍ هُوَ إثْمٌ أو كفرٌ، أو غيرُ إثْمٍ ولا كُفْرٍ، فنُهي أن يُساعدَهم على الاثنَينِ دون الثَّالث.

وقيل: الآثمُ عُتبَةُ والكَفُورُ الوليدُ؛ لأنَّ عُتبَة كان رَكَّابًا للمَآثِم مُتعاطِيًا لأنواع الفُسوق، وكان الوليدُ غاليًا في الكُفْر شديدَ الشَّكيمة في العُتوّ.

فإن قلتَ: معنى ﴿أَوْ﴾: ولا تُطِعْ أَحَدهُمَا، فهلَّا جِيءَ بالواو ليَكُونَ نهيًا عن طاعتهما جميعًا؟

قلتُ: لو قيل: "ولا تُطِعْهما" لجَاز أن يُطِيعَ أحدَهما، وإذا قِيل: "لا تُطِعْ أحدَهما" عُلم أنَّ النَّاهيَ عن طاعةِ أحَدهما عن طاعَتِهما جميعًا أنْهَى، كما إذا نُهي

قوله: (فإن قلت: معنى "أو": ولا تُطِع) "معنى أو" مبتدأ، وخبرُه قوله: "ولا تُطِع".

وقوله: (قلتُ: لو قيل)[١] تحقيق الجواب: أنّ "أو" في الإثبات يفيد أحدَ الأمرين؛ ففي النفي يفيد نفيَ كِلا الأمرين جميعًا؛ لأنّ نقيضَ الجزئيِّ الموجبِ الكليُّ السالبُ، وهذه الطريقة أظهرُ ممّا ذكره المصنِّف؛ بل إذا تأمّلت فيما ذكره المصنِّف وجدتّه فاسِدًا،[٢] فإنّ مراد السائل أنّ "أو" يفيد أحدَ الأمرين، فيحتمل[٣] اللفظ أن يكون النهي نهيًا عن أحدِهما؛ بمعنى أنّه يجوزُ الإتيان بأحدِهما بشرط تركِ الآخر، ويكون المحرَّم[٤] هو المَجموعَ لا كلَّ واحدٍ واحدٍ[٥] فلم يأتِ بالواو ليدلَّ على أنّ كلَّ واحدٍ منهيٌّ عنه. وإذا عرفت ذلك فقول[٦] المصنِّف: (الناهي عن طاعةِ أحدِهما عن طاعتِهما جميعًا أنهَى) إن أراد به أنّ النهي عن أحدهما

---

١ ف: لو قلت.
٢ ن: فاسد.
٣ ن: فيحمل.
٤ ن: المحروم.
٥ ن – واحدٍ.
٦ ن: قول.

أن يَقُولَ لأَبَويه: "أُفٍ" عُلِمَ أنّه مَنهيٌّ عن ضَرْبهمَا على طريق الأَوْلى.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ۝٢٦﴾

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾: وَدُمْ على صَلاة الفَجْر والعَصْر.

نهيٌ عن كلِّ واحدٍ واحدٍ بالطريق الأَولى[١] فهو فاسدٌ؛ لاحتمال أن يكون المطلوب تركَ واحدٍ منهما أيَّ واحد كان، لا تركَ كلِّ واحدٍ واحدٍ، ويجوز له الإتيانُ[٢] بواحدٍ منهما أيَّ واحدٍ كان بشرط ترك الآخر أيَّ آخر كان، كما لو قال: حرَّمتُ لك أحدَهما وجوّزت لك أحدَهما، فإنّه يجوز له الإتيانُ بأحدِهما بشرط ترك الآخَر، وكما لو قال: حرَّمتُ لك أحدَهما وأوجَبْت[٣] أحدَهما. وإن أراد[٤] بقوله: (الناهي عن طاعةِ أحدِهما عن طاعتِهما جميعًا أنهى) أنّ النهي عن أحدِهما أنهَى عن المجموع بمعنى أنّه لا يجوز له الإتيان بالجميع كما[٥] يدلُّ عليه ظاهر كلام المصنِّف، فلا يكون هذا جوابًا عن هذا السؤال وإن كان الكلام في نفسه صحيحًا، فتأمَّل، فتعيّنَ أن يكون الجواب هو الذي ذكرناه، وهو أنّه إنّما أتى بـ"أو" دون الواو لأنّ "أو" تفيد نفيَ[٦] كلِّ واحدٍ / واحدٍ؛ لأنّ "أو" في الإثباتِ لأحد الأمرين، [٤٤٥و] ففي النفي تُفيدُ[٧] نفيَ[٨] كلِّ واحدٍ مِن الأمرين؛ لأنّ الإيجاب الجزئيَّ نقيضُه السلب الكليُّ، ولو أتى بالواو لم يُفِدْ هذا المعنى؛ لأنّ الواو في الإثبات تفيد الجمع بين الأمرين، فنفيه[٩] يَحتمل أن يكون بنفي[١٠] أحدهما دون الآخر، وإلى مِثل هذا الكلام أشار ابنُ الحاجب في شرح المفصَّل.[١١] ويُظهِر لك ما ذكرنا أنّ تشبيهَه بالنهي عن التأفيفِ الدالّ على النهي عن الضربِ بالطريق الأولى غير صحيح؛ لأنّه لا وجهَ لقوله:[١٢] النهي عن أحدهما يدلُّ على النهي عن كلِّ واحدٍ واحدٍ بالطريق الأولى.

---

[١] ن: الأول.
[٢] د ن - الإتيان.
[٣] ن: وأوجب.
[٤] ن: وأراد أن.
[٥] ن: لما.
[٦] ن: ففي.
[٧] ف: يفيد.
[٨] ن: ففي.
[٩] ن: ففيه.
[١٠] ن: يبقى.
[١١] انظر: الإيضاح لابن الحاجب، ٢/٢٠١.
[١٢] يعني مفهومَ قوله على الوجه الأوّل كما تقدّم.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾: وبعضَ اللَّيل فصَلِّ لَه، أو يَعني صَلَاةَ المغْرِب والعشاء، وأُدخِلَ "من" على الظَّرفِ للتَّبعيضِ كما دَخل على المفعُولِ في قوله: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [الأحقاف ٣١/٤٦].

﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾: وتهجَّدْ له هَزِيعًا طويلًا من اللَّيل: ثُلثَيْه أو نِصْفَه أو ثُلثَه.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الكَفرَةَ ﴿يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: يُؤثِرونَها على الآخِرة؛ كقوله: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأعلى ١٦/٨٧].

﴿وَرَآءَهُمۡ﴾: قُدَّامَهُم، أو: خلفَ ظهُورهم لا يعبَؤونَ به.

﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ استُعير الثِّقلُ لِشدَّته وهَوْلِهِ من الشَّيء الثقيل الباهِظِ لحامله، ونحوُه: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف ١٨٧/٧].

﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

"الأَسْرُ": الرَّبَطُ والتَّوثِيقُ، ....

قوله: (هَزيعًا) الهَزيع: قطعة مِن الليل، قال في الصحاح: «يقال: مَضى هزيعٌ مِن الليل، أي: طائفة، وهو نحوٌ مِن ثلُثِه أو ربُعِه»،[1] فوَضَع المصنِّف قوله: (هَزيعًا) موضع ﴿لَيۡلٗا﴾ إشارة إلى أنّ المراد بقوله: ﴿لَيۡلٗا﴾ بعض الليل.

قوله: (﴿وَرَآءَهُمۡ﴾ قُدَّامَهم) إن كان ﴿وَرَآءَهُمۡ﴾ بمعنى "قُدَّامَهم" فهو حال مِن ﴿يَوۡمٗا﴾، والمعنى: يَتركون النظر في يوم القيامة ولا يعبئون به مع أنّه بين أيديهم وهم مُتوجِّهون إليه قادمون عليه لا محالةَ، وإن كان ﴿وَرَآءَهُمۡ﴾ بمعنى "خلفَهم"[2] فهو ظرف لقوله: ﴿يَذَرُونَ﴾، فكأنّه قيل: نبذوه وراءَ ظهورهم لا يعبئون به ولا يهتمُّون له.

قوله: (الباهظ) أي: المُثْقِل.

قوله: (الأَسْرُ:[3] الربط) فهو مصدرٌ.

---

[1] الصحاح للجوهري، «هزع».

[2] ن: خلقهم.

[3] ن: الأشر.

ومنه: أُسِرَ الرجُلُ: إذا أُوثِقَ بالقِدِّ وهُو الإسارُ، وفرَسٌ مَأسُورُ الخَلْقِ، وتُرْسٌ مَأسُورٌ بالعَقَبِ.

والمَعنى: شدَدْنا تَوصيلَ عظامِهم بعْضِها ببعضٍ وتَوثِيقَ مَفاصِلِهم بالأَعْصَابِ، ومِثلُه قولُهم: جاريةٌ مَعْصُوبةُ الخَلْقِ ومَجْدُولتُه.

﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أَهْلكناهم و﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ في شِدَّة الأَسْرِ، يَعْني: النشأةَ الأُخرى.

وقيل: مَعْناه: بَدَّلنا غيْرَهُم مِمَّن يُطِيع. وحَقُّه أَن يَجيء بـ"إِنْ" لا بـ﴿إِذَا﴾؛ كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد ٤٧/٣٨] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء ٤/١٣٣].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾

﴿هَٰذِهِۦ﴾ إشارةٌ إلى السُّورة أو إلى الآياتِ القرِيبَةِ.

﴿فَمَن شَآءَ﴾ فمَن اختارَ الخَيْرَ لنَفْسِه وحُسْنَ العاقبةِ، واتخاذُ السَّبيل إلى الله عبَارةٌ عن التَّقرُّب إليه والتَّوسُّلِ بالطَّاعة.

﴿وما يشاؤون﴾ الطَّاعَة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ بقَسْرِهم عليها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأَحْوالهِم وما يكُون منْهُم ﴿حَكِيمًا﴾ حيثُ خَلقَهُم مع عِلْمه بهم.

وقرئ: ﴿تَشَآءُونَ﴾ بالتاء.

قوله: (بالعقَب) العقَب بفتح القاف: العَصَب[1] الذي يُعمَل منه الأوتار، والعَقِب بكسر القاف: مؤخَّر القدَم، وهو هنا بفتح القاف.

قوله: (ومجدولتُه) جَدلَ الحبلَ وفَتَله بمعنًى، يريد: قوَّته كالحبلِ المَفتول.[2]

قوله: (وحقُّه) كأنَّ هذا ردٌّ للوجه الأخِير، أي: لو كان هو المراد لقال بـ"إنْ"، ولمّا قال بـ"إذا" عُلِم أنَّ المراد الوجه الأوَّل.

[1] ن: والعصب.

[2] ن: الفتول.

فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؟

قلتُ: النَّصبُ على الظَّرف، وأَصْلُه: إلَّا وَقتَ مشيئةِ اللهِ، وكذلك قِراءةُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: "إلَّا ما يَشاءُ اللهُ"؛ لأنَّ "ما" مَع الفِعْل كـ"أنْ" مَعه.

﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾

﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ هُمْ المُؤمنُونَ، ونصبُ ﴿الظالمين﴾ بفعْلٍ يُفسِّرهُ ﴿أَعَدَّ لَهُمۡ﴾ نحوَ: "أَوْعَدَ" و"كافَأ" وما أَشْبَهَ ذلك.

وقرأ ابن مسعودٍ: "ولِلظَّالمينَ" على: وأعَدَّ للظَّالمينَ.

وقرأ ابنُ الزُّبيْرِ: "والظَّالِمُونَ" على الابتِداء، وغيرُهَا أَوْلَى لِذَهاب الطِّباق بين الجُملة المعْطُوفة والمَعْطوفِ عليها فيها مَع مُخالَفتِها للمُصْحَفِ.

عن رسول الله عليه السَّلام: «مَن قرأ سُورةَ ﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾ كان جزاؤهُ على الله جنَّةً وحَرِيرًا».

قوله: (وأصله: إلّا وقت) فهو استثناء مفرغٌ، أي: ما يشاءون[١] وقتًا مِن الأوقات إلّا وقتَ أن...

قوله: (وكافأ)[٢] يقال:[٣] كافأتُه[٤] على ما كان منه مكافأةً وكِفاءً؛ جازيته، ويقال: ما لي به قِبَلٌ ولا كفؤٌ، أي: ما لي به طاقة على أن أكافِئَه.

قوله: (وغيرُها) أي: غيرُ هذه القراءة.

قوله: (فيها) أي: في هذه القراءة.

تمّت السورة بحَمد الله تعالى[٥] ومنّه وكرمه.[٦]

---

١ ن: تشاءون.
٢ ن: وكانا.
٣ ف + كما يقال.
٤ ن: كانا به.
٥ ف – تعالى.
٦ ف – وكرمه؛ ن – ومنّه وكرمه.

سورة المرسلات

مكيةٌ، وهي خمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾

أَقسَم سبحانَه بطوائفَ من المَلائكة أرْسَلهنَّ بأوَامِره، فعَصَفْنَ في مُضِيِّهِنَّ كما تعْصِفُ الرِّياحُ تَخفُّفًا في امتِثال أَمْره.

وبِطوائِفَ منهم نَشَرْنَ أجنحتَهُنَّ في الجَوِّ عند انحطَاطِهِنَّ بالوَحْيِ، أو نَشَرْنَ

سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (أقسم سبحانه بطوائف) اعلم أنّ القسَم ههنا بطَوائِفَين، ووصف الطوائفَ الأولى بوصفين، وهما: المرسلات والعاصفات، ووصف الطوائف الثانية بثلاث صفاتٍ، ووسّط الفاء العاطفة بين الصفات فيهما، والموصوف محذوف فيهما، وإنّما قال المصنِّف: "بطوائف" ولم يقل: بطائفة؛ لأنّه لو كان المراد طائفةً لقال: والمرسلةِ أو المرسلين، نحو: الملائكة المرسَلَة أو المرسلِين، / كما إذا أُسنِد الفعلُ إلى ضَميرهم قيل: الملائكة أُرسِلت أو أُرسِلوا. [٤٤٥ظ]

قوله: (نَشَرْنَ)... إلخ، يعني: يجوز أن يكون مِن قولهم: نَشَرَ المَتاع وغيره -أي: بسطه- ينشُرُه نَشْرًا، ومنه: ريحٌ نَشورٌ، ويجوز أن يكون مِن قولهم: نَشَرَ اللهُ الميّت،

[1] ف ن - وبه نستعين.

الشَّرائعَ في الأرْضِ، أو نَشرنَ النُّفوسَ المَوْتى بالكُفْر والجَهْل بما أَوْحَيْنَ ففرَقْنَ بينَ الحقِّ والباطِل.

فألْقَيْنَ ﴿ذِكْرًا﴾ إلى الأنبياء ﴿عُذْرًا﴾ للمُحِقِّين ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ لِلمُبطلِينَ.

أو أقسَم برِياحِ عَذابٍ أَرْسَلهنَّ فعَصَفْنَ، وبرياحِ رَحْمةٍ نشَرْنَ السَّحابَ في الجَوِّ ففَرَقْنَ بَيْنَه كقوله: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ [الروم ٣٠/٤٨]، ....

أي: بعثهم،[١] وهو بالمعنَيَين كما ذَكَر، ويقال أيضًا: أنشَرَهم فنُشِروا.

قوله: (برياحِ عذابٍ) كأنّ العذاب فُهِم مِن قوله: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾[٢] يقال: عصَفَت الريح، أي: اشتدَّت.[٣]

قوله: (بينه) الضمير مِن "بينه" يعود إلى "السحاب"، وهو متعدِّد مِن حيث المعنى، فلذا ساغ أن يضاف إليه "بين".

قوله: (كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ [الروم ٣٠/٤٨]) الكِسْفة: القِطعة مِن الشيء، والجمع: كِسْفٌ[٤] وكِسَفٌ، ويقال: الكِسْف والكِسْفة واحد، وقال الأخفش: «مَن قرأ: ﴿كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء ٢٦/١٨٧] جعله واحدًا،[٥] ومَن قرأ: ﴿كِسَفًا﴾ جعله جمعًا»،[٦] قال تعالى في سورة الروم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الروم ٣٠/٤٨]، وإنّما استشهد المصنّف بهذه الآية لأنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ على هذا التفسير مِثل معنى قوله تعالى: ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ [الروم ٣٠/٤٨].

---

١ ن – نَشورٌ، ويجوز أن يكون مِن قولهم: نَشَرَ الله الميّت، أي: بعثهم.

٢ ن: والعاصفات.

٣ ف: اشدُّتْ.

٤ ن – كَسْفٌ.

٥ ن: واحد.

٦ الصحاح للجوهري، «كسف». | أمّا مذاهب القرّاء فيه فقال ابن الجزري: «واختلفوا في: ﴿كِسَفًا﴾ هنا والشعراء والروم وسبأ، فقرأ المدنيّان وابن عامر وعاصم بفتح السين هنا خاصّة، وكذلك روى حفص في الشعراء وسبأ، وقرأ الباقون بإسكانِ السين في الثلاثة السور، وأمّا حرف الروم فقرأه أبو جعفر وابن ذَكْوانَ بإسكان السين، واختُلِف فيه عن هشام». النشر لابن الجزري، ٢/٣٠٩.

أو بسَحائبَ نشَرنَ المَواتَ فَفرَقْنَ بين مَن يَشكُر لله وبين مَن يَكفرُ كقوله: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن ١٦/٧٢]، فألْقَينَ ﴿ذِكْرًا﴾: إمَّا ﴿عُذْرًا﴾ لِلَّذينَ يَعْتذرونَ إلى الله بتَوْبَتهم واستِغْفارِهم إذا رَأَوا نعمةَ الله في الغَيْث ويَشكُرونَها، وإمَّا إنْذارًا لِلَّذين يُغْفِلُونَ الشُّكرَ لله ويَنسُبُونَ ذلك إلى الأَنْواء، وجُعِلنَ مُلْقِيَاتٍ للذِّكْرِ لِكَونهنَّ سَبَبًا في حُصُولِهِ إذا شُكِرَت النعمةُ فيهنَّ أو كُفِرَتْ.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿عُرْفًا﴾؟

قوله: (المَوات) أي: الأرض.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾) ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾ [الجن ١٦/٧٢].

قوله: (فألْقَينَ ذكْرًا) النون[١] عائد[٢] إلى "الرياح" في قوله: (برياح رحمةٍ) وإلى "السحاب" في قوله: (أو بسَحائِبَ نَشَرْنَ) ولذلك أخَّره المصنِّف عنهما، ويجوز أن يقال: النون عائد إلى أحدِهما، وحذف مثله مِن الآخِر لدلالة ذلك عليه، ثمَّ إنَّ إسنادَ إلقاء الذِّكر إلى الرياح أو السحائب مجازٌ؛ لأنَّها لا تُلقِي الذِّكرَ حَقيقةً؛ بل هي سببٌ للذِّكر، وإليه أشار المصنِّف بقوله: (جُعلْنَ مُلقياتٍ للذِّكر).

قوله: (يُغفَلون) أي: يُترَكون، يقال: أَغفلْتَ الشيء، أي: تركتَه على ذِكرٍ منك.[٣]

قوله: (إلى الأنواء) النَّوْء: سقوط نجمٍ مِن المنازل في المَغرب مع الفجر، وطلوع رَقيبه مِن المَشرق يقابله مِن ساعته في كلِّ ليلةٍ إلى ثلاثة عشر يومًا، وهكذا كلُّ نجم منها إلى انقضاء السَّنة، ما خلا الجَبْهة فإنَّ لها أربعة عشر يومًا، قال أبو عُبَيد: «ولم يُسمَع في النَّوْء أنَّه السُّقوط إلَّا في هذا الموضع، وكانت العرب تُضيف الأمطار والرياح والحرّ والبرد إلى الساقط منها»، وقال الأصمَعيُّ: «إلى الطالع منها في سلطانه، فتقول:[٤] مُطِرنا بنَوْء كذا، والجمع أنواءٌ».[٥]

---

[١] ف: لنون.
[٢] ن – عائد.
[٣] ن – قوله: (يغفلون) أي: يتركون، يقال: أغفلت الشيء، أي: تركته على ذكر منك.
[٤] ن: فيقول.
[٥] الصحاح للجوهري، «نوأ».

قلتُ: مُتَتابعةً كَشَعرِ العُرْفِ، يُقال: "جَاؤُوا عُرْفًا واحِدًا" و: "هُم عَليْه كعُرْفِ الضَّبْعِ": إذا تَألَّبُوا عَليه، ويكونُ بمَعْنى العُرْفِ الَّذي هو نقيضُ النُّكْر، وانتِصَابُه على أنَّه مَفعُولٌ له؛ أي: أُرْسِلنَ للإِحسَانِ والمَعرُوفِ، والأوَّلُ على الحال.

وقُرِئَ: "عُرُفًا" على التَّثقِيل؛ نحْوَ: نُكْرٍ، في نُكُرٍ.

قوله: (قلت: متتابعةً كشَعَرِ العُرْفِ)[١] يريد: أنّ أصله متابعةً[٢] كتتابع شَعَر العُرْفِ،[٣] فحُذِف "متابعةً" بقي "كتتابع -أي: مثل تتابع- شعر العُرْف"، ثمّ حُذِف "المِثل" فبقي "تتابعَ شَعَر العُرْف"،[٤] ثمّ حُذِف "التتابع" ثمّ "الشعَر"، فبقي "عُرْفًا" كما ترى، وهذا كما ذُكِر في قول امرِئِ القَيس:

[٤٤٦و] إذا قامتا تَضَوَّعَ المسكُ منهما نَسِيمَ / الصَّبا جاءت بِرَيّا القَرَنْفُلِ[٥]

فإنّه قيل: أصله: تضوَّع المِسك منهما تضوُّعًا مثلَ تضوّع نَسيم الصَّبا، حُذِف "تضوُّعًا" بقي "مثلَ تضوُّعِ"، ثمّ حُذِف "مِثل" بقي "تضوُّعَ" فبقي "نسِيمَ" منصوبًا على المصدر، فالذي في هذه الآية مثلُه في الحُذُوف[٦] المترتِّبة، وإن كان هذا حالًا وذلك مصدرًا.

وكذا قوله: (جاءوا عُرْفًا) أي: جاءوا مَجيئًا كمَجيء العُرْف الواحد، وهم يتألَّبون عليه بالباء كتألُّبِ[٧] عُرْف الضَّبع. واعلم أنّ العُرْف هو الشَّعر، ولو قال المصنِّف: "متابعةً كالعُرْفِ" لاستقامَ المعنى، لكن[٨] ذكَر لفظ الشَّعر بطريقِ إضافة العامّ إلى الخاصّ، قال في الصحاح: «والعُرْف: عُرْفُ الفرَس، وعَرَفتُ الفرَس، أي: جززْتُ عُرْفَه»،[٩] وقوله: (تألَّبوا) أي: اجتمَعوا.

قوله: (والأوّل) أي: إذا كان بمعنى متابعةً. وقوله: (على الحال) أي: منصوب على الحال.

---

١ ن: العرب.
٢ ن + بقي كتتابع، أي: مثل تتابعَ شعر العرب.
٣ ف – يريد أنّ أصله متابعة كتتابع شَعر العُرف؛ ن – كتتابع شعر العرف.
٤ ف + ثم حذف "المثل" فبقي "تتابع شعر العرف".
٥ ديوان امرئ القيس، ص ٢٥.
٦ ن: الحذف.
٧ ن: لدالب.
٨ ن: ولكن.
٩ الصحاح للجوهري، «عرف».

فإن قلتَ: قد فَسَّرتَ المُرْسَلات بملائكة العَذاب، فكيفَ يكُونُ إرْسَالُهم مَعْرُوفًا؟

قلتُ: إن لم يَكُن مَعْروفًا لِلكُفَّار فإنَّه معرُوفٌ لِلأنبياءِ والمُؤمنين الَّذين انتقَم اللهُ لَهُم منْهُم.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾

فإن قلتَ: ما العُذْرُ والنُّذْرُ وبِمَ انتَصَبا؟

قلتُ: هُما مَصْدران مِن عَذرَ: إذا محَا الإِسَاءةَ، ومِن أَنْذرَ: إذا خَوَّفَ، على "فُعْلٍ" كالكُفْر والشُّكْرِ، ويجوز أن يكُون جمْعَ عَذيرٍ بمعْنَى المَعْذرةِ وجَمْعَ نَذيرٍ بمَعنى الإِنْذار، أو بمَعْنى العَاذرِ والمُنْذِرِ.

وأمَّا انتصَابُهُما فعَلى البَدَلِ مِن ﴿ذِكْرًا﴾ على الوَجْهين الأوَّلَيْنِ أو على المفعُول لَهُ، وأمَّا على الوَجْه الثالث فعَلى الحالِ بمَعْنى: عَاذِرين أو مُنْذِرين.

وقُرِئا مُخفَّفَينِ ومُثَقَّلَينِ.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾

إنَّ الذي تُوعَدُونَه مِن مجيءِ يومِ القيامةِ لكائنٌ نازِلٌ لا ريْبَ فيه، وهو جَوابُ القَسم، وعَن بَعْضِهم: أنَّ المعنى: ورَبِّ المُرْسَلاتِ.

قوله: (فإن قلت: قد فُسِّرتْ)[١] أي: فَسَّرها بعض المفسِّرين بهذا.

قوله: (وقُرِئا مخفَّفَين)... إلخ، يريد: بالتخفيف الإسكانَ، وبالتثقيل التحريكَ بالضمِّ.[٢]

قوله: (وعن بعضهم) أي: رُوِي عن بعضهم، وهو عطفٌ على قولِه في أوّل السورة: (أقسَمَ سبحانه بطوائف).

---

[١] ن: فسر.

[٢] قال ابن الجزري: «وضَمّ الذّال مِن ﴿عُذْرًا﴾ في المرسلات خاصّة: رَوْح عن يعْقوب، وأسكن الذّال مِن ﴿نُذْرًا﴾ وهو فيها: أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلَف وحفص». النشر لابن الجزري، ٢/٢١٧.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾

﴿طُمِسَتْ﴾: مُحِيَتْ ومُحِقَتْ، وقيل: ذُهِبَ بنُورِهَا.

ومَحْقُ ذَواتِهَا مُوافِقٌ لقَوله: ﴿ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار ٨٢/٢] و﴿ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير ٨١/٢]، ويجوز أن يُمْحَقَ نُورُهَا ثم تنتَثِرَ مَمْحُوقَةَ النُّورِ.

﴿فُرِجَتْ﴾: فُتِحَتْ فكانَتْ أَبوابًا، قال:

الـفَـارِجِـي بـابِ الأمـيـرِ الـمُـبْـهَـمِ

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ﴾ جوابُ "إذا" محذوف، والعاملُ فيها جوابُها، وهو "لَوَقَع الفَصْل" أو "لَيَقَعنَّ الفَصل" ونحوهما، ويدلُّ على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾.

قوله: (لقوله تعالى: ﴿ٱنتَثَرَتْ﴾)[1] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار ٨٢/١-٢]، وقوله: (و﴿ٱنكَدَرَتْ﴾) أي: انتثرت، والانكدار معناه: الانتثار، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير ٨١/١-٢]، يقال: انكدَر الطائر مِن الهواء؛ إذا انقَضَّ، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾[2] [التكوير ٨١/٢]، أي: تهافتَتْ وتناثرَتْ وتساقطَتْ.

قوله: (ويجوز أن يُمحَقَ) عطفٌ على قوله: (ومُحِقَ ذَواتُها)... إلخ، فالمصنِّف رحمه الله[3] رجّح التفسيرَ الأوّل على التفسير الثاني، ثمّ أشار إلى أنّه يمكن الجمع بين التفسيرين.

قوله:

(الفارجِـي بـابِ الأميـرِ المُبهَـمِ)[4]

---

١ ن – ﴿ٱنتَثَرَتْ﴾.

٢ ف – يقال: انكدَر الطائر مِن الهواء؛ إذا انقَضَّ، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير ٨١/٢].

٣ د – رحمه الله.

٤ أنشده سيبَويه في الكتاب عن رجل من بني ضبّة، ١/١٨٥، ونقله عنه الزمخشري في أساس البلاغة، ١/٨٥.

﴿نُسِفَتْ﴾ كالحَبِّ إذا نُسِفَ بالمِنسَفِ، ونحوهُ: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة ٥/٥٦] ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل ١٤/٧٣].

وقيل: أُخِذَتْ بسُرعَةٍ من أماكِنها، مِن انتسَفْتُ الشَّيءَ: إذا اختطَفْتَه.

وقُرِئ: "طُمِّسَت وفُرِّجت ونُسِّفَتْ" مُشدَّدَةً.

وقُرِئ: ﴿أُقِّتَتْ﴾ و: ﴿وُقِّتت﴾ بالتَّشديد والتخفيفِ فيهما، والأصْلُ الواوُ.

ومَعْنى تَوقيتِ الرُّسُل: تَبيينُ وَقتِها الَّذي يَحضُرون فيهِ للشَّهادَة على أُمَمِهِمْ، والتَّأجيلُ: من الأجَل كالتوقيتِ: مِن الوَقت.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ تَعظيمٌ لليَوم وتعجيبٌ من هَوْله.

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ بيَانٌ ليَوْم التَّأجِيلِ، وهُو اليَومُ الَّذي يُفْصَل فيه بينَ الخَلائق.

والوجْهُ أن يكُون مَعنى ﴿وُقِّتَتْ﴾: بُلِّغَتْ مِيقَاتهَا الَّذي كانت تَنْتَظِرُه وهو يَوْمُ القِيامة، و﴿أُجِّلَتْ﴾: أُخِّرَتْ.

فإن قلتَ: كيف وقعَ النَّكِرةُ مُبْتَدَأً في قَوْلِه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؟

سقطت النون مِن "الفارجِي" للإضافة، أي: الفاتِحي بابِهم المُغلَق، يصِفُ القومَ بالخَطر والجاه، وأنّهم إذا أَتَوا بابَ الأميرِ يُفتح لهم، وأَبهمْتُ البابَ: أغلقتُه، وأمرٌ مبْهَمٌ: لا مَأتى له.

قوله: (﴿نُسِفَتْ﴾ كالحَبِّ) نَسْفُ الحبِّ: نفْضُه، والمنسَف: ما يُنسف به الطعام، وهو شيء طويل منصوب الصدر أعلاه مرتفعٌ، والنُّسافة: ما يسقط منه.

قوله: (تَبيينُ وقتِها) فعلى هذا الأصل: أُقِّتَ وقتُها، ثمّ حُذِف المضاف وأُقيم المضافُ إليه مُقامه، وكذا معنى قوله تعالى: ﴿أُجِّلَتْ﴾ بُيِّنَ أجلُها، أي: وقتُها، ومعنى[١] تَبيينِ وقتِها: أن يقال لهم: احضُروا للشهادة، فإنّه إذا قيل لهم ذلك ظَهَر أنّ ذلك[٢] الوقت وقتُ الشهادة، لا أنّه يقال ذلك قبلَ الوقت، وهذا المعنى

---

١ ف: وهو معنى.

٢ ن - ظهر أن ذلك.

قلتُ: هُوَ في أَصْلِه مَصْدَرٌ منصُوبٌ سَادٌّ مسَدَّ فِعْلِه، ولكِنَّه عُدِلَ به إلى الرَّفع للدَّلالة على مَعْنى ثَبَاتِ الهَلاك ودَوامه للمَدْعُوِّ عليه، ونحوُه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأنعام ٦/٥٤].

ويجوزُ: "وَيْلًا" بالنَّصْبِ ولكنْ لم يُقرَأ بِهِ، يُقالُ: وَيْلًا لَهُ وَيْلًا كَيْلًا.

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩﴾

قَرأ قتادةُ: "نَهْلِكُ" بفتح النُّونِ من هَلَكه بمَعنى: أَهْلَكهُ؛ ....

مثل معنى قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف ٧/١٨٧]، أي: لا يجلِّي[١] القيامةَ ولا يبيِّنها[٢] إلا اللهُ تعالى، ثمّ أشار / بقوله تعالى: ﴿لِوَقۡتِهَا﴾ [الأعراف ٧/١٨٧] [٤٤٦ظ] إلى أنّ تبيينَها[٣] إنّما يكون في[٤] وقتِها بأن يقيم القيامةَ ويوقعها،[٥] لا أنّه تعالى قبلَ وقوع القيامة وقبلَ وقتها يبيّن وقتَها. وقوله: (والوَجْه) ردٌّ للتفسير الأوّل، ولذا[٦] لم يقل: الأوجَه أو الأصوب، وكأنّه إنّما ردّه لمّا أشكل عليه معنى "بيِّن وقتَها" ما دام مَحمولًا على الظاهر، وأمّا على الوَجْه الذي بيّناه فالمعنى ظاهر مِن غير إشكالٍ،[٧] مع أنّ اللفظ أشدُّ[٨] مطابقةً للمعنى الأوّل، فإنّ معنى التوقيت: تبيينُ[٩] الوقت، لا التبليغ إلى الوقت، والحمد لله على التوفيق، والمسئول منه التسديد[١٠] لمزيدِ التدقيق[١١] والتحقيق، إنّه تعالى بإجابة الدعاء حَقيق.

قوله: (قلتُ: هو في الأصل مصدرٌ منصوبٌ) بأنّ أصله: أهلَكه الله تعالى إهلاكًا، أو هَلَك هو هلاكًا، فالويلُ موضوعٌ موضعَ الهلاك.

قوله: (كيلًا) أي: يُكال له الهلاك كيلًا.

---

١ ن: يحكى.
٢ ن: بينهما.
٣ ن – إلا اللهُ تعالى، ثمّ أشار بقوله تعالى: ﴿لِوَقۡتِهَا﴾ [الأعراف ٧/١٨٧] إلى أنّ تبيينَها.
٤ ن – في.
٥ ن: توقعها.
٦ ف ن: وكذا.
٧ ن – إشكال.
٨ ن – أشدّ.
٩ ن: تبيّن.
١٠ ن: التشديد.
١١ ف ن: التوفيق.

قال العجّاجُ:

ومَــهْــمَــهٍ هــالــكٍ مَــن تَــعــرَّجَــا

﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ﴾ بالرَّفع على الاستئنافِ، وهُو وَعِيدٌ لأَهْلِ مكَّةَ، يُرِيدُ: ثُمَّ نفعَلُ بأَمثالِهم مِن الآخِرين مِثلَ ما فَعلْنا بالأَوَّلين، ونَسلُكُ بهِمْ سَبيلَهُم لِأَنَّهُم كذَّبُوا مِثلَ تكْذِيبِهم، ويُقوِّيهَا قِراءةُ ابنِ مسْعُود: "ثُمَّ سَنُتبعُهُم"، وقُرئ بالجَزْم للعَطف على ﴿نُهۡلِكِ﴾.

ومَعناه: أَنَّه أَهْلك الأَوَّلِينَ مِن قوم نُوحٍ وعَادٍ وثمُودَ، ثمَّ أَتبعَهُم الآخِرينَ من قوم شُعَيْبٍ ولُوطٍ ومُوسَى.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مِثلَ ذلك الفعلِ الشَّنيعِ ﴿نَفۡعَلُ﴾ بكُلِّ مَن أَجْرَمَ إِنذارًا وتَحْذِيرًا من عاقبةِ الجُرْم وسُوء أَثَره.

﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢٢ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٢٤﴾

قوله: (قال العجّاج:

وَمَــهْــمَــهٍ هــالِــكِ مَــنْ تَــعَــرَّجَــا)[1]

التعريج على الشيء: الإقامةُ عليه، يقال: عرَّج على المنزل؛ إذا حبس مطيَّته عليه وأقام، وكذا التعرُّج، يقال: ما لي عليه عُرْجَةٌ ولا عَرْجَةٌ،[2] ولا تَعريجٌ ولا تَعرُّجٌ، وإن روي: "هالكٌ" بالضمّ فهو خبر مبتدأ محذوف، أي: هو هالكٌ، والجملةُ صفة "مَهْمَهٍ"، وإن رُوي بكسرها فالوجه أنّ "مَن" نكرة موصوفة، وهو مفعول "هالِكِ".

قوله: (﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ﴾)[3] سبعةٌ.

قوله: (وقرِئ بالجَزْم) شاذٌّ.[4]

---

[1] ذكره ابن منظور في لسان العرب، «هلك»، بتمامه:
ومَـهْـمَـهٍ هـالـكِ مَـنْ تَـعَـرَّجَـا
هـائـلـةٍ أهْـوالُـه مَـنْ أذلَـجـا
والمَهْمَهُ: المفازةُ والبَرِّيَّة القَفْر، وجمعُها: مَهامِهُ. لسان العرب لابن منظور، «مهه».

[2] ن – ولا عَرْجة.

[3] ن: يتبعهم.

[4] وهي منسوبة إلى الأعرج. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/٣٤٦.

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: إلى مِقدارٍ من الوقتِ مَعلُومٍ قَدْ عَلِمهُ اللهُ وحَكَم بهِ، وهُو تسعَةُ الأشهُرِ أو ما دُونها أو ما فَوْقَها.

﴿فَقَدَرْنَا﴾: فقَدَّرْنا ذلك تَقْديرًا ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾: فنِعْمَ المُقَدِّرُونَ له نحْنُ، أو: فَقَدَرْنا على ذلك فنِعْمَ القَادِرُون عَليه نحنُ.

والأوّلُ أَوْلى لِقراءَةِ مَن قَرأ ﴿فقَدَّرنَا﴾ بالتَّشديد، ولِقَوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس ١٩/٨٠].

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

"الكِفَاتُ" مِن كفتَ الشَّيءَ: إذا ضمَّه وجمعَه، وهُو اسمُ ما يَكْفِتُ؛ كقَولهم: الضِّمامُ والجِمَاعُ، لمَا يَضُمُّ ويَجمَعُ، يُقال: هذا البابُ جِمَاعُ الأَبْوابِ.

وبهِ انتصَبَ ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ كأنَّه قيلَ: كافتةً أَحْيَاءً وأَمْواتًا، أو بفِعْلٍ مُضْمَرٍ يَدُلُّ عليه وهُو: تَكفِتُ، والمَعنى: تكفتُ أَحيَاءً على ظَهْرِهَا وأمواتًا في بَطْنِهَا.

وقد استَدلَّ بعضُ أصحابِ الشَّافعيِّ رحمه الله على قَطْعِ النبَّاشِ بأنَّ الله تعالى جَعَلَ الأرْضَ كِفَاتًا للأَمْواتِ، فكان بَطْنُها حرْزًا لهُم، فالنَّباشُ سَارقٌ مِن الحرْزِ.

فإن قلتَ: لم قِيل: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ على التنكيرِ، وهي كِفاتُ الأَحْياء والأَمْواتِ جميعًا؟

قلتُ: هُو من تنكيرِ التَّفخيم؛ كأنَّه قال: تَكْفِتُ أَحْيَاءً لا يُعَدُّونَ وأَمْواتًا لا يُحْصَرُونَ، على أنَّ أَحْياءَ الإِنْس وأَمواتَهُم لَيْسُوا بجميعِ الأَحْياءِ والأَمْواتِ.

قوله: (على أنّ أحياءَ الإنس) إشارةٌ إلى جوابٍ آخر، وهو أنّ الأرضَ ليست كِفاتًا لجَميع الأحياء والأموات، غايتُها أنها كِفاتٌ لجَميع أحياء الإنس وأمواته، لكنّ الأحياء والأموات غير مُنحصرة فيهما، فلا تكون كِفاتًا للجميع؛ بل للبعض، فيصِحُّ التنكير.

ويجوز أَن يكُون المَعْنى: تكفِتُكم أَحْياءً وأَمْواتًا، فيَنتصِبَا على الحال من الضَّمير لِأنَّه قد عُلِمَ أنَّها كِفاتُ الإِنْسِ.

فإن قلتَ: فالتنكيرُ في ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾ و﴿مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾؟

قلتُ: يَحتمِلُ إِفادةَ التَّبعِيض؛ لأنَّ في السَّماء جِبالًا قال الله تعالى: ﴿مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ [النور ٢٤/٤٣]، وفيها مَاءٌ فُرَاتٌ أَيْضًا بَلْ هيَ مَعْدِنُه ومَصبُّه. وأن يكونَ للتفخيم.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤﴾

أي: يُقالُ لَهُم: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ إلى ما كَذَّبْتُم بهِ من العذابِ، و﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ الثاني: تكريرٌ.

وقرئ: ﴿انطَلَقُوا﴾ على لفظ الماضي إخبَارًا بَعْدَ الأمر عن عمَلهم بمُوجَبِه؛ لأنَّهم مُضطَرُّونَ إليه لا يَسْتَطِيعُونَ امتِنَاعًا مِنه.

قوله: (مِن الضمير) أي: مِن الضمير المقدّر، وهو ما ذُكر في قوله: (تكفِتكم).

قوله: (فإن قلتَ: فالتنكير)... إلخ، أي: التنكير[1] في هذين مِن[2] أيّ التنكير.

قوله تعالى: ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾.

﴿رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالًا ثوابت، ﴿شَٰمِخَٰتٖ﴾ أي: عاليات.

قوله: (أي: يقال لهم)... إلخ، فقولُه: "يقال" متعلّق بقوله: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾، إمّا بيانًا لثبوتِ الوَيلِ لهم، أو حالًا مِن المكذِّبين، أو الويلُ يثبتُ لهم حالَ يقال لهم: انطلقوا.

قوله: (وقرئ: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾) أي: الثاني.

---

[1] ن – أي: التنكير.
[2] ن – من.

﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ يَعْني: دُخانَ جَهنَّم؛ كقَوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة ٥٦/٤٣].

﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يَتشعَّبُ لِعظَمِه ثلاثَ شُعَبٍ، وهكذا الدُّخانُ العَظيم تَراهُ يَتفرَّقُ ذَوائبَ.

وقيل: يخرُجُ لسَانٌ من النَّار فيُحيطُ بالكفَّار كالسُّرادقِ ويَتشعَّبُ من دُخانِها ثلاثُ شُعَبٍ فتُظِلُّهُم حَتَّى يُفرَغ من حسَابهم والمؤمنُون في ظِلِّ العرش.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ تَهَكُّمٌ بهِمْ وتَعْرِيضٌ بأنَّ ظِلَّهُم غيْرُ ظِلِّ المُؤْمِنِينَ.

﴿وَلَا يُغْنِى﴾ في مَحلِّ الجرِّ؛ أي: وغيْرِ مُغْنٍ عنهم من حَرِّ اللَّهب شيئًا.

﴿بِشَرَرٍ﴾ وقرئ: "بشَرار".

﴿كَٱلْقَصْرِ﴾؛ أي: كُلُّ شرَرَةٍ كالقَصْر من القُصُور في عِظَمِها.

وقيل: هو الغليظُ من الشَّجَرِ، الوَاحِدَة قَصْرَةٌ نحوُ: جَمْرةٍ وجَمْرٍ.

وقرئ: "كالقَصَر" بفتحتين، وهي أَعنَاقُ الإبل أو أَعْنَاقُ النَّخْل، نحوُ شجَرةٍ وشجَرٍ.

وقرأ ابنُ مسعود: "كالقُصُرِ" بمَعنَى: القُصُور؛ كرَهْنٍ ورُهُنٍ.

وقَرأ سعيدُ بن جُبَيْرٍ: "كالقِصَرِ" في جَمْع قَصَرةٍ ....

قوله: (كقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة ٥٦/٤٣])، اليَحمُوم: الدخان الأسود.

قوله: (﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾) لا يُظِلُّ مِن الحرِّ.

قوله: (وتعريضٌ) المراد بالتعريض هنا: خلافُ التصريح.

قوله: (أي: وغيرِ مُغْنٍ) أي: يجوز أن يكون مِن قول العرب: أَغْنِ عنِّي وجهَك، أي: أبْعِدْه، لأنّ الغنيَّ عن الشيء يُباعده، كما أنّ المُحتاج إليه يُقاربه، وإنّما عُدّيَ بـ"مِن" لتَضمُّنه[١] معنى: يُبعد.

قوله: (أعناقُ) أي: جماعة.

---

[١] ف: لتضمينه.

كحَاجَةٍ وحِوَجٍ.

﴿جِمَالاتٌ﴾: جمعُ جِمالٍ أو جِمالةٍ جَمْع جَملٍ، شُبِّهَتْ بالقُصُور ثُمَّ بالجِمال لِبيَانِ التَّشبيهِ، ألا تَراهُم يُشبِّهُون الإبلَ بالأفْدانِ والمَجَادِلِ.

وقرئ: "جُمالاتٌ" بالضَّمِّ: وهي قُلُوسُ الجُسُور، وقيل: قُلُوسُ سُفُن البَحْر، الوَاحِدَةُ جُمَالةٌ.

وقرئ: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ بالكسر بمَعْنى: جِمالٍ، و: "جُمالَةٌ" بالضَّم: وهي القَلْس. وقيل: ﴿صُفْرٌ﴾ لإرادة الجِنْس.

قوله: (كحاجة وحِوَج) فيه بحثٌ؛ لأنّه لا يجيء مثل هذا الجمع إلّا ويُقلَب واوُه ياءً، قال المصنِّف في المفصّل في إعلال العَين: «وقالوا: تِيَرٌ، ودِيَمٌ؛[1] لإعلال الواحدِ والكَسْرة»،[2] لكن قال في الصحاح: «إنّ "الحاجة" يُجمَع على حَاجٍ وحاجاتٍ وحِوَجٍ وحَوائِجَ»،[3] وأنا / أقول: لا يَبعُد أن يُقال: هذا الإعلال [٤٤٧و] مَشروط بأن يكون بعده الألِف في الجمع وإنْ لم يذكره المصنِّف في المفصّل، ويدلُّ عليه قول صاحب الصحاح: «أصل تِيَرٍ: تِيارٌ».[4]

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ﴾ أي: كأنّ "الشَرَرَ"، وهو بيان للتشبيه الأوّل في لونه -وهو السواد- بعد التشبيه الأوّل في عِظَمِه.[5]

قوله: (بالأفْدانِ والمَجادِل) الفَدَن والمَجْدَل: القَصْر.

قوله: (قُلُوسُ) القُلُوسُ: جمع قَلْس، وهو حَبْلٌ يُشَدُّ به الجسور أو سفن البحار.

قولـه: (وقيـل: قُلُـوسُ سُـفنِ البحـر) ويُضـمّ بعضُهـا إلـى بعـضٍ، فيكـون كأوساط الرجال.

قوله: (وقيل: ﴿صُفْرٌ﴾) لإرادة الجنس، أي: قال تعالى: ﴿صُفْرٌ﴾ بضمّ الصاد،

---

[1] ن: ودتم. | و"تِيَر" جمع: تارة، بمعنى مرّة، و"دِيَم" جمع: ديمة، وهي مطر ليس فيه رعدٌ ولا برقٌ، وأقلُّه: ثلث النهار أو ثلث الليل. انظر: الصحاح للجوهري، «تير».

[2] المفصّل للزمخشري، ص ٥٣٠.

[3] الصحاح للجوهري، «حوج».

[4] الصحاح للجوهري، «تير»، بمعناه.

[5] ن: عظمة.

وقيل: ﴿صُفْرٌ﴾: سُودٌ تَضْرِبُ إلى الصُّفْرةِ، وفي شِعر عِمرانَ بنَ حِطَّانَ الخارجيِّ:

دَعَتْهُمْ بأَعْلَى صَوْتِها ورَمَتْهُمُ بمِثل الجِمالِ الصُّفرِ نَزَّاعَةُ الشَّوَى

وقالَ أبُو العَلاء:

حَمْراءَ ساطِعَةَ الذَّوائبِ في الدُّجَى تَرْمِي بكُلِّ شَرارةٍ كَطِرافِ

ولم يقل: صفراء، يعني: على القراءة بضمّ الجيم،[١] فإنّها لمّا كانت مفردةً كان المناسب صَفراء، لكن جُمع بالنظر إلى إرادة الجنس.

قوله:

(دَعَتْهُم بِأَعلى صوتها ورَمَتْهُمُ بمِثل الجِمالِ الصُفْرِ نَزّاعةُ الشَّوى)[٢]

يصِفُ جهنَّم ودعاءَها للكفّار إلى نفسها كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۞ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۞ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج ٧٠/١٥-١٧]، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما:[٣] «تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح، وتقول: إليَّ إليَّ،[٤] ثمّ تلتقطهم كما يَلتقِط الطير الحَبَّ».[٥]

قوله: "نَزَّاعَةُ الشَّوَى"، والشَّوَى: الأطراف، وهو القوائم والجلود، أي: دعَتهم نزَّاعةُ الشَّوى -وهي "لظَى"- بأعلى صوتِها، ورمَتْهم بشَرَرٍ كالقَصر، كأنّه جِمالات صُفر. وقوله: "نَزَّاعةُ" فاعل "دعَتْهم".

قوله:

(حَمْرَاءَ ساطِعةَ الذَّوائب في الدُّجى ترمي بكُلِّ شَرارةٍ كطِرافِ)

قبله:

الـمُوقِدِي نار القِرى الآصَالَ والأسْحارَ بالأهْضام والأشْعاف[٦]

---

[١] القراءة بضمّ الجيم في: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ شاذّة، نسبَها في المحتسب إلى ابن عباس، وسعيد بن جبير بخلاف، والحسن بخلاف، وأبي رجاء بخلاف، وقتادة بخلاف. انظر: المحتسب لابن جني، ٢/٣٤٧.

[٢] لم أجد مَن ذكره قبلَ الزمخشري، وذكرَه المفسّرون مِن بعده، كأبي حيان في البحر المحيط، ١٠/٣٧٨، والقرطبي في تفسيره، ١٩/٦٤.

[٣] د - رضي الله عنهما.

[٤] ن - إليّ.

[٥] الكشف والبيان للثعلبي، ٢٧/٣٥٤ (المعارج، ٧٠/١٧)، بغير سند.

[٦] ديوان سِقط الزَّند لأبي العلاء المعرّي، ٣٦.

فشبَّهَها بالطِّرافِ -وهو بَيْتُ الأَدَم- في العِظَمِ والحُمرَة، وكَأَنَّه قَصَد بخُبْثِهِ أَن يَزيد على تَشبيهِ القرآنِ، ولِتبَجُّحِهِ بما سُوِّلَ له مِن توَهُّم الزِّيادة جَاء في صَدْرِ بيته بقَوله: "حَمْرَاء" توطئةً لها ومُناداةً عليها وتَنْبِيهًا للسَّامِعينَ على مَكانِها، ولقَدْ عَمِيَ -جَمَع اللهُ له عَمَى الدَّارَيْنِ- عن قَولِهِ عزَّ وعَلَا: ﴿كأَنَّه جِمالاتٌ صُفْرٌ﴾ فإنَّه بمَنزِلةِ قَوله: كبَيْتٍ أَحمرَ، وعَلى أَنَّ في التَّشبيهِ بالقَصْر -وهوَ الحِصْن- تشبيهًا من جهَتَيْنِ: مِن جهَةِ العِظَم، ومِن جهَةِ الطُّولِ في الهَواء، وفي التَّشبيه بالجُمالاتِ -وهي القُلُوسُ- تشبيهٌ من ثلاثِ جِهاتٍ: مِن جهة العِظَم والطُّولِ والصُّفرةِ، فأبعَدَ اللهُ إغرَابَهُ في طِرافِه، وما نَفَخ بشِدقَيْهِ من استِطرافِه.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قرئ بنصب اليوم، ونَصَبَهُ الأعمشُ؛ ....

"الهِضْمُ" بالكسر: المُطمئِنُّ مِن الأرض، والجمع: أَهْضام وهُضُوم. و"الشَّعَفة" بالتحريك: رأس الجبل، والجمع: شَعَف وشُعوف وشِعاف وشَعَفات. سطع الغبار والرائحة والصبح يَسطع سُطوعًا، إذا ارتفع. و"الطِّراف": قبّة[1] مِن الأدَم. والمعنى: أنّ نيرانهم عظيمة فشَرارها على مقدار عظمها. وقوله: "حمراءَ" بدل مِن "نارِ القِرى" في البيت الأوّل.

قوله: (وكأنّه قصد) وإنّما ذكر المصنِّف أبا العلاء المَعرّي بهذه الوجوه لأنّه كان مطعونًا بأنّه يريد معارضة القرآن.

قوله: (جَمع الله)... إلخ دعاءٌ معتَرِض.

قوله: (وعلى أنّ في التشبيه) هو عطفٌ على معنى ما تقدّم، فكأنّه قال: ولم يطّلع على أنّ في التشبيه.

قوله: (وما نَفَخ)[2] عطفٌ على قوله: (إغرابَه).[3]

قوله: (بنَصْبِ "اليوم") أي: مِن ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾.

---

[1] ن: فيه.
[2] ن: أنفح.
[3] ن: إعرابة.

أي: هذا الّذي قُصّ علَيكُم وَاقِعٌ يَومئذٍ ويَومُ القيَامةِ طويلٌ ذُو مَواطِنَ ومَواقِيتَ: يَنْطِقُون في وَقْتٍ، ولا يَنْطِقُون في وَقْتٍ، ولِذلك ورَد الأمرَانِ في القُرآنِ، أو جُعِل نُطقُهم كَلَا نُطْقٍ لأنّه لا يَنفَعُ ولا يُسمَعُ.

﴿فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ عطفٌ على ﴿يُؤۡذَنُ﴾ مُنْخَرِطٌ في سِلك النَّفْيِ.

والمَعنى: ولا يكُون لَهُم إِذْنٌ واعتِذارٌ مُتعَقِّبٌ له، من غَير أن يُجْعَل الاعتِذارُ مُسبَّبًا عن الإذنِ، ولو نُصِبَ لكانَ مُسبَّبًا عنه لا مَحالَة.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾ كلامٌ مُوضِحٌ لقَوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ لأنّهُ إذا كان يَوْمَ الفَصْل بين السُّعَداء والأَشقيَاء وبَينَ الأَنبيَاءِ وأُمَمِهِمْ، فلا بُدَّ من جَمْعِ الأَوَّلين والآخِرينَ حتى يقَعَ ذلك الفصْلُ بَيْنهُم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٌ فَكِيدُونِ﴾ تقْريعٌ لَهُم على كيْدِهم لِدين الله وذَوِيه، وتَسجيلٌ علَيهم بالعَجز والاستِكانَة.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله: (متعَقِّبٌ) يريد أنّ الفاء في ﴿فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ لمجرّد التعقيب لا للسَّببيّة.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ﴾ الجمع بين "الجمع"[1] و"الفصل" لا يخفى حُسْنُ موقعه لفظًا ومعنًى.

قوله: (وذَوِيه)[2] الضمير مِن "ذَوِيه"[3] يعود إلى "دِين"، والمراد بـ"ذوي دِين الله": الأنبياء[4] ومَن تَبِعهم.

---

١ ن – بين الجمع.

٢ ن: ودوية.

٣ ن: دوية.

٤ ن: للابتداء.

﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾ في مَوضع الحالِ من ضمير المتَّقِين في الظَّرْف الَّذي هو في ظِلالٍ أي: هـم مُستقرُّونَ في ظِلالٍ مَقُولًا لَهُم ذلِك.

و﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾ حالٌ من "المُكَذِّبينَ"؛ أي: الوَيْلُ ثابِتٌ لَهُم في حالِ ما يُقالُ لَهُم: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾.

فإن قلت: كيْف يَصِحُّ أن يُقالَ لَهُم ذلك في الآخِرة؟

قلتُ: يُقالُ لَهُم ذلك في الآخِرة إيذَانًا بأَنَّهُم كانُوا في الدُّنيا أَحِقَّاءَ بأَنْ يُقالَ لَهُم وكانُوا من أَهْلِه؛ تذكِيرًا بحَالِهِمْ السَّمِجَةِ، وبِمَا جَنَوا على أنفُسِهم من إيثَارِ المتَاعِ القَليلِ على النَّعيم والمُلْكِ الخَالِد.

وفي طريقتِه قولُه:

إِخْـوَتِـي لا تَـبْـعَـدُوا أَبَـدًا ويَلَـى واللهِ قَـدْ بَعِـدُوا

يُرِيد: كُنتُم أَحِقَّاء في حيَاتكُم بأن يُدْعَى لكُم بذلك، وعُلِّلَ ذلك بكَوْنِهم مُجْرِمِينَ دلالةً على أَنَّ كُلَّ مُجْرِمٍ مَا لَهُ إلَّا الأَكْلُ والتَّمتُّعُ أَيَّامًا قَلائلَ ثـمَّ البَقاءُ في الهَلاك أبدًا.

ويجوز أَن يكُونَ ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾ كلامًا مُستَأنفًا خِطَابًا لِلمُكذِّبين في الدُّنيا.

[٤٤٧ظ] قوله: (فإن قلتَ: كيف يَصحُّ) أي: لا / أكلَ لهـم ولا تمتُّعَ[١] في الآخرة، فكيف قيل: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾؟

قوله: (قلتُ: يقال لهم ذلك في الآخرة)... إلخ، والدليل على أنّ المراد "يقال لهم في الآخرة": أنّ ما تَقدَّمه مِن قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وقوله:[٢] ﴿كُلُواْ﴾ ممّا يقال لهم في الآخرة.

قوله: (بذلك) أي: بقوله: (لا تَبعَدُوا).[٣]

---

[١] ن: يمتّع.

[٢] ن: قوله.

[٣] البيت لفاطمة بنت الأحجَم الخُزاعيّة، وهو في حماسة أبي تمّام. انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ١/٣٧٨.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ٱرْكَعُوا۟﴾: اخشَعُوا للهِ وتَواضَعُوا لَه بقبُولِ وَحْيِهِ واتِّباع دِينِهِ، واطرَحُوا هذا الاستِكبارَ والنَّخْوَةَ، لا يخشعُونَ ولا يقبَلُونَ ذلك، ويُصِرُّون على استِكبارهم.

وقيل: ما كان على العَرب أَشَدُّ من الركُوع والسُّجُود.

وقيل: نزلَتْ في ثَقيف حين أَمرَهُم رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بالصَّلاة، فقالُوا: لا نُجَبِّي فإِنَّها مَسبَّةٌ علَينا، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا خَيْرَ في دينٍ ليْسَ فيه ركُوعٌ ولا سُجُودٌ».

﴿بَعْدَهُۥ﴾: بعْدَ القُرآنِ، يَعْني: أَنَّ القرآن من بَيْن الكتُب المُنَزَلةِ آيةٌ مُبْصِرةٌ ومُعْجِزَةٌ باهِرَةٌ، فحيْنَ لم يُؤمِنُوا به فبِأيِّ كتابٍ بعْدهُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

وقرئ: "تؤمنون" بالتاء.

عن رسول الله عليه السَّلام: «مَن قرَأَ سُورةَ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ كُتِبَ له أنَّه ليس من المُشْرِكينَ».

قوله: (لا نُجَبِّي) التَّجْبِيةُ[1] تكون في حالَين: أحدهما: أن يقوم الإنسان قيامَ الراكع، وهو أن يضع يديه على ركبتيه. والثاني: أن يَنكَبَّ على وجهه باركًا، وهو السجود.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.

---

[1] قال ابن منظور: «العرب تقول: جَبَّى فلان تَجْبِيَةً إذا أكَبَّ على وجهِهِ باركًا، أو وضع يديه على ركبتيه مُنحَنِيًا وهو قائِم». لسان العرب لابن منظور، «جبي».

سورة عمّ

مكيةٌ، وتسمَّى: سورةَ النبأ، وهي أربعُون أو إحدَى وأربعُون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾

﴿عَمَّ﴾ أَصْلُه: عمَّا، على أنَّه حرفُ جَرٍّ دَخل على "ما" الاستفهاميَّةِ، وهُو في قراءة عِكرمةَ وعيسى بنِ عُمَر، وقال حسَّانٌ:

علـى مـا قـامَ يَـشـتِـمُـنـي لَـئـيمٌ كـخِـنْـزيـرٍ تـمـرَّغ فـي رمَـادِ

والاستعمالُ الكثِيرُ على الحَذف، والأصْلُ قليلٌ، ومعنى هذا الاستفهام: تفخيمُ الشأن؛ كأنَّه قال: عن أيِّ شَأن يتسَاءَلُونَ؟ ونحوُه "ما" في قَولك: "زيدٌ ما زيْدٌ؟"

سورة عمّ

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (وهو) أي: "عمّا".

قوله: (على ما قام يَشْتُمُني)... البيتَ[2]

"ما" في "قام" استفهاميّة. ومرَّغتُه في التراب تَمرِيغًا فتَمَرَّغ، أي: معَّكْتُه فتَمَعَّك، والمَوضع: مُتمَرَّغ ومَرَاغ ومَراغة.

قوله: (ونحوه: "ما" في قولك) "نحوه" مبتدأ، خبره "ما"، وقوله: "في قولك" حال عن "ما"؛ لأنّه في معنى الفاعل، والضمير في "نحوه" يعود إلى "ما" في

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ديوان حسّان بن ثابت، ٢٥٨/١، بلفظ:
ففيمَ تقول يشْتُمني لئيمٌ... البيتَ

جَعلْتَه لانقِطاع قرينهِ وعدمِ نظيره كأَنَّه شَيءٌ خَفِي علَيْك جِنسُه، فأنت تسألُ عن جنسِه وتفحَصُ عن جَوْهرِه؛ كما تقُول: "مَا الغُولُ؟ وما العَنقاءُ؟" تُريد: أَيَّ شيءٍ هُو من الأَشياء، هذا أَصْلُه، ثـمَّ جُرِّد للعبَارة عن التفخيم حَتَّى وَقع في كلام مَن لا تَخْفَى عليه خَافِيةٌ.

﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يَسْألُ بَعضُهم بعْضًا، أو: يَتساءلُون غَيْرَهم مِن رسُول الله والمؤمنِين؛ نحو: يَتداعَوْنهم ويَترَاءَونَهُم، والضميرُ لأَهْلِ مكَّة، كانوا يتَساءلُونَ فيما بينَهم عن البَعْثِ ويتساءلُونَ غيْرَهُم عَنه على طريق الاستهزاء.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ بيانٌ لِلشَّأنِ المُفخَّمِ.

وعن ابنِ كثيرٍ أنَّه قرأَ: "عمَّهْ" بهَاءِ السَّكْتِ، ولا يخلُو: إمَّا أَن يُجْرِيَ الوَصْلَ مُجْرَى الوقفِ، وإمَّا أَن يقِفَ ويَبْتدئَ: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّ﴾، يعني: أنّ "ما" في قولك: "ما زيدٌ؟" يشبه "ما" في ﴿عَمَّ﴾ في الدلالة على التفخيم، وقوله: (جعلتَه)... إلخ جملة مستأنَفة لتحقيق معنى الاستفهام في "ما[1] زيدٌ؟".

قوله: (كأنّه) مفعول ثانٍ[2] لـ"جعلتَه"، وقوله: (لانقِطاعِ) علّة هذا الجَعل.

قوله: (هذا أصلُه) "هذا" إشارة إلى ما يدلّ عليه قوله: (جعلتَه) إلى قوله: (جَوهرِه)،[3] والضميرُ مِن "أصلُه" يعود إلى "ما" في مثل "ما زيد؟" أي: جعل الشيء كالخفيّ عليك هو أصل استعمال "ما" في مثل هذا الموضع.

قوله: (أو يتساءلون غيرَهم) فيكون ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ بمعنى: يسألون. وقوله: (مِن رسول الله) بيان "غيرَهم".

قوله: (نحو يتداعَونَهم ويتراءَونَهم) معنى "يتداعَونهم": يدعونهم،[4] و"يتراءونهم": يرَونهم.

---

[1] ن: ما في.
[2] ن: بان.
[3] ن: جوهرة.
[4] ف: يَدْعونهم؛ ن: ويدعونهم.

على أَن يُضمَرَ "يتساءلون" لأنَّ ما بعْدَهُ يُفسِّرهُ كشَيءٍ يُبْهَمُ ثُمَّ يُفسَّرُ.

فإن قلتَ: قد زعَمتَ أنَّ الضَّمير في ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ لِلكفَّار، فما تَصنعُ بقَوله: ﴿هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾؟

قلتُ: كأن فيهم مَن يَقطعُ القَول بإنكار البَعْثِ ومِنهم مَن يَشُكُّ.

وقيل: الضميرُ للمُسْلمين والكافِرينَ جَميعًا، وكانُوا جَميعًا يسألُونَ عنه، أمَّا المُسْلِمُ فليزْدادَ خَشْيَةً واستِعْدادًا وأمَّا الكافرُ فليَزِيدَ استهزاءً.

وقيلَ: المُتَساءَلُ عَنه القرآنُ، وقيل: نُبُوَّةُ محمَّد عليه السلام.

وقرئ: "يَسَّاءلون" بالإدْغام، و: "ستَعلمُونَ" بالتاء.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ للمُتَسائِلينَ هُزؤًا، و﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ لَهُمْ بأنَّهم سوف يَعْلمُونَ أنَّ ما يتَساءَلُونَ عنه ويَضْحكُون مِنْه حَقٌّ لأنَّه واقِعٌ لا رَيْبَ فيه، وتكريرُ الرَّدْع

قوله: (على أن يُضمَر[1] "يتساءلون") ليكون عاملًا في ﴿عَمَّ﴾، فالتقدير: "عمّ يتساءلون، يتساءلون".

قوله: (لأنّ ما بعده يفسّره) أي: ما بعد ﴿عَمَّ﴾ يفسّر "يتساءلون".

قولـه تعالـى: ﴿هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ تأكيـدٌ، وفيـه معنـى الاختصـاص لأجـل تقديـم الفَصـل وهـو ﴿هُمْ﴾، ولـم يكـن لقريـشٍ اختصـاص بالاختـلاف فيـه؛ بـل شـاركهم فيـه غيرُهـم، ولكـن لمّـا كان خوضهـم أكثر وتعنّتهـم لـه أظهر جُعلـوا كأنّهم مخصوصون.[2]

قوله: (كشيء يُبهَم ثمّ يفسَّر) مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر ١٥/٦٦].

---

[1] ن: يصم.

[2] ف: مخصوضون.

مع الوَعيد تشديدٌ في ذلك، ومَعْنى: ﴿ثُمَّ﴾ الإشعارُ بأنَّ الوَعيدَ الثَّانيَ أبْلَغُ من الأوَّل وأشَدُّ.

فإن قلتَ: كيف اتَّصَل به قَولُه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾؟

قلتُ: لمَّا أنكَرُوا البَعْثَ قِيلَ لهُمْ: ألَمْ يَخلُقْ مَن يضاف إليه البَعثُ هذه الخلائقَ العجيبةَ الدَّالَّةَ على كمال القُدْرةِ، فما وجْهُ إنكار قُدرَتهِ على البَعْثِ وما هُو إلَّا اخْتِراعٌ كهذِه الاختراعاتِ؟

أو قِيل لهُم: ألَم نفْعَل هذِه الأفعالَ المُتكاثِرَة، والحكيمُ لا يفعَلُ فِعْلًا عَبَثًا، وما تُنْكِرُونَه من البَعْث والجزاءِ مُؤدٍّ إلى أنه عَابِثٌ في كلِّ ما فعَل.

﴿مِهَٰدًا﴾: فِرَاشًا، وقرئ: "مَهْدًا" ومَعناه: أنَّها لَهُم كالمَهْد لِلصَّبيِّ: وهو ما يُمْهَدُ له فيُنوَّمُ عَليه؛ تسميَةً للمَمْهُود بالمَصْدر كـ: ضَرْبِ الأمِير، أو وُصِفَت بالمَصْدر، أو بمَعْنَى: ذاتَ مَهْدٍ.

قوله: (وما هو إلّا اختراع) الواو للحال، أي: وما البعثُ...

قوله: (وما تنكرونه)... إلخ، تركيبٌ مشْكِلٌ؛ لأنّ ظاهره أنّ "ما" مبتدأ، و"مِن البَعث" بيان "ما"، وقوله: "مؤدٍّ" خبره، وحينئذٍ يئول المعنى إلى قولك: البعث والجزاء مُؤدٍّ إلى أنّه عابثٌ، وهذا معنًى فاسدٌ، فالوجه أن نقول:[١] "ما" عبارة عن إنكارهم، والضمير في "تنكرونه" مفعولٌ مطلقٌ عائدٌ / إلى إنكارهم،[٢] [٤٤٨و]
و"مِن" للابتداء، وخبر "ما" "مؤدٍّ"، أي: وإنكاركم الذي تنكرون ذلك الإنكار مؤدٍّ إلى أنّه تعالى عابثٌ، أي: إلى ادّعاء أنّه تعالى[٣] عابثٌ، أو إثباتِ[٤] أنّه عابثٌ. ثمّ اعلم أنّ الوجهين اللذين ذكرهما المصنِّف في الجواب أولُهما راجع إلى قدرته تعالى، والثاني إلى حكمته سبحانه وتعالى.

قوله: (تسميةً) متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: (هو ما يُمهَّد)، فكأنّه قال:

---

[١] ف: يقال.
[٢] ن – والضمير في "تنكرونه" مفعولٌ مطلقٌ عائدٌ إلى إنكارهم.
[٣] ف ن – تعالى.
[٤] ن: وإثبات.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾؛ أي: أرسَيْناهَا بالجِبالِ كما يُرْسَى البَيْتُ بالأَوْتادِ.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾

﴿سُبَاتًا﴾: مَوْتًا، والمَسبُوتُ: الميِّتُ، من السَّبْتِ وهو القَطْع؛ لأنَّه مَقْطُوعٌ عن الحركَة.

و"النَّومُ": أَحَدُ التَّوفِّيَيْنِ، وهو على بناء الأَدْواء.

ولمَّا جعَلَ النَّوْمَ مَوتًا جعَل اليَقَظة معَاشًا -أي: حَياةً- في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾؛ أي: وقْتَ معَاشٍ تَسْتيقِظُونَ فيه وتتقلَّبُونَ في حَوائجكُم ومكَاسِبِكُم.

وقيل: السُّباتُ: الراحَةُ.

أطلقوا المَهْد على ما يُمَهَّد تسميةً، فهو منصوب على أنّه مفعول له[1] أو مصدر؛ لأنّ إطلاقه عليه تسميته به، وقال في الصحاح: «المَهْدُ: مَهْدُ الصَّبيِّ، والمِهادُ: الفِراش، وقد مهَّدتُ الفِراش مَهْدًا؛ بسَطتُه ووطَّأتُه، وتمهيدُ الأمور: تسويتُها وإصلاحها، وتمهيد العُذر: بَسطُه وقَبوله.

قوله: (أرسَيناها) أي: الأرض، رَسا الشيءُ يَرْسُو؛ ثبَتَ، وأرسَيتُه: أثبتُّه.

قوله: (﴿سُبَاتًا﴾ موتًا) لمّا جعل النوم مَوتًا جعل الليل لباسًا؛ لأنّه لا بدّ للميّت أن يُلبَس فيُستَّر كالقبر وغيره، ولما[2] ذكَر النوم[3] كان[4] المناسب أن يقول:[5] ﴿سُبَاتًا﴾؛ لأنّ[6] النوم كالموت؛ لأنّ الميّت مقطوع، ولمّا ذكَر النهار -وهو وقت اليقظة- كان المناسب أن يقول ﴿مَعَاشًا﴾ بمعنى: وقت المعاش؛ لأنّ النهار وقتُ العيش.

قوله: (على بناءِ الأدْوَاء) كالسُّعال، والجُذام، ونحوهما.

قوله: (﴿مَعَاشًا﴾ أي: حياةً) العَيش: الحياة، وقد عاش الرجل معاشًا ومَعيشًا.

---

[1] ن - له.
[2] ف + كان.
[3] ن - ذكر النوم.
[4] ف - كان.
[5] ف ن - أن يقول.
[6] ن: كان.

﴿لِبَاسًا﴾ يَسْتُرُكُم عن العيُونِ إذا أَرَدْتُم هَرَبًا من عدُوّ أو بيَاتًا لهُ، أو إخْفاءَ ما لا تحِبُونَ الاطِّلاعَ عَليه من كثيرٍ من الأمُورِ، قال أبو الطَّيِّبِ:

وكَم لِظَلام اللَّيْل عِندكَ مِن يدٍ   تُخبِّرُ أَنَّ المَانَوِيَّةَ تكذِبُ

﴿سَبْعًا﴾: سبعَ سماواتٍ ﴿شِدَادًا﴾: جمعُ شَدِيدةٍ، يعني: مُحكمةً قويَّةَ الخَلقِ لا يُؤثِّرُ فيها مُرُورُ الأزْمانِ.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾

﴿وَهَّاجًا﴾: مُتَلألِئًا وقَّادًا، يَعْني: الشمسَ، وتَوَهَّجَتِ النَّارُ: إذا تلمَّظَتْ فَتَوهَّجَتْ بِضَوئها وحَرِّها.

"المعصراتُ": السَّحائبُ إذا أَعصَرَتْ؛ ....

قوله:

(وكم لظلام الليل عندك مِن يد   تُخَبِّر أنّ المانَوِيَّة تكذب)

البيت للمُتنبِّي، المانَويَّة: منسوبةٌ إلى "مَانِي"، وهو اسم رجل يقول بالنور والظلمة، ويزعم أنّ الخير كلُّه في النور، وهو الذي يأتي بالخير، والشرَّ كلُّه في الظلمة، وهو الذي يأتي بالشرِّ، وردَّ المتنبِّي عليه في هذا البيت فقال: كم مِن نِعمةٍ للظُلمة يبيِّن[1] أنّ هؤلاء الذين نَسَبوا الشرَّ إليها كاذبون! ثمّ بيَّن تلك النعمة فقال:

وقاك رَدى الأعداء تَسري إليهمُ   وزارك فيه ذو الدلالِ[2] المُحَجَّبُ

أي: وقاك ظلامُ الليل العدوَّ وأنت تَسري إليهم فيما بينهم فلا يبصرونك،[3] وزارك في الظلام المحبوب الذي له عليك دَلالٌ،[4] وهو مُحجَّبٌ عن العُيون.[5]

---

١ ن: بين.

٢ ف: الذُّلال.

٣ ن – ظلامُ الليل العدوَّ وأنت تَسري إليهم فيما بينهم فلا يبصرونك.

٤ ف: ذَلال.

٥ انظر: شرح معاني شعر المتنبّي لابن الأفليلي، ١/١٢٠.

أي: شَارَفَتْ أَن تَعْصِرَها الرِّياحُ فَتُمْطرَ؛ كقَولك: أَجَزَّ الزَّرْعُ: إذا حانَ له أن يُجَزَّ، ومنه: أَعْصَرتِ الجارِيَةُ: إذا دنَتْ أَن تَحِيضَ.

وقَرأ عكرمةُ: "بالمُعْصِرات" وفيه وَجْهانِ: أن تُراد الرِّياحُ التي حانَ لهَا أن تَعْصِرَ السَّحابَ. وأن تُرادَ السَّحائبُ؛ لأنَّه إذا كان الإِنْزال منها فهُو بهَا؛ كما تَقُول: "أَعْطَى مِن يَدِه درْهمًا" و: "أَعْطَى بيَدِه".

وعن مجاهِدٍ: المُعصراتُ: الرِّياحُ ذَوَاتُ الأعَاصِيرِ.

وعن الحسن وقتَادةَ: هيَ السَّماواتُ، وتأويلهُ: أنَّ الماءَ يَنْزِلُ من السماء إلى السَّحَابِ فكأنَّ السماواتِ يُعْصِرْنَ؛ أي: يَحْمِلنَ على العَصْر ويُمَكِّنَّ مِنْه.

فإن قلتَ: فما وجْهُ مَن قَرأ: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ وفَسَّرها بالرِّياح ذوَات الأعَاصيرِ، والمطَرُ لا يَنْزِلُ من الرِّياحِ؟

قلتُ: الرِّياحُ هي الَّتي تُنشئ السَّحابَ ....

قوله: (أي: شارَفَتْ)... إلخ، وذلك لأنّ العاصر هو الريح، والمعتَصِر هو السحاب، فإذا قيل للسحاب: المُعْصِر[1] فهو بهذا المعنى الذي ذكره المصنِّف.

قوله: (ذوات الأعاصير) الأعاصير: جمع الإعصار، وهي الريح التي تستدير في الأرض، ثمّ ترتفع نحو[2] السماء كالعمود.

قوله: (فكأنّ السماوات)... إلخ، فكأنّ السماوات يحمِلْن الرياح على أن يَعصِرْنَ السحاب، وكذا السماوات يمكِّنَّ الرياح مِن عصر السحاب؛ وذلك لأنّه إذا كان الماء الذي في السحاب إنّما ينزل إلى السحاب مِن السماء، فلو لم ينزل مِن السماء إلى السحاب[3] لم يَعصِر الريحُ السحابَ، ولم يتمكّن مِن العَصر؛ لأنّ ذلك إنّما يكون بعد وجود الماء في السحاب، / وعلى هذا يكون الهمزة في "الإعصار" للتعدِية. [٤٤٨ظ]

---

[1] ن: المعصير.

[2] ف: نجو.

[3] ن – إنّما ينزل إلى السحاب مِن السماء، فلو لم ينزل مِن السماء إلى السحاب.

وتُدِرُّ أَخلافَهُ، فيَصِحُّ أن تُجعَلَ مَبدَأً للإنزال.

وقد جَاء: أَنَّ الله تعالى يَبعثُ الرِّياحَ فتَحْمِلُ الماءَ من السَّماء إلى السَّحابِ. فإن صَحَّ ذلك فالإنزالُ منها ظاهِرٌ.

فإن قلتَ: ذُكِرَ عن ابن كَيسانَ أَنَّه جعَل ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ بمَعْنى: المُغِيثاتِ، والعَاصِرُ هو المُغِيثُ لا المُعصِرُ، يُقالُ: عصَره فاعتصَر.

قلتُ: وَجْهُهُ: أَن يُرِيدَ: اللَّاتي أَعْصَرْنَ؛ أي: حَانَ لها أن تَعْصِرَ؛ أي: تُغِيثَ.

﴿ثَجَّاجًا﴾: مُنْصبًّا بكثْرةٍ، يقال: ثَجَّه، وثَجَّ بنَفسه.

وفي الحديث: «أَفْضَلُ الحجِّ: العَجُّ والثَّجُّ»؛ أي: رَفعُ الصَّوْتِ بالتَّلبيَةِ، وصَبُّ دماء الهَدْيِ.

قوله: (تُدِرُّ[١] أخلافَه) درَّ[٢] الضَّرعُ باللبن يدُرُّ دُرورًا، وأدرَّت[٣] الناقة فهي مُدِرَّةٌ إذا دَرَّ لبنها، والريح تُدِرُّ السحابَ وتستدِرُّه، أي: تستجلِبه، ومنه قولهم: "بين عينيه عِرقٌ يُدِرُّه الغضبُ".[٤] والخِلْفُ بالكسر: حَلَمَة[٥] ضَرْع الناقة.

قوله: (وقد جاء أنّ الله تعالى)... إلخ، وقال بعضهم: يحمل الرياح الماء مِن البحر إلى السحاب، وفُسِّر قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر ٢٢/١٥] بأنّ "اللواقِح" جمع لاقِحة، وقال: الرياح لاقِحة، أي: حاملٌ بالبُخارات التي تحمله مِن البحر فتقذف ذلك في السحاب، فمنه يجيء المطر.

قوله: (أنّه جعل) بدلٌ[٦] مِن "ابنُ كيسان" بدل الاشتمال.

قوله: (والعاصِرُ) جملة معترضة.

قوله: (قلتُ: وجهه)... إلخ، فيكون "أعصَر" على هذا الوجه بخلافه على الوجه الأوّل، إذِ المراد[٧] بـ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ هنا: الرياح، أي: حانَ لها أن تعصِر السحاب.

---

١ ن: تذر.
٢ ن: ذر.
٣ ن: وأذرت.
٤ شمائل الترمذي، ص ٢٢ (٧).
٥ ن: حكمه.
٦ ن: بذل.
٧ ن: المرء.

وكان ابنُ عبَّاسٍ مِثَجًّا يَسيلُ غَرْبًا. يعني: يَثُجُّ الكلامَ ثجًّا في خُطْبَتِه.

وقرأ الأعرَجُ: "ثجَّاحًا"، ومَثاجحُ الماء: مَصَابُّهُ، والماءُ يَنثجِحُ في الوَادِي.

﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ يُريدُ: ما يُتَقوَّتُ به من نحو الحِنطَةِ والشَّعيرِ، وما يُعتَلَفُ من التِّبْن والحشيشِ، كما قال: ﴿كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ [طه ٥٤/٢٠] ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن ١٢/٥٥].

﴿أَلْفَافًا﴾: مُلْتفَّةً، ولا واحدَ له كالأَوْزاع والأَخْيافِ، وقيل: الواحِدُ لِفٌّ.

وقال صاحِبُ الإِقليد: أنشدَنِي الحسَنُ بن عَليّ الطُّوسيُّ:

جَـنَّـةٌ لِـفٌّ وعَـيْـشٌ مُـغْـدِقٌ   ونَـدامَـى كُـلُّـهم بِـيضٌ زُهُـرْ

قوله: (غَرْبًا) الغَرْبُ: الدَّلْوُ العظيمة مِن مَسْكِ ثَورٍ،[١] أي: يَسيل سَيلانًا مثل سيلان الغَرْب، حُذِف "سيلانًا"[٢] بقي "مثل سيلان الغَرْب"، ثمّ حُذِف "المِثل"،[٣] ثـمّ حُذِف "السَّيلان"، فصار "يَسيلُ غَرْبًا".[٤]

قوله: (ما يُتقوَّت) هو الحَبُّ.

قوله: (وما يُعتَلَف) هو النبات.

قوله:[٥] (كالأَوْزَاع والأَخْياف) الأوزاع: الجماعات، يقال: بها[٦] أوزاعٌ مِن الناس، أي: جماعات، والأخياف: المختَلِفات،[٧] يقال: إخوةٌ أخيافٌ، أي: مختلِفةُ[٨] الآباء مِن أمّ واحدةٍ.

قوله: (الإقليد) اسم تفسير.

قوله -شعر-:[٩]

(جـنَّـةٌ لِـفٌّ وعـيـشٌ مُـغْـدِقٌ   وَنَـدَامَـى كُـلُّـهم بِـيـضٌ[١٠] زُهُـرْ)

---

١ مَسْك ثور: جِلْده. انظر: لسان العرب لابن منظور، «مسك».

٢ ن: سيلان.

٣ ن - ثم حذف المثل.

٤ لم أجده بهذا اللفظ، وفي المعجم الكبير للطبراني، ٢٦٥/١٠ (١٠٦٢٠): «وَكَانَ مِثَجَّةً نَجِدًا غَرْبًا».

٥ ن - هو الحبّ. قوله: (وما يعتلف) هو النبات. قوله.

٦ ف: لها.

٧ ن - المختلفات.

٨ ن + من.

٩ ن - شعر.

١٠ ن - بيضٌ.

وزعَم ابنُ قُتَيبةَ أنَّه لَفّاءُ ولُفٌّ ثمَّ أَلفافٌ.

وما أَظنُّه واجِدًا له نَظيرًا من نحو خُضْرٍ وأَخضارٍ وحُمْر وأَحْمار، ولو قيل: هو جمْعُ ملْتفَّةٍ بتقدير حذْفِ الزَّوائد لكان قَوْلًا وَجيهًا.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾

﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ كان في تقدير الله وحُكْمهِ حَدًّا تُوقَّتُ به الدُّنْيا وتنتَهِي عِنده، أَوْ حَدًّا للخلائِق يَنتَهُون إليه.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ بدَلٌ من ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ أو عَطْف بيَانٍ ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ من القبُور إلى المَوقِف أُممًا كلُّ أمَّةٍ مع إِمَامِهم، وقيل: جَماعاتٍ مُختَلِفةً.

وعن مُعاذ رضي الله عنه أنَّه سَألَ عنه رسولَ الله، فقال: «يا مُعاذ، سألتَ عن أَمْرٍ عظيمٍ من الأُمُور»، ثمَّ أَرْسَل عَينَيْه وقال: «تُحشَر عشَرة أصْنَافٍ من أُمَّتي: بعْضُهم على صُورةِ القِرَدة، وبَعضُهم على صُورة الخنَازير، وبَعْضُهم مُنَكَّسُون أَرْجُلُهم فوق وجُوهِهم يُسْحَبُونَ عليها، وبَعضُهم عُمْيًا، وبَعضُهم صُمًّا بُكْمًا، وبَعضُهم يَمضَغُونَ أَلْسِنَتَهُم فهِيَ مُدلَّاةٌ على صُدُورِهم، يَسيلُ القَيْحُ مِن أَفْواهِهم يَتَقَذَّرُهُمْ أَهْلُ الجَمْع، وبعضُهُم مُقَطَّعةٌ أَيْدِيهم وأَرْجُلُهم، وبَعضُهم مُصَلَّبُونَ

"مُغْدِقٌ" أي: ناعمٌ، والغَدَقُ: الماء الكثير. و"النَّدامَى" جمع النَّدمان،[1] يقال: نادَمَني فلان على الشراب، فهو ندِيمي ونَدْماني، وجمع النَّديم: نِدامٌ، وجمع النَّدمان:[2] ندامى. و"بيضٌ" أي: حِسَان. ورجلٌ أزهَر، أي: أبيض مُشرِق الوجه، يصف الشاعر طيبَ الزمان والمكان وكرَمَ الإخوان.

قوله: (مِن نحو: خُضر) أي: لم يوجد خُضْرٌ وأَخْضار.

قوله: (أرسل عَينَيه) أي: أرسل[3] دمعَ عَينَيه.

قوله: (يتقذَّرُهم) القَذَر: ضدُّ النظافة، يقال: قَذِرَه وتقَذَّره[4] واستقْذَره، أي: كرِهَه.

---

١ ن: الندمات.

٢ ن: الندماني.

٣ ن – أرسل.

٤ ن – القذَر: ضدُّ النظافة، يقال: قَذِره وتقذّره.

على جُذُوعٍ من نارٍ، وبعضُهم أشَدُّ نَتْنًا مِن الجِيَف، وبَعضُهم مُلبَسُون جِبَابًا سَابِغةً من قَطِرانٍ لازِقةً بجُلُودهم.

فأمَّا الَّذين على صُورة القِرَدة فالقَتَّاتُ من النَّاس، وأمَّا الذين على صُورة الخَنازير: فأهْل السُّحْتِ، وأمَّا المُنكَّسُونَ على وُجُوههم فأكَلَةُ الرِّبا، وأمَّا العُمْيُ فالَّذين يَجُورُون في الحُكم، وأمَّا البُكم والصُمُّ فالمُعْجَبُونَ بأعْمالِهم، وأمَّا الَّذِين يَمضَغُون ألسِنَتَهُم فالعُلماء والقُصَّاصُ الَّذين خالفَ قولُهُم أعْمالَهُم، وأمَّا الَّذِين قُطِّعتْ أيْدِيهم وأرجُلُهم فهُم الَّذين يُؤذُون الجِيرانَ، وأمَّا المُصَلَّبونَ على جذوع من نارٍ فالسُّعَاة بالنَّاس إلى السُّلطَانِ، وأمَّا الَّذين هُمْ أشَدُّ نَتْنًا من الجِيَفِ فالَّذِين يَتَّبعُونَ الشَّهواتِ واللَّذَّاتِ ومَنعُوا حقَّ الله في أموالِهِم، وأمَّا الَّذين يُلْبَسُونَ الجِبابَ فأَهْلُ الكِبْر والفَخْرِ والخُيلاء».

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ٢٠﴾

قرئ ﴿وفُتِّحت﴾ بالتَّشديد والتخفيف.

والمَعْنى: كَثُرَت أَبْوابُها المُفَتَّحةُ لِنُزول المَلائكة كأنها لَيْسَتْ إلَّا أبوابًا مُفتَّحةً؛ كقَوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر ١٢/٥٤] كأنَّ كُلَّها عيُونٌ تتفجَّرُ.

وقيل: الأَبْوابُ: الطُّرُقُ والمَسَالِكُ؛ أي: تُكشَطُ فيَنفتِحُ مكانُها وتَصِيرُ طُرُقًا لا يَسُدُّها شَيءٌ.

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ كقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة ٦/٥٦]، يَعْني: أنَّها تَصِيرُ شَيئًا كلا شَيءٍ؛ لِتَفرُّقِ أَجْزائها وانْبِثاث جَواهِرِهَا.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ٢٦﴾

"المِرْصادُ": الحدُّ الَّذي يكُون فيه ....

قوله: (فالقَتّات) أي: النمّام، القَتُّ: نَمُّ الحديث.

الرَّصَدُ، والمَعْنى: أَنَّ جهنَّم هيَ حَدُّ الطَّاغِينَ الَّذين يُرْصَدُونَ فيه للعَذابِ وهيَ مآبهُمْ، أو هيَ مِرْصادٌ لأَهلِ الجنَّةِ تَرْصُدُهم المَلائكةُ الَّذِين يَسْتَقْبِلُونهُم عِنْدَها لأنَّ مَجازَهُم عَلَيها وَهِي مآبٌ للطَّاغِينَ.

وعن الحَسن وقتادةَ نحوُه قالَا: طريقًا وممرًّا لأَهْل الجنَّة.

وقرأ ابنُ يَعْمَرَ: "أَنَّ جهنَّمَ" بفَتح الهَمزَة على تَعْلِيلِ قيام السَّاعةِ بأَنَّ جَهنَّم كانتْ مِرْصَادًا للطَّاغِين؛ كأنَّه قِيل: كان ذلك لإقامَةِ الجَزاء.

قرئ: ﴿لَابِثِينَ﴾ و: ﴿لَبِثِينَ﴾ واللَّبِثُ أقوَى؛ لأنَّ اللابثَ مَن وُجِد منه اللَّبْثُ، ولا يقالُ "لَبِثٌ" إلَّا لمَن شأنُه اللَّبْثُ كالَّذِي يَجْثِمُ بالمكانِ لا يَكادُ يَنفَكُّ منه.

﴿أَحْقَابًا﴾ حُقُبًا بعْدَ حُقْبٍ، كُلَّما مضَى حُقْبٌ تَبِعَهُ آخَرُ إلى غيْر نهَايةٍ، ولا يَكادُ يُستَعْملُ الحُقب والحِقبَة إلَّا حَيْثُ يُرادُ تتابُعُ الأَزمنةِ وتوَاليهَا، والاشتِقاقُ يَشهَدُ لِذلك، ألا تَرى إلى حَقِيبة الرَّاكِبِ والحَقَبِ الَّذي ورَاءَ التَّصْديرِ.

وقيل: الحُقْبُ ثمانُونَ سَنةً.

قوله: (الرَّصَد) الراصد للشيء: الراقِب له، يقول: رصَدَه يرصُدُه رَصْدًا ورَصَدًا، والرَّصَد: القوم يَرصُدون، يستوي فيه الواحد[1] والجَمع والمؤنّث،[2] وربّما قالوا: إرْصاد.

قوله: (عندها) أي: عندَ جهنّم.

قوله: (لأنّ مَجازَهم) أي: جَوازَهم ومُرورَهم. وقوله: (عليها) أي: على جهنّم.

قوله: (والحَقَب) الحَقَب بالتحريك: حَبْلٌ يُشَدُّ به الرَّحلُ[3] إلى بطن البعير ممّا يلي ثِيلِه كَيلا[4] يَجتذبه التصدير، تقول منه: أحقَبت البعيرَ، وحَقِبَ البعيرُ بالكسر، إذا أصابَ حَقَبُه ثِيلَه واحتَبَس بولَه، والثِّيلُ: / وعاءُ قضيب البعير، [٤٤٩و]
والتصدير: الحَبلُ الذي يكون أعلى الصدر، والحَقَبُ بخلافه.

---

[1] ن: اواحد.
[2] ن: المؤنث.
[3] ن: الرجل.
[4] ن: ليلا.

ويجوز أَن يُرادَ: لابِثين فيها أَحقابًا غيْرَ ذائِقين بَرْدًا ولا شَرابًا إِلَّا حمِيمًا وغسَّاقًا، ثُمَّ يُبدَّلُونَ بعد الأَحْقابِ غيرَ الحَميم والغَسَّاق من جِنسٍ آخَر مِن العَذابِ.

وفيه وجهٌ آخَرُ: وهُو أن يكُونَ من: حَقِبَ عامُنَا: إذا قَلَّ مَطَرُه وخَيْرُه، وحَقِبَ فُلانٌ: إذا أَخْطَأَهُ الرِّزْقُ، فهُو حَقِبٌ، وجَمْعُه: أَحْقابٌ، فيَنْتَصِبُ حَالًا عنْهُم، يَعْني: لابِثِينَ فيها حَقِبينَ جَحِدينَ.

وقَولُه: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ تفسيرٌ لهُ، والاستِثناءُ مُنقطعٌ، يَعني: لا يَذُوقُونَ فيها بَردًا ورَوْحًا يُنفِّسُ عنْهُم حَرَّ النَّارِ ولا شَرابًا يُسكِّنُ من عطَشِهم، ولكِنْ يَذُوقُون فيها ﴿حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾.

وقيل: البَرْدُ: النَّومُ، وأُنشِدَ:

قولـه: (غيـرَ ذائقيـن) فعلـى هـذا لا يكـون قولـه: "غيـرَ ذائقيـن" فـي كلام المصنِّف حالًا مِن الضمير في ﴿لَّبِثِينَ﴾،[1] ولا يجوز أن يكون صفةَ ﴿أَحْقَابًا﴾؛ لأنّه حينئذٍ يكون جاريًا على غير مَن[2] هي له، فكان[3] يجب إبراز[4] الضمير، بأن يقال: غيرَ ذائقين[5] هم فيها.

قوله: (ثـمّ يبدّلون) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: ﴿لَّبِثِينَ﴾... إلخ، والحاصل: أنّهم يعذّبون في تلك الأحقاب بالحَميم والغَسَّاق، ثـمّ يعذّبون بعد تلك الأحقاب بأنواع أُخَر مِن العذاب.

قوله: (مِن جِنس) بيان "غير".[6]

قوله: (جَحِدِينَ) أي: قليلًا خَيرهم، الجَحْد: قلة الخير، وكذلك الجُحْد بالضَّمّ، والجَحَدُ بالتحريك مِثله، يقال: نكَدًا[7] له وجَحَدًا، وجَحِدَ الرجل -بالكسر- جَحَدًا،[8] فهو جَحِدٌ؛ إذا كان ضَيِّقًا قليلَ الخير.

---

[1] ن: الابثين.
[2] ن: ممن.
[3] ن: وكان.
[4] ن: إيجاز.
[5] ن: تقين.
[6] ن - قوله: (من جنس) بيان "غير".
[7] ن: فكذا.
[8] ن - جَحَدًا.

فلَو شِئْتِ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِوَاكُمُ وإن شئتِ لم أَطْعَمْ نُقَاخًا ولا بَرْدَا

وعن بعضِ العَرب: مَنعَ البَرْدُ البَرْدَ.

وقرئ ﴿غَسَّاقًا﴾ بالتخفيف والتَّشديد: وهو ما يَغسِقُ؛ أي: يَسيلُ من صَدِيدهم.

﴿وِفَاقًا﴾ وَصْفٌ بالمَصْدرِ، أو: ذَا وِفاقٍ.

وقَرأ أبُو حيْوةَ: "وَفَّاقًا" فَعَّالٌ مِنْ وَفِقَهُ كذَا.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾

﴿كِذَّابًا﴾: تكذِيبًا، وفِعَّالٌ في بابِ "فعَّل" كلِّه فاشٍ في كلامِ فُصَحاءَ مِنَ العَربِ لا يقُولُون غيرَهُ، وسَمِعَني بَعْضُهُم أُفَسِّرُ آيةً فقال: لَقد فَسَّرتَها فِسَّارًا ما سُمِعَ بمثلِهِ.

وقرئ بالتخفيف، وهوَ مصْدَرُ كَذَبَ بدَليلِ قوله:

فصَدَقْتُها وكَذَبْتُها والمَرْءُ يَنفعُه كِذَابُه

قوله: (نُقاخًا) النُّقاخُ: الماءُ العَذْب.

قوله: (مَنَعَ البَرْدُ البَرْدَ) "البَرْدَ" أي: النوم.[1]

قوله تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾، أي: جازيناهم جزاءً وافَقَ أعمالَهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ لا يخافون أن يُحاسَبوا، والمعنى: أنّهم كانوا لا يؤمنون بالبَعث، ولا يخافون أن يحاسَبوا.

قوله: (مِن وَفِقَهُ) أي: لاقَهُ.

قوله: (وهو مَصدرٌ) أي: الكِذَّاب مصدر كَذَبَ، بدليل قوله: (وإن جعلته بمعنى المُكاذَبة)... إلخ، الحاصل: أنّه إذا جُعل بمعنى المُكاذَبة فإمّا[2] أن يكون مصدرًا أو حالًا، وعلى الوجهين فإمّا أن يراد حقيقة المشاركة أو يكون للمبالغة.

---

[1] ن – قوله: (منع البَرْدُ البَرْدَ) "البردَ" أي: النوم. [2] ن: وإما.

وهو مِثْلُ قوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح ١٧/٧١].

يَعْني: وكَذَّبُوا بآياتِنا فكذَبُوا كِذَابًا، أو تَنصِبُه بـ"كَذَّبُوا" لأنَّه يتضمَّن معنى: كَذَبُوا؛ لأنَّ كُلَّ مُكذِّبٍ بالحقِّ كاذِبٌ.

وإنْ جعلْتَه بمَعنى المُكاذَبةِ فمَعْناه: وكَذَّبُوا بآياتِنا فكاذَبُوا مُكاذَبةً.

أو: كَذَّبُوا بهَا مُكاذِبينَ؛ لأنَّهم إذا كانوا عندَ المسلمينَ كاذِبين، وكان المُسلِمونَ عندَهُم كاذِبين فبَيْنهُم مُكاذَبةٌ، أو لِأنَّهُم يتكلَّمُونَ بما هو إفْراطٌ في الكذِبِ فِعْلَ مَن يُغَالِبُ في أَمْرٍ فيَبْلُغُ فيه أقصَى جَهْدِه.

وقرئ: "كُذَّابًا" وهو جَمْعُ كاذبٍ؛ أي: كَذَّبُوا بآياتِنا كاذبين، وقد يكُون الكُذَّابُ بمَعْنى الواحِد البَليغ في الكَذِبِ، يُقال: رَجُلٌ كُذَّابٌ؛ كقولك: حُسَّانٌ وبُخَّالٌ، فيُجعَلُ صِفةً لمَصْدرِ كذَّبُوا؛ أي: تكذيبًا كُذَّابًا مُفْرطًا كِذْبُه.

وقرأ أبو السَّمَّال: "وكلُّ شيءٍ أَحْصَيْنَاه" بالرَّفع على الابتداء.

﴿كِتَـٰبًا﴾ مَصْدَرٌ في مَوْضِعِ: إِحْصَاءً، أو "أَحْصَيْنا" في مَعْنَى: كتبنَا؛ لالتِقاءِ الإِحْصَاءِ والكِتْبَةِ في مَعنى الضَّبْطِ والتَّحْصيلِ، أو يكُونُ حالًا في معنى: مكتُوبًا في اللَّوْح وفي صُحُفِ الحفَظةِ.

والمَعْنى: إِحْصَاءُ معَاصِيهم كقَوله: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة ٦/٥٨]، وهُو اعتِراضٌ.

وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ مُسبَّبٌ عن كفْرِهم بالحسَابِ وتكذِيبهم بالآياتِ، وهي آيةٌ في غاية الشِّدَّة، وناهيكَ بـ"لَنْ نَزيدَكُم" وبِدلالتِه على أَنَّ تركَ الزِّيادةِ كالمُحالِ الَّذِي لا يَدْخُلُ تحتَ الصِّحَّة، وبمَجيئهَا على طريقة الالتِفاتِ شاهِدًا على أَنَّ الغَضَبَ قد تَبالَغَ، وعن النَّبيِّ عليه السَّلام: «هذه الآيةُ أشدُّ ما في القرآنِ على أَهْلِ النَّارِ».

قوله: (فِعْلَ مَن يُغالِب) "فِعلَ" نُصِب بـ"يتكلَّمون" على المصدر.

قوله: (فيُجعَل) يعني: إذا جُعِل بمعنى الواحد ينبغي أن يُجعَل صفةً للمصدر.

قوله: (لالتِقاء الإحصاء) متعلِّق بالوجهين.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧﴾

﴿مَفَازًا﴾: فوزًا وظَفَرًا بالبِغيَةِ، أو: مَوْضِعَ فوزٍ.

وقِيل: نجَاةً مِمَّا فيهِ أُولئك، أو مَوضِعَ نَجاةٍ.

وفُسِّر المفَازُ بما بعْدهُ.

و"الحَدائق": البَساتينُ فيهَا أنواعُ الشَّجر المُثمِر.

و"الأَعنابُ": الكرُومُ.

و"الكواعِبُ": اللَّاتِي فَلَّكَتْ ثُدِيُّهُنَّ، وهُنَّ النَّواهِدُ.

و"الأَتْرابُ": اللِّداتُ.

و"الدِّهاقُ": المُترعَةُ، وأَدْهقَ الحَوْضَ: ملأهُ حَتَّى قال: قَطْنِي.

وقرئ ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ بالتَّشديدِ والتَّخفيف؛ أي: لا يُكَذِّبُ بَعْضُهم بَعْضًا ولا يَكْذِبُه أو لا يُكاذِبُه.

وعن عليّ رضي الله عنه أنَّه قَرَأ بتخفيفِ الاثْنين.

قوله: (وهو اعتراض) أي: جملة معتَرِضة.

قوله: (فَلَّكَتْ) فَلَّكَ ثديُ[1] الجارية تفليكًا وتفلَّكَ؛ استدار.

قوله: (بالتشديد[2] والتخفيف)[3] ذَكَر للتشديد[4] معنًى، وللتخفيف معنيان: الأوّل: أن يكون مصدرَ فَعَلَ. والثاني: مصدر فاعَلَ.

قوله: (بتَخفيف الاثنَين) أي: بتخفيف ﴿كَذَّبُواْ﴾، وبتخفيف ﴿كِذَّابًا﴾.[5]

---

[1] ن: بدى.

[2] ف: بالتسديد.

[3] قرأ بتخفيف الذال من ﴿كِذَّابًا﴾ الكسائي، وقرأ باقي القرّاء العشر بالتشديد. انظر النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٧.

[4] ف: للتسديد.

[5] القراءة بتخفيفهما شاذّة. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/٣٤٨.

﴿جَزَآءً﴾ مَصْدرٌ مؤكِّدٌ منصوبٌ بمعنى قولِهِ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ كأنَّه قال: جَازَى المتَّقِين بمَفَازٍ.

و﴿عَطَآءً﴾ نَصبٌ بـ﴿جَزَآءً﴾ نَصْبَ المفعُول بهِ؛ أي: جَزَاهُم عَطَاءً.

و﴿حِسَابًا﴾ صفةٌ بمَعنى: كافيًا، مِن أَحْسَبه الشَّيءُ: إذا كَفاهُ حتَّى قال: حَسْبِي.

وقيل: على حَسَبِ أعمَالهم.

وقرأ ابن قُطَيْبٍ: "حَسَّابًا" بالتشديدِ على أنَّ الحَسَّابَ بمَعْنى المُحْسِبِ كالدَّرَّاكِ بمَعْنى المُدْرِكِ.

قرئ: ﴿ربُّ السَّمواتِ﴾ و: ﴿الرَّحمنُ﴾ بالرفع، على: هو رَبُّ السَّماوات الرحمنُ، أو ﴿رَبُّ السماواتِ﴾ مُبتدأٌ و﴿الرَّحمنُ﴾ صفةٌ و﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ خَبرٌ، أو هُما خَبرانِ.

وبالجرِّ على البدَلِ من ﴿رَبِّكَ﴾، وبجرِّ الأوَّلِ ورَفعِ الثَّاني على أنَّه مبتَدأٌ خَبرُه: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾، أو: هُو الرَّحمنُ لا يَملكُون.

والضميرُ في ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لأهلِ السَّماواتِ والأرض؛ أي: ليس في أيدِيهم ممَّا يُخاطِبُ به اللهُ ويأمُر به في أَمْر الثَّوابِ والعِقابِ خِطَابٌ واحِدٌ يتصرَّفُونَ فيه تصرُّفَ المُلَّاكِ فيَزِيدُونَ فيه أو يَنقصُونَ مِنه.

قوله: (و﴿حِسَابًا﴾ صفة)[1] فيكون بمَعنى: مُحْسَبًا.

قوله: (و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ صفة) في قوله: "﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ صفةٌ" نظَرٌ؛ لأنّ المضاف إلى المعرَّف باللام لا يوصف بالمعرَّف باللام.

قوله: (ليس في أيديهم) يشير به إلى أنّ قوله تعالى: ﴿مِنْهُ﴾ في تقدير: مِن خطابِه، أي: مِن خِطاب الله تعالى، فهو حالٌ مِن ﴿خِطَابًا﴾ مقدَّم عليه، أي: لا يملكون خِطابًا واحدًا مِن خطاب الله تعالى،[2] فلو أُخِّر لكان صفةً، ولمّا قُدِّم صار حالًا، وعلى هذا يكون المراد بقوله: ﴿خِطَابًا﴾: كلامَ الله تعالى مِن أوامره ونواهيه،

---

[1] ن: صفته.

[2] ن – فهو حال مِن خطابًا مقدَّم عليه، أي: لا يملكون خطابًا واحدًا مِن خطاب الله تعالى.

أو: لا يَمْلِكُون أن يُخاطِبُوه بشيءٍ من نَقْص العذابِ أو زِيادَةٍ في الثَّواب إلَّا أن يَهَبَ لهُم ذلك ويَأذَنَ لَهُم فيه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ مُتعَلِّق بـ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو بـ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾، والمعنى: إنَّ الَّذين هُم أفضَلُ الخَلائق وأشرَفُهُم وأكثرُهُمْ طاعَةً وأقرَبُهم مِنه وهُم الرُّوحُ والمَلائكةُ لا يَمْلِكُونَ التَكلُّم بين يَدَيْهِ، فما ظَنُّكَ بمَن عَدَاهُم من أهل السماواتِ والأَرضِ.

و﴿ٱلرُّوحُ﴾: أعْظَمُ خلقًا من المَلائكة وأشرَفُ مِنهم وأقرَبُ مِن رَبِّ العالمينَ.

وقيل: هوَ مَلَكٌ عظيمٌ ما خَلق الله بعدَ العرش خلْقًا أعظَم مِنه.

وقيل: لَيْسُوا بالمَلائكة وهُم يأكُلُونَ، وقيل: جبريلُ.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: هُما شرِيطَتانِ: ....

فهو صفتُه تعالى بالحقيقة،[١] وأمّا على الوجه الثاني الذي بعده فالمراد بالخِطاب فيه هو كلامهم وخطابهم بأن يخاطِبوه.

[٤٤٩ظ] قوله: (أفضل الخلائق) هذا على / مذهب المعتزلة.

قوله: (مِن ربِّ العالَمين) "مِن" فيه صِلة[٢] "القُرب"، كما تقول: قَرُب منه،[٣] وأمّا "مِن" التي يستعمل بها اسم التفضيل فمَحذوفٌ أي: مِن الملائكة.

قوله: (وقيل: لَيسُوا بالملائكة، وهم يأكُلون) قال قتادة ومجاهدٌ وأبو صالح: «الرُّوح: خَلْقٌ مِن خَلْقِ الله تعالى على صورة بني آدم، وليسُوا[٤] بناسٍ ولا بملائكةٍ»،[٥] وقيل: هم يأكلون.

---

١ ن: وبالحقيقة.

٢ ن: صلت.

٣ ن: منعم.

٤ ن: ليس.

٥ انظر: جامع البيان للطبري، ٤٨/٢٤ (النبأ، ٣٨/٧٨).

أن يكُون المُتكلِّم مِنهُم مأذُونًا لهُ في الكلام، وأَنْ يتَكلَّم بالصَّواب فلا يَشفعَ لِغَيْر مُرْتضًى؛ لِقَوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء ٢٨/٢١].

﴿ٱلْمَرْءُ﴾ هو الكافرُ؛ لِقَوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ والكافرُ: ظاهرٌ وُضِعَ مَوْضِعَ الضَّمير لزيَادة الذَّمِّ، ويَعْنِي: ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ مِن الشَّرِّ؛ كقَوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۞ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الأنفال ٨/٥٠-٥١] ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۞ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج ٢٢/٩-١٠] ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة ٦٢/٧].

و﴿ما﴾ يجوز أَن تكون استفهاميَّةً مَنصُوبةً بـ﴿قَدَّمَتْ﴾؛ أي: يَنظُرُ أيَّ شيءٍ قدَّمَتْ يَداهُ، ومَوصُولةً مَنصُوبةً بـ﴿يَنظُرُ﴾ يُقال: نَظرْتُه، بمَعنى: نَظرْتُ إليه، والراجعُ مِن الصِّلة مَحذوفٌ.

وقيل: ﴿ٱلْمَرْءُ﴾ عَامٌّ، وخُصِّص منه الكافرُ، وعن قتادةَ: هُو المؤمنُ.

﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ في الدُّنْيا فلم أُخْلَقْ ولم أُكَلَّف، أو: لَيْتَني كنتُ ترابًا في هذا اليوم فلَم أُبْعَث.

وقيل: يَحشُر اللهُ الحَيوانَ غيرَ المُكَلَّفِ حتَّى يقتَصَّ للجمَّاء من القَرْناء، ثُمَّ يَرُدُّه تُرابًا فيوَدُّ الكافرُ حَالَه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾.

قال في الوسيط: «﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني: العذابَ في الآخرة، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ يعني: أنّ كلَّ أحدٍ يرى عملَه في ذلك اليوم ما قدَّم مِن خيرٍ وشرٍّ مُثْبَتًا عليه في صحيفته، فيرجو[1] ثوابَ الله تعالى[2] على صالح عمله، ويخاف العقاب على سوء عمله، وأمّا الكافر فإنّه يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾».[3]

---

[1] ف ن: فيرجوا.

[2] د ن – تعالى.

[3] التفسير الوسيط للواحدي، ٤/٤١٧ (النبأ، ٧٨/٤٠).

وقيل: الكافرُ إبْليسُ يرَى آدمَ ووَلَدَهُ وثوابَهُم فيتمنَّى أن يكُون الشَّيءَ الَّذِي احتَقَرهُ حين قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف ١٢/٧].

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قَرأ سُورةَ عَمَّ يتَسَاءَلُونَ سَقَاهُ اللهُ بَرْدَ الشَّراب يَوْمَ القيَامة».

وقوله: ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: في الدنيا، وقيل: يومَ بدرٍ، وقيل: عذابَ الآخرة؛ لأنّ[١] ما هو آتٍ قريبٌ، والله أعلم.[٢]

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.[٣]

---

[١] ن: لا.
[٢] ف ن – والله أعلم.
[٣] ف – السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن – ومنّه وكرمه.

سورة النازعات

مكية، وهي خمسٌ أو ستٌّ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾

أَقْسَم سُبْحانَه بطَوائفِ الملائكة التي تنزِعُ الأَرْواحَ من الأَجْساد، وبالطَّوائفِ التي تَنْشِطُهَا؛ أي: تُخْرِجُها، مِن نَشَط الدَّلْو من البِئر: إذا أَخرَجها، وبالطَّوائفِ التي تَسْبَحُ في مُضِيِّهَا؛ أي: تُسْرِعُ فتَسبِقُ إلى ما أُمِرُوا به فتُدَبِّرُ أَمْرًا من أُمُورِ العبادِ ممَّا يُصْلِحُهم في دِينِهم أو دُنياهُم كما رُسِم لَهُمْ.

﴿غَرۡقٗا﴾: إغراقًا في النَّزْعِ؛ ....

سورة والنازعات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[2]

قوله: (بطوائف الملائكة) وإنّما قال: "الطوائف" ولم يقل: الطائفة؛ لأنّه[3] لو كان المراد طائفةً لقيل: النازعة[4] أو النازعِين كما مرّ في المُرسلات.

قوله: (﴿غَرۡقٗا﴾ إغراقًا) "غَرْقًا":[5] اسمٌ موضوعٌ للإغراق[6] كالسلام للتسليم، وأغرَقَ النازعُ في القَوس إذا استوفَى مدَّها، والاستغراق: الاستيعاب.

---

١ ن: النازعات.
٢ ف ن – وبه نستعين.
٣ ن: لنه.
٤ ن: النازعات.
٥ ن – إغراقًا غَرْقًا.
٦ ن: الإغراق.

أي: تَنْزِعُها من أَقاصي الأجسادِ مِن أَنامِلِهَا وأَظْفارِهَا.

أو: أقْسَم بخَيْلِ الغُزاةِ التي تَنزِعُ في أعِنَّتها نَزْعًا تُغْرِقُ فيه الأَعِنَّةَ لطُول أَعْناقِها لِأَنَّها عِرابٌ، والتي تَخرُج من دارِ الإسْلام إلى دار الحَرْب، من قولك: ثَورٌ ناشِطٌ: إذا خرجَ من بلَدٍ إلى بلَدٍ، والتي تَسْبَحُ في جَرْيِهَا فتَسبِقُ إلى الغاية فتُدبِّرُ أَمْرَ الغَلَبَةِ والظَّفَر، وإسنادُ التَّدبير إلَيها لأَنَّها مِن أَسْبَابه.

أو أقْسَمَ بالنُّجُوم الَّتي تَنزِعُ من المَشرقِ إلى المغرب، وإغراقُها في النَّزْع: أن تَقطَع الفَلَكَ كُلَّه حتَّى تَنْحطَّ في أَقصَى الغَرْبِ، والَّتي تخرُجُ من بُرجٍ إلى بُرجٍ، والتي تسبَحُ في الفَلكِ من السَّيَّارة فتَسْبِقُ فتُدَبِّرُ أَمْرًا من عِلْم الحِسَابِ.

وقيل: النَّازِعاتُ: أَيْدِي الغُزاةِ أو أَنْفُسُهُم تنزِعُ القسِيَّ بإغراق السِّهام، والَّتي تَنْشِطُ الأَوْهاقَ.

والمُقْسَمُ عليه مَحذوفٌ، وهو: لَتُبْعَثُنَّ؛ لدلَالة ما بعْدَه عليه مِن ذِكْر القيامة، و﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصُوبٌ بهذا المُضمَر.

و﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: الواقعةُ التي تَرْجُفُ عِنْدها الأرْضُ والجِبَالُ وهيَ النَّفخةُ الأُولَى، وُصِفَتْ بما يحْدُثُ بحدُوثها.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾؛ أي: الواقِعةُ التي تَرْدَفُ الأُولى وهيَ النفخةُ الثانيةُ،

قوله: (مِن أنامِلها) بدلٌ.

قوله: (مِن عِلم الحساب) يريد: أنّ المراد بـ"ما يدبِّره النجوم" هو علم الحساب، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس ١٠/٥]، لا كما يقوله المُنجِّمون مِن تعلُّق السعادة والشقاوة وغير ذلك بها.

قوله: (الأوهاق) الوَهَق بالتحريك: الحَبْل.

قوله: (وُصِفتْ) أي: وصفت النفخة الأُولى بالرَّجَفان الذي يحدث بحدوث النفخة.

قوله: (تَرْدَفُ) أي: تتبَعُ.

ويجوز أن تكون الرادِفَةُ من قَولِه تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل ٧٢/٢٧]؛ أي: القيامَةُ التي يَسْتعجِلُها الكفَرةُ استِبعادًا لهَا وهيَ رادِفةٌ لَهُم لاقتِرَابها.

وقيل: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: الأرْضُ والجبالُ، من قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل ١٤/٧٣]، و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾: السَّماءُ والكواكِبُ لأنَّها تنشَقُّ وتَنتَثِرُ كواكبُها على إِثْرِ ذلك.

فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿تَتْبَعُهَا﴾؟

قلتُ: الحال؛ أي: ترجُفُ تابِعَتَها الرَّادفةُ.

فإن قلتَ: كيف جعَلْتَ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ ظَرْفًا للمُضْمر الَّذي هو "لتُبعثُنَّ"، ولا يُبْعَثُون عند النَّفخة الأُولى؟

قلتُ: المَعنى: لتُبْعَثُنَّ في الوقت الواسِع الَّذي يقعُ فيه النَّفختانِ، وهُم يُبْعثُون في بَعض ذلك الوقت الواسِع وهو وقتُ النَّفخة الأُخرَى، ودَلَّ على ذلك أنَّ قَوله: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ جُعِلَ حالًا عن ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾.

ويجوز أن ينتصِبَ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ ....

قوله: (أي: القيامة) أي: يكون المراد بـ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ القيامة.

قوله: (تابِعَتَها) اسم فاعل منصوبٌ على الحال، و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ فاعله، وإنَّما فُسِّر بذلك؛ لأنَّ الجملة إذا وقعت حالًا فهي في حكم المفرد.

قوله: (جُعِل حالًا) وإذا جُعِل حالًا يئول المعنى إلى أنَّ رَجَفان "الراجِفة" -وهي النفخة الأولى- حاصلٌ وواقعٌ في حال كون "الرادفة" تابعةً له، فيلزم أن يكون[١] "الراجفة" و"الرادفة" في زمانٍ واحدٍ؛ لأنَّ الحال يجب أن يكون حصولها وقتَ حصول الفِعل المقيّد بها، ولو لم يُجعل زمانُها ذلك الوقت الواسع لم يستقِم؛ لأنَّ بين النفختين زمانًا طويلًا.

---

[١] ف: تكون.

بما دلَّ عليه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾؛ أي: يومَ ترجُفُ وجَفَتِ القلوبُ.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

﴿وَاجِفَةٌ﴾: شديدةُ الاضطراب، والوَجِيب والوَجِيفُ أَخوانِ.

﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلةٌ.

فإن قلتَ: كيف جاز الابتدَاءُ بالنَّكِرَة؟

قلتُ: ﴿قُلُوبٌ﴾ مرفُوعَةٌ بالابتِداء و﴿وَاجِفَةٌ﴾ صِفتُها و﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ خَبَرُها، فهُو كقوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة ٢/٢٢١].

فإن قلتَ: كيف صَحَّ إِضَافةُ الأَبْصَارِ إلى القُلوب؟

قلتُ: مَعْناه: أَبْصارُ أَصْحابِهَا، بدَليلِ قَوله: ﴿يَقُولُونَ﴾.

﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾: في الحالةِ الأُولى، يَعْنُون: الحيَاةَ بعد الموتِ.

فإن قلتَ: ما حَقِيقةُ هذه الكلمةِ؟

قلتُ: يُقالُ: رَجَع فلانٌ في حَافرَته؛ أي: في طريقهِ التي جَاءَ فيهَا فَحفَرهَا؛

[٤٥٠و] قوله: / (بما دلّ عليه ﴿قُلُوبٌ﴾) وإنّما جعَله منصوبًا بما دلَّ عليه ولم يَنصِبْه بقوله: ﴿وَاجِفَةٌ﴾؛ لأنّ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفُ ﴿وَاجِفَةٌ﴾، ولا يكون لشيء ظرفا زمانٍ، فإن قيل: لِمَ لا يجوز أن يكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلًا مِن ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾، فلا يلزم[١] ما ذكرتم؟ قلت: لا يجوز ذلك للُزوم الفَصْل بين البدل والمُبدَل منه بالأجنبيّ، وهو ﴿قُلُوبٌ﴾، ولأنّ ﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفة ﴿قُلُوبٌ﴾، معمول[٢] الصفة لا يتقدّم على الموصوف كما أنّ الصفة لا تتقدَّم عليه.

قوله: (يَعنون) أي: يريدون بـ"الردِّ في الحافرة": الحياةَ بعد الموت.

---

[١] ن: ولا يلزم.

[٢] ف ن: ومعمول.

أي: أَثَّر فيهَا بمَشْيِه فيهَا، جُعِل أثَرُ قَدَميهِ حَفْرًا كما قيل: حُفِرَت أَسْنَانُه حَفْرًا: إذا أَثَّر الأُكالُ في أَسْناخِهَا، والخطُّ المحْفُورُ في الصَّخر.

وقيل: "حَافرةٌ" كما قيل: ﴿عِيشَةٍرَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة ٢١/٦٩]؛ أي: مَنسُوبَةٌ إلى الحَفْرِ والرِّضَا، أو كقَولهم: نهَارُك صَائمٌ.

ثم قيل لمَن كان في أَمْرٍ فخَرَج مِنْه ثمَّ عادَ إليه: رجَعَ إلى حَافِرَتهِ؛ أي: إلى طَرِيقتِه وحالتِه الأُولَى، قال:

أَحَافِرةً على صَلَعٍ وشَيْبٍ   مَعَاذ اللهِ مِن سَفَهٍ وعَارِ

يُريد: أَرُجُوعًا إلى حافِرَةٍ.

وقيل: "النَّقْدُ عند الحافِرَة" يُرِيدُون: ....

قوله: (الأُكال)[١] بالضمّ: الحِكّة،[٢] و"السِّنْخُ": الأصلُ، وأسناخ الأسنان: أصولها.

قوله: (والخطُّ المَحفور) عطفٌ على قوله: (حُفرتْ أسنانه) أي:[٣] وكما قيل: الخطّ المحفور في الصخر.

قوله: (وقيل) أي: وقيل لها: "حافرة" وإن كانت مَحفورةً، كما قيل: "راضية" وإن كانت مَرضية، فقوله: (وقيل) عطف على قوله: (جُعل).

قوله:

(أَحافِرَةً على صَلَعٍ)... البيتَ[٤]

أي: أرجِعُ إلى ما كنتُ عليه في شبابي مِن الغَزَل والصِّبا بعد أن شِبْتُ[٥] وصَلِعْتُ، فقوله: "على صَلَع" حالٌ، أي: أرجع مستقِرًّا على صَلَعٍ.

قوله: (وقيل: النَّقد عندَ الحافرة) قولهم[٦] في المَثَل: "النَّقد عندَ الحافرة" أي: عند أوّل كلمة تُقال، الْتَقى القوم فاقتتلوا عند الحافرة، أي: عند أوّل ما التقَوا،

---

١ ن: الاتجال.

٢ ن: اكله.

٣ ن – أي.

٤ ذكره الجوهري في الصحاح، «حفر»، وقال: أنشده ابن الأعرابي.

٥ ن: سيت.

٦ ف: قوله.

عند الحالةِ الأُولى وهيَ الصَّفْقَةُ.

وقَرأ أبُو حَيْوةَ: "في الحَفِرَةِ"، و"الحَفِرةُ" بمَعْنى: المَحفُورَةِ، يُقالُ: حُفِرَتْ أَسْنانُه فَحَفِرَتْ حَفَرًا، وهي حَفِرة، وهذه القراءةُ دليلٌ على أنَّ "الحافرةَ" في أَصْلِ الكلمةِ بمَعنى: المحفُورَةِ.

يُقال: نَخِرَ العظمُ فهو نَخِرٌ وناخِرٌ؛ كقولك: طَمِعَ فهُو طَمِعٌ وطامِعٌ، وفَعِلٌ أَبْلَغُ مِن فاعِل، وقد قُرِئَ بهِمَا، وهُو البَالي الأجْوَفُ الَّذي تمُرُّ فيه الرِّيحُ فيُسْمَعُ له نَخيرٌ.

و"إذا" منصُوبٌ بمحذُوفٍ تقديرُه: أَإذا كُنَّا عِظامًا نُرَدُّ ونبعَثُ.

﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: منسُوبة إلى الخُسْرانِ، أو: خاسِرٌ أصْحَابُها، والمَعنى: أنَّها إن صَحَّت فنحنُ إذًا خَاسِرُونَ لتَكْذِيبِنَا بهَا، وهذا استهزاءٌ منهُم.

فإن قلت: بمَ تعَلَّق قولُه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؟

قال في المُجمَل: «النَّقد عند الحافر، أي: لا يزُول حافر الفرَس حتّى تَنْقُدَني؛ لأنّه لكرامته لا يُباع نَساءً، ثمّ كثُر حتّى قيل في غير الخَيل»،[1] وقال أيضًا فيه: «الحَفَرُ[2] في الفم تأكل الأسنان، يقال: حَفِرَ فُوهُ[3] حَفَرًا، وربّما قالوا: حَفَرَ حَفْرًا،[4] يعني: إذا كُسِر عينُه فالمصدر مفتوح العين، وإذا[5] فُتِح عينُه[6] فالمصدر ساكن العين».[7] وقال المطرّزي في المُغرب: «الحَفْرُ: مصدر حَفَرَ النهر، ومنه: فلان محفورٌ، حَفِرَه الأُكال،[8] وحَفَرَتْ أسنانُه: فسَدَتْ وتأكّلتْ، وحَفِرَتْ حَفَرًا لغةٌ».[9]

قوله: (الصَّفْقَة) أي: العقد. وقوله: (فحَفَرَت أسنانُه) أي: فسدت أصولُها.

قوله: (﴿كَرَّةٌ﴾) خبر لـ﴿تِلْكَ﴾ ومبيّن ههنا لاسم الإشارة، كما أنّ الصفة مبيّنة،

---

[1] مُجمل اللغة لابن فارس، «حفر».
[2] ن: للحفر.
[3] ن: حفروه.
[4] ن: جعل.
[5] ن: فإذا.
[6] ن – عينه.
[7] مُجمل اللغة لابن فارس، «حفر».
[8] الاتجال. | الإكْلة بالكسر: الحِكّة. يقال: إنّي لأجدُ في جسدي إكْلَةً مِن الأُكالِ. الصحاح للجوهري، «أكل».
[9] ن: للغة. | المُغرب للمطرّزي، «حفر».

قلتُ: بمَحذوفٍ مَعْناه: لا تَستصعبُوهَا فإنما هي زجْرةٌ واحِدةٌ، يَعْنِي: لا تَحسبُوا تلك الكَرَّة صعْبةً على الله عزَّ وعلا فإنَّما هيَ سَهْلَةٌ هَيِّنَةٌ في قُدْرَتِه، ما هيَ إلَّا صَيْحَةٌ واحِدَةٌ، يُريد: النَّفخَةَ الثَّانيةَ.

﴿فَإِذَا هُم﴾ أَحيَاءٌ على وَجْه الأرض بعدما كانوا أَمْواتًا في جَوْفها، من قولهم: زَجَرَ البعيرَ: إذا صَاح عَليه.

والسَّاهِرَةُ: الأرضُ البَيْضَاء المُستَوية، سُمِّيت بذلك لأنَّ السَّرابَ يَجْري فيها، مِن قَوْلِهِم: عَينٌ سَاهِرَةٌ جارِيةُ الماءِ، وفي ضدِّهَا: نائِمةٌ.

قال الأَشعَثُ بنُ قَيْسٍ:

وسَاهِرَةٍ يُضْحِي السَّرابُ مُجَلِّلًا لأَقطَارِهَا قد جُبْتُها مُتَلَثِّمَا

أو لأنَّ سَالِكَها لا يَنامُ خوْفَ الهَلَكَةِ، ....

ولا بدّ في الترجمة مِن ذِكر الصفة، التقدير: تلك الكرَّةُ كرَّةٌ خاسِرةٌ؛ لأنَه لولا الصفةُ لا يكون للكلام فائدةٌ، إذ لا معنى لقولك: تلك الكرَّةُ كرَّةٌ.

قوله: (بعد ما كانوا أمواتًا في جَوفها) استفاد هذا المعنى مِن "إذا" المُفاجَأة، فإنّها لمَا دلَّتْ على أنّهم فاجَئوا هذا الوقتَ دلَّتْ[1] على أنّهم كانوا قبلُ بخِلافه.

قوله: (لأنّ السَّراب[2] يجري) وإذا كان السَّراب[3] يجري فيها فكأنّها يجري عليها الماء، فقيل لها: "سَاهِرة"، كما يقال: عينٌ ساهِرة.

قوله:

(وسَاهِرَةٍ يُضْحِي السَّرابُ[4] مُخجَلِّلًا[5] لِأَقْطارِهَا قَدْ جُبْتُهَا مُتَلَثِّمَا)[6]

"مُخجَلِّلًا"[7] أي: مُغَطِّيًا، ومنه: جُلُّ الدابّة. "لِأَقطارِها" أي: لجَوانبها. يقول:

---

[1] ن - دلّت.

[2] ن: الشراب.

[3] ن: الشرلب.

[4] ن: الشراب.

[5] ف: مجلِّلًا. | في مطبوع الكشّاف: "مجلّلا". وكذا في الدر المصون للسمين الحلبي، ٦٧٤/١٠؛ وفتوح الغيب للطِّيبي، ٢٧٤/١٦.

[6] ن: مثلثها.

[7] ف: مُجلِّلًا.

وعن قتادة: فإذا هُم في جهنَّم.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾

﴿ٱذْهَبْ﴾ على إرَادَةِ القَول، وفي قِراءة عبد الله: "أَن اذهَبْ" لأنَّ في النِّداء معنى القَول.

"هَلْ لك في كذا؟" و: "هَل لك إلى كذَا؟" كما تقول: هل ترغبُ فيه؟ و: هَل ترغبُ إليه؟

﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾: إلى أن تتَطَهَّر من الشِّرْكِ، وقرأَ أهلُ المدينةِ: ﴿تَزَّكَّىٰ﴾ بالإِدْغام.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: وأُرْشِدَك إلى مَعْرفةِ الله وأُنبِّهَكَ عليه فتعْرفَهُ ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ لأنَّ الخشيَة لا تكون إلَّا بالمَعْرفة، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر ٢٨/٣٥]؛ أي: العُلماءُ به، وذكَر الخَشيَة لأنَّها مِلاكُ الأَمْرِ؛ مَن خَشِيَ اللهَ أَتَى مِنه كُلَّ خَيْرٍ، ومَن أمِنَ اجْتَرَأَ على كلِّ شرّ.

رُبَّ ساهرةٍ قد جلَّل السَّراب[١] جوانبها قد قَطعْتُها متلثِّمًا مِن خوف[٢] هبوب السَّموم والحَرِّ القاتل.

قوله: (وعن قتادة) قول قتادة يؤيِّد[٣] الوجهَ الثاني؛ لأنّ جهنَّم سُمِّيت "ساهرة"؛ لأنّ / أهلها لا ينامون فيها، قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ [النبأ ٢٤/٧٨]، أي: لا ينامون فيها. [٤٥٠ظ]

قوله: (هل تَرغبُ فيه) يريد: أنّ الرغبة محذوف هنا، و﴿إِلَىٰٓ﴾ متعلِّق به، فإنّ "رَغِب" يُستعمل بـ"في" و"إلى" بمعنًى واحدٍ، قال المطرِّزي في المُغرب: «رَغِب في الشيء رِغْبًا ورَغْبةً؛ إذا أراده،[٤] ورَغِبَ عنه؛ لم يُرِدْه، وفي تَلبيةِ ابن عُمَر رضي الله عنهما: «لبَّيك[٥] وسَعْدَيك، والخيرُ بيديك، والرَّغْباءُ إليك»»،[٦] والرَّغْباء

---

[١] ن: الشراب.
[٢] ن: جوف.
[٣] ف ن: يريد.
[٤] ن: أرادة.
[٥] ن: لبيديك.
[٦] صحيح مسلم، ٨٤١/٢ (١١٨٤).

ومِنه قولُه عَليه السَّلام: «مَن خاف أَدْلجَ ومَن أَدْلجَ بَلَغ المنْزِلَ».

بدَأَ مُخاطبتَهُ بالاستِفهام الَّذي معناه العَرْضُ؛ كما يقول الرَّجُل لضَيفِه: هَل لك أَنْ تَنزِلَ بِنَا؟ وأَردَفَهُ الكلامَ الرَّقيقَ ....

بالفتح والمدّ[١] وبالضمّ والقصر: الرغبة، هذا هو المذكور في المُغْرِب،[٢] وهو تقرير ما أشار إليه المصنِّف مِن أنَّ "رَغِبَ إليه" و"فيه" بمعنًى واحدٍ، وأنا أقول: الظاهر أنّ تَعدِيتَه بـ"إلى" لتَضمين معنى المَيل والانتهاء، فإذا قيل: رَغِب إليه،[٣] فكأنّه قيل: مالَ إليه، أو انتهى رغبتُه إليه.

قوله: (أدلَجَ)[٤] أدلَجَ القوم، أي: ساروا مِن أوّل الليل، فإذا ساروا مِن آخِر الليل قيل: ادَّلَجُوا، بتشديد الدال، وأمّا قول الشمّاخ:

وتَشْكُو[٥] بعينٍ ما أكَلَّ رِكابَها   وقيل المُنادِي أصبح القومُ أدلِجِي[٦]

فلم يجعل الإدلاجَ مع الصبح، وإنّما أراد أنّ المنادي كان ينادي مرّة: أصبح القوم، كما يقال: أصبحتم كم تنامون؟ ومرّة ينادي: أدلِجي، أي: سِيري ليلًا. وقوله: "ما أكَلَّ"[٧] "ما" مصدريّة، ويقال: أكَلَّ بعيرَه، أي: أعْياه. والرِّكاب: الإبل التي[٨] يُسار عليها، الواحِد: راحلة، ولا واحدَ لها مِن لفظها. وقوله: "قيل" بمعنى القَول، منصوب معطوف على "ما أكَلَّ"، أي: تشكو الناقة[٩] إكلالَ[١٠] صاحِبها الرِّكابَ،[١١] وقوله:[١٢] "المُنادي" يريد: أنّ الرِّكاب كانت كالَّة، ومع هذا كان أصحابها يُدلِجون، أي: يسيرون مِن أوّل الليل.

قوله: (الكلام الرفيق)[١٣] والكلام الرفيق[١٤] هو ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾... إلخ.

قوله: (هل لك أنْ تَنزِلَ) أي: هل لك رغبةٌ في أن[١٥] تَنزلَ بنا؟

---

١ ن: والمدة.

٢ المُغرب للمطرّزي، «رغب».

٣ ن + قيل: رغب إليه.

٤ ن: أذلج.

٥ في الأصول المخطوطة: "تشكوا" بالألف، وأثبتّها كما في الديوان بغير ألف، وهو الصواب.

٦ ن: أدلج. | ديوان الشّماخ بن ضِرار الذّبياني، ص ٧٧.

٧ ن + ما كان ما أكل.

٨ ن – التي.

٩ ن: لناقة.

١٠ ن: الحلال.

١١ ن: الراكب.

١٢ ف: وقول.

١٣ في مطبوع الكشّاف: "الرقيق".

١٤ ن: الرقيق.

١٥ ن: وأن.

ليَستَدْعِيَهُ بالتَّلَطُّف في القول ويَستَنْزِلَهُ بالمُدارَاة من عُتوِّه كما أُمِرَ بذلك في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه ٢٠/٤٤].

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾

﴿ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾: هي قلْبُ العصَا حَيَّةً لأنها كانت المُقدِّمَةَ والأصلَ، والأُخرَى كالتَّبعِ لهَا لأنّه كان يتَّقِيها بيَدِه فقِيل له: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ [النمل ١٢/٢٧]، أو أرَادَهُما جميعًا إلّا أنّه جعَلَهُما وَاحِدَةً لأنَّ الثّانِيَة كأنّها من جُمْلةِ الأُولى لكَوْنهَا تابِعةً لهَا.

﴿فَكَذَّبَ﴾ بمُوسَى والآيَةِ الكُبْرَى وسَمَّاهُمَا سَاحِرًا وسِحْرًا.

﴿وَعَصَىٰ﴾ الله تعالى بَعْدَ ما عَلِمَ صحَّةَ الأَمْرِ وأَنَّ الطَّاعة قد وَجبَتْ عَليه.

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ﴾؛ أي: لمَّا رأى الثُّعبَانَ أَدْبَر مَرْعُوبًا ﴿يَسۡعَىٰ﴾: يُسْرِعُ في مِشْيَتِه.

قال الحَسنُ: كان رَجُلًا طَيَّاشًا خفيفًا.

أو: تَولَّى عن مُوسى يَسْعَى ويجْتَهِدُ في مُكايَدَتِه.

أو أُرِيدَ: ثمّ أَقبَلَ يَسْعَى؛ كما تقُول: أَقْبل فُلانٌ يفعَلُ كذا، بمَعْنَى: أَنْشَأَ يفعَلُ،

قوله: (والأُخرَى) أي: اليدُ البيضاء.[1]

قوله: (لأنّه كان يتّقيها) أي: لأنّ موسى كان يتّقي الحيّة.

قوله: (وسمّاهما) أي: موسى والآيةَ الكبرَى، ففيه لفٌّ ونَشرٌ.

قوله: (مرعوبًا) الرعب: الخَوف، تقول: رَعَبْتُه[2] فهو مَرعوبٌ،[3] ولا تقل: أَرعَبتُه.

قوله: (طَيّاشًا) طاشَ السهم عن الهدف، أي: عدَلَ، وأطاشَه[4] الرامي، والطَّيش: النَّزَقُ[5] والخِفَّة، والرجل طيّاشٌ.

---

[1] ن – قوله: (والأخرى) أي: اليد البيضاء.
[2] ن: رغبته.
[3] ن: مرغوب.
[4] ن: أو طاشه.
[5] ف: النزف.

فوُضِعَ ﴿أَدْبَرَ﴾ مَوْضِعَ: أَقْبلَ؛ لئلًا يُوصَفَ بالإقْبالِ.

﴿فَحَشَرَ﴾: فجمَع السَّحرة؛ كقوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ﴾ [الشعراء ٥٣/٢٦].

﴿فَنَادَىٰ﴾ في المقام الذي اجتمعُوا فيه معَه، أو أمَر مُناديًا فَنَادَى في النَّاسِ بذلك، وقيل: قامَ فيهِمْ خطِيبًا فقال تلك العظِيمَةَ.

وعن ابن عبَّاسٍ: كلمتُه الأُولَى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص ٣٨/٢٨] والآخِرةُ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

﴿نَكَالَ﴾: هو مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ كـ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [يونس ٤/١٠، الروم ٦/٣٠، لقمان ٩/٣١، الزمر ٢٠/٣٩] و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ١٣٨/٢]؛ كأنَّه قِيل: نكَّلَ اللهُ به نَكالَ الآخرةِ والأُولَى، والنَّكالُ بمَعْنَى التَّنكِيلِ كالسَّلام بمَعْنَى التَّسليم، يَعْنِي: الإغراقَ في الدُّنيا والإحراقَ في الآخِرة.

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنه:[1] «كلمتُه الأُولى») اعلم أنّ المصنّف أشار بهذا الكلام إلى أنّ المراد بـ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾: كلِمتُه الأولى، وهي: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص ٣٨/٢٨]، وبـ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ كلِمتُه الآخرة، وهي: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. ثمّ أشار بقوله: (يعني: الإغراقَ في الدنيا، والإحراقَ[2] في الآخرة) إلى أنّه يجوز أن يكون المراد بالأولى هو الدنيا العاجلة، وبالآخرة هو الآخرة الآجلة، فيكون معنى ﴿نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾:[3] أنْ عذّبه في الدنيا بالإغراق، وفي الآخرة بالإحراق، وأشار بقوله ثانيًا: (عن ابن عبّاس) إلى[4] أنّه يجوز أن يكون معنى ﴿نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ/ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ عاقبَه عقاب كلمته الأُولى والآخرة، فتأمّل فإنّه لطيفٌ. [٤٥١و]

قوله: (هو) أي: ﴿نَكَالَ﴾.

قوله: (مصدر مؤكِّد) أي: للجملة[5] التي هي قوله: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾.

---

[1] ف ن: عنهما.
[2] ن: والإغراق.
[3] ن: والأول.
[4] ن - إلى.
[5] ن: الجملة.

وعن ابن عبّاس: نكالَ كلِمَتيه الآخِرَةِ وهي قَوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ والأُولى وهي قوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص ٣٨/٢٨].

وقيل: كان بين الكلِمتين أَرْبعُون سنةً، وقيل: عشرُون.

﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩﴾

الخطابُ لِمُنكري البَعْثِ، ....

قوله: (نكَّل الله به تَنكيلًا) نكَّل به تنكيلًا إذا جعَله نَكالًا وعِبرةً[١] لغيره، نكَلَ عن اليَمين، أي: امتنع عن أن يحلِفَ، ونكَل عن العدوِّ امتنع عن مقاومته ومحاربته جُبْنًا،[٢] هذا هو المفهوم مِن كتب اللغة، وأنا أقول: تحقيق معنى "نكّل[٣] به تنكيلًا" بمعنى: عاقبه: أنْ فعَلَ به فعلًا يمنع غيره عن الإتيان بمثل ذنبه، ويمنعه أيضًا عن المُعاودة إلى ذلك الذنب، فمعنى قوله: (نكَّل الله به) بحسب أصل اللغة: منع الله بسبب فرعون غيرَه[٤] عن أن يقول مثل كلمته، فإنّه إذا عاقبه على ذلك كان منعًا لغيره عن الإتيان بمثل ما أتى به، و﴿نَكَالَ﴾ نُصِب على المصدر، وأضيف[٥] إلى ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ لأنّ التنكيل -أي: العقوبة- كان عليهما، فبهذه[٦] الملابسة أضيف، فكأنّه قيل: عقوبة تناسب كلمتيه في العِظَم، وهذا التحقيق ممّا ورد في خاطري، ولم أرَه في كلام غيري، والحمد لله على ذلك.

قوله: (يعني) أي: يريد[٧] بـ"النّكال" الإغراقَ والإحراقَ.

قوله: (كلمتيه) أي: عقوبة الكلمة الأولى والآخرة.

قوله: (الخطاب) أي: في ﴿ءَأَنتُمۡ﴾.[٨]

---

[١] ن: وغيره.
[٢] ف: جينا.
[٣] ن: كل.
[٤] ن - غيره.
[٥] ن: أضيف.
[٦] ن: فهذه.
[٧] ن: أريد.
[٨] ن: أنتم.

يَعني: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ أَصْعَبُ ﴿خَلْقًا﴾ وإِنْشاءً ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ ثـمَّ بيَّنَ كيف خَلقَها فقال: ﴿بَنَىٰهَا﴾ ثـمَّ بيَّنَ البِناءَ فقال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾؛ أي: جَعلَ مِقْدَارَ ذهَابِها في سَمْتِ العلو مَديدًا رفيعًا مَسِيرةَ خمسِ مئة عامٍ.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: فعَدَّلَها مُسْتويةً مَلْسَاءَ ليس فيها تَفاوتٌ ولا فُطورٌ، أَو فتمَّمهَا بما عَلِم أَنَّها تَتِمُّ بهِ وأَصْلحهَا، مِن قولك: سَوَّى فلانٌ أَمرَ فُلانٍ.

"غَطِش اللَّيلُ" وأَغطشهُ اللهُ؛ كقولك: ظَلِمَ وأَظْلَمَه، ويُقالُ أيضًا: أَغْطشَ اللَّيلُ؛ كما يُقال أَظلمَ.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: وأبرَزَ ضَوءَ شمسِها، يَدُلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس ١/٩١] يُرِيد: وَضَوئهَا، وقَولُهم: "وقتُ الضُّحَى" للوَقتِ الَّذي تُشْرِقُ فيه الشَّمسُ ويَقُوم سُلْطانُها.

وأُضيفَ اللَّيلُ والشَّمسُ إلى السَّماء؛ لأنَّ اللَّيلَ ظِلُّهَا والشَّمسَ هي السِّراجُ المُثقَبُ في جَوِّهَا.

قوله: (ثمّ بيّن)... إلخ، في هذه البيانات بطريق الاستئناف بعدَ الاستفهام التقريريِّ ما لا يَخفى مِن تعظيم أمر خلق السماء.

قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: جعله مُظلِمًا، والغَطَش: الظلْمة.

قوله: (كقولك) أي: بناءً ومعنًى.

قوله: (وأبرز) فسّر قولَه تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ﴾ بقوله: (أبرز) أي: أظهر، ومنه: برَّزْته تبريزًا، أي: أظهرته؛ لأنّ الإخراج سببُ الإظهار، وقوله: (ضوءَ شمسِها) يشير به إلى[١] أنّ المضاف محذوف؛ لأنّ تقدير قوله: ﴿ضُحَىٰهَا﴾: ضُحى شمسِها، فالشمس[٢] المضاف إلى ضمير ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ محذوف.

قوله: (﴿وَٱلشَّمْسِ﴾) لأنّ تقدير ﴿وَضُحَىٰهَا﴾: وضحَى شمسِها، فالمضاف[٣] بالحقيقة هي ﴿ٱلشَّمْسِ﴾؛ لأنّ المحذوف المراد كالمذكور.

---

١ ن: أي.
٢ ن: بالشمس.
٣ ن: بالمضاف.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾

﴿مَآءَهَا﴾: عيونَها المُتفجِّرةَ بالماءِ ﴿وَمَرۡعَىٰهَا﴾ ورِعيَها، وهو في الأَصْلِ مَوضعُ الرَّعي.

ونصَبَ الأرْضَ والجبالَ بإضمارِ "دَحَا" و"أَرْسَى"، وهو الإضمارُ على شريطة التَّفسير، وقَرأهُما الحسنُ مَرْفُوعَيْنِ على الابتداء.

فإن قلتَ: هَلَّا أُدْخِل حَرْفُ العَطْف على ﴿أَخۡرَجَ﴾؟

قلت: فيه وجهان:

أحدُهما: أن يكُون مَعْنى ﴿دَحَىٰهَآ﴾: بَسَطَها ومهَّدَها للسُّكْنَى، ثُمَّ فسَّر التَّمْهِيد بما لا بُدَّ مِنْه في تَأتِّي سُكنَاها: من تَسْوِيَةِ أَمرِ المأكلِ والمَشْرَبِ، وإمكانِ القَرارِ عليها والسُّكونِ بإخراج الماءِ والمَرْعَى وإرْسَاءِ الجِبالِ وإثباتِها أوتادًا لهَا حتَّى تَستَقِرَّ ويُستقرَّ علَيها.

والثاني: أن يكُونَ ﴿أَخۡرَجَ﴾ حالًا بإضمارِ "قَد" كقَوله: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ [النساء ٤/٩٠]، وأرادَ بمَرْعاهَا: ما يَأكلُ النَّاسُ والأَنعامُ، واستُعِير الرَّعيُ للإنسانِ كما استُعِير الرَّتْعُ ....

قوله: (ورعيَها) الرعيُ بالكسر: الكَلَأ، وبالفتح: المصدر، والمَرعى: الرعي، والموضع، والمصدر، هكذا ذُكِرَ في الصحاح،[1] وأمّا على ما ذكره فهو باعتبار إطلاق اسم المحلّ على الحالّ.

قوله: (قلتُ: فيه وجهان)... إلخ، فعلى الوجه الأوّل يكون ترك العطف؛ لأنّه كالبيان.

قوله: (مِن تسوية) أي: إتمام.[2]

قوله: (والمَرعى) أي: الرعي.

---

[1] الصحاح للجوهري، «رعى».

[2] ن: تمام.

في قَوْلِه: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف ١٢/١٢] وقرئ: ﴿نَرتع﴾ من الرَّعيِ، ولهذا قِيل: دلَّ الله سبحانه وتعالى بذِكْر الماء والمَرْعَى على عامَّةِ ما يُرْتَفَقُ به ويُتَمَتَّعُ مِمَّا يَخْرُج مِن الأَرْضِ حتَّى المِلْحُ لأنَّه مِن الماء.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾: فعَلَ ذلك تمتِيعًا لكُم ﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ لأنَّ منفعَةَ ذلك التَّمهيدِ واصِلةٌ إلَيْهِم وإلى أنعامِهم.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦﴾

﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾: الدَّاهيَةُ التي تَطُمُّ على الدَّواهِي؛ أي: تَعلُو وتغلِبُ.

وفي أمثالِهم: "جَرى الوَادِي فَطمَّ على القَرِيِّ"، وهي القيامَةُ؛ لطُمومِها على كلِّ هائلةٍ.

قوله: (في ﴿يَرْتَعْ﴾[1] [يوسف ١٢/١٢]) رتَعتِ الماشية تَرتَعُ رُتُوعًا، أي: أكلَت ما شاءَت.

قوله: (لِطُمُوِّها)[2] هو مصدر قولك: طَمَا[3] يطمُو بمعنى: طَمَّ يَطِمُّ، وفي[4] بعض النسخ: (لِطُمُومِها) وهو سَهوٌ إذ لم يثبت الطُّمُوم في مصدر طمَّ يَطِمُّ.[5]

قوله: (فطَمَّ على القَرِيِّ) القَرِيُّ: مَجرَى الماء، والقَرِيُّ مفردٌ، وجمعه أَقرِيَةٌ وقُرْيانٌ، وهي الجداول والأنهار، ويقال: طمَا[6] الماء يطمُو طُمُوًّا، مثل طمَّ يَطِمُّ طَمًّا، أي: زاد وارتفع، / وطَمَا[7] البحر، أي: ارتفع. [٤٥١ظ]

---

[1] في الأصول الخطِّيَّة: ﴿نَرْتَعْ﴾ بالنون، وهي قراءة صحيحة، قال ابن الجزري: «واختلَفوا في ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما، وقرأ الباقون فيهما بالياء وكسر العين مِن ﴿يَرْتَعْ﴾ المدنيّان وابن كثير، وأثبت قُنبُل الياء فيها في الحالَين بخِلافٍ، وأسكن الباقون العين». النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٣.

[2] ن: لطمومها.

[3] ن: طما.

[4] ن: وفي.

[5] لكن في لسان العرب لابن منظور، «طمم»: «طَمَّ الماءُ يَطِمُّ طَمًّا وطُمُومًا؛ عَلا وغَمَر، وكلُّ مَا كَثُرَ وعَلا حتَى غَلَب فَقَد طَمَّ يطِمُّ. وطَمَّ الشيءَ يَطُمُّه طَمًّا: غَمَره».

[6] ن: لطما.

[7] ن: طماء.

وقيل: هي النَّفخةُ الثانيةُ.

وقيل: السَّاعَةُ التي يُساق فيها أَهْلُ الجنَّةِ إلى الجنَّة وأهلُ النَّار إلى النار.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾ بدَلٌ من "إذا جاءَتْ" يَعْني: إذا رَأى أَعْمالَهُ مُدَوَّنةً في كتابِه تذكَّرهَا وكان قد نَسِيَها؛ كقَوله: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة ٥٨/٦].

و﴿مَا﴾ في ﴿مَاسَعَىٰ﴾ مَوْصُولةٌ أو مَصْدَرِيَّةٌ، ﴿وَبُرِّزَتِ﴾: وأُظهِرَتْ، وقَرأ أبُو نَهِيكٍ: "وبَرَزَتْ".

﴿لِمَن يَرَىٰ﴾: لِلرَّائِينَ جميعًا؛ أي: لكُلِّ أَحدٍ، يعني: أَنَّها تَظْهَرُ إظهارًا بَيِّنًا مكشُوفًا يَراهَا أَهْلُ السَّاهرة كُلُّهم؛ كقولهم: "قد بيَّنَ الصُّبْحُ لِذِي عَينَيْنِ"، يُرِيدونَ: لكِلِّ مَن له بَصرٌ، وهُو مَثَلٌ في الأَمْر المُنكَشِف الَّذي لا يَخفَى على أَحدٍ.

وقَرأ ابن مسعُودٍ: "لمَنْ رَأَى".

وقرأ عكْرِمَةُ "لمَن تَرى" والضميرُ للجَحيم؛ كقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان ٢٥/١٢] وقيل: لمَن تَرى يا محمَّدُ.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾

﴿فَأَمَّا﴾ جوابُ ﴿فَإِذَا﴾؛ أي: فإذا جاءتِ الطَّامَّةُ فإنَّ الأمرَ كذلك، والمعنى:

قوله: (تذكَّرها) استئناف جملة.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة ٥٨/٦]) أي: ضَبَطه.

قوله: (بيّن)[١] أي: ظهر.

قوله: (والضمير للجحيم) أي: لِمَن تراه[٢] الجحيم، فإنَّ الرؤية قد أسنِدت[٣] إلى الجحيم كما ذكره.

قوله: (﴿فَأَمَّا﴾ جواب ﴿فَإِذَا﴾) ﴿فَأَمَّا﴾ مبتدأ، وقوله: "جوابُ ﴿فَإِذَا﴾" خبرُه.

---

[١] ن + تذكرها بين.

[٢] ن: يراه.

[٣] ن: استندت.

فإنَّ الجحيمَ مَأواه؛ كما تقُولُ للرَّجُلِ: "غُضَّ الطَّرْفَ"، تُرِيدُ: طَرْفَكَ، وليسَ الأَلِفُ واللَّامُ بدَلًا من الإضافةِ، ولكنْ لمَّا عُلِم أنَّ الطَّاغيَ هُو صاحبُ المَأوَى وأنَّه لا يَغُضُّ الرجُلُ طرْفَ غيرِه تُرِكَتِ الإضافة، ودخولُ حرف التعريف في ﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾ و"الطَّرْف" للتَّعْريفِ؛ لأنهما مَعْرُوفانِ.

و﴿هِيَ﴾ فَصْلٌ أو مُبْتَدأٌ.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمَّارَةَ بالسُّوء ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ المُرْدِي -وهُو اتِّباعُ الشَّهَواتِ- وزَجَرها عنه وضَبطَها بالصَّبْر والتَّوْطِين على إيثارِ الخيْرِ.

وقيل: الآيَتَان نَزلَتا في أبي عَزِيزِ بن عُمَيْرٍ ومُصْعَبِ بن عُميْرٍ وقَد قَتلَ مُصعَبٌ أَخَاه أَبا عَزيزٍ يومَ أُحُدٍ، ووَقَى رسُولَ اللهِ بنفسِه حتَّى نفذَتِ المَشاقِصُ في جَوْفه.

قوله: (غُضَّ الطَّرْفَ) -شِعر-:[١]

فـغُـضَّ[٢] الـطَّـرف إنَّـك مِـن نُـمَـيرٍ[٣] فـلا كـعـبًـا[٤] بَـلَـغْـتَ ولا كِـلابَـا[٥]

قوله: (الطاغي) أي: في القرآن.

قوله: (وأنَّه) أي: في المثال.

قوله: (المُرْدِي) الإرداء: الإهلاك، مِن أردَى، أي: أهلَك.

قوله: (في أبي عُزَير)...[٦] إلخ، هذا كاللفِّ والنشر. وأبو عُزَير[٧] كان كافرًا. وقوله: (ومصعبٌ)[٨] هو صحابيٌّ.

قوله:[٩] (المَشاقِصُ) "المَشاقِصُ" جمع مِشْقَصٍ، وهو مِن النِّصال[١٠] ما طال وعَرُضَ.

---

١ ن - شعر.

٢ ن: بعض.

٣ ن: نمر.

٤ ن: لعبًا.

٥ البيت لجرير في ديوانه، ٨٢١/٢.

٦ ن: عزيز. | وقال الطِّيبي: «"أبو عُزَيز" بضمِّ العين، مصغَّر "عَزيز". وعن بعضهم: صحَّ "أبو عَزيز" بفتح العين وتكرير الزاي». فتوح الغيب للطِّيبي، ٢٨٥/١٦.

٧ ن: اعزيز.

٨ ن: مصعب.

٩ ن: قول.

١٠ ن: النصا.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: مَتى إِرْسَاؤُهَا؟ أي: إقامَتُها، أرادُوا: مَتى يُقيمُها اللهُ ويُثبِتُها ويُكوِّنُها. وقيل: أيّان مُنتَهاهَا ومُستَقرُّهَا، كما أَنَّ مُرْسَى السفينةِ مُستقرُّها حيثُ تَنتَهِي إلَيْه.

﴿فِيمَ أَنتَ﴾: في أَيِّ شيءٍ أنتَ مِن أن تَذكُرَ وقتَها لَهُم وتُعْلِمَهُم بهِ، يَعْني: ما أنْتَ مِن ذكرِها لهُمْ وتَبيين وقْتِها في شيءٍ.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: لم يزَلْ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَذْكرُ السَّاعةَ ويَسْألُ عَنها حتَّى نَزلَتْ. فهُوَ على هذا تعجُّبٌ مِن كثرَة ذِكْرِهِ لهَا؛ كأنَّه قيل: في أَيِّ شُغْلٍ واهتِمام أَنْت من ذِكْرِها والسُّؤالِ عنها؟ والمَعنى: أَنَّهم يَسألُونك عَنها فلحِرْصِك على جَوابهم لا تَزالُ تَذكُرهَا وتَسْألُ عَنها.

ثم قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي: مُنْتَهَى عِلْمِها لم يُؤتِ عِلمَها أَحَدًا من خلقه.

وقيل: ﴿فِيمَ﴾ إنكارٌ لسُؤالهم؛ أَي: فيمَ هذا السُّؤال، ثمَّ قِيلَ: ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾؛ أي: إِرْسَالُكَ وأنتَ خاتمُ الأنبياء وآخِرُ الرُّسل المبْعُوثُ في نَسَم السَّاعةِ ذِكرٌ من ذِكْرِهَا وعَلامَةٌ من عَلامَاتِها، فكفَاهُم بذلك دليلًا على دُنوِّهَا ومُشارَفتِها ووُجُوبِ الاستعداد لهَا، ولا مَعْنى لسُؤالهم عنها.

قوله: (مُرسَى) رسَا الشيء يَرسُو؛[١] ثبَت، ورسَتِ السفينة تَرسُو[٢] رَسْوًا ورُسُوًّا؛ وقَفت[٣] على البحر، والمِرساة التي تُرسَى بها السفينة، يسمِّيها[٤] الفُرْس: "لنكر".

قوله: (وعن عائشةَ رضي الله عنها)[٥] إشارةٌ إلى وجه آخر.

قوله: (في نَسَمِ[٦] السّاعة) نَسَمُ[٧] الريح: أوّلها، حين تُقْبِلُ بلينٍ قبل أن تَشتَدَّ، ومنه الحديث: «بُعثتُ في نَسَمِ[٨] الساعة»،[٩] أي: حين ابتدأت وأقبلَت أوائلُها.

---

١ ن: يرسوا.
٢ ن: ترسوا.
٣ ن: وتفت.
٤ ن، بسمها.
٥ ف ن – رضي الله عنها.
٦ ن: نسيم.
٧ ن: نسيم.
٨ ن: نسيم.
٩ حِلية الأولياء لأبي نعيم، ١٦١/٤.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾؛ أي: لـم تُبعَـثْ لتُعْلِمَهُـم بوَقـت السَّـاعة الَّـذي لا فائدَة لَهُـم في عِلْمه، وإنَّما بُعِثْتَ لِتُنذرَ من أَهْوالِها مَن يكونُ إنذارُكَ لُطفًا لهُ في الخشية مِنها.

وقُـرئ: ﴿مُنذِرٌ﴾ بالتنويـن وهُـو الأَصْـلُ، والإِضَافَـةُ تَخفِيـفٌ، وكلاهُمـا يَصْلُح للحالِ والاستقبالِ، فإذَا أُرِيدَ الماضِي فلَيْسَ إلَّا الإضافةُ كقَولـك: هـو مُنْـذرُ زَيْـدٍ أَمْـسِ.

أي: كأنَّهم لم يَلبثَوا في الدُّنيا -وقيل: في القبُور- ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾.

فإن قلتَ: كيف صَحَّت إضافةُ "الضُّحَى" إلى "العشيَّةِ"؟

قلتُ: لِمَا بَيْنهما من المُلابَسةِ لاجتِماعهما في نَهارٍ واحدٍ.

فإن قلتَ: فهَلَّا قِيل: "إلَّا عشيَّةً أو ضُحًى" وما فائدةُ الإضافة؟

قلتُ: الدَّلالةُ على أنَّ مُدَّة لَبْثِهم كأنَّها لـم تَبلُغ يَوْمًا كاملًا، ولكن سَاعةً منهُ عَشِيَّتَهُ أو ضُحَاه، فلمَّا ترَك اليَوم أَضافَهُ إلى عشِيَّتِه، فهو كقَوله: ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ﴾.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرَأَ سُورة النَّازِعَاتِ كان مِمَّن حَبسَهُ اللهُ في القَبْرِ والقيامة حتى يدخُلَ الجنَّةَ قَدْرَ صلاة المَكتُوبة».

قوله: (فلما تَرَك اليوم)... إلخ، قيل: لهذا الكلام أصلٌ، وهو قولك: لم يلبَثوا إلّا ساعةً مِن نهارٍ عشيَّتَه أو ضُحَاه، فوُضِع هذا المختصر مكانَه.[1]

تمَّت السورة بحمد الله تعالى.

---

[1] ن: من كلامه.

سورة عبس

مكيةٌ، وهي أربعون، أو إحدى أو اثنتان وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾

أَتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ابنُ أمّ مكتومٍ -وأمُّ مَكتوم أمُّ أَبيهِ واسْمهُ عبدُ الله بن شُرَيحِ بن مالكِ بن ربيعَةَ الفِهْرِيُّ مِن بني عامرِ بن لؤَيّ-

---

سورة عَبَسَ

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (أمّ أبيه) كان مَعروفًا بجَدَّته.

قوله: (واسمه عبد الله) أي: اسم ابن أمّ مَكتوم عبد الله، ولا شبهةَ أنّ اسمه عبد الله، وأمّا ابن شُرَيحٍ فصِفَة، وكذا الفِهريُّ صفته لا اسمه، وإنّما جعل المصنِّف هذه الأشياء أسماءً[2] لأنّه أراد بالاسم هنا العلامة التي يُعرف بها ويتميَّز بها عن غيره، فكأنّه قال: الذي يُعرف ويتميّز به ممَّن سواه مجموع هذا الثلاثة، وكأنّ المصنِّف رحمه الله[3] اقتبس هذا التركيب مِن قوله تعالى: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران ٣/٤٥]، كما استفدتُ أنا هذا التقدير مِن قَول المصنِّف رحمه الله[4] في تفسير تلك الآية في آل عِمران.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ف ن: اسمًا.

[3] د – رحمه الله.

[4] د – رحمه الله.

وعِندهُ صَناديدُ قُرِيشٍ: عُتبَةُ وشَيبَةُ ابنَا رَبِيعةَ وأبُو جَهْلِ بن هُشامٍ والعبَّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ وأُميَّةُ بنُ خلَفٍ والوَليدُ بنُ المُغِيرة يَدْعُوهـم إلى الإِسْلام رَجَاء أن يُسْلمَ بإسلامهم غيرُهُـم، فقال: يا رَسُول الله أقرِئني وعَلِّمني ممَّا علَّمكَ اللهُ، وكرَّر ذلك وهو لا يَعْلَمُ تشَاغُلَهُ بالقَوم، فكرِهَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَطْعَهُ لِكلامـهِ وعَبَس وأعْـرَض عَنـه فنَزلـتْ، فكان رسُـول الله صلـى الله عليـه وسلم يُكْرِمُـه ويَقُـول إذا رآهُ: «مَرْحبًا بمَـن عَاتَبَنِي فيـه رَبِّي» ويَقـول لـهُ: «هَـلْ لـك مـن حاجـةٍ؟».

واستَخلفَهُ على المَدينةِ مَرَّتَيْنِ وقال أنَسٌ: رَأيتُه يومَ القادسيَّةِ وعليْه دِرْعٌ وله رايَةٌ سَوداءُ.

وقُرِئَ: "عبَّسَ" بالتشديد للمبالغةِ، ونحوُه: "كَلَّح" في "كلَحَ".

﴿أَن جَآءَهُ﴾ منْصُوبٌ بتَولَّى أو بعبَسَ على اختلافِ المذهبيْنِ، ....

قوله: (وعنده) أي: وعند رسول الله، وهو حالٌ مِن قوله:[١] (رسول الله).

قوله: (صَناديدُ) الصناديد: جمع الصِّنديد، وهـو السيِّد الشجاع، وغَيثٌ صِنديد: عظيمُ القَطْر، والصناديد: الدَّواهي،[٢] ومنه قول الحسن: «نعوذ بالله مِن صناديد المُقلِّد».[٣]

قوله: (رجاءَ) مفعول له، أي: يدعوهم لرجاء إسلامهم، أو حالٌ مِن الضمير المستتر في يدعونهم، أو مِن الضمير المنصوب، أي: يدعوهـم راجيًا بإسلامهم إسلامَ غيرهم، أو مرجوًّا بإسلامهم إسلامُ غيرهم.

قوله: (يومَ القادسيّة) القادسيّة: موضع بينه وبيـن الكوفة خمسةَ عشر ميلًا، وهذا كان[٤] زمن خلافة / عمر رضي الله عنه. [٤٥٢و]

قوله: (على اختلاف المذهبَين) أي: في تنازع الفعلين.

---

١ ن: قول.

٢ ن: الدراهي.

٣ المَرويّ في كتب اللغة: «نعوذ بالله مِن صناديد القدر». انظر: الصحاح للجوهري، «صند»؛ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، «صند».

٤ ن + في.

ومَعْناه: عبَس لِأَن جاءه الأَعْمَى وأعرَض لِذلك.

وقرئ: "أأن جاءَهُ" بهَمْزتينِ، وبأَلِفٍ بَينهما، وُقِفَ على ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ ثمَّ ابتُدئَ على مَعْنى: أَلِأَنْ جَاءهُ الأَعْمى، فعَل ذلك إنكارًا عَليه.

ورُوي أنَّه ما عَبَس بعْدَها في وَجْهِ فقيرٍ قطُّ ولا تَصَدَّى لِغَنِيّ.

وفي الإِخْبار عمَّا فَرط مِنْهُ ثمَّ الإقبالِ عَليْه بالخطابِ دليلٌ على زيادة الإنكار، كمَن يشكُو إلى النَّاسِ جَانيًا جَنى عليه ثُم يقبِلُ على الجَاني إِذَا حَمِي في الشكاية مُواجِهًا بالتَّوبيخِ وإِلْزام الحُجَّةِ.

وفي ذِكْرِ الأَعْمَى نَحوٌ مِن ذلك؛ كأنَّهُ يقُولُ: قد استَحقَّ عِنده العُبُوسَ والإِعرَاضَ لأَنَّه أَعْمَى، وكان يجبُ أن يَزيدَهُ لعَماه تعَطُّفًا وتَرَؤُّفًا وتَقريبًا وتَرْحيبًا، ولقد تَأدَّب النَّاسُ بأدَب الله في هذا تَأدُّبًا حَسنًا فقد رُوي عن سُفيَانَ الثَّوريّ أَنَّ الفُقَراء كانُوا في مَجْلسِه أُمَراءَ.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: وأَيُّ شيءٍ يجعَلُكَ داريًا بحالِ هذا الأَعْمَى.

﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾؛ أي: يتَطهَّرُ بما يَتلقَّن من الشرائع من بَعض أَوْضارِ الإِثْم.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ أو يتَّعِظُ ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ ذكراك -أي: مَوعِظَتُك- وتكُونَ له لُطفًا

قوله: (لِأنْ جاءَه) حذف اللام مِن ﴿أَن جَآءَهُ﴾؛ لأنَّ حذف اللام مع "أنْ" و"أنَّ" قياسٌ مستمرٌ، لا لكونه مفعولًا له؛ لأنَّه ليس فعلًا لفاعل الفِعل المُعلَّل.

قوله: (وُقِف على ﴿عَبَسَ﴾) هذا على تقدير القراءة بهمزتين.

قوله: (إذا[1] حمِيَ) حَمِيَ النار، بكسر الميم، وكذا[2] حمِيَ التنُّور؛ اشتدّ حرُّهما.

قوله: (نحوٌ مِن ذلك) أي: مِن الدلالة على زيادة الإنكار.

قوله: (استحقّ) أي: عبد الله بن أمّ مَكتوم.

قوله: (أوضارِ[3] الإثم) الأوضارُ: الأوساخ.[4]

---

[1] ن: وإذا.

[2] ن: وكذى.

[3] ف: الأوضار.

[4] ن - قوله: (أوضار الإثم) الأوضار الأوساخ.

في بَعْضِ الطَّاعات، والمَعنَى: أنَّك لا تَدْري ما هُو مُتَرقَّبٌ منْهُ من تَزكٍّ أو تَذكُّرٍ ولو دريتَ لما فَرطَ ذلك منك.

وقيل: الضمير في ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ للكَافِر، يَعني: أنَّك طمعت في أَنْ يَتزكى بالإسلام أو يذكر فتقرِّبهُ الذِّكْرَى إلى قبول الحقِّ وما يُدْرِيك أَنَّ ما طمِعْتَ فيه كائنٌ.

وقرئ: ﴿فتَنْفَعُه﴾ بالرَّفع عطفًا على ﴿يَذَّكَّرُ﴾، وبالنَّصب جَوابًا لِـ"لَعَلَّ"؛ كقَوْله: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر ٤٠/٣٧].

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾

﴿تَصَدَّىٰ﴾: تتَعرَّضُ بالإقبالِ عليه، والمُصادَاةُ: المُعارَضَةُ، وقرئ: ﴿تَصَّدَّى﴾ بالتشديد بإدْغامِ التاء في الصَّادِ.

وقرأ أبُو جعفرٍ: "تُصَدَّى" بضمِّ التاء؛ أي: تُعرَّضُ، ومَعناه: يدْعُوكَ دَاعٍ إلى التَّصدِّي له مِن الحرْصِ والتَّهالُكِ على إسْلامهِ، وليس عليك بَأسٌ في أَن لا يَتزكَّى بالإسْلام ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى ٤٢/٤٨].

﴿يَسْعَىٰ﴾: يُسْرِعُ في طَلَبِ الخيْرِ.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ الله، أو يَخشَى الكفَّارَ وأَذاهُم في إتْيانِك.

وقيل: جاءَ وليسَ مَعَه قَائدٌ فهو يَخْشَى الكَبْوَةَ.

﴿تَلَهَّىٰ﴾: تتشَاغَلُ، مِن لَهِيَ عنه والْتَهَى وتَلهَّى، وقَرأَ طلحةُ بن مُصَرِّفٍ: "تتَلَهَّى".

قوله: (وقرئ... بالرفع) كلاهما في السبعة.[١]

قوله: (مِن الحِرص)[٢] بيان "داعٍ".

---

١ قال ابن الجزري: «واختلفوا في: ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ فقرأ عاصم بنصبِ العين، وقرأ الباقون برفعِها». النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٨.

٢ ن: الخوص.

وقرَأ أبُو جَعْفرٍ: "تُلَهَّى"؛ أي: يُلَهِّيكَ شَأنُ الصَّناديد.

فإن قلتَ: قولُه: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ كأنَّ فيه اختصاصًا؟

قلتُ: نعَمْ، ومعناه: إنكارُ التَّصَدِّي والتَّلهِّي عليه؛ أي: مِثلُك خُصوصًا لا يَنبغي أن يتصَدَّى لِلغنيِّ ويتَلهَّى عن الفَقيرِ.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ عن المُعاتَبِ عليه وعن مُعاوَدة مِثلهِ.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: مَوْعِظةٌ يجبُ الاتِّعاظُ بها والعَمل بموجبهَا.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي: كانَ حافِظًا له غيْرَ ناسٍ، وذَكَّرَ الضَّمير لأنَّ التَّذْكِرَة في مَعنى الذِّكْرِ والوَعْظِ.

﴿فِى صُحُفٍ﴾ صفةٌ لِـ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ يَعْني: أنَّها مُثبَتةٌ في صُحُفٍ مُنتسَخَةٍ من اللَّوحِ.

﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عِندَ اللهِ.

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السَّماء، أو مَرفُوعةِ المِقدار.

﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾: مُنَزَّهَةٍ عن أَيْدِي الشياطين لا يمسُّها إلَّا أَيْدِي مَلَائكةٍ مُتطَهِّرِينَ.

﴿سَفَرَةٍ﴾: كتَبَةٍ يَنتَسِخُونَ الكُتُبَ من اللَّوْح.

﴿بَرَرَةٍ﴾: أتْقياءَ.

وقيل: هي صحُفُ الأنبياء؛ كقَوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى ١٨/٨٧].

قوله: (وقرَأ أبو جَعفر ﴿تُلهَّى﴾)[١] على البناء للمفعول مِن التلهية.

قوله: (أي: مثلك خصوصًا)... إلخ، أشار إلى أنَّ فيه حصرًا في الفاعل والمفعول.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: هذه الموعظة، أو وقال مُقاتل:[٢] آيات القرآن.

---

١ وهي قراءة شاذّة. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٣٥٢/٢.

٢ ن – وقال مقاتل.

وقيل: السَّفَرةُ: القُرَّاءُ، وقيل: أصحابُ رسُول الله.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ دُعَاء عَليه، وهيَ من أَشنَع دعَواتِهِم لأنَّ القَتْلَ قُصَارى شَدَائِدِ الدُّنيا وفظَائِعَها، و﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ تَعجُّبٌ مِن إِفْراطِهِ في كُفرانِ نِعمةِ اللهِ، ولا تَرى أُسْلُوبًا أَغْلَظَ مِنْهُ، ولا أَخْشَنَ مَسًّا، ولا أدلَّ على سَخَطٍ، ولا أَبْعَدَ شوْطًا في المَذمَّةِ مع تَقَارُب طرَفَيْه، ولا أَجْمَع للأَّئمَةِ على قِصَرِ مَتْنِه.

ثمَّ أَخَذ في وَصْف حالِه مِن ابتداء حُدُوثِه إلى أَن انتهَى، ومَا هو مَغْمُورٌ فيه مِن أُصُولِ النِّعَمِ وفرُوعِهَا، وما هُو غارِزٌ فيه رَأسَهُ من الكُفْرَانِ والغَمْطِ، وقلَّةِ الالتفاتِ إلى ما يتقَلَّبُ فيه وإلى ما يجِبُ عليه من القِيام بالشُّكْر.

﴿مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾: مِن أيِّ شَيءٍ حَقيرٍ مَهينٍ خَلقَهُ، ثمَّ بيَّنَ ذلك الشَّيءَ بقَولِهِ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾: فهَيَّأهُ لمَا يَصْلُح له ويختَصُّ بهِ، ونحوُه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان ٢/٢٥].

نصَبَ ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ بإضمارِ "يَسَّر" وفَسَّرهُ بـ﴿يَسَّرَ﴾، والمَعْنى: ثُمَّ سهَّلَ سبيلَهُ وهو مُخرجُهُ من بَطْنِ أُمِّهِ، أو السبيلَ الَّذِي يختارُ سُلُوكَه من طَرِيقَي الخَيْر والشَّرِّ بإقْداره وتَمْكينه؛ كقَولِهِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان ٣/٧٦].

قوله: (وفظائعها) فظُعَ الأمر بالضمّ فظاعةً[1] فهو فظيعٌ،[2] أي: شديد شَنِيع جاوز المقدار.

قوله: (مع تقارب[3] طرفيه) يعني: أنّ في لفظه اختصارًا، لكن في معناه تطويلٌ.

قوله: (لِلّائِمة) اللّائِمة بمعنى[4] اللوم.

قوله: (غارزٌ) غَرْزُ الرأس كناية عن الجهل والذهاب عما عليه.

---

[1] ن: فضاعة.

[2] ن: فضيع.

[3] ن: فقارب.

[4] ن – أنّ في لفظه اختصارًا، لكن في معناه تطويلٌ. قوله: (لِلّائِمة) اللّائِمة بمعنى.

وعن ابن عبَّاس: بيَّن له سبيلَ الخَيْرِ والشَّرِّ.

﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾: فجَعله ذا قَبْرٍ يُوارَى فيهِ تكْرمةً له، ولم يَجعَلْهُ مَطرُوحًا على وجه الأرضِ جَزَرًا للسِّباع والطَّير كسَائر الحَيوانِ، يُقال: قَبَر الميِّتَ: إذا دَفَنهُ، وأَقْبرَه الميّتَ: إذا أَمَرهُ أن يَقبرهَ ومَكَّنَه مِنْه، ومِنه قولُ مَن قال لِلحجَّاج: أَقْبِرنَا صَالحًا.

﴿أَنشَرَهُۥ﴾: أنشأهُ النَّشأةَ الأُخْرَى، وقرئ: ﴿نَشرَهُ﴾.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ للإنسان عمَّا هُو عليه.

﴿لَمَّا يَقْضِ﴾: لم يَقضِ بَعْدُ ....

قوله: (جَزَرًا) جَزَرُ السباعِ: اللحمُ[١] الذي تأكلُه.

قوله: (صالحًا) اسم رجل،[٢] قال تميم[٣] للحجّاج: «أقْبِرنا صالحًا»، وكان قد قتله وصلبه، أي: ائذَن لنا في أن نقبُرَه، فقال لهم: «دونكُمُوه».[٤]

قوله: (لم يقضِ بعدُ) إشارة إلى أنّ في "لمّا" توقُّعًا وانتظارًا، ولذلك قال تعالى: ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾، ولم يقُل: لم يقضِ؛ لأنّ قضاء المأمور به كان متوقَّعًا مِن النبيِّ عليه الصلاة والسلام، فإنّ نزول هذه الآية كان في مَبدأ[٥] النبوَّة[٦] بمكّة، فتأدّب صلّى الله عليه وسلّم بهذه الآية وبغيرها مِن الآيات الآمِرة الناهية، فكان يجتهدُ حقّ الاجتهاد ويتعبَّد غايةَ العبادة، كما ذكر المصنِّف مِن أنّه عليه الصلاة والسلام كان يُكْرِم عبدَ الله بن أمّ مكتوم ويُرَحِّبُه،[٧] ويقول: «هل لكَ مِن حاجة»،[٨] ومع أنّه ما عبس في وجه فقير، ولا تصدَّى لغنيّ، وكما روي وسُمع مِن كثرة عبادته وحسنِ خلُقه وغايةِ كرمه ومواساته عليه الصلاة والسلام فقد قضى بعد ذلك ما أمره ربُّه عزَّ وجلَّ حتّى رضيَ عنه وخفَّف، فقال: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه ٢٠/٢]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزمل ٧٣/٢٠]، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم ٦٨/٤].

---

١ ن: واللحم.

٢ هو صالح بن عبد الرحمن.

٣ في جمهرة اللغة لابن دريد، «قبر»: "قالت بنو تميم".

٤ الصحاح للجوهري، «قبر».

٥ ن: مبتدأ.

٦ ف: النبويّة.

٧ ن: يوحبه.

٨ جامع البيان للطبري، ٢٤/١٠٣ (عبس، ١/٨٠)، بنحوه. وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٤/١٥٦.

مع تطَاوُلِ الزَّمانِ وامتِدادِه مِن لَدُنْ آدَم إلى هذه الغايةِ ﴿مَآ أَمَرَهُۥ﴾ الله حتَّى يخرُجَ عن جَميع أوامِره، يَعْنِي: أنَّ إنسَانًا لم يخلُ من تقْصيرٍ قَطُّ.

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾

ولمَّا عَدَّد النِّعَم في نفسِه: أَتبَعهُ ذِكر النِّعَم فيما يَحتاج إليه فقَال: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: إلى مطعمه الَّذي يَعِيشُ به كيف دَبَّرنَا أَمْرَهُ.

﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ﴾ يَعْني: الغَيْثَ. قرئ بالكسر على الاستئنافِ وبالفتح على البَدل من الطعام.

وقرأ الحسينُ بن عليّ رضي الله عنهما: "أَنَّى صَبَبْنَا" بالإمالة على مَعْنى: فلينظُرِ الإنسانُ كيف صَبَبْنَا المَاءَ.

﴿شَقَقۡنَا﴾: مِن شَقِّ الأرضِ بالنَّباتِ، ويجوز أن يكون من شَقِّها بالكرابِ

ومعنى "بعدُ" بالفارسيّة في مثل هذا الموضع "هنوز"، وكأنّ أصله: بعدَ ما مضى مِن الزمان إلى هذا الوقت، ثمّ حُذِف المضاف إليه فبُني "بعدُ" على الضمّ.

وقوله: (مع تطاولِ الزمان) إمّا بدلٌ مِن "بعدُ" أو[1] حال مِن الضمير في "يقضِ"، أي: لم يقضِ مقارنًا مع تطاول الزمان. وقوله: (مِن لدُن آدم)... إلخ بدلٌ مِن قوله: "بعدُ".

قوله: (في نفسه) أي: الإنسان.[2]

قوله: (فيما يحتاج) أي: الإنسان.

قوله: / (أنّى) بمعنى: كيف. [٤٥٢ظ]

قوله: (بالكِراب) كرَبْتُ الأرضَ إذا قلبتُها للحَرْث، وفي المَثَل: "الكِرَاب على البَقر".[3]

---

[1] ن: أر.

[2] ن: الإنسان.

[3] انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١٤٢/٢، وفيه: "يُضرب في تَخليةِ المرء وصناعته".

على البَقرِ، وأسْنَدَ الشَّقَّ إلى نَفْسِه إسنادَ الفِعل إلى السَّببِ.

و"الحبُّ": كُلُّ ما حُصِدَ من نَحو الحِنْطة والشعير وغيرهما.

و"القَضْبُ": الرَّطبَةُ، والمِقضَابُ: أَرْضُه، سُمِّي بمَصْدرِ قضبَه: إذا قطعَهُ لأنَّه يُقضَبُ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ.

﴿وَحَدَآيِقَ غُلْبًا﴾ يحتمِلُ أن يُجعل كلُّ حديقَةٍ غَلْباء فَيرِيدَ تكاثُفهَا وَكثرةَ أشجارِهَا وعِظَمَها؛ كما تقُول: حَديقةٌ ضَخمَةٌ، وأَن يُجعَلَ شجَرُها غُلبًا؛ أي: عِظامًا غِلاظًا.

والأصلُ في الوَصْف بالغُلْبِ: الرِّقابُ فاستُعِيرَ، قال عمرُو بن مَعْدِ يكرِبَ:

يَمْشِي بِهَا غُلْبُ الرِّقَابِ كأنَّهُمْ ... بُزْلٌ كُسِينَ من الكُحَيلِ جِلَالَا

و"الأبُّ": المَرْعَى؛ لأنه يُؤبُّ؛ أي: يُؤَمُّ ويُنتجَعُ. والأبُّ والأمُّ أخوانِ؛ قال:

قوله: (وأسند) يعني: إذا كان المراد الكِراب.

قوله: (الرَّطبة) أي: القَتُّ.

قوله:

(يمشي بها غُلْبُ الرِّقابِ)... البيتَ[1]

"بها" أي: بالخيل، و"الكُحَيلِ" مبنيٌّ على التصغير، وهو الذي يُطلى به الإبل للجَرَب، وهو النِّفط، شبَّهَهم[2] في عِظَم الإجرام بالبُزل، والبُزْل: جمع بازِلٍ في الذكور والإناث؛ إذا فَطَر نابُه[3] في تاسعِ سِنيهِ. يصف أرضًا مَأسَدَةً،[4] ويقول: يمشي[5] بهذه الأرض أسُودٌ سودٌ غِلاظُ[6] العُنق، كأنَّها نُوقٌ[7] كُسِينَ[8] جِلالًا مِن القَطِران.

قوله:

---

[1] ديوان عمرو بن معد يكرب، ص ١٥٣، نقلًا عن شواهد الكشّاف.

[2] ن: شبهم.

[3] ن: بانه.

[4] ن: فاسدة. | وأرضٌ مَأسَدَةٌ: ذات أُسُدٍ. الصحاح للجوهريّ، «أسد».

[5] ن: تمشي.

[6] ن: غيلاظ.

[7] ن: فوق.

[8] ن: لسين.

جِـذْمُـنـا قَـيـسٌ ونَـجـدٌ دارُنـا   ولنَـــا الأَبُّ بــــه والمَكْــــرَعُ

وعن أبي بكرٍ رضي الله عنه أنَّه سُئِلَ عن الأبِّ فقال: أيُّ سَماءٍ تُظِلُّني، وأيُّ أَرْضٍ تُقلُّنِي، إذا قلتُ في كتاب الله ما لا عِلمَ لي به؟

وعن عُمرَ رضي الله عنه: أنَّه قَرأ هذِه الآيةَ فقال: كَلُّ هذا قد عَرفْنا فمَا الأَبُّ؟ ثم رَفضَ عَصًا كانت بيَدِه وقال: هذا لَعَمْرُ اللهِ التَّكَلُّفُ، وما عَلَيْك يا ابنَ أُمِّ عُمَر أَن لا تَدْرِي ما الأَبُّ؟ ثُمَّ قال: اتَّبِعُوا ما تَبيَّنَ لكُم مِن هذا الكتابِ وما لا فدَعُوهُ.

فإن قلتَ: فهذا يُشْبِه النَّهْيَ عن تَتبُّعِ معَاني القرآنِ والبَحْثِ عن مُشْكِلاته؟

قلتُ: لم يَذْهَبْ إلى ذلك، ولكِنَّ القومَ كانت أكثَرُ همَّتِهم عاكِفةً على العَمل، وكان التَّشاغُلُ بشيءٍ من العِلْم لا يُعمَلُ به تكلُّفًا عندهُم، فأَراد أَنَّ الآيةَ مَسُوقَةٌ في الامتِنانِ على الإنسانِ بمَطْعَمه واستدعاءِ شُكْرِه، وقد عُلم مِن فَحْوى الآيةِ أنَّ الأبَّ بَعْضُ ما أَنْبتَهُ اللهُ للإنسان مَتاعًا له أو لأنعامهِ، فعَلَيْك بما هُو أَهمُّ: من النُّهُوضِ بالشُّكر لله على ما تبيَّنَ لك ولم يُشْكِل ممَّا عَدَّدَ مِن نِعَمهِ، ولا تتشَاغَلْ عَنه بِطلبِ مَعنى الأبِّ ومَعْرفةِ النَّباتِ الخاصِّ الَّذِي هو اسمٌ لهُ، واكتَفِ بالمَعْرفةِ الجُمْليَّةِ إلى أَنْ يَتبيَّنَ لك في غير هذا الوقتِ،

(جِــذْمُـــنــا قـــيـــسٌ)... الـبـيـتَ[١]

"جِذْمُنا" أي: أصلنا. والأَبُّ: المنتَجَع.[٢] كَرَعَ في الماء يكرَعُ كُروعًا؛ إذا تناولَه بفِيه[٣] مِن موضعه مِن غير أن يشرب بكفِّه ولا بإناءٍ. يقول: أصلُنا مِن قبيلة قيسٍ، ومَرعانا ومنهَلُنا نَجْد.

قوله: (مِن النهوض)[٤] بيان "ما".

---

١ ذكره ابن دريد في جمهرة اللغة، «أبب».

٢ قال ابن منظور: «الأَبُّ: الكَلأُ، وعبَّر بعضهم عنه بأنَّه المَرعى. وقال الزَّجّاج: الأَبُّ جميع الكَلأ الذي تَعتَلِفُه الماشية». وقال في "المنتجَع": «والمُنتَجَعُ: المَنْزِل في طلب الكلأ». لسان العرب لابن منظور، «أبب»، «نجع».

٣ ن: بقية.

٤ ن: التهوض.

ثمَّ وَصَّى الناسَ بأن يَجرُوا على هذا السَّنَن فيما أشبَه ذلك من مُشكلاتِ القرآنِ.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧﴾

يُقال: "صَخَّ لِحَديثِهِ" مثلُ: أصَاخَ له، فوُصِفَت النَّفخَةُ بالصَّاخَّةِ مجَازًا لأنَّ الناس يَصخُّون لَها.

يَفِرُّ مِنْهم لاشتِغاله بما هُو مَدْفُوعٌ إلَيه، ولِعلمه أَنَّهم لا يُغْنُونَ عنه شَيئًا، ويَبدأ بالأَخِ ثُمَّ بالأبوينِ لأَنَّهما أَقربُ مِنه، ثمَّ بالصَّاحبةِ والبَنِينَ لأنَّهم أقربُ وأحَبُّ؛ كأنَّه قيل: يَفِرُّ مِن أَخِيه بل من أَبويْه بل من صاحِبتِهِ وبَنِيهِ.

وقيل: يَفِرُّ مِنهُم حَذرًا مِن مُطالبتِهِمْ بالتَّبعاتِ؛ يقولُ الأخُ: لَمْ تُواسِنِي بمَالِكَ، والأَبَوَانِ: قَصَّرْتَ في بِرِّنا، والصَّاحِبَةُ: أطعَمْتَني الحَرامَ وفَعَلْتَ وصَنَعتَ، والبَنُونَ: لم تُعلِّمنَا ولم تُرْشِدْنَا.

وقيل: أوَّلُ مَن يَفِرُّ مِن أَخيهِ: هابيلُ، ومن أَبويْه: إبراهيمُ، ومِن صاحبتِهِ: نوحٌ ولُوطٌ، ومن ابنهِ نوحٌ.

﴿يُغۡنِيهِ﴾: يكْفيهِ في الاهتِمام به، وقرئ: "يَعْنِيه"؛ أي: يُهِمُّه.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ۝٤٢﴾

﴿مُّسۡفِرَةٞ﴾: مُضِيئةٌ مُتَهَلِّلةٌ، مِن أَسْفَرَ الصُّبحُ: إذا أَضاء.

قوله: (ثمّ وصّى) أي: عُمر بقوله: «اتّبعوا ما تبيَّن»... إلخ.[1]

قوله: (يَصِخُّون[2] لها) أي: يستمعون.

قوله: (وقيل: يَفِرُّ مِنهم) والأوّل أقوى الوجوه، يدلُّ عليه قوله: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ﴾... إلخ، فإنّ هذه الجملة كالبيان للجملة الأولى.

---

[1] قول عمر رضي الله عنه في المستدرك للحاكم، ٥٤١/٣ (٢٠٨٤). ٥٥٩/٢ (٣٨٩٧)؛ شعب الإيمان للبيهقي،

[2] ن: يضجون.

وعن ابن عبَّاس: مِن قيامِ اللَّيلِ؛ لِمَا رُوِي في الحَديثِ: «مَن كَثُرَ صلاتُه بالليل حَسُنَ وجهُه بالنَّهارِ».

وعن الضَّحَّاك: مِن آثارِ الوُضُوء.

وقيل: مِن طُولِ ما اغبرَّتْ في سبيلِ الله.

﴿غَبَرَةٌ﴾: غبارٌ يَعْلُوهَا ﴿قَتَرَةٌ﴾ سَوادٌ كالدُّخانِ، ولا تَرى أَوْحشَ من اجتِماعِ الغَبرةِ والسَّوادِ في الوَجْهِ؛ كما تَرَى في وُجُوه الزُّنُوجِ إذا اغبرَّتْ، وكأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يجمعُ إلى سواد وجوههم الغبرةَ كما جَمعُوا الفجُورَ إلى الكُفر.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ جاء يَوْمَ القيامة ووجْهُهُ ضَاحِكٌ مُستَبْشِرٌ».

قوله: (في الحديث) قيل: إنّ هذا الحديث موضوع.[1]

قوله: (كما جمَعوا الفُجُور) يُعلم منه أنّ الكفّار كما يؤاخَذون بترك الإيمان يؤاخذون ويعذَّبون بترك الفروع والإقدام على المعاصي.

تمَّت السورة بحمد الله تعالى[2] ومَنِّه وكرمه.[3]

---

[1] سنن ابن ماجه، ٣٥٨/٢ (١٣٣٣)، وقال الزيلعي: «وَقد طعن ابن عدي والعقيلي وابن حبَّان فِي ثَابت [ابن موسى] بسبب روايته لهذا الحديث». تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٣١٧/٣. وأخرجه القضاعي، ثم قال: «وقد رُوِي لنا هذا الحدِيث مِن طرُقٍ كثيرةٍ، وعن ثقاتٍ عن غير ثابت بن موسى، وعن غير شَرِيك». مسند الشهاب للقُضاعي، ٢٥٤/١ (٤١٢).

[2] د ف – تعالى.

[3] ف – السورة بحمد الله ومنِّه وكرمه؛ ن – ومنّه وكرمه.

سورة التكوير

مكيةٌ، وهي تسعٌ وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥﴾

في "التَّكويرِ" وجهانِ:

أن يكُونَ من كوَّرْتُ العِمامةَ: إذا لَفَفْتَها؛ أي: يُلَفُّ ضَوءُهَا لفًّا فيذهبُ انبسَاطُه وانتِشَارُه في الآفاقِ، وهي عبَارةٌ عن إزالَتِها والذَّهَابِ بها؛ لأنها ما دامَتْ باقيةً كان ضِيَاؤُها مُنْبَسطًا غيرَ مَلْفُوف، أو يكُونُ لَفُّها عبَارةً عن رفعها وسَتْرِها؛ لأنَّ الثَّوْبَ إذا أُريدَ رَفْعُه لُفَّ وطُوِيَ، ونحوُه قولُه: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠٤].

وأن يكُونَ مِن طَعَنَه فجوَّرَهُ وكَوَّرهُ: إذا أَلْقَاهُ؛ أي: تُلْقَى وتُطْرَحُ عن فَلَكِها؛

سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (وهي عبارةٌ) فيكون كنايةً؛ لأنّ ذهاب انبساط الضوء مِن لوازم إزالتها، وكذا الوجه الثاني؛ لأنّ اللفَّ والطيَّ مِن لوازم الرفع، أو نقول: هو على الثاني مجازٌ؛ لأنّ اللفّ والطيَّ مستلزمٌ للرفع.

قوله: (أو يكون) عطفٌ على قوله: (أي: يُلَفُّ) مِن حيث المعنى.

[1] ف ن – وبه نستعين.

كما وصِفَتِ النُّجُومُ بالانكدارِ.

فإن قلتَ: ارتفاعُ ﴿ٱلشَّمۡسُ﴾ على الابتداء أو الفاعليَّةِ؟

قلتُ: بَلْ عَلى الفاعِليَّة، رافِعُها فِعْلٌ مُضمَرٌ يُفسِّره ﴿كُوِّرَتۡ﴾ لِأنَّ ﴿إِذَا﴾ يَطلُب الفِعلَ لِمَا فيه مِن مَعْنى الشَّرط.

﴿ٱنكَدَرَتۡ﴾: انقَضَّت؛ قال:

أبْـصَـر خِـربــانَ فَـضَــاءٍ فـانـكـدَرْ

ويُرْوَى في الشَّمْسِ والنُّجُومِ: إنَّها تُطْرَحُ في جَهنَّمَ لِيَراهَا مَن عبَدهَا؛ كما قال: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٨].

﴿سُيِّرَتۡ﴾؛ أي: عن وَجْهِ الأَرْضِ وأُبْعِدَت، أو: سُيِّرَت في الجوِّ تَسييرَ السَّحابِ؛ كقَوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل ٢٧/٨٨].

و﴿ٱلۡعِشَارُ﴾ في جَمْعِ عُشَرَاءَ كالنِّفَاسِ في جَمْع نُفَسَاء، وهي الَّتي أتَى على حَمْلِها عَشرَةُ أَشْهُرٍ، ....

قوله: (بالانكِدار) وهو السقوط.

قوله: (انقضَّتْ) أي: هوَت.

قوله: (أبصَرَ)...[١] البيتَ، قبلَه:

إذا الكـرامُ ابـتَـدَرُوا البـاعَ بَـدَرْ   تَقَضِّيَ البـازِي إذا البـازِي[٢] كَسَرْ[٣]

"الباعُ"[٤] يستعمل في الكرم، يقال: فلانٌ كريمُ الباع، يقول: إذا الكرام ابتَدَروا فِعلَ المكارم بَدَرَهم -أي: أسرع- كانقضاض البازِي على الحُبَارَى. و"خِزبان" جمع خَرَب، وهو طائرٌ يقال له: الحُبارَى. والبيت للعَجّاج[٥] يمدَح عمرَ بن مَعْمَر.

قوله: (وأبعدَت) كالتفسير لقوله: ﴿سُيِّرَتۡ﴾.

---

[١] ن: أقصر.

[٢] ن – البازي.

[٣] ديوان العجّاج، ١/٤٠-٤٢.

[٤] ن: الباغ.

[٥] في الأصول الخطّيّة: "للحجّاج"، وهو تصحيف للعجّاج.

ثُمَّ هو اسْمُها إلى أن تضَعَ لِتمامِ السَّنَةِ وهي أنفَسُ ما تكُون عِند أهْلِهَا وأعزُّها عليهم.

﴿عُطِّلَتْ﴾: تُرِكَتْ مُسَيَّبَةً مُهْمَلةً، وقيل: عَطَّلَها أهْلُها عن الحَلَبِ والصَّرِّ لاشتِغَالهم بأنفُسِهم.

وقرئ: "عُطِلَت" بالتخفيف.

﴿حُشِرَتْ﴾: جُمِعَت من كُلِّ ناحيَةٍ، قال قتادةُ: يُحشَرُ كُلُّ شيءٍ حَتَّى الذُّبابُ للقِصَاص.

وقيل: إذا قُضِي بَيْنها رُدَّتْ تُرابًا فلا يَبْقَى منها إلَّا ما فيه سُرُورٌ لبَنِي آدَمَ وإعجَابٌ بصُورتِهِ كالطَّاوُوس ونحوِه.

وعن ابن عبَّاس: حَشرُهَا: مَوْتُها، يُقَالُ إذا أجحَفتِ السَّنَةُ بالنَّاس وأموالِهِم: حَشرتْهُم السَّنَةُ.

وقرئ: "حُشِّرتْ" بالتَّشديد.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾

﴿سُجِّرَتْ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، مِن سَجَر التَّنُّورَ: إذا مَلأَه بالحَطَبِ؛ أي: مُلِئَتْ وفُجِّرَ بعضُها إلى بَعضٍ حتَّى تعُودَ بَحْرًا واحِدًا.

وقيل: مُلِئَتْ نيرانًا تَضطَرِمُ لِتَعْذيب أهْل النَّار.

وعن الحسَنِ: يَذهَبُ ماؤها فلا تَبقى فيها قَطْرَةٌ.

﴿زُوِّجَتْ﴾: قُرِنَتْ كُلُّ نَفسٍ ....

قوله: (لِتَمام) أي: وقتَ تَمام.

قوله: (إذا[1] أجحَفَت) جحَفَت: ضَيَّقت، يقال: أجْحَفَت، أي: استَأصَلَتْ، و"السَّنَة": القَحْط.

---

[1] ن – إذا.

بشَكلها، وقيل: قُرِنَتْ الأَرْواحُ بالأَجْسَادِ، وقيل بكُتُبِها وأَعمَالِها.

وعن الحَسن: هو كقَوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾.

وقيل: نفُوسُ المؤمنين بالحُورِ ونفُوسُ الكافرين بالشَّيَاطين.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾

"وأَدَ يئِدُ" مقلوبٌ من آدَ يَؤُودُ: إذا أَثقَلَ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة ٢/٢٥٥]؛ لأنّه إِثقَالٌ بالتُّراب، كان الرجلُ إذا وُلِدَتْ له بنتٌ فأَرَادَ أن يَسْتَحْيِيَها أَلْبَسَها جُبَّةً من صُوفٍ أو شعَرٍ تَرْعَى له الإبلَ والغنمَ في الباديةِ، وإنْ أرادَ قَتْلهَا تركَهَا حتَّى إذا كانَت سُداسِيَّةً فيقول لِأُمِّها: طيِّبيها وزَيِّنيها حتى أذهبَ بها إلى أَحْمَائِهَا، وقد حَفَر لهَا بئرًا في الصَّحْراء، فيَبْلُغُ بهَا البِئْرَ فيَقُولُ لها: انظُرِي فيها ثُمَّ يدْفَعُها مِن خَلْفِها ويُهيلُ علَيها التُّرابَ حَتَّى تَسْتَوِيَ البِئْرُ بالأَرض.

قوله: (بشَكلِها) أي: بمَن[١] يُشاكِلها ويُماثُلها، يُقْرَنُ الصالح بالصالح، والطالح بالطالح.

قوله: (وعن الحسَن رضي الله عنه)... إلخ، ﴿زُوِّجَتْ﴾ على تفسير الحسَن: [٤٥٣و] صُنِّفت أصنافًا[٢] / ثلاثةً.

قوله: (مِن "آدَ")[٣] أصل "آدَ"[٤] أَوَدَ،[٥] قلبت الواو[٦] ألفًا.

قوله: (سُداسيّة) أي:[٧] ستّة أشبارٍ،[٨] ويجوز[٩] أن يكون عبارة عن البلوغ، كما مرَّ في قول الفَرَزدَق:

فسَما[١٠] وأدرَك خمسةَ الأشبارِ[١١]

---

[١] ن – بمن.
[٢] ن: صفت صنافًا.
[٣] ن: إذا.
[٤] ف: آآذ؛ ن: إذ.
[٥] ف: آأورد.
[٦] ن: الباو.
[٧] ن – أي.
[٨] ن: أشباب.
[٩] ف: ويجو.
[١٠] ن: قسما.
[١١] ن: أشبار. | ديوان الفرزدق بشرح الحاوي، ٤٩٨/١، صدرُه:
ما زال مذ عَقدَتْ يداهُ إزارَه

وقيل: كانت الحامِلُ إذا أقربَتْ حَفرَتْ حُفرةً فتمخَّضَتْ على رَأسِ الحُفْرةِ، فإذا وَلدَتْ بِنتًا رمت بها في الحُفْرةِ وإن وَلدَتْ ابنًا حَبَستْهُ.

فإن قلتَ: ما حمَلَهُم على وَأْدِ البنات؟

قلتُ: الخوفُ مِن لحُوقِ العَارِ بهِمْ من أجلهنَّ، أو الخَوْفُ من الإملاقِ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام ٦/١٥١] وكانُوا يقُولُونَ: إنَّ الملائكةَ بناتُ الله، فألْحِقُوا البَناتِ بهِ فهُو أحَقُّ بهنَّ.

وصَعْصَعةُ بنُ ناجيةَ مِمَّن مَنع الوأدَ، فبهِ افتَخر الفَرزدَقُ في قَوله:

ومِنَّا الَّذِي مَنعَ الوَائِدَات ... فأحْيَا الوَئِيدَ فلم تُوأَدِ

فإن قلتَ: فما مَعنى سُؤال المَوْؤُدَةِ عَن ذَنْبِها الَّذي قُتِلَتْ بهِ، وهلَّا سُئِلَ الوَائدُ عن مُوجِب قَتلِه لهَا؟

قلتُ: سُؤالُها وجوَابُها تَبْكِيتٌ لِقَاتِلهَا نحوُ التَّبكيتِ في قَوله تعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ إلى قَوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة ٥/١١٦].

وقرئ: "سَألَتْ"؛ أي: خاصَمَتْ عن نفْسِها وسَألَتِ الله أو قاتِلَها.

وإنَّما قِيل: ﴿قُتِلَتْ﴾ بناءً على أنَّ الكلامَ إخبارٌ عنها ولَو حُكِيَ ما خُوطِبَتْ به حِين سُئِلَتْ لَقِيلَ: "قُتِلْتِ" أو كلامُها حينَ سألَتْ لَقِيل: "قُتِلتُ".

وقرأ ابن عبَّاس: "قُتِلْتُ" على الحكايةِ. وقرئ: ﴿قُتِّلَتْ﴾ بالتشديد.

وفيه دليلٌ بَيِّنٌ على أنَّ أطفالَ المشركين لا يُعذَّبُونَ، ....

قوله: (أقْرَبتْ) أقْرَبَتِ المرأةُ إذا قَرُب وِلادُها. "التمخُّض": التحرُّك الذي يكون عند وجع الولادة، والمخاض: وجع الولادة، وكلُّ حاملٍ ضَربها الطَّلْق فهي ماخِضٌ.

قوله: (الوئيدَ) "الوئيدُ" فعيل بمعنى مفعول، فلذا لم يؤنَّث.

قوله: (على الحكاية) حين سَألَت.

قوله: (وفيه دليلٌ) لا دليلَ فيه على أنَّهنَّ لا يُعذَّبْنَ، فإنَّ السؤال لمّا كان لتَبكيتِ

وعلى أنَّ التَّعذِيبَ لا يُستحَقُّ إلَّا بالذنبِ، وإذا بكَّتَ اللهُ الكافرَ ببرَاءةِ المَوؤُدَةِ مِن الذَّنْبِ فما أَقبحَ بهِ -وهو الَّذي لا يَظلِمُ مثقالَ ذرَّةٍ- أن يكُرَّ عَليْها بَعد هذا التَّبْكيتِ فيَفعَلَ بها ما تَنسَى عندَهُ فِعْلَ المُبَكِّتِ من العذابِ السَّرمدِ.

وعن ابن عباس أنَّه سُئِل عن ذلك فاحتَجَّ بهذِه الآيةِ.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾

﴿نُشِرَتۡ﴾ قرئ بالتَّخْفيف والتَّشديد.

يُريد: صُحُفَ الأَعمال تُطْوَى صَحِيفةُ الإنسانِ عند مَوْتِه ثم تُنشَرُ إذا حُوسِبَ.

عن قتادةَ: صحِيفَتُكَ يا ابنَ آدَم تُطوَى على عمَلِكَ ثـم تُنشَرُ يومَ القيَامةِ، فليَنْظُرْ رَجُلٌ ما يُمْلَى في صَحيفَتِه.

وعن عُمر رضي الله عنه أنَّه كان إذا قَرأَهَا قال: إليك يُسَاقُ الأَمْرُ يا ابنَ آدَمَ.

الوائد وإلزامه لا يلزم منه أن لا يُعذَّبنَ[1] بعد أن نطقْنَ بما يلزم تبكيتَ الوائدِ، كيف وقد ورد الحديث في تعذيبِهِنّ، كقوله[2] عليه الصلاة والسلام: «الوائِدةُ[3] والمَوءودةُ في النار».[4] وأمّا ما ذكره المصنِّف بعد ذلك مِن حديث القبح[5] العقليِّ فلا اعتداد به، فإنّ العقل لا يَحكم بالحُسن والقبح في أفعال الله تعالى، وهو مالك المُلوك يتصرّف في ملكه كيف يشاء، يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد.

قوله: (فما أقبحَ) تعجُّبٌ.

قوله: (تنسى)[6] أي: المَوءودة.[7]

قوله: (عن ذلك) أي: عن عذاب أطفال المشركين.

---

[1] ن – فإنّ السؤال لمّا كان لتبكيتِ الوائد وإلزامه لا يلزم منه أن لا يُعذَّبنَ.

[2] ف: لقوله.

[3] ن: الزائدة.

[4] سنن أبي داود، ٧/٩٩ (٤٧١٧).

[5] ن: الفتح.

[6] ن: تنشى.

[7] ن – الموردة.

وعن النَّبي عليه السلام أنه قال: «يُحشرُ الناسُ عُرَاةً حُفَاةً» فقالت أُمُّ سَلمَة: كيفَ بالنِّساءِ؟ فقال: «شُغِلَ النَّاسُ يا أُمَّ سَلمَة» قالَتْ: وما شغَلَهُم؟ قال: «نَشْرُ الصُّحُفِ فيها مَثَاقِيلَ الذَّرِّ ومَثاقيلُ الخَرْدَلِ».

ويجوز أَن يُراد: نُشِرَتْ بين أَصحابهَا؛ أي: فُرِّقَتْ بَيْنَهُم.

وعن مَرْثَدِ بن وَدَاعَةَ: إذا كان يومُ القِيَامةِ تَطَايَرتِ الصُّحُفُ من تَحتِ العَرش، فتَقَعُ صَحيفةُ المُؤمِن في يَده: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة ٦٩/٢٢]، وتقع صحِيفةُ الكافِرِ في يده: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة ٥٦/٤٢]؛ أي: مكتُوبٌ فيها ذلك، وهي صحفٌ غيرُ صحُفِ الأعمال.

﴿كُشِطَتْ﴾: كُشِفَتْ وأُزِيلَتْ كما يُكشَطُ الإهَابُ عن الذَّبِيحَةِ والغِطَاءُ عن الشَّيء.

وقَرأ ابنُ مسعُود: "قُشِطَتْ"، واعتِقابُ الكافِ والقافِ كثِيرٌ؛ يُقالُ: لبَكْتُ الثَّرِيدَ ولَبَقْتُه، والكافورُ والقَافُورُ.

﴿سُعِرَت﴾: أُوقِدَتْ إيقَادًا شديدًا، وقرئ: ﴿سُعِّرَتْ﴾ بالتَّشديد للمُبالَغةِ.

قيل: سَعَّرَها غضَبُ الله وخَطَايَا بَني آدمَ.

﴿أُزْلِفَتْ﴾: أُدْنِيَت مِن المُتَّقِين؛ كقَوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق ٥٠/٣١].

قيل: هذه اثنتَا عشرَةَ خَصْلةً، سِتٌّ منها في الدُّنيا وستٌّ منها في الآخرة.

و﴿عَلِمَتْ﴾ هو عامِلُ النَّصْبِ في ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وفيما عُطف عَليْه.

فإن قلتَ: كلُّ نفسٍ تَعْلَم ما أَحْضَرَت؛ كقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران ٣/٣٠] لا نفسٌ واحِدةٌ، فما مَعْنى قولهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾؟

قوله: (الإهَاب) أي: الجِلْد.

قوله: (لبَكْتُ[1] الثريدَ) أي: دهَنتُه وفعلتُ فيه السَّمْن حتى صار ليّنًا دسِمًا.

قوله: (قيل:[2] هذه اثنتا[3] عشرةَ خصلةً) أي: مِن قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ﴾ إلى هنا.

---

١ ن: لبلت.
٢ ف ن – قيل.
٣ ن: اثنا.

قلتُ: هو مِن عَكْسِ كلامِهم الَّذي يَقْصِدُون به الإفْراطَ فيمَا يُعْكَسُ عَنه، ومنه قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر ٢/١٥]، ومعناهُ: مَعْنى "كم" وأَبلَغُ مِنْه، ومنه قولُ القائل:

قَـدْ أَتْـرُكُ الـقِـرْنَ مُـصْـفَـرًّا أنـامِـلُـهُ

وتقُولُ لبَعضِ قُوَّادِ العَساكِر: كَمْ عندك مِن الفُرْسَانِ؟ فَيقُولُ: "رُبَّ فارِسٍ عِندي"، أو: "لا تَعْدَمُ عِنْدِي فارِسًا" وعندَه المقانِبُ، وقَصْدُهُ بذلِك التَّمادِي في تكثِير فُرسَانِه، ولكنَّهُ أرادَ إظهارَ براءتِهِ من التَّزيُّدِ، وأنَّهُ مِمَّن يُقَلِّلُ كثِيرَ ما عِنْدَه فضْلًا أن يَتَزَيَّد، فجَاء بلَفْظِ التَّقْليلِ ففُهِم مِنْه مَعْنَى الكَثْرةِ على الصِّحَّةِ واليَقين.

وعن ابن مَسعُود رضي الله عنه: أنَّ قَارِئًا قَرأهَا عنده، ....

قوله: (فيما يُعْكَس عنه) الضمير مِن[1] "يُعكس" عائد إلى "كلامِهم"، ومِن[2] "عنه" إلى "ما"، فالأصل: كلّ نفسٍ، ثمّ عُكِس هذا، أي: ترك، وأُتِيَ بدلَه[3] ﴿نَفْسٌ﴾؛ للمبالغة في معنى "كلِّ نفسٍ" كما ذكَر.

قوله:[4]

(قـد أتـرُكُ الـقِـرْنَ مُـصْـفَـرًّا أنامِلُه)

تمامُه:

كـأنّ أثـوابَـه مُـجَّـتْ بـفِـرْصـادِ[5]

قوله: (المقانبُ) المِقنَبُ: ما بين الثلُثين إلى الأربعين مِن الخَيل، و"المقانِبُ" جمعٌ.

قوله: (مِن التزيُّد) "التزيُّد": دعوَى الزيادة.

---

[1] ن – مِن.

[2] ن: مِن.

[3] ن: بذله.

[4] في جميع الأصول المخطوطة وقع بعد "قوله" زيادةُ عبارة: "كأنّ مصفرًّا"، وما عرفت محلّها ولا المراد منها، وليست في الكشّاف.

[5] نسبه في الصحاح لعبيد بن الأبرص. انظر: الصحاح للجوهري، «قدد».

فلمَّا بَلَغ ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ قالَ: وا انقِطاعَ ظَهْرِيَاهُ.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾

"الخُنَّسُ": الرَّواجِعُ بَيْنا ترَى النَّجم في آخِرِ البُرْجِ إذْ كَرَّ راجِعًا إلى أوَّلِه.

و﴿ٱلۡجَوَارِ﴾: السَّيَّارَةُ.

و"الكُنَّس": الغُيَّبُ، من كَنَسَ الوَحْشِيُّ: إذا دَخل كِناسَه.

قيل: هي الدَّرَارِيُّ الخَمْسةُ: بَهْرَامُ وزُحَلُ وعُطارِدُ والزُّهَرَةُ والمُشْتَري، تَجْرِي مَع الشَّمسِ والقمر وتَرْجِعُ حتَّى تَخفَى تحْتَ ضَوءِ الشمس، فخُنوسُها: رُجُوعُهَا، وكُنوسُها: اختِفَاؤُها تحت ضوءِ الشَّمسِ.

وقيل: هي جميعُ الكواكب: تَخنِسُ بالنَّهارِ فَتَغِيبُ عن العُيونِ، وتكنِسُ باللَّيلِ؛ أي: تَطْلُع في أَماكِنِها كالوَحْشِ في كُنُسِهَا.

"عَسْعَسَ اللَّيلُ" وسَعْسَعَ: إذا أَدْبَر، قال العجَّاجُ:

قوله: (وا انقطاعَ ظهرياه) "وَا" حرفُ نُدْبةٍ، وأُلحِق الألف والهاء آخرَه.

قوله: (السيَّارة) بينا تراه يتحرَّك مِن المغرب إلى المشرق تراه كأنَّه يتحرَّك مِن المشرق إلى المغرب.

قوله: (بَهرام) مِرِّيخ. "بَهرام" بفتح الباء، وإن عُرِّب كُسِر[١] الباء؛ لأنَّ "فَعْلالًا"[٢] ليس في أبنيتِهم.

قوله: (إذا أدبر) قال في الوسيط: «الأظهر أنَّ ﴿عَسۡعَسَ﴾ بمعنى: "أدبر"؛ لقوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾»،[٣] هذا كلام صاحب الوسيط، وحاصله: أنَّ طلوع الصبح لمَّا كان متَّصلًا بإدبار الليل كان المناسب تفسير ﴿عَسۡعَسَ﴾ بـ"أدبر"، وأمَّا مَن فسَّره بـ"أقبَل" فلِيكون القسَم بإقبال الليل وإقبال النهار.

---

١ ن: لسو.
٢ ن: بعلالًا.
٣ التفسير الوسيط للواحدي، ٤/٤٣١ (التكوير، ٨١/١٧).

حَتَّـى إذا الـصُّبْـحُ لـهَـا تَـنفَّسَـا وانْـجَـابَ عنـها لَيْلُـهـا وعَـسْـعَـسا

وقيل: ﴿عَسْعَسَ﴾: إذا أقبَلَ ظلامُه.

فإن قلتَ: ما مَعنى تنفُّسِ الصُّبْح؟

قلتُ: إذا أقبَلَ الصُّبْحُ أقبَلَ بإقبَالِه رَوْحٌ ونَسِيمٌ، فجُعِل ذَلِك نَفَسًا له على المجَاز وقيل: تَنَفَّس الصُّبْحُ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾

قوله:

(حتّى إذا الصبحُ لها[1] تَنَفّسا)...[2] البيتَ[3]

الضمائر[4] المؤنَّثة في البيت تعود[5] إلى الشمس، ويؤيّده ما ذُكِر في الوسيط مِن أنّ تَنَفُّسَ الصبحِ عبارةٌ عن ارتفاع ضوئه وانبساطه، قاله في تفسير الآية،[6] فالمراد بتنفُّسِ الصبح للشمس هو أنّه إذا انبسط الضوء / واستطار[7] الفجر يَقرُبُ [٤٥٢ظ] طلوع الشمس، فكأنّه تنفَّس لذلك،[8] ثمّ قال: وانجابَ الليل عن الشمس وأدبر الليل. و"انجابَ"، أي: انكشف، يقال: انجابَت السحابة، أي: انكشَفتْ، فالليل كالساتر[9] والغطاء للشمس؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس ٩١/٤]، فإذا طلع الشمس فكأنّ الليل انكشف عنها.

قوله: (وقيل: تنفّس الصبح) مِن تتمّةِ الجواب، وليس قولًا آخر؛ بل هو عطفٌ على "فجُعل".

---

[1] ن + لهاء الشمس.

[2] ن: تنفسها.

[3] ذكره قُطرب في كتاب الأزمنة وتلبية الجاهليّة، ص ٥١، ونسبه إلى عِلْقَةَ بن قُرْط التيمي، ووقع البيت في ديوان العجّاج، ١٩٨/١، بلفظ آخر:

حتى إذا الـصبحُ لـه تنفّسا
غَـدا بأعلى سَحَرٍ وأجرَسا

[4] ف + الضمائر.

[5] ن: بفرد.

[6] التفسير الوسيط للواحدي، ٤٣١/٤ (التكوير، ١٨/٨١).

[7] ن: واستطر.

[8] ن: كذلك.

[9] ن: كالساير.

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضَّميرُ للقرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾: هوَ جبريلُ صَلَوات الله عليه.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كقَوله: ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٖ﴾ [النجم ٥٣/٥-٦].

لمَّا كانَت حالُ المَكانَةِ على حَسَبِ حال المُمَكَّنِ قال: ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ ليدُلَّ على عظم مَنْزِلَتِه ومكانَتِه.

﴿ثَمَّ﴾ إِشارَةٌ إلى الظَّرْف المذكُورِ، أعني: ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ على أنَّه عند الله مُطَاعٌ في ملائكتِه المُقرَّبِينَ يَصْدُرُونَ عن أَمْره ويَرْجِعُون إلى رَأيِهِ.

وقرئ: "ثُمَّ" تعظيمًا لِلأَمَانةِ وبَيانًا؛ لِأَنَّها أَفْضَلُ صِفاته المَعدُودةِ.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يَعنِـي: محمَّـدًا صلـى الله عليـه وسـلم ﴿بِمَجۡنُونٖ﴾ كمـا تَبْهَتُـه الكفَـرةُ.

وناهِيكَ بهذا دَلِيلًا على جَلالةِ مكان جبريل وفَضْلِه على الملائكة، ومُبَايَنةِ مَنْزلتِهِ لِمَنْزِلة أَفْضَل الإِنسِ مُحمَّدٍ عليه السَّلام، إذا وازَنتَ بينَ الذِّكْرينِ حين قَرنَ بَينهما، وقايَسْتَ بيْنَ قَوله: ....

قوله: (لأنها) متعلِّق بقوله: (بيانًا).

قوله: (وناهيك بهذا دليلًا)... إلخ، مدَحه الله تعالى بصفاتٍ ستٍّ: بأنَّه رسول الله إلى جميع الأنبياء والرسل، فجميع الأنبياء والرسل[1] أمَّته، وكرَمُه[2] على ربِّه أنَّه جعله واسطةً بينَه وبين أشرف[3] عباده،[4] وهم الأنبياء، وقوَّتُه[5] أنَّه رفع مدائن قوم لوط إلى السماء وقلَبها،[6] ومكانتُه عند الله أنَّه جعله تاليَ نفسه في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ﴾ [التحريم ٦٦/٤]، وكونُه مُطاعًا أنَّه إمامُ[7] الملائكة ومقتداهم،[8] وأمَّا كونه أمينًا فهو قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء ٢٦/١٩٣-١٩٤].

---

[1] ن – فجميع الأنبياء والرسل.
[2] ن: وكرمة.
[3] ن: أشرفت.
[4] ن: عبادة.
[5] ن: قوته.
[6] ن: قبلها.
[7] ن: أقام.
[8] ن: مقتداهم.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ وبين قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾.

قوله: (وبَيْن قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾) هذا الكلام مِن المصنِّف كلام صادرٌ عن جُرأةٍ وغفلةٍ وتركِ أدبٍ، أراد ترويجَ مذهبه فغفَل عما يقول ويبالغ مبالغةً قبيحةً، فإنّ الله تعالى أراد بهذا الكلام ردَّ قول الكافرين ليُثبت أنّ نبيّنا نبيٌّ خاتمُ النبيّين، ويلزم منه الحُكْم بالمرتبة العالية التي لا يبلغها جبرئيل مع هذه الصفات المذكورة في حقِّه، فإنّه إذا ثبت نبوَّتُه المقصودة بنفي هذه الصفة[1] التي يذكرها الكفّار يَثْبُت رفعتُه التي لا يبلغها جبرئيل ولا غيره مِن الملائكة المقرَّبين، ولو تأمَّل متأمِّل عَلِم أنّ المراد مِن ذكر جبرئيل بهذه الصفات بيانُ رِفعة مرتبة النبيّ عليه الصلاة والسلام، إذ المقصود إثبات نبوَّة النبيّ عليه الصلاة والسلام،[2] لا ذِكرُ جبرئيل عليه الصلاة والسلام[3] مِن حيث هو ذكره، فكأنّه تعالى قال -والله أعلم-: إنّ جبرئيل مع هذه الصفات التي سمعتم بريدُه ومبلِّغ الرسالة إليه، فانظروا كم بين هذه المرتبة وبين ما قلتم مِن أنّه مجنون! فإنّه ليس بمجنون؛ بل هو النبيُّ الذي جُعل الملَك المقرَّب بريدًا له، فيا لها مِن مرتبةٍ رفيعةٍ ومَنْقَبَةٍ كريمةٍ وعَظَمةٍ سَنِيّةٍ! ثمّ لو تأمَّلتَ[4] قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير ٢٥/٨١] عرَفْتَ ما أشِيرَ إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾، فكأنّه قيل: لو[5] كان صاحبكم مجنونًا كان القرآن قولَ شيطانٍ رجيم،[6] لكنّه قول الله تعالى،[7] فهو رسول الله بعَث[8] إليه جبرئيلَ بكلامه، فكما لا يطلَق[9] على القرآن أنّه قول شيطان رجيم[10] لا يطلق على النبيّ أنّه مجنون، ثمّ في ضِمن ذلك إشارةٌ إلى عظَمةٍ لا أقدِر أن أتكلَّم بها، تعالى الله عمّا يؤدّي إليه كلام الكفرة عُلوًّا كبيرًا.

---

[1] ن: الضمير.
[2] ف - عليه الصلاة والسلام.
[3] ف ن - عليه الصلاة والسلام.
[4] ن: تأمل.
[5] ن: له.
[6] ن - رجيم.
[7] ف - تعالى.
[8] ن: ععث.
[9] ن: تطلق.
[10] ن + لكنّه قول الله تعالى، فهو رسول الله بعَث إليه جبرئيلَ بكلامه، فكما لا يطلَق على القرآن أنّه قول شيطان رجيم.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦﴾

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: ولقد رَأى رسُولُ الله جبريلَ ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ بمَطْلعِ الشَّمْسِ الأَعْلى.

﴿وَمَا هُوَ﴾: وما محمَّدٌ ﴿عَلَى﴾ ما يُخْبِر بهِ من ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ من رُؤية جبريلَ والوحْيِ إلَيه وغيرِ ذلك ﴿بظنين﴾: بمُتَّهَمٍ، من الظِّنَّة وهي التُّهَمَةُ.

وقرئ: ﴿بِضَنِينٍ﴾ من الضِّنِّ وهو البُخلُ؛ أي: لا يَبخَلُ بالوَحْي فيَزْوِيَ بَعضَه غيرَ مُبَلِّغِه، أو يُسأَلُ تعليمَهُ فلا يُعَلِّمَهُ، هُو في مُصْحَفِ عبدِ الله بالظاء، وفي مصْحَفِ أُبَيّ بالضَّادِ، وكان رسُول الله يَقرَأ بهِما.

وإتْقَانُ الفَصْل بين الضَّاد والظاء واجِبٌ، ومَعرفةُ مَخرجَيْهما مِمَّا لا بُدَّ منه لِلقارئ، فإنَّ أكثَر العَجم لا يَفرُقونَ بين الحَرْفَين، وإن فَرَقُوا ففَرْقًا غيرَ صوابٍ، وبيْنَهما بَوْنٌ بَعيدٌ، فإنَّ مَخرَج الضَّادِ من أَصْلِ حافَّةِ اللِّسان وما يَليها من الأَضْراسِ مِن يَمِين اللِّسانِ أو يَسارِه، وكان عمَرُ بن الخطَّابِ رضي الله عنه أَضْبَطَ يَعْمَلُ بكِلْتا يدَيْه، وكان يُخْرِجُ الضَّاد من جَانبَي لسَانِه، وهي أَحَدُ الأحرُف الشَّجريَّةِ، وهي أُختُ الجيمِ والشِّينِ، وأمَّا الظَّاءُ فمَخْرجُها من طرَفِ اللِّسانِ وأصُولِ الثَّنايا العُلَى، وهي إحدَى الأحرف الذَّولقِيَّةِ أُختُ الذَّال والثَّاء.

ثمّ أقول: لو كان وصْفُ جبرئيل عليه السلام راجحًا / على وصْفِ النبيّ عليه الصلاة والسلام كما ذكره المصنّف لكان راجحًا أيضًا على وصْفِ القرآن بما وصَف؛ بل على ما يدلُّ عليه ضِمنًا مِن وصف الله تعالى بما يناسبه الوصفان، نسأل الله تعالى التوفيقَ للصواب، والفوز والفلاح في المآب، بفضله وكرمه، إنّه العزيز الوهّاب. [٤٥٤و]

قوله: (الأعلى) يريد به غاية ارتفاع الشمس حين[1] يكون عند رأس السرطان.

قوله: (حافَة اللِسان) حافَةُ اللِسان: جانبه. والشَّجْر: مُنْفرَج الفَم. والذَّوْلَق والذَّلْق:[2] طرَف اللِسان.

---

[1] ف: حتّى.

[2] ن: اللذن.

ولَو استَوى الحرفانِ لَمَا ثَبتَتْ في هذه الكلمة قراءتانِ اثنتَان واختلافٌ بين جبَليْنِ من جبالِ العِلْم والقِراءةِ، ولمَا اختَلفَ المَعنى والاشتِقاقِ والتَّركيبُ.

فإن قلتَ: فإنْ وَضعَ المُصَلِّي أَحَد الحَرفيْنِ مكانَ صَاحِبه؟

قلتُ: هُو كواضِعِ الذَّال مكانَ الجيم، والثَّاءِ مكانَ الشِّينِ؛ لأنَّ التَّفاوُت بينَ الضَّادِ والظَّاء كالتَّفاوُتِ بينَ أَخواتهما.

﴿وَمَا هُوَ﴾: ومَا القرآنُ ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: بقَولِ بَعضِ المُستَرِقةِ للسَّمع وبوَحْيِهِم إلى أَوْليَائهِم مِنَ الكَهنَةِ.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ استِضْلالٌ لَهُم؛ كمَا يُقال لِتارك الجَادَّة اعتسَافًا أو ذهَابًا في ثُنيَّاتِ الطَّريق: أَيْنَ تَذهبُ؟ مُثِّلَتْ حَالُهم بحَاله في تركهم الحقَّ وعُدُولِهم عَنه إلى البَاطِل.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدَلٌ مِن ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وإنَّما أُبْدِلُوا مِنهُم لأنَّ الَّذين شاؤوا الاستقامة بالدُّخول في الإسْلام هُمُ المنتَفِعُونَ بالذِّكْر؛ فكأنَّه لم يُوعَظْ بِهِ غَيرُهُمْ وإن كانُوا مَوْعُوظِينَ جمِيعًا.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامَةَ يا مَنْ يشاؤُهَا إلَّا بتوفيق الله ولُطْفِه، أو: وما تشاؤُونَها أَنْتُم يا مَنْ لا يَشاؤهَا إلَّا بِقَسْرِ الله وإلْجائه.

قوله: (جبلَين) يعني:[١] عبدَ الله بن مسعود وأُبَيًّا رضي الله عنهما.[٢]

قوله: (استِضلال) الاستِضلال: النسبة إلى الضلال.

قوله: (في ثُنيّات[٣] الطريق) هي الطُّرُق[٤] الصغار[٥] تنشعب مِن الجادّة.

قوله: (وما تشاءون الاستقامة)... إلخ، يقول العبد الضعيف أحمد بن الحسن

---

[١] ن: بمعنى.

[٢] ن + وعن الصحابة أجمعين.

[٣] في مطبوع الكشّاف: ثنيات.

[٤] ن: للصغار.

[٥] ن + قوله: (وما تشاءون).

عن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أَعاذَهُ اللهُ أن يفضَحَهُ حين تُنشَرُ صَحِيفَتُهُ».

الجاربردي:[١] جعَل المصنِّف قوله تعالى: ﴿تَشَآءُونَ﴾ مختصًا بأحد الفريقين على كلِّ واحدٍ مِن التفسيرين، ثمّ فسّر الآية بما يوافق مذهبَه، والصواب: أن يقال: الخطابُ عامٌّ، أي: ما تشاءون الاستقامة -أيها الناس- إلّا أن يشاء الله مَشِيئتكم، قال الإمام في التفسير الكبير:

> بيَّن الله تعالى أنّ مشيئةَ الاستقامة موقوفةٌ على أن يشاء الله أن يعطيه تلك المشيئة؛ لأنّ تلك المشيئةَ صفة مُحْدَثَة فلا بدَّ في[٢] حدوثها مِن مشيئةٍ أخرى، فيظهر مِن مجموع هذه الآيات أنّ فِعل الاستقامة موقوف على إرادة الاستقامة، وهذه الإرادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الإرادة، والموقوفُ[٣] على الشيءِ الموقوفِ على الشيء[٤] موقوفٌ على ذلك الشيء، فأفعال العباد في طرفي ثبوتها وانتفائها موقوفةٌ على مشيئة الله تعالى، وهذا قول أصحابنا، وقال[٥] بعض المعتزلة: إنّ هذه الآية مخصوصة بمشيئة القَسْر والإلجاء، وهو ضعيف؛ لأنّا بيّنا أنّ المشيئة الاختياريّة[٦] شيءٌ حادثٌ، فلا بدَّ مِن مُحْدِثٍ،[٧] فيتوقَّف حدوثها على أن يشاء مُحْدِثُها لإيجادها، وحينئذٍ يعود الإلزام، والله أعلم.[٨]

تمّت السورة بحمد الله تعالى[٩] وفضله.[١٠]

---

١ د: الجابيردي؛ ف: الجاربيردي.

٢ ن: من.

٣ ن – موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الإرادة، والموقوفُ.

٤ ف – الموقوف على الشيء.

٥ ن: قال.

٦ ن: الاختيارة.

٧ ن: محدوف.

٨ تفسير الرازي، ٧٦/٣١ (التكوير، ٢٩/٨١).

٩ د ف – تعالى.

١٠ ف – السورة بحمد الله وفضله؛ ن – وفضله.

سورة انفطرت

مكيَّةٌ، وهي تسعَ عشرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾

﴿ٱنفَطَرَتۡ﴾: انشَقَّتْ.

﴿فُجِّرَتۡ﴾: فُتِحَ بعضُها إلى بَعضٍ فاختَلطَ العَذبُ بالمالح وزال البَرزَخُ الَّذي بينَهُما وصَارَتِ البِحَارُ بَحْرًا واحدًا.

ورُوِيَ: أنَّ الأَرْضَ تَنْشَفُ الماءَ بعْدَ امتلاء البحَارِ فتَصِيرُ مُسْتَوِيةً، وهو مَعْنى التَّسْجِيرِ عند الحَسن.

سورة الانفطار[١]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[٢]

قوله: (بالمالح) قال في الصِّحاح: «مَلَحَ الماءُ يَملُحُ[٣] مُلُوحًا، وكذلك مَلُحَ بالضمّ مُلُوحةً، فهو ماءٌ مِلْحٌ، ولا يقال: مالحٌ، إلّا في لغة رديّةٍ».[٤]

قوله: (البَرزخ) البَرزخ:[٥] الحاجز بين الشيئين.

قوله: (فتصير)[٦] أي: الأرض.

قوله: (وهو معنى "التسجير" عند الحسَن) أي: في سورة التكوير.

---

[١] د: انفطرت.

[٢] ف ن - وبه نستعين.

[٣] ن: ملح.

[٤] الصحاح للجوهري، «ملح».

[٥] ن: البزخ.

[٦] ن: فيصير.

وقرئ: "فُجِرَتْ" بالتخفيف.

وقرأ مُجاهدٌ: "فَجَرَتْ" على البناء للفاعِلِ والتَّخفِيفِ بمَعْنى: بَغَتْ؛ لزَوال البَرْزخ نَظَرًا إلى قَولِه تعالى: ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن ٢٠/٥٥] لأنَّ البَغْي والفُجُورَ أخوانِ.

"بُعثِرَ" وبُحثِرَ بمَعنًى، وهُما مُركَّبانِ من البَعْثِ والبَحْثِ مع راءٍ مَضمُومةٍ إلَيْهما.

والمعنى: بُحثَتْ وأُخرِجَ مَوتاهَا، وقيل لِبَراءةَ: المُبَعْثِرَةُ؛ لأنَّها بَعْثَرَتْ أَسرَارَ المُنافِقين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾

فإن قلتَ: ما مَعنى قوله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ وكيف طابَقَ الوَصْفُ بالكَرم

قوله: (وقيل لبَراءة) أي: لسورة[1] بَراءة.

قوله: (فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿مَا غَرَّكَ﴾) قال المرزوقيُّ في شرح الحماسة: «يقال: غَرَّه إذا غَشَّه وأخبَره بما لا يجب السكون إليه، ويقال: ما غرَّك مِنِّي؟[2] أي: لِمَ وثِقْتَ بي؟[3] / وما غرَّك بي؟ أي: لِمَ اجترأت عليَّ؟ وما غرَّك عنِّي؛ لِمَ غَفَلتَ عنِّي؟».[4] وقال في موضع آخَر في شرح[5] قوله: [٤٥٤ظ]

غُرَّ امروٌ مَنَّتهُ نفس أنْ تدومَ له السلامة:

«معنى "غُرَّ":[6] خُدِعَ على وجه له في الاستقامة[7] إليه غَرَرٌ، ويقال: ما غرَّك بفلانٍ؟ أي: لِمَ اجترأتَ عليه. وكان الوجه أن لا يجترئ[8] على ذلك؟».[9]

قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ ويقال: مَن غرَّك مِن فلانٍ؟ أي: مَن الذي جذَبَك عنه وحال بينَك وبينَه، وكان الوجه أن تكون مقبلًا عليه؟ ويقال: ما غرَّك مِن فلانٍ؟ أي:[10] لِمَ وثِقت به، وكان الحكم أن لا تثِق به؟

---

[1] ن: سورة.
[2] ن: شيء.
[3] ن: في.
[4] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٥١٠/٢.
[5] ف - في شرح.
[6] ن: عن.
[7] ن: الاستفهام.
[8] ف: تجترئ.
[9] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ١٠٠٠/٢.
[10] ف - أي.

إِنْكارَ الاغترارِ بهِ وإنَّما يُغترُّ بالكريم؛ كما يُرْوَى عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه صَيَّحَ بغُلام له كَرَّاتٍ فلَم يُلبِّهِ، فنَظَر فإذا هُو بالبابِ، فقالَ له: ما لَكَ لم تُجِبْنِي؟ قال: لِثقَتِي بحِلْمِكَ وأَمْنِي من عُقُوبتك، فاستَحسَن جَوابَه وأَعتقَه، وقالُوا: من كَرم الرَّجُلِ سُوءُ أَدَبِ غِلمانهِ؟

قلتُ: مَعْناه: أَنَّ حقَّ الإنسانِ أن لا يَغتَرَّ بتكَرُّمِ الله عَليه حَيثُ خَلقَهُ حَيًّا لِيَنفَعَهُ، وبتفَضُّلِه عَليه بذلكَ، حَتَّى يَطْمَعَ -بَعدما مَكَّنهُ وكَلَّفه فعَصَى وكفَر النِّعْمةَ المُتفضَّلَ بهَا- أَنَّ يتفضَّلَ علَيه بالثَّواب وطَرْحِ العِقاب اغتِرارًا بالتفضُّلِ الأوَّل، فإنَّه مُنكَرٌ خارجٌ من حَدِّ الحِكمة، ولهذا قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا تلاهَا: «غَرَّهُ جَهْلُه».

وقال عُمر رضي الله عنه: غَرَّهُ حُمْقُه وجَهْلُه.

وقال الحسن: غَرَّهُ واللهِ شَيْطَانُه الخبيثُ؛ أي: زيَّن له المَعاصِيَ وقال له: اِفْعل ما شئتَ فربُّكَ الكريمُ الَّذِي تفضَّل عليك بما تفضَّل به أوَّلًا وهو متفضِّلٌ عَليك آخِرًا، حتَّى ورَّطَهُ.

وقيل للفُضَيلِ بن عيَاضٍ: إنْ أَقَامَكَ اللهُ يومَ القيامة وقال لك: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ ماذا تقُولُ؟ قال أَقُولُ: غَرَّتِنِي سُتُورُك المُرْخَاةُ.

وهذا على سَبيلِ الاعتِرافِ بالخطَأ في الاغتِرارِ بالسَّتْرِ، ولَيْس باعتِذار كما يَظُنُّه

قوله: (اغترارًا)[1] مفعول له.

قوله: (فإنّه مُنكَرٌ) أي: فإنّ التفضُّل بالثواب[2] وطرحَ العقاب مُنكَرٌ، وهو بناء على مذهبه.

قوله: (ورَّطه) أي: أوقعه في الوَرْطة، وهي الهلاك.

قوله: (كما يظنُّه) الوجه أن يقال: "ما" مصدريّة، والضمير مِن "يظنُّه" يعود إلى "الظنّ"، فكأنّه قال: ليس باعتذار مثل ظَنِّ الطُّمَّاع ذلك الظَّنَّ، كما في قولك: عبد الله

[1] ن: اغترار.

[2] ف: من الثواب.

الطُّماعُ، ويَطِنُّ بهِ قُصَّاصُ الحَشْوِيَّة ويَرْوُونَ عن أَئمَّتِهم: إنَّما قال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ دُونَ سائرِ صِفاتِه ليلقِّنَ عَبْدَه الجَوابَ حَتَّى يَقُولَ: غَرَّنِي كرَمُ الكرِيم.

وقرأ سَعيدُ بن جُبَيْرٍ: "ما أَغرَّكَ" إمَّا على التَّعجُّبِ وإمَّا على الاستفهام، من قولك: غرَّ الرَّجُلُ فهُو غَارٌّ: إذا غَفلَ، مِن قولك: بيَّتهم العَدُوُّ وهُم غارُّونَ، وأَغرَّه غَيْرُه: جعَله غَارًّا.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾: فجَعلكَ سَويًّا سالِمَ الأَعْضَاء.

أظنُّه منطلقٌ، أي: أظنُّ[١] الظَنَّ منطلِقٌ، ولا يجوز أن تكون "ما" موصولة والضمير عائدًا[٢] إليه؛ لأنّه يلزم اقتصار الظنِّ على أحد مفعوليه، وذلك غير جائز، وأمّا ما ذُكر في مواضع مِن هذا الكتاب مِن أنّ أحد مفعولَيه محذوف فهو فيما إذا كان الفاعل والمفعولانِ شيئًا واحدًا في المعنى، كقوله تعالى: ﴿لَا يَحۡسَبَنَّ[٣] ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ [النور ٢٤/٥٧]، وقد صرَّح المصنِّف بهذا الشرط في هذا الكتاب، فقوله: (ويَطِنُّ)[٤] ابتداء كلامٍ وليس عطفًا على "يظنُّه"، أي: يُصوِّت بهذا الاعتذار القُصّاص، وقوله: (يروُون) عطفٌ على "يَطِنُّ"،[٥] أي: يروُونه، وقوله: (إنّما قال)... إلخ، الكسر فيه بتقدير القول، أي: يروُونه قائلين، أو لأنّ الرواية في معنى القول أو بطريق الحكاية.

قوله: (ويَطِنُّ)[٦] يقال: طَنَّ[٧] بالطاء المهملة، أي: صوَّت،[٨] وقوله: (إنّما قال) كالبيان لِما[٩] في قوله: (كما يظنّه)... إلخ، فيه نظرٌ.

قوله: (وهم غارُّون) أي: غافلون.

---

١ ن: أظنه.
٢ ن: عائد.
٣ كذا وقعت في الأصول الخطّية: ﴿لَا يَحۡسَبَنَّ﴾ بياء الغيبة، وهي قراءةُ ابن عامر الشامي وحمزة الزيّات، وقرأ باقي القرّاء العشر بتاء الخِطاب. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٣/٢. والقراءة بالياء هي محلّ استشهاد الشارح.
٤ ف: ويظن.
٥ ف: يظن.
٦ ف: ويظنّ.
٧ ف: ظنّ.
٨ ن – المهملة، أي: صوّت.
٩ ن: كما.

﴿فَعَدَّلَكَ﴾: فصَيَّركَ مُعْتدِلًا مُتَناسِبَ الخَلْقِ من غير تفَاوُتٍ فيه، فلم يجْعَلْ إِحْدَى اليدين أطولَ ولا إِحْدَى العَيْنين أوْسَعَ، ولا بَعْضَ الأَعضاء أبيَضَ وبَعْضَها أَسْوَدَ، ولا بعضَ الشَّعرِ فاحمًا وبَعْضَهُ أَشقَرَ، أو: جعَلك مُعْتَدِلَ الخَلْقِ تَمشِي قائِمًا لا كالبَهائمِ.

وقرئ: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتَّخفيف، وفيه وجْهانِ:

أَحدُهما: أن يكُونَ بمَعنَى المشُدَّدِ؛ أي: عدَل بعضَ أعضائِكَ ببَعضٍ حَتَّى اعتَدَلَتْ.

والثاني: ﴿فَعَدَلَكَ﴾: فصَرفك، يُقالُ: عَدَلهُ عن الطريق، يعني: فعَدَلكَ عن خِلقَةِ غيْرِكَ وخَلَقَكَ خِلقةً حَسَنةً مُفارِقَةً لسائرِ الخلقِ، أو فعدلك إلى بعض الأَشْكالِ والهَيئاتِ.

﴿مَّا﴾ في ﴿مَا شَآءَ﴾ مَزيدةٌ؛ أي: رَكَّبَكَ في أَيِّ صُورةٍ اقتَضَتْها مَشِيئَتُهُ وحِكْمتُه من الصُّوَرِ المُختَلِفة في الحُسْنِ والقُبْحِ، والطُّولِ والقِصَرِ، والذُّكورَةِ والأُنوثَةِ، والشَّبَهِ ببعْضِ الأَقارب وخِلافِ الشَّبَهِ.

فإن قلتَ: هَلَّا عُطِفَتْ هذه الجُملةُ كما عُطِفَ ما قَبلَها؟

قلتُ: لأنَّها بيَانٌ لِـ﴿عَدَّلَك﴾.

فإن قلتَ: بمَ يتعَلَّق الجارُّ؟

قلتُ: يجُوز أن يتعَلَّقَ بـ﴿رَكَّبَكَ﴾، على مَعْنَى: وَضَعك في بَعض الصُّورِ ومَكَّنكَ فيه، وبمَحْذُوفٍ؛ أي: رَكَّبَك حاصِلًا في بَعْضِ الصُّوَرِ، ومحَلُّه النَّصبُ على الحال إن عُلِّق بمَحذوفٍ.

ويجُوز أن يتعَلَّقَ بـ﴿عَدَّلك﴾ ويكُونُ في "أَيِّ" مَعنى التَّعجُّبِ؛ أي: فعَدَّلك

قوله: (فإن قلتَ: هلّا عُطِفت) أراد قوله: ﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ﴾، ولم يقل: ففي أيِّ صورة، أو فركّبَك في أيِّ صورة.

قوله: (في ﴿أَيِّ﴾ معنى التعجُّب) كما في قولك: مررتُ برجلٍ أيِّ رجلٍ، أي: كاملٍ في الرجوليّة.

في صُورَةٍ عَجيبَةٍ، ثُمَّ قال: ﴿مَا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾، أي: ركّبَكَ ما شاء من التَّراكيب، يَعْني: تَركيبًا حَسنًا.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾

﴿كَلَّا﴾ ارتدِعُوا عن الاغْتِرار بكَرم الله والتَّسلُّق بهِ -وهو مُوجِبُ الشُّكر والطَّاعَةِ- إلى عَكْسِهما الَّذِي هُو الكفْرُ والمَعْصيَةُ.

ثمَّ قال: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ أَصْلًا، وَهُو الجَزاءُ أو دَيْنُ الإسْلام، فلا تُصَدِّقُونَ ثَوابًا ولا عِقابًا، وهو شَرٌّ مِن الطَّمع المنكَرِ.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ تحقِيقٌ لِمَا يُكَذِّبُونَ بهِ من الجَزاء، يَعْنِي: أنَّكم تُكذِّبُونَ بالجزاء والكاتبونَ يَكتُبُونَ عَليكم أَعْمالكُم لِتُجازَوا به، وفي تَعْظيم الكَتَبةِ بالثَّناءِ علَيْهم تَعْظيمٌ لأَمْر الجزاءِ وأنَّه عِند اللهِ من جَلائل الأمُور، ولولا ذلك لَمَا وكَّلَ بضَبْطِ ما يُحاسَبُ عليه ويُجَازَى بِهِ الملائكةَ الكِرامَ الحَفظَةَ الكتَبَةَ.

وفيهِ إنذَارٌ وتَهْويلٌ وتَشْويرٌ للعُصَاة ولُطْفٌ للمؤمِنينَ.

وعن الفُضَيل أنَّه كان إذا قَرأها قال: ما أَشَدَّها مِن آيةٍ على الغافِلينَ!

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾

قوله: (﴿كَلَّا﴾ ارتدعوا) أي: فيه نهيٌ عن الاغترار.

قوله: (وأنّه عند[1] الله) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (لِأَمْرِ) فكأنّه قال: وبيانُ أنّه.

قوله: (وتشويرٌ) أي: تخجيلٌ.

---

[1] ن: عبد.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ كقَوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة ٣٧/٥]، ويجوز أن يُرادَ: يَصْلَونَ النَّارَ يومَ الدِّين ومَا هُم يَغِيبُونَ عَنْها قبلَ ذلك، يَعني: في قبُورِهم.

وقيل: أخبرَ اللهُ تعالى في هذه السُّورة أَنَّ لابن آدمَ ثلاثَ حالاتٍ: حالَ الحَياة الَّتي يُحفَظُ فيها عَملُه، وحَالَ الآخِرة الَّتي يُجَازَى فيهَا، وحالَ البَرْزخِ وهو قوله: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾.

يَعنِي: أنَّ أمرَ يَوم الدِّين بَحيْثُ لا تُدْرِكُ دِرايةُ دارٍ كُنهَهُ في الهَوْلِ والشدَّةِ، وكيفَما تَصوَّرْتَه فهُو فوقَ ذلك وعلى أَضعافِه، والتكريرُ لزيادَة التَّهْويلِ، ثُمَّ أجْمَلَ القَولَ في وَصْفِه فقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا تَستَطِيعُ دَفعًا عنها ولا نَفعًا لهَا بوَجْهٍ، ولا أمْرَ إلَّا للهِ وَحدَهُ.

قوله: (ثلاثَ حالات) الأوّل: مِن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تَفْعَلُونَ﴾،[١] والثاني: مِن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ إلى ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾، والثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾.

قوله: (دِرايةُ[٢] دارٍ) "دارٍ"[٣] مثل قاضٍ في الإعلال، وهو مِن الدِراية، ناقصٌ يائيٌّ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ﴾، / ﴿ثُمَّ﴾ ههنا للاستبعاد،[٤] ومعنى الهمزة في ﴿مَا﴾ للاستنكار، جعل ذلك مستَبعدًا مستنكرًا كقوله: "ثمّ يزورها".[٥] [٤٥٥و]

قوله:[٦] (ولا أمرَ إلّا لله) "الأمرُ" هنا[٧] واحدُ الأمور، لا واحد الأوامر، يدلُّ عليه المذكور في الوسيط، وهو: «قال قتادة: ليس ثَمّ أحدٌ يقضي شيئًا أو يصنع شيئًا

---

[١] ن: يفعلون.

[٢] ن: دريابة.

[٣] ن - دارٍ.

[٤] ف: لاستبعاد.

[٥] يريد "ثم يزورها" في قول الشاعر:
لا يكشِفُ الغمّاءَ إلّا ابنُ حُرّةٍ
يرَى غمراتِ الموتِ ثمّ يزورُها
وقد سبق البيت في الكشّاف في سورة السجدة، ٢٢/٣٢، والبيت لجعفر بن علبة الحارثي، وهو في حماسة أبي تمّام. انظر: شرح حماسة أبي تمّام للمرزوقي، ٤٩/١.

[٦] ن + قوله.

[٧] ف: ههنا.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ مَنْ رَفَع ﴿يومُ﴾ فعَلى البَدَلِ من ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أو عَلى: هُو يَومُ لا تَملِكُ، ومَن نصَبَ فبإضْمارِ: يُدانون؛ لأنَّ الدِّينَ يدُلُّ عليه، أو بإضمارِ: أُذكُرْ، ويجوز أن يُفتَح لإضافتِهِ إلى غير متمكِّن وهو في محَلِّ الرَّفعِ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ كتبَ الله لهُ بعدَدِ كُلِّ قطرَةٍ من السَّماء حَسنةً، وبعدَدِ كُلِّ قبرٍ حسنةً».

إلّا الله ربُّ العالمين»،[1] والمعنى: أنّ الله لم يُملِّك في ذلك اليوم أحدًا شيئًا مِن الأمور كما ملّكهم في دار الدنيا.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.

[1] التفسير الوسيط للواحدي، ٤/٤٣٩ (الانفطار، ١٩/٨٢).

سورة المطففين

مكية، وقيل: مدنية، وقيل: إنها في الهجرة بين مكة والمدينة: نصفها ما يقارب مكة، ونصفها ما يقارب المدينة، وهي ستٌّ وثلاثون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

"التَّطْفِيفُ": البَخْسُ في الكَيْلِ والوَزْنِ؛ لأنَّ ما يُبخَّسُ شَيءٌ طَفِيفٌ حقِيرٌ.

ورُوي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِمَ المَدينة وكانُوا مِن أَخبَثِ الناسِ كَيْلًا، فنزلتْ فأَحسَنُوا الكيْلَ.

وقيل: قدِمَها وبها رَجُلٌ يُعرَفُ بأبي جُهَينةَ ومَعه صَاعانِ: يَكِيلُ بأَحدِهما ويَكتالُ بالآخر.

وقيل: كان أَهْلُ المَدينةِ تُجَّارًا يُطفِّفُونَ، ....

سورة المطَفِّفين

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (وكانوا) أي: وكان أهل المدينة.

قوله: (يَكيل بأحدهما)... إلخ، أي: يعطي بأحدهما، ويأخذ بالآخر.

[1] ف ن – وبه نستعين.

وكانَت بياعاتُهُمْ المُنابذَةَ والمُلامسَةَ والمُخاطرةَ فنزَلَتْ، فخرَجَ رَسُولُ الله عليه السَّلام فقرَأهَا عَلَيْهِم.

وقال: «خَمسٌ بخَمْسٍ» قيل: يا رسول الله، وما خمسٌ بخمسٍ؟ قال: «ما نَقضَ قومٌ العَهْدَ إلَّا سَلَّط اللهُ عليهم عَدُوَّهُم، وما حَكمُوا بِغير ما أَنزل الله إلَّا فَشَا فيهم الفَقْرُ، ومَا ظهَرَتْ فيهم الفَاحِشَةُ إلَّا فشَا فيهِم المَوتُ، ولا طَفَّفُوا الكيْلَ إلَّا مُنِعُوا النَّباتَ وأُخِذُوا بالسِّنين، ولا مَنعُوا الزَّكَاة إلَّا حُبِسَ عَنهُم القَطْرُ».

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه مَرَّ برَجُلٍ يَزِنُ الزَّعْفَرانَ وقد أَرْجَح، فقال له: أَقِم الوَزْنَ بالقِسْطِ ثُمَّ أرجِحْ بعد ذلك ما شِئتَ. كأنه أمرَهُ بالتَّسوية أوَّلًا لِيعتَادَها ويَفْصِلَ الوَاجِبَ من النَّفْلِ.

وعن ابن عبَّاسٍ: إنَّكُم مَعْشرَ الأَعاجِم وُلِّيتُم أَمْرين بهِمَا هَلكَ مَن كان قَبلكُم: المِكيَالَ والمِيزَانَ. وخصَّ الأَعاجِمَ لأَنَّهُم يجمَعُون الكَيْلَ والوَزْنَ جميعًا، وكَانَا مُفرَّقَيْنِ في الحَرمَيْن: كانَ أَهْلُ مكَّةَ يَزِنُونَ وأَهْلُ المَدِينة يكيلُونَ.

قوله: (والمخاطرة) أراد بـ"المُخاطرة" بيع الغَرر، مثل: بيع الطير في الهواء وشِبهِه،[1] وأمّا المُنابَذة فهو: أن يجعل نَبْذُ البائع المتاع إلى المشتري بيعًا مِن غير جريان لفظٍ مِن المتبايِعَين، وقيل: هي أن ينبِذَ المشتري حصاةً فعَلى أيِّ ثوب يقع فهو المبيع، وأمّا المُلامَسة فهو: أن يجعل اللَّمس بيعًا.

قوله: (وقال: «خمسٌ بخمسٍ») قوله عليه الصلاة والسلام: «خمسٌ بخمسٍ»،[2] أي: خمس جرائم[3] أو خمس خصال تُقَابَلُ أو تُعاقَب بخمس عقوبات، وقول السائل: "ما خمسٌ؟" "ما" فيه استفهاميّة بمعنى: أيُّ شيءٍ؟، وقوله: «بخمسٍ» صفة «خمسٌ»، أي: أيُّ[4] شيء خمسٌ تقابَلُ بخمسٍ؟[5]

---

١ ف: ويشبهه.

٢ المعجم الكبير للطبراني، ٤٥/١١ (١٠٩٩٢)؛ المستدرك للحاكم، ١٣٦/٢ (٢٥٧٧)، وليس في رواية الحاكم: «خمس بخمس».

٣ ن: جزائم.

٤ ن – أيّ.

٥ ن – تُقابَلُ بخمس.

وعن ابن عُمر رضي الله عنه أنَّه كان يمُرُّ بالبَائِع فيقُولُ: اتَّقِ اللهَ وأَوْفِ الكيْلَ، فإنَّ المُطفِّفينَ يُوقَفُونَ يوْمَ القيَامة لِعَظمة الرَّحمَنِ حَتَّى إِنَّ العَرَقَ ليُلْجِمُهم.

وعن عِكرِمَةَ: أَشهَدُ أنَّ كلَّ كيَّالٍ ووَزَّانٍ في النَّارِ، فقيل له: إنَّ ابنَكَ كيَّالٌ أو وزَّانٌ، فقال: أشهَدُ أنَّه في النَّارِ.

وعن أُبيٍّ رضي الله عنه: لا تُلتَمسُ الحَوائجُ مِمَّن رِزْقُه في رُؤوسِ المَكاييل وأَلْسُنِ المَوازِين.

لمَّا كان اكتِيالُهم من النَّاس اكتِيَالًا يَضُرُّهُم ويُتحامَلُ فيه علَيْهم أُبْدِلَ ﴿عَلَى﴾ مكانَ "مِن" لِلدَّلالة على ذلك.

ويجوز أَنْ يَتعلَّقَ ﴿عَلَى﴾ بـ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ ويُقَدَّمَ المفعولُ على الفعل لإفادة الخصُوصية؛ أي: يَسْتوفُونَ على النَّاسِ خاصَّةً فأمَّا أَنفُسهم فيَستَوفُونَ لها.

وقال الفرَّاء "مِن" و"عَلى" يَعتقبانِ في هذا المَوضع لأنَّه حَقٌّ عليه، فإذا قال: "اكتَلْتُ عَليك"، فكأنَّهُ قال: أَخذْتُ ما عَليك، وإذا قال: "اكتَلْتُ مِنك" فكَقوله: استَوفَيْتُ مِنك.

قوله: (لَيُلجِمُهم) أي: يَبلغُ عَرَقُهم إلى أفواههم.

قوله: (ويُتحامل) التَحامُل:[١] المَيلُ والتكلُّف.

قوله: (ويجوز) عطف على جملة قوله: (لمّا كان)، والأوّل إشارةٌ إلى أنّ ﴿عَلَى﴾ متعلّق بـ﴿ٱكۡتَالُواْ﴾،[٢] وقوله: (وقال الفرّاء) عطف على قوله: (ويجوز)، وعلى هذا يكون ﴿عَلَى﴾ متعلّقًا بـ﴿ٱكۡتَالُواْ﴾.

قوله: (على ذلك) أي: على الضَرر والتحامُل.

قوله: (وتقدُّمُ المفعول)... إلخ، يعني: لمّا كان "على" دالًا على الضَّرر واللام[٣] على النفع أفاد تقديم ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ على ﴿يَسۡتَوۡفُونَ﴾: أنّ[٤] استيفاءهم على وجه يقتضي الضَّرر للناس والنفع لهم.

---

[١] ن – التحامل.
[٢] ن: بالتالوا.
[٣] ن: السلام.
[٤] ن: إلى.

والضَّميرُ في ﴿كَالُوهُمْ أَووَّزَنُوهُمْ﴾ ضميرٌ منصُوبٌ راجعٌ إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾، وفيه وجهان: أن يُرادَ: كالُوا لَهُم أو وَزَنُوا لَهُم، فحُذِف الجارُّ وأُوصِلَ الفِعْلُ كما قال:

ولقَد جَنيتُكَ أَكْمُؤًا وعَسَاقلًا ... ولَقَد نهيتُك عن نَباتِ الأَوْبَرِ

قوله: (أن يراد: كالوا لهم)... إلخ، قال المرزوقيُّ في شرح قول الشاعر في باب الحماسة:

تصامَمتُه حتّى أتاني يَقينُهُ ... وأُفزِعَ منه مخطئٌ ومُصيبُ:

«أرادَ: تصامَمْت عنه، ومثله في انحذاف حرف الجرِّ في القرآن: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَووَّزَنُوهُمْ﴾، يريد: كالُوا عليهم أو وزَنوا عليهم».[1]

وأنا أقول: هذا الذي ذكره المرزوقيُّ مناسب لوجهين: الأوّل: أنّه لمّا كان كَيلهم للناس كَيلًا يضرُّهم لإيقاع[2] المطفِّفِين النقصان فيه وعَوْد الضرر[3] على الناس لذلك يَحسُن تقدير "على" هنالك، وأيضًا ذِكرُ "على" في الأوّل دليلٌ على أنّ المحذوف في الثاني كذلك؛ ليدلّ المذكورُ في الأوّلِ على المَحذوف في الثاني، وأمّا أنّ المراد بالأوّل الأخذُ وبالثاني[4] الإعطاءُ فعُلِم مِن الاكتيال والكَيل،[5] فثبَت صِحّة قول المرزوقيّ أيضًا.

قوله:

(ولقد جَنَيتُكَ)... البيتَ[6]

العَساقِل: الكمْأة[7] الكِبار، يقال لها: شحمة الأرض، والواحدة: عُسْقُول. [٤٥٥ظ] والكمْأة:[8] / كثير الكَمْأ،[9] وهي مِن النوادر، يقال: هذا كمْؤٌ، وهذان كمْآن،

---

[1] ن – يريد: كالُوا عليهم أو وزَنوا عليهم. | انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٣٤٣/١. والبيت فيه لجَزْء بن ضِرار.

[2] ن: لاقاع.

[3] ف: الضمير.

[4] ن: وثالثًا.

[5] ن: والكل.

[6] بغير نسبة في الصحاح للجوهري، «عسقل»؛ لسان العرب لابن منظور، «عسقل»؛ شرح شواهد المغني للسيوطي، ١٦٦/١.

[7] ن: للكمات.

[8] ن: والكمات.

[9] ن: الكمار.

و: "الحَرِيصُ يَصِيدُكَ لا الجَوادُ"، بمَعنى: جَنَيت لكَ، ويَصِيدُ لكَ.

وأَنْ يكُونَ على حَذف المضافِ وإقامةِ المُضافِ إليه مُقامَهُ، والمضافُ هُو المَكيلُ أو المَوزُون، ولا يَصِحُ أن يكونَ ضميرًا مَرْفُوعًا لِلمطَفِّفينَ لأنَّ الكلام يَخرُج بهِ إلى نَظمٍ فاسدٍ، وذلك أنَّ المعنى: إذا أَخَذُوا من النَّاس استَوفَوا وإذا أَعْطَوْهُم أَخسَرُوا، وإن جَعلْتَ الضَّميرَ للمُطَفِّفينَ انقلَبَ إلى قولِك: إذا أَخَذُوا من النَّاسِ استَوْفَوا وإذا تَولَّوا الكَيْلَ أو الوَزْنَ هُم عَلى الخصُوص أَخْسَرُوا، وهُو كلامٌ مُتنافِرٌ لأنَّ الحديثَ وَاقِعٌ في الفِعْلِ لا في المُباشِر، والتَّعلُّقُ في إِبْطاله بخطِّ المُصْحَف

وهؤلاء أكماءٌ ثلاثة، فإذا كثُرت فهي الكمْأة،[١] وبنات الأوْبَر: كمْأةٌ صِغار مُزَغَّبَة على لون التراب، أي: جنيتُ لأجلِك هذين النبتّين، ونهيتك عن النبت الآخر، يقال: جنَيتُ الثمرةَ أجنيها.

قوله: (والحريص)... إلخ، هو مَثَلٌ مِن أمثال العرب، أي: الحريص[٢] يصيد لك لا الفرس الجواد، كأنّ المراد: إنّما يُحصَّلُ الأشياءُ بالحِرصِ والجِدِّ، لا بمجرّد الاستعداد وقوّة الذكاء.

قوله: (والمضاف هو المَكيل)...[٣] إلخ، أي: إذا كالوا مكيلهم أو وزنوا موزونهم.

قوله: (هم على الخصوص) يشير به إلى أنّه يكون حينئذٍ "هُمْ" مبتدأ، ﴿يُخسِرون﴾ خبره؛ ليُفيد الاختصاص، والصواب أن نقول:[٤] لو كان ضميرًا مرفوعًا لكان تأكيدًا للفاعل، وهو الواو في "كالوا" و"وزنوا"، ويكون جواب "إذا" هو الفعل المضارع[٥] لا الجملة الاسميّة بغير الفاء، والتنافر على هذا الوجه أيضًا كما ذكره المصنّف؛ لأنّ الكلام في الفعل لا في الفاعل ليؤكَّدَ.

قوله: (والتعلّق في إبطاله)... إلخ، أي: دليل هؤلاء على المطلوب

---

[١] ن: الكمات.
[٢] ن: الحريض.
[٣] ن: المليك.
[٤] ن: يقال.
[٥] ن: المضرع.

وأَنَّ الألِفَ التي تُكْتَبُ بعدَ وَاوِ الجَمْع غيرُ ثابتةٍ فِيه: رَكِيكٌ لأنَّ خَطَّ المُصْحَفِ لم يُراعَ في كثيرٍ منه حَدُّ المُصْطَلَحِ عليه في عِلْم الخطِّ، على أَنِّي رَأيْتُ في الكتُبِ المَخطُوطة بأَيْدي الأَئِمَّة المُتْقِنينَ هذه الألفَ مَرْفُوضةً لكونها غيْرَ ثابتةٍ في اللَّفظِ والمَعنى جميعًا، لأنَّ الواو وَحْدَها مُعْطِيَةٌ معنى الجمع وإنَّما كُتِبَتْ هذه الألف تَفرِقةً بينَ واوِ الجمع وغيرها في نحو قولِك: "هُم لَمْ يَدْعُوا" و"هُو يَدْعُو" فمَن لَم يُثبِتْها قال: المَعنى كافٍ في التَّفرقة بَينهما.

وعن عيسَى بن عُمَر وحَمزةَ: أَنَّهما كانا يَرتكِبَانِ ذلك؛ أي: يجعلَان الضَّميرين للمُطَفِّفينَ ويقِفانِ عند الوَاوَيْن وُقيفةً يُبَيِّنانِ بهَا ما أرَادَا.

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: "أو اتَّزَنُوا" كمَا قيل: ﴿أَووَّزَنُوهُمْ﴾؟

قلتُ: كأنَّ المُطَفِّفينَ كانُوا لا يَأخذُون ما يُكالُ ويُوزَنُ إلَّا بالمكاييلِ دُون المَوازينِ؛ لتَمكُّنِهِمْ بالاكتيالِ من الاستيفاء والسَّرِقةِ ....

الذي ذكرنا بترك كتابة الألف ضعيف، بل الدليل الصحيح ما ذكرناه، والضمير مِن "إبطاله" يعود إلى كون الضمير مرفوعًا.

قوله: (وأنّ الألِف) يجوز أن يكون عطفًا على قوله: (خطِّ) بطريق البيان، على ما ذَكَر المطرّزي، أو التقدير: وهو أنّ...، أي: التعلُّق أنّ الألِف...، على ما ذكَره ابن الحاجِب.

قوله: (ويقفان) ووقفُهما ههنا يدلّ على أنّهم جَعلوا لفظةَ "هُمْ" في المَوضعين مبتدأ، فالوجه أن يكون الخبر مِن أحدهما محذوفًا، أي: إذا كالوا هم[١] يُخسِرون، وإذا وزنوا هم[٢] يُخسِرون.

قوله: (فإن قلتَ: هلّا) أي:[٣] لِمَ لَمْ يقل: إذا اكتالوا أو اتَّزنوا، كما قال: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾؟

---

١ ن: كالوهم.

٢ ن: وزنوهم.

٣ ن: هلاك.

لأنَّهم يُدعدعُونَ ويَحتَالُونَ في المَلْءِ، وإذا أَعطَوا كَالُوا أو وَزَنُوا لتمكُّنِهم مِن البَخْسِ في النوعَيْنِ جميعًا.

﴿يُخۡسِرُونَ﴾: يَنقُصُونَ؛ يُقال: خَسَرَ الميزَانَ وأَخْسَرهُ.

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ إنكارٌ وتعجيبٌ عظيمٌ من حالِهم في الاجْتراء على التَّطْفِيفِ، كأَنَّهم لا يُخْطرُونَ ببَالِهِمْ ولا يُخَمِّنُونَ تخمِينًا ﴿أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ ومُحاسَبُون على مِقدار الذَّرَّة والخَرْدَلَة.

وعن قتادَةَ: أوْفِ يا ابنَ آدَم كما تُحبُّ أن يُوفَى لكَ، واعْدِل كما تُحِبُّ أن يُعدَلَ لكَ.

وعن الفُضَيْلِ: بَخْسُ المِيزانِ سَوادُ الوَجْه يومَ القِيامة.

وعن عبد المَلك بن مَرْوانَ: أنَّ أعرَابيًا قال له: قَد سَمِعْتَ ما قال اللهُ في المُطَفِّفينَ، أرَادَ بذلك أنَّ المُطَفِّفَ قد تَوجَّه عَليه الوَعيدُ العظيمُ الَّذِي سَمِعْتَ به فمَا ظَنُّكَ بنَفسِك وأنتَ تأخُذُ أموَال المُسلِمينَ بلا كيلٍ ولا وَزْنٍ؟

وفي هذا الإِنْكارِ والتَّعجيبِ، وكلمةِ الظَّنِّ، ووَصْفِ اليَوم بالعِظَم، وقيامِ النَّاسِ فيه لله خاضِعينَ، ووَصْفِه ذاتَهُ برَبِّ العالَمِينَ: ....

قوله: (يُدَعدِعون) الدَّعْدَعَة:[١] تحريك المِكيال ليَسَعَ الشيء، ودَعْدَعْتُ الشيء: مَلأتُه.

قوله: ﴿يُخۡسِرُونَ﴾:[٢] يَنقُصون، يقال: أخسَرتُ[٣] الشيء؛ نقصْتُه، وكذا:[٤] خَسَرت[٥] الشيء بالفتح، ومِنه: خَسَرَ[٦] الميزانَ يخسُره ويخسِره.[٧]

قوله: (إنكارٌ) لأنَّه أثبتَ للكفار ظنًّا، حيثُ قالوا: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية ٣٢/٤٥]، ولم يُثبِت لأولئك[٨] ظنًّا.

---

[١] ن - الدعدعة.
[٢] ن: يحزون.
[٣] ن: أحرت.
[٤] ن: وكنا.
[٥] ن: حرت.
[٦] ن: حر.
[٧] ن: يحره ويحره.
[٨] ف: أولئك.

بَيانٌ بليغٌ لِعظَم الذَّنْبِ وتَفاقُم الإثـم في التَّطفيفِ، وفيما كانَ في مِثْل حالِهِ من الحَيْفِ وترك القِيام بالقِسْط والعَملِ على السَّويَّةِ والعَدْلِ في كُلِّ أَخْذٍ وإِعطاءٍ بل في كُلِّ قَوْلٍ وعَملٍ.

وقيل: الظَّنُّ بمَعْنى اليَقِينِ. والوَجهُ ما ذُكِرَ.

ونُصِبَ ﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ بـ﴿مَبْعُوثُونَ﴾. وقرئ بالجرّ بَدَلًا من "يَوْمٍ عظيمٍ".

وعن ابن عُمرَ أنّه قرأ هذه السُّورة فلمَّا بَلغَ قَولَه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بَكَى نحِيبًا وامتَنعَ مِن قِراءةِ ما بَعْدَه.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدَعَهُم عمَّا كانُوا عَليه من التَّطفِيف والغَفْلة عن ذكر البَعْثِ والحسَابِ، ونَبَّههُم على أنّه ممَّا يَجبُ أن يُتَابَ عنه ويُندَمَ عَليه، ثـم أَتبعَهُ وَعِيدَ الفُجَّارِ على العُموم.

قوله: (بيانٌ بليغ لِعظَم الذَنْب) الغرض مِن هذه التعظيمات كلِّها تعظيم التطفيف، كما إذا قال الحالف: واللهِ الطالبِ[١] الحيِّ القيّومِ الذي لا يخفى عليه شيء لا أفعل، فهذا تعظيمُ الأمر لا تعظيم الله تعالى.

قوله: (وتفاقُم) التفاقُم: التعاظُم.

قوله: (وقيل: الظنُّ) عطف على قوله: (﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ إنكارٌ).

قوله: (نَحيبًا)[٢] النَّحيب:[٣] رفعُ الصوت بالبُكاء،[٤] وقوله: "نحيبًا"[٥] نصب على المصدر، كقولهم: رجعَ القَهقَرَى.

---

١ كذا في الأصول الخطّيّة.
٢ ف: نجيبًا.
٣ ف: النجيب.
٤ ن: بالنكاء.
٥ ف: نجيبًا.

و"كِتابُ الفجَّارِ": ما يُكتَبُ من أَعْمالِهم.

فإن قلتَ: قد أَخبر اللهُ عن كِتابِ الفُجَّارِ بأنَّه في سجِّينٍ، وفَسَّر سجِّينًا بكتابٍ مَرْقُومٍ، فكَأنَّه قِيل: إنَّ كتابَهُم في كتابٍ مُرْقُومٍ، فما مَعناه؟

قلتُ: ﴿سِجِّينٍ﴾ كتابٌ جامِعٌ هو دِيوانُ الشَّرِّ، دَوَّن اللهُ فيه أَعمالَ الشَّياطينِ وأعمالَ الكَفرة والفَسقةِ من الجنِّ والإنسِ، وهو كتابٌ مَرْقُومٌ مَسطُورٌ بيِّن الكِتابة، أو مُعْلَمٌ يَعْلم مَن رآهُ أنَّه لا خَيرَ فيهِ، فالمَعنى: أنَّ ما كُتِبَ من أعمال الفجار مُثبَتٌ في ذلك الدِّيوانِ، وسُمِّي سجِّينًا: فِعِّيلًا مِن السَّجْنِ وهو الحَبْسُ والتَّضْييقُ لأنَّه سَببُ الحَبْس والتَّضْييقِ في جَهنَّم، أو لأنَّه مَطرُوحٌ -كما رُوِي- تَحت الأَرض السَّابعَة في مكانٍ وَحِشٍ مُظْلِمٍ، وهو مَسْكَنُ إبْليسَ وذُرِّيَّتِهِ، استِهانةً بِهِ وإذَالةً ولِيشهَدَهُ الشَّياطِينُ المَدْحُورونَ كما يَشهَدُ دِيوانَ الخَير المَلائكةُ المُقَرَّبُونَ.

فإن قلتَ: فما "سِجِّينٌ" أَصِفَةٌ هُو أَم اسْمٌ؟

قوله: (ديوان) الديوان: الجريدة، مِن دوَّن الكتب إذا جمعها؛ لأنَّها قِطعٌ مِن القراطيس مجموعةٌ، ويُروى أنَّ عمرَ رضي الله عنه أوَّل مَن دوَّن الدواوين أي: رتَّبَ الجرائد للولاة والقضاة؛[1] ويقال: فلان مِن أهل الديوان، أي: ممَّن أُثبت اسمه في الجريدة، / وعن الحسَن: هجرة الأعرابيِّ إذا ضمَّه ديونهم [٤٥٦و] -يعني:[2] إذا أسلم وهاجر إلى بلاد الإسلام- فهجرته إنَّما تصِحُّ إذا أُثبِت اسمه في ديوان الغُزاة.

قوله: (لأنَّه سببُ)... إلخ، فعلى الأوَّل يكون بمعنى الفاعل، وعلى الثاني بمعنى المفعول.

قوله: (وإذالةً) الإذالة:[3] الإهانة.

---

[1] ن: والقضاء.

[2] ن: بمعنى.

[3] د ن: الإذلالة.

قلت: بل هوَ اسمٌ عَلمٌ مَنقولٌ من وصفٍ كحاتمٍ، وهُو مُنْصَرِفٌ؛ لأنَّه لَيس فيه إلَّا سبَبٌ واحدٌ وهو التَّعْريفُ.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ﴾ ممَّا وُصِف به لِلذَّمِّ لا لِلبَيانِ؛ كقَولك: فَعلَ ذلك فُلَانٌ الفَاسِقُ الخَبِيثُ.

﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ للمُعْتَدِي الأَثِيم عن قوله.

﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾: رَكِبَها كما يَركَبُ الصَّدَأُ وغَلَبَ عَلَيْها، وهُو أَن يُصرَّ على الكَبائر ويسَوِّفَ التَّوبةَ حَتَّى يُطبَع على قَلْبِهِ فلا يَقْبَلَ الخيْرَ ولا يَمِيلَ إلَيْه.

وعن الحسن: الذَّنْبُ بعد الذَّنْبِ حَتَّى يَسْوَدَّ القلبُ.

يُقالُ: رانَ عليه الذَّنْبُ وغَانَ عليه رَيْنًا وغَيْنًا، والغينُ: الغَيْمُ، ويُقالُ: ران فيه النومُ: رَسخَ فيه، ورَانَتْ به الخَمرُ: ذَهبَتْ به.

وقرئ: بإدغام اللَّامِ في الرَّاء وبالإظهار، والإدْغامُ أجوَدُ، وأُميلَتِ الأَلِفُ وفُخِّمَت.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن الكَسْبِ الرَّائِنِ على قُلُوبهم.

قوله: (منقولٌ مِن وصفٍ) قال في الصحاح: «﴿سِجِّينٍ﴾ فِعِّيل مِن السِجْنِ، كالفِسِّيق[1] من الفِسْق».[2]

قوله: (عن قوله) وهو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

قوله: (الصدَأ) "الصدَأ بالقصر.[3]

قوله: (الرائنَ) مفعول "الكَسْب".

---

١ ن: كالفستق.

٢ الصحاح للجوهري، «سجن»، عن أبي عبيدة.

٣ ن: والقصر. | وقوله: "بالقصر" يعني مِن غير ألف قبل الهمزة.

وكَونُهم محجُوبينَ عنه تمثيلٌ للاستِخْفافِ بهم وإِهَانَتِهم؛ لأنّه لا يُؤْذَنُ على المُلوك إلّا لِلوُجَهاء المُكرَّمِينَ لدَيْهم، ولا يُحجَبُ عنهُم إلّا الأَذنِيَاءُ المُهانُونَ عندهُمْ، قال:

إذا اعتَـرَوْا بـابَ ذِي عُبِّيَّةٍ رُجِبُوا والنَّاسُ من بين مَرجُوبٍ ومحجُوبِ

وعن ابن عبَّاسٍ وقتادةَ وابنِ أَبي مُلَيكَةَ: محجُوبِينَ عن رَحْمتِه. وعن ابن كَيسان: عن كَرامتِه.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن التّكذيبِ، و"كتابُ الأبرار": ما كُتِبَ من أَعْمالِهم.

و"عِلِّيُونَ": عَلَمٌ لدِيوَان الخير الذي دُوِّنَ فيه كُلُّ ما عَمِلَتْه الملائكةُ وصُلحَاءُ الثَّقَلَيْنِ، مَنقولٌ من جمع علِّيٍّ فِعِّيلٍ من العُلوّ كسِجِّينٍ من السَّجْنِ، سُمِّي بذلك إمَّا لأنّه سبَبُ الارتفاع إلى أعالي الدَّرجَاتِ في الجَنَّةِ، وإمَّا لأنّه مَرفوعٌ في السَّماءِ السَّابعةِ حيثُ يَسكُن الكَرُوبيُّونَ تكريمًا له وتَعْظيمًا.

قوله: (الأذنِياء) جمع الدنِيّ.

قوله:

(إذا اعتَـرَوا[1] بـابَ ذي عُبِّيَّـةٍ)... البيـتَ[2]

رجلٌ فيه عِبِيَّة وعُبِّيَّة،[3] أي: كِبْرٌ وتجبُّرٌ.[4] رَجِبْتُهُ[5] بالكسر: هِبتُه وعَظَّمتُه، "مَرجوبٍ" أي: مُعَظَّمٍ، و"مَحجوب" أي: مُهان.

قوله: (الكروبيُّون) كَرَبَت الشمسُ: دنَت للغروب، ومنه الكروبيُّون[6] والكروبيّة

---

[1] ن: اعترافا.
[2] لم أجد مَن ذكره غير الزمخشري.
[3] ف: عِبِيّة وعُبِيّة؛ ن - وعُبِّيّة.
[4] ومنه الحديث المرويّ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، «إنّ الله عزّ وجلّ قد أذهَب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليّة وفخرَها بالآباء». سنن أبي داود، ٤٣٨/٧ (٥١١٦)؛ سنن الترمذي، ٢٢٨/٦ (٣٩٥٥).
[5] ن: رحبيته.
[6] ن - كربت الشمس دنت للغروب ومنه الكروبيّون.

ورُوِيَ: «إنَّ الملائكةَ لتَصْعَدُ بعَملِ العَبْدِ فيستَقِلُّونَه، فإذا انتهَوْا بهِ إلى ما شاء اللهُ من سُلْطانهِ أَوْحَى إلَيْهم: إنَّكم الحَفَظةُ على عَبْدِي وأَنا الرقِيبُ على ما في قلبهِ، وإنَّه أَخلَصَ عَملَه فاجعَلُوه في علِّيينَ فقد غَفَرْتُ له، وإنَّها لتَصْعَدُ بعَملِ العَبْد فيُزكُّونَه فإذا انتهوا به إلى ما شاء اللهُ أَوْحَى إلَيْهِمْ: أَنتُم الحَفَظةُ على عَبْدِي وأَنا الرَّقيبُ على قَلْبه، وإنَّهُ لم يُخلِصْ لي عمَلَه فاجعَلُوه في سِجِّينٍ».

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: الأَسِرَّةُ في الحجَالِ.

﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى ما شاؤوا مدَّ أعيُنِهمْ إليه مِن مَناظر الجنَّةِ، وإلى ما أولاهُم اللهُ من النِّعمةِ والكَرامةِ، وإلى أعدائهم يُعَذَّبون في النَّارِ، وما تَحجبُ الحِجالُ أَبْصارَهُمْ عن الإِدْراكِ.

﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ بَهْجَة التَّنعُّم ومَاءَهُ ورَونَقَه كما تَرى في وُجُوه الأَغنياء وأَهْلِ التُّرفَةِ.

بتخفيف الراء؛ المقرَّبون مِن الملائكة.[١]

قوله: (﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأَسِرَّة) لا يقال: "أريكة" إلّا للسرير الذي يكون في الكِلَّة[٢] أو شيء يكون كالكِلَّة. وقوله: (مدَّ) مفعول "شاء"، والضمير مِن "إليه" يعود إلى "ما"، وهو مصدر مضاف[٣] إلى المفعول، أي: إلى ما أرادوا أن يَمُدّوا أعينهم إليه.

قوله: (مِن مناظر) بيان "ما".

قوله: (يُعذَّبون) حالٌ.

قوله: (وما يَحجُبُ) نفيٌ.

---

١ انظر: المستدرك للحاكم، ٤/٦١٣ (٨٦٩٩)؛ العظمة لأبي الشيخ، ٣/١٠٥٥ (٥٧٢).

٢ الكِلَّةُ: السِّترُ الرَّقيق يُخاط كالبيت، يُتَوَقَّى فيه مِن البَقِّ. الصحاح للجوهري، «كلل».

٣ ن – مضاف.

وقرئ ﴿تُعْرَفُ﴾ على البناءِ للمَفعُول، و﴿نَضرةُ النَّعيْم﴾ بالرَّفع.

"الرَّحيقُ": الشَّرابُ الخالِصُ الَّذي لا غِشَّ فيه.

﴿مَّخْتُومٍ﴾: تُختمُ أوَانيهِ من الأكوابِ والأَباريقِ بمِسْكٍ مكان الطِّينَةِ.

وقيل: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾: مَقطَعُه رائحةُ مِسْكٍ إذا شُرِبَ.

وقيل: يُمْزَجُ بالكافور ويُختَم مزاجُه بالمِسْك.

وقرئ ﴿خَاتَمُهُ﴾ بفتح التاء وكسرها؛ أي: ما يُختَم بِهِ ويُقطَعُ.

﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾: فليَرتغِب المُرتغبُونَ.

"تسنيم": عَلَمٌ لِعَيْنٍ بعَيْنِهَا: سُمِّيت بالتَّسنيم الَّذي هو مصْدرُ سَنَّمَهُ: إذا رَفعَهُ؛ إمَّا لأنَّها أَرْفعُ شَرابٍ في الجنَّة، وإمَّا لأنَّها تأتيهم مِن فوق على ما رُوي أنَّها تجْري في الهَواء مُتسَنِّمَةً فتنصَبُّ في أوانيهم.

و﴿عَيْنًا﴾ نصبٌ على المَدْحِ، وقال الزجَّاجُ: نصبٌ على الحال.

وقيل: هي للمُقرَّبينَ يَشرَبُونَها صِرْفًا وتُمزَجُ لِسَائر أَهْل الجنَّةِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾

هُم مُشرِكُو مكَّةَ: أَبُو جَهْلٍ، والوَلِيدُ بنُ المُغيرةِ، والعَاصُ بنُ وَائلٍ، وأشيَاعُهم: كانوا يَضْحَكُون مِن عمَّارٍ وصُهَيْبٍ وخَبَّابٍ وبِلالٍ وغيْرِهم من فُقَراءِ المُؤمِنين ويَسْتهزئونَ بهِم.

وقيل: جاءَ عليُّ بنُ أَبي طالِبٍ رضي الله عنه في نَفَرٍ مِن المُسلمينَ فسَخِرَ منهم المُنافقُون وضَحِكُوا وتغَامَزُوا ثم رجَعُوا إلى أصْحَابِهم فقالُوا: ....

قوله: (مِن الأكواب) بيانٌ.

قوله: (هم مشركو مكّة) أي: الذين أجرموا.

رَأينَا اليَوْمَ الأَصْلَعَ، فضَحِكُوا مِنه، فنزَلَتْ قبْلَ أَنْ يَصِلَ عَليٌّ إلى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: يَغْمِزُ بَعضُهم بَعضًا ويُشِيرُونَ بأَعْيُنِهم.

﴿فَكِهِينَ﴾: مُلْتَذِّينَ بذكْرِهم والسُّخْرِيِّ مِنْهُم.

﴿لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: يَنسُبونَ المُسلِمينَ إلى الضَّلالِ.

﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ﴾ على المُسلمينَ ﴿حَٰفِظِينَ﴾: مُوكَّلينَ بِهِمْ يَحْفَظُونَ عَليْهِم أَحْوالَهُمْ ويُهَيْمِنونَ على أَعْمالِهم ويشهَدُونَ برُشْدِهم وضَلالِهم، وهذا تَهكُّمٌ بهِمْ.

أَو هُو مِن جُمْلةِ قولِ الكُفَّارِ، وأَنَّهُم إذا رَأَوا المُسلِمينَ قالُوا: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ وإِنَّهم لم يُرْسَلُوا عليهم حَافِظين؛ إنكارًا لِصَدِّهم إيَّاهُم عن الشِّرْكِ ودُعَائهم إلى الإِسْلام وجِدِّهم في ذلِك.

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله: (الأصلَع) رجلٌ أصلَع، أي: بيّنُ الصَّلَع، وهو الذي انحسَر شعرُ مقدَّم رأسِه، وكأنّهم إنّما قالوا ذلك في حقِّه[١] رضي الله عنه لأنّه كان يحلق رأسه منذ سمع مِن رسول الله عليه الصلاة والسلام: «تحت كلّ شعرَة جنابةٌ»،[٢] وقال رضي الله عنه: «ومِن ثَمّ عاديْتُ رأسي».[٣]

قوله: (والسُّخْرِيّ) يقال: سَخِرْتُ منه وسَخِرتُ به، والاسم السُّخريَّة والسُّخريُّ والسِّخريُّ.[٤]

قوله: (ويُهيمِنون) أي: يشهدُون.

---

١ ف + حق علي.

٢ سنن أبي داود، ١/١٨٠ (٢٤٨)؛ سنن الترمذي، ١/١٦٧ (١٠٦)، عن أبي هريرة بهذا اللفظ، وانظر ما بعده.

٣ عن عليّ رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «مَن ترَك موضع شعرةٍ مِن جنابة لم يغسلها فُعِلَ بها كذا وكذا مِن النار» قال عليٌّ: فمِن ثَمّ عادَيت رأسي ثلاثًا، وكان يَجُزُّ شعرَه. سنن أبي داود، ١/١٨١ (٢٤٩).

٤ ن – يقال: سخرتُ منه وسَخرتُ به، والاسم السُخريّة والسُخريُّ والسِخريُّ.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ حَالٌ مِن ﴿يَضۡحَكُونَ﴾؛ أي: يَضحَكُون مِنهم، ناظِرينَ إلَيْهِم وإلى ما هُم فِيه من الهَوانِ والصَّغار بعدَ العِزَّةِ والكِبْرِ، ومِن أَلْوان العَذابِ بَعْدَ النَّعِيمِ والتَّرفُّهِ، وهُم على الأَرائكِ آمِنُونَ.

وقيل: يُفتَحُ لِلكفَّارِ بابٌ إلى الجنَّة فيُقَالُ لَهُم: أخرُجُوا إلَيها، فإذا وَصَلُوا إليها أُغْلِقَ دُونَهم يُفعَلُ ذلك بهم مِرارًا فيَضْحَكُ المُؤمِنُون مِنْهُم.

"ثَوَّبَه وأَثابَه" بمَعنًى: إذا جَازَاهُ، قال أَوْسٌ:

سأَجْزِيك أو يَجْزِيكِ عَنِّي مُثَوِّبٌ   وحَسبُكِ أَنْ يُثنَى عَليكِ وتُحمَدِي

وقرئ بإدْغامِ اللَّام في الثَّاء.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سُورة المُطفِّفين سَقاهُ الله مِنَ الرَّحيقِ المختُوم يوْمَ القيامة».

قوله:

(سَأجْزِيكِ)... البيتَ[1]

"مُثَوِّب" أي: الله المُثِيب. "وتَحمَدي" يخاطب حليمةَ بنتَ فضالة.

تمَّت السورة بحمد الله[2] ومنّه وكرمه.[3]

---

[1] ذكر في عيون الأخبار لابن قتيبة، ١٨٦/٣؛ كتاب الحيوان للجاحظ، ٣٣/٣.

[2] ن + تعالى.

[3] ف – السورة بحمد الله ومنّه وكرمه؛ ن – ومنّه وكرمه.

سورة انشقّت

مكية، وهي ثلاث -وقيل: خمس- وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

حُذِفَ جوابُ ﴿إِذَا﴾ ليَذهبَ المُقدِّرُ كلَّ مذهَبٍ، أو اكتِفاءً بما عُلِم في مِثْلها من سُورَتَي التَّكْويرِ والانفطارِ.

وقيل: جَوابُها ما دَلَّ عليه ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق ٦/٨٤]؛ أي: إذا السَّماءُ انشقَّتْ لَاقَى الإنسانُ كَدْحَهُ.

ومَعنـاه: إذا انشـقَّتْ بالغَمـام؛ كقَولـه تعالـى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان ٢٥/٢٥].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: تَنشَقُّ من المَجرَّةِ.

سورة انشقّت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[2]

قوله:[3] (كقوله[4] تعالى: ﴿تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان ٢٥/٢٥])، نظيره: انشقّت الأرض بالنبات.

قوله: (مِن المَجَرَّة) المَجَرَّة: هي التي[5] في السماء؛ لأنّها كأثَر المجرّ.

---

١ ن: الانشقاق.
٢ ف ن - وبه نستعين.
٣ ن - قوله.
٤ ن: لقوله.
٥ ن + فيها.

"أَذِنَ له": استَمع له، ومنه قولُهُ عليه السَّلام: «ما أَذِنَ اللهُ لشَيءٍ كأَذَنهِ لِنَبيٍّ يَتغَنّى بالقُرآنِ»، وقولُ جَحّافِ بن حَكيم:

أذِنْــتُ لكم لـمَّـا سَـمِـعْـتُ هَـريـرَكُـم

والمعنى: أنَّها فَعَلَتْ في انقِيَادِهَا لله حِينَ أرَادَ انشِقَاقَها فِعلَ المِطْواع الَّذِي إذا وَرَدَ عَليه الأَمْرُ مِن جهةِ المُطَاعِ أَنْصَتَ له وأذعَنَ ولم يَأْبَ ولم يَمتَنِع؛ كقَوله: ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت ١١/٤١].

﴿وَحُقَّتۡ﴾ من قَولك: هُو مَحقُوقٌ بكَذَا وحَقِيقٌ به، يَعني: وهي حَقِيقةٌ بأن تَنقَادَ ولا تمتَنِعَ، ومَعناهُ: الإيذانُ بأنَّ القادرَ الذَّاتِ يَجِبُ أَن يتَأَتّى له كُلُّ مَقدُورٍ ويَحقُّ ذلك.

﴿مُدَّتۡ﴾ مِن مَدَّ الشَّيءَ فامْتَدَّ: وهو أن تُزَالَ جِبَالُها وآكامُها وكُلُّ أَمْتٍ فيهَا حتَّى تَمتَدَّ وتَنْبَسِطَ ويَستَوِيَ ظَهْرُهَا؛ كما قال: ﴿قَاعٗا صَفۡصَفٗا ۝ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾ [طه ١٠٦/٢٠-١٠٧].

وعن ابن عبَّاسٍ: مُدَّتْ مَدَّ الأدِيم العُكَاظِيِّ؛ لِأنَّ الأَديمَ إذا مُدَّ زالَ كُلُّ انْثِناءٍ فيهِ وأَمْتٍ واستَوى.

أو مِن مَدَّهُ بمَعنى أَمدَّهُ؛ أي: زِيدَت سَعَةً وبَسْطةً.

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾: ورَمَتْ بما في جَوْفِهَا ممَّا دُفِنَ فيها مِن المَوتَى والكنُوزِ.

﴿وَتَخَلَّتۡ﴾: وَخَلَتْ غايةَ الخُلُوِّ حتَّى لم يَبْقَ شيءٌ في باطِنِها؛ كأنَّها تكَلَّفَتْ أَقصَى جُهْدِهَا في الخُلوِّ؛ كما يُقال: تكرَّم الكَريمُ وتَرحَّمَ الرَّحيمُ: إذا بلغَا جُهْدَهُما في الكَرم والرَّحمةِ، وتكَلَّفا فَوقَ ما في طَبْعِهما.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ في إلْقَاءِ ما في بَطْنِها وتَخلِّيهَا.

قوله: (استمَعَ) والاستماع هنا بمعنى الإجابة كما سنشير إليه.

قوله: (﴿وَحُقَّتۡ﴾) يقال: حققتُ الشيء أحُقُّه، أي: أثبتُّه.

قوله: (وكلُّ أَمْتٍ) الأَمْتُ: المكان المرتفع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾

"الكَدْحُ": جَهْدُ النَّفْسِ في العَمَل والكَدُّ فيه حتَّى يُؤَثِّرَ فيها، مِن كَدَحَ جِلْدَهُ: إذا خَدَشَهُ، ومَعنى ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: جَاهِدٌ إلى لِقَاء ربِّكَ، وهُو المَوتُ وما بَعده مِن الحال المُمثَّلَةِ باللِّقاء.

﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾: فمُلاقٍ لـهُ لا محَالـةَ لا مَفـرَّ لـك منـهُ، وقيـل: الضَّميـرُ فـي مُلاقِيـهِ للكَـدْحِ.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ٩﴾

﴿يَسِيرًا﴾ سَهلًا هَيِّنًا لا يُنَاقَشُ فيه ولا يُعتَرضُ بما يَسوءه ويَشُقُّ عَليه كما يُناقشُ أَصحابُ الشِّمال.

وعن عائشة رضي الله عنها: هُو أَنْ يُعَرَّفَ ذُنُوبَه ثمَّ يُتجَاوَزَ عَنْهُ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «مَن يُحَاسَبْ يُعَذَّبْ» فقيل: يا رسُول الله! ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: «ذلكمُ العَرْضُ، مَن نُوقِشَ في الحِسَابِ عُذِّبَ».

قوله: (وقيل: الضمير) على الأوّل يرجع الضمير إلى "الربّ"، أي: إنّك عامل باجتهاد إلى وقت الموت فمُلاقٍ ربّك، وعلى الثاني يرجع الضمير إلى "الكَدْح" بحذف المضاف، أي: فمُلاقٍ جزاءَ كَدْحِك مِن خَير أو شرّ.

قوله: (وعن النبيّ عليه الصلاة والسلام) أشار النبيُّ عليه الصلاة والسلام[1] إلى أنّ بعض الناس مِن أهل السعادة لا يحاسبون، فلذلك سأل السائلُ وقال: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ﴾؟ فأجاب صلّى الله عليه وسلّم بأنّ[2] ذلك هو العَرْض لا الحساب.[3]

---

[1] ن – أشار النبي عليه الصلاة والسلام.

[2] ن: فإنّ.

[3] الحديث في الصحيحين، عن عائشة، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «مَن نوقِش الحساب عُذِّب» قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق ٨/٨٤]، قال: «ذلكِ العَرْضُ». صحيح البخاري، ١١١/٨ (٦٥٣٦)؛ صحيح مسلم، ٢٢٠٤/٤ (٢٨٧٦).

﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾: إلى عَشِيرَتِه إن كانوا مُؤمِنينَ، أو إلى فَريقِ المُؤمنين، أو إلى أَهْلِه في الجَنَّة من الحُورِ العِينِ.

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ۝١٥﴾

﴿وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ قيل: تُغَلُّ يمنَاهُ إلى عُنقِه وتُجعَلُ شِمالُه ورَاءَ ظَهْره، فيُؤتَى كتابَهُ بشِماله من وراء ظَهْرِه، وقيل: تُخلَعُ يدهُ اليُسرى مِن وراءِ ظَهْره.

﴿يَدۡعُواْ ثُبُورٗا﴾ يَقُولُ: يا ثبُورَاه، و"الثُّبورُ": الهَلاكُ.

وقرئ: ﴿ويُصَلَّى سَعيرًا﴾ كقوله: ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة ٥٦/٩٤] و: "يُصْلَى" بضمّ الياء والتخفيف؛ كقوله: ﴿ونصليه جهنم﴾.

﴿فِيٓ أَهۡلِهِۦ﴾: فيما بينَ ظَهْرَانَيهم، أو: مَعهُم على أنَّهم كانوا جميعًا مَسْرُورينَ، يَعْنِي أَنَّه كان في الدُّنيا مُتْرَفًا بَطِرًا مُستَبشرًا كعَادة الفُجَّار الَّذِين لا يُهِمُّهُم أُمُور الآخِرة ولا يُفَكِّرُونَ في العَواقبِ، ولم يكُنْ كَئِيبًا حَزِينًا مُتفكِّرًا كعَادة الصُّلحَاء والمتَّقِينَ وحكايةِ الله عَنهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [الطور ٥٢/٢٦].

﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: أن لَن يَرْجِعَ إلَى اللهِ تعالى تكذِيبًا بالمعَادِ، يُقالُ: لا يَحُورُ ولا يَحُولُ؛ أي: لا يَرْجِعُ ولا يَتغَيَّرُ، قال لَبيدٌ:

يَحُورُ رمَادًا بَعد إذ هُو سَاطِعُ

قوله:

(يَحُورُ[١] رَمادًا بعد إذ هوَ ساطِعُ)

أوّله:

[٤٥٦ظ] وما / المرءُ إلّا كالشِّهاب وضَوئِهِ[٢]

شهابٌ ساطع، أي: مرتَفع ملتَهِب.[٣]

---

[١] ف ن: يجوز.

[٢] ن: وضوء. | ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٨٨.

[٣] ن: يلتهب.

وعن ابن عبَّاسٍ: ما كُنتُ أَدرِي ما مَعنى ﴿يَحُورَ﴾ حَتَّى سمِعْتُ أعرابيَّةً تقُولُ لبُنيَّةٍ لها: حُورِي؛ أي: ارجِعي.

﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجابٌ لِمَا بعدَ النَّفي في ﴿لَّن يَحُورَ﴾؛ أي: بلى ليَحُورَنَّ.

﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ وبأَعْمالِهِ لا يَنْساهَا ولا تَخْفى عَليه فلا بُدَّ أَنْ يَرْجِعَه ويُجازِيَه عَلَيها.

وقيل: نزَلَت الآيَتانِ في أبي سَلَمة بن عَبْد الأشَدِ وأخِيه الأَسْوَد بن عبد الأَشدِّ.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾

"الشَّفقُ": الحُمرَةُ الَّتي تُرَى في المَغْرِب بعدَ سُقُوط الشَّمْس، وبسُقُوطهِ يخْرُجُ وقتُ المَغْرب ويَدْخُلُ وَقْتُ العَتَمةِ عند عامَّة العُلماء، إلَّا ما يُرْوَى عن أبي حنيفة رحمه الله في إحْدى الرِّوايتين: أنَّه البَياض، ورَوَى أسَدُ بنُ عَمْرو: أنَّه رَجَع عنه.

سُمِّيَ لِرِقَّتِه، ومنه الشَّفقَةُ على الإنسان: رقَّةُ القَلْب عَلَيه.

﴿وَمَا وَسَقَ﴾: وما جَمَع وضَمَّ، يُقالُ: وسَقَهُ فاتَّسَقَ واستَوسقَ، قال:

مُسْتَوْسِقَاتٍ لو يَجِدْنَ سَائِقًا

ونظيرُه في وُقوعِ افْتَعَلَ واستَفعَلَ مُطَاوِعَيْنِ: اتَّسعَ واستَوْسَعَ، ومَعناهُ: وما جمعَه وسَتَرَه وأوَى إلَيه مِن الدَّوابِّ وغَيْرِها.

﴿إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: إذا اجتَمع واستَوى ليْلةَ أَرْبعَ عَشْرَةَ.

قوله: (أنّه رجَع) أي: أنّ أبا حنيفة رضي الله عنه.[١]

قوله:

(مُسْتَوسِقَاتٍ)... البيتَ

[١] ن: رحمه الله؛ د - رضي الله عنه.

قرِئ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ على خِطابِ الإنسان في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾، و: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ بالضَّم على خِطابِ الجِنس لأن النِّداء للجِنْسِ.

و: "لَتركَبِنَّ" بالكَسْرِ على خِطابِ النَّفْسِ و: "لَيَركَبَنَّ" بالياء على: لَيركَبَنَّ الإنسانُ.

و"الطَّبَقُ": ما طابَق غَيرهُ، يُقالُ: ما هذا بِطَبَقٍ لِذَا، أي: لا يُطابِقُه، ومنه قِيل للغِطاء: الطَّبقُ، وأَطْبَاقُ الثَّرَى: ما تَطابَق منه، ثُمَّ قيل للحالِ المُطابقة لغَيرها: طبَقٌ، ومِنه قولُه عزَّ وعلا: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾؛ أي: حَالًا بعدَ حالٍ: كُلُّ واحِدةٍ مُطابقةٌ لأُختِها في الشِّدَّة والهَوْلِ.

ويجُوز أَن يكون جمْعَ طَبَقةٍ وهي المرتبَةُ، من قولهم: هُو على طبَقاتٍ، ومنه: طَبَقُ الظَّهْرِ لِفَقَارِه، الوَاحِدَةُ: طَبَقةٌ، على مَعْنى: لَتركَبُنَّ أَحْوالًا بَعْدَ أَحْوالٍ هي طَبَقاتٌ في الشِّدَّةِ بَعْضُهَا أرْفعُ مِن بَعْضٍ، وهي المَوتُ وما بَعْدَهُ من مَواطِنِ القيامةِ وأَهْوالِهَا.

فإن قلتَ: ما مَحلُّ ﴿عَن طَبَقٍ﴾؟

قلتُ: النَّصْبُ على أنَّه صِفةٌ لِـ﴿طَبَقًا﴾؛ أي: طَبقًا مُجاوِزًا لِطبَقٍ، أو حالٌ من الضَّمير في ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾؛ أي: لَتَركبُنَّ طَبقًا مُجاوِزِينَ لِطَبقٍ، أو مُجاوِزًا، أو مُجاوِزةً، على حسَبِ القراءةِ.

أوّله:

إنّ لنـــــا قَلائصَـــــا[1] حَقائقَـــــا[2]

يقال: استوسقت الإبل؛ اجتمعت. الحقائق: جمع حِقاقٍ[3] جمع حِقّة.

قوله: (قُرِئ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾) بالفتح.[4]

قوله: (على حسب القراءة) أي: في ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ مِن الضمّ والفتح والكسر.

---

١ ن: قلائصًا.

٢ عزاه ابن منظور في لسان العرب للعجّاج، «وسق»، ونقله عنه في ملحق ديوان العجّاج، ٣٠٧/٢، وعزاه الخطّابي في غريب الحديث، ١١٣/١، لأبي صِرْمة الأنصاري، بلفظ: "نقانقًا" بدل "حقائقًا".

٣ ن: حقائق.

٤ قرأ ابن كَثِير، وحمزة، والكسائي، وخَلَف بفتح الباء، وقرأ باقي القرّاء العشر بضمِّها. النشر لابن الجزري، ٣٩٩/٢.

وعن مكحُولٍ: كُلَّ عشرِينَ عَامًا تُجِدُّونَ أَمْرًا لم تكونُوا عَليه.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ۝٢٥﴾

﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾: لا يَستكِينُونَ ولا يخضَعُونَ.

وقيل: قرأَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يومٍ ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق ١٩/٩٦] فسَجَدَ هُوَ ومن مَعهُ من المؤمنينَ وقُريْشٌ تُصَفِّقُ فَوقَ رُؤسِهم وتصْفِرُ، فنَزَلتْ.

وبه احتجَّ أبُو حنيفةَ على وجُوب السَّجدة.

وعن ابن عبَّاس: ليس في المُفصَّل سَجْدةٌ.

وعن أبي هُريرةَ: أنَّه سَجد فيهَا وقالَ: واللهِ ما سجَدْتُ فيها إلَّا بَعْدَ أَن رَأيتُ رَسُولَ الله يَسجُدُ فيها.

وعَن أنسٍ: صَلَّيتُ خلفَ أَبِي بكر وعُمر وعثمان رضي الله عنهم فسَجَدُوا.

وعن الحَسن: هيَ غيرُ واجِبَةٍ.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إِشَارَةٌ إلى المَذكُورِينَ.

قوله: (تُجِدُّون) أَجدَّه،[١] أي: جعَله جديدًا.

قوله: (في المُفصَّل) أكثر الأقاويل على أن "المفصَّل" اسم للسابع،[٢] وقيل: مِن سورة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سورة محمد].[٣]

---

١ ن: أجدة.

٢ أي: سُبُع القرآن الأخير.

٣ قال الزركشي: «والمفصَّل: ما يلي المثاني مِن قصار السور، سمِّي مُفَصَّلًا لكثرة الفصول التي بين السور بـ"بسم الله الرحمن الرحيم"، وقيل: لقِلّة المنسوخ فيه، وآخره: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وفي أوّله اثْنا عشر قولًا»، وبعد ذكر الأقوال في ذلك قال: «والصحيح عند أهل الأثر أنّ أوّله "ق"». البرهان للزركشي، ٢٤٥/١.

﴿بِمَا يُوعُونَ﴾: بما يَجمعُونَ في صُدُورِهم ويُضمرُونَ من الكُفرِ والحَسَدِ والبَغْيِ والبَغْضَاءِ.

أو: بما يَجمعُونَ في صُحُفِهِم مِن أَعمَالِ السَّوْءِ ويَدَّخرُونَ لأنْفُسِهم من أنواع العَذاب.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ استثناءٌ مُنقَطعٌ.

عن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورَة انشَقَّت أعَاذَهُ اللهُ أن يُعْطيَهُ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ».

قوله: (استثناء منقطع) قيل: متَّصل مِن الضمير في ﴿فَبَشِّرْهُم﴾، أي: فبشِّر الناس.

قيل: ﴿غَيْرُ مَمْنُونِۭ﴾ عليهم؛ لأنَّ المِنّة تُكدِّر النعمة.

تمَّت السورة بحمد الله تعالى.[1]

---

[1] ف – السورة بحمد الله تعالى؛ ن – بحمد الله تعالى.

سورة البروج

مكية وهي ثنتان وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤﴾

هي البُرُوجُ الاثْنا عشرَ، وهي قصُورُ السَّماء على التَّشبيه.

وقيل: ﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾: النُّجُوم الَّتي هي مَنازِل القمر.

وقيل: عظامُ الكواكب سُمِّيَتْ بُرُوجًا لِظهُورها.

وقيل: أبوابُ السماء.

و"اليوم الموعود": يومُ القيامة ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ يعني: وشاهدٍ في ذلك اليوم ومشهودٍ فيه.

والمرادُ بالشاهِدِ: مَن يَشهدُ فيه من الخلائق كلِّهم، وبالمشهُودِ: ما في ذلك اليَوْمِ مِن عجائبِهِ، وطريقُ تنكيرِهما: ....

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (قصور[2] السماء) أي: المنازل.

قوله: (منازلُ[3] القمَر) أي: الثمانية والعشرون.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ن: تصور.

[3] ن – منازل.

إمَّا ما ذكرتُه في قَوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير ٨١/١٤] كأنَّه قيل: وما أَفرطَتْ كَثرتُه من شاهدٍ ومشهودٍ، وإمَّا الإبْهامُ في الوصف؛ كأنَّه قِيل: وشاهدٍ ومشهودٍ لا يُكتنَهُ وَصْفُهما.

وقد اضطربَتْ أقاوِيلُ المفسِّرين فيهما:

فقيل: الشَّاهدُ والمَشْهُود: محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ويَومُ القيامة.

وقيل: عِيسَى وأُمَّتُه؛ لقَوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة ٥/١١٧].

وقيل: أُمَّةُ محمَّدٍ وسائرُ الأُمَمِ.

وقيل: يَوْمُ التَّروِية ويومُ عَرفَة.

وقيل: يَوْمُ عَرفةَ ويومُ الجُمعة.

وقيل: الحجَرُ الأَسْودُ والحجيجُ.

وقيل: الأيَّامُ واللَّيالي وبَنُو آدمَ.

وعن الحسن: ما مِن يَوْمٍ إلَّا ويُنادِي: إنِّي يَوْمٌ جديدٌ، وإنِّي على ما يُعمَل فيَّ شَهيدٌ، فاغتنِمْني فلو غابَتْ شمسي لم تُدْرِكْني إلى يَوْم القِيَامةِ.

وقيل: الحفَظةُ وبَنو آدمَ.

قوله: (يومُ التَروية) رَويتُ القوم أرويهم رِيًّا إذا استقيتُ لهم الماء، ورَوَّيتُه تَرْويةً،[1] أي: حمَلتُ على روايته،[2] وأرويتُه أيضًا، وسُمِّيَ يومَ التَروية لأنَّهم كانوا يَرتَوُون مِن الماء لما بعدُ، ورَوَّأتُ[3] في الأمر تَروِيةً؛ فكّرتُ فيه ونظرتُ، ومِنه يوم التَروية للثامن مِن عشر ذي الحجّة، وأصلها الهمز، وأخذها مِن الرؤية خطأ، ومن الرِيِّ[4] منظور فيه.[5]

قوله: (فلو غابتْ)[6] يعني: لا يمكن تدارك اليوم الفائت.[7]

---

[1] العبارة في الصحاح، «روى»: «ورَوَّيْتُه الشِعر تَرْوِيَةً».
[2] د: راويته.
[3] العبارة في الصحاح، «روى»: «ورَوَّيتُ».
[4] ن: الرأي.
[5] انظر: المُغرِب للمطرّزي، «روأ».
[6] ف: عابت.
[7] ن: الغائب.

وقيل: الأنبياءُ ومحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم.

فإن قلتَ: أَيْنَ جوابُ القَسمِ؟

قلتُ: محذوفٌ يدُلُّ عليه قولُه: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ كأنَّه قِيلَ: أُقسِمُ بهذه الأَشياء أَنَّهُم مَلْعُونُونَ -يَعْني: كفَّارَ قُرَيْش- كما لُعِن أصحَاب الأُخدُودِ، وذلك أنَّ السُّورَةَ ورَدَتْ في تَثْبِيتِ المُؤمِنينَ وتصْبيرِهم على أذَى أَهْلِ مكَّةَ، وتَذْكيرِهِم بما جرَى على مَن تَقدَّمهُم مِن التَّعْذيبِ على الإيمانِ، وإلحاقِ أَنواع الأَذى وصَبْرِهم وثَبَاتِهِمْ حَتَّى يأتَسُوا بِهِمْ ويَصْبِرُوا على ما كانُوا يَلقَونَ مِنْ قَومِهِم، ويَعْلَمُوا أَنَّ كُفَّارَهُمْ عِند اللهِ بمنزلة أُولئك المُعَذِّبينَ المُحْرِقِينَ بالنَّارِ مَلْعُونُونَ أحِقَّاءُ بِأَن يقال فيهم: قُتِلَتْ قُرَيْشٌ، كمَا قِيل: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾.

وقِيل: دُعاءٌ عليهم؛ كقوله: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس ٨٠/١٧].

وقرئ: "قُتِّلَ" بالتَّشْدِيد.

والأخدُود: الخدُّ في الأَرْض وهوَ الشَّقُّ، ونَحوُهما بِناءً ومعنًى: الخَقُّ والأُخقُوقُ، ومنه: "فسَاخَتْ قَوائمُه في أَخاقِيق جِرذَانٍ".

رُوي عن النَّبي عليه السَّلام أنَّه كان لبَعض المُلوك سَاحرٌ، فلمَّا كَبُرَ ضَمَّ إليهِ غُلامًا ليُعَلِّمُه السِّحرَ، وكان في طريقِ الغُلام رَاهِبٌ، فَسَمعَ مِنه، فرأَى في طريقِه ذاتَ يومٍ دابَّةً قد حبَسَتِ الناسَ، فأَخَذ حَجرًا فقال: اللَّهم إن كان الرَّاهبُ

قوله: (يأتَسُوا)[1] أي: يقتدوا.

قوله: (فساخَتْ) ساخَتْ، أي: دخلت وغابت. في الصحاح والمُغرِب هكذا: ومنه الحديث:[2] «فوقصَتْ به ناقتُه في أخاقيق جِرذانٍ».[3] والوَقْص: دَقُّ العُنق وكسرها، والجُرَذُ: ضَرْبٌ مِن الفأر، والجمع الجِرذان، وأرضٌ جَرِذَةٌ؛ ذات جِرذانٍ.

---

١ ن: يألسوا.

٢ ن: الحدث.

٣ الصحاح للجوهري، «خقق»؛ المُغرِب للمُطرّزي، «وقص». والحديث بهذا اللفظ في تاريخ دمشق لابن عساكر، ٤١٣/٣٦. وفي مسند الإمام أحمد، ٥١٣/٣١ (١٩١٧٦): «ثمّ إنّ بعيرَه دخلتْ يدُه في شبكة جِرذانٍ، فهوى بعيرُه وهوى الرّجل، فوقع على هامَتِه، فمات».

أحَبُّ إلَيك من السَّاحرِ فاقتُلْهَا، فقَتلَها، فكانَ الغلامُ بعْدَ ذلك يُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرصَ ويَشْفِي من الأدواء، وعُمِي جَليسٌ للمَلِكِ فَأبْرأهُ، فَأبْصَرهُ المَلِك فسَألَه: مَن رَدَّ عليك بَصَرَك؟ فقال: رَبِّي، فغَضِبَ فعَذَّبه، فدَلَّ على الغُلام، فعَذَّبه فدَلَّ على الرَّاهِبِ، فلم يَرْجِع الرَّاهبُ عن دينهِ فقُدَّ بالمِنشارِ، وأبَى الغلامُ فذُهِب بهِ إلى جَبلٍ ليُطرَح من ذِروتهِ، فدَعا فَرَجَفَ بالقَومِ فطَاحُوا ونجَا، فَذُهِب بهِ إلى قُرقُورٍ فلجَّجُوا بهِ ليُغَرِّقُوه، فدعَا فانكفَأَتْ بهم السَّفينَةُ فغَرِقُوا ونجَا، فقال للمَلِك: لَسْتَ بقَاتلِي حتى تجمَع الناسَ في صَعيدٍ وتصلُبَنِي على جِذْعٍ، وتَأخذَ سَهْمًا مِن كِنَانتي وتقُولَ: بسم الله ربِّ الغُلام، ثُمَّ تَرمِيَنِي بهِ، فَرماه فَوقع في صُدغهِ فوَضع يدَهُ عليه وماتَ، فقال الناس: آمنَّا بربِّ الغلامِ، فقيلَ للملِك: نَزلَ بك ما كنْتَ تحذرُ! فأمَر بأخَاديدَ في أفْواه السِّكَكِ، وأُوقِدَتْ فيها النِّيرانُ، فمَن لم يَرْجِع مِنْهم طرَحهُ فيها، حَتَّى جاءت امرأةٌ معَها صبيٌّ فتقَاعسَتْ أن تَقَع فيهَا، فقال الصَّبيُّ: يا أُمَّاهُ، اِصْبرِي فإنَّكِ على الحقِّ، فاقتَحمت.

وقيل: قال لهَا: قَعِي ولا تُنافقِي، وقيل: ما هيَ إلَّا غُمَيْضَةٌ، فصبَرت.

قوله: (فرَجَف بالقوم) أي: بالذين ذهبوا به.

قوله: (قُرقور) أي: سفينة صغيرة طويلة.

قوله: (فانكفأتْ) أي: انقلبتْ.

قوله: (فتقاعستْ) أي: تأخرتْ.

قوله: (فاقتحمتْ) أي: رمَتْ بنفسها فيه مِن غير رَويَّة.

قوله: (لها: قَعي) "قَعي" أمرٌ من الوقوع.

قوله: (وقيل: قال)[١] أي: قال الصبيُّ لأمِّها.[٢]

قوله: (غُمَيضَةٌ) يقال: أغمَضَ عينَيه[٣] وغمَّضَهما[٤] إذا أطبق أجفانَهما،

---

١ ف – قال.

٢ كذا في الأصول الخطيّة بضمير المؤنّث.

٣ ن: عينه.

٤ ن: وغمضتهما.

وعن عليّ رضي الله عنه: أنَّهم حِينَ اختَلفُوا في أَحْكامِ المجُوسِ قال: هُم أَهْلُ كتابٍ وكانوا مُتَمسِّكين بكتَابِهِمْ وكانتِ الخَمر قَد أُحِلَّت لَهُمْ، فتنَاوَلَها بَعضُ ملوكِهم فسَكِرَ فوقَع على أُخْتِه، فلمَّا صَحَا نَدِمَ وطَلَب المَخْرَج فقَالتْ لَه: المَخرَجُ أن تَخْطُبَ الناسَ فتَقولَ: يا أيها النَّاسُ إنَّ الله قد أحَلَّ نِكاحَ الأخواتِ، ثُمَّ تخطُبَهُم بعدَ ذلك أَنَّ الله حَرَّمَه، فخَطَب فلم يقبَلُوا مِنه، فقَالَتْ لهُ: ابْسُط فيهِمْ السَّوْطَ، فلم يَقبلُوا، فقَالَت: ابْسُط فيهِم السَّيْفَ، فلم يَقْبَلُوا، فأَمَرَتْه بالأَخاديدِ وإيقَاد النِّيرانِ وطَرْحِ مَن أَبى فيها، فهُم الَّذِينَ أرادَهُم اللهُ بقَوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾.

وقيل: وَقعَ إلى نَجْرانَ رَجُلٌ مِمَّن كان على دِين عيسى عليه السَّلام فَدَعاهُم فأجَابُوه، فسَارَ إلَيهم ذُو نُواسٍ اليَهُوديُّ بجُنُودٍ من حِمْيَرَ فخيَّرهُم بين النَّار واليَهُوديَّة، فأبَوْا فأحْرَقَ مِنْهم اثنَي عَشَر ألفًا في الأَخادِيد. وقيل: سبْعِين أَلْفًا. وذُكِرَ أَنَّ طُولَ الأُخدُودِ أَرْبعُونَ ذِراعًا وعَرْضَه اثنَا عشَر ذِراعًا.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلام: أنَّه كان إذا ذُكرَ أَصْحَابُ الأُخدُود تعَوَّذَ بالله من جَهْد البَلاءِ.

والضمير مِن "هي" يعود إلى "النار"، يعني: ليس العذاب بتلك النار إلَّا زمانًا قليلًا قدرَ إطباق أجفان العين.

قوله: (وعن عليّ رضي الله عنه:[1] أنَّهم)[2] أي: الصحابة.

قوله: (قال: هم) أي: المجوس.

قوله: (نَجران) بلد مِن اليمن.

قوله: (فأبَوا) أي: أبَوا قَبول اليهوديّة.

قوله: (مِن جَهْدِ البلاء) أي: شدّة البلاء.

---

[1] د – رضي الله عنه.

[2] الكشف والبيان للثعلبي، ١٦٤/٢٩ (البروج، ٤/٨٥)، بسنده.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾

﴿ٱلنَّارِ﴾ بدَلُ اشتِمالٍ من ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾.

﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ وَصْفٌ لهَا بأنَّها نارٌ عَظيمةٌ لها ما يَرتفِعُ بهِ لَهَبُهَا مِن الحَطبِ الكَثِير وأَبْدانِ النَّاسِ. وقرئ: "الوُقُودِ" بالضمّ.

﴿إِذْ﴾ ظَرْفٌ لـ﴿قُتِلَ﴾، أي: لُعِنُوا حِين أَحْدَقُوا بالنَّار قاعِدِين حَوْلَها.

ومعنى: ﴿عَلَيْهَا﴾: على ما يَدْنُو مِنها مِن حَافاتِ الأُخدُودِ كقَوله:

وبَــاتَ عـلـى الـنَّــارِ الـنَّـدى والـمُـحلَّـقُ

وكما تقُولُ: مرَرْتُ عَليه، تُرِيد: مُستَعلِيًا لِمكانٍ يَدْنُو مِنه.

ومَعنى شهَادَتِهِمْ على إحراقِ المُؤمِنين: أَنَّهُم وُكِلُوا بذلك وجُعِلُوا شُهُودًا

قوله: (﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾) "الوَقود"[1] بالفتح: ما يوقَد به، وهو الحطب.

قوله: (لها ما يرتفع به)... إلخ، "ما" مبتدأ، و"لها" خبره، و"مِن" بيان "ما"، فالمراد بالوَقود: الحطبُ والأبدان.

قوله:

(وبـاتَ عـلى الـنار الـنَّدى والمُحَلِّقُ)[2]

أوّله:

[٤٥٧و] تُـشَـبُّ / لِـمَـقْـرُورَيْـنِ يَصطَلِيانِها[3]

"النَّدَى": الجُود.[4] و"المحَلِّق":[5] اسم ملِك وَسَمَ خيله بالكَيِّ في وجوهها حِلَقًا حِلَقًا، فسُمِّيَ مُحلِّقًا.[6]

---

[1] ن – الوَقود.
[2] ن: والمخلق.
[3] للأعشى في ديوانه، ص ٢٢٥.
[4] ن: الخود.
[5] ن: والمخلق.
[6] ن: مخلقًا.

يَشهَدُ بعضُهم لبَعضٍ عند المَلِك أَنَّ أَحَدًا مِنهُم لَم يُفرِّط فيمَا أُمِرَ به وفُوِّضَ إلَيهِ من التَّعذِيب.

ويجوز أن يُرادَ: أَنَّهُم شُهُودٌ على ما يفعَلُون بالمؤمِنينَ يُؤدُّونَ شهَادَتهُم يومَ القيامةِ ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور ٢٤/٢٤].

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾: وما عَابُوا مِنهُمْ ومَا أنكَرُوا إلَّا الإيمانَ كقوله:

ولا عيبَ فِيهم غيرَ أنَّ سُيُوفهم

وقال ابنُ الرُّقيَّاتِ:

ما نقَمُوا مِن بنِي أُميَّةَ إلَّا أَنَّهم يَحلُمُونَ إن غَضِبُوا

وقرأ أبو حيوَة: "نَقِمُوا" بالكَسْر، والفَصِيحُ هُو الفتحُ.

وذَكَر الأَوصافَ التي يَستحِقُّ بهَا أَنْ يُؤمَنَ به ويُعبَدَ، وهو كونُه عَزيزًا غالبًا قادرًا يُخشَى عِقابُه، حميدًا مُنعِمًا يَجِبُ لهُ الحَمْدُ على نِعْمتِه ويُرجَى ثوابُه.

﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فكُلُّ مَن فيهما تَحِقُّ علَيه عبادتُه والخُشُوعُ له؛ تَقرِيرًا لأنَّ ما نقموا منهم هوَ الحقُّ الَّذي لا يَنقِمُه إلَّا مُبطِلٌ مُنهمِكٌ في الغيِّ،

قوله:

(ولا عَيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم)

تمامُه:

بهنّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكتائبِ[1]

قوله: (يَستَحِقُّ) أي: الله تعالى.

قوله: (وهو كونه) "هو" عائد إلى "الأوصاف"، وإنّما ذكَّره باعتبار الخبر.[2]

قوله: (تَحِقُّ) حَقّ يَحِقّ، أي: ثبَت.

قوله: (لأنَّ ما نَقموا) مفعول "تقديرًا".

---

[1] للنابغة في ديوانه، ص ٣٢.

[2] ن - قوله: (وهو كونه) هو عائد إلى الأوصاف وإنّما ذكَّره باعتبار الخبر.

وأنَّ النَّاقِمينَ أَهْلٌ لانتقام الله منهم بعذابٍ لا يَعْدِلُه عذابٌ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾ وعِيدٌ لَهُم، يَعني: أنَّه عَلِمَ ما فعَلُوا وهو مُجازِيهم عَلَيْه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٞ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

يجُوز أن يُرِيدَ بـ﴿ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾: أصحَابَ الأُخدُود خاصَّةً، وبـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: المَطْرُوحِينَ في الأُخدُود، ومَعنى فتَنُوهُم: عَذَّبُوهُم بالنَّارِ وأَحْرَقُوهم ﴿فَلَهُمْ﴾ في الآخرةِ ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكُفرِهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ وهيَ نارٌ أُخرى عظِيمةٌ تتَّسِعُ كما يتَّسِعُ الحَريقُ بإحراقِهِمْ المُؤمِنينَ.

أَوْ: لَهُم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخِرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ في الدُّنيا؛ لِمَا رُوِيَ أنَّ النَّارَ انْقلَبَتْ علَيهم فَأَحرقَتْهُم.

ويجوز أَن يُريد: ﴿ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بلَوْهُم بِالأَذَى على العمُوم، والمُؤمِنينَ: المَفتُونِينَ، وأنَّ للفَاتِنينَ عَذابَيْن في الآخرة: لكُفرهم ولِفتْنتِهِمْ.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

"البَطشُ": الأَخْذُ بالعُنْفِ، فإذا وُصِف بالشِّدة فقد تضاعَف وتَفاقَم، وهو بَطشُه بالجبَابرةِ والظَّلَمةِ وأَخْذُهُم بالعَذاب والانتِقام.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾؛ أي: يُبْدِئُ البَطْشَ ويُعِيدُه، يَعني: يَبْطِشُ بهم في الدُّنيا وفي الآخِرة، ....

قوله: ﴿ٱلْحَرِيقِ﴾[١] تَحرَّق الشيء بالنار واحترق، والاسم الحُرقة والحَريق.

قوله: (في الدنيا وفي الآخرة) أي: يعذبهم مرّتين، مرّةً في الدنيا، ومرّةً في الآخرة.

---

١ ن: الحرير.

أو دلَّ باقتِدارِه على الإبْداء والإعادةِ على شدَّةِ بَطْشهِ، أو أَوعَدَ الكفرةَ بأنَّه يُعِيدُهم كما أَبْدأهُم ليَبْطِشَ بهم إذْ لم يَشكُروا نِعْمةَ الإبداء وكذَّبُوا بالإعادة.

وقرئ: "يَبْدَأ".

﴿ٱلْوَدُودُ﴾: الفاعلُ بأَهْل طاعتِه ما يَفْعَلُه الوَدُود مِن إعْطائهم ما أرَادُوا.

وقرئ: "ذي العَرْش" صفةً لـ﴿رَبِّكَ﴾.

وقرئ: ﴿المجيدِ﴾ بالجرِّ صفةً لِلعرْش، ومَجْدُ الله: عظمتُه، ومَجدُ العرش: علُوُّهُ وعِظَمُه.

﴿فَعَّالٌ﴾ خبرُ مُبتدإٍ محذوفٍ، وإنَّما قيلَ: ﴿فَعَّالٌ﴾ لأنَّ ما يُريدُ ويَفْعَلُ في غاية الكَثْرة.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ بدَلٌ من ﴿ٱلْجُنُودِ﴾ وأراد بفرْعونَ إيَّاهُ وآلَه؛ كمَا في قَولِه: ﴿مِن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس ١٠/٨٣] والمَعْنَى: قد عرَفْتَ تكذيبَ تلك الجنُودِ للرُّسل وما نزَلَ بهم لتكذِيبِهم.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من قومك ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾؛ أي: تكذيبٍ واستيجَابٍ للعَذابِ، ﴿وَٱللَّهُ﴾ عالمٌ بأَحْوالهم وقادرٌ عليهم وهُم لا يُعْجِزُونَه، والإحاطةُ بهِمْ من وَرائِهم مَثَلٌ لأنَّهم لا يَفُوتُونه كما لا يَفُوتُ فائِتٌ الشَّيءَ المُحيطَ بهِ.

ومعَنى الإضراب: أنَّ أمْرَهُم أَعْجبُ مِن أَمْرِ أُولئك؛ لأنَّهم سمِعُوا بقِصَصِهم وبِمَا جَرى عَليْهم ورَأوا آثار هلاكِهِمْ ولم يعْتَبِرُوا وكذَّبُوا أَشَدَّ مِن تكذيبِهم.

قوله: (على الإبداء) أي: على الخَلْق أوّل مرّة، وعلى الحَشر.

قوله: (مِن إعطائهم) بيان "ما يفعَلُه".

قوله: (لأنّهم) ليس بتعليل، بل صفة "مَثَل".

قوله: (ومعنى الإضراب) في قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: بل هذا الَّذي كَذَّبُوا بهِ ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾: شَريفٌ عالِي الطَّبَقةِ في الكُتبِ وفي نَظْمِه وإِعْجازِه.

وقرئ: "قرآنُ مجيدٍ" بالإضافة؛ أي: قُرآنُ رَبٍّ مجيدٍ.

وقرأ يَحْيَى بنُ يَعْمَرَ: "في لُوحٍ"، واللُّوحُ: الهَواءُ، يَعْني: اللَّوحَ فَوق السَّماء السَّابعةِ الَّذي فيه اللَّوْحُ.

﴿مَّحْفُوظٍ﴾ من وصُول الشَّياطينِ إليه. وقرئ: ﴿مَّحْفُوظٌ﴾ بالرَّفعِ صفةً للقرآنِ.

عن رسول الله عليه السلام: «مَن قَرأ سُورةَ البُروجِ أعطاه الله بعددِ كلِّ يومِ جُمعةٍ وكلِّ يَومِ عَرفةٍ يكون في الدُّنيا عشرَ حسناتٍ».

تمّت السورة[1] بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.[2]

---

[1] ن: السوة.

[2] ف – السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن – بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.

سورة الطارق

مكيَّةٌ، وهي ستَّ عشرةَ أو سبعَ عشرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾

﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: المضيءُ؛ كأنَّه يَثقُبُ الظَّلامَ بضَوئِه فيَنفذُ فيه؛ كما قيل: دُرِّيٌّ؛ لأنَّه يَدْرَؤُهُ؛ أي: يَدْفَعُه.

ووُصِفَ بالطَّارق لأنَّه يَبدُو باللَّيل؛ كما يُقال للآتِي لَيلًا: طارِقٌ، أو لأنَّه يَطرُقُ الجِنِّيَّ؛ أي: يَصُكُّهُ، والمراد: جنسُ النُّجوم، أو جِنسُ الشُّهُبِ التي يُرْجَم بها.

فإن قلتَ: ما يُشبِهُ قَولُه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ إلَّا تَرْجَمةَ كلمةٍ بأُخرى فبَيِّنْ لي أيَّ فائدةٍ تحتَهُ؟

سورة[1] الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[2]

قوله: (والمراد جِنس النجوم) على التفسير الأوّل، (أو جِنس الشُّهُب) على التفسير الثاني.

قوله: (فإن قلتَ: ما يشبه) نفيٌ.

---

[1] ن + سورة.

[2] ف ن – وبه نستعين.

قلتُ: أراد الله -عزَّ من قائلٍ- أن يُقسِمَ بالنَّجم الثاقِب تعظيمًا له؛ لِمَا عُرِفَ فيه من عَجيبِ القُدرة ولطيفِ الحِكمة، وأَن يُنبِّه على ذلك، فجَاء بِما هُو صفةٌ مشتَركةٌ بيْنَه وبينَ غيره وهو: الطَّارِقُ، ثمَّ قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ ثُمَّ فسَّرهُ بقَوله: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ كُلُّ هذا إظهارًا لِفَخامةِ شأنهِ؛ كما قال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة ٥٦/٧٥-٧٦].

وَرُوِيَ: أنَّ أبا طالبٍ كان عند رسُول الله صلى الله عليه وسلم فانْحطَّ نجمٌ فامتَلأَ ما ثَمَّ نُورًا، ففَزِع أبُو طالبٍ وقال: أَيُّ شيءٍ هذا؟ فقال عليه السلام: هذا نجمٌ رُمِي به وهو آيةٌ مِن آياتِ الله، فعجِبَ أبُو طالبٍ، فنَزلتْ.

فإن قلتَ: ما جَوابُ القسم؟

قلتُ: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ﴾ لأنَّ ﴿إِن﴾ لا تخلو فيمَن قَرأَ ﴿لَمَّا﴾ مُشدَّدةً -بمَعنى: إِلَّا- أن تكُون نافيةً، وفيمَن قَرأهَا مخفَّفةً -على أَنَّ "ما" صِلةٌ- أن تكون مخفَّفةً من الثَّقيلة، وأيَّتهما كانَتْ فهيَ ممَّا يُتلَقَّى به القَسَمُ.

﴿حَافِظٌ﴾: مُهيمنٌ عَليها رقِيبٌ وهو الله عزَّ وجَل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ رَّقِيبًا﴾

قوله: (ما ثَمَّ) أي: الأمكنة والبيوت التي ثَمَ.[1]

قوله: (إظهارٌ) على تقدير رفع "إظهارٌ" يكون "كلّ" مبتدأ "إظهارٌ" خبرُه، وعلى تقدير نصبه يكون "كلّ" مرفوعًا بفعل محذوفٍ، و"إظهارًا" مفعول له، أي: ذكر كلّ هذا لإظهار.

قوله: (أن تكون نافيةً) أي: مِن أن تكون.

قوله: (على أنّ[2] ما[3] صلةٌ) أي: زائدةٌ.

قوله: (﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾) أورد المصنِّف الآيتين للاستشهاد على أنّ الله تعالى هو الحافظ، ثمّ أورد لتقرير التفسير الثاني الحديث.[4]

---

١ ن - ثمّ.

٢ ن: إذا.

٣ ن - ما.

٤ الحديث في المعجم الكبير للطبراني، ٨/١٦٧ (٧٧٠٤) بنحوه. قال الهيثمي: «وفيه عُفَيرُ بن مَعدان، وهو ضعيف». مَجمع الزوائد للهيثمي، ١٥/٨٧.

[الأحزاب ٣٣/٥٢] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء ٤/٨٥].

وقيلَ: مَلَكٌ يَحْفَظُ عَمَلَها ويُحْصِي عَليها ما تكسِبُ من خيْرٍ وشَرٍّ.

وَرُوِي عَن النَّبيِّ عليه السَّلام: «وُكِّلَ بالمؤمن مئةٌ وسِتُّونَ مَلَكًا يَذُبُّونَ عنه كما يُذَبُّ عن قصعَة العَسَل الذُّبابُ، ولو وُكِلَ العبدُ إلى نفسِه طَرْفةَ عينٍ لاختطفتْهُ الشَّياطينُ».

فإن قلتَ: ما وَجهُ اتِّصالِ قَوله: ﴿فَلْيَنظُرِ﴾ بما قبلَهُ؟

قلتُ: وجْهُ اتِّصالهِ به: أنَّه لمَّا ذَكَر أنَّ على كلِّ نفسٍ حافِظًا أَتْبعَه تَوصِيَةَ الإنسانِ بالنَّظر في أَوَّلِ أَمْره ونَشأتهِ الأولَى حتى يَعْلَمَ أنَّ مَن أَنشَأَهُ قادِرٌ على إعادتهِ وجَزائه، فيَعملَ لِيوْمِ الإعَادة والجزاء ولا يُمْلِيَ على حافِظِه إلَّا ما يَسُرُّهُ في عاقِبتِهِ.

و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ استفهامٌ جَوابُه ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ والدَّفْقُ: صَبٌّ فيه دَفْعٌ، ومَعْنى ﴿دَافِقٍ﴾: النِّسبَةُ إلى الدَّفْقِ الَّذي هو مصْدَرُ دَفَقَ كاللَّابنِ والتَّامِر، أَو الإِسنادُ المجازِيُّ والدَّفقُ في الحقيقة لصاحبِهِ.

ولم يُقَل: ماءين؛ لامتِزاجهما في الرَّحِم واتِّحادِهما حينَ ابتُدِئَ في خَلْقِه.

﴿مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: من بين صُلبِ الرَّجُلِ وتَرائبِ المرأةِ: وهي عِظامُ الصَّدرِ حيث تكون القِلادة، وقرئ: "الصَّلَبِ" بفتحَتيْن و: "الصُّلُبِ" بضمتين.

وفيه أربَعُ لُغاتٍ: صُلْبٌ وصُلُبٌ وصَلَبٌ وصَالِبٌ؛ قال العجَّاجُ:

فــي صَـلَــبٍ مِـثْــلِ الـعِـنــانِ الــمُــؤْدَم

قوله: (كاللّابن[1] والتامر) أي: ذو لَبَنٍ[2] وذو تَمرٍ.

قوله: (ولم يقل: ماءين)[3] أي: لم يقل: خُلِق مِن ماءين.

قوله:

(فــي صَـلَــبٍ مثل الـعِـنــانِ الــمُــؤْدَمِ)

---

١ ن: كالابن.

٢ ن: لبن.

٣ ن: مازين.

وقيل: العَظْمُ والعَصَبُ من الرَّجُل، واللَّحمُ والدَّمُ من المَرأةِ.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضميرُ للخالِق لدَلالةِ ﴿خُلِقَ﴾ عَليه، ومَعْناه: أَنَّ ذلك الَّذي خَلَق الإنسانَ ابتِداءً من نُطفةٍ ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ على إعادتهِ خصُوصًا ﴿لَقَادِرٌ﴾: لبَيِّنُ القُدْرة لا يَلتَاثُ عليه ولا يَعْجِزُ عنه، كقوله:

إِنَّـــــــــي لَـــفَـــقِـــيـــرٌ

﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ مَنصُوبٌ بـ﴿رَجْعِهِۦ﴾، ومَن جَعل الضمير في ﴿رَجْعِهِۦ﴾ للماءِ، وفسَّره برجعِه إلى مَخْرَجِه من الصُّلْبِ والتَّرائبِ أو الإِحْليلِ، أو إلى الحالة الأُولَى، نَصَب الظَّرفَ بمُضمَرٍ.

يصِفُ امرأةً، أوّله:

رَيّـــا[١] الـعِـظـام فـخْـمَـةُ الـمُـخَـدَّمِ[٢]

و"المؤْدَمُ": اللَّيِّن.

قوله: (لا يَلتاثُ[٣] عليه) أي: لا يَختلِط ولا يُشكِل، اللُّوثَةُ[٤] بالضمّ: الاستِرخاء والبُطْؤُ، ولاثَ[٥] العِمامة على رأسه لَوْثًا: عَصَبَها، والالتِياث:[٦] الاختلاط والالتِفاف، يقال: الْتاثَ[٧] الخُطوب، والْتاثَ[٨] برأسِ القلم شَعرةٌ، والْتاثَ[٩] في عمله: أبطأ، وما[١٠] لَاثَ[١١] فلانٌ أنْ غَلَبَ فلانًا، أي: ما احتبسَ.

قوله: (بمُضمَرٍ) أي: اذكُر.

---

١ ن: ريا.

٢ ديوان العجّاج، ١/٤٤٩-٤٥٠، بلفظ: "فَعْمَةِ المُخَدَّمِ"، وفي لسان العرب لابن منظور، «صلب»: "فخْمَةُ المُخَدَّمِ".

٣ ن: يلتات.

٤ ن: اللؤثة.

٥ ن: ولات.

٦ ن: والالتيات.

٧ ن: التات.

٨ ن: التاب.

٩ ن: الناب.

١٠ ن: رما.

١١ ن: لات.

﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾: ما أُسِرَّ في القُلُوب من العقائد والنِّيَّاتِ وغيرِها، وما أُخفِيَ مِن الأَعمال، وبَلاؤهَا: تَعرُّفها وتصفُّحُهَا والتَّمييزُ بينَ ما طابَ منها وما خَبُثَ، وعن الحسن أنَّه سمِعَ رجُلًا يُنْشِدُ:

سَيَبْقَى لَها في مُضمَر القَلْب والحشَا ... سَرِيرَةُ وُدٍّ يَومَ تُبلَى السَّرائرُ

فقَال: ما أغفَلَه عمَّا في ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾.

﴿فَمَا لَهُۥ﴾: فما للإنسانِ ﴿مِن قُوَّةٍ﴾: من مَنعَةٍ في نَفسِه يَمْتنِعُ بها ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾: ولا مَانِعٍ يمنَعُه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢﴾

سُميَ المَطرُ رَجْعًا كما سُمِّي أَوْبًا؛ قال:

رَبَّاءُ شَمَّاءَ لا يَأوِي لِقُلَّتِها ... إلَّا السَّحابُ وإلَّا الأَوْبُ والسَّبَلُ

تسميةً بمصْدَرَي: رَجَعَ وآبَ، وذلك أَنَّ العَرب كانُوا يَزعمُون أَنَّ السَّحاب يَحْمِلُ الماء مِن بحارِ الأَرْضِ ثُمَّ يَرجِعُه إلى الأَرض، أو أَرَادُوا التَّفوُّلَ فسَمَّوهُ رَجْعًا وأَوْبًا لِيَرْجِعَ ويَؤُوبَ.

وقيل: لأنَّ الله تعالى يَرْجِعُه وقتًا فوَقْتًا. قالَت الخَنْساء:

كالرَّجْع في المُدْجِنَةِ السَّارِية

قوله:

(رَبَّاءُ شَمَّاءَ)... البيتَ[1]

ربَّأْتُ المِرْباةَ وارتبأْتُها،[2] أي: علوْتها، و"رَبّاء" فعّال[3] منه، و"شمّاء" مضاف إليه، أي: رَبّاء هضْبة شمّاء يصفها بالارتفاع، يصف رجلًا كان يصعد العِقابَ، و"الأَوْبُ" و"السَبَلُ": المطر.

قوله: (في المُدْجِنة) المُدْجِنة: السَّحابة المُظلِمة.

---

[1] البيت للمُتَنَخِّل الهُذلي، واسمه مالِك بن عُوَيْمِر، يرثي ابنه أُثَيْلَة. انظر: التكملة والذيل للصغاني، «أوب»؛ لسان العرب لابن منظور، «أوب».

[2] ن: وارتبابها.

[3] ن: فقال.

والصَّدْعُ: ما تَتصَدَّعُ عنه الأَرْض من النبات.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضَّميرُ للقرآنِ ﴿فَصْلٌ﴾: فَاصِلٌ بين الحقِّ والباطِل كما قيل له: فُرقانٌ.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ يَعني: أنَّه جِدٌّ كلُّه لا هَوادَةَ فيه، ومِن حقِّه وقد وصَفَه اللهُ تعالى بذلِك أَن يكُونَ مَهِيبًا في الصُّدُور مُعَظَّمًا في القُلُوبِ، يتَرفَّعُ بهِ قارئهُ وسَامِعُه أنْ يلِمَّ بهَزْلٍ أو يَتَفكَّهَ بمُزاحٍ، وأَن يُلْقي ذهْنَهُ إلى أنَّ جبَّارَ السماوات يُخاطِبُه، فيَأمرُه وينهَاه، ويعِدُهُ ويُوعِدُه، حَتَّى إنْ لم يَستفِزَّهُ الخوفُ ولم تتَبالَغْ فيهِ الخَشيَةُ فَأَدْنَى أَمْرِه أن يكون جادًّا غيرَ هَازلٍ، فقَد نَعى اللهُ على المُشرِكينَ ذلك في قوله: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم ٥٣/٦٠-٦١] ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت ٤١/٢٦].

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝١٧﴾

﴿إِنَّهُمْ﴾ يَعْني: أَهْلَ مكَّةَ يُعملُونَ المَكائد في إِبْطال أَمْر الله وإطفاءِ نُور الحَقِّ وأَنا أُقابلُهم بكَيْدِي: مِن استِدراجي لهم، وانتظارِي بهم الميقاتَ الَّذي وَقَّتُّهُ للانتصَار منهم.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يَعني: لا تَدْعُ بهَلاكِهم ولا تَسْتَعجِلْ به.

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾؛ أي: إِمْهالًا يَسِيرًا، وكَرَّر وخالفَ بينَ اللَّفْظَيْنِ لِزيادة التَّسْكِينِ مِنهُ والتَّصبير.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورةَ الطَّارِقِ أَعْطَاه اللهُ بعدَدِ كُلِّ نجْمٍ في السَّماء عشْرَ حَسناتٍ».

قوله: (لا هَوادة) أي: لا مَيل ولا صُلْحَ.

قوله: (وخالفَ) والمخالفةُ هي أنَّ "مَهِّلْ" مِن باب التفعيل، و"أمْهِلْ" مِن الإفعال.

تمَت السورة بحمد الله تعالى.[١]

---

[١] ف – السورة بحمد الله تعالى؛ ن – تمت السورة بحمد الله تعالى.

سورة الأعلى

وتسمى: سورة سبِّح. مكيَّةٌ، وهي تسعَ عشرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥﴾

تَسبيحُ اسْمِه عزَّ وعلا: تَنْزِيهُهُ عَمَّا لا يصحُّ فيه من المعَاني الَّتي هي إِلْحادٌ في أَسمائه كَالجَبْر والتَّشبيهِ ونحوِ ذلك، ....

/ سورة سبّح اسم ربّك[1] [٤٥٧ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[2]

قوله: (تسبيحُ[3] اسمِهِ) نسبَ التسبيح إلى اسمه تعالى في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾، فقال المصنِّف: المراد بتسبيح المكلَّفين اسمَه تعالى هو أن يُنزِّهوا اسمَه تعالى عن المعاني التي لا تصلُح تلك المعاني في اسمه تعالى، يعني: هو أن يمتنعوا[4] عن تفسير أسمائه تعالى بالمعاني التي ليست معانيَ[5] تلك الأسماء.

قوله: (هي إلحادٌ) في هذه العبارة نوعُ تساهلٍ، فإنّ[6] تلك المعانيَ لا تكون إلحادًا في أسمائه، بل التفسير بتلك المعاني إلحادٌ في أسمائه.

قوله: (كالجَبْر) مثال المعاني المذكورة، يريد: أنّه لا ينبغي أن يُفسَّر اسمٌ مِن أسمائه تعالى بالجَبْر أو التشبيه، وقوله: (كالجَبْر) بنى هذا على مذهبه،

---

[1] ف - ربك؛ ن - اسم ربك.
[2] ف ن - وبه نستعين.
[3] ن: يسبح.
[4] ن: يمتعرا.
[5] ن: المعاني.
[6] ن: بأن.

مثلَ أَن يُفَسَّر الأَعْلَى بمَعْنى العُلوّ الَّذي هو القَهْرُ والاقتِدارُ، لا بمَعْنى العُلُوِّ في المكانِ والاستواءِ على العَرش حقيقةً، وأن يُصَانَ عنِ الابتِذالِ والذِّكْرِ لا على وَجْهِ الخشُوع والتَّعظِيم.

ويجوز أن يكُونَ ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ صِفةً للرَّبِّ والاسم، وقَرَأ عَليٌّ رضي الله عنه: "سبحانَ رَبِّي الأَعْلَى"، وفي الحديثِ: لمَّا نزلَتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة ٧٤/٥٦]، قال رسول الله: «اجعَلُوها في رُكوعكم» فلمَّا نزل ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «اجعَلُوها في سجُودكم».

والجَبْر هو التوحيد بالحقيقة،[١] إذ يلزم مِن القَدَر[٢] إثباتُ الشريك وتعدّدُ الصانع، كمذهب المجوس، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «القَدَريّة مجوسُ هذه الأمّة»،[٣] على ما رواه بعضهم وإن لم يثبت هذا الحديث.[٤] وقوله: (مثلُ أنْ يفسَّرَ) هذا مثال[٥] التنزيه، وهذا التمثيل يَتِمُّ[٦] بقوله: (لا بمعنى)... إلخ.

قوله: (عن الابتذال) الابتذال: الامتهان، ومِنه: ابتذَلَ الثوبُ، وذلك أن يُذكَر في مواضع يكون تركه فيها أولى، كما إذا جعله عُرْضةً لليمين، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة ٢٢٤/٢]، وأن يُذكَر على غير وَجه الخُضوع، وهذا وجهٌ آخر للابتذال، ويجوز أن يكون المراد بالابتذال هو هذا الوجه، فيكون قوله: (والذكر) مِن العطف للبيان، كما مرّ مرارًا في هذا الكتاب.

---

١ ظاهر أنّه يعني بالجبر اعتقاد أهل السنّة أنّ الله تعالى هو الخالق لأفعال العباد، مع إثبات كسب لهم هو محلّ الثواب والعقاب، وليس مذهبَ الجبريّة الذين ينفون كسب الإنسان واختياره بالكلّيّة.

٢ يعني: يلزم مِن القول بنَفي القدَر، ومِن ثَمّ سمّي نفاة القدَر "قدريّة".

٣ سنن أبي داود، ٧٧/٧ (٤٦٩١).

٤ قال البغوي: «رجاله مِن رجال الصحيح؛ لكن في سماع ابن أبي حازم هذا -واسمه سلمة بن دينار- عن ابن عمر نظر، وجزم المنذري بأنّه لم يسمع منه، وقال أبو الحسن بن القطّان: قد أدركه وكان معه بالمدينة، فهو متّصل على رأي مسلم». مصابيح السنة للبغوي، ٨٢/١.

٥ ن: مثال هذا.

٦ ن: تتم.

وكانوا يقُولُون في الرُّكُوع: "اللّٰهُم لكَ رَكعْتُ"، وفي السُّجُود: "اللّٰهم لك سَجدْتُ".

﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾؛ أي: خَلقَ كُلَّ شيءٍ فسَوَّى خَلْقَهُ تسْوِيةً، ولم يأتِ به مُتفاوِتًا غيرَ مُلتَئِمٍ، ولكن على إِحْكامٍ واتِّساقٍ ودلَالةٍ على أَنّه صَادرٌ عن عالم وأَنّه صَنعةُ حكيمٍ.

﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾: قدَّر لِكلِّ حَيوانٍ ما يُصْلِحُه فهَداهُ إليه وعَرَّفه وَجْهَ الانتِفاع بهِ، يُحكَى: أَنَّ الأَفعَى إذا أتَتْ عَليها ألفُ سنةٍ عمِيَتْ وقد أَلْهمَها اللهُ أَنَّ مَسْحَ العين بوَرَقِ الرَّازيَانجِ الغَضِّ يَرُدُّ إلَيها بصَرَها، فرُبَّما كانت في بَرِّيَّةٍ بينها وبين الرِّيفِ مسيرةُ أيَّامٍ، فتَطْوِي تلك المسافَةَ على طُولهَا وعلى عَماها حتَّى تهجُمَ في بَعْضِ البَساتِين على شجَرة الرَّازيانج لا تخطِئُها، فتحُكُّ بهَا عينَيْها وتَرْجِعُ باصِرَةً بإذنِ الله.

وهِداياتُ اللهِ للإِنسانِ إلَى ما لا يُحَدُّ مِن مصَالحِه وما لا يُحْصَرُ مِن حَوائجِه في أَغذِيتِهِ وأَدْوِيتهِ وفي أَبواب دُنياهُ ودِينه، وإِلْهَاماتُ البَهائم والطُّيُور

قوله: (وكانوا)[١] أي: كانوا قبل نزول هاتين الآيتين يقولون ذلك، فلمّا نزلتا عدلوا إلى ما دلّ عليه الآيتان.

قوله: (يُحكى أنّ الأفعى)...[٢] إلخ، وقيل: إنّ الحيّة في كلّ شتاءٍ تنام مستلقيًا على قفاه إلى وقت الربيع، فتصير[٣] أعمى، ثمّ في وقت الربيع تذهب وتمسح عينيه[٤] بالرَّازِيانَج،[٥] ولذلك أمر الأطبّاء بغسل الرَّازِيانَج قبل أن يستعمل أكلًا وغيره حذَرًا مِن أن كان بقي فيه لعاب الحيّة.

قوله: (الرّيف) الرّيف: أرضٌ فيها خِصْبٌ وزَرعٌ.

---

١ ن: وكافرًا.

٢ ن: الأنعى.

٣ ن: فيصير.

٤ كذلك العبارة في الأصول الخطّيّة وردت على غير نسَق واحد في التذكير والتأنيث، ولعلّه مِن بعض النُّسّاخ.

٥ الرَّازِيانج: نبات يعرف اليوم بالشَّمَر. معجم متن اللغة لأحمد رضا، «رزي».

وهَوَامِّ الأَرْضِ= بابٌ وَاسِعٌ وشَوطٌ بَطِينٌ لا يُحِيطُ به وَصْفُ واصِفٍ، فسُبحانَ رَبِّي الأَعْلى.

وقرئ: ﴿قدَرَ﴾ بالتخفيف.

﴿أَحْوَىٰ﴾ صِفةٌ لِ﴿غُثَآءً﴾؛ أي: ﴿أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾: أَنبَتَهُ ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعدَ خُضرتهِ ورَفِيفه ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾: دَرِينًا أَسْوَدَ.

ويجوز أن يكُونَ ﴿أَحْوَىٰ﴾ حالًا مِن ﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾؛ أي: أخرجَهُ أَحْوَى أَسْوَدَ من شدَّةِ الخُضْرةِ والرِّيِّ فجعَله غُثاءً بعْدَ حُوَّتِه.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾

بَشَّرهُ اللهُ بإعطاءِ آيةٍ بيّنةٍ، وهيَ أن يَقْرأَ عليه جبريلُ ما يقرأُ عليه من الوَحْيِ وهُوَ أُميٌّ لا يَكتُبُ ولا يَقْرأ فيَحفَظَهُ ولا ينسَاه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فذَهَب بهِ عن حِفْظهِ برَفْعِ حُكمِهِ وتِلاوتِه؛ كقَوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة ٢/١٠٦].

وقيل: كان يَعْجَلُ بالقِراءة إذا لَقَّنَهُ جبريل، فقِيل: لا تَعجَلْ فإنَّ جبريل مأمُورٌ

قوله: (بطينٌ) أي: بعيدٌ.

قوله: (دَرِينًا) الدَّرِين: حُطام المَرعَى[1] إذا قَدُمَ، وهو ما بلِيَ مِن الحشيش، وقلّما ينتفع به الإبل.

قوله: (حالًا) وعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير كما أشار إليه.

قوله: (وقيل) عطف على قوله: (بشَّره).

قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أي: نعلِّمُك بقراءة جبرئيل عليك فلا تنسى، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهو ما نسَخ الله تلاوتَه مِن القرآن، كما قال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[2] [البقرة ٢/١٠٦]، والإنساءُ: نوعٌ مِن النسخ.

---

١ ن + خطام المرعى.

٢ ن: ننساها.

بأَن يَقرأهُ عَليك قِراءةً مُكَرَّرةً إلى أن تحفَظَهُ ثمَّ لا تَنسَاهُ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ثُمَّ تَذكُرَهُ بَعد النِّسيانِ.

أو قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يَعْنِي: القِلَّة والنَّدْرَة، كما رُوِي أنَّه أسقَطَ آيةً في قراءتِه في الصَّلاة فحسِبَ أُبَيٌّ أنَّها نُسِخَتْ فسأله فقالَ: «نُسِّيتُها».

أو قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ والغَرضُ نَفيُ النِّسيانِ رَأسًا؛ كما يقُولُ الرَّجلُ لصَاحبِهِ: "أنتَ سَهيمِي فيما أَملِكُ إلَّا فيما شاءَ اللهُ" ولا يَقْصِد استثناءَ شيءٍ، وهو مِن استعمالِ القِلَّة في مَعْنى النَّفي.

وقيل قولُه: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ عَلى النَّهيِ، والأَلِفُ مَزيدةٌ للفَاصِلةِ كقَوله: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب ٣٣/٦٧] يَعْني: فلا تُغْفِل قِراءتَه وتكريرَهُ فتَنسَاهُ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يُنْسِيَكَهُ برَفع تلاوتهِ للمَصْلحة.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ يَعْني: إنَّك تجهَرُ بالقِراءة معَ قراءةِ جَبْريل مَخافَةَ التَّفلُّتِ، واللهُ يَعْلم جَهْركَ مَعه ومَا في نَفسِك ممَّا يدعوكَ إلى الجَهْرِ، فَلا تَفعَلْ فَأَنا أَكفِيك ما تَخَافُه.

أو: يَعْلمُ ما أَسرَرْتُم ومَا أَعْلَنْتُم مِن أقوَالِكُم وأفعالكم، وما ظَهَر وما بَطَن مِن أَحْوالِكم، وَمَا هُو مَصْلحةٌ لكم في دِينكم ومَفسدَةٌ فيه، فيُنسي من الوَحْيِ ما يَشاء ويَتْركَ محفُوظًا ما يَشاء.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ مَعْطوفٌ على ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، وقولُه: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ اعتِرَاضٌ.

قوله: (سَهِيمي) السَّهْم: النَّصيب، والسَّهيم: الذي يساهِمك فيما يكون بينكما.

قوله: (فلا تُغفِل) يقال: أغفلتُ الشيءَ، أي:[1] تركته على ذِكرٍ منِّي، فالمعنى: لا تترك قراءتَه وتكريرَه، فيؤدِّي[2] ذلك إلى أنْ تنسَاه.

قوله: (مخافةَ / التَفلُّتِ) هذا على التفسير الثاني. [٤٥٨و]

---

[1] ن - أي.

[2] ن: فيردى.

ومَعناه: ونُوَفِّقُكَ لِلطَّرِيقةِ الَّتي هي أَيْسَرُ وأَسْهَلُ، يَعْنِي: حِفْظَ الوَحْيِ.

وقيل: للشَّرِيعةِ السَّمْحة الَّتي هي أَيْسَرُ الشَّرائع وأَسْهَلُها مَأخذًا.

وقيل: نُوَفِّقُكَ لعَملِ الجنَّةِ.

فإن قلتَ: كان الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم مأمُورًا بالذِّكْرَى نفَعَتْ أو لم تَنفَعْ فمَا مَعْنى اشتِراطِ النَّفْع؟

قلتُ: هو على وجهين:

أحَدُهما: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد استَفرَغَ مجْهُودَه في تَذكِيرهم، وما كانوا يَزِيدونَ على زِيادة الذِّكرَى إلَّا عُتوًّا وطُغْيَانًا، وكان النَّبيُّ يتلَظَّى حَسْرةً وتَلهُّفًا ويَزدَادُ جِدًّا في تذكيرِهم وحِرْصًا عليه، فقِيل لَهُ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق ٤٥/٥٠] ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌۚ﴾ [الزخرف ٨٩/٤٣] ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ وذلك بعدَ إلْزامِ الحُجَّةِ بتكريرِ التَّذكير.

والثاني: أَنْ يكُونَ ظاهِرُه شرطًا ومَعْناه ذَمًّا للمُذكَّرِين، وإخبَارًا عن حالِهِمْ واستبعادًا لتَأْثير الذِّكرَى فيهم، وتَسْجيلًا علَيهم بالطَّبع على قلُوبهم؛ كما تَقُولُ للوَاعِظ: "عِظْ المَكَّاسينَ إنْ سَمِعُوا مِنك"، قاصِدًا بهذا الشَّرْطِ استبعَاد ذلك وأنّه لَن يكُونَ.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾: سيقبَلُ التَّذكِرةَ وينتفِعُ بهَا ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ اللهَ وسُوءَ العَاقِبَةِ، فيَنظُرُ ويُفكِّرُ حَتَّى يَقُودَهُ النَّظَرُ إلى اتِّباع الحقِّ، فَأمَّا هَؤلاء فغَيرُ خاشِينَ ولا ناظِرين فلا تَأمُل أن يَقبَلُوا مِنك.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: ويَتجنَّبُ الذِّكْرَى ويَتحَامَاهَا ﴿ٱلْأَشْقَى﴾: الكافِرُ؛ لأنّه أَشْقَى من الفَاسِق، أو الَّذي هُو أَشقَى الكفرَةِ لِتَوغُّلِه في عَداوةِ رسُولِ الله.

قوله: (على زيادة) حالٌ مِن واو "يزِيدُون".

وقيل: نزلتْ في الوَليد بن المُغيرةِ وعُتبةَ بنِ رَبيعَة.

﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: السُّفلَى مِن أَطْبَاقِ النَّار.

وقيل: ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾: نار جهنَّمَ، والصُّغْرَى: نارُ الدُّنيَا.

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ لأنَّ التَّرجُّحَ بينَ الحيَاةِ والمَوتِ أَفظعُ مِن الصُّليِّ، فهوَ مُتَراخٍ عنه في مَراتبِ الشِّدَّة، والمَعْنى: لا يمُوتُ فيَسْتَرِيحَ ولا يَحْيَى حَياةً تَنفَعُه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

﴿تَزَكَّىٰ﴾: تَطهَّر مِن الشِّرك والمَعاصِي، أو: تطَهَّرَ لِلصَّلاة، أو: تكَثَّر مِن التَّقوَى، مِن الزَّكاءِ وهو النَّماء.

أو: تَفعَّلَ مِن الزَّكاةِ كتَصَدَّقَ من الصَّدَقةِ ﴿فَصَلَّىٰ﴾: فصَلَّى الصلواتِ الخمسِ؛ نحوَ قَوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة ٢/١٧٧].

وعن ابن مسْعُود رضي الله عنه: رحِمَ اللهُ امْرءًا تصَدَّقَ وصَلَّى.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه التَّصدُّقُ بصَدَقةِ الفطرِ، وقال: لا أُبالي أَن لا أَجِدَ في كِتابِي غيرَها لِقولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: أَعْطى زكَاة الفِطْر فتوجَّه إلى المُصَلَّى ﴿فَصَلَّىٰ﴾ صَلاةَ العيدِ ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ فكَبَّر تكَبيرةَ الافتتاحِ. وبه يُحتَجُّ على وجوب تكبيرة الافتتاح، ....

قوله: (الترَجُّح) أي: التردُّد، يعني:[١] أنَّ كونَ الشَّخص بحيث لا يموت ولا يَحيَى أشدُّ مِن أن يصلَى النار.

قوله: («لا أبالي أنْ لا أجدَ») أي:[٢] لا أبالي أنْ لم أجدْ في كتابِ أعمالي المكتوبِ بخطِّ الحَفَظَة غيرَ صدقة الفطر، فإنَّها تكفيني، أي: أنْ لا أجدَ يوم القيامة في كتابي الذي كُتِبَ فيه عملي غير صدقة الفطر.

١ ن: معنى.

٢ ن - أي.

وعلى أنَّها ليست مِن الصَّلاة لأنَّ الصَّلاة مَعطوفةٌ عليها، وعلى أنَّ الافتتاحَ جائزٌ بكلِّ اسْم من أسْمائه عزَّ وجلَّ.

وعن ابن عبَّاسٍ: ذَكر مَعَادَهُ ومَوقِفَه بين يدَي ربِّهِ فصَلَّى له.

وعن الضَّحَّاك: وذَكرَ اسْمَ رَبِّهِ في طَريق المُصَلَّى فصَلَّى صَلاة العيد.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تَفعلُونَ ما تُفْلِحُون به.

وقرئ: ﴿يُؤْثِرون﴾ على الغَيْبَةِ، ويعضُدُ الأُولى قراءةُ ابن مسعود: "بل أَنتُم تُؤثِرُونَ".

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾: أَفضَلُ في نفْسِها وأَنعَمُ وأَدْوَمُ.

وعن عمَر رضي الله عنه: ما الدُّنيَا في الآخِرة إلَّا كنَفْجةِ أَرْنبٍ.

﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿أبقى﴾ يَعْني: أَنَّ مَعنى هذا الكَلامِ وَارِدٌ في تلك الصُّحفِ، وقيل: إلى ما في السُّورة كلِّها.

ورُوي: عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أنَّه سَألَ رسولَ الله: كَم أَنزلَ اللهُ من كتابٍ؟ فقال: «مئةً وأَرْبعَةَ كُتبٍ، منها على آدَم عَشْرُ صُحُفٍ، وعلى شِيثٍ خمسُون صحِيفةً، وعلى أُخنُوخَ -وهُو إدْريسُ- ثَلاثُونَ صحيفةً، وعلى إبراهيمَ عَشْرُ صحَائف، والتوراةُ والإنجيلُ والزبور والفُرقانُ».

قوله: (لأنّ الصلاة معطوفةٌ عليها) وجوابه: أنّ المراد بقوله: ﴿فَصَلَّىٰ﴾ على هذا الوجه: أتمّ[1] الصلاة.

قوله: (جائزٌ بكلِّ اسمٍ) وجوابه: أنّ بيان النبيّ عليه الصلاة والسلام دلّ على أنّ المراد بذكر[2] اسمه هو[3] "التكبير"، حيث قال صلّى الله عليه وسلّم: «تَحريمُها التّكبير».[4]

قوله: (كَنَفْجَةٍ)[5] أي: وَثْبة.

---

١ ن: اثم.
٢ ن: يذكر.
٣ ن: على.
٤ ن - التكبير. | سنن أبي داود، ١/٤٥ (٦١)؛ سنن الترمذي، ١/٤٥ (٣).
٥ ن: كنفخة.

وقيل: إنَّ في صُحُف إبراهيمَ: يَنبَغي للعَاقلِ أن يكونَ حَافِظًا لِلسَانه عارِفًا بزمانِه مُقْبِلًا على شأنِه.

عن رسول الله عليه السَّلام: «من قَرأَ سُورة الأَعْلى أعطَاهُ الله عشرَ حسَناتٍ بعَدَد كلِّ حرْفٍ أَنْزَلَهُ اللهُ على إبراهيم ومُوسى ومحمَّدٍ».

وكان إذا قَرأَها قال: «سُبحانَ ربِّي الأَعلى».

وكان عَليٌّ وابنُ عبَّاسٍ رضي الله عَنهما يَقُولانِ ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم يُحِبُّها.

وقال: «أَوَّلُ مَن قال: سُبْحانَ رَبِّي الأَعْلَى مِيكَائيلُ» صلواتُ الله عليه وسلامُه.

تمَّت السورة بحمد الله تعالى.[1]

---

[1] ف – السورة بحمد الله تعالى.

سورة الغاشية

مكيَّةٌ، وهي ستٌّ وعشرونَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧﴾

"الغاشية": الدَّاهيةُ الَّتي تَغْشَى النَّاسَ بشدائِدها وتُلْبِسُهمْ أَهوالَهَا، يَعْنِي: القِيامةَ، من قَوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [العنكبوت ٢٩/٥٥].

وقيل: النارُ، من قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم ١٤/٥٠] ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف ٧/٤١].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ إذ غَشِيَتْ ﴿خَـٰشِعَةٌ﴾: ذليلةٌ.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾: تَعمل في النَّار عملًا تَتعَبُ فيه، وهُو: جَرُّهَا السَّلاسلَ والأَغْلالَ، وخَوْضُها في النَّار كما تَخُوضُ الإِبلُ فِي الوَحل، ....

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ "هل" استفهامٌ، ومعناه ههنا: تعظيم المُستَفهَم عنه، أي: تنبّه للغاشية.

قوله: (بشدائدها) الباء للتعدية.

[1] ف ن – وبه نستعين.

وارْتِقاؤهَا دائبةً في صَعُود من نارٍ وهُبُوطُها في حَدُورٍ منها.

وقيل: عمِلَتْ في الدُّنيا أعْمالَ السّوْء والتَذَّتْ بها وتَنعَّمَتْ، فهيَ في نَصَبٍ منها في الآخِرة.

وقيل: عَمِلتْ ونصِبَتْ في أَعْمالٍ لا تُجْدِي عليها في الآخِرة، من قولهِ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان ٢٥/٢٣] ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف ١٨/١٠٤] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [آل عمران ٣/٢٢].

وقيل: هُم أصحابُ الصَّوامع، ومَعناهُ: أنَّها خشعَتْ لله وعمِلَتْ ونَصبَتْ في أَعْمالها من الصَّوم الدَّائِب والتَّهَجُّد الوَاصِب.

وقرئ: "عامِلةً ناصبةً" على الشَّتم.

قرئ: ﴿تَصْلَىٰ﴾ بفتح التاء، و: ﴿تُصْلى﴾ بضمِّها، و: "تُصلَّى" بالتشديد.

وقيل: المَصْلِيُّ عِند العَرب: أَن يَحْفِرُوا حَفِيرًا فيَجمَعُوا فيه جَمْرًا كثِيرًا،

قوله: (في صَعود)... إلخ، الصَّعود: المكان الذي يُصعد فيه كالهضبة، ضدُّ الحَدور، وهو المكان الذي يُهبَطُ فيه، وهو المنخَفِض مِن الأرض.

قوله: (ومعناه) أي: على الوجه الأخير.

قوله: (الدائب) دأَبَ فلان في عمله، أي: جَدَّ وتعِب،[1] والواصِبُ: الدائم.

قوله: (الواصِب) يعني: وما نفعها هذه الأفعال؛ لأنّها لم تكن مع الإيمان.

قوله: (وقيل: المَصْلِيُّ عند العرب)... إلخ، يشير به إلى أنّ معنى الآية مثل قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف ٧/٤١]، ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت ٢٩/٥٥]، ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر ٣٩/١٦]، ويؤيّد المعنى الذي ذكره المصنِّف بيت الحماسة:

فَبِتْنا وباتَتْ قِدْرُنا ذاتَ هِزّةٍ لنا قبلُ[2] ما فيها شِواءٌ ومُصْطَلَى[3]

---

[1] ن: وهب.

[2] ن: قيل.

[3] انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٣/١٥٠٤.

ثـمَّ يَغمِدُوا إلى شَاةٍ فيَدُسُّوهَا وَسْطَه، فَأَمَّا ما يُشْوَى فوق الجمْرِ أو على المِقْلَى أو في التَّنُّورِ فلا يُسمَّى مَصْلِيًّا.

﴿ءَانِيَةٍ﴾: مُتناهيةٍ في الحَرِّ؛ كقَوله: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن ٥٥/٤٤].

"الضَّرِيع": يَبِيسُ الشِّبْرِق، وهو جِنسٌ مِنَ الشَّوْكِ تزعَاهُ الإبلُ ما دام رَطْبًا، فإذا يَبِسَ تحَامَتْهُ وهو سمٌّ قاتِلٌ؛ قال أبُو ذؤَيْبٍ:

رَعَى الشِّبْرِقَ الرَّيَّانَ حتى إذا ذَوَى وعـادَ ضَرِيعًا بـانَ عنْهُ النَّحائِصُ

وقال:

وَحُبِسْنَ في هَـزْمِ الضَّرِيعِ فكُلُّها حَـدْبـاءُ دامِـيَـةُ الـيَـدَيـن حَـرُودُ

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ وفي الحاقَّةِ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة ٦٩/٣٦]؟

قلتُ: العذابُ ألْوانٌ والمعَذَّبُونَ طَبَقَاتٌ: فمِنْهم أَكَلَةُ الزَّقُّومِ، ....

قوله: (فيَدُسُّوها)[١] أي: فيدفنوها ويخفوها.

قوله: (يَبِيسُ الشِّبْرِقِ)[٢] اليَبِيس مِن النبات: ما يبِس منه، يقال: يبِسَ فهو يَبِيسٌ، مثل: سلِم فهو سليمٌ. والشِّبرِق بالكسر: نَبتٌ وهو رَطْب الضَّريع.

قوله: (النَّحائص) النَّحوص: الأتان الحائل،[٣] و"النَّحائص" جمعُه.

قوله:

(وحُبِسْـنَ فـي هَـزْمِ الضَّرِيـعِ)... البيـتَ[٤]

الهَزْمُ: ما يبِسَ وتكسَّر مِن الضَّريع. والحَرودُ: قليلة اللَّبَن. وحدباء: مِن الحَدَبِ؛ وهو انحناء الظَّهر. يصِف نُوقًا حُبِسْنَ في مَرعى سَوء غيرِ ناجعٍ، هُزِلْنَ فكلُّهنّ داميات الأيدي مِن وَضعِها على الضَّريع ذي الشَوك، قليلة اللَّبَن.

---

١ ن: قيل شواها.

٢ ن: يبين السوق.

٣ الأتان: أنثى الحمار، والحائل: كُلّ حامِلٍ ينقطع عنها الحَمْل سنة أو سنواتٍ حتّى تحمِل. لسان العرب لابن منظور، «أتن»، «حول».

٤ البيت لقَنِيس بن عَيْزارة الهُذَلِي. انظر: لسان العرب لابن منظور، «ضرع».

ومِنهم أَكَلَةُ الغِسْلينِ، ومِنْهُم أَكَلَةُ الضَّريع، لكُلِّ بابٍ منهُم جُزءٌ مَقسُومٌ.

﴿لَا يُسْمِنُ﴾ مَرْفُوعُ المحَلِّ أو مَجرُورُه على وَصْفِ ﴿طَعَامٌ﴾ أو ﴿ضَرِيعٍ﴾، يَعْني: أَنَّ طعَامَهُم مِن شيءٍ ليس من مَطاعم الإنْسِ، وإنَّما هُوَ شَوْكٌ، والشَّوْكُ مِمَّا تَرْعَاهُ الإبلُ وتتَولَّعُ به، وهذا نوْعٌ مِنه تنفِرُ عَنه ولا تَقْرَبُه، ومنفَعَتا الغِذاء منتفيَتانِ عنه: وهُما إماطةُ الجُوع وإفادةُ القُوَّةِ والسِّمَنِ في البَدنِ.

أو أُرِيدَ: أَنْ لا طعامَ لَهُم أَصْلًا؛ لأنَّ الضَّرِيعَ ليسَ بطعامٍ للبهائم فَضْلًا عن الإنس؛ لأنَّ الطَّعام ما أشبَعَ أو أَسْمَنَ وهُوَ مِنهما بمَعْزِلٍ؛ كما تقُولُ: "ليسَ لفُلانٍ ظِلٌّ إلَّا الشَّمْسُ" تُرِيدُ نفيَ الظِّلِّ عَلى التَّوكيدِ.

وقيل: قالَتْ كفَّارُ قُرَيشٍ: إنَّ الضَّريع لَتَسْمَنُ علَيه إبِلُنَا، فنزلت: ﴿لَا يُسْمِنُ﴾. فلا يَخْلُو:

إمَّا أن يَتكذَّبُوا ويَتعنَّتُوا بذلِك وهو الظَّاهِرُ، فيُرَدُّ قَولُهم بَنفيِ السِّمَنِ والشِّبَعِ.

قوله: (مرفوعُ المَحلِّ أو[1] مَجرورُه) وبيان ذلك: أنّ قوله: ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ استثناء مُفرَّغٌ، مرفوعٌ[2] على أنّه صفة ﴿طَعَامٌ﴾، تقديره: ليس لهم طعام مِن شيء [٤٥٨ظ] / مِن الأطعمة إلّا مِن ضريعٍ، فقوله: ﴿لَا يُسْمِنُ﴾ يجوز أن يكون صفة أيضًا مثل: ﴿مِن ضَرِيعٍ﴾، ويجوز أن يكون صفة ﴿ضَرِيعٍ﴾،[3] أمّا على الأوّل فكأنّه قيل: ليس[4] لهم طعامٌ إلّا طعامٌ موصوف بأنّه مِن ضريع، وبأنّه لا يُسمِن ولا يغني مِن جُوع، وأمّا على الثاني فكأنّه قيل: إلّا مِن ضَريع موصوف بأنّه لا يُسمن.

قوله: (وهذا) أي: الضَّريع.

قوله: (منه)[5] أي: مِن الشَّوك.[6]

قوله: (تنفِر عنه) أي: تنفِر الإبل عنه.

---

[1] ن: أي.
[2] ن: موضوع.
[3] ن – فقوله: ﴿لَا يُسْمِنُ﴾ يجوز أن يكون صفة أيضًا مثل: ﴿مِن ضَرِيعٍ﴾، ويجوز أن يكون صفة ﴿ضَرِيعٍ﴾.
[4] ف – ليس.
[5] ن + أي: منه.
[6] ف: الشرك.

وإمَّا أَنْ يصْدُقوا فيكُونَ المَعنى: إنَّ طعَامَهُم من ضَرِيعٍ ليس مِن جِنس ضَرِيعكُم، إنَّما هُوَ مِن ضَرِيعٍ غَيرِ مُسْمِنٍ ولا مُغْنٍ مِن جُوع.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾

﴿نَّاعِمَةٌ﴾: ذاتُ بَهْجةٍ وحُسْنٍ؛ كقَوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين ٢٤/٨٣]، أو: مُتنعِّمَةٌ.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: رَضِيَتْ بعَملها لمَّا رَأَتْ ما أدَّاهُم إلَيْه من الكرَامةِ والثَّوابِ.

﴿عَالِيَةٍ﴾ من عُلوِّ المكانِ أو المِقْدارِ.

﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ يا مُخاطَبُ، أو: الوُجُوهُ.

﴿لَٰغِيَةً﴾؛ أي: لغوًا، أو كلِمةً ذاتَ لَغْوٍ، أو نفسًا تَلْغُو، لا يَتكلَّمُ أهْلُ الجنَّة إلَّا بالحِكمةِ وحَمْدِ الله على ما رَزَقَهُمْ مِن النَّعيم الدَّائم.

وقرئ: ﴿لا تُسمَعُ﴾ على البناء للمفعول بالتاء والياء.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يُريدُ: عُيونًا في غايةِ الكَثرة؛ كقَوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير ١٤/٨١].

قوله: (أو الوجوه) عطف على قوله: (يا مخاطَب)، يعني: يجوز أن يكون التاء في ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ للخِطاب أو للمؤنّث.[١]

قوله: (لَغوًا) يعني: يجوز أن يكون مصدرًا أو صفة، فإن كان صفةً فإمّا صفة "كلمة"، فالمعنَى: ذاتَ لغوٍ، أو صفة "نفس"، وهو ظاهرٌ.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ قال بعض العارفين في قوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: "هذه لِمن عينُه جاريةٌ حياءً من ربّه".[٢]

---

١ ن: للموت.

٢ قال ابن الجوزي: «طالما أطالوا البكاء في الليل، تجري دموعهم جري السَّيل، وتستبق في صحراء الخدود كالخيل، وإنّما يُكال للعبد على قدر الكيل، فإذا دخلوا الجنّة فلِكلِّ عين جارية ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾». التبصرة لابن الجوزي، ٤٢٣/١.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ مِن رفعةِ المقدارِ أو السَّمْكِ؛ ليَرى المُؤمِنُ بجُلُوسهِ عليه جميعَ ما خوَّلَه ربُّه من المُلك والنَّعيم.

وقيل: مَخْبُوءَةٌ لَهُم، مِن رفعَ الشَّيءَ: إذا خَبأهُ.

﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ كلَّما أرَادُوها وجَدُوها موْضُوعةً بيْنَ أَيْديهم عَتِيدةً حاضِرةً لا يَحْتاجُونَ إلى أَنْ يدْعُو بهَا، أو: مَوضُوعةٌ على حَافَاتِ العُيونِ مُعَدَّةٌ للشُّرْبِ.

ويجوز أن يُرادَ: مَوضُوعةٌ عن حَدِّ الكبارِ، أوْسَاطٌ بينَ الصِّغَرِ والكِبَرِ؛ كقَوْله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان ١٦/٧٦].

﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بَعضُها إلى جَنْبِ بعضٍ، مسَانِدَ ومَطارِحَ أيْنَما أرادَ أن يَجْلِسَ جلَس على مِسْوَرةٍ واستَندَ إلى أُخرَى.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾: وبُسطٌ عِرَاضٌ فاخِرةٌ، وقيل: هي الطَّنَافِسُ الَّتي لهَا خَملٌ رَقِيقٌ، جَمْعُ زِرْبِيَّةٍ.

قوله: (خوَّله) أي: أعطاه.

قوله: (على مِسْوَرةٍ) المِسْوَرة: الوِسادة التي يُجلَسُ عليها.

قوله: (الطنافس) واحدُها: الطَّنْفَسَةُ والطِنْفَسَة.

قوله: (خَملٌ) أي: هُدْبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أي: وسائدُ ومَرافق مصفوفةٌ بعضها بجنب بعض، واحدتها: نُمرُقة بضمّ النون.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ[1] إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ قيل: تلفيقها بالأوّل هو أنّهم قالوا: كيف يَصعَدُ[2] المؤمنُ السَّرير الموصوف بالطول المذكور؟ فذكر الله الإبل، أي: إنّ السَّرير يُطأطِئ للمؤمن كما يُطأطِئ الإبل رأسها لراكبها.

---

[1] ن + قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾.

[2] ن: يضعه.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مبسوطةٌ، أو مفرقةٌ في المجَالِس.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ نَظرَ اعْتبارٍ ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خَلْقًا عجيبًا دالًّا على تقديرِ مُقَدِّرٍ، شاهِدًا بتدبيرِ مُدَبِّرٍ، حيثُ خلقَها لِلنُّهُوضِ بالأَثقال وجَرِّها إلى البِلادِ الشَّاحِطَةِ، فجعَلَها تبرُكُ حَتَّى تُحمَّلَ عن قُرْبٍ ويُسْرٍ ثم تنهَضُ بما حُمِّلَتْ، وسَخَّرها مُنقَادةً لكلِّ مَن اقتادهَا بأَزِمَّتِها لا تُعازُّ ضَعِيفًا ولا تُمانِعُ صَغيرًا، وبَرَأَهَا طِوالَ الأَعْناق لِتَنُوءَ بِالأَوقارِ.

وعن بعض الحكماء: أنَّه حُدِّثَ عن البَعيرِ وبَديعِ خَلقِه، وقد نشَأَ في بلادٍ لا إبِلَ بها، فَفكَّرَ ثم قال: يُوشِك أَن تكون طوالَ الأعناقِ.

وحين أَرَادَ بها أن تكونَ سَفائنَ البَرِّ صَبَّرها على احتمالِ العَطشِ حَتَّى إنَّ أَظْمَاءهَا لتَرتَفِع إلى العِشْر فصَاعِدًا، وجعَلَها تَرْعَى كُلَّ شيءٍ نابتٍ في البَرارِي والمَفاوِز ممَّا لا يَرْعاه سَائرُ البَهائم.

قوله: (ولا تُعازُّ) مفاعلة مِن قولهم:[١] عَزَّه يَعُزُّه،[٢] أي: غلبه، ومنه قولهم: "مَن عَزَّ بَزَّ"،[٣] أي: مَن غَلَبَ[٤] سَلَبَ.

قوله: (وحين) منصوب بـ"صبَّر"، والجملة عطف على قوله: (خلَقها فجعَلها)... إلخ، أعني: ليس في حكم المعطوفات بالفاء المعقِّبَة، فتأمَّل.

قوله: (إلى[٥] العِشْر) "العِشْر" بالكسر: ما بين الوِردَين[٦] ثمانية أيام؛ لأنَّها تَرِد اليوم العاشر، والظِمْءُ:[٧] ما بين الوِردَين،[٨] وهو حبس الإبل عن الماء إلى غاية الوِرْد، والجمع الأظْمَاء.

---

١ ن: قوله.
٢ ن: غره يغره.
٣ ن: عزير.
٤ ن – غلب.
٥ ن: بإلى.
٦ ن: الورودين.
٧ ن: الظلم.
٨ ف – ثمانية أيام؛ لأنها ترِد اليوم العاشر، والظِمْءُ: ما بين الوِردَين.

وعن سعيد بن جُبيْرٍ قال: لَقِيتُ شُرَيْحًا القاضِي فقلتُ: أينَ تُرِيدُ؟ قال: أُرِيدُ الكناسَة، قُلتُ: وما تَصْنَعُ بها؟ قال: أنظرُ إلى الإبلِ كيف خُلِقَتْ.

فإن قلتَ: كَيف حَسُنَ ذِكر الإبل مع السَّماءِ والجبالِ والأَرض ولا مُناسبةَ؟

قلتُ: قد انتظَم هذه الأَشياءَ نَظرُ العَرب في أَوْدِيَتِهِم وبَوادِيهِم، فانتظَمها الذِّكرُ على حسَبِ ما انتَظَمها نظرُهم، ولم يَدْعُ مَن زَعم أنَّ الإبلَ السَّحابُ إلى قوله إلَّا طلَبُ المُناسَبةِ، ولَعلَّهُ لم يُرِدْ أنَّ الإبلَ مِن أسماء السَّحابِ كالغَمام

قوله: (الكُناسة) موضعٌ بالكوفة، كنَسَ[1] البيتَ -أي: كَسَحَه[2] بالمِكنسة- كَنْسًا، مِن باب ضرَبَ، والكُناسة: الكُساحة، وموضع الكُساحة أيضًا، وبها سمِّيت كُناسة كوفان،[3] وهي موضع قريب مِن الكوفة، قُتِل بها زيد بن عليّ رضي الله عنهما، والصواب ترك حرف التعريف، هكذا ذُكِر في المُغرِب،[4] وأنا أقول: وذلك لكونها علَمًا لبُقعة[5] معيّنة، وقيل: "الكُناسة" موضعٌ يُعرَض فيه الإبل.

قوله: (قلتُ: قد[6] انتظم) وذلك أنّ أهل الوَبَر إذا كان مطعمُهم ومشرَبُهم وملبسُهم مِن المواشي كانت عنايتهم مصروفةً لا محالة إلى أكثرها نفعًا وهي الإبل، ثمّ إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصّل إلّا بأن ترعَى وتشرب كان جُلُّ مَرمى[7] غرَضهم نزولَ المطر، وأهمُّ[8] مسارِح[9] النظر عندهم السماء، ثمّ إذا كانوا مضطرّين إلى مَأوًى يُئويهم ولا مَأوى[10] ولا حِصنَ إلّا الجبال، فما ظنُّك بالتِفات

[٤٥٩و] / خاطرهم إليها، ثمّ إذا تعذّر طول مَكثِهم في مَنزلٍ كان عقد الهِمَّة[11] عندهم بالتنقّل مِن أرضٍ إلى سِواها مِن عزم الأمور.

قوله: (مَن زَعَمَ)[12] مفعول "لم يَدْعُ"، وقوله: (إلّا طلَبُ) فاعله.

---

[1] ن: ليس.
[2] ن: نسحه.
[3] ن: لوفان.
[4] المُغرِب للمطرّزي، «كنس».
[5] ن: لنقعة.
[6] ن: وقد.
[7] ف: مرمي.
[8] ن: وهم.
[9] ن: سارح.
[10] ن - يؤويهم ولا مأوى.
[11] ن: الجمة.
[12] ن: عزم.

والمُزْنِ والرِّبابِ والغَيْمِ والغَيْنِ وغَيرِ ذلك، وإنَّما رَأى السَّحَابَ مُشبَّهًا بالإبلِ كثيرًا في أَشعارِهم فجَوَّز أن يُراد بها السَّحابُ على طريقِ التَّشبيهِ والمجَازِ.

﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ رَفْعًا بعيدَ المدَى بلا مِسَاكٍ وبِغيْرِ عَمدٍ.

و﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ نصبًا ثابِتًا فهيَ راسِخةٌ لا تَمِيلُ ولا تَزُولُ.

و﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ سَطْحًا بتَمهيدٍ وتوطئةٍ فهيَ مِهادٌ للمُتَقلِّبِ عَليْها.

وقَرأ عليٌّ رضي الله عنه "خَلَقْتُ" و"رَفَعْتُ" و"نَصَبْتُ" و"سَطَحْتُ": على البناء للفاعِل وتاءِ الضَّميرِ، والتَّقديرُ: فَعَلْتُها، فحُذِفَ المفعُول.

وعن هارون الرَّشيدِ أنَّه قَرأ: "سُطِّحَتْ" بالتَّشديد.

والمَعنى: أفلا يَنظُرون إلى هذه المَخلُوقاتِ الشَّاهِدةِ على قُدْرة الخالِق حَتَّى لا يُنكِرُوا اقتدارَه على البَعْثِ، فيسمَعُوا إنذارَ الرَّسُولِ ويُؤمِنُوا به ويَستَعِدُّوا للقائه؛ أي: لا يَنظُرونَ فذَكِّرهُم ولا تُلِحَّ عليهم ولا يُهِمَّنَّكَ أنَّهم لا يَنْظُرونَ ولا يذَّكَّرُونَ.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ كقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى ٤٢/٤٨].

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: بمُتَسلِّطٍ؛ كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق ٥٠/٤٥].

قوله: (عمَدٍ) العَمود: عمود البيت، وجمع القِلَّة: أعمِدةٌ، وجمع الكَثرة: عَمَدٌ وعُمُدٌ، وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة ١٠٤/٩].[1]

قوله: (أي: لا ينظرون) يعني: أنَّ الاستفهام في ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ للتقرير، يعني: أنَّهم لا ينظرون إلى هذه الأشياء نظرَ تفكُّرٍ، فذكِّرهم أنت لكن لا تُلِحَّ، فإنَّك لستَ عليهم بمُسَيطر.

---

[1] ﴿عَمَدٍ﴾ [الهمزة ١٠٤/٩]: قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر شعبة بضمِّ العين والميم، وقرأ باقي القرَّاء العشر بفتحهما. النشر لابن الجزري، ٢/٤٠٣.

وقِيل: هو في لُغةِ تميمٍ مَفتُوحُ الطَّاء على أَنَّ "سَيْطرَ" مُتَعَدٍّ عِندهم، وقَولُهم: "تَسيْطَرَ" يدُلُّ عَليه.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ استثناءٌ مُنقطعٌ؛ أي: لَسْتَ بمُستوْلٍ عليهم ولكنْ مَن تولّى مِنهم فإنَّ لله الولايةَ والقَهْرَ، فهُو يُعَذِّبُه ﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ الَّذِي هو عَذابُ جهنَّم.

وقِيل: هو استِثناءٌ من قوْلهِ: ﴿فَذَكِّرْ﴾؛ أي: فَذَكِّرْ إلَّا مَن انقَطَع طَمعُكَ من إيمَانهِ وتَوَلَّى فاستَحَقَّ العذابَ الأكبرَ، وما بَيْنهما اعتِراضٌ.

وقرئ: "أَلا مَن تَولَّى" على التَّنبيهِ.

وفي قراءة ابنِ مسعُود: "فإنَّه يُعَذِّبُه".

وقَرأَ أبُو جَعفرٍ المَدَنيُّ: ﴿إِيَّابَهُم﴾ بالتَّشْدِيد، ووَجْهُه: أَن يكُونَ فِيعالًا مَصْدرَ أَيَّب: فَيْعلَ، من الإِيَابِ، أو أن يكُونَ أَصْلُه إوَّابًا: فِعَّالًا من أوَّبَ، ثُمَّ قِيل: إِيوابًا؛ كدِيوانٍ في دِوَّانٍ، ثُمَّ فُعِل به ما فُعِل بأصْل: سيِّدٍ.

فإن قلتَ: ما مَعنى تقديم الظَّرْفِ؟

قلت: مَعناه: التَّشديدُ في الوعيدِ، وأَنَّ إيابَهُم ليس إلَّا إلى الجبَّار المُقتَدِر على الانتِقام، وأَنَّ حسَابَهُم ليس بواجبٍ إلَّا عَليه، وهو الَّذي يُحاسِبُ علَى النَّقِير والقِطْمِير.

ومَعنى الوُجوبِ: الوجوبُ في الحكمة.

قوله: (مفتوح[1] الطاء) فيكون اسم مفعول.

قوله: (يدلُّ) لمَّا جاء "تَسَيطرَ" بمعنى تَسلّط دلّ عليه أنّ "سَيطَر" مُتعدٍّ، كما قالوا: دَحرَج وتدَحرَج.

قوله: (فإنّ لله الولاية) يعني: أنّ الجزاء محذوف، والمذكور هو مُسبَّبٌ[2] منه.

قوله: (أو أن يكون أصلُه) هذا وجهٌ آخرُ.

قوله: (ثمّ فُعِلَ) أي: أُدغِم.

---

[1] ن: سرح.

[2] ن: سبب.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأَ سورةَ الغاشيةِ حَاسَبهُ اللهُ حسَابًا يَسيرًا».

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.[١]

---

١ ف – السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن – ومنّه وكرمه.

سورة الفجر

مكيَّة، وعن الضحاك: أنها مدنيةٌ،

وهي تسعٌ وعشرون، أو ثلاثون، أو ثنتانِ وثلاثون.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥﴾

أَقْسَم بالفَجْر كما أَقْسَم بالصُّبْح في قولِهِ: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ [المدثر ٣٤/٧٤] ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير ١٨/٨١]، وقيل: بصلاة الفجر.

وأرادَ بـ"الليالي العَشْرِ": عشْرَ ذي الحجَّةِ.

فإن قلتَ: فما بالُها مُنكَّرةً من بينِ ما أُقْسِمَ بهِ؟

قلتُ: لِأنَّها لَيالٍ مخصُوصةٌ من بَين جنسِ اللَّيالي العَشْرِ: بعْضٌ منها، أو مَخصُوصةٌ بفضيلةٍ لَيْسَتْ لغيرها.

سورة الفَجْر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (وقيل: بصلاة) عطف على قوله: (بالفجر)، فالأوّل: إشارة إلى أنّه أقسَم بالفجر. والثاني: إلى أنّه أقسَم بصلاة الفجر.

قوله: (بعضٌ منها) أي: مِن جنس الليالي العشر، وقوله: (أو مخصوصةٌ) عطفٌ على "بعضٌ"، ذكَر أوّلًا أنّها[2] مخصوصة مِن بين جنس الليالي العشر،

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ن: لأنّها.

فإن قلتَ: فهَلَّا عُرِّفَتْ بلامِ العهْدِ لأنَّها ليَالٍ معلومةٌ مَعهُودةٌ؟

قلتُ: لو فُعِل ذلك لم تَسْتقِلَّ بمَعنى الفَضِيلة التي في التنكيرِ، ولأنَّ الأحسَنَ أن تكُونَ اللَّاماتُ متجانسةً ليكون الكلامُ أبْعَدَ مِن الإلغازِ والتَّعْميةِ.

وبـ"الشَّفعِ والوِتْرِ": إمَّا الأشيَاءَ كلَّها شَفْعَها ووِترَها، وإمَّا شَفْعَ هذِه اللَّيالِي ووِتْرَها.

ويجوز أن يكونَ شَفْعُها يومَ النَّحْر ووَتْرُها يَومَ عَرفةَ لأنَّه تَاسِعُ أيَّامِها وذاك عاشِرُها، وقد رُوِي عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه فسَّرَهُما بذلك.

وقد أكثَرُوا في الشَّفْع والوَتْرِ حَتَّى كادُوا يَسْتوعِبُون أَجناس ما يقعَانِ فيه، وذلك قليلُ الطَّائلِ جدِيرٌ بالتَّلَهِّي عنه.

وبَعْدَما أقسَم باللَّيالي المخصُوصة أقسَم باللَّيل على العُموم.

ثمّ ذكَر بهذه[1] الخُصوصيّة وجهين: الأوّل: أنّ المراد البَعضيّة. والثاني: أنّ المراد الفَضيلة.[2]

قوله: (لم تَستَقِلّ)...[3] إلخ، مبنيّ على ما إذا كان المراد الفضيلة.

قوله: (ولأنّ)... إلخ، على أنّ المراد البَعضيّة.

قوله: (متجانسةً) يعني: لو عُرِّف[4] بلام العهد لاختلف اللامات، إذ يكون في "الليالي العشر" للعهد، وفي الباقيات للجنس، وهو غير مستحسَن.

قوله: (وقد أكثروا) أي: ذكر العلماء أقوالًا كثيرةً في معنى "الشفع والوَتر".

قوله: (ما يقعان) أي: "الشفع والوَتر".[5]

قوله: (بالتلهّي) التلهّي: التشاغُل، يقال: لهَى[6] عنه.

قوله: (المخصوصة) أي: ليال عشر.

---

[1] ن: لهذه.

[2] ن: التفصيليّة.

[3] ن: لم يستقم.

[4] ن: عرت.

[5] ن – قوله: (ما يقعان) أي: "الشفع والوَتر".

[6] ن: لها.

﴿إذا يسرى﴾: إذا يَمْضِي؛ كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر ٣٣/٧٤] ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التكوير ١٧/٨١].

وقرئ: ﴿وَٱلۡوَتۡرِ﴾ بفتح الواوِ، وهُما لُغتانِ -كالحَبْر والحِبْرِ- في العَدِدِ، وفي التِّرَةِ: الكَسْرُ وَحْده.

وقرئ: "والوَتِر" بفتح الوَاوِ وكسرِ التَّاء، روَاهَا يُونسُ عن أبي عَمْرٍو.

وقُرِئ: "والفَجرٍ" "والوِتْرٍ" و"يَسْرٍ" بالتَّنوين، وهو التَّنوينُ الَّذي يقعُ بَدلًا من حَرْفِ الإِطْلاقِ.

وعن ابن عبَّاسٍ: "وليالِ عَشْرٍ" بالإضافةِ، يُريدُ: ولَيالِ أيَّامِ عَشْرٍ.

وياءُ ﴿يسرى﴾ تُحذفُ في الدَّرْجِ اكتفاء عَنها بالكسرة، وأمَّا في الوَقْف فتُحذَفُ مَع الكَسرة.

وقيل: مَعنى ﴿يسرى﴾: يُسرَى فيه.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيمَا أقسَمتُ به من هذه الأشياء ﴿قَسَمٌ﴾؛ أي: مُقسَمٌ به ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾ يُريد: هل يَحِقُّ عنده أَن تُعظَّمَ بالإِقسام بها، أو: هَل في إِقْسامي بهَا إقسَامٌ لِذي حِجْرٍ؛ أي: هَل هُوَ قسَمٌ عظِيمٌ يؤكَّدُ بمِثله المقسَمُ عَليه.

و"الحِجْرُ": العقْلُ؛ لأنَّه يَحجُر عن التَّهافُتِ فيما لا ينبَغِي؛ كما سُمِّيَ عقْلًا ونُهْيَةً لأنَّه يَعْقِلُ ويَنهَى، وحَصَاةً من الإِحصاءِ وهو الضَّبْطُ، وقال الفَرَّاءُ: يُقال: إنَّه لَذُو حجْرٍ: إذَا كان قاهِرًا لنَفْسِه ضَابطًا لها.

قوله: (كالحَبْر) "الحَبْر" بفتح الحاء وكسرها: واحد أحبار اليهود.

قوله: (وفي التِّرَة) التِّرَة: الحقد.

قوله: (مع الكسرة) أي: تُحذف[1] الكسرة أيضًا.

قوله: (أي: فيما أقسمتُ به) الغرَض أنَّها محلٌّ للتعظيم والقَسَم، وليس باستفهام على الحقيقة.

---

[1] ن: تجدف.

والمُقسَمُ عليه محذُوفٌ وهُو: "لَيُعَذِّبُنَّ" يدُلُّ عليه قولُه: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ إلى قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾

قيل: لعَقِب عادِ بن عُوصِ بنِ إرَمَ بن سام بن نُوحٍ: عَادٌ، كما يُقالُ لبَني هاشمٍ: هاشمٌ، ثم قيل لِلأوَّلين منهُم: عادٌ الأُولى، وإرَمُ تسميةٌ لَهُم باسْم جَدِّهم، ولمن بَعْدَهُم: عادٌ الأَخِيرةُ، قال ابنُ الرُّقيّاتِ:

مَــجْــدًا تَــلِــيــدًا بَــنَــاهُ أَوَّلُــهُ   أَدْرَكَ عــــادًا وقَبْلَهـــــا إرمـــــا

فـ﴿إِرَمَ﴾ في قوله: ﴿بِعَادٍ ۝ إِرَمَ﴾ عطفُ بيانٍ لِـ﴿عَادٍ﴾ وإيذانٌ بأنَّهم عادٌ الأُولى القديمةُ.

وقيل: ﴿إِرَمَ﴾ بَلْدَتُهُم وأَرْضُهُم التي كانوا فيها، ويدُلُّ عليه قراءةُ ابنِ الزُّبيْرِ: "بِعادِ إِرَمَ" على الإضافةِ، وتَقديرُه: بعَادِ أَهْلِ إرَمَ؛ كقَوله: ﴿وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ٨٢/١٢] ولم تَنْصَرف -قبيلةً كانَتْ أو أَرْضًا- للتَّعرِيفِ والتَّأنِيثِ.

وقرأ الحسَنُ: "بعادَ إرَمَ" مَفتُوحتَين.

قوله: (لِعَقِبِ عاد) أي: لأولاد عاد.

قوله:

(مَـــجْـــدًا تَـــلـــيـــدًا)... الـبـيـتَ[١]

تَليدًا، أي: قديمًا، أي: اجتاز مَجدًا قديمًا.

قوله: (وتقديره) يعني: على القراءة بتنوين "عادٍ"، وعلى تفسير ﴿إِرَمَ﴾ ببلدتهم.

قوله: (ولم تَنصرف) أي: ﴿إِرَمَ﴾.

قوله: (مفتوحتَين) فيكون "عاد" غيرَ منصرف للعلميّة والتأنيث؛ لأنّها[٢] علَمُ قبيلةٍ، ولا يكون حينئذٍ مضافةً، بل ﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان.

---

[١] ديوان عبيد الله بن قيس الرقيّات، ص ١٥٥.
[٢] ن - لأنّها.

وقرئ: "بعادٍ أَرْمَ" بسُكون الرَّاء على التَّخفيف؛ كما قُرِئَ: "بَوَرْقِكُم".

وقرئ: "بعَادِ إرَمِ ذاتِ العمادِ" بإضافةِ "إرم" إلى "ذاتِ العمادِ"، والإرَمُ: العَلَمُ، يَعني: بعادِ أَهْلِ أعلامِ ذاتِ العمادِ، و"ذاتُ العماد" اسمُ المَدينة.

وقرئ: "بعادٍ أَرَمَّ ذاتَ العمادِ"؛ أي: جَعَلَ الله ذاتَ العماد رَمِيمًا، بدَلًا من ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾.

و﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ إذا كانت صِفةً للقَبيلةِ فالمَعنى: أنَّهم كانوا بدويِّينَ أَهْلَ عَمدٍ، أو طِوَالَ الأَجْسَام على تَشبِيهِ قُدُودِهم بالأَعْمِدَةِ؛ ....

قوله: (كما قُرئ: ﴿بِوَرْقِكُمْ﴾ [الكهف ١٨/١٩])[١] في تشبيهه ﴿بِوَرْقِكُمْ﴾ [الكهف ١٨/١٩] نظرٌ؛ لأنّ فَعِلًا بكسر العين يجوز فيه الإسكان ككَتِفٍ،[٢] وأمّا مفتوح العين فليس كذلك، ويمكن أن يقال: لمّا استثقلوا / الكسرة على الهمزة [٤٥٩ظ] كَرِهوا الحركة بعدها فلذلك سكّنوا، فمراد المصنِّف مِن هذا التشبيه: الإسكانُ[٣] للتخفيف في الصورتَين، وإنْ اختلف عِلّة التخفيف.

قوله: (والإرَم: العَلَم) الإرَمُ:[٤] حجارةٌ تُنصَب[٥] عَلَمًا في المَفازة، والجمع: آرامٌ وأُرُومٌ، مثل: ضِلَع وأضلاع وضُلوع.

قوله: (يعني: بعاد)... إلخ، أي: لا بدّ مِن تقدير المضاف حينئذٍ؛ لأنّه لا يصِحّ تفسير "عادٍ" بالأعلام، فإنّهم لا يكونون أعلامًا منصوبةً، بل يكونون أهل أعلام.

قوله: (بدلًا)[٦] أي: يكون "أَرَمَّ"[٧] بدلًا[٨] من فَعَلَ.

قوله: (إذا كانت صفة للقبيلة)... إلخ، هذان الوَجهان مبنيّان على ما ذكَر مِن أنّ ﴿إِرَمَ﴾ اسم جدّهم أو اسم أرضهم.[٩]

---

[١] قرأ أبو عمرو وحمزةُ وخَلَف وأبو بكرٍ ورَوحٌ بإسكان الراء، وقرأ باقي القرّاء العشر بكسرها. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣١٠.

[٢] ن: كلتف.

[٣] ن: والإسكان.

[٤] ن: الازم.

[٥] ن: يَنصب.

[٦] ن: بذلًا.

[٧] انظر: المُحتسَب لابن جنّي. ٢/٣٦٠.

[٨] ن + أي يكون إرم بذلًا.

[٩] ن – أرضهم.

ومِنه قولُهم: رجُلٌ مُعَمَّدٌ وعُمُدَّانٌ: إذا كان طويلًا، وقيل: ذات البنَاء الرَّفيع.

وإن كانت صِفةً للبَلْدة فالمَعنى: أنَّها ذاتُ أسَاطِينَ.

ورُوي أنَّه كان لعادٍ ابنانِ: شدَّادٌ وشَدِيدٌ، فمَلكَا وقهَرَا، ثمَّ ماتَ شَدِيدٌ وخلُصَ الأمْرُ لِشَدَّادٍ فمَلك الدُّنيا ودانَتْ له ملُوكُها، فسمِعَ بذكر الجَنَّةِ فقال: أَبْنِي مِثْلَها، فبَنى إِرَمَ في بعضِ صحَارَى عَدَنٍ في ثلاث مئةِ سنَةٍ، وكان عُمْره تسعَ مئة سنَةٍ، وهي مَدِينةٌ عَظيمةٌ قُصُورُها من الذَّهَبِ والفضَّةِ وأَسَاطِينُها من الزَّبَرْجَدِ والياقُوتِ، وفيها أَصْنافُ الأشجار والأَنْهار المُطَّرِدةِ، ولمَّا تمَّ بناؤُها سَار إلَيْها بأَهْلِ مَملكتِه، فلمَّا كانَ منها على مَسيرة يَوْمٍ وليلةٍ بعَث اللهُ عليهم صَيْحةً من السماء فهَلكُوا.

وعن عبد الله بنِ قِلابةَ: أنَّه خرَجَ في طَلَب إبلٍ له، فوَقَع عَليها، فحَملَ ما قدَر عليه ممَّا ثَمَّ، وبَلغ خَبرُه مُعَاويةَ فاستحضَره، فقَصَّ عليه، فبعَث إلى كَعْبٍ فسَأَلَهُ فقال: هيَ إِرَمُ ذَاتُ العمادِ، وسَيَدْخُلها رَجُلٌ من المُسلمين في زمانِك أَحمرُ أَشْقَرُ قصِيرٌ على حاجبهِ خالٌ وعلى عقِبه خالٌ يَخرُجُ في طلَب إبلٍ له، ثُمَّ التفَتَ فأبْصَر ابنَ قِلابةَ فقالَ: هذا واللهِ ذلك الرَّجُلُ.

﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾: مِثلُ عادٍ ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ عظَمَ أجْرامٍ وقُوَّةً، كان طُولُ الرَّجُل منهم أربعَ مئةِ ذِراع، وكان يأتي الصَّخرةَ العَظيمةَ فيَحْمِلُها فيُلقِيها على الحَيِّ فَيُهلِكُهُم.

أَوْ: لَم يُخلَقْ مثلُ مَدِينَة شَدَّادٍ في جميع بلادِ الدُّنيا.

وقرأ ابنُ الزُّبيْرِ "لم يَخْلُقْ مثلَهَا"؛ أي: لم يَخلُقِ اللهُ مِثْلَها.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾

﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾: قطَعُوا صَخْرَ الجبالِ واتَّخذُوا فيهَا بيُوتًا؛ ....

قوله: (أوْ لَم يُخلَق مثلُ مدينة) هذا بناءً على أنّ ﴿إِرَمَ﴾ اسمُ[1] مدينتهم وأرضِهم.

---

[1] ن + جدهم.

كقَولِه: ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾ [الشعراء ١٤٩/٢٦]، قيل: أَوَّلُ مَن نحتَ الجبالَ والصُّخُورَ والرُّخامَ ثمُودُ، وبَنَوا ألفًا وسبْعَ مئة مدينةٍ كُلُّها مِن الحجَارة.

﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِی ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِینَ طَغَوۡا۟ فِی ٱلۡبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُوا۟ فِیهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَیۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾

قيل له: ذُو الأَوتادِ؛ لكثرةِ جُنُودِه ومَضارِبِهم التي كانوا يضربُونها إذا نزَلُوا، أو لتَعْذيبِهِ بالأَوتادِ كما فَعَل بماشِطَةِ بنْته وبآسِيَةَ.

﴿ٱلَّذِینَ طَغَوۡا۟﴾ أحسَنُ الوجُوه فيه أَنْ يكُونَ في محلِّ النَّصْب على الذمِّ.

ويجوز أن يكُونَ مَرفُوعًا على: هُم الَّذين طَغَوا، أو مَجرُورًا على وصف المذكُورين: عادٍ وثمُودَ وفِرعَونَ.

يُقال: صَبَّ عليه السَّوْطَ، وغَشَّاهُ، وقَنَّعهُ، وذِكْرُ السَّوطِ: إشارةٌ إلى أنَّ ما أَحَلَّهُ بهم في الدُّنيا من العذابِ العظيم بالقياس إلى ما أعَدَّ لهُم في الآخِرة كالسَّوط إذا قيسَ إلى سَائر ما يُعذَّبُ بهِ.

وعن عمرو بن عُبيْدٍ: كان الحَسنُ إذَا أَتى على هذه الآية قال: إنَّ عندَ الله أَسْواطًا كثيرةً فأَخَذَهُم بسَوْطٍ منها.

"المِرْصَادُ": المكَانُ الَّذِي يَترقَّبُ فيه الرَّصَدُ مِفعَالٌ من رصَدَهُ كالمِيقاتِ من وَقتهُ وهذا مَثَلٌ لإِرْصَادِهِ العُصاةَ بالعِقابِ وأَنَّهُم لا يَفُوتُونه.

قوله: (قيل له) أي: لفِرعون.

قوله: (ومضاربهم) أي: معسكرهم ومضارب[1] خيامهم.

قوله تعالى:[2] ﴿سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ كأنَّه شُبِّه الحميم الذي يُصبُّ[3] مِن فوق رءوسهم فيُصهَر[4] به ما في بطونهم بالسَّوط، ثمَّ ذُكِر السَّوط وأريد الحميم، والقرينة "صَبَّ" وإضافته إلى "العذاب".

[1] ن: ويضارب.

[2] ن + في.

[3] ن: تصب.

[4] ن: فيصموا.

وعن بعض العرَبِ أنَّه قيل له: أَيْنَ رَبُّك؟ فقال: بالمِرصادِ.

وعن عمرِو بن عُبيْدٍ: أنَّه قَرأ هذِه السُّورة عند المَنْصُور حَتَّى بلغ هذه الآية فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ يا أبَا جَعْفرٍ. عَرَّض له في هَذا النِّداءِ بأنَّه بعضُ مَن تُوُعِّدَ بذلك مِن الجبَابرة، فلِلّه دَرُّه أيُّ أسَدٍ فَرَّاسٍ كان بينَ ثَوبيهِ، يَدُقُّ الظَّلمةَ بإنكارهِ، ويَقْصَعُ أَهْلَ الأَهْواء والبِدَع باحتِجاجه.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾

فإن قلتَ: بمَ اتَّصل قولُه: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾؟

قلتُ: بقولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾؛ كأنَّه قيل: إنَّ الله لا يُريدُ من الإنسان إلَّا الطَّاعَةَ والسَّعْيَ للعَاقِبة، وهُو مُرْصِدٌ بالعُقُوبَةِ للعَاصي، فأمَّا الإِنسانُ فلا يُرِيد ذلك ولا يُهِمُّهُ إلَّا العاجِلَةُ وما يُلِذُّهُ ويُنْعِمهُ فِيها.

فإنْ قلتَ: فكيفَ توازَنَ قَولُه ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ وقولُه: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ وحقُّ التَّوازُنِ أن يَتَقَابلَ الواقِعانِ بعدَ "أمَّا وَأما"، تقولُ: "أمَّا الإِنسانُ فكفُورٌ وأمَّا المَلَكُ فشَكُورٌ" "أمَّا إذا أَحْسَنْتَ إلى زيدٍ فهو مُحْسِنٌ إليكَ وأمَّا إذا أَسأتَ إليهِ فهُو مُسِيءٌ إليْكَ"؟

قلتُ: هُما متَوازِنانِ من حيثُ إنَّ التقديرَ: "وأمَّا هُو إذا مَا ابتَلاه رَبُّه"، وذلك أَنَّ قولَه: ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ خبَرُ المُبتَدأ الَّذي هُو ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ودُخُولُ الفَاءِ لِمَا في "أمَّا" مِن مَعْنى الشَّرط، والظَّرْفُ المتَوسِّطُ بين المُبتدأ والخَبرِ في تقدير التأخير كأنَّه قيل: "فأمَّا الإنسانُ فَقائلٌ: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ وَقتَ الابتلاء" فوَجبَ أن يكون ﴿فَيَقُولُ﴾ الثاني خبرًا لِمُبتدأ واجِبٍ تَقديرُهُ.

فإن قلتَ: كيف سَمَّى كِلَا الأَمْرَينِ من بَسْطِ الرِّزْقِ وتقدِيرِهِ ابتلاءً؟

قلتُ: لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما اختِبارٌ للعَبْدِ، فإذا بسَطَ له فقَد اختبَرَ حَالَه:

قوله: (إنَّ التقدير) يعني في ﴿وَأَمَّآ﴾ الثاني.

أَيَشكُر أَمْ يكفُرُ؟ وإذا قدَر عليه رزقه فقَد اختبَر حالَه: أَيَصْبِرُ أَمْ يَجْزَعُ؟ فالحِكمةُ فيهما وَاحِدةٌ، ونحوُهُ قَوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء ٢١/٣٥].

فإن قلتَ: هلَّا قال: "فأهَانَهُ وقدَرَ عليه رِزقَهُ" كما قال: "فَأكْرَمَهُ ونعَّمهُ"؟

قلتُ: لأنَّ البَسْطَ إكرامٌ من الله لعَبْدِه بإنْعامِه عليه مُتفضِّلًا مِن غير سابقةٍ، وأمَّا التَّقديرُ فلَيْس بإهَانةٍ له؛ لأن الإخْلالَ بالتَّفضُّل لا يكُونُ إهَانةً ولكنْ تركًا للكَرامةِ، وقد يكُون المَوْلَى مُكْرِمًا لعَبدِه ومُهِينًا، وغيرَ مُكْرِم ولا مُهينٍ، وإذا أَهْدَى لكَ زيْدٌ هَدِيَّةً قلتَ: "أكرَمنِي بالهَديَّةِ" ولا تقُولُ: "أهَانَنِي" ولا: "أكرَمَني" إذا لم يُهْدِ لكَ.

فإن قلتَ: فقَد قال: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾ فصحَّحَ إكْرامَهُ وأثبَتَهُ، ثمَّ أنكَر قوْلَهُ: ﴿رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ﴾ وذَمَّه عَليْه كما أَنكَر قولَه: ﴿أَهَٰنَنِ﴾ وذَمَّه عليه؟

قلتُ: فيه جوابانِ:

أحَدُهما: أنَّه إنَّما أنكَر قولَه: ﴿رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ﴾ وذَمَّه عليه لِأنَّه قالَهُ على قَصْدِ خلافِ ما صحَّحه اللهُ عليه وأَثبَتَهُ، وهو قَصْدُه إلى أَنَّ الله أعْطاهُ ما أعطاهُ إكْرامًا له مُستَحَقًّا ومُستَوجَبًا، على عَادة افتخارِهم وجَلالةِ أَقْدارهم عنْدهُم؛ كقوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص ٢٨/٧٨] وإنَّما أَعْطَاهُ اللهُ على وَجْهِ التفَضُّلِ

قوله: (إكرامًا)[١] مفعول له.

قوله: (مستحِقًّا) حالٌ، إمَّا مِن مفعول "أعطاه"، أو مِن الضمير في "له"؛ لأنَّه مفعول "إكرامًا".[٢]

قوله:[٣] (على عادة) أي: قالَه على عادة افتخارهم، فهو بدل مِن "على[٤] قَصْدِ".

قوله: (كقوله) ويجوز أن يكون قوله: "كقوله" متعلِّقًا بقوله: "على عادة افتِخارِهم".

قوله: (وإنَّما أعطاه الله تعالى) حالٌ مِن الضمير المستتر في "قاله" أو "أعطاه"، والأوَّل أَولى، والصواب: أنَّه عطفٌ على قوله: "قاله".

---

١ ن: الوامًا.

٢ ن - حالٌ، إمَّا مِن مفعول "أعطاه"، أو مِن الضمير في "له"؛ لأنَّه مفعول "إكرامًا".

٣ ن - قوله.

٤ ن - على.

من غيرِ استيجابٍ منه له ولا سابقَةٍ مِمَّا لا يَعتَدُّ اللهُ إلَّا بهِ وهو التَّقْوَى، دُون الأَنساب والأَحْسابِ الَّتي كانوا يَفتخِرُونَ بها ويَرَونَ استحقاقَ الكرامَةِ من أَجْلِها.

والثاني: أن ينسَاقَ الإنكارُ والذَّمُّ إلى قوله: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ يَعني: أنَّه إذا تُفُضِّلِ عليه بالخير وأُكْرِمَ به اعترَف بتفضُّلِ الله وإكْرامهِ، وإذا لم يَتفضَّل عليه سَمَّى تركَ التَّفضُّلِ هَوَانًا وليس بهَوانٍ، ويعضُد هذا الوَجْهُ ذِكْرُ الإكرامِ في قوله: ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ﴾.

وقرئ: ﴿فَقَدَرَ﴾ بالتَّخفيفِ والتَّشدِيد، و﴿أَكۡرَمَنِ... أَهَٰنَنِ﴾: بسُكُون النُّون في الوَقْف فِيمَن تركَ اليَاء في الدَّرْجِ مُكْتَفِيًا مِنْها بالكَسْرة.

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ للإنسان عن قوله، ثُمَّ قال: بل هُناك شَرٌّ مِن هذا القَولِ، وهُو: أَنَّ اللهَ يُكْرِمُهُمْ بكَثْرةِ المالِ فلا يُؤدُّونَ ما يلْزَمُهم فيه من إكْرامِ اليَتِيمِ بالتَّفقُّدِ والمَبرَّةِ وحَضِّ أَهْله على طعام المسكين، ويَأكلونَهُ أَكلَ الأَنْعام ويُحبُّونه فَيَشُحُّون به.

وقرئ ﴿تُكۡرِمُونَ﴾ وما بَعده بالياء والتاء.

قوله: (ممّا لا يعتدّ) بيان "سابِقةٍ"، أي:[١] أعطاه الله تعالى على وجه التفضُّل مِن غير أن يَسبِق منه شيءٌ لا يَعتدّ الله تعالى إلّا به، وهو التقوى، أي:[٢] لم يسبق منه تقوى يستحقّ به المُعطَى، فما أعطاه تَفضُّلٌ، وأمّا الأنساب[٣] والأحساب فلا مدخَل له في الاستحقاق.

قوله: (ثمّ قال: بل هناك شرّ)... إلخ، يشير به إلى أنّ ﴿بَلۡ﴾ في هذا الموضع لتركِ الأوّل والأخذِ[٤] فيما هو أهمُّ.[٥]

---

[١] ن: أو.
[٢] ف + إن.
[٣] ن: الأسباب.
[٤] ن: والآخر.
[٥] ن: اسم.

وقرئ: ﴿تَحَـٰضُّونَ﴾؛ أي: يحُضُّ بَعْضُكم بعضًا.

وفي قراءةِ ابن مسعود رضي الله عنه: "ولا تُحَاضُّونَ" بضم التاء من المُحَاضَّةِ.

﴿أَكۡلًا لَّمًّا﴾: ذا لَمٍّ، وهُو الجمْعُ بين الحلال والحرام، قال الحُطَيْئةُ:

إذا كانَ لَمًّا يَتبَعُ الذَّمُّ ربَّهُ فلا قَدَّسَ الرَّحمنُ تِلك الطَّواحِنَا

يَعْني: أنَّهم يَجْمعُونَ في أَكْلِهم بين نَصِيبِهم من الميراثِ ونصِيبِ غيرهم.

وقيل: كانُوا لا يُورِّثُونَ النِّساءَ ولا الصِّبْيَانَ ويَأكُلون تُرَاثَهُم مَع تُراثِهم.

وقيل: يأكلُون ما جمعَهُ الميِّتُ من الظَّلَمةِ وهو عالمٌ بذلك، فيَلمُّ في الأَكْلِ بيْنَ حَلالِهِ وحَرامِهِ.

ويجوز أَن يَذُمَّ الوارثَ الذي ظَفِر بالمالِ سَهْلًا مَهْلًا من غيرِ أن يَعْرَقَ فيه جَبِينُه، فيُسرِفُ في إنفاقِه ويَأكُلُه أَكْلًا واسِعًا جَامِعًا بين أَلْوانِ المُشتَهَياتِ من الأَطْعِمةِ والأَشْربةِ والفَواكهِ كما يَفْعَلُ الوُرَّاثُ البَطَّالُونَ.

﴿حُبًّا جَمًّا﴾: كثيرًا شَدِيدًا مَع الحرص والشَّرهِ ومَنعِ الحقُوقِ.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ۝٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ۝٢٦﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لَهُم عن ذلك وإِنكارٌ لِفِعْلهم، ثُمَّ أَتَى بالوعيد وذَكَر تَحسُّرهَم

قوله: (الطواحِنَا) أي: الأسنان.[1]

قوله: (الميّت مِن الظَّلَمة) أراد بالميّت: الظالمَ، أي: الذي مِن الظَّلَمة.

قوله: (مهلًا) تابعٌ للأوّل،[2] ومعناه: حالَ الرِّفق والسهولة. (فيُسرف)[3] عطفٌ على قوله: (ظَفِر).

---

[1] ن: الإنسان.

[2] ن: الأوّل.

[3] ن: فيسرت.

على ما فرَّطُوا فيهِ حين لا تَنْفعُ الحَسْرةُ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلٌ من ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ وعاملُ النَّصْب فِيهما ﴿يَتَذَكَّرُ﴾.

﴿دَكًّا دَكًّا﴾: دكًّا بعْدَ دَكٍّ، كقَولك: حَسَبْتُه بابًا بَابًا؛ أي: كُرِّرَ عليها الدَّكُّ حتَّى عادت هبَاءً مُنبثًّا.

فإن قلتَ: ما مَعْنى إسنادِ المجيءِ إلى الله والحركةُ والانتِقالُ إنَّما يَجُوزانِ على مَن كان في جهَةٍ؟

قلتُ: هُو تَمْثِيلٌ لِظُهور آياتِ اقتِداره وتَبيُّنِ آثارِ قَهْرِه وسُلطانِه، مُثِّلَتْ حالُه في ذلك بحالِ المَلِك إذا حَضَر بنفسه ظهَر بحُضُورِهِ من آثَارِ الهَيْبَةِ والسِّياسةِ ما لا يَظهرُ بحُضُور عسَاكِره كُلِّها وَوُزَرائهِ وخوَاصِّه عن بَكْرَةِ أَبِيهم.

﴿صَفًّا صَفًّا﴾ يَنْزِلُ ملائكةُ كُلِّ سماءٍ فيَصْطفُّونَ صَفًّا بعد صفٍّ مُحْدِقينَ بالجنِّ والإنْسِ.

قوله: (حَسَبْتُه بابًا بابًا) أي: حسَبْتُه بابًا بعد باب.

قوله: (عن بَكْرَة[1] أبِيهم) هذا عبارة عن قولهم: "جميعًا" يُستعمل بَدَلَه.

كان لزَبَّانَ[2] -رجلٍ مِن العرب- عشرةُ بنين يغزون ويصيدون،[3] فخرجوا يومًا فأناخوا في بعض المراعي، فهجم عليهم العدوُّ فقتلهم وجعل رءوسهم في مِخلاة[4] وحمّلها ناقةً له تُدعى الدُهَيم، فجاءت إلى بيت زبّانَ، فلمّا رأى المِخلاة[5] قال: أصاب بَنِيَّ بيضُ[6] النَعام، فضرب بيده فيها فأخرج رأسًا منها، فقال: "آخِرُ البَزِّ على القَلُوص"، يعني: لا تُصِيبون[7] بَزًّا آخر، فذهبت مثَلًا، وقال الناس: "جاءوا على بَكْرَة أبيهم"،[8] يُضرب في القوم يَجيئون[9] جميعًا لأمرٍ.

---

[1] ن: نكرة.

[2] ن: لريان.

[3] ن: يصدون.

[4] "الخَلى" مقصور: الرطب من الحشيش، الواحدة "خَلاة"، وخَليت الخَلَى: قطعته... و"المِخلاة" ما يُجعل فيه الخَلَى. مختار الصحاح للرازي، «خلا».

[5] ن: المخلات.

[6] ن: ببعض.

[7] ن: يصيبون.

[8] ف + عن بكرة أبيهم.

[9] ن: يحبون.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ [الشعراء ٢٦/٩١].

ورُوِي: أنَّها لمَّا نزلت تغيَّرَ وجهُ رسُول الله وعُرِف في وَجْهِه حَتَّى اشتَدَّ على أَصْحابه، فأَخبَرُوا عليًا رضيَ الله عنه فجاء فاحتَضَنَهُ من خَلْفِه وقَبَّلَ بينَ عَاتِقَيْهِ ثم قال: يا نَبِيَّ الله، بأَبي وأُمِّي ما الَّذي حدَثَ اليومَ وما الذي غَيَّرَكَ؟ فَتَلَا عَليه الآيةَ، فقال لهُ عَليٌّ: كيف يُجاء بهَا؟ قال: «يَجِيءُ بها سَبْعُونَ أَلفَ مَلكٍ يقُودُونَها بسَبْعِينَ أَلْفَ زِمامٍ، فتَشرُد شَرْدَةً لو تُرِكَت لأَحرقَتْ أهلَ الجمع»؛ أي: يَتذكَّرُ ما فرَّط فيه أو يتَّعِظُ.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: ومِن أين له مَنفعةُ الذِّكْرَى، لا بدَّ من تقدير حَذفِ المُضافِ، وإلَّا فبَيْنَ: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾ وبين ﴿أَنَّى له الذِّكْرى﴾ تَنافٍ وتناقُضٌ.

﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ هذه، وهيَ حيَاةُ الآخِرة، أو: وَقتَ حيَاتِي في الدُّنيَا؛ كقَولك: "جِئتُه لعَشْرٍ ليَالٍ خلَوْنَ مِن رجَبٍ" وهذا أَبينُ دليلٍ على أنَّ الاختيار كان في أَيْدِيهم ومُعَلَّقًا بقَصْدِهم وإرَادتِهم، وأنَّهُم لم يكُونوا مخجُورينَ عن الطَّاعَات مُجبَرِينَ على المَعاصي كمذهَبِ أَهْلِ الأهواء والبِدَع، وإلَّا فمَا مَعْنى التَّحسُّر.

قرئ بالفَتح: ﴿يُعذَّبُ﴾ و: ﴿يُوثَقُ﴾، وهي قراءةُ رسُول الله، وعن أَبي عمرٍو أنَّه رجَع إلَيها في آخِر عُمْرِه. والضَّميرُ للإنسانِ الموصُوف، وقيل: هو أُبَيُّ بنُ خلَفٍ.

أي: لا يُعذَّبُ أحدٌ مثلَ عذابه، ولا يُوثَقُ بالسَّلاسِل والأَغلالِ مِثل وَثاقِه؛ لتنَاهِيه في كُفْرِه وعِنادِه، أو: لا يُحَمَّلُ عذابَ الإنسان أَحدٌ كقولِهِ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام ٦/١٦٤].

قوله: (وأنهم لم يكونوا محجورين)...[١] إلخ، هذا الذي ذكره المصنِّف غيرُ سَديدٍ؛[٢] لجَواز أن / يقال: كان[٣] يتمنَّى أن لو أمكنَه الله تعالى مِن ذلك ورزَقه. [٤٦٠و]

قوله: (والضمير) أي: في ﴿عَذَابَهُ﴾.

---

[١] ن: محجررين. | وفي بعض مطبوعات الكشّاف: محجوبين.

[٢] ن: شديد.

[٣] ن – كان.

وقـرئ بالكسـر والضَّميـر لله تعالـى؛ أي: لا يتوَلَّـى عـذابَ الله أحَـدٌ لأنَّ الأَمْرَ لله وحْدهُ في ذلك اليَوم.

أو للإِنسانِ؛ أي: لا يُعَذِّبُ أحَدٌ من الزَّبانيَةِ مثلَ ما يُعذِّبُونَه.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ﴾ على إرادة القَول؛ أي: يَقُولُ الله للمُؤمِن: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ﴾: إمَّا أَن يُكلِّمَهُ إكْرامًا له كمَا كَلَّم مُوسَى صلوات الله عليه، أو عَلى لِسانِ مَلَكٍ.

و﴿ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾: الآمِنَةُ التي لا يَسْتَفِزُّهَا خَوْفٌ ولا حُزْنٌ وهي النَّفسُ المُؤمِنَةُ، أو: المُطْمئنَّةُ إلى الحَقِّ التي سَكَّنها ثَلَجَ اليَقين فلا يُخالِجُها شَكٌّ، ويَشهَدُ للتَّفسِير الأوَّل قراءةُ أُبيِّ بنِ كَعْبٍ: "يا أيَّتها النَّفسُ الآمِنةُ المُطمئنَّةُ".

قوله: (أو للإنسان)[١] وعلى الأوّل يكون "العذاب" مضافًا[٢] إلى الفاعل، وعلى الثاني إلى المفعول.

قوله: (مثلَ ما يُعذِّبونه) الضمير في "يُعَذّبون"[٣] للزبانية، والهاء للإنسان.

قوله: (أو على لسان) عطفٌ على قوله: (يكَلِّمَه[٤] إكرامًا) والتحقيق: أنّه عطفٌ على محذوف، أي: يكلِّمَه[٥] مِن وراء حجابٍ أو على لسان...

قوله: (وهي النفس المؤمنة) لأنّ الكافر خائفٌ مَحزُون.[٦]

قوله: (ويشهد للتفسير الأوّل) ويمكن أن يقال: يشهد للتفسير[٧] الثاني قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الرعد ١٣/٢٨-٢٩].

---

١ ن: أوّل الإنسان.
٢ ن: مضافان.
٣ ن – الضمير في يعذبون.
٤ ن: بكلمة.
٥ ن: بكلمة.
٦ ن: مجزون.
٧ ن – يشهد للتفسير.

فإن قلتَ: مَتى يُقالُ لها ذلك؟

قلتُ: إمَّا عند المَوت، وإمَّا عند البَعْثِ، وإمَّا عِندَ دخُول الجنَّة، على مَعْنى: ارْجِعي إلى مَوْعِد رَبِّكِ ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أُوتِيتِ ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عندَ الله.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى﴾: في جُملة عبَاديَ الصَّالحين، وانتظِمِي في سِلْكِهم ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ معَهُم.

وقيل: النَّفسُ: الرُّوح، ومَعناه: فادْخُلي في أَجْسادِ عبَادِي، وقرأ ابنُ عبَّاسٍ: "فادْخُلي في عَبْدِي"، وقرأ ابنُ مَسعود: "فادخلي في جسَدِ عَبْدِي".

وقرأَ أُبيٌّ: "ائتِي رَبَّكِ راضيةً مَرْضِيَّةً ادْخُلي في عِبدي".

وقيل: نزلَتْ في حمزةَ بن عبدِ المُطَّلِب.

وقيل: في خُبَيْبِ بن عَدِيٍّ الَّذي صَلبَه أَهْلُ مكَّة وجعَلُوا وَجْهَهُ إلى المَدينة، فقال: اللّٰهُم إن كان لي عندكَ خَيرٌ فحوِّل وَجهِيَ نحوَ قبلتكَ، فحوَّلَ اللهُ وجهه نحوَهَا فلم يستَطِعْ أَحَدٌ أن يُحوِّلَها.

والظاهِرُ العُموم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورة الفجر في اللَّيَالي العَشْرِ غُفِرَ له، ومَن قرأَها في سَائرِ الأيَّام كانَت له نُورًا يوم القيامةِ».

قوله: (وقيل: ﴿ٱلنَّفْسُ﴾: الرُّوح) وعلى الأوّل كان المراد بـ﴿ٱلنَّفْسُ﴾ الشخصَ كلَّه،[1] وهو المجموع مِن البدن والروح، وقراءة ابن عبَّاس وابن مسعود رضي الله عنهما[2] تؤيّد التفسير الثاني.

تمّت السورة بحمد الله[3] وفضله وكرمه.[4]

---

[1] ن: كلمة.

[2] وهما قراءتان شاذّتان، وكذا المرويّة عن أُبَيّ رضي الله عنهم.

[3] ن + تعالى.

[4] ف - السورة بحمد الله وفضله وكرمه؛ ن - وفضله وكرمه.

سورة البلد

مكية، وهي عشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾

أقسَم سبحانَهُ بالبَلدِ الحَرامِ وبما بعدَه على أَنَّ الإنسان خُلِق مَغمُورًا في مُكَابدةِ المَشَّاقِّ والشَّدَائِدِ، واعتَرَضَ بينَ القَسَم والمُقسَم عليه بقوله: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ يَعني: ومنَ المُكابَدةِ أنَّ مِثْلَك على عِظَمِ حُرْمَتِك يُسْتحَلُّ بهذا البَلَدِ الحَرام كما يُسْتحَلُّ الصَّيْدُ في غيرِ الحَرم.

عن شُرَحْبِيل: يُحرِّمُونَ أن يقتُلُوا بهَا صَيْدًا ويَعْضِدُوا بهَا شجَرةً، ويَستحِلُّونَ إِخْراجَك وقَتْلَكَ.

وفِيه تثبيتٌ من رسُول الله، وبَعثٌ على احتمالِ ما كان يُكابِدُ من أهل مكَّةَ، وتَعجيبٌ من حالِهِم في عَداوَتِه.

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (يعني: ومِن المكابدة)... إلخ،[2] وعلى هذا التفسير "الحِلُّ" ضد الحرام، وعلى الثاني "الحِلُّ" ضد المُحْرِم.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ن: إلى.

أو سَلَّى رسُولَ الله بالقَسَم ببَلَدِه على أَنَّ الإنسانَ لا يَخلُو من مُقَاسَاة الشَّدائِدِ، واعتَرَض بأَنْ وعَده فتْحَ مكَّةَ تَتمِيمًا لِلتَّسلِيَةِ والتَّنفِيسِ عنه، فقال: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني: وأَنتَ حِلٌّ بهِ في المستقبَلِ تصْنَعُ فيهِ ما تُرِيدُ من القَتْلِ والأَسْرِ، وذلك أَنَّ الله فتَح عَليه مكَّة وأَحَلَّها لهُ وما فُتِحَتْ على أحَدٍ قَبْلهُ ولا أُحِلَّتْ له، فأَحَلَّ ما شاءَ وحَرَّم ما شَاء، قَتَلَ ابنَ خَطَلٍ وهو مُتَعَلِّقٌ بأستَارِ الكعبَةِ، ومِقيَس بن صُبَابَة وغيرَهُما، وحَرَّم دارَ أبي سُفيَان، ثمَّ قال: «إنَّ الله حرَّمَ مكَّة يومَ خَلقَ السَّماوات والأرضَ فهيَ حَرامٌ إلى أَن تَقُوم السَّاعَةُ، لم تَحلَّ لأحَدٍ قَبْلِي ولن تَحِلَّ لأحَدٍ بَعْدِي، ولم تَحلَّ لي إلَّا سَاعةً مِن نهَارٍ، فلا يُعْضدُ شجَرُها، ولا يُخْتَلَى خَلاهَا،

قوله: (قَتَلَ ابنَ خطَلٍ)... إلخ،[1] بيان لقوله: (فأحلَّ)... إلخ، وفيه لفٌّ ونشرٌ.

قوله: (حرَّم دارَ أبي سفيان) أي: حكم بأنَّ أحدًا لا يتعرَّض دارَ أبي[2] سفيان،[3] وأنَّ مَن دخل دارَ أبي سفيان لا يتعرَّضه أحد.[4]

قوله: (ثمَّ قال) عطفٌ على قوله: (فأحلَّ)، والضمير في "أحلَّ" و"حرَّم" و"قال" للنبيّ عليه الصلاة والسلام.

قوله: (ومِقْيَس) المحدِّثون يقولون: "مِقْيَس" بكسر الميم وبالسين، و"صُبابة"[5] بالصاد غير المعجمة، وعن ابن[6] دُرَيد: "مَقْيَس" بوزن مريم، و"ضُبابة" بالضاد معجمة، وعن الغوري والجوهري وغيرهما: "مَقِيصُ بن صُبابة" بالصاد غير المعجمة فيهما،[7] وهو رجلٌ مِن قريشٍ قتلَه رسولُ الله عليه الصلاة والسلام يومَ الفتح،[8] وأخوه هشام بن صُبابة قُتِل خطأً فوَداه[9] عليه الصلاة والسلام.[10]

[1] انظر: صحيح البخاري، ١٧/٣ (١٨٤٦)؛ صحيح مسلم، ٩٧٩/٢ (١٣٥٧).
[2] ن: أنّي.
[3] ف: سفين.
[4] انظر: صحيح مسلم، ١٤٠٥/٣ (١٧٨٠).
[5] ف: ضُبابة.
[6] ن: أبي.
[7] كذا في المُغرِب للمطرّزي، «قيص»، عن الغوري والجوهري، والغوري هو محمد بن جعفر بن محمد الغوري أبو سعيد، أحد أئمة اللغة المشهورين. انظر: بغية الوعاة للسيوطي، ٧٠/١.
[8] انظر: سنن النسائي، ١٠٥/٧ (٤٠٦٧)؛ سنن أبي داود، ٣١٩/٤ (٢٦٨٣).
[9] ن: فرداه. | ودَاهُ، كدَعاهُ: أعطَى دِيَتَه. القاموس المحيط للفيروزآبادي، «ودي».
[10] انظر: شعب الإيمان للبيهقي، ٤٦٨/١.

ولا يُنَفَّرُ صَيدُها، ولا تَحِلُّ لُقَطَتُها إلَّا لمُنْشِدٍ»»، فقال العبَّاسُ: يا رسول الله، إلَّا الإذخرَ فإنَّه لقَيونِنا وقُبورِنا وبُيوتِنا، فقَال صلى الله عليه وسلم: «إلَّا الإذْخِرَ».

فإن قلتَ: أينَ نظيرُ قولِهِ: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ في مَعْنَى الاستِقْبالِ؟

قلتُ: قولُه عزَّ وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر ٣٩/٣٠] ومِثْلُه واسِعٌ في كلام العِبادِ، تقولُ لِمَن تَعِدُه الإكرامَ والحِبَاء: "أَنْتَ مكْرَمٌ مَحْبُوٌّ"، وهُو في كلام الله أَوْسَعُ لأنَّ الأَحْوال المُستَقْبَلةَ عنده كالحاضِرة المُشَاهَدةِ.

وكفَاكَ دَليلًا قاطِعًا على أنَّه للاستِقبالِ وأنَّ تَفسِيرَهُ بالحال مُحالٌ: أنَّ السُّورَةَ بالاتِّفاق مكيَّةٌ، وأينَ الهجرةُ عن وقْتِ نزُولها فما بالُ الفَتح؟

فإن قلتَ: ما المرادُ بـ﴿وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾؟

قلتُ: رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ومَن وَلَدَهُ، ....

قوله: (لمُنشِدٍ) أي: لمعرِّفٍ.

قوله: (لقُيونِنا) جمع القَين، وهو الحدّاد.

قوله: (فإن قلتَ: أين نظير) هذا السؤال على التفسير الثاني، وأمّا على التفسير الأوّل فهو بمعنى الحالِ.

قوله: (قلت: قوله عزَّ وجلَّ) أي: نظيره قوله عزّ وجلّ.

قوله: (محالٌ) أي: على التفسير الثاني.

قوله: (عن وقت) متعلّق بقوله: (أين) مِن حيث المعنى؛ لأنّه استفهام إنكارٍ عن مقارنة الهجرة وقتَ نزول الآية، فكأنّه قال: بَعُدَ الهجرة عن وقت نزول هذه الآية بُعدًا شديدًا، وإذا كانت الهجرة بعيدةً عنه فكيف لا يكون الفتح -أي: فتح مكّة- بعيدًا عن وقت نزول الآية، وإذا ثبت أنّ وقت نزول الآية بعيد عن الفتح فلا يكون قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ بمعنى زمان الحالِ.

قوله: (ومَنْ ولَدَه) الضمير المستتر في "وَلَدَ" / يعود إلى "مَن"، والبارز إلى [٤٦٠ظ]
"النبيّ" عليه الصلاة والسلام.

أقسَم ببَلدِه الَّذِي هو مَسْقَطُ رأسِه وحَرَمُ أَبيهِ إبراهيمَ ومَنشَأُ أَبيهِ إسمَاعيلَ، وبِمَن وَلَدَهُ وبِهِ.

فإن قلتَ: لِمَ نُكِّرَ؟

قلتُ: للإبهامِ المستَقِلِّ بالمدْحِ والتعجُّبِ.

فإن قلتَ: هَلَّا قيلَ: ومَن وَلَد؟

قلتُ: فيه ما في قولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [آل عمران ٣٦/٣]؛ أي: بأيِّ شيءٍ وَضعَتْ، يَعْني: مَوضُوعًا عجيبَ الشَّأنِ.

وقيل: هما آدمُ ووَلَدُه.

وقيل: كُلُّ والِدٍ ووَلَد.

و"الكَبَدُ" أَصْلُه من قولك: كَبِدَ الرَّجُلُ كبَدًا فهو أَكْبَدُ: إذا وجِعَتْ كَبِدُهُ وانتَفخَتْ، فاتُّسِعَ فيه حَتَّى استُعمل في كُلِّ تعَبٍ ومشَقَّةٍ، ومنه اشتُقَّت المُكابَدَة؛ كما قيل: "كَبَتَهُ" بمعنى: أَهْلَكَه، وأصْلُه: كبَدَهُ: إذا أصَاب كَبِدَه، قال لَبيدٌ:

يا عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إذْ ... قُمْنَا وقَامَ الخُصُومُ في كَبَدِ

أي: في شدَّةِ الأَمْرِ وصُعُوبة الخَطْبِ.

قوله: (وبِمَن ولَدَه) أي: إسماعيل[١] أو إبراهيم.

قوله: (وبه) أي: بالرسول عليه الصلاة والسلام.

قوله: (المستقِلِّ) يقال: استقلَّه، أي: حمله.

قوله تعالى: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ أي: في شِدّة ومُقاساة يُكابد أمر الدنيا وشدائدَها.

قوله:

(يا عَينُ هلّا بَكَيتِ أَرْبَدَ)... البيتَ[٢]

أَربَدُ وعامِرُ بن الطفيل جاءا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام،[٣]

---

١ ن: إعماعيل.

٢ ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٥٠.

٣ أي: يريدان قتله.

والضميرُ في ﴿أَيَحْسَبُ﴾ لبَعض صَناديد قُرَيْشٍ الَّذي كانَ رسُولُ الله يُكابِدُ منهم ما يُكابِدُ.

والمَعنى: أيَظُنُّ هذا الصِّنْديدُ القَويُّ في قَوْمِهِ المُتَضعِّفُ للمؤمنين أنْ لَنْ تَقُوم قيامَةٌ ولَن يُقْدَرَ على الانتقامِ منه وعلى مكافأتِهِ بما هُو علَيه، ثمّ ذكر ما يقُولُه في ذلك اليوم، وأنّه يقول: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ يُرِيدُ كثرةَ ما أنفقَهُ فيما كان أَهْلُ الجاهِليَّةِ يُسَمُّونهَا مكارمَ ويَدْعُونهَا معَالِيَ ومَفاخِرِ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ حينَ كان يُنفِقُ ما يُنْفِقُ رئاءَ النَّاس وافتخارًا بيْنَهُم، يَعني: إنَّ اللهَ كان يرَاهُ وكان عليه رقِيبًا.

ويجوز أن يكُون الضميرُ للإنسان على أن يكُون المَعنى: أُقسِمُ بهذا البَلَدِ الشَّرِيفِ، ومِن شَرفِه أنَّك حِلٌّ به ممَّا يَقْتَرِفُه أَهْلُه من المَآثِم مُتحرِّجٌ بريءٌ، فهو حقيقٌ بأَن أُعظِّمَهُ بقَسمِي به ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾؛ أي: في مَرضٍ: وهو مَرضُ القَلْب وفسادُ الباطِن، يُرِيدُ: الَّذين علِمَ اللهُ منْهُم حينَ خَلَقهم أنّهم لا يُؤمنُونَ ولا يَعْمَلُون الصَّالحاتِ.

فدَعا عليه السلام عليهما، وأربَد أخو لَبِيد فأصابته صاعقةٌ، وأصاب عامرًا طاعونٌ، فقال: "أَغُدَّةٌ كغُدَّةِ البعير".[1]

قوله: (الصِّنديد) أي: السيِّد الشجاع.

قوله: (بما هو عليه) أي: بالشرِّ.

قوله: (في ذلك اليوم) أي: يوم القيامة وقتَ الحساب.

قوله: (ويجوز أن يكون الضمير) قسيمٌ مِن حيث الظاهر لقوله: (والضمير في ﴿أَيَحْسَبُ﴾)، لكنّه[2] مِن حيث المعنى عطفٌ على قوله في أوّل السورة: (أقسَم)؛ لأنّه تفسير آخر.

قوله: (مُتحرِّج) أي: بعيدٌ عن الإثم.

---

[1] انظر: أسباب النزول للواحدي، ص ٢٧٩. قال ابن منظور: «الغُدّة والغُدَد: طاعونُ الإبل، وغُدَّ البعيرُ فأغَدَّ، فهو مُغِدٌّ، أي: به غُدّة، والأنثى مُغِدٌّ بغير هاءٍ. ولمّا مثّل سيبويه قولهم: "أغُدّةً كغُدّة البعير" قال: أَغُدُّ غُدّةً، فجاء به على صيغة فِعل المفعولِ». لسان العرب لابن منظور، «غدد».

[2] ن: لكونه.

وقيل: الَّذي يَحْسبُ أَن لَنْ يَقْدِرَ عَليه أحَدٌ هُو أبُو الأَشدِّ، وكان قويًّا يُبْسَطُ له الأَدِيمُ العُكاظيُّ فيَقُوم عليه ويقولُ: مَن أزَالَنِي عنه فَله كَذا، فلا يُنْزَعُ إلَّا قِطَعًا ويَبْقَى موضِعُ قدَمَيْهِ.

وقيل: الوَلِيدُ بنُ المُغيرة.

﴿لُبَدًا﴾ قُرِئ بالضم والكسر: جَمعُ لُبْدةٍ ولِبْدَةٍ، وهُو ما تلبَّدَ، يُريدُ الكثْرةَ. وقرئ: "لُبُدًا" بضمَّتين: جمعُ لَبُودٍ، و: ﴿لُبَّدًا﴾: بالتَّشديد جمعُ لابِدٍ.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يُبْصِرُ بهمَا المرئياتِ ﴿وَلِسَانًا﴾ يَتَرْجِمُ بهِ عَن ضمائره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يُطْبِقُهما على فِيه، ويستَعينُ بهما على النُّطْقِ والأَكْلِ والشُّرْبِ والنَّفْخِ وغيْرِ ذلك.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾؛ أي: طَرِيقي الخَيْر والشَّرِّ، وقيل: الثَّديَيْنِ.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾

قوله: (﴿لُبَدًا﴾ قُرِئ بالضمّ والكسر) ﴿لُبَدًا﴾ بضَمِّ اللام وفتح الباء؛ جمع لُبْدة بضمّ اللام، نحو: بُرْقة وبُرَق، و﴿لِبَدًا﴾[١] بكسر اللام؛ جمع لِبْدة بالكسر، نحو: لِقْحة ولِقَح.[٢]

---

١ ن: لبذا.

٢ لم أجد مَن قرأ هنَا: ﴿لِبَدًا﴾ بكسر اللام وفتح الباء، وأمّا في سورة الجنّ مِن قوله تعالى: ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن ١٩/٧٢] فقد قرأ الجمهور بكسر اللام وفتح الباء، وصحّ من رواية هشام عن ابن عامر ضمّ اللام وفتح الباء. وقرأ أبو جعفر هنا: ﴿لُبَّدًا﴾ بتشديد الباء مع فتحها. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٩٢/٢-٤٠١. وأمّا في الشاذّ فقرأ الحسن البصري: ﴿لُبُدًا﴾ بضمّ اللام والباء. انظر: إتحاف فضلاء البشر للدمياطي، ص ٥٨٥.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ يَعْني: فلم يَشْكُرْ تِلك الأَيادِيَ والنِّعَمَ بالأعمالِ الصَّالِحة: مِن فكِّ الرِّقابِ، وإطعام اليَتَامَى والمسَاكينِ، ثُمَّ بالإيمان الَّذِي هو أَصْلُ كُلِّ طاعةٍ وأسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ، بلَ غَمَطَ النِّعَم وكفَرَ بالمُنعِم.

والمعنى: أَنَّ الإنفاقَ على هذا الوَجْهِ هو الإنفاقُ المَرضيُّ النَّافِعُ عِندَ الله، لا أَنْ يُهْلِكَ مالًا لُبَدًا في الرِّياء والفِخار فيكونُ مَثَلُه ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ الآية [آل عمران ٣/١١٧].

فإن قلتَ: قلَّما تَقَعُ "لا" الدَّاخِلةُ على الماضِي إلَّا مُكرَّرةً، ونحوُ قولِهِ:

فـأيُّ أَمْـرٍ سَـيِّـئٍ لا فَـعَـلَـه

لا يكادُ يقَع، فما لَها لم تُكرَّر في الكلامِ الأفصحِ؟

قلتُ: هي مُتكرِّرةٌ في المَعنى؛ لأنَّ مَعنَى ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾: فلا فكَّ رقبةً ولا أَطعَمَ مِسْكينًا، ألا تَرى أنَّه فسَّر اقتحامَ العقَبة بذلك.

قوله: (يعني)... إلخ، وحاصل المعنى: أنّ ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ﴾ عطفٌ على ﴿أَلَمْ نَجْعَل﴾؛ لأنّ الاستفهام فيه للإنكار، وإنكار عدم الجَعل[1] يُفيد تقرير الجَعل، فكأنّه قال تعالى: أنعمنا عليه بهذه النِّعم فلم يَشكر.[2]

قوله: (قلتُ: هي متكرّرة في المعنى) أبو عليّ: «لا يلزم التكرار إذا كان "لا" بمعنى "لم"»،[3] وهنا كذلك،[4] أي: لم يَقتَحِم.[5]

قوله: (فلا فكَّ[6] رقبةً) ويدلُّ عليه قراءة مَن قرأ: ﴿فَكَّ رَقَبَةً أَوْ[7] أَطْعَمَ﴾ بلفظ الفِعل.[8]

---

[1] ن: العجل.
[2] ن: يشكوا.
[3] انظر: الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٦/٤١٥.
[4] ف: لذلك.
[5] ن: يقبح.
[6] ن: بك.
[7] ن: إذ.
[8] قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿فَكَّ﴾ بفتح الكاف، ﴿رَقَبَةً﴾ بالنّصب، ﴿أَوْ أَطْعَمَ﴾ بفتح الهمزة والميم مِن غير تنوين ولا ألف قبلها. وقرأ باقي القراء العشر برفع ﴿فَكُّ﴾، وخفض ﴿رَقَبَةٍ﴾، ﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾ بكسر الهمزة ورفع الميم مع التنوين وألِف قبلها. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٤٠١.

وقال الزَّجاجُ قَولُه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يَدُلُّ على مَعنى: فلا اقْتَحَم العَقَبةَ ولا آمنَ.

و"الاقتحامُ": الدُّخُولُ والمُجاوَزةُ بشِدَّةٍ ومشَقَّةٍ.

و"القُحْمةُ": الشِّدَّةُ.

وجَعَلَ الصَّالحَة عَقَبةً وعمَلَها اقتِحامًا لهَا لِمَا في ذلك مِن مُعَاناة المشَقَّة ومُجاهَدةِ النَّفْسِ.

وعن الحَسن: عقبَةٌ واللهِ شديدَةٌ، مُجاهَدةُ الإنسان نفسَهُ وهَوَاهُ وعَدُوَّهُ الشَّيطَانَ.

و"فَكُّ الرَّقبَةِ": تخليصُها مِن رِقٍّ أو غيْرِه.

وفي الحديثِ أنَّ رَجُلًا قال لرسُول الله: دُلَّنِي على عَملٍ يُدْخِلُني الجَنَّة، فقال: «تُعْتِقُ النسمَةَ وتَفُكُّ الرَّقبَة»، قال: أَوَلَيسَا سَواءً؟ قال: «لا، إعتاقُها أَنْ تنفَرِدَ بعِتقِها، وفَكُّهَا أَن تُعِين في تَخلِيصِهَا مِن قوَدٍ أو غُرْمٍ».

والعِتقُ والصَّدَقة مِن أفاضِل الأعمال، وعن أبي حنيفة رضي الله عنه: أنَّ العِتقَ أفضَلُ من الصَّدَقةِ. وعندَ صَاحِبيْهِ: الصَّدَقَةُ أفضَلُ.

والآيةُ أدَلُّ على قَوْل أبي حَنيفة؛ لِتَقْديم العِتق على الصَّدقةِ، وعن الشَّعْبيِّ

قوله: (وقال الزجّاج) هذا وجهٌ آخر لتقرير التكرير المعنويّ.

قوله: («تُعتِقُ النسَمةَ») قوله صلّى الله عليه وسلّم: «تُعْتِقُ»[1] يجوز أن يكون خبَرًا بمعنى الطلب، فكأنّه قيل: أعتِقْ، فإنّ السائل لمّا سأله عن العمل الصالح أمرَه النبيُّ عليه الصلاة والسلام بالإعتاق إشارةً إلى أنّه مِن الأعمال الصالحة، ويجوز أن يكون التقدير هو: أن تُعتِقَ، فحُذِف "أنْ" وبقي الفعل مرفوعًا.

قوله: (عن الشعبيّ) أي: سئل عن الشعبيّ في شأنِ رجلٍ، وقوله: (عنده فضلُ صدقةٍ) صفة (رجل)، وقوله: (أيضعُه) أي: ليعلم أيضعُه،[2] وقوله:

١ مسند الإمام أحمد، ٦٠٠/٣٠ (١٨٦٤٧)؛ صحيح ابن حبّان، ٩٨/٢ (٣٧٤)؛ الأدب المفرد للبخاري، ص ٣٨ (٦٩).

٢ ن – أيضعه.

في رَجُلٍ عندَهُ فضلُ نفقَةٍ: أيَضَعُهُ في ذِي قَرابَةٍ أو يَعْتِقُ رَقبةً؟ قال: الرَّقبةُ أفضلُ؛ لأنَّ النبيَّ عليه السلام قال: «مَن فَكَّ رقبةً فكَّ اللهُ بكُلِّ عُضوٍ منها عِضوًا مِنه من النَّارِ».

قرئ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَـٰمٌ﴾ على: هيَ فكُّ رَقبَةٍ أو إطْعامٌ.

وقرئ: ﴿فكَّ رقبةً أو أَطْعَمَ﴾ على الإبدالِ مِن ﴿ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، وقولُه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ اعتِراضٌ.

ومَعناه: أنَّك لم تَدْرِ كُنْهَ صُعُوبَتِهَا على النَّفس وكُنْهَ ثَوابها عِند الله.

و"المَسغبة" و"المَقرَبةُ" و"المَتْرَبةُ": مَفْعَلاتٌ من سَغِبَ: إذا جَاعَ، وقرُبَ في النَّسَبِ، يُقال: فُلانٌ ذو قَرابَتِي وذُو مَقرَبتِي، وتَرِبَ: إذَا افتقَر، ومَعْناه: الْتصَقَ بالتُّراب.

وأمَّا "أَتْرَبَ" فاستَغنى؛ أي: صَار ذا مالٍ كالتُّراب في الكَثْرة؛ كما قيل: أَثْرَى.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلام في قوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: «الَّذِي مأواهُ المَزابِلُ».

ووَصْفُ اليَوم بـ﴿ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ نَحوُ ما يَقُول النَحويُّونَ في قولِهِم: «هَمٌّ ناصِبٌ»: ذُو نَصَبٍ.

وقرأ الحسنُ: "ذا مسْغَبةٍ" نصَبَهُ بـ﴿إِطْعَـٰمٌ﴾ ومَعناه: أو إطعامٌ في يَومٍ من الأيَّام ذَا مَسْغَبَةٍ.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ جاء بـ﴿ثُمَّ﴾ لتَراخي الإيمانِ وتَباعُدِه في الرُّتبة والفضِيلةِ عن العِتقِ والصَّدَقة لا في الوقْتِ؛ لأنَّ الإيمان هُو السَّابقُ المُقدَّمُ على غَيْره ولا يَثبُتُ عَملٌ صالِحٌ إلَّا بهِ.

(قال) جواب سؤال مقدّر، وهو: ماذا[1] قال الشعبيُّ؟

قوله: (لم تدْرِ) أي: لم تعلم، وكُنْه الشيء: غايته.

قوله: (والمَسْغبة)... إلخ، فيه لفٌّ ونشرٌ.

قوله: (فاستغنى) أي: فمعناه: استغنى.

---

[1] ن: فإذا.

و"المرْحَمةُ": الرَّحْمةُ؛ أي: أَوصَى بَعْضُهم بعْضًا بالصَّبْر على الإيمان والثَّباتِ عليه، أو بالصَّبْرِ عن المعاصي وعلى الطَّاعاتِ والمِحَنِ التي يُبْتَلَى بهَا المُؤمِنُ، وبأَنْ يكُونوا مُتَراحِمين مُتعَاطِفينَ، أو بما يُؤَدِّي إلى رَحْمةِ الله.

"الميمَنةُ" و"المَشأَمَةُ": اليَمِينُ والشِّمالُ، أو اليُمْنُ والشُّؤمُ؛ أي: الميَامِينُ على أَنفُسهم والمشَائِيمُ عَليهِنَّ.

قرئ: ﴿موصدةٌ﴾ بالواو والهمزَةِ مِن أَوْصَدْتُ البابَ وَآصَدْتُه: إذا أَطْبَقْتَهُ وأَغلَقْتَهُ.

وعن أبي بكر بن عيَّاشٍ: لنَا إِمَامٌ يَهْمِزُ ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ فأَشتَهي أَن أَشُدَّ أُذُنِي إذا سَمِعْتُه.

عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأَ لا أُقْسِمُ بهذا البَلدِ أَعْطاهُ اللهُ الأمَانَ من غَضَبِه يومَ القيامة».

قوله: (وعن أبي بكر بن عيّاش) يعني: ابنُ عيّاش كان يُنكِر هَمْزَ ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾.[١]
تمّت السورة بحمد الله تعالى وفضله وكرمه.[٢]

---

١ قرأ بهمز ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾: أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، وخلَف، وحفص، وقرأه باقي القرّاء العشر بغير همز. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٩٥/١.

٢ ف - السورة بحمد الله تعالى وفضله وكرمه؛ ن - وفضله وكرمه.

سورة الشمس

مكيةٌ، وهي خمسَ عشرةَ آيةً، وقيل: ستَّ عشرةَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾

"ضُحَاهَا": ضَوؤُها إذا أشرَقَتْ وقامَ سُلطانهَا، ولِذلك قِيل: وقتُ الضُّحَى، و: كأنَّ وَجْهَه شمسُ الضُّحَى.

وقيل: "الضَّحْوة": ارتفاعُ النَّهار، و"الضُّحَى" فَوقَ ذلك، و"الضَّحاء" بالفتحِ والمدِّ: إذا امتَدَّ النهارُ وكرَبَ أن ينتَصِفَ.

﴿إِذَا تَلَىٰهَا﴾ طالِعًا عِند غرُوبِهَا ....

سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله تعالى: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ قال مجاهد والكلبيّ: «وضَوءِها إذا أشرقتْ وارتفعتْ»،[2] والإشراقُ بعد الشُّروقِ؛ لأنّ الشُّروقَ الطلوعُ، والإشراق بعدَه.

قوله: (وكأنّ / وجْهَه) يعني: لذلك يشبّهون[3] الوجه بالشمس في هذا الوقت. [٤٦١و]

قوله: (وكَرَبَ)[4] أي: دَنا.

قوله: (طالعًا عند غروبها) يريد بطلوع القمر عند غروب الشمس ظهورَ

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] انظر: تفسير مجاهد، ص ٧٣٢ (الشمس، ٩١/١)؛ وجامع البيان للطبري، ٤٣٤/٢٤ (الشمس، ٩١/١).

[3] ن: يشتهون.

[4] ن: وكذب. | وجاء في بعض مطبوعات الكشّاف: وقَرُب.

آخِذًا مِن نوْرِهَا، وذلك في النِّصف الأوَّل من الشَّهْر.

وقيل: إذا استدَارَ فتَلاهَا في الضِّياءِ والنُّور.

﴿إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ عند انتِفاخ النَّهار وانْبِساطِه؛ لأنَّ الشَّمْسَ تَنجَلي في ذلك الوَقتِ تمامَ الانجلاء.

وقيل: الضَّميرُ للظُّلْمةِ، أو لِلدُّنيا، أو للأرض، وإن لم يَجْرِ لهَا ذِكرٌ؛ كقَولهم: "أَصْبَحتْ باردةً"، يُرِيدُون: الغَداةَ، و: "أَرْسَلَتْ" يُرِيدُون: السَّماء.

﴿إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ فتَغِيبُ وتُظلِمُ الآفاق.

نور القمر عند غروب الشمس، ولذلك قال: (آخذًا مِن نورها)، فكأنّه قال: يظهر نوره الذي أخذه مِن نور الشمس.

قوله: (وقيل: إذا استدار) يريد: أنّ المراد بالتلوّ يجوز أن يكون مشابهةَ القمر للشمس في الاستدارة والقدر المخصوص، وفي قوّة النور حتّى صار نوره مِثلَ ضوء الشمس في القوّة للمقابلة التامّة، ولذا قال: (في الضياء والنور)، وإلّا فالضياء للشمس والنور للقمر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس ١٠/٥]، ويقولون: تَلوتُ[١] الرجل -أي: تبِعتُه- أتلوه تُلُوًّا،[٢] يقال: ما زلتُ أتلوه[٣] حتّى أتليتُه،[٤] أي: حتّى تقدَّمتُه وصار خلفي.

قوله: (انتفاخِ النهار) انتفخَ[٥] النهار: علا.

قوله: (لأنّ الشمس تنجلي) وإذا انجلى الشمس في ذلك الوقت فكأنّ النهار يُجَلِّيها.[٦]

قوله: (فتغيب)، أشار بقوله: (فتغيب) -أي: الشمس- إلى أنّ الضمير في ﴿يَغْشَىٰهَا﴾ يجوز أن يعود إلى ﴿ٱلشَّمْسِ﴾، وبقوله: (فتظلم الآفاق) إلى أنّه يجوز أن يكون عائدًا إلى "الدنيا"، وهذا كالوجهين في ﴿جَلَّىٰهَا﴾.

---

١ ن: يكون.
٢ ن: أبلوه بلوًا.
٣ ن: أبلوه.
٤ ن: أبليته.
٥ ن: انفتح.
٦ ن: تجليها.

فإن قلتَ: الأمرُ في نَصْبِ ﴿إِذَا﴾ مُعضِلٌ؛ لأنَّكَ لا تَخلُو: إمَّا أن تجعَل الواوَاتِ عاطفةً فتَنصِبَ بهَا وتَجُرَّ فتَقَعَ في العَطْف على عامِلين، وفي نحو قولِك: مرَرْتُ أَمْسِ بزَيْدٍ واليومَ عَمرٍو، وإمَّا أن تجعَلهنَّ للقَسَم فتقَعَ فيما اتَّفَقَ الخليلُ وسيبَويه على استكراهِهِ.

قوله: **(فتقع في العطف)**... إلخ؛ لأنك جعلتَ هذه الواو نائبة[١] عن "مررتُ" وعن الباء، وقد عمل "مررتُ" النصب في "أمسِ"، والباء الجرَّ[٢] في "بزيد"، فجعلتَ الواو نائبة عنهما، ولا يجوز أن يكون الضعيف نائبًا عن قويَّين، وإذا جعلتهنّ للقَسم فتقع[٣] في الاستكراه أيضًا؛ لأنّهم استقرءوا العربيّة كلّها فعلموا أنّه لا بدّ لكلّ قَسَم مِن مُقسَم عليه؛ لأنّه هو المطلوب بالقَسَم، فلو زعمتَ أنّ الكلّ للقَسَم كنتَ قد جئتَ بأقسام متعدّدة مع اتّحاد المُقسَم عليه.

وقوله: **(في نحو قولك)** أكثر النسخ بالواو هكذا: "وفي نحو"،[٤] وبعض النسخ بدونها، فإن كان بالواو فهو عطف على قوله: **(في العطف)** ويكون للبيان كما مرّ كثيرًا، وإن كان بدون الواو فهو بدل مِن قوله: **(في العطف)**، أو ظرفٌ للعطف أو حالٌ منه أو صفةُ "عاملَين"، وعلى التقادير ففي مثاله نظرٌ؛ لأنّ المجرور متقدّم على المنصوب في الآية في المعطوف والمعطوف عليه، بخلاف مثاله فإنّ المجرور متأخّر فيه، فلو قال في المثال:[٥] "مررتُ بزيد أمسِ وعمرٍو اليوم" لكان المثال مطابقًا للآية، وكأنّ المصنِّف أتى المثال على ذلك الوجه لأنّ سيبويه لم يَفرُق في المنع بين أن يكون مقدَّمًا أو مؤخَّرًا، وإن كان بعض النحويّين يَفرُقون بينهما، فيُجوّزون فيما تقدّم فيه المجرور، ويمنعون فيما تأخّر، فأشار المصنِّف بإيراده على هذا الوجه إلى أنّه لا فرق بينهما كما هو مذهب سيبويه، فإنّ القول ما قالت حذام.

---

١ ن: نابته.

٢ ن: للجر.

٣ ن: فيقع.

٤ ن – (نحو قولك) أكثر النسخ بالواو هكذا: "وفي نحو".

٥ ن: المال.

قلتُ: الجوابُ فيه: أنَّ واوَ القسم مُطَّرَحٌ معَها إبرازُ الفعل اطِّرَاحًا كُلِّيًا، فكان لها شَأنٌ خِلافُ شأنِ الباء حَيْث أُبرِز مَعها الفعلُ وأُضمِر، فكانت الواوُ قَائِمةً مقامَ الفِعل والباءِ سَادَّةً مسَدَّهُما مَعًا، والـوَاوَاتُ العَواطفُ نَوائبُ عن هذهِ الواوِ فحُقِّقْنَ أن يَكُنَّ عوَامِلَ عملَ الفِعْل والجَارِّ جميعًا؛ كما تقولُ: "ضرَب زيدٌ عمرًا وبكْرٌ خالدًا" فتَرْفَعُ بالواو وتنصِبُ لِقيامها مَقامَ "ضَرَب" الَّذِي هُو عَامِلُهما.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾

جُعِلَت "ما" مصدريَّةً في قَوله: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾ ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾ ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾

قوله: (قلتُ: الجواب)... إلخ، الواو لا يعمل[١] أصلًا ورأسًا، وإنّما يعمل بالنيابة، فحصِّل العاملين أوّلًا ثمّ اعطف، وهنا العاملان الفعل[٢] والباء؛ لأنّ الأصل: أقسمتُ بالله، ويجوز إظهار الفعل / وإضماره عند الباء، وأمّا[٣] مع الواو فلا يجوز إلّا إضمار الفعل، وذلك لأنّ الباء تُلصِق كلَّ شيء، والواو لا يُلصِق إلّا فعلَ القسم، فطلبًا للاختصار[٤] أُضمر الفعل لا مِن حيث إنّ الواو[٥] فرعٌ على الباء. [٤٦١ظ]

قوله: (وبَكْر خالدًا)[٦] هذه الواو قامت مقام الفعل يؤثِّر تأثيرين، فكذا فيما نحن فيه، الواو[٧] الأولى بمنزلة "ضرَبَ"، والواو الثانية[٨] للعطف،[٩] ولا يؤدّي إلى العطف على عاملَين، كما لا يؤدّي في "ضرب زيدٌ عَمرًا".

قوله: (فكانت الواو) أي: واو القسَم.

---

[١] ن: تعمل.
[٢] ن – الفعل.
[٣] ن: أمّا.
[٤] ن: الاختصار.
[٥] ن: المراد.
[٦] ن: خالدًا.
[٧] ن: و.
[٨] ن + منه.
[٩] ن + من.

ولَيْسَ بالوَجْه لِقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ وما يُؤدِّي إليه من فسادِ النَّظْم، والوجهُ أن تكُون موصُولةً، وإنَّما أُوثِرَتْ على "مَن" لإرادةِ مَعنى الوصفيَّةِ؛ كأنَّه قيل: والسماءِ والقادِرِ العظيم الَّذي بَناهَا، ونفسٍ والحكيمِ الباهرِ الحكمةِ الَّذي سَوَّاها، وفي كلامهم: "سُبْحانَ ما سخَّركنَّ لنَا".

فإن قلتَ: لِمَ نكِّرتِ النَّفسُ؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدُهما: أن يُرِيد نفسًا خاصَّةً من بيْنِ النُّفُوس وهي نفسُ آدمَ؛ كأنَّهُ قال: ووَاحِدَةٍ من النُّفوس.

والثاني: أن يُرِيد كلَّ نفسٍ ويُنَكِّرَ للتَّكثير، على الطَّريقةِ المَذكُورة في قولِهِ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [التكوير ١٤/٨١].

ومعنى إِلْهام الفجُور والتَّقوَى: إفهَامُهما وإِعقَالُهما، ....

قوله: (لقوله[١] تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾)[٢] إذ يلزم منه عطف الفعل على الاسم، وأيضًا فساد النَظْمِ في "نفسٍ وتسويتها فألهمَها"[٣] ظاهر لا شبهة فيه. واعلم أنّه لا بُعد في أن يجعل "ما" مصدريّة، ويكون ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ عطفًا على ﴿سَوَّىٰهَا﴾؛ ليكون هو أيضًا في تأويل المصدر، أي: وتسويتِها فإلهامِها فُجورَها.

قوله: (لإرادة معنى الوصفيّة) "ما" تستعمَل[٤] في الصفات، إذا أردتَ أن تسأل عن صفةِ زيد فقل: ما زيدٌ؟ والجواب عنه: فقيهٌ أو طبيبٌ، وإذا سألت عن ذاته فقل: مَن زيدٌ؟ والجواب عنه: هذا زيدٌ.

قوله: (وفي كلامهم: سبحان ما سخَّركنَّ لنا) يخاطِبُ النساء، فيه معنى التعجُّب، يتعجَّب مِن كونهنّ مسخَّراتٍ.

قوله: (إفهامُهما) أي: إفهام الفجور والتقوى، وإعقال الفجور والتقوى،

---

١ ن – لقوله.

٢ ن: فألهمهما.

٣ ن: فإنّهما.

٤ ن: يستعمل.

وأَنَّ أحَدَهُما حسَنٌ والآخَرُ قبيحٌ، وتَمكِينُه من اختيارِ ما شاء مِنهما بدليلِ قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ فجَعله فاعِلَ التَّزكيَةِ والتَّدْسيةِ ومُتوَلِّيَهُما.

وإفهام[١] وإعقال أنّ أحدَهما حسنٌ والآخَر قبيحٌ، فقوله: (أنّ أحدهما) عطف على الضمير المجرور مِن غير إعادة الجارّ.

قوله: (بدليل) أي: معنى الإلهام هو الإفهام، بدليل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، يعني: الدليل على أنّ المراد بإلهام الفجور والتقوى هو الإفهام... إلخ، وليس المراد أنّ الله تعالى ألهمها الفجور والتقوى حقيقةً أنّه تعالى قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي: سَعِد مَن أصلح نفسه[٢] وطهّرها مِن الذنوب، وخاب وخسر مَن أهلك نفسه وأضلّها بحملها على المعاصي، فدلّ الآية على أنّ الله تعالى حكم بأنّ الشخص هو فاعل التزكية والتدْسِية، ولو كان الفجور والتقوى بإلهام الله تعالى لما صحّ إسناد التزكية والتَدْسِية إلى الشخص، هذا معنى كلام المصنِّف، وفيه نظر؛ لأنّه إنّما يصحّ أن لو كان الضمير المستتر في الفعلين عائدًا إلى ﴿مَن﴾، والبارز المنصوب إلى "النفس" كما أشار إليه المصنِّف[٣] بفحوى[٤] كلامه، وأمّا[٥] إذا قلنا: الضمير المستتر يعود إلى الله تعالى، والبارز إلى ﴿مَن﴾، وأنّثه باعتبار النفس، فلا يلزم ما ذكره، وحينئذٍ يكون المعنى: أفلحتْ نفسٌ زكّاها الله تعالى، وخَسِر نَفْسٌ دسّاها الله تعالى، وهذا هو المعنى الصحيح، فإنّ الله تعالى هو فاعل جميع الأشياء، فإسناد الأفعال إليه هو التوحيد، وأمّا جَعل غيره تعالى خالق بعض الأشياء فتمَجُّسٌ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «القدريّة مجوسُ هذه الأمّة».[٦] ثمّ اعلم أنّ هذا الحديث لم يثبت، بل قيل: موضوع.[٧]

قوله: (فجعله فاعل التزكية) يريد: أنّ الضمير المستتر في ﴿زَكَّىٰهَا﴾ عائد إلى ﴿مَن﴾، والبارز إلى ﴿نَفْسٍ﴾.

---

١ ف – وإفهام.
٢ ن – نفسه.
٣ ن – المصنِّف.
٤ ن: بعجرى.
٥ ف – وأمّا.
٦ سنن أبي داود، ٧/٧٧ (٤٦٩١).
٧ قال البغوي: «رجاله مِن رجال الصحيح؛ لكن في سماع ابن أبي حازم هذا –واسمه سلمة بن دينار– عن ابن عمر نظر، وجزم المنذري بأنّه لم يسمع منه، وقال أبو الحسن بن القطّان: قد أدركه وكان معه بالمدينة، فهو متّصل على رأي مسلم». مصابيح السُّنّة للبغوي، ١/٨٢.

و"التزكِيَةُ": الإنْماءُ والإعلاءُ بالتَّقْوَى، و"التَّدْسِيَةُ": النَّقْصُ والإخفاء بالفُجورِ.

وأَصْلُ دَسَّى: دَسَّسَ؛ كما قيل في تَقَضَّضَ: تَقَضَّى.

وسُئل ابنُ عبَّاس عنه فقال: أَتَقْرَأُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى ٨٧/١٤] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه ٢٠/١١١]؟

وأمَّا قولُ مَن زعَم أنَّ الضميرَ في "زَكَّى" و"دَسَّى" للهِ تعالى وأَنَّ تأنيثَ الرَّاجِع إلى ﴿مَن﴾ لأنَّه في مَعنى النَّفسِ: فمِن تَعكيس القَدَرِيَّة الَّذين يُوَرِّكُونَ على الله قَدَرًا هُو بَريءٌ مِنه ومُتعَالٍ عنه، ويُحيُونَ ليَالِيَهم في تمحُّلِ فاحشةٍ يَنسُبُونهَا إلَيْه.

فإن قلت: فأين جَوابُ القَسم؟

قلت: هو محذوفٌ تقديره: لَيُدَمْدِمَنَّ اللهُ عَليهم؛ أي: على أَهْلِ مكَّة لِتكذيبهِم رسولَ الله كما دَمْدَم على ثمُودَ لأنَّهم كذَّبُوا صَالحًا.

وأمَّا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ فكلامٌ تابعٌ لقَوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ على سبيل الاسْتِطرادِ وليس من جَواب القَسم في شيءٍ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾﴾

الباء في ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ مِثلُها في: كتبْتُ بالقلم، والطَّغْوَى من الطُّغيانِ؛ فصَلُوا بَيْن الاسم والصِّفَةِ في فَعْلَى من بناتِ الياءِ بأَنْ قلَبُوا اليَاءَ واوًا في الاسم

قوله: (لأنَّه) خبر "أنَّ".

قوله: (فمِنْ تعكيس[1] القَدَرِيَّة) يريد ترويج مذهبه الباطل بالطعن في المذهب الذي / هو الصواب، فإنَّ الله تعالى خالق جميع الأشياء ومقدِّر الكائنات، فمَن ذهب إلى خلاف ذلك فهو مبطلٌ هالك قَدَريٌّ. [٤٦٢و]

قوله: (وقيل) عطف على قوله: (الباء)... إلخ، وعلى هذا الوجه يكون الباء مثلها

---

[1] ن: تعليس.

وتَركُوا القَلْبَ في الصِّفةِ، فقالُوا: امْرأةٌ خَزْيَا وصَدْيَا. يَعْني: فَعَلَتِ التَّكذِيبَ بطُغْيَانِها، كما تَقُول: ظَلَمنِي بجُرأتِه على الله.

وقيل: كذَّبَتْ بما أُوعِدَتْ بهِ مِن عذابها ذِي الطَّغْوَى؛ كقوله: ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة ٥/٦٩].

وقرأ الحسنُ: "بطُغْوَاهَا" بضم الطاء؛ كالحُسنَى والرُّجْعَى في المصَادر.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ مَنْصُوبٌ بـ﴿كَذَّبَتْ﴾، أو بـ"الطَّغْوَى"، و﴿أَشْقَىٰهَا﴾: قُدارُ بنُ سَالِفٍ.

ويجوز أَن يكُونوا جماعةً والتَّوْحِيدُ لِتَسْوِيتِكَ في أفعَلِ التَّفضيل -إذا أَضَفتَهُ- بين الواحِدِ والجَمْعِ والمذكَّرِ والمؤنَّثِ، وكان يَجُوز أَن يُقال: أَشْقَوهَا، كما تقُول: أفاضِلُهم.

والضميرُ في: ﴿لَهُمْ﴾ يجُوز أَن يكون لِلأَشقَيْنَ والتفضيلُ في الشَّقاوةِ؛ لأنَّ مَن تولَّى العَقْرَ وباشَرَه كانت شقَاوتُه أظْهَرَ وأَبْلَغ.

و﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ نصْبٌ على التَّحْذِير؛ كقَولِك: الأسَدَ الأسَدَ، والصَّبيَّ الصَّبيَّ، بإضمارِ: ذَرُوا -أو: احذَرُوا- عَقْرَها ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ فلا تَزْوُوهَا عَنها ولا تَستأثِرُوا بهَا عَليها.

في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ [الأنعام ٦٦/٦]. وقوله: (ذي الطغوَى) أي: فأُهلكوا بالعذاب ذي الطغوَى.[1]

قوله: (والضمير في ﴿لَهُمْ﴾[2] يجوز) يعني: أنّ الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يعود إلى "الأشقِين"، فإنّ قوله: ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ يدلّ على الأشقِين، ثمّ أشار إلى جواب سؤال، وهو أنّه إذا كان جميعهم أشقَى فكيف قال لواحد: ﴿أَشْقَىٰهَا﴾؟ فأجاب: بأنّ شقاوته أظهر وأبلغ.

قوله: (عَقْرَها وسُقياها) أي: اتركوا العَقْر والسُّقيا،[3] يقال: سَقَيْتُه وأسقَيتُه، والاسم السُّقيا، أي: احذروا سُقيا الناقة، فلا تمنعوا سُقيا الناقة عن الناقة، ولا تستأثِروا بها -أي: بسُقياها- على الناقة، ويقال: استأثر بالشيء، أي: استبدَّ به.

---

[1] ن: الطوى.
[2] ن: قولهم.
[3] ن: السقيا.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيمَا حَذَّرهُم مِنه من نزُول العذاب إنْ فَعلُوا.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ فأطَبَق عليهم العذابَ، وهُو من تكريرِ قَولهِم: ناقةٌ مَدْمُومةٌ: إذا أَلْبَسَها الشَّحمُ.

﴿بِذَنْبِهِمْ﴾: بسَبَبِ ذنْبِهم، وفيه إنذارٌ عظيمٌ بعَاقبة الذَّنب، فعَلى كُلِّ مُذْنبٍ أَن يَعْتبِر ويَحْذَر.

﴿فَسَوَّاهَا﴾ الضميرُ للدَّمْدَمَةِ؛ أي: فسوَّاهَا بينَهُم لم يُفْلِت منها صغيرُهم ولا كبيرُهم ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾؛ أي: عاقِبَتَها وتَبِعَتَها كما يَخافُ كُلُّ مُعَاقِبٍ من المُلوكِ فيُبْقِي بعضَ الإبقاء.

ويجوز أَن يكون الضَّميرُ لِثمُودَ على مَعنى: فسوَّاها بالأَرْضِ، أو في الهلاك، ولا يَخافُ عُقبَى هَلاكِهَا.

وفي مَصاحِفِ أهل المدينَةِ والشَّام: ﴿فلا يَخَافُ﴾، وفي قراءة النَّبيِّ عليه السلام: "ولـم يَخَفْ".

قوله: (فيما حذَّرهم) يريد: أنّ التكذيب عائدٌ إلى ما دلَّ عليه الكلام؛ لأنّ معنى قوله: "احذروا ناقة الله واحذروا سقياها": أنّكم إن تفعلوا ذلك تُعذَّبوا،[1] فكذَّبوهم في أنّهم يعذَّبون إن فعلوا ذلك، هذا معنى كلام المصنِّف، ويجوز -والله أعلم- أن يقال: التكذيب عائد إلى ما ادّعاه مِن النبوّة، أي: فكذّبوه في ادّعاء النبوّة والرسالة فعقروا الناقة، ويُفهم هذا المعنى مِن قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾، فيعود التكذيب إلى قوله تعالى: ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾، والعَقر إلى قوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾، فيكون مشتمِلًا على اللَّفّ والنَشر اللطيف المسلك، والحمد لله[2] على الهداية والتوفيق.

قوله: (فسوَّاها بالأرض) يوافق قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ [النساء ٤/٤٢]، أعني: يوافقه في معنى التسوية.

---

[1] ف: تكذَّبوا؛ ن: تقديرًا.

[2] ن: والحديث.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورةَ الشَّمسِ فكأنَّما تصَدَّقَ بكُلِّ شيءٍ طَلَعتْ عليه الشَّمسُ والقمرُ».

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنِّه وكرمه.[١]

---

١ ف – السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن – ومنّه وكرمه.

سورة والليل

مكيةٌ كلُّها، وهي إحدى وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾

"المَغْشِيُّ": إمَّا الشمسُ من قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [الشمس ٤/٩١] وإمَّا النَّهارُ مِن قوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف ٥٤/٧] وإمَّا كُلُّ شيءٍ يُوارِيه بظَلامِه مِن قوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق ٣/١١٣].

﴿تَجَلَّىٰ﴾: ظَهر بزوالِ ظُلمةِ اللَّيلِ، أو: تبيَّنَ وتكشَّفَ بطُلُوع الشَّمسِ.

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (مِن قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [الشمس ٤/٩١])، كما مرّ أنّ المراد:[2] إذا يغشى الشمس، فتغيب الشمس.

قوله: (مِن قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق ٣/١١٣])، وُقُوبُه: دخول ظلامه، فإنّه إذا دخل ظلامه ستر كلَّ شيء.

قوله: (ظهر بزوال ظلمة الليل) وهذا المعنى على تقدير أن يكون المغشيُّ النهارَ أو كلَّ شيء، وقوله: (أو تبيَّن) هذا على تقدير[3] أن يكون المغشيُّ الشمسَ.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.
[2] ن: مراد.
[3] ن: على هذا التقدير.

﴿وَمَا خَلَقَ﴾: والقَادِرِ العَظِيمِ القُدْرَةِ الَّذِي قدَرَ على خَلْقِ الذَّكرِ والأُنْثَى مِن ماءٍ واحدٍ، وقيل: هما آدَمُ وحَوَّاءُ، وفي قرَاءةِ النَّبيِّ عليه السَّلام: "والذَّكرِ والأُنثى".

وقرأ ابنُ مسْعُود: "والَّذي خَلَق الذكر والأنثى".

وعن الكسائي: "وما خلَقَ الذكرِ والأنثى" بالجرِّ على أنه بدَلٌ من محَلِّ "ما خلق" بمَعنى: وما خَلقَهُ اللهُ؛ أي: ومَخْلُوقِ اللهِ الذكرِ والأُنثَى، وجاز إضْمارُ اسْمِ اللهِ لأنَّه مَعْلُومٌ لانفِرادِهِ بالخَلقِ، إذ لا خالِقَ سواهُ.

وقيل: إنَّ الله لم يَخْلُقْ خلقًا مِن ذَوِي الأَزواح لَيس بذَكَرٍ ولا أُنْثَى، والخُنثَى وإن أشْكَلَ أمْرُه عِندَنا فهو عندَ الله غيْرُ مُشكِلٍ، مَعْلُومٌ بالذُّكُورَةِ أو الأُنوثَةِ، فلو حَلفَ بالطَّلاق أنَّه لم يَلْقَ يَوْمَهُ ذكرًا ولا أُنْثَى وقد لقِي خُنثَى مُشكِلًا: كان حانثًا؛ لأنَّه في الحقيقةِ إمَّا ذكرٌ أو أُنثَى وإن كان مُشكِلًا عِندنا.

"شَتَّى": جمعُ شَتِيتٍ؛ أي: إنَّ مسَاعِيَكم أشتاتٌ مُختَلِفةٌ، وبَيانُ اختِلافها فيما فصَّل على أَثَرِه:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾

قوله: (وفي قراءة النبيِ عليه الصلاة والسلام: «والذَكَرِ والأنثَى») أي: قراءة بالواو هكذا: "وما خلَقَ، والذكَرِ[١] والأنثَى".[٢]

قوله: (والخُنثَى وإنْ أشكَل) جواب سؤال، وهو أن يقال: هذا يُشكِلُ بالمشكِلِ؟ فأجاب: بأنّ أحدهما...

قوله: (جمع شَتيتٍ) كجرحى وقتلى.

---

١ ن: الذكر.

٢ لكن ما ورَد في الصحيحين: "والذكَرِ والأنثى"، دون قوله: "وما خلَق". عن علقمة، قال: لقيت أبا الدرداء، فقال لي: ممّن أنت؟ قلت: مِن أهل العراق... قال: هل تقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود؟ قال: قلت: نعم، قال: فاقرأ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، قال: فقرأت ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ "والذكَرِ والأنثى"، قال: فضحك، ثم قال: «هكذا سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرؤها». صحيح البخاري، ٢٥/٥ (٣٧٤٢)؛ صحيح مسلم، ٥٦٦/١ (٨٢٤).

﴿أَعۡطَىٰ﴾ يَعْني: حقُوقَ مالِهِ ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله فلم يَعْصِه ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: بالخَصْلة الحُسْنَى وهي الإيمانُ، أو: بالمِلَّة الحُسْنَى وهي ملَّةُ الإسلام، أو: بالمَثُوبة الحُسْنَى وهيَ الجَنَّة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾: فسَنُهيِّئُهُ لهَا، من يسَّر الفرَسَ للرُّكُوبِ: إذا أسْرَجَها وألجَمَها، ومنه قولُه عليه السَّلام: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِق له».

والمَعنى: فسَنَلْطُفُ بِهِ ونُوفِّقُه حَتَّى تكُونَ الطَّاعَةُ أيسَرَ الأمُورِ عليه وأهوَنَها، مِنْ قَوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [الأنعام ١٢٥/٦].

﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: وزَهِدَ فيما عِنْد الله كأنَّهُ مُستَغْنٍ عنه فلم يتَّقِه، أو: استَغْنَى بشَهواتِ الدُّنيا عن نَعيم الجنة لأنَّه في مقابلةِ ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾: فسَنَخْذُلُه ونَمْنَعُه الألْطَافَ حَتَّى تكُونَ الطَّاعَةُ أعسَر شيءٍ عليه وأشَدَّهُ، مِن قوله: ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام ١٢٥/٦].

أو سَمَّى طَريقةَ الخَيْر باليُسْرى لأنَّ عَاقِبَتَها اليُسْرُ، وطَريقةَ الشَّرِّ العُسْرَى لأنَّ عاقِبَتَها العُسْر.

قوله: (وهي الإيمان) والمعنى على هذا التقدير: صدَّق بإيمانه، فهو قريب مِن أحد الوجهين في ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ [الشمس ١١/٩١].

قوله: (أو استغنى بشهواتِ) فإنَّه لمَا كان المراد بالتقوَى التقوَى عن الشهوات[١] ناسَبَ أن يكون المراد بـ﴿ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: الاشتغال بالشهوات.

[٤٦٢ظ] قوله: (أو سمَّى) والفرق بين / المعنيَين: أنّه سمَّى الأعمال بـ"اليُسرَى" على الوجه الأوّل، بناءً[٢] على أنَّ الله تعالى[٣] هوَّنها بالتوفيق، وفي الوجه الثاني سمّاها بـ"اليُسرَى" وإن كانت شاقَّةً في نفسها نظرًا إلى أنّ عاقبتَها اليُسرَى، فهو عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (فسنَلْطُفُ).

---

[١] ن – عن الشهوات.
[٢] ن – بناء.
[٣] ف ن – تعالى.

أو أرادَ بهما طَريقي الجَنَّةِ والنَّار؛ أي: فَسنَهدِيهِمَا في الآخِرَة للطَّريقَيْنِ.

وقيل: نَزَلتَا في أَبي بكْرٍ رضي الله عنه، وفي أبي سُفيَانَ بنِ حَرْبٍ.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ﴾ استفهَامٌ في مَعنى الإِنْكارِ، أو نَفيٌ.

﴿تَرَدَّىٰ﴾: تفعَّلَ من الرَّدَى وهو الهَلاكُ، يُريد: الموتَ، أو: ترَدَّى في الحُفْرة إذا قُبِرَ، أو: ترَدَّى في قَعْرِ جَهنَّمَ.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: إنَّ الإرْشادَ إلى الحَقِّ واجِبٌ عَلَيْنا بنَصْبِ الدَّلائلِ وبيَانِ الشَّرائعِ.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾؛ أي: ثوابَ الدَّارَيْنِ للمُهْتَدِي؛ كقَوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت ٢٩/٢٧].

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾

وقرأَ أبُو الزُّبيْرِ: "تتلظى".

فإن قلتَ: كيْفَ قال: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ وقد عُلم

قوله: (أو[١] فسنَهديهما) أي: سنهدي[٢] هذَين الشخصين.

قوله: (﴿تَرَدَّىٰ﴾[٣] تفعَّلَ) يقال: ردَى، أي: هلَك، و﴿تَرَدَّىٰ﴾ تفعَّل منه للمبالغة.

قوله: (واجبٌ علينا) الوجوب بناء على مذهبه.

قوله: (فإن قلتَ: كيف قال)...[٤] إلخ، قيل:[٥] إنَّ[٦] ﴿الْأَشْقَى﴾ بمعنى الشقيّ،

---

[١] في مطبوع الكشّاف: "أي".
[٢] ف: فسنهدي.
[٣] ن: تودى.
[٤] ن: حال.
[٥] ف – قيل.
[٦] ن: إذ.

أنَّ كُلَّ شقيٍّ يَصْلَاها وكُلَّ تقيٍّ يُجَنَّبُها، لا يَختصُّ بالصُّليِّ أَشقَى الأَشقِياء ولا بالنَّجاةِ أتقَى الأَتقِياء، وإن زَعَمْتَ أنَّه نكَّر النَّارَ فَأَرَادَ نَارًا بعَيْنِها مخصُوصَةً بالأَشْقَى فما تَصْنَعُ بقَوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ فقَدْ عُلِم أنَّ أفسَق المُسلِمِين يُجنَّبُ تلك النارَ المخصُوصةَ لا الأَتقَى مِنْهم خاصَّةً؟

قلتُ: الآيةُ وَارِدَةٌ في المُوازنةِ بينَ حَالَتي عظيمٍ من المُشركين وعظيمٍ من المؤمنين، فأُرِيد أن يُبالَغَ في صِفتَيْهِما المُتَنَاقِضَتَيْنِ فقِيل: ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ وجُعِلَ مُختَصًّا بالصُّلِيِّ كَأنَّ النَّارَ لم تُخلق إلَّا له، وقيل: ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ وجُعِل مُختصًّا بالنَّجاة كأنَّ الجنَّة لم تُخلَقْ إلَّا له.

وقيل: هُما أبُو جهْلٍ أو أُميَّةُ بنُ خَلَفٍ وأبُو بكْرٍ رضي الله عنه.

﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ من الزَّكاء؛ أي: يَطْلُبُ أن يكون عِند الله زَاكِيًا لا يُرِيدُ بهِ رِياءً ولا سُمْعَةً، أو يتفعَّلُ من الزَّكاةِ.

فإن قلتَ: ما محَلُّ ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾؟

قلتُ: هو على وجْهَينِ:

إن جَعلْتَهُ بدَلًا من ﴿يُؤْتِي﴾ فلا محَلَّ له؛ لِأنَّه داخِلٌ في حُكم الصِّلَةِ والصِّلاتُ لا مَحلَّ لهَا.

و﴿ٱلْأَتْقَى﴾ بمعنى التقيّ، فعلى هذا لا يَرِدُ السؤال.

قوله: (عظيمٍ) أي: شخصٍ عظيمٍ. وقوله: (وعظيمٍ) أي: شخصٍ عظيمٍ. وقوله: (في صفتيهما) أي: في الصِّفتَين المُتناقضتَين للشخص.

قوله: (وقيل: هما أبو جهل)... إلخ،[١] أي: ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ أبو جهلٍ أو أُميّة،[٢] و﴿ٱلْأَتْقَى﴾ أبو بكرٍ رضي الله عنه.

قوله: (لا محلّ لها) لأنّ[٣] الصِّلة بعض الاسم، وبعض الاسم لا محلّ له، ولأنّ الصِّلة ليست بقائمةٍ مقام المفرد حتّى يستقرّ منه الإعراب.

---

١ ن + أي: ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ أبو جهلٍ إلى آخره.

٢ ن: وأميّة.

٣ ن: أنّ.

وإن جعَلْتَهُ حالًا مِن الضَّميرِ في ﴿يُؤۡتِي﴾ فمحَلُّه النَّصْبُ.

﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ﴾ مُستثْنًى من غَيْرِ جِنْسه وهوَ النِّعمةُ؛ أي: ما لِأَحَدٍ عنْدهُ نِعمةٌ إلَّا ابتغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ، كقَولكَ: ما في الدَّارِ أَحَدٌ إلَّا حِمارًا.

وقرأ يحيى بنُ وثَّابٍ: "إلَّا ابتغاءُ وَجهِ رَبِّه" بالرَّفعِ: على لُغةِ مَن يقُول: ما في الدَّارِ أَحَدٌ إلَّا حمارٌ، وأُنشِدَ في اللُّغَتَيْنِ قَولُ بشْرِ بن أَبِي خَازِمٍ:

أَضحَتْ خَلاءً قِفَارًا لا أَنيسَ بهَا   إلَّا الجَآذِرَ والظِّلمانَ تَختَلِفُ

وقولُ القائل:

وبَلدةٍ ليس بهَا أَنيسُ   إلَّا اليَعافِيرُ وإلَّا العِيسُ

ويجُوزُ أن يكُونَ: ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ﴾ مَفعُولًا له على المَعنى؛ لِأنَّ مَعْنى الكلام: لا يُؤتِي مالَه إلَّا ابتغاءَ وَجْهِ رَبِّه لا لِمُكافأةِ نعْمةٍ.

﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ موْعِدٌ بالثَّوابِ الَّذي يُرْضِيه ويُقِرُّ عيْنَهُ.

قوله:

(أَضحَتْ خَلاءً)... البيتَ[١]

يصف منازل العرَب، وقوله: "والجَآذِر" أولاد البقر، جمع: جُؤذَر.

و"اليعافير": أولاد الظِّباء، جمع: يَعفور، و"الظِّلْمان": جمع الظَّليم، وهو ذكَر النَّعام. و"العِيسُ" بالكسر: الإبلُ البيضُ، يخالط بياضها شيء مِن الشُّقْرة.[٢]

قوله: (معنى الكلام) أي: معنى ﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾... إلخ.

قوله: (لا لمكافأة نِعمَه)[٣] في هذا التركيب نظرٌ كما مرّ مرارًا،[٤] ويجوز أن يكون "لا لمكافأة" بدلٌ[٥] مِن قوله: "لا يؤتي"... إلخ، أي: لا يؤتي مالَه لمكافأة، فيسقط الاعتراض.

---

[١] ديوان بشر بن أبي خازم، ص ١٠١، وفيه: "إلا الجوازئ" بدل: "إلا الجآزر". والجوازئ: البقر والظباء التي جزأت بالرطب عن الماء. لسان العرب لابن منظور، «جزأ».

[٢] ن: الشيزة.

[٣] ف: نعمة.

[٤] ف – مرارًا؛ ن: مرا.

[٥] ف ن: بدلًا.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورةَ ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ أَعْطاه اللهُ حَتَّى يَرْضَى، وعَافَاه من العُسْرِ، ويَسَّرَ لهُ اليُسْرَ».

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[1]

[1] ف – السورة بحمد الله تعالى؛ ن – تمّت السورة بحمد الله تعالى.

سورة والضحى

مكية، وهي إحدَى عَشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾

المرادُ بـ"الضُّحَى": وقتُ الضُّحَى، وهو صَدْرُ النَّهارِ حين تَرْتفِعُ الشَّمسُ وتُلْقِي شُعاعَها.

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (المراد: وقت الضحى) لأنّ معنى "الضحى": هو الضوء؛[2] لِما[3] ذكَره في قوله: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس ١/٩١]: «ضوؤها إذا أشرقت»، وإذا كان معنى "الضحى" الضوء وجَب أن يقدَّرَ الوقتُ هنا معه؛ ليكون بمعنى صَدْر النهار، فيلائم ذكر الليل في مقابلته في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

قوله: (حين) بدلٌ[4] مِن (صدر)، فيجوز رفعُه إن جُعِل مُعرَبًا، وفتحُه إن جُعل مبنيًا.

قوله: (وقيل: أريدَ) عطفٌ[5] على قوله: (وهو صدرُ النهار)، فعلى الأوّل المراد بوقت الضحى: صدر النهار، وعلى الثاني: النهار.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.
[2] ن – الضوء.
[3] ن: كما.
[4] ن: بذل.
[5] ن: عطفًا.

وقيل: إنَّما خَصَّ وقتَ الضُّحَى بالقَسَم لأنَّها السَّاعةُ التي كُلِّم فيها مُوسَى وأُلقِيَ فيها السَّحرَة سُجَّدًا؛ لِقوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه ٢٠/٥٩].

وقيل: أُريدَ بالضُّحَى: النَّهارُ، بَيَانُه قولُه: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ [الأعراف ٧/٩٨] في مُقابَلةِ ﴿بَيَٰتًا﴾ [الأعراف ٧/٤].

﴿سَجَىٰ﴾: سَكَن ورَكَد ظَلَامُه، وقيل: لَيلةٌ ساجِيَةٌ: سَاكنة الريح، وقيل: مَعناه: سُكونُ النَّاس والأَصْواتِ فيه، وسَجَا البَحْرُ: سَكَنَتْ أَمْواجُهُ، وطَرْفٌ سَاجٍ: سَاكنٌ فاتِرٌ.

﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ جوابُ القَسم، ومعناه: ما قَطَعك قطْعَ المُوَدِّع.

وقرئ بالتخفيف، يَعْني: ما تَركك؛ قال:

وثَـمَّ وَدَعْـنَـا آلَ عَـمْـرٍو وعَـامـرٍ فَـرائِـسَ أَطْـرَافِ الـمُـثَـقَّـفَـةِ الـسُّـمْـرِ

والتَّوديعُ: مُبَالغةٌ في الوَدْع؛ لأنَّ مَن ودَّعَك مُفارِقًا فقَد بَالغ في ترْكِك.

قوله: (وقيل: معناه) هذا عطف على قوله: (سكنَ ظلامُه)، وقوله: (وقيل: ليلةٌ)... إلخ، جملةٌ معترضةٌ لبيان المعنى الأوّل، والأصوَب أن نقول: هو إشارة إلى قول آخر؛[١] فذكر أوّلًا: أنّ المراد: ركودُ ظلامه وسكونه، وثانيًا: أنّ المراد: سكون الريح فيه،[٢] وثالثًا:[٣] أنّ المراد: سكونُ الناس والأصوات فيه، واعلم أنّ الحقّ أن نقول: فسّر قوله: ﴿سَجَىٰ﴾ بوجهين، وبيَّن كلَّ واحدٍ مِن الوَجهين بقوله بعده: (وقيل)... إلخ،[٤] فتأمّل فيه، فإنّ هذا هو الصواب.

قوله:

(وثَـمّ وَدَعْنـا آلَ عَمْـرو وعامِـرٍ فَرائِـسَ أطـرافِ المُثَقَّفـةِ السُّـمْرِ)[٥]

[٤٦٣و] "الفرائس": جمع فريسة، وهي صيدُ الأسد. و"المثقّفة":[٦] الرِماح / المُقوَّمة.

---

١ ن: قوله آخره.

٢ ن: ركود ظلامه وسكونه.

٣ ن: وثانيًا.

٤ ن – فسّر قوله: (سجى) بوجهين وبيّن كلّ واحد من الوجهين بقوله بعده: (وقيل)... إلخ.

٥ لم أجد مَن ذكره قبل الزمخشري، وذكره أبو حيّان في البحر المحيط، ١٠/٤٩٦ (الضحى، ٩٣/٣).

٦ ن: المثقفة.

رُوِي: أنَّ الوحيَ قَد تأخَّرَ عن رسُول الله أيَّامًا، فقال المُشركُون: إنَّ محمَّدًا وَدَّعَهُ رَبُّه وقَلاهُ.

وقيل: إنَّ أُمَّ جَميلٍ امرَأةُ أَبِي لهَبٍ قَالَتْ له: يا محمَّدُ، ما أُرَى شَيطانَكَ إلَّا قدْ تَركك، فنزلَتْ.

حذفُ الضَّمير من ﴿قَلَىٰ﴾ كحَذفهِ من الذَّاكراتِ في قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب ٣٥/٣٣] يُريد: والذَّاكِرَاتِه، ونحْوُه: ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ ﴿فَهَدَىٰ﴾ ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ وهو اختِصارٌ لَفظيٌّ لِظهُور المحذوف.

فإن قلتَ: كيف اتَّصَلَ قولُه: ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ بما قبلَهُ؟

قلتُ: لمَّا كان في ضِمْن نَفيِ التَّوديع والقِلَى: أنَّ الله مُوَاصِلُكَ بالوَحْيِ إليْكَ، وأنَّك حبيبُ الله، ولا ترَى كَرامةً أعْظَم مِن ذلك ولا نِعْمةً أجَلَّ منه، أَخْبَرهُ أَنَّ حالَه في الآخِرة أَعْظَمُ من ذلك وأجَلُّ، وهو السَّبْقُ والتَّقدُّمُ على جميع أنبياءِ الله ورُسُلِهِ، وشهَادةُ أمَّتِه على سَائر الأُممِ، ورَفعُ درَجاتِ المُؤمِنِينَ وإعْلاءُ مرَاتبِهم بشفَاعتِه، وغيرُ ذلك من الكَراماتِ السَّنيَّةِ.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ مَوْعِدٌ شامِلٌ لِمَا أَعْطَاه في الدُّنيا من الفَلَجِ والظَّفَرِ بأَعدائه يوْمَ بَدْرٍ ويوْمَ فَتح مكَّة، ودخُولِ النَّاسِ في الدِّين أَفْواجًا، والغَلَبةِ على قُرَيْظَة والنَّضِير وإجْلائهِم، وبثِّ عسَاكِره وسَرَاياه في بلاد العَرب، وما فتحَ على خُلَفائه

و"السُمْر": جمع أَسمَر، وهو لون بين البياض والأُدْمة. يعني: في ذلك المقام[١] تركنا الآلَيْنِ[٢] فرائسَ الرماح، أي: مجروحين معلولين.[٣]

قوله: (ولا ترى كرامةً) جملة معترضة.

قوله: (وما فتح على خلفائه) "ما" مصدريّة، وهو معطوف على المصادر المتقدِّمة المذكورة لبيان "ما" في "لِمَا"، والأصوبَ: أن نقول: هو عطفٌ على قوله: (ما أعطاه)، و"ما" ههنا أيضًا موصولة. و(مِن المدائن) بيان "ما"، والعائد محذوف،

---

١ ن – المقام.

٢ أي: آلَ عَمرو وآل عامِرٍ.

٣ ن: معاولين؛ ف: فعلولين.

الرَّاشِدينَ في أَقطَار الأرضِ مِن المَدائنِ، وهَدَمَ بأَيْديهِم مِن ممالك الجبَابرَة، وأَنهَبَهُم من كنُوز الأَكاسرَة، وما قذَفَ في قُلُوب أَهْلِ الشَّرْقِ والغربِ من الرُّعْبِ وتهيُّبِ الإِسْلام وفُشوِّ الدَّعْوة واستِيلاء المُسلمِينَ، ولِمَا ادَّخَر له مِن الثَّواب الَّذي لا يَعْلَمُ كُنْهَه إلَّا اللهُ.

قال ابن عبَّاس: لهُ في الجنَّة أَلْفُ قَصْرٍ من لُؤلُؤٍ أبيضَ تُرابُه المِسْكُ.

فإن قلتَ: ما هذه اللَّامُ الدَّاخِلةُ على سَوْفَ؟

قلتُ: هيَ لامُ الابتداء المُؤكِّدةُ لِمَضْمُون الجُملة، والمُبتدأُ مَحذُوفٌ تقدِيرُه: ولأَنْتَ سَوْفَ يُعْطِيك، كما ذكَرْنا في: "لَأُقسِمُ" أَنَّ المَعْنى: لأَنَا أُقْسِمُ،

أي: فَتَحَه. وقوله: (وهدم وأنهبَ)[١] عطف على "فتحَ"، والعائد محذوف فيهما، و"مِن" بيان، وقوله: (وما قذف) عطف[٢] على "ما فتح"، و"مِن[٣] الرُّعب" بيان.

قوله: (وفُشُوِّ) عطفٌ على "ما"، وليس عطفًا على "الرُّعب"، إذ ليس ممّا قذف في القلوب.

قوله: (ولِمَا ادَّخر) عطف على ما عطف عليه ما قبله، فالمصنِّف أعاد الجارّ ههنا دون ما تقدّمه، فتفنَّن المصنِّف ههنا في العبارة، فتأمّل.

قوله: (وأنهبهم) أي: جعلهم متمكّنين مِن نَهبه، و"أنهَبَ" متعدٍّ إلى مفعولين، حذف المصنِّف ههنا أحدهما، وهو العائد إلى الموصول، أي: لِمَا أنهَبَهُموه،[٤] يقال: أنهب[٥] الرجل مالَه الناسَ فانتهبوه[٦] ونهبوه وناهَبوه، كلُّه[٧] بمعنًى، والنُّهْبَى: اسمٌ للمال الذي أُنهبَ. وقوله: (وتَهَيُّبِ الإسلام) مصدرٌ مضافٌ إلى المفعول، مِن قولهم: تهيَّبْتُ[٨] الشيء، أي: خِفته، وليس مصدرًا مضافًا إلى الفاعل مِن قولهم: تَهيَّبني الشيءُ، أي: خوَّفني؛ لأنّ ذلك لا يكون[٩] مقذوفًا[١٠] في قلوبهم، إذ ليس قائمًا بهم.

---

١ ن: وأنّهم.
٢ ن: عطو.
٣ ن: من.
٤ ف: أنهبهوه؛ ن: أنههبتموه.
٥ ن: أبهت.
٦ ن: فاسهبوه.
٧ ن: كلمة.
٨ ن: تهيت.
٩ ن – لا يكون.
١٠ ن: مقدرنا.

وذلك أَنَّها لا تَخْلُو من أَن تكُونَ لامَ قَسمٍ أو ابتدَاءٍ، فلامُ القَسم لا تَدْخلُ على المضارع إلَّا معَ نُون التَّأكيدِ فبَقِيَ أَن تكُونَ لامَ ابتداءٍ، ولامُ الابتِداء لا تدْخُلُ إلَّا على الجُملة من المُبتَدأ والخَبر، فلا بُدَّ من تقديرِ مُبتَدأ وخَبرٍ وأَن يكُون أَصْلُه: ولأَنْتَ سَوْفَ يُعْطِيكَ.

فإن قلتَ: ما مَعْنَى الجَمْع بَيْن حَرْفَيِ التَّوكيدِ والتَّأخِير؟

قلتُ: معناه: أَنَّ العَطَاء كائنٌ لا محَالةَ وإن تأخَّرَ؛ لِمَا في التَّأخِير من المَصْلحَةِ.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

عَدَّد عليه نِعمَهُ وأَيادِيَهُ وأَنَّه لم يُخْلِه مِنْها مِن أوَّلِ تَربِّيهِ وابتداءِ نَشئِهِ ترشيحًا لمَا أَرَادَ به لِيَقيسَ المُتَرَقِّبَ من فضلِ الله على ما سَلَفَ مِنه؛ لِئلَّا يَتوقَّعَ إلَّا الحُسْنَى وزيادةَ الخَيْرِ والكَرامةِ، ولا يَضيقَ صَدْرُه ولا يَقِلَّ صَبْرُه.

و﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ مِن الوجُودِ الَّذي بمَعْنى العِلم، والمنصُوبانِ مَفعُولَا "وَجَدَ"، والمَعْنى: أَلَم تكُنْ يَتيمًا، وذلك أَنَّ أبَاهُ ماتَ وهُو جَنِينٌ قَد أَتَتْ عَليه سِتَّةُ أَشْهُرٍ، ومَاتَتْ أُمُّه وهُو ابنُ ثمانِي سِنينَ، فكفَلَه عَمُّه أبُو طالبٍ وعَطَفَه الله عليه فأَحْسَنَ تَربيتَهُ.

قوله: (حرفَيِ التأكيد والتأخير) "سوف" للتأخير، واللام للتوكيد.

قوله: (تَرشيحًا)[١] مفعول "تَرشيحًا" محذوف، وهو الضمير العائد إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام، وهو مفعول له لعدم الإخلاء، أي: لم يُخْلِ الله تعالى النبيّ عليه الصلاة والسلام مِن تلك النِعَم ليربيَه[٢] ويؤهِّلَه لِمَا أراده تعالى[٣] به عليه الصلاة والسلام، يقال: فلان يُرشَّح للوزارة، أي: يُربّى[٤] ويؤهَّل لها، والترشيح في الأصل: أن ترشِّح الأمُّ ولدَها باللبن القليل تجعله في فِيه[٥] شيئًا بعد شيء إلى أن يقوَى على المَصّ، مِن قولهم: رَشَحَ رَشْحًا؛ عَرِقَ، والرَشيح:[٦] العَرَق.

---

١ ن: ترسيخًا.
٢ ن: ليرنبه.
٣ ف - تعالى.
٤ ن: يرنى.
٥ ن - والترشيح في الأصل أن تُرشِّح الأم ولدها.
٦ ن: والوسيح.

ومن بِدَعِ التَّفاسيرِ: أنّه مِن قوْلِهم: دُرَّةٌ يَتيمةٌ، وأنَّ المَعنى: أَلَمْ يَجدكَ وَاحِدًا في قُرَيْشٍ عَديمَ النَّظِير فآوَاكَ.

وقرئ: "فَأْوَى"، وهُو على مَعْنيَيْنِ: إمَّا مِنْ "أَوَاهُ" بمَعْنَى: آوَاهُ، سُمِع بَعضُ الرُّعاةِ يقُولُ: "أَيْنَ آوِي هذِه المُوقَسَةَ؟" وإمَّا مِن أوَى لَهُ: إذا رَحمَهُ.

﴿ضَآلًّا﴾ معناه: الضَّلالُ عن علم الشَّرائعِ وما طريقُه السَّمعُ؛ كقَولِه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الشورى ٥٢/٤٢].

وقيل: ضَلَّ في صِبَاهُ في بَعضِ شِعَابِ مكَّة فردَّهُ أبُو جهْلٍ إلى عبْدِ المُطَّلبِ.

وقيل: أَضلَّتْهُ حَلِيمةُ عند بابِ مَكَّةَ حينَ فَطَمتْهُ وجَاءت به لِتَردَّهُ على عَبْدِ المُطَّلِب.

وقيل: ضلَّ في طَريقِ الشامِ حينَ خرَج به أَبُو طالِبٍ.

"فهداك": فعَرَّفك القرآنَ والشَّرائعَ، أو: فأزالَ ضَلَالكَ عن جَدِّك وعَمِّك.

ومَن قال: كان على أمْرِ قوْمِه أربعينَ سنةً، فإن أرادَ أنَّه كانَ على خُلُوِّهِم عن العُلوم السَّمعيَّةِ فنَعَمْ، وإن أراد أنَّه كان على دينِهِمْ وكُفرهم فمعَاذَ اللهِ، والأنبياءُ يجبُ أن يكُونُوا مَعْصُومين قَبل النُّبوَّة وبعْدَها مِن الكبائر والصَّغائرِ الشَّائنةِ، فمَا بالُ الكُفْر والجَهْلِ بالصَّانِع: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف ٣٨/١٢] وكفَى بالنَّبيِّ نَقيصَةً عند الكفَّارِ أَن يَسْبِقَ له كُفْرٌ.

قوله: (أين آوي هذه المُوقَسةَ) قول الراعي: "آوي" فعلٌ مضارع،[١] مِن أوَى، و"المُوقَسةُ": الإبل التي ضرب فيها الوَقْسُ، وهو أوّل الجرَب.

قوله: (على عبد المطلب) أي: جدِّه.

قوله: (عن جدِّك) "عن" هذه[٢] صِلة لـ"ضلالَك"، لا لقوله: "فأزال".

قوله: (﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾ [يوسف ٣٨/١٢])، أورَد[٣] هذه الآية للاستشهاد.

قوله: (وكفى بالنبيّ عليه الصلاة والسلام[٤] نقيصةً) ويؤيِّد هذا المعنى قوله تعالى

---

[١] ن: مضار.

[٢] ن – عن هذه.

[٣] ن: أوزد.

[٤] ف ن – عليه الصلاة والسلام.

﴿عَآئِلًا﴾: فَقِيرًا، وقرئ: "عَيِّلًا" كما قُرِئ: "سَيِّحاتٍ" و: "عَديمًا".

﴿فَأَغْنَىٰ﴾: فأغناك بمَالِ خَدِيجَة، أو بما أفَاء عَليك من الغنائم، قال عليه السَّلام: «جُعِلَ رِزْقِي تحتَ ظِلِّ رُمْحِي».

وقيل: قَنَّعَكَ وأغْنَى قلبَك.

﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾: فلا تَغْلِبْهُ على مالِه وحَقِّه لِضَعْفِه.

وفي قراءة ابن مسعودٍ: "فلا تكْهَرْ" وهُو أَن يُعَبِّسَ في وَجْهِه، وفُلانٌ ذُو كُهْرُورَةٍ: عابسُ الوَجْه، ومنه الحديثُ: فَبِأبِي وأُمِّي هُوَ ما كَهَرَنِي.

"النَّهْرُ والنَّهْمُ": الزَّجْرُ.

وعن النبيِّ عليه السَّلام: «إذا رَدَدْتَ السَّائلَ ثلاثًا فلم يَرْجِع فلا عَليك أن تَزبـرَهُ».

وقيل: أَمَا إِنَّه ليْسَ بالسَّائل المُسْتَجدِي، ولكِن طالبُ العِلم إذا جاءكَ فلا تنْهَرهُ.

حكايةً عن قول فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء ١٩/٢٦]، وقوله تعالى حكاية عمّا أجابه موسى عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء ٢٠/٢٦]، أي: ما كنت مِن الكافرين لكن كنت مِن الضالين عن الشريعة.

قوله: (كما قرئ: سَيِّحاتٍ)[١] بدل قوله تعالى: ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [التحريم ٥/٦٦]، وإنّما شبّهه بذلك لأنّه جاء فيهما "فَيعِلٌ" مقام "فاعل"، وقوله: (وعَديمًا) عطف على قوله: (عَيِّلًا).

[٤٦٣ظ] قوله: (قال عليه الصلاة والسلام: / «جُعل رزقي»)... إلخ، قوله عليه الصلاة والسلام: «جُعِل رزقي»... إلخ،[٢] ترغيبٌ للناس في الغزو.

قوله: (تَزْبُرَه) الزَّبْرُ: الزجر والمنع.

---

[١] ن: سبحات.

[٢] مسند الإمام أحمد، ١٢٣/٩ (٥١١٤)؛ وهو في صحيح البخاري، ٤٠/٤، معلّقًا.

التَّحديثُ بنِعمةِ الله: شُكْرُهَا وإشَاعَتُها، يُرِيدُ: ما ذكرَهُ مِن نِعْمَةِ الإيواء والهِدَاية والإغناءِ وما عدا ذلك.

وعن مجاهدٍ: بالقرآن فحَدِّث: أَقْرِئه وبَلِّغ ما أُرسِلتَ بهِ.

وعن عبد الله بن غالبٍ أنّه كان إذا أصبَح يقُولُ: رَزَقنِي اللهُ البَارِحَةَ خيْرًا: قَرأتُ كَذا وصَلَّيتُ كَذا، فإذا قيلَ له: يا أَبا فِراسٍ، أَمِثلُك يقُولُ مِثْلَ هذا؟ قال: يقُولُ اللهُ تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وأنتُم تقُولُونَ: لا تُحَدِّثْ بنِعمةِ الله.

وإنَّما يجُوز مثلُ هذا إذا قصَد بِهِ اللُّطْفَ وأن يَقتدِيَ بهِ غَيْرُه، وأَمِنَ على نَفْسِه الفِتْنةَ، والسَّتْرُ أفضَلُ، ولَو لم يكُنْ فيهِ إلَّا التَّشبُّهُ بأهْلِ الرِّياءَ والسُّمْعةِ لكفَى بهِ.

وفي قراءة عليٍّ رضي الله عنه: "فخَبِّر"، والمَعنى: أنَّكَ كُنْتَ يَتِيمًا وضَالًّا وعائلًا فآوَاكَ اللهُ وهدَاك وأغناكَ، فمَهْما يكُن مِن شيءٍ وعَلى ما خيَّلَتْ فلا تَنْسَ نعمةَ الله عَليك في هذِه الثَّلاث، واقتَدِ بالله فتَعطَّفْ على اليَتِيم وَآوِهِ، فقَد ذُقْتَ اليُتْمَ وهَوانَهُ، ورَأيتَ كيْفَ فعَلَ اللهُ بكَ، وترَحَّمْ على السَّائل وتفَقَّدْهُ بمَعرُوفِك ولا تَزْجُره عَن بابِك؛ كما رَحِمَكَ رَبُّكَ فأغْناك بعدَ الفَقْرِ، وحَدِّثْ بنِعْمةِ الله كلِّها، ويَدْخُلُ تَحتَهُ هِدَايتُه الضُّلَّالَ وتَعْلِيمُه الشَّرائعَ والقرآنَ مُقتَدِيًا بالله في أَنْ هَداهُ مِن الضَّلالِ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأَ سُورةَ والضُّحَى جعَلَه اللهُ فيمَن يَرْضى لمُحمَّدٍ أَن يَشْفَع له وعَشْرَ حَسناتٍ يَكتُبهَا اللهُ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ يَتيمٍ وسَائلٍ».

قوله: (وإنّما يجوز) هذا مِن كلام المصنّف.

قوله: (خَيَّلَتْ) الفاعل في "خَيَّلَتْ" النفسُ، أي: على أيِّ حالةٍ[1] كنتَ، وقيل: الفاعل الحال، أي: على كلّ حالٍ.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[2]

---

[1] ن: حالت.

[2] ف - السورة بحمد الله تعالى؛ ن - تمّت السورة بحمد الله تعالى.

سورة ألم نشرح

مكيةٌ، وهي ثماني آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④﴾

استُفهِمَ عن انتِفاء الشَّرْح على وَجْهِ الإنْكارِ فَأفادَ إِثْباتَ الشَّرْح وإيجَابَهُ؛ فكأنَّه قيل: شرَحْنا لكَ صَدْرَك، ولِذلك عُطِف عَليْه: ﴿وضَعْنَا﴾ اعتِبارًا للمَعْنَى.

ومَعْنى: شرَحْنا صَدرَك: فسَّحناهُ حَتَّى وَسِعَ همُومَ النُّبوَّةِ ودَعْوةَ الثَّقَلَيْنِ جَميعًا، أو حَتَّى احتمل المكارِهَ التي يَتعرَّضُ لك بِها كفَّارُ قومِك وغيْرُهم، أو فسَّحنَاه بما أَوْدَعْناهُ من العُلوم والحِكَمِ وأزَلْنا عنْهُ الضِّيقَ والحرَجَ الَّذي يكُونُ معَ العَمى والجَهْلِ.

سورة ألم نشرح

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (على وجه الإنكار) أنكَر عدم الشَّرح، وإذا أنكَر ذلك ثبت الشَّرح، لأنَّ الهمزة للإنكار، والإنكار نفيٌ،[2] والنفي إذا دخل على النفي عادَ إثباتًا.

قوله: (ولذلك) أي: لكون[3] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ في معنى "شرَحْنا"، فعُطِف على ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾: ﴿وَضَعْنَا﴾.

---

١ ف ن – وبه نستعين.

٢ ن: ففي.

٣ ن – لكون.

وعن الحسن: مُلِئَ حِكْمةً وعِلمًا.

وعن أبي جعفر المنصور أنَّه قَرأ: "أَلَم نشرَحَ" بفتح الحاءِ، وقالُوا: لعَلَّه بَيَّنَ الحاءَ وأَشْبعَهَا في مَخْرجِهَا فظَنَّ السَّامعُ أنَّه فتَحَها.

والوِزرُ الَّذِي أنقضَ ظَهْرَهُ؛ أي: حَمَلهُ على النَّقِيضِ -وهو صَوتُ الانتِقاضِ والانْفِكاكِ- لِثقَلِهِ، مَثَلٌ لِمَا كان يَثْقُلُ على رسُول الله ويغُمُّه من فرَطاتِه قبْلَ النُّبوَّةِ، أو مِنْ جَهْلِه بالأَحْكامِ والشَّرائع، أو مِن تهَالُكِه على إسْلام أُولي العِناد من قوْمِه وتلهُّفِه.

ووَضْعُه عنه: أَنْ غُفِرَ له، أو عُلِّمَ الشَّرائعَ، أو مُهِّد عُذرُه بعْدَ ما بلَّغَ وبالَغَ.

وقرأ أَنسٌ: "وحَلَلْنَا" "وحطَطْنَا".

قوله: ﴿أَنقَضَ﴾ قال في الصحاح: «أنقَضَ الحِملُ ظهرَه، أي: أثقَله، وأصله الصوت، والنقيض: صوت المحامل والرحال، قال الراجز:

شَـيَّـبَ أَصـداغِـي فَـهُـنَّ بِـيضُ مَـحـامِـلٌ لِـصَـوتِـهـا نَـقـيـضُ»[١]

قوله: (لِثِقلِه) متعلق بقوله: (حَمَله)، فإنّ الصوت لمّا كان للثِقل قال: "حَمَله[٢] الثِقل على الصوت". وقوله: (مَثَل) أي: شبيهٌ، والمِثْل والمَثَل والمَثيل بمعنى الشِبْه والشَبَه والشَبيه، يريد: أنّ ما كان يَثقُل على رسول الله عليه الصلاة والسلام ممّا ذكَره شُبِّه بالوِزرِ، ثمّ ذُكِر الوِزر وأريد ذلك، فيكون استعارةً مُصرَّحًا بها،[٣] وقرينتُها[٤] استناد الوضع إلى الله تعالى متعلِّقًا بالوِزر.

قوله: (ووَضعُه عنه أنْ[٥] غُفِر له) في الكلام لفٌّ ونشرٌ. وقوله: (غُفِر) متعلِّق بقوله: (فَرَطاتِه). وقوله: (عُلِّم) متعلِّق بقوله: (جَهْله). وقوله: (أو مُهِّد) متعلِّق بقوله: (تَهالُكِه).[٦]

---

١ الصحاح للجوهري، «ضقن»؛ والبيتُ كذلك دون نسبة في: جمهرة اللغة لابن دُريد، «ضقن»؛ البيان والتبيين للجاحظ، ٢/٢٠٩.

٢ ن: جملة.

٣ ن: مصرَّحاتها.

٤ ن: وترسها.

٥ ن: أي.

٦ ن – (فرطاته)، وقوله: (عُلِّم) متعلق بقوله: (جَهله)، وقوله: (أو مُهِّد) متعلق بقوله: (تهالكه).

وقَرأ ابنُ مسعود: "وحَلَلْنا عنك وِقْرِكَ".

ورَفعُ ذِكْرِه: أنْ قُرِنَ بذِكر اللهِ في كَلمةِ الشَّهادةِ والأَذانِ والإقامَةِ والتَّشهُّدِ والخُطَبِ، وفي غيْرِ مَوْضِعٍ من القرآنِ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة ٩/٦٢] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء ٤/١٣] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة ٥/٩٢]، وفي تَسمِيَتِه رسُولَ الله ونبيَّ الله، ومنه ذِكْرهُ في كُتبِ الأوَّلِينَ، والأَخْذُ على الأَنبياءِ وأُمَمِهم أنْ يُؤمِنُوا به.

فإن قلتَ: أيُّ فائدةٍ في زيادةِ ﴿لَكَ﴾ والمَعنى مُستَقِلٌّ بدُونه؟

قلتُ: في زيادة ﴿لَكَ﴾ ما في طَريقةِ الإبْهامِ والإيضاحِ كأنَّه قيلَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ ففُهِم أنَّ ثمَّة مَشْرُوحًا، ثمَّ قِيل: ﴿صَدْرَكَ﴾ فأُوضِحَ ما عُلِمَ مُبهمًا، وكذلك ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾ و﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

فإن قلتَ: كيف تعلَّقَ قولُه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ بما قَبْلَهُ؟

قلتُ: كان المُشْرِكُونَ يُعَيِّرُونَ رسولَ الله والمؤمنِينَ بالفَقْرِ والضِّيقَةِ، حَتَّى سَبَقَ إلى وَهْمِه أنَّهم رَغِبُوا عن الإسْلام لافتِقار أَهْلِه واحتقارِهِم، فذكَّرهُ ما أَنعَم بهِ عَلَيْه من جلَائل النِّعم ثُمَّ قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ كأنه قال: خَوَّلْناكَ ما خَوَّلْناكَ فلا تَيأَس من فضْلِ الله ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ الَّذِي أَنتُم فيه ﴿يُسْرًا﴾.

قوله: (وفي غير موضع) أي: في كلمة الشهادة، وفي كذا وكذا، وفي[١] مواضع كثيرةٍ مِن القرآن، ثمّ بيّن تلك المواضع بقوله: ﴿وَٱللَّهُ﴾... إلخ [التوبة ٩/٦٢]، ثمّ قال: (وفي[٢] تَسمِيَتِه)، فإنّ في هذا أيضًا قُرِن اسمُه باسمِه.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التوبة ٩/٦٢]) بيان المواضع.

قوله: (ومنه) أي: مِن رَفْعِ ذِكْره.

---

[١] ن: في.

[٢] ن: في.

فإن قلتَ: إن ﴿مَعَ﴾ للصُّحبَةِ، فما مَعنى اصطحابِ اليُسْرِ والعُسر؟

قلتُ: أرَادَ أنَّ الله يُصِيبُهم بيُسْرٍ بعْدَ العُسْرِ الَّذِي كانُوا فيه بزمانٍ قريبٍ فقرَّب اليُسْرَ المترقَّبَ حَتَّى جَعله كالمُقارِن للعُسْرِ زيَادةً في التَّسْليَةِ وتَقوِيةِ القُلوبِ.

فإن قلتَ: ما معنَى قولِ ابنِ عبَّاسٍ وابنِ مسعُود رضي الله عنهما: لَن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَيْنِ، وقد رُوِيَ مرفوعًا: أنَّه عليه السلام خَرجَ ذاتَ يَوْمٍ وهُو يَضْحَكُ ويقُول: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَين»؟

قلتُ: هذا عَملٌ على الظَّاهِر وبِناءٌ على قُوَّةِ الرَّجَاء، وأَنَّ مَوْعِدَ الله لا يُحمَلُ إلَّا عَلى أَوْفَى ما يَحتَمِلُه اللَّفظُ وأَبْلَغِه، والقَولُ فيهِ: أنَّه يَحتمِلُ أَن تكون الجُملةُ الثَّانيةُ تَكْرِيرًا للأُولَى كما كُرِّر قولُه: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ لِتقْريرِ مَعْناهَا في النُّفُوس وتَمْكِينِهَا في القُلُوب، وكما يُكَرَّرُ المُفردُ في قولك: "جاءَنِي زَيدٌ زيدٌ"، وأَن تكُونَ الأُولى عِدَةً بأنَّ العُسْر مَرْدُوفٌ بيُسْرٍ لا محَالة، والثَّانِيةُ عِدَةً مُستَأنفةً بأنَّ العُسْرَ مَتبوعٌ بيُسْرٍ، فهُما يُسْرَانِ على تَقْدير الاستئنافِ، وإنَّما كان العُسْرُ وَاحِدًا لأنَّه لا يخلُو: إمَّا أَن يكونَ تعريفهُ للعَهدِ وهو العُسْرُ الَّذِي كَانُوا فيه فهُو هُوَ؛ لأنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ زَيْدٍ في قولك: "إنَّ معَ زيدٍ مالًا إنَّ مَع زيدٍ مَالًا"، وإمَّا أن يكُون للجِنس الَّذِي يَعْلمُهُ كُلُّ أحَدٍ فهُو هُوَ أَيْضًا، وأمَّا اليُسْر فمُنكَّرٌ متنَاوِلٌ لِبَعْض الجِنس، فإذا كان الكلامُ الثَّانِي مُسْتَأنفًا غيرَ مُكرَّرٍ فقَد تَنَاوَلَ بَعْضًا غيرَ البَعْضِ الأوَّل بغيْر إشْكال.

فإن قلتَ: فمَا المُرادُ باليُسْرَينِ؟

قلتُ: يجوز أَن يُرادَ بهِمَا ما تَيسَّرَ لَهُم مِن الفتُوح في أيَّام رسُولِ الله وما تيَسَّر لَهُم في أيَّام الخُلَفاء، وأَنْ يُرادَ يُسْرُ الدُّنيا ويُسرُ الآخِرة؛ كقَوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِ﴾ [التوبة ٩/٥٢] وهُما حُسْنَى الظَّفَرِ وحُسْنَى الثَّوابِ.

فإن قلتَ: فما مَعنى هذا التَّنْكِيرِ؟

قلتُ: التَّفخيمُ؛ كأنَّهُ قِيل: إنَّ مع العُسْر يُسرًا عَظِيمًا وأَيَّ يُسْرٍ! وهو في مُصْحَفِ ابن مسعودٍ مَرَّةً واحدةً.

فإن قلتَ: فإذا ثبتَ في قراءتِه غيرَ مُكرَّرٍ فلِمَ قال: والَّذِي نَفْسِي بيَدِه لو كان العُسْرُ في جُحْرٍ لَطَلَبَهُ اليُسْرُ حَتَّى يدخُلَ عَليه؛ إنَّهُ لَن يَغلِبَ عُسْرٌ يُسْرَينِ؟

قلتُ: كأنَّه قصَد باليُسْرَينِ ما في قوله: ﴿يُسْرًا﴾ مِن معنى التَّفْخيم فتأوَّلَهُ بيُسْر الدَّارَيْن، وذلك يُسْرَانِ في الحَقِيقةِ.

فإن قلت: فكيْفَ تعَلَّق قولُه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ بما قبلَه؟

قلتُ: لمَّا عَدَّدَ عَليْه نِعمَه السَّالفةَ وَوَعَدَهُ الآنِفةَ بَعَثَهُ على الشُّكْر والاجتهادِ في العبَادَةِ والنَّصَبِ فيها، وأَنْ يُواصِلَ بَيْنَ بَعْضِها وبَعْضٍ ويتَابعَ، ويَحْرِصَ على أَنْ لا يُخلِيَ وَقتًا مِن أوْقَاتِه مِنها، فإذا فرَغَ مِن عبادةٍ ذَنَّبها بأُخرَى.

وعن ابن عبَّاس: فإذا فرَغْتَ من صَلَاتِكَ فاجتهِدْ في الدُّعاء.

وعن الحسن: فإذا فرَغْتَ من الغَزْوِ فاجتهِدْ في العبادة.

وعن مجاهد: فإذا فرغْتَ مِنْ دُنياكَ فانصَبْ في صَلاتِكَ.

وعن الشَّعْبِيِّ: أنَّه رَأى رَجُلًا يُشِيلُ حَجَرًا فقال: لَيْسَ بهذا أُمِرَ الفَارِغُ. وقعُودُ الرَّجُل فارِغًا من غَير شُغْلٍ أو اشتِغالُه بما لا يعنيهِ في دِينهِ أو دُنيَاه: من سَفَهِ الرَّأيِ وسَخافَةِ العَقْلِ واستِيلاءِ الغَفْلَةِ.

ولقد قال عُمر رضي الله عنه: إنِّي لَأكْرَهُ أن أَرَى أَحَدكُم فارغًا سَبَهْلَلًا لا في عَملِ دُنيَا ولا في عمَل الآخِرة.

وقَرأَ أبُو السَّمالِ: "فَرِغْتَ" بكسر الرَّاء، ولَيست بفصيحَةٍ.

ومِن البدَع: ما رُوِيَ عن بعض الرَّافِضَةِ أَنَّه قرأَ: "فانصِبْ" بكسْرِ الصَّادِ؛

قوله: (ذنَّبَها) أي: أتبعها.

قوله: (يُشِيلُ) شال الشيءُ، أي: ارتفع، وأشلْتُ الشيء: رفعته.

قوله: (سَبَهْلَلًا) جاء الرجل يمشي سَبَهْلَلًا إذا جاء وذهب في غير شيء، وقيل: جاء فلانٌ سَبَهْلَلًا، أي: ليس معه شيء.

أي: فانْصِب عَلِيًّا للإمَامةِ، ولو صَحَّ هذا للرَّافضيّ لصَحَّ للنَّاصبيّ أنْ يقرأ هَكذا ويَجْعَلَهُ أمرًا بالنَّصْبِ الَّذِي هُو بُغضُ عليّ وعَداوَتُه.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾: واجْعَل رَغبَتك إليه خُصوصًا ولا تسأَلْ إلَّا فَضْلَهُ مُتَوكِّلًا عليه.

وقرئ: "فرَغِّبْ"؛ أي: رَغِّبِ الناسَ إلى طلَبِ ما عِنْدَه.

عن النبيّ عليه السلام: «مَن قَرأ ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾ فكأنَّما جَاءني وأنا مُغْتَمٌّ ففَرَّجَ عنّي».

قوله: (بالنَصب) يقال: نَصبتُ لفلانٍ نصْبًا إذا عاديته.[١]

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنّه وكرمه، والله المُيسّر.[٢]

---

١ د: عافيته. | وفي الصحاح: "عاديته".

٢ ف ن – تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه، والله الميسّر.

سورة التين

مكية، وقيل: مدنية، وهي ثمان آياتٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ أقسَم بهما لأنَّهما عَجِيبَانِ من بَيْنِ أَصْنافِ الأشْجار المُثمِرةِ.

رُوي: أنَّه أُهْدِي لرَسُول الله عليه السَّلام طَبَقٌ مِن تينٍ، فأكَلَ مِنه وقال لأصْحابِهِ: «كُلُوا فلَو قُلتُ: إنَّ فاكِهةً نزلَتْ من الجنَّةِ لَقُلتُ هذِه؛ لأنَّ فاكهةَ الجنَّةِ بلا عَجَمٍ فكُلُوها فإنَّها تَقطَعُ البَواسيرَ وتَنفَعُ مِن النِّقرس».

ومَرَّ مُعاذُ بن جبَلٍ بشَجرةِ الزَّيتُونِ فأخَذَ مِنها قضِيبًا واستَاك به، وقال: سمعتُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «نِعْم السِّواكُ الزَّيتُونُ مِن الشَّجرة المُباركة يُطيِّبُ الفَم ويَذهَبُ بالحَفْرة»، وسمِعْتُهُ يقول: «هيَ سِوَاكِي وسواكُ الأنبيَاء قَبْلِي».

وعن ابنِ عبَّاسٍ: هُوَ تِينُكم هذا وَزَيْتُونُكُم.

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (بالحَفْرة) الحَفْرة: صَدَأُ[2] الأسنان.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ن: ضد.

وقيل: هما جبَلانِ مِن الأرضِ المُقدَّسة يُقال لَهُما بالسُّريانيَّةِ: طُورُتِينَا وطُورُزَيْتَا؛ لِأَنَّهُما مَنبتَا التِّينِ والزَّيْتُونِ.

وقيل: التِّينُ جبَالُ ما بينَ حُلوانَ وهَمدانَ والزَّيتُونُ جبَالُ الشَّام؛ لأنَّهما مَنَابتُهما؛ كأنَّه قيلَ: ومَنابِتِ التِّينِ والزَّيتُونِ، وأُضِيفَ الطُّورُ: وهُوَ الجبَلُ إلى سِينِينَ: وهي البُقعَةُ.

ونحوُ سِينُونَ: يَبْرُونَ في جَوازِ الإعرَابِ بالوَاوِ واليَاءِ، والإقرارِ على الياءِ، وتَحْرِيكِ النُّونِ بحَركاتِ الإعْرابِ.

والبَلَدُ: مكَّةُ حمَاهَا اللهُ، والأَمِينُ مِن أَمُنَ الرَّجُلُ أَمانةً فهُو أَمِينٌ، وقيل: أُمَّانٌ؛ كما قيلَ: كُرَّامٌ، في كريمٍ.

وأَمانَتُه: أنَّه يَحْفَظُ مَن دَخَلَهُ كما يَحْفَظُ الأَمِينُ ما يُؤْتَمَنُ عَليْه.

ويجوز أَن يكُون فعِيلًا بمَعْنى مَفعولٍ مِن "أَمِنَه" لأنَّه مأمُونُ الغَوائلِ؛ كما وُصِفَ بالآمِنِ في قَولِه تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص ٥٧/٢٨] بمَعنى: ذِي أَمْنٍ.

ومَعنى القَسمِ بهذه الأَشياء: الإبانَةُ عَن شرَف البِقاع المُباركةِ وما ظَهَر فيها مِن الخيْرِ والبَركةِ بِسُكْنَى الأنبياءِ والصَّالحينَ، فمَنْبِتُ التِّينِ والزَّيتُونِ مُهاجَرُ إبراهيمَ ومَوْلِدُ عيسى ومَنْشؤُه، والطُّورُ: المكانُ الَّذِي نُودِيَ مِنْه مُوسَى، ومَكَّة: مكانُ البَيتِ الَّذي هو هُدًى لِلعالَمينَ، ومَوْلِدُ رسُولِ الله ومَبْعَثُهُ.

﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾: في أَحْسنِ تَعْدِيلٍ لِشَكْلِهِ وصُورَتِه وتَسْوِيَةٍ لأَعْضائه، ثمَّ كان عاقِبةُ أَمْره حِينَ لَمْ يَشْكُر نِعْمَةَ تلك الخِلْقَةِ الحَسنةِ القَوِيمةِ السَّويَّةِ:

قوله: (أو ثُمَّ) عطف على قوله: (ثُمَّ كان)... إلخ، وحاصل المعنى الأوّل: أنّ المراد تغيير صور الكفّار في النار، والمعنى[1] الثاني: التغيير بالشيخوخة.[2]

---

[1] ن: في المعنى.

[2] ن: بالشيوخية.

أَنْ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ مَنْ سَفَلَ خَلْقًا وتَركيبًا، يَعْني: أَقبحَ مَن قَبُحَ صُورةً وأَشوَهَهُ خِلقةً وهُم أصْحابُ النَّار، أو: أَسْفَلَ مَن سَفَلَ من أهل الدَّركاتِ.

أو: ثُمَّ ردَدْنَاهُ بعْدَ ذلك التَّقْوِيم والتَّحسِين أسْفَلَ مَن سَفل في حُسْنِ الصُّورة والشَّكْلِ، حَيْثُ نَكَّسنَاهُ في خَلْقِه، فقَوَّس ظَهْرُه بَعْدَ اعتِدالِهِ، وابيَضَّ شَعرُه بَعْدَ سَوادِهِ، وتَشنَّنَ جِلْدُه وكان بَضًّا، وكَلَّ سَمْعُه وبَصَرُه وكانا حَدِيدَيْنِ، وتَغيَّر كُلُّ شيءٍ مِنه: فمَشيُه دَلِيفٌ، وَصَوْتُه خُفَاتٌ، وقُوَّتُه ضَعْفٌ، وشهَامَتُه خَرَفٌ.

وقرأ عبد الله: "أَسْفَل السَّافلينَ".

فإن قلتَ: فكيف الاستثناءُ على المَذهَبَيْنِ؟

قلتُ: هُو على الأوَّلِ مُتَّصِلٌ ظَاهِرُ الاتِّصَالِ، وعلى الثَّاني مُنْقَطِعٌ، يَعْني: ولكن الَّذِين كانُوا صَالِحينَ من الهَرْمى فلَهُم ثوابٌ دائمٌ غَيْرُ مُنقَطعٍ على طاعتِهِمْ وصَبْرِهم على ابتلاءِ الله بالشيخُوخَةِ والهَرَمِ، وعَلى مُقاسَاة المَشاقِّ والقِيامِ بالعبَادة على تخَاذُلِ نهُوضِهم.

فإن قلتَ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ مَن المُخاطَبُ بِهِ؟

قلتُ: هُو خِطابٌ للإنسان على طريقَةِ الالتِفات؛ أي: فمَا يَجْعَلُكَ كاذِبًا بِسَبَبِ الدِّينِ وإِنْكارِه بعدَ هذا الدَّليل؟ يَعني: إنك تكذِبُ إذا كَذَّبْتَ بالجزاء لأنَّ كُلَّ مُكذِّبٍ بالحقِّ فهو كاذِبٌ، فأيُّ شَيءٍ يضطرُّكَ إلى أَنْ تكُون كاذبًا بسبَبِ تكذيبِ الجزاء؟

قوله: (فقوَّس ظهرُه) قوَّس الشيخُ تقويسًا، أي: انحنى، واستقوسَ مثلُه، ورجل بَضٌّ، أي: رقيقُ الجلد.

قوله: (على المذهبين) المذهب / الأوّل: مِن قوله: (أنْ ردَدْناه أسفلَ مَنْ سَفَلَ خَلْقًا) إلى قوله: (الدرَكَات).[1] والمذهب الثاني: قوله: (أو ثمّ ردَدْناه)... إلخ. [٤٦٤و]

قوله تعالى: ﴿بَعْدُ﴾ أي: بعد هذا القَسَم، وقيل: بعد هذا البيان.

---

[1] ن: والدركات.

والبَاءُ مِثلُها في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل ١٠٠/١٦] والمَعنى: أنَّ خَلْقَ الإنسان من نُطْفةٍ، وتَقويمَه بَشرًا سَوِيًّا، وتَدْرِيجَه في مَراتبِ الزِّيادةِ إلى أن يَكمُلَ ويَستَوِيَ، ثمَّ تَنكيسَهُ إلى أن يَبْلُغَ أَرْذَل العُمُرِ: لا تَرى دَليلًا أَوضحَ مِنه على قُدْرَةِ الخالقِ، وأنَّ مَن قدَرَ مِن الإنسانِ على هذا كُلِّه لم يَعْجِز عن إعَادتِه فما سبَبُ تكذيبكَ أيُّها الإنسانُ بالجزاءِ بعدَ هذا الدليل القاطعِ؟

وقيل: الخطابُ لرسُول الله.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ وَعِيدٌ للكُفَّارِ، وأنَّه يَحْكُم عَلَيْهِم بِما هُم أَهْلُه.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه كان إذا قَرأَهَا قال: «بَلَى وأَنا عَلى ذلك من الشَّاهِدينَ».

عن رسول الله عليه السلام: «مَن قَرأ سُورةَ ﴿وَٱلتِّينِ﴾ أَعْطاه اللهُ خَصْلَتَين: العَافيةَ واليَقِينَ ما دامَ في دار الدُّنيَا، وإذا ماتَ أَعْطَاهُ الله من الأَجْرِ بعدَدِ مَن قَرأ هذه السُّورةَ».

قوله: (في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل ١٠٠/١٦])، أي: الذين يَتولَّون الشيطان، وبسبب الشيطان مشركون بالله، فحُذف "بالله"، والباء في ﴿بِهِۦ﴾ ليست بصلة ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

قوله: (وقيل: الخِطابُ) فلا يكون التفات، ويكون التكذيب على هذا بمعناه المشهور، وهو خلاف التصديق.

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.[١]

---

١ ف: تمّت بحمد الله تعالى؛ ن - تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.

سورة العلق

وتسمَّى: سورةَ القلم أيضًا، وإليه الإشارةُ بقوله: "ثم سورة القلم".
مكيةٌ، وهي ثمانِ عشرةَ أو تسعَ عشرةَ أو عشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عبَّاس ومُجاهد: هي أوَّلُ سُورةٍ نَزلت.

وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّ الفاتِحةَ أوَّلُ ما نزَل ثُمَّ سُورةُ القلم.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾

مَحلُّ ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ النَّصبُ على الحال؛ أي: اقْرَأْ مُفتَتِحًا باسم ربِّكَ، قُلْ: باسم الله ثم اقْرَأ.

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿خَلَقَ﴾ فلَم يَذكُر له مفعُولًا ثمَّ قال: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾؟

قلتُ: هُو على وجْهَين:

إمَّا أنْ لا يُقدَّر له مَفعولٌ وأَنْ يُراد أنَّه الَّذي حصَل منه الخلقُ واستَأثَر بهِ لا خالِقَ سوَاهُ.

سورة العلَق

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (قل)... إلخ، جملة مُبيِّنة[2] لقوله: (اقرأ مفتتِحًا)... إلخ.

قوله: (وأنْ يراد) كالبيان لقوله: (أنْ لا يُقدَّر).

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ن: مبنية.

وإمّا أن يُقدَّر ويُرادَ: خَلَق كلَّ شَيءٍ، فيتَناوَلَ كُلَّ مَخْلُوقٍ لأنَّه مُطْلَقٌ فليس بَعضُ المخلوقات أَوْلى بتقديرِه من بَعْضٍ.

وقَولُه: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ تخْصِيصٌ للإنسان بالذِّكر من بَيْنِ ما يتَناوَلُهُ الخَلْقُ؛ لأنَّ التَّنْزِيلَ إلَيْه وهو أَشرَفُ ما على الأَرْضِ.

ويجوز أن يُراد: الَّذِي خلَق الإنسانَ؛ كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن ٥٥/١-٣]، فقِيل: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ مُبْهَمًا، ثمَّ فَسَّرهُ بقَولِه: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ تفخِيمًا لخلقِ الإنسانِ، ودَلالةً على عجيبِ فطْرتهِ.

فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾ على الجَمْع، وإنَّما خُلِقَ من عَلقَةٍ؛ كقَوله: ﴿مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾؟

قلتُ: لأن الإنسان في معنى الجمع كقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر ١٠٣/٢].

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾

﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾: الَّذِي لهُ الكمالُ في زيادةِ كَرمِه على كُلِّ كَرمٍ، ....

قوله: (وإمّا أن يُقدَّر) أي: يُقدَّرَ له مفعول.

قوله: (خلق كلَّ شيء) الجملة قائمةٌ مقامَ فاعل "يُراد".

قوله: (فيتناول) عطف على قوله: "يُراد"، وقوله:[١] (لأنّه) تعليل لقوله: "يُراد"، لا لقوله: "فيتناولَ".

قوله: (تخصيصٌ) هذا على الوجه الثاني.

قوله: (إليه) خبر "أنّ"، أي: متوجِّهٌ أو مُنتهٍ إليه.

قوله تعالى: ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾ "العَلَق": جمع علَقةٍ، على طريقة: تَمْرٍ وتمْرَةٍ.

قوله: (في زيادة) متعلِّق بقوله: (الكمال)، أي: ثبت له الكمال في هذه الزيادة،

---

١ ن: قوله.

يُنْعِمُ على عبَادِهِ النِّعَمَ التي لا تخصَى، ويَحْلُم عَنْهم فلا يُعاجِلُهُمْ بالعُقُوبةِ مَع كُفْرِهم وجحُودِهم لِنعَمِهِ، ورُكُوبهم المَناهِيَ واطِّراحهم الأوَامرَ، ويَقْبلُ تَوْبتَهُمْ ويتجَاوَز عنهم بعد اقتِرافِ العَظَائم، فما لِكَرمِهِ غايةٌ ولا أَمَدٌ، وكَأنَّه ليس وراء التَّكرُّمِ بإفَادةِ الفَوائدِ العِلْميَّةِ تكَرُّمٌ حيثُ قال: ﴿ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فدَلَّ على كمالِ كرَمِه بأنَّه عَلَّم عبادَهُ ما لم يَعْلَمُوا، ونقَلَهُم مِن ظُلمة الجَهْلِ إلى نُور العِلم، ونبَّه على فضل علم الكِتابة لِمَا فيه من المَنافع العَظِيمةِ التي لا يُحِيطُ بها إلَّا هُوَ، وما دُوِّنتِ العُلومُ ولا قُيِّدَت الحِكَمُ ولا ضُبِطَت أَخبَارُ الأوَّلِينَ ومَقالاتُهم ولا كتُبُ الله المُنْزَلةُ إلَّا بالكِتابة، ولولا هيَ لمَا اسْتَقامَتْ أُمُور الدُّنيا والدِّين، ولَو لم يكُن على دقيق حكمةِ الله ولَطيفِ تَدبيرهِ دَليلٌ إلَّا أَمْرُ القَلم والخَطِّ لكَفى بهِ.

ولبَعْضِهم في صفَة القَلم:

ورَواقِـــمٍ رُقْـــشٍ كـمِـثْـلِ أَرَاقِـــمٍ   قُطُفِ الخُطَا نَيَّالةٍ أَقْصَى المَدَى
سُــودِ القَــوائمِ مـا يَـجِـدُّ مَسيرُها   إلَّا إذا لَـعِـبَـتْ بـهـا بِـيضُ الـمُـدَى

وقَرأَ ابنُ الزُّبَيْرِ: "عَلَّمَ الخطَّ بالقَلمِ".

بمعنى: أنّه كمل زيادة كرمه على كلّ كرم، فكرمُه زائد على كلِّ كرمٍ، وتلك الزيادة كاملة تامّة. وقوله: (يُنعم)... إلخ جملة مستأنفة لبيان الجملة الأولى.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ وجه المناسبة بين قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وبين قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: أنّه تعالى ذكر أوّلَ حال الإنسان، وهو كونه علَقَةً مع أنّها أخسُّ الأشياء، وآخِرَ حاله، وهو صَيرورته عالِمًا، وهو أجلُّ المراتب، يعني كان ذليلًا مَهينًا فأعززتُه بالعِلم، وهذا يدلُّ على أنّ العِلم أشرف الأشياء، إذ لو كان غيره أشرف لكان ذلك الشيء بالذِكر أولى.

قوله:

(ورَواقِـــــــــم)... الـبـيـتـيـن

هذان البيتان مِن إنشائه. "رَواقِم": مِن الرَقْمِ، وهو الكتابة، "الرَقْشُ": كالنَقْش،

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ لمَن كفَر بِنعمةِ الله عليه بطُغْيانِه، وإنْ لَم يُذْكَرْ لِدلالةِ الكلام عليه.

﴿أَن رَّءَاهُ﴾: أَن رأَى نفْسَهُ، يُقال في أَفعال القلوبِ: رَأيتُنِي وعَلِمتُنِي، وذلك بَعْضُ خصَائِصِها، ومَعْنى الرُّؤية: العِلمُ، ولو كانَت بمَعْنى الإِبصارِ لامْتَنَع في فِعلها الجمْعُ بين الضَّميرينِ.

و﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ هو المفعول الثاني.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ وَاقِعٌ على طريقةِ الالتفاتِ إلى الإنسانِ تهْدِيدًا له وتَحْذيرًا مِن عاقبَةِ الطُّغيَانِ. و"الرُّجْعَى": مَصْدَرٌ كالبُشرَى بمَعنى الرُّجُوعِ.

وقيل: نزلت في أبي جهل، وكذلك: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾.

ورُوي: أَنَّه قال لرسُول الله: أَتزْعُمُ أَنَّ مَن استَغنى طَغَى، فاجعَلْ لَنا جبَالَ مكَّةَ فِضَّةً وذَهَبًا لعَلَّنا نأخذُ منها فنَطْغَى فنَدَعُ دِينَنَا ونَتَّبِعُ دِينكَ، فنزلَ جبريلُ فقال: إن شِئتَ فعَلْنَا ذلك ثُمَّ إن لم يُؤمِنُوا فعَلْنا بهم ما فَعلنا بأصحاب المَائدة، فكَفَّ رَسُولُ الله عن الدُّعَاءِ إبقَاءً عَليْهم.

ورُوي عنه لعَنَهُ اللهُ أنَّه قال: هل يُعَفِّرُ محمَّدٌ وَجْهَهُ بينَ أَظْهُركُم؟ قَالُوا: نَعم،

والرُّقْشُ:[1] جمع الراقش، "قُطْف"، أي: ضيّقة الخُطَى، والأراقم:[2] جمع أرقم، وهو حيّةٌ فيها سوادٌ وبياض، المُدى: جمع المُدْية، وهي السكّين.

قوله: (بنعمة الله) الباء في "بنعمة الله" صلة (كفر)، وفي (بطغيانه)[3] مثله في قولك: كتبتُ بالقلم،[4] وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس ٩١/١١].

قوله: (ما[5] فعلنا بأصحاب المائدة) وهو المَسْخ.[6]

---

[1] ن: الرقش.
[2] ن: الأرقام.
[3] ن: بطيانه.
[4] ن + وقوله.
[5] ن: وما.
[6] ن: المسيح.

قالَ: فوَالَّذِي يُحْلَفُ به لَئِن رَأيتُه توَطَّأتُ عُنُقَهُ، فجَاءهُ ثمَّ نكَصَ على عَقِبَيْهِ فقالُوا له: ما لكَ يا أَبَا الحكم؟! قالَ: إنَّ بَيْني وبَيْنَهُ لخَنْدقًا مِن نارٍ وهَوْلًا وأَجْنِحةً، فَنَزلَتْ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾.

ومَعْناه: أَخْبِرنِي عَمَّن يَنْهَى بعضَ عِبَادِ اللهِ عن صَلاتهِ إن كان ذلك النَّاهِي على طَرِيقةٍ سَدِيدةٍ فيما يَنهَى عنه من عبادةِ اللهِ، أو كانَ آمِرًا بالمَعْرُوفِ والتَّقوى فيما يَأمرُ بهِ من عبادة الأَوثانِ كما يَعتقِدُ، وكذلك إنْ كان على التَّكْذِيب للحقِّ والتَّولِّي عن الدِّين الصَّحيح كما نقُولُ نحنُ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ويَطَّلِعُ على أَحْواله مِن هُدَاهُ وضَلالِه فيُجازِيه على حَسَبِ ذلك، وهذا وعِيدٌ.

فإن قلتَ: ما مُتَعَلَّقُ ﴿أَرَءَيْتَ﴾؟

قلتُ: ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ معَ الجُملة الشَّرطيَّةِ، وهُما في مَوضِع المفعُولَيْنِ.

فإن قلتَ: فأيْنَ جوَابُ الشَّرط؟

قلتُ: هو محذوفٌ تقديرُه: إنْ كان على الهُدَى أو أمَرَ بالتَّقْوَى أَلم يَعْلم بأنَّ الله يرَى، وإنَّما حُذِف لدَلَالة ذِكْره في جَوابِ الشَّرْطِ الثاني.

فإن قلتَ: فكيف صَحَّ أن يَكُونَ ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ جَوابًا لِلشَّرط؟

قلتُ: كما صَحَّ في قَولك: إن أَكْرَمتُكَ أَتُكْرِمُنِي؟ و: إن أَحْسَنَ إلَيْكَ زيدٌ هَل تُحْسنُ إلَيْه؟

فإن قلتَ: فما ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الثَّانيةُ وتَوسُّطُهَا بين مَفْعُولَي ﴿أَرَءَيْتَ﴾؟

قلتُ: هيَ زائدةٌ مُكرَّرةٌ للتَّوكيد.

قوله: (فوالذي يُحلَف به) أي: قال أبو جهل: باللات والعُزَّى.

قوله: (وأجنحةً) أي: ملائكة.

قوله: (قلت: هي زائدة) وقيل: ﴿أرأيتَ﴾ وأختاها موجَّهات إلى ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾، وهو مقدَّرٌ عند الأوَّلَين، وتَرْكُ إظهارِه اختصارٌ[1] كما في ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾

[1] ن: واختصار.

وعن الحَسنِ: أنّه أُمَيَّةُ بن خَلفٍ كان يَنهَى سَلمان عن الصَّلاة.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لأَبِي جَهْلٍ وخَسْءٌ له على نهْيِهِ عن عبادَةِ اللهِ وأَمْرِه بعبَادةِ اللَّاتِ. ثمَّ قال: ﴿لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ﴾ عمَّا هُو فيه ﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: لنَأخذنَّ بنَاصِيَتِهِ ولنَسْحَبنَّهُ بهَا إلى النَّار، و"السَّفْعُ": القَبْضُ على الشَّيء وَجَذْبُه بشِدَّةٍ، قال عمْرُو بن مَعْدِ يكرِبَ:

قَومٌ إذا نَقَعَ الصَّرِيخُ رأيتَهم ... مِن بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أو سَافِعِ

وقرئ: "لنسفعنَّ" بالنُّون المشدَّدةِ. وقرأ ابنُ مَسْعُود: "لأَسْفعَن". وكِتبَتُها في المُصحفِ بالألف على حُكم الوَقفِ.

ولمَّا عُلِم أنَّها ناصِيَةُ المَذكُورِ اكتُفِيَ بلام العَهْدِ عن الإضافةِ.

﴿نَاصِيَةٖ﴾ بدَلٌ من "النَّاصيةِ"، وجازَ بدَلُها عن المَعْرفةِ وهي نكرةٌ لأنَّها وُصِفَتْ فاستقَلَّتْ بفائدةٍ.

وقرئ: "ناصِيةٌ" على: هي ناصِيَةٌ، و: "ناصِيةٌ" بالنَّصْبِ، وكلاهُما على الشَّتْم.

ووَصْفُهَا بالكَذِب والخَطأِ على الإسنادِ المجازِيّ، وهُما في الحقيقةِ لصَاحِبها، وفِيه من الحُسْنِ والجزالَة ما لَيسَ في قولك: ناصيَةِ كاذِبٍ خَاطئٍ.

[٤٦٤ظ] [الكهف ١٨/٩٦]، ومِثله أن / تقول: أخبرني عن زيد إن وفَدتُ عليه، أخبرني عنه إن استَجزتُه، أَخْبرني عنه إن توسَّلتُ إليه، أما يوجِب حقِّي؟

قوله:

(قومٌ إذا نَقَعَ الصَّريخُ رأيتَهُم)... البيتَ[1]

يصفهم بالسرعة إلى الحرب والنُّصرة، ونَقَع الصوتُ واستنقَع: ارتفع، و"سافعٍ": أي: جاذب.[2]

---

[1] ديوان عمرو بن مَعديكرب، ص ٢٠٦، بلفظ:
قَومٌ إذا سَمعوا الصَّرِيخَ رأيتَهم

[2] ن: إذ جاوب.

و"النَّادِي": المجْلِسُ الَّذِي يَنتدِي فيه القومُ؛ أي: يَجْتمِعُونَ، والمرادُ: أهْلُ النَّادِي؛ كما قال جَريرٌ:

لَهُم مجْلِسٌ صُهْبُ السِّبالِ أَذِلَّةٌ

وقال زُهَيْرٌ:

وفِيهِمْ مَقَاماتٌ حسَانٌ وُجُوهُهُم

والمقَامةُ: المَجْلسُ.

رُوي: أنَّ أبا جَهلٍ لعنه الله مَرَّ برسُول الله وهو يُصَلِّي فقال: أَلَمْ أَنْهَكَ؟! فأَغْلَظَ لهُ رسُولُ الله، فقال: أَتُهدِّدُنِي وَأَنا أكثَرُ أَهْلِ الوَادِي نادِيًا؟! فنَزلَتْ.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: "سَتُدْعَى الزَّبَانِيةُ" على البِناء للمفعُول، والزَّبَانِيةُ في كلام العَربِ: الشُّرَطُ، الواحِدُ: زِبْنِيَةٌ كعفرِيَةٍ، من الزَّبْنِ: وهو الدَّفْعُ.

وقيل: زِبْنيٌّ، وكأنَّه نُسِبَ إلى الزَّبْنِ، ثمَّ غُيِّر لِلنَّسبِ كَقولهم: إمْسيٌّ، وأَصْلُه: زَبانيٌّ، فقيلَ: زَبانيَةٌ على التَّعْوِيضِ، والمرادُ: ملائكةُ العذابِ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلام: «لَو دَعَا نَادِيَهُ لأَخذتْهُ الزَّبانِيةُ عِيانًا».

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لأَبي جَهْلٍ ﴿لَا تُطِعْهُ﴾؛ أي: اثبُتْ على ما أَنْتَ عليه من عصيَانِه؛ كقَوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم ٨/٦٨].

﴿وَٱسْجُدْ﴾: ودُمْ على سُجُودِكَ، يُرِيد: الصَّلَاة.

﴿وَٱقْتَرِب﴾: وتَقرَّبْ إلى رَبِّكَ، وفي الحَديثِ: «أقرَبُ ما يكُون العبْدُ إلى رَبِّهِ إذا سَجَد».

عن النبيِّ عليه السلام: «مَن قرأ سُورةَ العَلَقِ أُعْطِيَ من الأَجْرِ كأنَّما قَرأَ المُفصَّلَ كُلَّهُ».

قوله: (وأصله) أي: أصل الزبانِيَة، وإنّما ذكّره باعتبار اللفظ.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[1]

[1] ف ن – تمّت السورة بحمد الله تعالى.

سورة القدر

مدنيةٌ، وقيل: مكيةٌ. وهي خمسٌ أو ستُّ آياتٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾

عَظَّم القرآنَ من ثلاثة أوْجُهٍ:

أحدُها: أن أَسْنَد إنْزالَهُ إليه وجَعَلهُ مُختَصًّا به دونَ غيْرِه.

والثاني: أنّه جاء بضَميره دُونَ اسْمِه الظَّاهِرِ شهادةً له بالنَّباهَة والاستِغناءِ عن التَّنبيهِ عليه.

والثالثُ: الرَّفعُ من مقدارِ الوَقْتِ الَّذِي أُنزِلَ فيهِ.

رُوِي أنّه أُنزلَ جُمْلةً وَاحِدَةً في لَيلةِ القَدْرِ من اللَّوْحِ المحفُوظ إلى السَّماء الدُّنيا، وأَمْلاهُ جبريلُ على السَّفَرَة، ....

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (بضميره) أي:[2] بضمير القرآن.

قوله: (على السَّفَرَة) السَّفَرَة[3] الكرام البَرَرة: هم الملائكة في السماء الدنيا.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ن – (بضميره) أي.

[3] ن: السفر.

ثُمَّ كان يُنزِّلُهُ على رسُول الله نُجُومًا في ثلاثٍ وعِشْرين سَنةً.

وعن الشَّعْبيِّ: المَعْنَى: إنَّا ابْتَدأنَا إنزالَه في لَيلةِ القَدْرِ.

واختَلفُوا في وَقتِها، فأكثرُهُم على أنَّها في شهْرِ رمضانَ في العَشر الأوَاخر في أوْتَارِهَا، وأكثرُ القَولِ أنَّهَا السَّابِعَةُ مِنها، ولعَلَّ الدَّاعِيَ إلى إخْفائهَا أن يُحْيِيَ مَنْ يُرِيدُها اللَّيَاليَ الكثيرةَ طَلبًا لِمُوافقَتِهَا، فتَكثُرَ عبادَتهُ ويتضَاعفَ ثَوابُه، وأن لا يَتَّكِلَ الناسُ عند إظهَارِها على إصَابة الفَضْلِ فيها فيُفرِّطُوا في غيْرِهِا.

ومَعْنى لَيْلَةِ القَدْرِ: لَيْلَةُ تَقديرِ الأمُورِ وقَضائهَا، من قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان ٤٤/٤].

وقيل: سُمِّيَتْ بذلك لخَطَرها وشرَفها على سَائر اللَّيَالِي.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ يَعْني: ولَم تَبْلُغْ درَايتُك غَايةَ فَضْلِهَا ومُنْتَهَى عُلُوِّ قَدْرِهَا، ثُمَّ بيَّنَ له ذلك بأنَّهَا خَيْرٌ مِن أَلْفِ شَهْرٍ.

وسببُ ارتِقاء فَضْلِها إلى هذِه الغَايةِ: ما يُوجَدُ فيهَا من المصَالح الدِّينيَّةِ التي ذكرَها؛ مِنْ تنَزُّلِ الملائكةِ والرُّوحِ، وفَصْلِ كُلِّ أَمْرٍ حكيمٍ، وذُكِرَ في تخصِيصِ هذه المُدَّةِ: أنَّ رسُولَ الله عليه السَّلام ذكَرَ رَجُلًا من بني إسرائيل لَبِسَ السِّلاحَ في سبيلِ الله أَلْفَ شَهْرٍ، فعَجِبَ المُؤمِنُون مِن ذلك وتقَاصَرَتْ إلَيْهم أعْمَالُهم، فأُعْطُوا لَيْلةً هيَ خيْرٌ من مُدَّةِ ذلك الغازِي.

وقيل: إنَّ الرَّجُلَ فيما مَضَى ما كان يُقالُ له: "عَابِدٌ" حَتَّى يَعبُد اللهَ أَلْفَ شَهْرٍ، فأُعْطُوا ليْلةً إنْ أَحْيَوْهَا كانُوا أحَقَّ بأَنْ يُسَمَّوا عَابِدِين مِن أُولئك العُبَّادِ.

﴿تَنَزَّلُ﴾ إلى السَّماء الدُّنيا، وقيل: إلى الأَرْضِ.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾: جبريلُ، وقيل: خلْقٌ مِن المَلائكةِ لا ترَاهُم المَلائكةُ إلَّا تِلكَ اللَّيلةَ.

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ أي: تتنزَّلُ مِن أَجْلِ كُلِّ أَمْرٍ قضَاهُ اللهُ لِتلك السَّنَةِ إلى قَابلٍ.

قوله: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: ليس فيها ليلةُ القدر.

وقرئ: "من كُلِّ امرئٍ"؛ أي: مِن أَجل كلِّ إنسانٍ. قيل: لا يَلقَونَ مُؤمِنًا ولا مُؤمِنَةً إلّا سَلَّمُوا عليه في تلك اللَّيلةِ.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾: ما هيَ إلّا سَلامَةٌ؛ أي: لا يُقدِّرُ اللهُ فيهَا إلّا السَّلامةَ والخيرَ، ويَقضِي في غَيرِها بلاءً وسَلامةً، أو: ما هيَ إلّا سَلامٌ لِكثرةِ ما يُسَلِّمُونَ على المُؤمِنينَ.

وقرئ: ﴿مَطْلع﴾ بفتح اللّام وكَسْرِها.

عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورة القَدْرِ أُعْطي من الأَجْر كمَن صَام رَمضانَ وأَحْيَا ليْلَةَ القدْرِ».

قوله: (قيل: لا يلقَونَ) بيان هذه القراءة الشاذّة.[1]

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ﴾ "حتّى"[2] متّصل بقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، وقيل: بـ﴿سَلَٰمٌ﴾ على أنّه بمعنى: مُسَلِّمة.

تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.[3]

---

[1] هذه القراءة منسوبة إلى ابن عبّاس وعِكرمة والكلبي، وقال ابن جنّي: أنكر أبو حاتم هذه القراءة. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٣٦٨/٢.

[2] ن – حتّى.

[3] ف – السورة بحمد الله ومنّه وكرمه؛ ن – تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.

سورة البيّنة

مدنيةٌ، وقيل: مكية. وهي ثمانِ -وقيل: تسعُ- آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾

كان الكفَّار مِن الفَريقين أهْلِ الكِتاب وعبَدةِ الأَصْنام يقُولُون قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبيّ: لا نَنفَكُّ ممَّا نحْنُ عَليْه مِن دينِنَا ولا نَتْرُكُه حَتَّى يُبْعَثَ النَّبيُّ الموعُودُ الَّذي هُو مكتُوبٌ في التَّوراة والإنجيلِ، وهُو محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، فحَكَى اللهُ تعالى ما كانوا يقُولُونَهُ ثُمَّ قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يَعْني: أَنَّهم كانُوا يَعِدُونَ اجْتماعَ الكلِمة والاتِّفاقَ على الحقِّ إذا جاءهُم الرَّسُولُ، ثُمَّ ما فَرَّقَهُم عن الحَقِّ ولا أَقرَّهُم على الكُفْرِ إلَّا مجيءُ الرَّسُولِ، ونَظِيرُه في الكلام

سورة القَيّمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (أهلِ...[2] وعَبَدةِ) مِن الفريقين.

قوله: (إذا جاءهم) "إذا" ظرف للاجتماع[3] والاتفاق بطريق التنازع. وقوله: (ما فرَّق) عطفٌ على (كانوا).

---

١ ف ن – وبه نستعين.

٢ ن: وأهل. | وفي مطبوع الكشّاف: أهلِ الكتاب.

٣ ن: طرق الاجتماع.

أَن يقُولَ الفقير الفاسِقُ لمَن يَعِظُهُ: لَسْتُ بمُنفَكٍّ ممَّا أَنا فيه حَتَّى يرزُقَنِي اللهُ الغنى، فيَرْزُقُه اللهُ الغِنَى فيَزدَادُ فِسقًا، فيقُولُ واعِظُهُ: لَم تَكُنْ مُنفَكًّا عن الفسقِ حَتَّى تُوسَر، ومَا غمَسْتَ رأسَك في الفِسقِ إلَّا بَعْدَ اليَسار، يُذَكِّرُه ما كان يَقُولُهُ تَوْبيخًا وإِلْزامًا.

وانفكاكُ الشَّيءِ من الشيء: أَن يُزَايلَهُ بعْدَ التِحامهِ بهِ كالعَظْم إذَا انفَكَّ مِن مَفْصِله، والمَعنى: أَنَّهم مُتَشبِّثُونَ بدِينهم لا يَتْرُكُونَه إلَّا عِنْد مجيءِ البَيِّنَةِ.

و﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾: الحُجَّةُ الوَاضِحَةُ.

و﴿رَسُولٌ﴾ بَدَلٌ من ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾، وفي قِراءة عبد الله: "رَسُولًا" حَالًا من ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

﴿صُحُفًا﴾: قَراطِيسَ ﴿مُطَهَّرَةً﴾ مِن الباطِلِ.

﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾: مكتُوباتٌ.

و﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾: القرآنُ، ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه ١٣٣/٢٠]، و﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جبريلُ عليه السلام، وهو التَّالي للصُّحُف المطهَّرة المنتسَخَةِ من اللَّوحِ التي ذُكِرَت في ﴿عَبَسَ﴾، ولا بدَّ من مُضافٍ محذوفٍ وهو الوحيُ، ويجوز أن يراد النبيُّ صلى الله عليه وسلم.

قوله: (يُذكِّرُه) حالٌ مِن "واعظُهُ"، أو هو جملة[١] مستأنَفة مبيِّنة.[٢]

قوله: (﴿صُحُفًا﴾: قراطيس) قال المطرّزي في المُغرِب: «الصحيفة: قطعة قرطاسٍ مكتوبٍ، وجمعها: صُحُف، والنِّسبة إليها: صَحَفيٌّ بفتحتين، وهو الذي يأخذ العِلم مِن الصحيفة، والمُصحَف: الكرّاسة، وحقيقتها: مَجمع الصُّحُف».[٣]

قال الواحدي في الوسيط: «﴿يَتْلُواْ صُحُفًا﴾ يعني: ما يتضمّنه الصُحُف مِن المكتوب فيها، وهو القرآن، ويدُلُّ على ذلك أنّه كان يتلو[٤] عن ظهر قلبه لا عن كتاب».[٥]

---

١ ن – جملة.

٢ د ف + مِن. | وما وجدتُ وجهًا لـ"مِن" في هذا الموضع.

٣ المُغرِب للمطرّزي، «صحف».

٤ ن: يتلوا.

٥ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٣٩/٤ (البيّنة، ٢/٩٨).

فإن قلتَ: كيف نسبةُ تلاوةِ الصُّحُفِ المطهَّرةِ إليه وهو أمّيٌّ؟

قلتُ: إذا تَلَا مِثْلَ المسطورِ فيها كان تاليًا لها.

﴿قَيِّمَةٌ﴾: مُستَقِيمَةٌ ناطقةٌ بالحقِّ والعَدْل.

والمُرادُ بتَفرُّقِهم: تفَرُّقهُم عن الحقِّ وانقشَاعُهم عَنه، أو تفرُّقُهم فِرَقًا: فمِنْهم مَن آمَنَ، ومِنْهم من أَنْكَر وقال: لَيْسَ بِهِ، ومِنْهم مَن عَرفَ وعَاندَ.

فإن قلتَ: لِم جَمع بيْنَ أَهْلِ الكتابِ والمُشْرِكينَ أَوَّلًا، ثُمَّ أَفْردَ أَهْلَ الكِتاب في قَولِهِ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟

قلتُ: لأَنَّهم كانُوا على عِلْمٍ بهِ لوُجُودهِ في كُتبِهِم، فإذا وُصِفُوا بالتَّفَرُّقِ عَنه كان مَن لا كِتابَ له أَدْخَلَ في هذا الوَصْفِ.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾

قوله: (ليس به) الضمير في "ليس" يعود إلى محمّد عليه الصلاة والسلام، والضمير من "به" يعود إلى النبيّ الموعود في التوراة والإنجيل.

قوله: (قلتُ: لأنّهم)... إلخ، قال الشيخ الإمام فخر الملة والدين[١] الجاربرديّ:[٢] يقول أضعف[٣] عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربرديّ:[٤] ويَرِدُ في خاطري أنّ الأولى في[٥] الجواب أن يقال: الغَرض مِن قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ﴾... إلخ هو: توبيخهم على التفرُّق وتَعييرهم بذلك ورَدُّ فعلهم وإنكارهم، وأهل الكتاب أولى وأحقُّ بهذا التعيير والتوبيخ والردّ؛ لأنّهم كانوا عالِمين[٦] به لوجود صفته في كتبهم، فلذلك خصَّهم؛ فإنّ[٧] جحود العالِم أقبح مِن إنكار الجاهل.

---

١ ف: لدين.
٢ د ف: الجاربيردي.
٣ ن: أضف.
٤ د: الجابيردي؛ ف: الجاربيردي.
٥ ن – في.
٦ ن: عاملين.
٧ ف: بأنّ.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ يَعني: في التَّوراةِ والإنجيل ﴿إِلَّا﴾ بالدِّين الحَنيفيّ ولكنَّهُم حَرَّفُوا وبَدَّلُوا.

و﴿ذلك دين القيمة﴾ أي: دينُ المِلَّةِ القَيِّمةِ.

وقرئ: "وذلك الدِّينُ القَيِّمةُ" على تَأوِيل الدِّينِ بالمِلَّةِ.

فإن قلتَ: ما وَجْهُ قَوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؟

قلتُ: مَعناه: ومَا أُمِرُوا بما في الكِتابَيْنِ إِلَّا لأَجْلِ أَنْ يَعْبُدُوا الله على هذه الصِّفة.

وقَرَأ ابنُ مسْعُودٍ: "إلا أن يعبدوا" بمَعْنَى: بأَنْ يَعْبُدُوا.

قوله: (وقرأ ابن مسعود)... إلخ،[١] والأولى أن يقال: معنى قراءة ابن مسعود: إلّا لِأَنْ يعبدوا؛ ليوافق القراءة المشهورة في المعنَى، وإنّما حملها المصنِّف على ما حمل[٢] لأنّ الظاهر يقتضي أن يقال: ما أُمروا إلّا بأن[٣] يعبدوا الله، أي:[٤] إلّا بعبادة الله تعالى؛[٥] ليكون المأمور به مذكورًا، وإنّما عَدَلْنا / عن هذا [٤٦٥و] المعنى في القراءة المشهورة لوجود اللام، وإذ لم يكن اللام في قراءة ابن مسعود فليُحْمل على ما هو الظاهر، هذا تقرير وجه[٦] تقديرِ المصنِّف. لكنّا نقول: لمّا ورد القراءة المشهورة على ما ورد عُلِم أنّ الغرض[٧] بيان أنّهم إنّما أمِروا في التوراة بما أمِروا لأجل عبادة الله تعالى بالإخلاص ليكون إشارة إلى أنّ الغرض الأصليّ مِن جميع ما يُؤمرون به هو العبادة بالإخلاص؛ ليكون تحريضًا[٨] لهم على هذا الذي هو الغرَض الأصليّ، وإشارةً[٩] إلى وجوب متابعتهم النبيَّ الآمرَ الداعي إلى ذلك، ولمّا عُلِم المعنى في القراءة المشهورة وعُلِم أنّ العدول عن الظاهر لهذا الغرض الأصيل؛ فليُحمَل قراءة ابن مسعود عليه.

---

[١] قراءة ابن مسعود ذكرها الفرّاء في معاني القرآن، ٢٧٢/٣.
[٢] ن – حمل.
[٣] ن: الإيمان.
[٤] ن – أي.
[٥] ن – تعالى.
[٦] ف: وجه تقرير.
[٧] ن: المعرض.
[٨] ن: تجريضًا.
[٩] ن: إشارة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۞﴾

قرأ نافِعٌ: ﴿البريئة﴾ بالهمْزِ، والقُرَّاءُ على التَّخفيفِ.

والنَّبيُّ والبَريَّةُ: ممَّا استمرَّ الاسْتِعْمالُ على تَخفيفِه ورَفْضِ الأصل.

وقرئ: "خِيَارُ البَرِيَّة"، جمعُ خيِّرٍ؛ كجيَادٍ وطِيَابٍ في جَيِّدٍ وطَيِّبٍ.

قوله: (والقرّاء على التخفيف) أي: مطبِقون[1] ومتّفقون على التخفيف، يريد: غير نافعٍ لتقدُّم[2] ذكره، وقوله: (والنبيّ)...[3] إلخ كأنّه طَعْنٌ في قراءة نافع، وهو مردودٌ عليه طَعْنُه، فنقول: تخفيف الهمز في "نبي" و"بريّة"[4] إنّما يُتصور على قول مَن يقول: إنّ "نبيًّا" مشتقٌّ مِن "النبأ"، و"البَريّة" مِن "برَأ الله الخلق"، وأمّا مَن يرى أنّ "النبيّ"[5] مِن النَّبو[6] -وهو الارتفاع- و"البريّة" مِن البَرَى -وهو التراب-[7] فلا مدخل لهما في الهمز أصلًا، فلا يصحّ قول المصنِّف: "استمرَّ[8] تخفيفُه[9] ورُفِضَ الأصل"، ثمّ لو سُلِّمَ أنّه مِن الهمز فلا يصِحّ قوله: "استمرَّ ورُفِضَ"؛ لأنّه قد ثبت أنّهم يقولون: "نبيئًا" و"بريئة" بالهمز، فكيف يصِحُّ دعوى التزام ترك الهمز مع ثبوت الهمز ثبوتًا لا يمكن دفعه؟ وأمّا "نبيء" فهي قراءة أهل المدينة، ومقدَّمُهم[10] نافعٌ،[11] وقد قدّمه الشيخ الشاطبيّ في الذِّكر على جميع القرّاء، قال فيه:

وأمّا الكريمُ السِّرّ في الطِّيبِ نافعٌ ... فذاكَ الذي اختار المدينةَ مَنزِلا[12]

---

[1] ن: منطبقون.
[2] ن: ليقدم.
[3] ن: النبيّ.
[4] ن: برية.
[5] ن + صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء.
[6] ن: النبيّ.
[7] ن: الثواب.
[8] ن: أسمر.
[9] ن: تحقيقه.
[10] ن: وتقدمهم.
[11] قرأ نافع وابن ذكوان بهمزة مفتوحة بعد الياء، وقرأ باقي القراء العشر بغير همز مشدّدة الياء. انظر: النشر لابن الجزري، ١/٤٠٧.
[12] حِرز الأماني للإمام الشاطبي، ص ٣.

عن رسُولِ الله عليه السلام: «مَن قَرأ ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾ كان يَومَ القيامَة مَع خيْرِ البَرِيَّة مسَاءً ومَقِيلًا».

روي أنّه كان إذا قَرأ القرآن يَفوح طيب المِسك مِن فيه، فقيل له: أتتطيَّب للقراءة؟ فقال: «لا، ولكن رأيت النبيّ عليه الصلاة والسلام في المنام فقرأ[١] في فمي، فكلّما قرأتُ القرآن يفوح ريح المِسك مِن فيَّ».[٢]

وأمّا ﴿ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ فهي قراءة أهل المدينة وبعض أهل الشام، فثبت أنّه لا يمكن دعوى التزام[٣] ترك الهمز في "نبيّ" و"بريّة".[٤]

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[٥]

---

١ ن: فتفل.

٢ انظر: معرفة القرّاء للذهبي، ص ٦٤.

٣ ن: اليوم.

٤ ن – وبريّة.

٥ ف – السورة بحمد الله تعالى؛ ن – تمّت السورة بحمد الله تعالى.

سورة الزلزلة

مدنيةٌ، وقيل: مكيةٌ، وهي ثمان -وقيل: تسعُ- آياتٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾

﴿زِلْزَالَهَا﴾ قرئ بفتح الزاي وكسرِها، فالمكسُور مصدَرٌ، والمفتُوح اسْمٌ، ولَيْسَ في الأَبْنِية فَعْلالٌ بالفَتْح إِلّا في المُضاعفِ.

فإن قلتَ: ما مَعنى ﴿زِلْزَالَهَا﴾ بالإضافة؟

قلتُ: معناه: زِلزَالَها الَّذي تَسْتَوْجِبُه في الحِكمَة ومَشِيئةِ الله، وهُو الزِّلْزالُ الشَّدِيدُ الَّذِي ....

سورة الزلْزَلة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (وليس في الأبنية) وأمّا "بَهْرام" و"شَهْرام" فعَجَميَّتان،[2] وأمّا "القَهْقار" فلغة ضعيفةٌ، قال في الصحاح: «القَهْقَرّ بتشديد الراء: الحجَرُ الصُّلبُ، وكان أحمد بن يحيَى وحدَه يقول: القَهْقار».[3]

قوله: (تستوجبُه)[4] أي: الأرض.

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] بَهرام: اسم كوكب المرّيخ. انظر: لسان العرب لابن منظور، «مرخ». وأمّا شَهرام فلم أجد معناه، لكن هو اسم علم عُرف به رجال من العجم، منهم شهرام أحد ملوك الفرس، لكن قال ابن خلّكان: «بكسر الشين المعجمة». وفيات الأعيان لابن خلّكان، ٣٥٧/٤.

[3] الصحاح للجوهري، «قهقر».

[4] ن: يستوجبه.

ليْسَ بعْدَه، ونحوُه قَولُك: "أكْرِم التَّقِيَّ إكْرَامَهُ" و: "أَهِن الفاسقَ إهَانَتهُ" تُريدُ: ما يَستَوجِبَانِه من الإكرام والإهانة، أو: زِلزَالَها كلَّه وجَميعَ ما هُو مُمكِنٌ منهُ.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾

"الأثقَالُ": جمعُ ثَقَلٍ، وهو مَتاعُ البَيْتِ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ [النحل ٧/١٦]، جَعَلَ ما في جَوْفِها من الدَّفائنِ أثقالًا لَهَا.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ زُلزِلَتْ هذهِ الزَّلْزَلَةَ الشَّديدَةَ ولَفَظتْ ما في بَطْنِها، وذلك عنْد النَّفْخة الثَّانية حينَ تُزَلْزَلُ وتَلفِظُ أمْواتَها أَحْيَاءً، فيقُولُونَ ذلك لِمَا يَبْهَرُهم من الأَمْرِ الفَظِيعِ؛ كما يقُولُون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس ٥٢/٣٦].

وقيل: هذا قولُ الكافر لأنّه كان لا يُؤمِنُ بالبَعثِ، فأمَّا المؤمِنُ فَيقولُ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس ٥٢/٣٦].

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾

فإن قلتَ: ما مَعْنى تَحْديثِ الأَرْضِ والإيحاءِ لهَا؟

قوله: (ليس بعده) اسم "ليس" ضمير يعود إلى "الزِلزال"، أي: ليس بعده زِلزال، وهو يحتمل معنيين: الأول: ليس فوقه وأقوى منه زِلْزال. والثاني: أنّه الزِلزال كلُّه، فلو قطعتَ النظر عنه فلا تجد بعده زَلْزلةً يعتدُّ[١] به، وهو بمعنى المبالغة في شأنه.

[٤٦٥ظ] قوله: (زُلزلت / هذه الزلزلة) قول المصنِّف: (زُلْزِلَتْ هذه)... إلخ، إشارة إلى أنّ في الكلام حذفًا، وهو حالٌ من الضمير المجرور؛ لأنّه مفعول، والتقدير: أيُّ شيء ثبت لها في هذه الحال؟ كقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر ٤٩/٧٤].

قوله: (أحياءً) حال مِن "أمواتها"، فتسميتها "أمواتًا" باعتبار ما تقدَّم.

---

[١] ن: تعتد.

قلتُ: هو مجازٌ عن إحداثِ الله فيها من الأحوالِ ما يَقُوم مقامَ التَّحديثِ باللِّسان، حَتَّى يَنظرَ مَن يقولُ: ﴿مَالَهَا﴾ إلى تِلك الأحوالِ فيَعلَمَ لِمَ زُلْزلَت ولِمَ لَفَظَتِ الأمواتَ، وأَنَّ هذا ما كانت الأنبِيَاءُ يُنذِرونهُ ويُحَذِّرُونَ مِنه.

وقيل: يُنْطِقُها اللهُ على الحقيقَة، وتُخْبِرُ بما عُمِل علَيها من خيْرٍ وشرٍّ.

ورُوِي عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «تَشْهَدُ على كُلِّ أَحَدٍ بما عَمِل على ظَهْرِهَا».

فإن قلتَ: ﴿إِذَا﴾ و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مَا ناصِبُهما؟

قلتُ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدَلٌ من ﴿إِذَا﴾ وناصبهُما ﴿تُحَدِّثُ﴾ ويجُوز أن يَنتَصِبَ ﴿إِذَا﴾ بمُضْمرٍ و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بـ﴿تُحَدِّثُ﴾.

فإن قلتَ: أَين مَفعُولَا ﴿تُحَدِّثُ﴾؟

قوله: (بمضمَرٍ)[١] أي: يقع ما يقع، ويكون ما يكون.

قوله: (فإن قلتَ: أين[٢] مفعولا ﴿تُحَدِّثُ﴾؟) في هذا السؤال والجواب نظرٌ؛ لأنّ "حدَّث"[٣] ليس متعدِّيًا إلى مفعولين بل هو متعدٍّ إلى مفعول واحد، والمحذوف[٤] الذي صرَّح المصنِّف بذكره ههنا هو المفعول به، وأمّا المذكور وهو ﴿أَخْبَارَهَا﴾[٥] فمفعول مطلَق، وهما لا يسمَّيان مفعولين في اصطلاح النُّحاة، نعم إذا ذكر خصوصيّة المصدر في هذا الباب جُعل منصوبًا، ويسمِّيه[٦] بعض النحاة حينئذٍ مفعولًا ثانيًا وثالثًا، نحو: حدَّثْتُ[٧] عَمرًا زيدًا قائمًا، ويقال حينئذٍ: هو متعدٍّ إلى ثلاثة مفاعيل، وقد ذكر وحقّق في موضعه أنّه ليس كذلك،[٨] وأنّه متعدٍّ إلى واحدٍ، وأنّ "زيدًا قائمًا" نُصِبا لوقوعهما مَوقع المصدر، وأمّا إذا ذكر المصدر بلفظه -نحو: حدثته حديثًا وخبرًا- فلا يقول أحدٌ: إنّه متعدٍّ إلى مفعولين،

---

١ ن: يمضوا.
٢ ن: أن.
٣ ن: حدف.
٤ ن: فالمحذوف.
٥ ن: أخبرها.
٦ ن: ونسميه.
٧ ن: حديث.
٨ ن: لذلك.

قلتُ: قد حُذِف أوّلهُما، والثاني: ﴿أَخْبَارَهَا﴾ وأَصْلُه: تُحَدِّثُ الخلْقَ أَخبارهَا، إلَّا أنَّ المقصود ذِكْرُ تَحْدِيثها الأخبارَ لا ذكرُ الخَلْقِ؛ تَعْظِيمًا لليَوم.

فإن قلتَ: بِمَ تعَلَّقتِ الباءُ في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾؟

قلتُ: بـ﴿تُحَدِّثُ﴾ مَعناهُ: تُحدِّثُ أَخبَارَها بسَببِ إيحاءِ رَبِّكَ لهَا وأَمْرِه إيَّاهَا بالتَّحْدِيثِ.

ويجوز أن يكونَ المَعنى: يومئذٍ تُحَدِّثُ بتَحديثِ أَنَّ ربَّك أَوْحَى لهَا أَخْبَارَها، على أنَّ تَحدِيثَها بِأنَّ ربَّكَ أَوْحَى لهَا تحدِيثٌ بأَخْبارِهَا؛ كما تقُولُ: نصَحْتَني كلَّ نَصِيحةٍ، بأَنْ نصَحْتَنِي في الدِّين.

ويجوز أن يكُونَ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾ بدَلًا مِنْ ﴿أَخْبَارَهَا﴾ كأنَّه قيل: يَومئذٍ تُحَدِّثُ بأَخْبارِهَا بأَنَّ ربَّك أَوْحَى لَها؛ لأنَّكَ تَقُولُ: حَدَّثْته كذَا وحَدَّثْته بكذَا.

والدليل على ما ذكرنا أنّ ابنَ الحاجب رحمه الله[١] بعد ما بيّن أنّ "زيدًا قائمًا" نُصبا في مثل هذا الموضع لوقوعه موقع المصدر، لا لكونه مفعولًا ثانيًا وثالثًا، قال: «يبقى أن يقال: كيف صحّ أن يقع ما ليس بفعل في المعنى مصدرًا،[٢] وهو المفعول الثاني والثالث؟» ثمّ قال: «والجواب عنه: أنّه لم يكن مصدرًا باعتبار كونه "زيدًا قائمًا"، ولكن باعتبار كونه حديثًا مخصوصًا، فالوجه الذي صحّ الإخبار به عن الحديث إذا قلت: حديثُ زيدٍ عمْرٌو منطلِقٌ؛ هو الذي صحّح وقوعه مصدرًا».[٣]

وقوله:[٤] **(وأصلُه: تحدِّثُ الخلقَ أخبارَها، إلّا أنّ المقصود ذِكر تحديثها الأخبار،[٥] لا ذِكر[٦] الخلق تعظيمًا[٧] لليوم)**.[٨]

قوله: (وحدثته بكذا) وإنّما يقال: "حدثته بكذا" بزيادة الباء إذا ذُكِر نوع المصدر،

---

١ د – رحمه الله.

٢ ن: مصدر.

٣ الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ٤٩/٢.

٤ ن: قوله.

٥ ف ن: والأخبار.

٦ ن: ذلر.

٧ ف: تعظمًا.

٨ كذا في الأصول المخطوطة، لم يرِد أيُّ تعليق من الشارح على كلام الزمخشري الذي أورَده، ولعلّه أراد مجرّدَ الإشارة إليه.

و﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ بمَعْنى: أوْحَى إلَيها، وهُو مجَازٌ كقولِهِ: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس ٨٢/٣٦]، قال:

أوْحَـــى لـهَـا الـقَـــرارَ فـاسـتَـقـرَّتِ

وقرأ ابن مسعود: "تُنَبِّئُ أخبَارهَا"، وسَعيدُ بن جُبَيْرٍ: "تُنْبِئُ" بالتَّخْفيف.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾: يَصْدُرُونَ عن مَخارِجهم من القُبُور إلى المَوقفِ ﴿أَشْتَاتًا﴾: بِيضَ الوجُوه آمِنِينَ وسُودَ الوجُوه فَزِعِينَ، أو: يَصْدُرُونَ عن المَوْقفِ أَشْتَاتًا يَتفرَّقُ بهم طريقَا الجَنَّةِ والنَّارِ ليُرَوا جَزاءَ أَعْمالِهِمْ.

وفي قِراءةِ النَّبيِّ عليه السلام "لِيَرَوا" بالفَتْح.

وقرأ ابن عباس وزيدُ بنُ عليّ: "يُرَهُ" بالضَّم، ويُحْكَى أنَّ أعرابيًا أَخَّرَ ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ فقِيل له: قدَّمْتَ وأَخَّرْتَ! فقال:

خُـذَا بَـطْـنَ هَـرْشَـى أو قَـفَـاهَـا فإِنَّـهُ كِـلَا جَانبَي هَـرْشَـى لَـهُـنَّ طَـرِيـقُ

والذَّرَّةُ: النَّملةُ الصَّغيرةُ، وقيل: الذَّرُّ ما يُرَى في شُعاعِ الشَّمْسِ من الهبَاء.

نحو: حدَّثْتُ[١] بأنّ زيدًا قائمٌ؛ لأنّه إذا[٢] ذُكِر نوعه وجعل كالمفعول به زِيد فيه الباء، كما[٣] في المفعول به.

قوله: (يتفرَّق بهم) الباء في "بهم" للتَعْدية، وإسناد التفريق إلى الطريق مجاز.

قوله:

(خُـــذا بـطْـنَ هَـــرْشَـــى)...[٤] البـيـتَ[٥]

---

١ ن: حديث.
٢ ن: إذ.
٣ ن + تراد.
٤ ن: بطر هوشى.

٥ نسبه في التذكرة الحمدونية إلى عَقيل بن علّفة، والمُنكِر عليه عمر بن عبد العزيز، وذكر القصّة. انظر: التذكرة الحمدونيّة لابن حمدون البغدادي، ٣٧٩/٩.

فإن قلتَ: حسَناتُ الكَافِرِ مُحْبَطَةٌ بالكُفْر، وسَيِّئاتُ المُؤمن مَغْفُوَّةٌ باجتنابِ الكبَائرِ، فما مَعْنَى الجزاء بمثَاقيلِ الذَّرِّ مِن الخَيْر والشَّرِّ؟

قلتُ: المعنى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾ من فريقِ السُّعداء، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ مِن فريقِ الأَشقِياء، لأنَّه جاءَ بعدَ قوله: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾.

عن رسُول الله عليه السلام: «مَن قَرأ إذا زلزِلت أَرْبَع مَرَّاتٍ كان كمَن قَرأ القُرآنَ كُلَّهُ».

"هرشَى":[١] ثنيّة بطريق مكّة، قريبة مِن الجُحفة، يُرى منها البحر، ولها طريقان، مَن سلَك أيُّهما شاء كان مُصيبًا، يخاطب صاحبيه ويقول لهما:[٢] سيرا في بطن هذه الثنيّة أو في قَفاها، فإنّ في[٣] كِلا الجانبين طريقًا للإبل، وهذا مَثَل فيما سَهُلَ إليه الطريق مِن جهتين، وكأنّ الأعرابيّ ظنَّ أنّ التقديم والتأخير في هذا الموضع جائز، فلذلك أورد هذا البيت، وهو خطأٌ منه، فإنّ ذلك غير جائز، وكأنّه كان أعرابيًا جِلْفًا جافيًا. وذِكْر المصنِّف هذا البيت والحكاية إنْ كان لبيان كون الأعرابيّ جاهلًا غافلًا عن اللطائف / القرآنيّة فلا بأس به، وإلّا فلا معنى لهذا الإيراد، وتركه كان أَولَى، ويمكن أن يكون أشار[٤] إلى أنّ الأعراب لعدم مخالطتهم أهلَ العلم أجدَر أن لا يعلموا حدودَ ما أنزل الله تحقيقًا لقول الله تعالى[٥] في شأنهم ذلك الكلام.[٦] [٤٦٦و]

وقوله:[٧] (لهنَّ) أي: للنُّوق[٨] أو للإبل.

قوله: (قلت: المعنى) وإنّما ذُكِر مُبْهَمًا للترغيب في الخير والتنفير عن الشرِّ مع دلالة الدليل على المراد، فالعالِم يعلَم، والجاهل يرتدِع.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[٩]

---

١ ن: هوشى.
٢ ن: لها.
٣ ن – في.
٤ ف ن: إشارة.
٥ ن – تعالى.
٦ يعني قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة ٩/٩٧].
٧ ن: قوله.
٨ ن: للنوب.
٩ ف – السورة بحمد الله تعالى؛ ن – تمّت السورة بحمد الله تعالى.

سورة والعاديات

مختلف فيها، وهي إحدى عشرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾

أَقْسَم بِخَيل الغُزاةِ تغدُو فتَضْبَحُ، والضَّبْحُ: صَوْت أَنفاسِها إذا عَدَوْن، وعن ابن عبَّاس أَنَّه حكاهُ فقالَ: أَحْ أَحْ. قال عَنْتَرةُ:

سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (أقسَمَ بِخَيل الغُزاة تَغدو)... إلخ، وقوله:[٢] (﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ تورِي)... إلخ عطفٌ على "بِخَيل"، وكذا قوله: (﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ تُغِير)... إلخ، والصواب: أنّ قول المصنِّف: (﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾) حكاية لفظ القرآن، وكذا:[٣] (﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾)،[٤] وليس عطفًا على قوله: "بِخَيل"، كما أنّ قوله: (﴿فَأَثَرْنَ﴾) (﴿فَوَسَطْنَ﴾) حكاية لفظ القرآن، والوجه أن يُجعل اللام في (الغزاة) وفي (﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾) وفي (﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾) لامَ الجنس فلا يفيد التعريف، فيكون قوله: (تَغدو) و(تُوري) و(تُغِير) أحوالًا، إذ لا يجوز أن يكون اللام للاستغراق أو للعهد، وإلا لكانت مُعرِّفةً، وتكون[٥] هذه أحوالًا أو جملة مستأنفة فيفسُد المعنى.

---

١ ف ن – وبه نستعين.
٢ ن: قوله.
٣ ف: ولذا.
٤ ن: ولذا بالمغيرات.
٥ ن: فيكون.

والـخَـيْـلُ تـكْـدَحُ حِـيـنَ تَـضْـ ـبحُ في حِياض المَـوتِ ضبْحَا

وانتِصابُ ﴿ضَبْحًا﴾ على: يَضبَحْن ضَبْحًا، أو بـ﴿العَادياتِ﴾؛ كأنه قِيل: والضَّابِحاتِ؛ لأنَّ الضَّبحَ يكون مع العَدْوِ، أو على الحال؛ أي: ضابحاتٍ.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾: تُورِي نارَ الحُبَاحبِ، وهيَ ما يَنقَدِحُ من حوَافِرها.

﴿قَدْحًا﴾: قادِحاتٍ صَاكَّاتٍ بحَوافِرِها الحجارةَ، والقَدْحُ: الصَّكُّ، والإيراءُ: إخْراجُ النَّارِ، تَقُولُ: قدَحَ فأوْرَى، ....

قوله: (تكْدَحُ) أي: تتعب.

قوله: (أو بـ﴿ٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾) عطفٌ على مقدّر، كأنّه قيل: انتصاب ﴿ضَبْحًا﴾ على المصدر، نصب بـ"يَضْبَحْنَ"[١] أو بـ﴿ٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾، والأولَى أن يقال: هو عطفٌ على قوله: (يَضبَحْنَ)،[٢] وهذا هو الوجه.

قوله: (على الحال) عطفٌ على مقدَّر، أي: انتصاب ﴿ضَبْحًا﴾ على المصدر أو على الحال أو[٣] مِن الضمير في ﴿ٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾.

قوله: (نارَ الحُباحِب) يجوز أن يكون المضاف محذوفًا، والتقدير: مثل نار الحُباحِب، ويجوز أن يقال: لا حاجة إلى هذا التقدير، إذ نار الحُباحِب[٤] مَثَلٌ في القِلّة، كأنّه قيل: توري[٥] نارًا قليلًا، و"الحُباحِب": اسم رجلٍ بخيلٍ كان لا يوقِد إلّا نارًا ضعيفةً مخافة الضيفان، فضربوا بها المثل حتّى قالوا: نار الحُباحِب، لِما[٦] تَقْدَحُهُ الخيل بحوافرها، قال النابغة:

ويُـوقِـدْنَ بـالـصُّـفّـاح نـار الـحُـبـاحِـبِ[٧]

و"الصُفّاح" بالضمّ والتشديد: الحجَر العريض.

---

[١] ن: بيحضين.

[٢] ن: يصحن.

[٣] ف ن: أي.

[٤] ن: الحناحب.

[٥] ن: فوري.

[٦] ن: إلى.

[٧] ديوان النابغة الذبياني، ص ٤٦، لكن قال: "وتُوقِدُ بالصُفّاح..."، وصدره:

تَقُدُّ السَّلُوقيَّ المضاعَفَ نَسجُهُ

و: قَدَح فأَصْلَدَ، وانتصَبَ ﴿قَدْحًا﴾ بما انتَصَبَ به ﴿ضَبْحًا﴾.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ تُغِيرُ على العَدُوِّ ﴿صُبْحًا﴾ في وَقت الصُّبحِ.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: فهَيَّجْنَ بذلك الوَقْت غُبارًا.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: بذلك الوَقْتِ، أو بالنَّقع؛ أي: وسَّطْنَ النَّقْعَ الجمْعَ، أو: فوسَطْن مُلْتبِساتٍ بهِ ﴿جَمْعًا﴾ من جمُوع الأَعداء، ووَسَطَهُ بمَعنى: توسَّطهُ.

وقيل: الضَّميرُ لمكَانِ الغَارة، وقيل: للعَدْوِ الَّذي دلَّ عليه ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾.

ويجوز أن يُراد بالنَّقْعِ: الصِّياحُ، من قوله عَليه السَّلام: «ما لم يكُنْ نقْعٌ ولا لَقْلَقَةٌ»، وقولِ لَبيدٍ:

فمتَى يَنْقَعْ صُرَاخٌ صَادِقٌ

قوله: (فأَصْلَدَ) صَلَدَ[1] الزَّنْدُ يَصْلِد[2] إذا صوَّت ولم يُخرِج نارًا، وأصلَدَ الرجلُ إذا صَلَدَ زَنْدُه.

قوله: (بذلك الوقت) أي: في ذلك الوقت.

قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ "به" ظرف، كقولك: خرجْتُ بالغداة.

قوله: (الجمع) أي: الجيش.

قوله: (وقيل: الضمير لمكان الغارة) أي: فأثَرْنَ في مكان الغارة نقْعًا.

قوله: (لَقْلَقَةٌ) اللَقْلَقة: صوت النائحة، يعني: يجوز البكاء على الميّت مِن غير جَزَعٍ.

قوله:

(فمتَى يَنقَعْ صُراخٌ صادقٌ)

تمامه:

يُحْلِبُوه ذاتَ جَرْسٍ وزَجَلْ[3]

---

[1] ن: صلة.

[2] ن: يصله.

[3] ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٩١.

أي: فهَيَّجْنَ في المُغارِ عَليْهِم صِيَاحًا وجَلبةً.

وقرأ أبو حيوَةَ: "فأثَّرنَ" بالتَّشديدِ بمَعنى: فأظْهَرن به غُبَارًا؛ لأنَّ التَّأثِير فيه مَعْنى الإِظهارِ، أو قَلْبَ ثَورنَ إلى وَثَّرنَ وقَلْبَ الواوِ همزةً.

وقرئ: "فوسَّطْنَ" بالتَّشديد لِلتَّعْدِية، والباء مزِيدةٌ للتَّوْكِيد كقوله: "وأوتوا به" [البقرة ٢/٢٥] أو هي مُبَالغَةٌ في "وَسَطْنَ".

وعن ابن عباس: كنتُ جالسًا في الحِجْرِ فجاءَ رَجُلٌ فَسألني عن ﴿العاديات ضبحًا﴾ ففسَّرتُها بالخَيْل، فذهب إلى عَليٍّ وهو تحتَ سِقَايَةِ زَمْزَمَ

[٦٦ظ٤] "يَنقَع" أي: يصيح، و"صُراخ" أي: ذو صراخ، وقوله: "ذاتَ / جَرْسٍ" صفة مصدر محذوف، أي: يعينوه إعانةً ذاتَ صوتٍ خفيٍّ وصوتٍ عالٍ رفيعٍ، والجَرْس: الصوت الخفيُّ، يقال: سمعت جَرْسَ الطير، إذا سمعتَ صوتَ مناقيرها على شيء تأكله، والزَجَل: الصوت، يقال: سَحابٌ زَجِلٌ، أي: ذو رَعْدٍ، والإحلاب: أن تَحْلُب لأهلك وأنت في المرعَى تبعث به إليهم، تقول منه: أحلبتُ أهلي، والمُحْلِبُ: الناصر، قال الشاعر:

عَرانِينَ[١] لا يأتِيه للنَّصر[٢] مُحْلِبٌ[٣]

وهم يُحلِبون عليك، أي: يجتمعون ويتألّبون مِن كل أوْبٍ، وهذا هو المذكور في الصحاح،[٤] وهو يؤيّد ما قيل مِن أنّ أصل الإحلاب[٥] الإعانة على الحَلْب، ثمّ عَمّ في كلِّ إعانة، والحَلْبة بالتسكين: خيلٌ تُجمَع للسباق[٦] مِن كلِّ أوبٍ لا تخرج مِن إصطبلٍ واحدٍ، كما يقال للقوم إذا جاءوا مِن كلِّ أوبٍ للنُّصرة: قد أحْلَبوا.

قوله: (في الحِجْر) الجَذْرُ والحَطيم والحِجْر كلُّها بمعنًى واحدٍ.

---

١ ن: عرابين.

٢ ن: النصر.

٣ ذكره الجوهري بتمامه، وصَدره:

أشار بهم لَمْعَ الأصمّ فأقبلوا

انظر: الصحاح للجوهري، «حلب». والبيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه، ص ١٠.

٤ الصحاح للجوهري، «حلب».

٥ ن: الاحتلاب.

٦ ن: للسياق.

فسَألَه وذَكرَ لهُ ما قُلْتُ، فقالَ: أُدْعُهُ لي، فلمَّا وَقَفْتُ على رأسِه قال: تُفتِي النّاسَ بما لا علمَ لك بهِ، واللهِ إن كانَت لَأَوّلَ غَزْوةٍ في الإسْلام بَدْرٌ وما كان مَعَنا إلّا فرَسانِ: فَرسٌ للزُّبَيْرِ وفرسٌ للمِقْدادِ، العادياتُ ضبحًا: الإبِلُ من عرَفَة إلى المُزدَلِفَة، ومِن المُزْدَلفَةِ إلى مِنًى. فإنْ صَحَّتْ الرِّوايةُ فقَد استُعِيرَ الضَّبْحُ للإبِل كما استِعيرَ المشَافِرُ والحافِرُ للإنسانِ، والشَّفتانِ للمُهْر، والثَّفْرُ للثَّورةِ، وما أَشْبَهَ ذلك.

وقيل: الضَّبْحُ لا يكُون إلّا للفَرسِ والكَلْبِ والثَّعْلبِ.

وقيل: الضَّبْحُ بمَعنى الضَّبْعِ؛ ....

قوله: (إنْ كانت لَأوّلَ)...[١] إلخ، "إنْ" مخفَّفة مِن الثقيلة، واللام هي الفارقة، و"بدرٌ" اسم "كانت"،[٢] والتقدير: غزوة بدرٍ،[٣] و"لَأوّل" خبره.

قوله: (والثَّفْر) "الثَّفْرُ" للسّباع وكلِّ ذات مِخْلَبٍ بمنزلة الحَياءِ مِن الناقة،[٤] وربّما استعير لغيرها، قال الأخطَل:

جـزَى الله عنّا الأعـورَيـن مَلامةً ... وفَـزوَةَ[٥] ثَـفْرَ الـثَّورةِ المُتَضاجِمِ[٦]

"فَزوة": اسم رجلٍ، ونُصِب "الثَّفْر" على البَدَل[٧] منه، كقولك:[٨] عبدُ الله قُفَّةٌ،[٩] وإنّما خُفِض "المتضاجِمِ" وهو مِن صفة "الثَّفْر" على الجِوار، كقولك:[١٠] جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، و"المُتَضاجِم": المُعْوَجُّ الفَمِ، والثَّور مِن البَقَر، والأنثى ثَورة.

قوله: (وقيل: الضَبْحُ) هذا تحقيق أنّه استعارة.

---

[١] ن: الأول.

[٢] ن: كان.

[٣] ن: وبدر.

[٤] الحَياءُ: رَحِمُ الناقةِ، والجمع: أحيية. الصحاح للجوهري، «حيا».

[٥] ن: وفورة.

[٦] ديوان الأخطل، ص ٣٤١، ولفظه فيه:
جزى الله فِيها الأعورَين مَلامةً
وعَبْدةَ ثَفْرَ الثَّورة المُتَضاجِمِ

[٧] ن: البذل.

[٨] ف: لقولك.

[٩] ن: فقه. | قال الجوهري: «قولهم: كبُر فلان حتّى صار كأنّه قُفَّةٌ، قال الأصمعي: هي الشجرة اليابسة البالية، والقُفَّةُ: القَرعة اليابسة، وربّما اتُّخذ مِن خُوصٍ ونحوه كهيئتها تجعلُ فيه المرأة قُطنَها». الصحاح للجوهري، «قفف».

[١٠] ف: لقولك.

يُقال: ضَبَحتِ الإبلُ وضَبَعت: إذا مَدَّتْ أضبَاعَها في السَّيرِ، ولَيس بثَبتٍ. وجمعٌ: هُو المُزدَلفَةُ.

فإن قلتَ: عَلامَ عُطِفَ ﴿فَأَثَرْنَ﴾؟

قلتُ: على الفِعْل الَّذي وُضِع اسْمُ الفاعِل مَوْضِعَه؛ لأنَّ المعنى: واللَّاتِي عَدوْنَ فأوْرَيْنَ فأغرْنَ فأَثَرنَ.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾

"الكَنُود": الكَفُورُ، وكَنَد النِّعْمةَ كُنودًا، ومِنْهُ سُمِّي "كِندَةُ" لِأنَّه كَنَدَ أَباه ففَارَقهُ.

وعن الكلبيِّ: الكَنُود بلسانِ كِنْدَةَ: العَاصِي، وبلسانِ بَنِي مالكٍ: البَخيلُ، وبِلِسان مُضَرَ ورَبيعةَ: الكَفُورُ.

يَعْني: أنَّه لِنِعْمة رَبِّه خُصُوصًا لشَديدُ الكُفرَانِ؛ لأنَّ تَفرِيطَهُ في شُكْرِ نعْمةِ غيرِ اللهِ تفْرِيطٌ قرِيبٌ؛ لمُقَاربةِ النِّعْمة؛ لِأنَّ أجَلَّ ما أُنعِمَ بِهِ على الإنسانِ من مِثْله نِعْمَةُ أبَوَيْه، ثُمَّ إنَّ عُظْماهَا في جنبِ أَدْنَى نِعمة الله قَليلةٌ ضَئِيلَةٌ.

و﴿إِنَّه﴾: وإنَّ الإنسانَ ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾: على كُنُودِهِ ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يشهَدُ على نفسه ولا يقْدِرُ أَن يَجْحدَهُ لِظُهورِ أمْرِه.

وقِيل: وإنَّ الله على كُنُودِه لشَاهدٌ، على سَبيلِ الوَعيدِ.

قوله: (وجمعٌ: هو المُزدلفة) مِن قوله: (فقد استُعير) إلى قوله: (هو المزدلفة) مبنيّ على صِحّة الرواية.

قوله: (خصوصًا) إشارة إلى أنّ تقديم ﴿لِرَبِّهِ﴾ يفيد الحصر، أي: حصر شدّة الكُفران في كُفران نعمة الربّ تعالى، وبيّن وجه ذلك بقوله: (لأنّ[1] تفريطه)... إلخ، وحاصله: أنّ نعمة الله تعالى لمّا كان أجلَّ النِعم كان التفريط في شكرها تفريطًا شديدًا.

---

[1] ن: لا.

"الخَيْرُ": المالُ؛ من قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة ٢/١٨٠]، والشَّدِيدُ: البَخِيلُ المُمْسكُ، يُقال: فلان شدِيدٌ ومُتَشدِّدٌ؛ قال طَرَفَةُ:

أَرى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرامَ ويَصْطَفِي   عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشدِّدِ

يعني: وإنَّه لأَجْلِ حُبِّ المالِ وأَنَّ إنفاقَهُ يَثْقُل عَليه لَبَخِيلٌ مُمسكٌ.

أو أراد بالشَّدِيد: القَويَّ، يعني: وإنَّه لحُبِّ المالِ وإيثَارِ الدُّنيا وطلَبِها قَوِيٌّ مُطِيقٌ، وهُو لحُبِّ عبادَةِ الله وشُكرِ نعمتِه ضعِيفٌ مُتَقاعِسٌ، تقولُ: هو شدِيدٌ لهذا الأمر، وقوِيٌّ له: إذا كان مُطِيقًا له ضَابِطًا.

أو أرَاد: وإنَّه لحُبِّ الخَيْراتِ غيْرُ هَشٍّ مُنبَسِطٍ ولكنَّه شدِيدٌ مُنقَبِضٌ.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

"بُعثِرَ": بُعِثَ. وقرئ: "بُحْثِر"، و: "بُحِثَ"، و: "بَحْثَر" و: "حصَّل" على بِنائِهما للفاعِل، و: "حَصَلَ" بالتَّخْفيف.

ومَعنى ﴿حُصِّلَ﴾: جُمِع في الصُّحُفِ؛ أي: أُظْهِر مُحَصَّلًا مَجمُوعًا، وقيل: مُيِّزَ بَيْنَ خَيْره وشَرِّه، ومِنه قيل للمُنخُلِ: المِحصَلُ.

قوله:

(أرَى المـوتَ يَعتـامُ الكِـرامَ)... البيـتَ[١]

"يعتـامُ" أي: يختـار، والاعتيـام: الاختيـار، وعَقيلـةُ كلّ شـيء أكرمُـه، والفاحـش: البخيـل، قـال تعالـى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة ٢/٢٦٨]. ومعنى البيت: أرى الموتَ يختار كرامَ الناس وكرائمَ الأموال التي يُضَـنُّ بهـا.

قوله: (متقاعِسٌ) أي: متأخِّرٌ.

---

[١] ديوان طرفة بن العبد، ص ٤٩.

ومَعنى علْمِه بهم يَوم القيامةِ: مُجَازَاتُه لَهُم على مَقادِير أعمالهم لأنَّ ذلك أَثرُ خُبْرِه بهم.

وقرأ أبُو السَّمالِ: "أنَّ ربَّهم بهم يومئذٍ خبيرٌ".

عن رسُول الله عليه السلام: «مَن قرأَ سُورةَ والعادياتِ أُعْطِي من الأَجْر عشْرَ حَسناتٍ بعَدَدِ مَن باتَ بالمُزدلِفةِ وشَهِدَ جَمْعًا».

قوله: (ومعنى علمه بهم يوم القيامة) إشارة إلى أنّ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ﴾ هو العامل في ﴿إِذَا﴾، ومفعولاه[1] محذوفان، أي: أفلا يعلمهم عاملين ما[2] عملوا إذا بُعثر؟ أي: أفلا يجازيهم إذا بُعثِر؟ أو نقول: أجرى العِلم[3] مُجرَى الفعل اللازم، أي: أفلا يكون له العِلم في هذا الحال؟ أي: أفلا يجازيهم في هذا الحال؟ يعني: يجازيهم، ثمّ حقّق ذلك بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾. وقوله: **(لأنّ ذلك أثرُ خُبْره)** يعني: أنّ علمَه تعالى سببُ المجازاة، فأُطلِق السبَب وهو العِلم، / وأريد المُسبَّبُ وهو المُجازاة، يقال: مِن أين خَبِرْتَ هذا الأمر؟ أي: مِن أين علِمْتَ؟ والاسم: الخُبْرُ بالضمّ، وهو العِلم بالشيء، والخبير: العالِم، وقولهم: لَأَخبُرَنَّك، أي: لَأعْلَمَنَّ عِلمَك، تقول منه: خَبَرْتُه أَخْبُرُه خُبْرًا بالضمّ، وخِبْرةً بالكسر، إذا بلوتَه واختَبرتَه، يقال: صدَّق الخَبَرَ الخُبْرُ.[4] [٤٦٧و]

تمَّت السورة بحمد الله تعالى ومنِّه وكرمه.[5]

---

[1] ن: أو مفعولاه.

[2] ن: مما.

[3] ن: القلم.

[4] ن – الخبرُ.

[5] ف: تمّت بحمد الله تعالى؛ ن – تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.

سورة القارعة

مكيةٌ، وهي ثمان آيات أو عشر آيات أو إحدى عشرة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾

الظَّرْفُ نصْبٌ بمُضمَرٍ دَلَّتْ عليه القارعةُ؛ أي: تَقرَعُ ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ شَبَّهَهُم بالفَراشِ في الكَثْرة والانْتشارِ، والضَّعْفِ والذِّلَّةِ، والتَّطايُرِ إلى الدَّاعي من كُلِّ جانبٍ كما يَتَطايَرُ الفَراشُ إلى النَّار، قال جَرِيرٌ:

إنَّ الفَرَزْدَقَ ما عَلِمْتُ وقومَهُ مِثْلُ الفَراشِ غَشِينَ نارَ المُصْطَلِي

وفي أَمثالِهِمْ: "أَضعَفُ مِن فَرَاشةٍ" و"أَذَلُّ" و"أَجْهَلُ"، ....

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (إلى الداعي) يعني: الملَكَ الذي يدعوهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر ٥٤/٦].

قوله:

(إنّ الفَــــــــرَزْدَقَ)... البيـــــــتَ[٢]

"الفَراش": طائر ضعيف معروف يتطاير حول النار. قوله: "غَشِين"، أي: حَضَرْنَ.

---

١ ف ن - وبه نستعين.

٢ ديوان جرير، ٩٤٣/٢، بلفظ:

أزرى بحِلمِكمُ الفِياشُ، فأنتمُ
مثلُ الفَراش غَشِين نارَ المُصْطَلِي

وسُمِّي فَراشًا لِتَفرُّشِهِ وانتشارِه.

وشَبَّه الجِبالَ بالعِهْنِ وهو الصُّوف المُصَبَّغُ أَلْوانًا؛ لأنَّها أَلْوانٌ، وبالمَنْفُوشِ منه لِتفرُّقِ أجزائها.

وقرأ ابن مسعود: "كالصُّوف".

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

"الموازِينُ": جَمْعُ مَوْزُونٍ، وهُو العَملُ الَّذِي لَه وزْنٌ وخَطَرٌ عندَ الله، أو جَمْعُ مِيزانٍ، وثِقْلُها: رُجحَانُها، ومنه حديث أبي بكرٍ رضي الله عنه لعُمَر في وصيَّتِه له: "وإنما ثَقُلَتْ مَوازِينُ مَن ثَقُلَتْ مَوازِينُهم يومَ القيامة باتِّباعهم الحقَّ وثِقَلِها في الدُّنيا، وحُقَّ لِميزانٍ لا تُوضَعُ فيه إلَّا الحَسناتُ أَنْ يَثقُلَ، وإنَّما خَفَّتْ موازين مَن خَفَّتْ مَوازِينُه باتِّباعِهم الباطلَ وخِفَّتِها في الدُّنيا، وحُقَّ لِميزانٍ لا تُوضَعُ فيه إلَّا السَّيِّئاتُ أَنْ يَخِفَّ".

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ مِن قولهم إذا دَعَوا على الرَّجُل بالهَلَكِة: "هَوَتْ أُمُّه" لأنَّه إذا هَوى

"ما" في "ما علمتُ" مصدريّة، والمدّة[1] معه مقدّر، أي: إنّ الفَرزدَق وقومَه دوامَ عِلمي[2] بهم ضُعفاءُ أذِلّاء جُهلاء أمثال الفَراش في الضَّعْف والذِلّة.

قوله: (وثِقْلِها في الدنيا) الضمير يعود إلى "اتّباع الحقّ"، وإنّما أنّثها[3] لأنّ المراد به الأعمال الصالحة والحسنات، وكذا أنّث الضمير في "خِفّتها"؛ لأنّه عائد إلى "اتّباع الباطل" بتأويل السيّئات والأعمال الطالحة، ومعنى "ثِقْلِها" أنّها ثقيلة صعبةٌ مشكلةٌ على النفس.

قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ يعني: والدتُه ساقطةٌ.

قوله: (لأنّه إذا هوَى)... إلخ، فيكون كِناية.

---

[1] ن: والمد.
[2] ن: على.
[3] ن: انتهى.

-أي: سَقَطَ وهَلَك- فقَدْ هوَتْ أُمُّه ثُكْلًا وحُزْنًا، قال:

هَـوَتْ أُمُّـهُ مَا يَبعَثُ الصُّبْحَ غاديًا ومَـاذَا يَـرُدُّ اللَّيْـلُ حيـنَ يَـؤوبُ

فكأنَّه قيل: وأمَّا مَن خَفَّتْ مَوازينُه فقَدْ هلَك.

وقيل: هَاوِيَةُ من أَسْماء النَّارِ، وكأنَّها النَّارُ العميقَةُ لِهُوِيِّ أَهْل النَّار فيها مَهْوَى بعيدًا كما رُوي: يَهْوِي فيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا؛ أي: فمَأوَاهُ النَّارُ.

وقيل للمَأْوَى: أمٌّ على التَّشبيهِ؛ لأنَّ الأُمَّ مأوى الوَلَدِ ومَفْزَعُه.

وعن قتادةَ: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾: فأمُّ رأسهِ هَاوِيةٌ في قعْرِ جهنَّم لأنَّه يُطْرحُ فيها مَنكُوسًا.

﴿هِيَه﴾ ضميرُ الدَّاهيَةِ الَّتي دلَّ علَيها قولُه: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ في التَّفسير الأوَّل، أو ضمِيرُ ﴿هَاوِيَةٌ﴾، والهَاءُ للسَّكْتِ وإذا وَصَلَ القَارئُ حَذَفَها.

قوله:

(هَـوَتْ أمُّـه[1] ما يَـبـعَـثُ)... البيتَ[2]

"ما يبعث" مِن البَعث مِن النوم. و"الغادي": الذي يغدو[3] ويئوب، أي: يرجع. قيل: "هوَت أمُّه" دعاءٌ لا يراد به الوقوع، وإنَّما يقال عند التعجّب والمدح، ومعنى "ما يبعث الصبح": إمعانُه في وصفه بالجَلَد حين يُصبح، أي: ما يبعث الصبحُ منه، وكذلك: ماذا يؤدِّي الليل منه حين يمسي،[4] فحذف "منه"، والاستفهام في "ماذا"[5] لمعنى التعجّب، وقوله: "غاديًا" حال مِن ذلك المحذوف.

قوله: (سبعين خريفًا) أي: سبعين سنةً، عبَّر عن السَّنة بالخريف لأنَّه آخر السَّنة؛ لأنّ الثمار والزروع تتِمُّ في هذا الوقت عن كلِّه.

قوله: (فأمُّ[6] رأسه هاويةٌ) أي: ساقطة.

قوله: (أو ضميرُ ﴿هَاوِيَةٌ﴾) في التفسير الثاني.

---

[1] ن + استفهام.
[2] الأصمعيّات، ص ٩٥، من شعر كعب بن سعد الغنوي.
[3] ن: يغدوا.
[4] ن: يمشي.
[5] ن: فاذا.
[6] ن: قام.

وقيل: حَقُّه أَنْ لا يُدْرِجَ لئلًّا يُسقِطَها الإِدْراجُ؛ لأَنَّها ثابتةٌ في المُصْحَفِ، وقد أُجِيزَ إِثْبَاتُها مَع الوَصْل.

عن رسُول الله عليه السَّلام: «مَن قرأَ سُورة القارِعة ثَقَّلَ اللهُ بها مِيزَانَهُ يومَ القيامة».

قوله: (وقد أُجيزَ إثباتها) ليبقَى[1] الهاء، وذلك لإجرائه مُجرى الوقف.

تمّت السورة بحمد الله ومَنّه.[2]

---

[1] ن: لتبقى.

[2] ف - السورة بحمد الله ومنه؛ ن - تمّت السورة بحمد الله ومنه.

سورة التكاثر

مكيّة، وهي ثماني آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

"أَلْهَاهُ عَن كذا وأَقْهاهُ": إذا شَغَلَهُ.

و"التَّكاثُر": التَّبَاري في الكثرة والتَّباهِي بها، وأَنْ يقُولَ هَؤلاء: نحنُ أكثَرُ، وهَؤلاء: نَحْنُ أكثَرُ.

ورُوِي أَنَّ بَنِي عَبْد مَنافٍ وبنِي سَهْمٍ تَفاخَرُوا أَيُّهُم أكثَرُ عَددًا، فكثَرهُم بنُو عَبْدِ مَنافٍ، فقَالَتْ بَنُو سَهْمٍ: إنَّ البَغْيَ أَهْلَكنا في الجَاهِلِيَّةِ فعَادُّونَا بِالأَحيَاء والأَمْواتِ، فكثَرَتْهُم بنُو سَهْمٍ.

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (فكثَرَهم) أي: غلبوهم بالكَثرة، مِن قولهم: كاثَرْتُه فكثَرْتُه.

قوله: (أيُّهم) متعلِّق بمحذوف، أي: ليَعلَموا -أو ليُعلِموا الناس- أيُّهم أكثر، فلا بدّ مِن تقدير فعل العِلم[2] ليكون معلَّقًا عن العمل في "أيُّهم".

قوله: (فكثَرَتْهم) هذه فاء فصيحة، أي: فعادُّوهم فكثَرَتْهم.

---

[1] ف ن - وبه نستعين.

[2] ن: فعلم.

والمَعنى: إنَّكُم تَكَاثَرتُم بالأَحْيَاءِ حَتَّى إذا استَوْعَبتُم عَدَدَهُم صِرتُم إلى المَقابِرِ فتَكاثرتُم بالأَموات، عُبِّرَ عن بُلُوغِهِم ذِكْر المَوْتَى بزيارةِ المقَابرِ تهَكُّمًا بهم.

وقيل: كانوا يزُورُونَ المقابرَ فيَقُولُونَ: هذا قَبْرُ فلانٍ وهذا قَبْرُ فُلانٍ، عِند تَفاخُرِهِمْ.

والمَعْنى: أَلْهَاكُم ذلك وهوَ ممَّا لا يَعْنِيكُم ولا يُجْدِي عَلَيْكم في دُنيَاكم وآخِرَتكُم عمَّا يَعْنيكُم من أَمْرِ الدِّينِ الَّذِي هُو أَهَمُّ وأَعْنَى مِن كُلِّ مُهِمٍّ.

أو أرَادَ: أَلْهَاكُم التَّكاثُر بالأَموالِ والأَوْلادِ إلى أَنْ مُتُّمْ وقُبِرْتُم مُنفِقينَ أَعمَاركم في طَلَب الدُّنيا والاستِبَاقِ إِلَيْها والتَّهالك علَيها إلى أَنْ أَتَاكُم المَوْتُ -لا هَمَّ لكُم غيرُهَا- عَمَّا هُوَ أَوْلَى بكُم من السَّعْي لعَاقِبَتِكُمْ والعَمَلِ لآخِرتكُم.

[٤٦٧ظ] قوله: (تكاثَرتم) التكاثر: تكلُّف الكَثرة مالًا وعددًا، / وأيضًا: التفاخُر بالكَثرة، وأيضًا: الكَثرة.[١]

قوله: (صِرتُم) مِن حيث المعنى، أي: انتقلتم إلى ذِكْر الأموات.

قوله: (ممّا لا يَعنِيكم) «مِن حُسْن إسلام المرء تركُه ما لا يَعنيه»،[٢] أي: لا يهمُّه.

قوله: (أو أراد)[٣] عطفٌ على قوله: (رُوي)... إلخ، كما أنّ قوله: (وقيل) عطف عليه، والحاصل ثلاثة أوجه: فعلى الأوّل: المراد بالزيارة الانتقال إلى ذكر الأموات مفتَخرًا،[٤] وعلى الثاني: حقيقة الزيارة، وعلى الثالث: الموت.

قوله: (منفقين)[٥] حال مِن (أَلْهاكُم)، وقوله: (إلى أن أتاكم) متعلِّق بقوله: "منفقين"، وحاصل المعنى: أنّه ألْهاكم التكاثر إلى وقت الموت، وهذا الإلهاء في حال إنفاقكم الأعمارَ في طلب الدنيا إلى وقت الموت،[٦] وقوله: (لا هَمَّ) يجوز أن يكون جملة مبيّنة لقوله: "ألْهاكم"، ويجوز أن يكون حالًا مِن قوله: "أتاكم".

قوله: (مِن السعي) بيان.

---

[١] ن – وأيضًا الكثرة.
[٢] عن أبي هريرة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. سنن الترمذي، ١٣٦/٤ (٢٣١٧)؛ سنن ابن ماجه، ١١٨/٥ (٣٩٧٦).
[٣] ن – أو أراد.
[٤] ن: منتجرًا.
[٥] ن: متفقين.
[٦] ن – وهذا الإلهاء في حال إنفاقكم الأعمارَ في طلب الدنيا إلى وقت الموت.

وزِيَارَةُ القَبْر: عبَارةٌ عن المَوْتِ؛ قال:

لـن يُـخـلِـصَ الـعـامَ خليـلٌ عَـشْـرَا ذَاقَ الـضِّـمَـاد أو يَـــزُورَ الـقَـبْـرَا

قال جرير [يهجو] الأخطل [بعد موته]:

زارَ القُبـــورَ أبـــو مالـــكٍ فأصبَـــحَ أَلْأَمَ زُاوِّرِهـــا

قوله:

(لـــن يُـخـلِـصَ الـــعـــامَ)... الـبـيـتَ

أوّله:

إنّـــي رأيـــتُ الـضَـمْـدَ شيـئًـا نُـكْـرًا[1]

"الضَمْد": أن يكون للمرأة خليل، و"النُكْرُ": المنكر.[2]

قوله: "خليل"، أي: زوج. و"عَشْرًا": أي: عشر ليال، ويُروى: "عِشْرًا" بكسر العين، أي: معاشرة. و"ذاتَ الضِماد":[3] أي: صاحبةَ الضِماد. والمعنى: لن[4] يُخْلِص قطُّ زوجٌ معاشرةَ امرأةٍ ذاتِ[5] الضِماد إلى أن يزور القبر، أي:[6] إلى أن يموت، والأصحُ في قوله: "عِشْرًا" كسر العين، فهي بمعنى العِشْرة، فإنَّ المعاشرة هي المخالطة، وكذلك التعاشُر، والاسم العِشرة، ضَمْدُ المرأة: جمعها واتخاذُها[7] خَليلين، قال أبو ذُؤَيب:[8]

تـريـدِيـنَ كَـيـما تَـضْـمِـدِيـني وخـالـدًا وهل يُجمَعُ السَّيفان[9] ويحكِ في غِمدِي[10]

والضَمْدُ: المُداجاة. قوله: "ذاتَ الضَمْد"[11] مفعول "يُخلِص".

---

[1] ذكره ابن منظور في لسان العرب، «ضمد»، ونسبه إلى مُدرك بن حصن، بلفظ:
لا يُـخْـلِـصُ الـدهـرَ خليـلٌ عـشـرا
ذاتَ الـضِـمـاد أو يـزور الـقـبـرا
إنّـي رَأيـتُ الـضَـمْـدَ شيـئًـا نُكْـرا

[2] ن: والمنكر.

[3] في مطبوع الكشّاف: "ذاقَ الضماد".

[4] ن: أن.

[5] ن: ذاتِ.

[6] ن – أي.

[7] ن – وكذلك التعاشُر، والاسم العِشرة، ضَمْدُ المرأة: جمعها واتخاذُها.

[8] ف + شعر.

[9] ن: السفيان.

[10] ديوان أبي ذؤيب الهذلي، ص ٤٦، بلفظ: "تريدين كيما تَجمَعيني"...

[11] كذا في الأصول المخطوطة، وهي في البيت: "ذات الضِماد".

وقرأ ابن عبَّاسٍ: "أَأَلْهَاكُم" على الاستِفهام الَّذي مَعْناه التَّقْريرُ.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ وتَنبِيهٌ على أنَّه لا يَنبَغي للنَّاظِر لنَفسِه أن تكون الدُّنيا جَميعَ هَمِّه ولا يَهتَمَّ بدِينِه.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إنذَارٌ ليَخَافُوا فيتنبَّهُوا عَن غَفْلَتِهِمْ.

والتكريرُ: تأكيدٌ للرَّدْعِ والإنْذارِ علَيْهِم، و﴿ثُمَّ﴾ دلَالةٌ على أنَّ الإنْذارَ الثانيَ أَبْلَغُ مِن الأوَّلِ وأَشدُّ؛ كما تقُولُ للمَنْصُوح: "أَقُولُ لك ثم أَقُول لك: لا تَفْعَل" والمعنى: سَوْفَ تعلمُونَ الخطأَ فيمَا أَنْتُم عَليه إذا عَاينتُم ما قُدَّامَكُم من هَوْلِ لِقاءِ الله، وأَنَّ هذا التَّنْبيهَ نصِيحَةٌ لكم ورَحْمةٌ عَلَيْكم.

ثمَّ كرَّر التَّنبيهَ أَيْضًا وقال: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ محْذُوفُ الجوابِ يَعْنِي: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ ما بَيْن أَيْدِيكُم ﴿عِلْمَ﴾ الأَمْرِ ﴿ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي: كعِلْمِكُم ما تَسْتَيقِنُونَهُ من الأُمُورِ الَّتي وَكَّلْتُم بعِلْمِهَا هِمَمَكُم: لفعَلْتُم ما لا يُوصَفُ ولا يُكتَنَهُ ولكنَّكم ضُلَّالٌ جَهَلَةٌ، ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ فبَيَّنَ لَهُم ما أَنْذَرَهُم مِنه وأَوْعَدَهم بهِ، وقد مَرَّ ما في إيضاحِ الشَّيءِ بعد إبْهامهِ مِن تَفْخِيمهِ وتَعْظِيمهِ، وهو جَوابُ قَسَمٍ محذُوفٍ، والقسمُ لِتَوكِيدِ الوعيدِ وأَنَّ ما أُوعِدُوا بهِ ما لا مَدخَلَ فيه لِلرَّيْبِ، وكرَّرَهُ مَعْطُوفًا بـ﴿ثُمَّ﴾ تَغليظًا في التَّهديدِ وزيَادةً في التَّهْويلِ.

وقرئ: "لترؤن" بالهَمْز وهي مُسْتَكرَهةٌ.

فإن قلتَ: لِم استُكرِهَتْ والوَاوُ المَضْمُومَةُ قَلْبُهَا هَمْزةٌ قيَاسٌ مُطَّردٌ؟

قوله: (يعني: لو تعلمون) أي: لو تعرفون،[١] فالمراد بالعِلم هنا هو عِلمُ الشيء في نفسه، لا عِلمُه على صِفة.

قوله: (وهي مُستَكْرَهة) أي: القراءة بالهمز.[٢]

قوله: (فإن قلت: لِمَ استُكرِهَتْ؟) أي: القراءة بالهمز.[٣]

---

[١] ن: تحرفون.

[٢] قراءة الهمز شاذّة منسوبة إلى الحسن البصري وأبي عمرو. انظر: المُحتسب لابن جنّي، ٣٧١/٢.

[٣] ن - قوله: (فإن قلتَ: لمَ استكرهتْ) أي: القراءة بالهمز.

قلتُ: ذاك في الوَاوِ التي ضَمَّتُهَا لازِمَةٌ، وهذِه عارِضَةٌ لالْتِقاء السَّاكنيْنِ.

وقرئ: "لتُرَونَّ" و"لتُرَونها" على البناءِ للمَفعُول.

﴿عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي: الرُّؤيَةَ التي هيَ نفسُ اليَقِينِ وخَالِصَتُه، ويجوز أن يُراد بالرُّؤيـة: العِلْـمُ والإِبْصَارُ.

﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: عن اللَّهوِ والتَّنَعُّمِ الَّذي شَغَلكُم الالْتِذَاذُ بِهِ عن الدِّينِ وتكاليفِه.

فإن قلتَ: ما النَّعيمُ الَّذِي يُسْأَلُ عنه الإنسانُ ويُعاتَبُ عليه، فمَا مِن أَحَدٍ إلَّا وَلهُ نعيمٌ؟

قلتُ: هُو نعيمُ مَن عَكَفَ همَّتَهُ على استِيفاءِ اللَّذَّاتِ ولم يَعِشْ إلَّا ليَأكُلَ الطَّيِّبَ ويَلْبَسَ اللَّيِّنَ ويَقْطَع أَوقَاتَهُ باللَّهْو والطَّرَبِ، لا يعبَأ بالعِلْم والعَملِ، ولا يُحَمِّلُ نفسَهُ مَشَاقَّهُما، فأمَّا مَن تَمتَّع بنعمةِ اللهِ وأَرْزَاقهِ التي لم يَخْلُقْها إلَّا لِعبَادِهِ، وتقَوَّى بهَا على دِراسَةِ العِلْمِ والقِيَامِ بالعَملِ، وكان ناهِضًا بالشُّكْرِ- فهُو مِن ذاك بمَعْزِلٍ، وإلَيْه أشارَ رسُولُ الله فيما يُرْوَى: أنَّه أكَلَ هُو وأَصْحابُه تَمْرًا وشَرِبُوا عَليه ماءً فقال: «الحمْدُ لله الَّذي أَطْعَمنَا وسَقَانَا وجَعَلنا مُسْلِمينَ».

عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأَ أَلْهَاكُم التَّكَاثُر لم يُحاسِبْهُ اللهُ بالنَّعيمِ الَّذي أَنْعم بهِ عَليه في دار الدُّنيا وأُعْطِي من الأَجْرِ كأنَّما قَرأَ أَلْفَ آيَةٍ».

قوله: (أي: الرؤية) يريد: أنّ ﴿عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ نُصِب على المصدر، والعين هنا بمعنى: نفس الشيء وذاته، كقولك: زيد نفسه وعينه.

قوله: (ويجوز أن يُراد بالرؤية: العِلم والإبصار) الصواب: أنّ "الرؤية" هنا بمعنى: الإبصار، لا العِلم.

قوله: (مشاقَّهُما) أي: مشاقّ العلم والعمل، وفي بعض النسخ: "مشاقَّها" أي: مَشاقّ النفس، أعني: المَشاقّ التي يجب على النفس تحمُّلُها.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[١]

---

١ ف ن – السورة بحمد الله تعالى.

سورة العصر

مكيةٌ، هذا هو المشهورُ، وقيل: مدنيةٌ. وهي ثلاثُ آياتٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

أَقْسَم الله سبحانه بصَلاة العَصْر لفَضْلها، بدليلِ قَوله تعالى: "والصلاة الوسطى صَلاة العَصْرِ" في مُصْحَفِ حَفْصَةَ.

وقولِهِ عليه السلام: «مَن فاتتْهُ العَصْر فكَأنَّما وُتِرَ أَهْلَه ومَالَه».

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (في مصحفِ حفصةَ) متعلِّق بمحذوف، يعني: هذه اللفظة في مصحف حفصةَ.

قوله: («فكأنّما وُتِرَ»)[2] قال الخَطّابيُّ: «"وُتِرَ"، أي: نُقِص وسُلِبَ فبقي وِترًا فردًا بلا أهلٍ ومالٍ،[3] يريد: فليكن حذَرُه مِن فَوتِها[4] كحذَرِه[5] مِن ذهاب أهله وماله».[6] وقيل: "الوِتر"[7] أصله الجناية يجنيها الرجل على آخر مِن أخذِ مالٍ[8]

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] الحديث في صحيح البخاري، ١/١١٥ (٥٥٢)؛ وصحيح مسلم، ١/٤٣٦ (٦٢٦).

[3] ن: ما.

[4] ن: قوتها.

[5] ف: لحذره.

[6] معالم السنن للخطّابي، ١/١٣١.

[7] ن: الوثر.

[8] ن: قال.

ولأنَّ التَّكْلِيفَ في أَدائهَا أشقُّ؛ لتهَافُتِ النَّاسِ في تجارَاتهِمْ ومَكاسِبهِمْ آخِرَ النَّهارِ واشتِغَالِهِم بمعَايشِهِمْ.

أو: أَقسَم بالعَشيِّ كما أقْسَم بالضُّحَى؛ لِمَا فيهما جميعًا من دلائلِ القُدْرَة.

أو: أقسَم بالزَّمانِ؛ لمَا في مُرورهِ من أَصْنافِ العَجائب.

و"الإنسانُ": للجِنْس، و"الخسْرُ": الخُسرَانُ؛ كما قيل: "الكُفْرُ" في الكُفْرانِ.

والمعنى: إنَّ النَّاسَ في خُسْرانٍ من تجَارَتهِم إلَّا الصَّالِحينَ وَحْدَهُم؛ لأَنَّهُم اشتَروا الآخِرةَ بالدُّنيَا فرَبِحُوا وسُعِدُوا، ومَن عَداهُم تَجَرُوا خِلافَ تجارَتهم فوَقعُوا في الخَسارةِ والشَّقاوَةِ.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: بالأَمْرِ الثَّابتِ الَّذي لا يَسُوغُ إنْكارُه وهُو الخيرُ كُلُّه: من توْحيدِ اللهِ، وطَاعتِهِ، واتِّباع كتُبِه ورُسُلِه، والزُّهْد في الدُّنيا، والرَّغبَة في الآخِرة.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ عن المَعاصي وعلى الطَّاعَاتِ، وعلى ما يَبْلُو اللهُ بِهِ عبادَه.

[٤٦٨و] / أو قتلِ حَميمٍ، فشُبِّه ما يلحق هذا الذي يفوتُه العصر بما يلحق المَوْتُورَ مِن قتلِ حَميمِه وأخذِ مالِه.

قوله: (لتَهافُت) التَّهافُت: التساقط قطعةً قطعةً، وتهافَتَ الفَراش في النار: تساقطَ.

قوله: (أو[١] أقسم بالزمان) العصر:[٢] الدهر، والعصران: الليل والنهار، والعصران: الغَداة[٣] والعَشيّ، ومنه: سُمِّي الصلاة العصر، قال -شعر-:[٤]

وأمطُلُهُ العَصرَينِ حتّى يَمَلَّني ويرضَى بنصفِ الدَين والأنفُ[٥] راغمُ[٦]

يقول: إذا جاء الغَريمُ أوّل النهار وعدتُه آخرَه، وإذا جاءني آخر النهار وعَدْتُه غداةَ اليومِ الثاني حتّى يَمَلّ ويرضَى بنِصف الدَّين راغِمًا.

---

١ ن: أوا.
٢ ن: الصر.
٣ ن: الغدات.
٤ ف ن - شعر.
٥ ن: الأنف.
٦ الصحاح للجوهري، «عصر»، بغير نسبة.

عن رسول الله عليه السلام: «مَن قرأ سُورَة والعَصْر غفرَ اللهُ لهُ، وكَان مِمَّن تواصَى بالحقِّ وتَواصَى بالصَّبْر».

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[1]

---

١ ف – السورة بحمد الله تعالى؛ ن – بحمد الله تعالى.

سورة الهُمَزة

مكيةٌ، وهي تسعُ آياتٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣﴾

"الهَمْزُ": الكَسْرُ كالهَزْمِ، و"اللَّمْزُ": الطَّعْنُ، يُقال: لَمزهُ ولَهَزهُ: طَعنهُ.

والمُرادُ: الكَسْرُ مِن أَعْراضِ النَّاسِ، والغَضُّ مِنْهم، واغتِيابهُمْ، والطَّعنُ فيهم.

وبِنَاءُ فُعَلَة يدُلُّ على أَنَّ ذلك عادَةٌ منه قَدْ ضَرِيَ بهَا، ونحوُهما: اللُّعَنَةُ والضُّحَكَةُ، قال:

وإنْ أُغَيَّبْ فأَنْتَ الهَامِزُ اللُّمزَة

وقرئ: "وَيْلٌ لِلهُمَزَة اللُّمَزة".

وقرئ: "وَيْلٌ لكُلِّ هُمْزَةٍ لُمْزَةٍ" بسُكُون الميم: وهُو المَسْخَرةُ الَّذي يَأتِي

سورة الهُمَزة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله:

(وإن أُغَيَّبْ فأنتَ الهامِزُ اللُّمَزَة)

أوّله:

إذا لَقِيتُك عن شَحْطٍ تكاشِرُني   وإن أُغيَّب... البيتَ

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

بالأَوَابِد والأَضاحيكِ فيُضحَكُ مِنْه ويُشتَمُ.

وقيل: نَزلت في الأَخْنَس بن شَرِيقٍ، وكانَتْ عَادتُه الغِيبَةَ والوَقِيعَةَ.

وقيل: في أُميَّة بن خلَف.

وقيل: في الوَليد بنِ المُغيرةِ واغتِيابهِ لرسُول الله وغَضِّه مِنهُ.

ويجوز أَن يكُونَ السَّببُ خَاصًّا والوَعيدُ عامًّا؛ ليتَناوَلَ كلَّ مَن باشرَ ذلك القبيحَ، وليكُونَ جاريًا مَجْرَى التَّعْريضِ بالوَارِد فيه، فإِنَّ ذلك أَزْجَرُ لهُ وأَنْكَى فِيه.

﴿ٱلَّذِى﴾ بدَلٌ من "كلِّ"، أو نَصْبٌ على الذَّمّ.

وقرئ: ﴿جمَّع﴾ بالتَّشديد وهُوَ مُطابِقٌ لـ﴿عَدَّدَهُ﴾، وقيل: عَدَّدَهُ جعَله عُدَّةً لحَوادِث الدَّهْرِ.

ويُروَى:

وإن تَغيَّبْتُ[١] كنتَ الهامِزَ اللُّمَزة[٢]

و"الشخطُ":[٣] البعد، و"الكَشْر": بدوُّ الأسنان، والمراد به: التبسُّم. يريد: أنّه يُظهر المَحبّة عند اللقاء نِفاقًا، وإذا غابَ أظهر العداوة ويغتابه ويطعَن فيه.

قوله: (بالأوابِد) الأوابِدُ: الأحاديث العجيبة.

قوله: (والوقيعة) أي: الغيبة.

قوله: (﴿ٱلَّذِى﴾ بدَل) ويجوز أن يكون محلُّ ﴿ٱلَّذِى﴾ جرًّا صفة "كلِّ"؛ لأنّه مَعرفة، كما ذكر المصنِّف في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق ٥٠/٢١]، فإنّه ذَكر هناك: أنّ محلّ ﴿مَعَهَا سَآئِقٞ﴾ النصبُ على الحالِ مِن ﴿كُلُّ﴾ لتعرُّفه بالإضافة إلى ما هو في حُكم المعرفة، وفيه نظرٌ؛ لأنّه وإن كان معرفة لِما ذكره فليس أخصَّ مِن "الذي" ولا مساويًا له في التعريف، والموصوف لا بدّ أن يكون أخصَّ مِن الصفة أو مساويًا.

---

١ ف: تغيَّبُ.

٢ كذا في جمهرة اللغة لابن دريد، «لمز» ٨٢٧/٢، والبيت لزياد الأعجم، وهو في ديوانه، ص ٧٨، بلفظ:

إذا لقيتك تُبدي لي مُكاشَرةً ... وإن أغِبْ فأنت الهامِزُ اللُّمَزَة

٣ ن: السخط.

وقرئ: "وعَدَدَه"؛ أي: جمَع المالَ وضَبَط عَدَدهُ وأَحْصَاه، أو: جَمع مالَه وقَوْمَه الَّذِين يَنْصُرونَه، مِن قَولك: "فلانٌ ذُو عددٍ وعُدَدٍ": إذا كان له عَدَدٌ وافِرٌ من الأَنصارِ وما يُصْلحهم.

وقيل: "وعَدَدُهُ" مَعْناه: وَعَدَّه، على فَكِّ الإدغامِ نحو: ضَنِنُوا.

"أَخْلَدَهُ وخَلَّدَه" بمعنًى؛ أي: طوَّل المالُ أَمَلَه ومَنَّاه الأمانيَّ البعيدةَ، حتى أصبحَ لفَرْطِ غَفْلتِه وطولِ أَملِهِ يَحْسَبُ أَنَّ المالَ تَركَهُ خالِدًا في الدُّنيا لا يَمُوتُ، أو يَعمَلُ من تشييدِ البُنْيانِ المُوَثَّقِ بالصَّخرِ والآجُرِّ وغَرسِ الأَشْجار وعمارةِ الأرض عمَلَ مَن يَظُنُّ أَنَّ مالَهُ أَبقاه حيًّا.

أو هُوَ تَعْريضٌ بالعَملِ الصَّالحِ، وأنَّه هُو الَّذِي أَخْلَد صَاحبَه في النَّعيم، فأمَّا المالُ فما أَخْلَدَ أحدًا فيه، ورُوي أنَّه كان للأَخْنَسِ أَرْبَعَةُ آلافِ دينارٍ، وقيل: عَشرةُ آلافٍ.

وعن الحَسن: أنَّه عادَ مُوسِرًا فقال: ....

قوله: (وقرئ: ﴿وَعَدَدَهُ﴾) فيكون ﴿وَعَدَدَهُ﴾ عطفًا على ﴿مَالًا﴾ على طريقة: "علَفْتُه تِبْنًا وماءً باردًا".

قوله: (وما يصلحهم) تفسير "العُدَدِ" بالضمِّ.

قوله: (نحو: ضَنِنُوا) أي: بَخِلوا، قال الشاعر:

مهلًا أَعـاذِلَ هل جرّبتِ مِن خُلقي إنِّـي أجـودُ لأقـوامٍ وإن ضَنِنـوا[1]

قوله: (للأخنَس)[2] أي: أخنَسُ بن شُرَيق، وهو الذي نزلت فيه الآية[3] كما مرَّ، فلذا ذكَرَه هنا، وهذا المعنى قريب مِن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ ٣٤/٣٧].

قوله: (عاد) مِن عِيادة المريض. وقوله: (وقال)[4] أي:[5] الموسِرُ.

---

١ مِن شعر قَعنب بن أمّ صاحب في ديوانه، ص ٥٠.
٢ ن: الأخنس.
٣ انظر: لباب النقول للسيوطي، ص ٢١٦.
٤ في مطبوع الكشّاف: "فقال".
٥ ن – أي.

ما تقولُ في أُلُوفٍ لم أَفتدِ بهَا مِن لَئيمٍ ولا تَفضَّلْتُ على كريمٍ؟ قال: ولكِنْ لِماذَا؟ قال: لِنَبْوَةِ الزَّمانِ وجَفْوةِ السُّلْطَانِ، ونوَائبِ الدَّهْرِ ومَخافةِ الفَقْرِ، قال: إِذَنْ تَدَعُهُ لِمَن لا يَحمدُكَ وتَرِدُ على مَن لا يَعْذِرُكَ.

﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ له عَن حِسْبَانه.

وقرئ: "لَيُنْبَذانِّ"؛ أي: هُوَ ومَالُهُ.

و: "لَيُنْبَذُنَّ" بضمِّ الذَّالِ؛ أي: هُوَ وأَنصارُه، و: "لَيَنْبِذَنَّه".

﴿فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾: في النَّارِ التي مِن شَأنها أَنْ تَحطِم كُلَّ ما يُلْقَى فيهَا، ويُقالُ للرَّجُلِ الأَكُولِ: إِنَّه لَحُطَمَةٌ.

وقرئ: "الحاطمَةِ" يَعْنِي: أَنَّها تَدْخُلُ في أَجْوَافِهم حَتَّى تَصِلَ إلى صُدُورِهم وتَطَّلعَ على أَفئِدَتهم وهيَ أَوْسَاطُ القلوب، ولا شَيء في بدَنِ الإنسانِ أَلْطَفُ من الفُؤادِ، ولا أَشَدُّ تألُّمًا مِنْه بأَدْنى أَذًى يَمَسُّهُ، فكيف إذا اطَّلَعَتْ عَليه نارُ جَهنَّم واستَولَتْ عليه؟

ويجوز أن يَخُصَّ الأَفئِدَةَ لِأَنَّها مَواطنُ الكُفْر والعَقائدِ الفَاسِدة والنِّيَّات الخَبيثةِ.

ومَعْنى اطِّلاع النَّارِ علَيْها: أَنَّها تَعْلُوهَا وتَغْلِبُها وتَشتَمِلُ عليهَا، ....

قوله: (لم أفتدِ) يريد: أنّ مَن يبذُل مالَه لليتيم فكأنّه يفتدي، أي: يعطي لنَفسِه الفِداء ليَسلم مِن أذاه،[1] وهذا القائل لم يفعل ذلك.

قوله: (و"لَيَنبِذَنَّه")[2] أي: لَيَنبِذَنَّه المالُ الذي ظنّ أنّه أخلَدَه ولم يعلم أنّه يَنبِذُه.

قوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ "الحُطَمة" موافِق للهُمَزة اللُّمَزة في أنّهما بناء "فُعَلَة".

---

١ ن: أداته.

٢ قراءة شاذّة مَنسوبة إلى أبي عَمرو البَصري. انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ١٠/٥٤١ (الهمزة، ٤/١٠٤).

أو تُطَالِعُ على سَبيلِ المَجازِ معَادِنَ مُوجِبِهَا.

﴿مُوصَدةٌ﴾: مُطْبَقَةٌ، قال:

تَـحِـنُّ إلَـى أَجْـبَـالِ مَـكَّـة نَـاقَـتِـي ومِـنْ دُونها أَبْـوابُ صَنعاءَ مُوصَدَة

وقرئ: ﴿فِى عُمُدٍ﴾ بضَمَّتين، و: "عُمْدٍ" بسكون الميم، و: ﴿عَمَدٍ﴾ بفتحَتينِ.

والمعنى: أَنَّه يُؤكِّدُ يَأسُهم من الخُروج وتَيَقُّنُهم بحَبْس الأَبد فتُوصَدُ عليهِم الأَبْوَابُ وتُمدَّدُ على الأَبْوابِ العُمُد استِيثَاقًا في استِيثاقٍ.

ويجوز أَن يكون المَعنى: أَنَّها عَلَيْهم مُؤْصَدَةٌ مُوثَقِينَ في عُمدٍ مُمدَّدةٍ مِثْلِ المقَاطرِ التي تُقَطَّرُ فيها اللُّصوصُ.

اللّهم أجِرْنا من النار يا خَيْرَ مُستجارٍ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأَ سُورة الهُمَزةِ أَعْطاه الله عَشْرَ حَسناتٍ بعدَدِ مَن استَهزأَ بمحمَّدٍ وأصحابِهِ».

قوله: / (موجِبها) موجِبُها: الكفر، ومعدِنُه القلب. [٤٦٨ظ]

قوله: (على الأبواب) وعلى هذا ﴿فِى عَمَدٍ﴾ حالٌ مِن الضمير في ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾، أعني: العائدَ إلى "الأبواب".

قوله: (موثَّقين) فيكون ﴿فِى عَمَدٍ﴾ حالًا مِن الضمير في ﴿عَلَيْهِم﴾.

قوله: (المَقاطِر) المِقْطرة: خشبة فيها خُروق تُدخَلُ[1] أرجُلُ المَحبوسين.[2]

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[3]

---

١ أي: تُدخَل فيها.

٢ ن: المجبوسين.

٣ ف ن - السورة بحمد الله تعالى.

سورة الفيل

مكيةٌ، وهي خمسُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

رُوي: أَنَّ أَبْرهَة بنَ الصَّباحِ الأَشْرَمَ مَلِكَ اليَمنِ مِن قِبَلِ أَصْحَمةَ النَّجاشِيِّ بَنى كَنِيسَةً بِصَنْعاء وسَمَّاهَا القُلَّيْس وأرَادَ أن يَصْرِف إلَيها الحاجَّ، فخرجَ رجُلٌ مِن كِنانةَ فقَعدَ فيهَا لَيْلًا، فأغضبَهُ ذلك -وقيل: أَجَّجَتْ رُفقَةٌ من العَرب نَارًا فحمَلتْهَا الرِّيحُ فأَحرَقَتْها- فحَلفَ لَيَهدِمَنَّ الكعْبَة، فخرَج بالحَبشةِ ومَعَهُ فيلٌ له

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (الأشرم) الشرْمُ: قَطعُ الأرنَبة[2] وثَفْرِ[3] الناقة، وسُمِّي أبرهةُ أشرمَ؛ لأنَّ أباه ضربه بحَربةٍ[4] فشَرَمَ أنفه وجَبينَه، أي: وقع بعضه على بعضٍ.

قوله: (فقعد) أي: قضى حاجته.

قوله: (أَجَّجَتْ) أي: أشعلتْ.

قوله: (بالحبَشة) الحَبَشُ والحبَشَةُ: جنس مِن السودان، والباء في بالحبَشة يجوز أن يكون للمصاحبة، وأن يكون للتَعدية، فقوله: (ومعه) قيل: حال مِن الضمير

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] الأَرْنَبَةُ: طرفُ الأَنْف. انظر: لسان العرب لابن منظور، «رنب».

[3] ف: وثَفْرِ. | وثَفْر الناقة: فرجُها، وأصله للسِباع. انظر: لسان العرب لابن منظور، «ثفر».

[4] ب: بحرية.

اسْمُه محمُودٌ -وكان قوِيًّا عظيمًا- واثنَا عَشَر فِيلًا غيْرَهُ، وقيل: ثمانيةٌ، وقيل: كان معَهُ أَلْفُ فيلٍ، وقيل: كانَ وَحْدَهُ.

فلَمَّا بلَغ المُغَمَّس خرَج إلَيْه عبدُ المُطَّلِب وعَرضَ عَلَيْه ثُلُثَ أَمْوالِ تِهَامَة ليَرْجِعَ فأبَى وعَبَّأَ جَيْشَهُ وقَدَّم الفيلَ، فكانُوا كُلَّما وَجَّهُوهُ إلى الحَرم برَكَ ولم يَبْرَحْ، وإذا وَجَّهُوه إلى اليَمن أو إلى غَيْرِه من الجهاتِ هَرْوَلَ.

فأرسَلَ اللهُ طَيرًا سُودًا -وقيل: خُضْرًا، وقيل: بِيضًا- معَ كُلِّ طَائرٍ حَجرٌ في مِنقارِه وحَجَرانِ في رِجْلَيْه أَكْبرُ منَ العَدسَةِ وأصغر مِنَ الحِمَّصةِ.

وعن ابن عبَّاسٍ أنَّه رأَى مِنها عندَ أُمِّ هانِئٍ نحوَ قَفيزٍ مُخَطَّطَةً بحُمرةٍ كالجَزْعِ الظَّفَارِيِّ.

في (خرج)، وإن كان للمصاحبة فكذا منه أو مِن الضمير في "بالحبَشة".

قوله: (وقيل: كان) أي:[1] الفيل. وقوله: (المُغَمَّس) موضع بين مكّةَ ومنًى.

قوله: (تِهامةَ) بلدٌ، قال الإمام التُورِبَشْتِيّ في شرح قوله عليه الصلاة والسلام: «الإيمان يَمانٍ، والحِكمة يَمانية»:[2] «قال أبو عُبيد: مكة مِن أرض تِهامةَ، وتِهامةُ مِن أرض اليمن، وبهذا سمِّيت مكّة وما وَلِيَها[3] مِن أرض الحجاز: تَهائمَ».[4]

قوله: (وعَبَّأ) أي: هيَّأ.[5]

قوله: (هَرْوَل) أي: أسرع.

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما)[6] من هنا إلى قوله: (الظَّفارِيّ) اعتراضٌ. وقوله: (منها) أي: مِن تلك الأحجار.

قوله: (الظَّفارِيّ) منسوب إلى ظَفَار وهي بلدة باليمن.

---

[1] ن – أي.

[2] صحيح البخاري، ١٧٣/٥ (٤٣٨٨)؛ صحيح مسلم، ٧١/١ (٥٢).

[3] ن: يليها.

[4] الميسر للتوربشتي، ١٣٥٦/٤.

[5] ف: هيًا.

[6] د – رضي الله عنهما. | ولم أجد مَن أسنَده إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما، وقال السيوطي: «أخرجه ابن مَرْدَوَيْه وأبو نُعيم عن أبي صالح». انظر: الدر المنثور للسيوطي، ٦٣٣/٨ (الفيل، ٣/١٠٥).

فكانَ الحَجرُ يقعُ على رأسِ الرَّجُلِ منهم فيَخرُجُ من دُبرِهِ، وعلى كلِّ حجرٍ اسْمُ مَن يَقعُ عَلَيه، فَفَرُّوا فهَلكُوا في كُلِّ طَرِيقٍ ومَنهَلٍ، ودَوِيَ أَبْرهَةُ فَتسَاقَطَتْ أَنَامِلُه وآرَابُه، وما ماتَ حَتَّى انصَدَعَ صَدْرُه عن قلْبِه، وانفَلتَ وزِيرُهُ أبُو يكسُومَ وَطَائرٌ يُحَلِّقُ فَوقَه، حَتَّى بلَغ النَّجاشِيَّ فقصَّ عليه القِصَّةَ، فلمَّا أَتمَّها وَقَع عليه الحجَرُ فخَرَّ مَيِّتًا بَيْنَ يَديْه.

وقيل: كان أبرَهَةُ جدَّ النَّجاشِيِّ الَّذِي كان في زمَنِ رسُول الله بأربَعين سنةً، وقيل: بثلاثٍ وعشْرينَ سنةً.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: رأيتُ قائد الفيلِ وسَائِسَهُ أَعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطعِمَانِ.

وَفيه: أَنَّ أَبْرَهَةَ أَخذَ لعَبْد المُطَّلِب مئَتي بَعيرٍ، فخرَج إليه فيهَا فجهَرَهُ -وكان رَجُلًا جَسِيمًا وسيمًا- وقيل: هذا سَيِّدُ قُرَيْشٍ وصاحِبُ عِيرِ مكَّةَ الَّذِي يُطعِم النَّاسَ في السَّهْلِ والوحُوشَ في رُؤوس الجبَال، فلمَّا ذكَر حَاجَتهُ قال: سقَطْتَ من عَيْنِي، جِئْتُ لأَهْدمَ البَيْتَ الَّذي هو دينُكَ ودينُ آبائِكَ وعِصْمَتُكُم،

قوله: (ودَوِيَ)[1] أي: مَرِض.

قوله: (يحلِّق) تحليق[2] الطائر: ارتفاعه في طَيرانه.

قوله: (بأربعين سنةً) أي: قبل مَبعث النبيّ عليه الصلاة والسلام.

قوله: (مُقْعَدَينِ) المُقعَدُ: الذي أقعده المرض.

قوله: (فخرج) أي: فخرج[3] عبد المطّلب إلى[4] أبرَهةَ في شأن إبلِهِ.

قوله: (فَجَهَرَه)[5] جهَرْتُ[6] الرجل وأجهرتُه؛[7] إذا رأيته عظيمَ المِرآة، وهو بالراء المهملة.

---

[1] ن: ودوى.

[2] ن: تخليق.

[3] ف: خرج.

[4] ف: إلي.

[5] ن: فجهزه.

[6] ن: جهزت.

[7] ن: وأجهزته.

وشَرَفُكُم في قَدِيم الدَّهْر فألْهَاكَ عنه ذَوْدٌ أُخِذَ لك! فقَال: أنَا رَبُّ الإِبل وللبَيْتِ رَبٌّ سَيَمْنَعُه، ثمَّ رجِعَ وأتَى بابَ البَيْتِ فأخَذ بحَلْقتِه وهو يَقُول:

لاهُــمَّ إنَّ الـمَـرْءَ يَـمْـ ـنعُ رَحْـلَـهُ فـامْـنَـع حِـلَالَـكْ
لا يَـغْـلِـبَـنَّ صَـلِـيـبُـهُـم ومـحَـالُـهُـم عَـدْوًا مـحَـالَـكْ
إن كُـنـتَ تـارِكَـهُـم وكَـعْـ ـبَتَـنا فـأَمْـرٌ مـا بَـدَا لـكْ
يـا رَبِّ لا أَرْجُـو لَـهُـم سِـوَاكَـا يـا ربِّ فـامْـنَـع مِـنـهُـم حِـمَـاكَـا

فالتفَتَ وهُو يَدعُو فإذا هُو بِطَيْرٍ مِن نَحو اليَمنِ، فقال: والله إنَّها لَطَيْرٌ غَرِيبةٌ ما هيَ ببَحريَّةٍ ولا بِهَامِيَّةٍ.

وفيه: أنَّ أَهْلَ مكَّة قدْ احتَوَوْا على أَموالِهم وجمَعَ عبدُ المطَّلِب مِن جَواهِرهم وذهَبِهم الجَوْرِ، وكان سبَبَ يَسارِه.

قوله: (ذَودٌ) الذَودُ مِن الإبل: ما بين الثلاث إلى العشرة، كأنّه ذكَر بلفظ الذوْدِ -وإن كان كثيرًا- تحقيرًا لتلك الإبل، وردْعًا لعبد المطلب عن طلبه في مثل هذه الحالة.

قوله: (حِلالَك)[١] الحِلال:[٢] جمع حِلّ،[٣] وهو الموضع الذي يَحُلُّ فيه الناس، و"المِحالُ": العقوبة.

قوله: (الجُوَر)[٤] غيثٌ جِوَرٌّ[٥] إذا كان غزيرًا كثير المطر، وقال قومٌ: هو "جُؤَرٌ"، كقولك: نُغَرٌ، وأنشدوا:

لا تَـسْـقِـهِ صَـيِّـبَ عَـزَّافٍ جُـؤَرْ[٦]

---

١ ن: جلالك.
٢ ن: الجلال.
٣ ن: جل.
٤ في مطبوع الكشّاف: "الجَوْر". وقال الطِّيبي: «"الجَوْر" بفتح الجيم وسكون الواو وبالراء، مِن نسخة قُوبلت بخطّ المصنّف؛ المال الكثير؛ سمّي بذلك لمجاوزته الحدَّ في الجمع. وروي بالحاء والزاي. الجوهري: "الحَوز: الجَمع، وكلُّ مَن ضمّ إلى نفسه شيئًا، فقد حازَه حَوزًا وحيازة، واحتازَه". وروي: "الجُؤَر". فتوح الغيب للطيبي، ١٦/٥٨١.
٥ ن: حوز.
٦ ذكر في الصحاح للجوهري، «عزف»، وقال: «أنشده الأصمعي»، وصدره فيه:
يـا ربِّ ربَّ المسلمينَ بالسُّور
ونقله عنه ابن منظور في لسان العرب، «عزف»، وعزاه إلى جَندل بن المثنّى.

وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ أنّه سُئل عن الطَّير فقال: حَمامُ مكّة منها.

وقيل: جَاءتْ عشيَّةً ثمَّ صَبَّحتْهُم.

وعن عكْرِمةَ: مَن أصَابتْهُ جَدَّرَتْهُ وهو أوَّلُ جُدَرِيٍّ ظَهَر.

قرئ: "ألَم تَرْ" بسُكونِ الرَّاء؛ للجدِّ في إظهار أثَر الجَازِم، والمَعنى: أنَّك رَأيْتَ آثارَ فِعل الله بالحَبشةِ، وسَمِعْتَ الأخبارَ بهِ مُتَواتِرةً، فقامَتْ لكَ مَقام المُشاهَدة.

و﴿كَيْفَ﴾ في مَوْضِع نَصْبٍ بـ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ لا بـ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لِمَا في ﴿كَيْفَ﴾ مِن مَعنى الاستفهام.

﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: في تَضييعٍ وإبْطالٍ، يُقال: ضَلَّلَ كيْدَهُ: إذا جعَلَه ضَالًّا ضَائعًا، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر ٢٥/٤٠].

وقيل: لامْرِئ القَيْسِ: المَلِكُ الضِّليلُ؛ لأنه ضَلَّلَ مُلْكَ أبيهِ؛ أي: ضَيَّعَهُ.

يَعْنِي: أنَّهم كادُوا البَيْتَ أوَّلًا ببِناء القُلَّيْسِ وأرَادُوا أن يَنسَخُوا أمْرَه بصَرْفِ

و"سحابٌ عَزّافٌ": سُمع منه عَزيفُ الرعد، وهو دَوِيُّه.[1] و"غيثٌ جُؤَرٌ" مثل: نُغَر؛ غزيرٌ كثير المطر.

قوله: (والمعنى)... إلخ، إشارة إلى جواب سؤال، وهو أن يقال: متى رأى النبيّ عليه الصلاة والسلام[2] ما فعل الله تعالى بأصحاب الفيل حتّى قيل له: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ﴾؟ فأجاب بوجهين: الأوّل: أنّه عليه الصلاة والسلام رأى[3] آثار ذلك، فكأنّه عليه الصلاة والسلام رآه، والثاني: أنّ ذلك قد تواتر فكان / بمنزلة [٤٦٩و]
الرؤية، وهذا الكلام يدلُّ[4] على أنّ[5] المصنّف جعل الرؤية مِن رؤية البصر، ولذلك قال: "قامَت مَقام المشاهدة"، وأقول: الصوابُ أنّه مِن رؤية القلب، وعُلِّق عن العمل فيما بعدَه.

قوله: (يعني أنّهم كادوا) مِن الكيد؛ المَكْر، يقال: كادَه يَكيدُه كَيدًا ومَكيدةً،

---

[1] ن: دريه.
[2] ف – عليه الصلاة والسلام.
[3] ن: رأي.
[4] ن – يدل.
[5] ن – أن.

وجُوه الحاجِ إلَيْه، فضُلِّلَ كيْدُهم بإيقَاع الحَريق فيه، وكادُوه ثانِيًا بإرَادة هَدْمِه فضُلِّلَ بإرْسالِ الطَّيْر عَليْهم.

﴿أَبَابِيلَ﴾ حَزَائقَ، الوَاحِدَة: إبَّالَةٌ، وفي أمْثالِهم: "ضِغْثٌ على إبَّالةٍ"، وهيَ: الحُزْمَةُ الكَبيرةُ، شُبِّهَتْ الحِزْقَةُ من الطَّيْرِ في تَضامِّها بالإبَّالَةِ.

وقيل: ﴿أَبَابِيلَ﴾ مِثلُ عَبادِيدَ وشَماطِيطَ لا واحِدَ لها.

وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه: "يَرْمِيهم"؛ أي: اللهُ، أو الطَّيْرُ لأنَّه اسمُ جمعٍ مذكَّرٍ، وإنَّما يُؤنَّثُ على المَعنى.

وأمّا "كاد" الذي هو مِن أفعال المقاربة فهو واويّ، يقال: كاد يفعل كذا، يكاد كَودًا ومكادةً، أي: قارَبَ ولم يفعل.

قوله: (حَزائق) الحَزيقة: الجماعة.

قوله: (على إبّالةٍ) في الصحاح: «الإبّالة بالكسر: الحُزمة[١] مِن الحَطب، وفي المَثل: "ضِغثٌ على إبّالةٍ"،[٢] أي: بليَّة[٣] على أخرَى كانت قبلها».[٤]

قوله: (عباديد) "العباديد":[٥] الفِرَقُ مِن الناس الذّاهبون في كلّ وَجهٍ، وكذلك العبابيد، و"الشماطيط": القِطع المتفرِّقة، الواحدة: شِمْطيط،[٦] يقال: ذهَب القوم شماطيطَ، أي: متفرِّقة أرسالًا، وصار الثوب شَماطيطَ إذا تشقَّق، والواحد: شِمْطاطٌ، ذُكر في الصحاح: أنّ واحد الشَماطيط: شُمْطوطٌ وشِمْطاطٌ.[٧]

قوله تعالى: ﴿أَبَابِيلَ﴾ أي: كثيرةً متفرِّقةً، يتبع بعضُها بعضًا، قال أبو عُبيدة: «﴿أَبَابِيلَ﴾ جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل مِن هَهنا وهاهنا»، وقال الفرّاء: «لا واحد لها مِن لفظها».[٨]

---

[١] ن: الخرمة.

[٢] ن: بالة.

[٣] ن: عليه.

[٤] الصحاح للجوهري، «أبل».

[٥] ن – العبابيد.

[٦] ن: شميطط.

[٧] انظر: الصحاح للجوهري، «شمط»؛ ولسان العرب لابن منظور، «شمط».

[٨] انظر: معالم التنزيل للبغوي، ٥٤٠/٨ (الفيل، ٣/١٠٥)؛ لسان العرب لابن منظور، «أبل».

و﴿سِجِّيلٍ﴾: كأنه عَلَمٌ لِلدِّيوانِ الَّذي كُتِبَ فيه عذابُ الكُفَّارِ؛ كما أَنَّ سِجِّينًا عَلَمٌ لدِيوان أَعْمالِهم؛ كأَنَّهُ قيل: بحجارةٍ من جُملة العَذابِ المَكتُوبِ المُدوَّنِ، واشتِقَاقُهُ مِن الإسجالِ وهُو الإرسَالُ؛ لأنَّ العذابَ موصُوفٌ بذلك ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف ١٣٣/٧].

وعن ابن عبَّاس: مِن طينٍ مَطْبُوخ كما يُطْبَخُ الآجُرُ.

وقيل: هو مُعرَّبٌ مِن سَنْك كِل.

وقيل: من شديدِ عذابهِ، وَرَووا بيتَ ابنِ مُقْبِلٍ:

ضَـرْبًـا تـوَاصَـتْ بـه الأَبْـطَـالُ سِجِّـيلَا

وإنَّما هُو "سجِّينًا" والقصيدةُ نُونِيَّةٌ مَشهُورةٌ في دِيوانهِ.

قوله: (﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾) استشهاد على أنَّ العذاب موصوف بذلك.

قوله:

(ضربًـا تواصَـتْ بـه الأبطـالُ سـجِّيلَا)

أوّله:

ورَجْـلَـةً يـضربـون البَـيض عـن عُـرُضٍ[1]

"الرَّجْلَةُ": جماعة الراجِل. و"البَيضة": مِن الحديد، والجمع: "البَيض". وعُرُضُ كلِّ شيءٍ: وسَطُهُ، وقيل: ناحيَته. و"الأبطال": جمع بطلٍ، وهو الشجاع. والمعنى: رُبَّ رَجْلَةٍ يضربون السيوفَ في المعركة عن جوانب مختلفة ضربًا شديدًا مثلَ ضربٍ يوصِي به الأبطال بعضُهم بعضًا. ذكر الثعلبيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين ٧/٨٣]: «قال[2] الأخفش: لفي حبس ضيّق شديد، وهو فِعِّيل مِن السجن كما يقال: فِسِّيق وشِرِّيب»،[3] واستشهد بقول ابن مُقبلٍ هذا.[4] و"سِجِّيلًا" صفة "ضَرْبًا".

---

[1] ديوان ابن مقبل، ص ٢٣٦، بلفظ: "سِجِّينًا"، والقصيدة نونية.

[2] ن: قالا.

[3] ن: وشرب.

[4] الكشف والبيان للثعلبي، ٥٥/٢٩ (المطفّفين، ٧/٨٣).

وشُبِّهُوا بورَقِ الزَّرْع إذا أُكِلَ؛ أي: وقَع فيه الأُكالُ، وهُو أن تأكُلَهُ الدُّودُ، أو بتِبْنٍ أكَلَتْه الدَّوابُّ وَراثَتْهُ ولكنَّه جاء على ما عَليه آدابُ القرآنِ؛ كقَوله: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ [المائدة ٧٥/٥]، أو أُريدَ: أُكِلَ حَبُّهُ فبَقِيَ صِفْرًا مِنْه.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سُورةَ الفيلِ أَعْفَاهُ اللهُ أيَّام حيَاتهِ من الخَسْفِ والمَسْخ».

قوله: («أَعْفاه الله تعالى»)[١] يقال: أَعْفِنِي عن هذا الأمر، أي: دَعْني.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[٢]

---

١ الحديث في الكشف والبيان للثعلبي، ٢٦٥/٣٠ (سورة الفيل)؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٥٥٤/٤ (سورة الفيل)، بسندهما.

٢ ف – تمّت السورة بحمد الله تعالى؛ ن – بحمد الله تعالى.

سورة قريش

مكيةٌ، وقيل: مدنية. وهي أربعُ أو خمسُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ① إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ③ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ④﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ مُتعلِّقٌ بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ أمَرَهم أن يَعْبُدوهُ لأجْلِ إيلافِهِم الرِّحْلَتَين.

فإن قلتَ: فلِمَ دَخلت الفاء؟

قلتُ: لِمَا في الكلام من معنى الشرط؛ لأن المعنى: إمَّا لا فليَعْبُدُوه لإيلافهم، على مَعنى: أنَّ نِعَم الله عليهم لا تُحصى، فإنْ لم يعبُدوه لسائر نعَمه فليعبُدُوه لهذه الواحدة التي هي نِعْمةٌ ظاهرةٌ.

وقيل: المعنى: اِعجَبُوا لإيلاف قُريْشٍ.

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (لأنّ المعنى: إمّا لا) تقول العرب: "افعل هذا إمّا لا"، أي: إن كنت لا تفعل غيره، و"ما" مَزيدة عوض مِن "كان" المحذوفة، وأشار المصنِّف رحمه الله[2] بقوله: (إمّا لا)... إلخ إلى أنّ التقديم أفاد الحصر، كأنّه قيل: لهذا خصوصًا لِيعبُدوا.

قوله: (وقيل: المعنى) فيكون متعلِّقًا بمحذوف.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] د – رحمه الله.

وقيل: هو متعلِّق بما قبله؛ أي: فجعَلهم كعَصْف مأكولٍ لإيلاف قُريش، وهذا بِمنزلةِ التَّضْمِين في الشِّعر: وَهُو أَنْ يتعَلَّق مَعْنى البَيْت بالَّذِي قبله تَعلُّقًا لا يصحُّ إِلَّا به، وهُما في مُصحَفِ أُبيّ سُورةٌ واحدةٌ بلا فَصْل.

وعن عُمَر: أنَّه قَرأهما في الثانية من صلاة المغرب، وقرأ في الأُولى: ﴿وَٱلتِّينِ﴾.

والمَعنى: أنَّه أَهْلك الحَبشةَ الَّذين قصَدُوهم ليتَسامَع النَّاسُ بذلك فيَتهَيَّبُوهُم زِيادةَ تهَيُّبٍ، ويَحترِمُوهُم فضْلَ احترامٍ، حَتَّى يَنتظِمَ لَهُم الأَمْنُ في رِحْلتَيْهِم فلا يَجترئَ أحَدٌ عَليْهم.

وكانت لقُرَيش رِحْلتانِ: يَرْحَلُون في الشِّتاء إلى اليَمن وفي الصَّيفِ إلى الشَّام، فيَمْتَارُونَ ويَتَّجِرُونَ، وكانوا في رِحْلتَيْهم آمِنين لأنَّهم أَهْلُ حَرَمِ اللهِ وولاةُ بَيْتِه فلا يَتعرَّضُ لَهُمْ، والنَّاسُ غيْرُهم يُتخَطَّفُونَ ويُغارُ عليهم.

و"الإِيلافُ" من قولك: آلفْتُ المكانَ أُولِفُه إِيلافًا: إذا أَلِفتَهُ، فأنَا مُولِفٌ، قال:

قوله: (وعن ابن عمر[1] أنّه قرأهما)... إلخ، يعني: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ [سورة الفيل] و﴿لِإِيلَٰفِ﴾ [سورة قريش]، وهذا يدلُّ على أنّهما سورة واحدة.

[٤٦ظ] قوله:[2] (والمعنى) على تقدير أنّهما سورة واحدة، بل على تقدير / تعلّقه بما قبله.

قوله: (فيتهيَّبوهم) مِن الهَيبة بمعنى: الخوف.

قوله: (فيمتارُون) المِيرَة: الطعام يمتاره الإنسان، وقد مار أهلَه يَميرُهم مَيرًا، والامتِيار مِثله.

قوله -شعر-:[3]

---

[1] كذا في الأصول المخطوطة: "عن ابن عمر"، وفي مطبوع الكشاف: "عن عمر"، وهو الصواب، ففي: مصنَّف ابن أبي شيبة، ٣١٤/١ (٣٥٩٣)؛ ومصنَّف عبد الرزاق، ١٠٨/٢ (٢٦٩٧)، عن عمرو بن ميمون قال: «صلّى بنا عمر صلاة المغرب، فقرأ في الركعة الأولى: بـ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾، وفي الركعة الثانية: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾ و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾».

[2] ن – قوله.

[3] ن – شعر.

مـن الـمُـؤْلِـفـاتِ الـزُّهْـوَ غـيْـرِ الأَوارِكِ

وقرئ: ﴿لإلافِ قُرَيْشٍ﴾؛ أي: لمُؤالَفةِ قُرَيْشٍ، وقيل: يُقال: أَلِفتُه إِلْفًا وإِلافًا. وقَرأ أبُو جعْفَرٍ: "لإِلْفِ قُرِيْشٍ". وقَد جمَعَهما مَن قال:

(مِنَ الـمُـؤْلِفاتِ الـزُّهْـوَ غيرِ الأوارِكِ)[١]

أي: الآلفات. و"الزُّهوُ": البقل. "غيرِ الأوارِكِ": أي: المُقيمات لشجر[٢] الأراك. يقال: زَهَتِ الإبل زَهْوًا إذا سارت بعد الوِرد ليلةً وأكثر، وزَهوتُها أنا، يتعدّى ولا يتعدّى، وإبل زاهية: لا ترعى الحَمض،[٣] وبعضهم يَروي: "الرَّهْوَ"[٤] في البيتِ بالراء غير المعجمة، والرَّهْوُ: السير السهل، يقال: جاءت الخيل رَهْوًا،[٥] قال ابن الأعرابيّ: «رها يَرهو[٦] في السَّير: رَفَقَ»، قال القُطامي في نَعْتِ الرِّكاب:

يمشِينَ رَهْـوًا[٧] فلا الأَعـجازُ خاذِلةٌ   وَلا الـصُّدورُ على الأعـجازِ تَتَّكلُ[٨]

و"الأوارِكُ":[٩] واحدتها آركة، وهي التي لزِمَت موضع الأراك، قال الشاعر:

وقـفـتُ بـهـا أبـكـي بُـكـاءَ حَـمامةٍ   أَراكِيَةٍ[١٠] تدعو[١١] الحَمامَ الأوارِكـا[١٢]

قوله: (أي: لِمُؤالفة قريش) يعني: يجوز أن يكون "إِلَاف"[١٣] مصدر "فاعَلَ"، فيكون بمعنى مُؤالفة، نحو: ضارَبَ مُضارَبةً وضِرابًا.

قوله: (وقيل) إشارة إلى أنّه يجوز أن يكون مصدر "فَعَلَ"، نحو: كتَبَ كتابًا.

قوله:

---

١ صدره:
وأنتِ استعرتِ الظَّبيَ جِيدًا ومُقْلَةً
لسان العرب لابن منظور، «زها»، بغير نسبة.

٢ ن: بشجر.

٣ الحَمْضُ مِن النبات: كلُّ نبت مالحٍ أو حامضٍ يقوم على سوق ولا أصل له. لسان العرب لابن منظور، «حمض».

٤ ف: الزَهْوَ.

٥ ن: زهوًا.

٦ ن: زها يزهوا.

٧ ن: زهوًا.

٨ ديوان القطامي، ص ١٩٥.

٩ في الأصول المخطوطة: "الأوراك"، وهو خطأ كما هو ظاهر.

١٠ ن: أزاليه.

١١ ن: تدعوا.

١٢ لعبيد بن الأبرص. كتاب الجيم لابن مرّار الشيباني، ٢/٤٠.

١٣ ن: الالف.

زعَـمْـتُـم أنَّ إخْـوتَـكُـم قُـرَيـشٌ لَـهُـم إلْــفٌ ولَـيْـسَ لـكُـم إلافُ

وقرأ عكرمةُ: "لِيَألَف قريشٌ إلْفَهُم رحْلَةَ الشِّتاءِ والصَّيف".

وقريشٌ: وَلَدُ النَّضرِ بنِ كِنَانةَ، سُمُّوا بتَصْغير القِرْشِ: وهو دَابَّةٌ عظيمةٌ في البَحْرِ تَعبَثُ بالسُّفُن ولا تُطَاق إلَّا بالنار.

وعن معَاوية: أنَّه سَأل ابنَ عبَّاس رضي الله عنهما: لِمَ سُمِّيت قُرَيشٌ؟ قال: بدابَّةٍ في البَحْرِ تَأكلُ ولا تُؤكَل، وتَعْلُو ولا تُعْلَى، وأنشَدَ:

وقُـرَيْـشٌ هـي الـتـي تـسْـكُـن الـبَـحْـ ـرَ بـهـا سُـمِّـيـت قُــرَيْــشٌ قُـرَيـشـا

والتَّصغيرُ للتَّعظيم.

(زعمتـم أنّ إخوتكـم[1] قريـشٌ)... البيـتَ

بعده:

أولـئـك أُومِــنُــوا جـوعًــا وخـوفًــا وقـد جـاعـت بـنـو[2] أسـدٍ وخـافُـوا[3]

قوله:

(وقــريـــشٌ هـــي الـــتـــي)... الـبـيـتَ

وقال في الوسيط: أنّه قال له معاوية[4] فينشد في ذلك شيئًا، فأنشده شِعرَ الجُمَحيّ:

"وقــريـــشٌ هـــي الـــتـــي"... الـبـيـتَ

تـأكـل الـغَــثَّ والـسَّـمـيـن ولا تَـتْـ ـرِكُ فيه لِـذي الـجـنـاحَـيـن رِيـشـا

هـكـذا فـي الـبـلاد حـيٌّ[5] قريش يـأكـلـون الـبـلاد أكــلًا كَـمـيـشـا

ولــهــم آخـــرَ الـــزمـــان نـبـيٌّ يُكثر القتل فيهم والـخُـمـوشـا[6]

---

[1] ن: آخرتكم.

[2] ن: بنوا.

[3] البيتان لمساور بن هند يهجو بني أسد. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ٤٢٠/١١؛ لسان العرب لابن منظور، «ألف».

[4] ف: معوية.

[5] ن: حتى.

[6] التفسير الوسيط للواحدي، ٥٥٦/٤ (قريش، ١/١٠٦).

وقيل: من القَرْشِ وهو الكَسْبُ؛ لأنَّهم كانوا كسَّابِين بتجَارَاتِهم وضَرْبِهم في البِلاد.

أَطْلَق الإيلافَ ثُمَّ أبْدَلَ عنه المُقيَّدَ بالرِّحلتين تفخيمًا لأمْرِ الإيلافِ، وتَذكيرًا بِعَظيم النِّعمةِ فيه، ونصَبَ الرِّحْلة بـ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ مَفعُولًا به كما نصَبَ ﴿يَتِيمٗا﴾ بـ﴿إِطۡعَٰمٞ﴾.

وأَرادَ: رِحْلتي الشِّتاء والصَّيف، فأفرَدَ لأَمْنِ الإلْباسِ، كقولِه:

كـلُـوا فـي بـعْـضِ بَـطْـنِـكُـم

وقرئ: "رُحْلَة" بالضم، وهي الجِهةُ التي يُرحَل إليها.

والتنكيرُ في ﴿جُوعٖ﴾ و﴿خَوۡفِۭ﴾ لشِدَّتهما، يَعني: أطعَمهم بالرِّحلَتيْن مِن جوعٍ شدِيدٍ كانوا فيه قَبلَهُما، وآمَنهُم مِنْ خَوْفٍ عظيمٍ، وهو خَوفُ أَصْحابِ الفيلِ، أو خوفُ التَّخطُّفِ في بلَدِهم ومَسائرهم.

وقيل: كانُوا قد أصَابَتْهم شِدَّةٌ حتى أكَلُوا الجِيَف والعِظامَ المُحرَقَة، وآمَنهُم من خوْفِ الجذامِ فلا يُصِيبُهم ببَلَدِهم.

قوله:

(كـلُـوا فـي بـعـض بـطـنِـكـمُ)

تمامه:

تَـعِـفُّـوا   فـإنّ زمـانـكـم زمـنٌ خَـمِـيـصُ[1]

يقال: رجلٌ خميصُ الحَشا، أي: ضامر البطن، ويريد بـ"الزمن الخَميص": زمنَ القَحط والمجاعة، والمَخمَصة: المَجاعة، وهو مصدر، مثل: المَغضَبة[2] والمَعتَبة، وقد خَمَصَه الجوعُ خَمْصًا ومَخمَصةً، والخَمْصةُ:[3] الجَوعة، يقال: "ليس للبِطنَةِ خَيرٌ مِن خَمصَةٍ تَتبَعها".[4]

---

[1] خزانة الأدب للبغدادي، ٥٥٩/٧، وهو من شواهد سيبويه. انظر: كتاب سيبويه، ٢١٠/١.

[2] ن: المصغبة.

[3] ن: والمخمصة.

[4] انظر: لسان العرب لابن منظور، «بطن».

وقيل: ذلك كُلُّه بدُعاء إبراهيم صلوات الله عليه.

ومن بِدَع التفاسير: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾: مِن أَنْ تكُون الخِلافةُ في غيرهم.

وقرئ: "مِن خوف" بإخفاء النُّونِ.

عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سُورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ أَعْطَاهُ الله عشر حَسناتٍ بعدَد مَن طافَ بالكعْبةِ واعتكَف بها».

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[١]

---

١ ف ن - السورة بحمد الله تعالى.

سورة أرأيت

مكيةٌ، وقيل: مدنية. وهي سبعُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾

قُرئ: ﴿أَرَيْتَ﴾ بحذفِ الهمزة وليْسَ بالاختيار؛ لأنَّ حَذفها مُختصٌّ بالمُضارع، ولم يَصِحَّ عن العَربِ: رَيْتَ، ولكِنَّ الَّذِي سهَّل من أمْرِها وقُوعُ حرْفِ الاستفهام في أوَّلِ الكلام، ونحوهُ:

سورة أرأيت

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (وقوع حرف الاستفهام) فإنّه إذا وقع[2] في أوّله حرف الاستفهام كُرِه هَمزةٌ أخرى بعدها، فقوله: (أمرِها) أي: أمرِ هذه القراءة،[3] فالمصنِّف لما بيّن أنّ حذف الهمزة مِن "رأيت" ليس باختيارٍ أشار إلى أنّ لهذه القراءة وجهًا حسنًا لوقوع الهَمزةِ[4] قبل "رأيت"، والحذف فيه أولى منه في البيت؛ إذ لا همزة فيه وإن كان فيه حرفُ الاستفهام.

قوله:

---

[1] ف ن - وبه نستعين.

[2] ن: رفع.

[3] قرأ بحذف الهمزة الثانية مِن ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الكسائي، وقرأ نافع وأبو جعفر بتسهيلها بين بين. انظر: النشر لابن الجزري، ١/٣٩٧.

[4] ن - من رأيت ليس باختيار أشار إلى أن لهذه القراءة وجهًا حسنًا لوقوع الهمزة.

صَاحِ هَل رَيْتَ أو سمِعْتَ بـرَاعٍ رَدَّ في الضَّرعِ ما قَرى في العِلابْ

وقرأ ابنُ مسعود: "أرأيتَكَ" بزيادةِ حرف الخطابِ؛ كقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء ٦٢/١٧].

والمعنى: هَل عَرفْتَ الَّذي يُكَذِّبُ بالجزاء مَن هُو؟ إنْ لـم تَعْرِفْهُ فذلك الَّذي يكذبُ بالجزاء ....

(صاحِ هـل رَيْتَ[١] أو سـمعتَ)... البيـتَ[٢]

"صاحِ": أصله:[٣] يا صاحبُ، فرُخِّم، و"القَرى":[٤] جمع الماء في الحوض، والعُلبة: القدَح الذي يُحلَب فيه مِن خشب. يقول: يا صاحبُ هل / رأيت أو [٤٧٠و]
سمعتَ براعٍ ردَّ[٥] إلى الضَرْعِ ما حَلَب مِن اللبن وجَمعَه في القدَح؟

فإن قال قائل: لا وجه لإيراد المصنِّف هذا البيت في هذا الموضع استشهادًا لحذف الهمزة مِن "رأيت" بسبب حرف الاستفهام، فإنّه لم يجتمع فيه همزتان، بخلاف قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ﴾، فجوابه: أن الهمزة مقدّرة في[٦] البيت؛ لأنّ "هل" في الأصل بمعنى "قد"، ولا تستعمل إلا في الاستفهام مع الهمزة، فبسبب كثرة الاستعمال حُذِف منه الهمزة، والدليل عليه قول الشاعر:

سـائـل فـوارسَ يَـربـوعٍ بشِـدَّتِـنـا أهَـلْ رَأَونـا بسَفْحِ القاعِ ذي الأكَمِ[٧]

ولمّا كانت الهمزة في "هل رأيت" مقدّرة حذفت مِن "رأيت"، ولذا قال المصنِّف: "سهَّل أمرَها وقوع حرف الاستفهام"،[٨] ولم يقل: همزة الاستفهام.

والعُلبَة: المِحْلَبُ من جِلد، والجمع: عُلَب وعِلاب.

قوله: (بزيادة حرف الخطاب) أكّد معنى الخطاب في التاء بالكاف.[٩]

---

١ د ن: رايت.

٢ الصحاح للجوهري، «رأى»، ونسبه إلى إسماعيل بن بشار.

٣ ن: أهله.

٤ ن: المرى.

٥ ن – ردّ.

٦ ن: إلى.

٧ ديوان زيد الخيل الصحابي، ص ١٥٥.

٨ ن – حذفت مِن "رأيت"، ولذا قال المصنِّف: "سهَّل أمرَها وقوع حرف الاستفهام".

٩ ن: بالتاء والكاف.

هُوَ الـذي يَـدُعُّ اليَتِيـمَ؛ أي: يَدْفعُـه دَفْعًـا عَنِيفًـا بجَفـوَةٍ وأَذًى، ويَـرُدُّهُ ردًّا قبيحًـا بزَجْرٍ وخُشُونةٍ.

وقرئ: "يَدَعُ"؛ أي: يَتْرِكُ ويَجْفُو.

﴿وَلَا يَحُضُّ﴾: ولا يَبْعَثُ أَهلَهُ على بَذْلِ طعَامِ المسكينِ، جَعَل عَلَم التَّكْذِيب بالجزاء مَنْعَ المعرُوف والإقدامَ على إيذاء الضعيف، يعني: أنَّه لو آمَنَ بالجزاءِ وأيْقَن بالوَعيد لخَشِيَ اللهَ وعقابَه ولم يُقْدِم على ذلك، فحينَ أقدَم عليه عُلِم أنَّهُ مكذِّبٌ.

فما أَشَدَّهُ مِن كلام، وما أَخْوَفَهُ من مَقامٍ، وما أَبْلَغه في التَّحْذير مِن المَعْصِيَةِ! وأنَّها جدِيرةٌ بأَن يُستَدَلَّ بها على ضعْفِ الإيمان ورَخاوَة عَقْد اليقِين، ثم وصَل بهِ قولَه:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ كأنه قال: فإذا كان الأَمْرُ كَذلك فوَيْلٌ لِلمصَلِّين الَّذين يَسهُونَ عن الصَّلَاة قِلَّةَ مُبالاة بها حتى تَفُوتَهُم أو يَخرُجَ وقتُها، أو: لا يُصَلُّونَها

قوله: (فما أشدَّه!) تعجُّب.

قوله: (وأنَّها جَديرة) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (التحذير)، أي:[١] ما أبلَغُه في بيان أنّ المعصية جَديرة...

قوله: (أو يَخرُج وقتها) عطَفَ قولَه: (يَخرُج وقتها) على قوله: (تفوتَهم)، وكأنّه[٢] أراد بالفَوت[٣] أن لا يصلِّيَها أصلًا، وبخروج وقتها أن يترك حتى يخرج وقتها ثمّ صلّاها قضاءً.

قوله: (أو لا يُصلّونَها) عطفٌ على قوله: (يسهون عن الصلاة)... إلخ مِن حيث المعنى، فكأنّه قال: المراد بقوله تعالى: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾:

---

١ ن + ما أي.
٢ ف: فكأنّه.
٣ ن + (وقتها) عطف قوله: (يَخرُج وقتها) على قوله: (تفوتَهم)، وكأنّه أراد بالفَوت.

كما صَلَّاهَا رسول الله والسَّلَفُ ولكِن يَنْقُرُونها نَقرًا مِن غير خُشُوعٍ وإِخْباتٍ، ولا اجتِنابٍ لِمَا يُكرَهُ فيها: من العبَثِ باللِّحيَةِ والثِّيابِ، وكَثْرة التَّثاؤُبِ والالتفات، لا يَدْرِي الواحِدُ مِنهم عَن كَم انْصَرف ولا مَا قَرأ مِن السُّوَر، وكما تَرى صَلاةَ أكْثَر مَن تَرى الَّذِين عادَتُهم الرِّياءُ بأعمالِهم ومنْعُ حُقوقِ أمْوالِهِم.

والمَعنى: إنَّ هَؤلاء أَحَقُّ بأَن يكُون سَهْوُهُم عنِ الصَّلاةِ التي هيَ عمادُ الدِّين والفارِقُ بين الإيمانِ والكُفر، والرِّياءُ الَّذي هو شُعْبَةٌ من الشِّرْك، ومنعُ الزكاة التي هي شَقِيقَةُ الصَّلاة وقَنطَرةُ الإسْلام= عَلَمًا على أَنَّهم مُكَذِّبُونَ بالدِّين.

وكم تَرى ....

إخراجُها عن وقتها لقِلّة المبالاة، أو تركُ أبعاضها وهيئاتها وآدابها، فإنّ ذلك نوعٌ من السهو والغفلة.

قوله: (يَنقرونها نقرًا) يقال: نقَرَ الطائر الحبّة نَقرًا،[1] فيجوز أن يقال: التقدير: ينقرون في الصلاة نَقرًا، ثمّ حذف الجارّ وأوصل الفعل، فشُبِّه تعجيلُهم في رفع الرأس مِن الركوع والسجود مِن غير طمأنينة بالنَّقرِ، ويجوز أن يقال: ضُمِّن النَّقرُ[2] معنى[3] الصلاة، فعُدِّيَ "نقرٌ" مثل تعدية "صلّى"، أي: يُصلُّونها نَقرًا.

قوله: (لا يدري) حال مِن الضمير في "ينقرونها".

قوله: (وكما ترَى) عطفٌ على قوله: "ولكن ينقُرونها"، فكأنّه قال: لا يصلُّونها كما صلّاها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولكن ينقُرونها ويصلُّونها كما ترى. وقوله:[4] (صلاةَ) منصوبٌ بفعلٍ مقدَّرٍ، أي: أعني: واذكُر صلاةَ أكثر مَن ترى، ويجوز أن يقال: وُضع الظاهر مَوضع المضمر، إذ أصله: كما تراها، فوضع قوله: "صلاةَ" موضع الضمير.

قوله: (وكم ترَى) "كم" منصوب على أنّه في محلِّ المصدر لـ"ترى"،

---

[1] ن – نقرًا.
[2] ن: البقر.
[3] ن: بمعنى.
[4] ن: قوله.

منَ المُتَّسمينَ بالإسْلام -بَلْ من العُلماء منهم- مَن هُو على هذِه الصِّفة فيَا مُصِيبتَاهُ!

وطريقةٌ أُخرَى: أَن يكُون ﴿فَذَٰلِكَ﴾ عطفًا على ﴿ٱلَّذِي يُكَذِّبُ﴾: إمَّا عطفَ ذاتٍ على ذاتٍ، أو صِفَةٍ على صفَةٍ، ويكونَ جوَابُ ﴿أَرَءَيْتَ﴾ مَحذُوفًا لدلَالة ما بَعْدَهُ عَليه؛ كأنه قيل: أَخْبرني ومَا تقُولُ فيمَن يُكَذِّبُ بالجَزاء، وفيمَن يُؤذِي اليتِيمَ ولا يُطْعِمُ المسكينَ، أَنِعْمَ مَا يَصْنَعُ؟ ثمَّ قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾؛ أي: إذا عُلِم أنَّه مُسيءٌ فوَيلٌ للمُصَلِّين، على معنى: فوَيْلٌ لهُم، إلَّا أنَّه وَضعَ صِفَتَهُمْ مَوضِعَ ضمِيرِهم لأنَّهُم كانُوا مَع التَّكْذيبِ وما أُضِيفَ إلَيْهم سَاهِينَ عن الصَّلاة مُرَائِينَ غَيْرَ مُزَكِّينَ أَمْوالَهم.

فإن قلتَ: كيف جَعلْتَ المصَلِّين قَائمًا مَقامَ ضمير ﴿ٱلَّذِي يُكَذِّبُ﴾ وهو وَاحدٌ؟

و(مَن هو)... إلخ مفعولٌ به، و(مِن المتَّسِمين)[1] حالٌ منه، والمراد بـ"هذه الصفة": السهوُ والرِّياء[2] والمَنع، أي: ترى رؤيةً كثيرة[3] مَن هو مستقِرٌّ على هذه الصفة، وهي السهو عن الصلاة والرياء ومنع الزكاة.

قوله: (منهم) أي: من المتَّسمين[4] بالإسلام.

قوله: (وطريقةٌ أخرى) يجوز أن يقال: "طريقةٌ" مبتدأ خبره محذوف، أي: هنا طريقةٌ أخرى، و(أن يكون) بدلٌ من "طريقةٌ"، / أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أن يكون، ويجوز أن يقال: "أن يكون" مبتدأً، "طريقةٌ" خبر مقدَّم. [٤٧٠ظ]

قوله: (ذاتٍ) بأن يكون ﴿ٱلَّذِي يُكَذِّبُ﴾ غير ﴿ٱلَّذِي يَدُعُّ﴾، وقوله:[5] (على صفة) بأن يكون "المكذِّب" هو[6] "الداعّ" بحسب الذات، لكن ذكره بصفة بعد صفة.

قوله: (كأنَّه قيل) هو معنى: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمِسْكِينِ﴾.

قوله: (عُلِم) أي: مِن هذا السؤال بطريق الإنكار.

---

[1] ن: القسمين.
[2] ن: المشهور الرياء.
[3] ن: لثيرة.
[4] ن: المقسمين.
[5] ن: قوله.
[6] ن: وهو.

قلتُ: معناه الجمعُ لأنَّ المُرادَ به الجنْسُ.

فإن قلتَ: أيُّ فرْقٍ بينَ قَوله: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ وبيْنَ قولك: في صَلاتهم؟

قلتُ: معنى ﴿عَن﴾: أنّهُم ساهُونَ عَنها سَهْوَ تَرْكٍ لهَا وقِلَّةِ التفاتٍ إليها وذلك فِعْلُ المُنافِقينَ أو الفسَقَةِ الشُّطَّارِ من المُسْلمينَ، ومعنى "في": أنَّ السَّهْو يَعْتَرِيهم فيهَا بوَسْوسَةِ شَيْطانٍ أو حَدِيثِ نفسٍ، وذلك لا يَكادُ يخلُو منه مُسْلمٌ، وكان رسُولُ الله عليه السلام يَقَعُ لهُ السَّهوُ في صَلاته فَضْلًا عن غَيْرِه، ومِن ثَمَّ أثبَت الفُقهاءُ بابَ سجُودِ السَّهْو في كتُبِهِم.

وعن أنسٍ رضي الله عنه: الحَمْدُ لله عَلى أنْ لم يَقُل: في صَلاتِهِمْ.

وقرَأ ابنُ مسعُود: "لاهُونَ".

فإن قلتَ: ما مَعْنى المُرَاءاةِ؟

قلتُ: هيَ مُفَاعَلةٌ من الإرَاءةِ؛ لأنَّ المُرائِيَ يُرِي الناسَ عَملَهُ وهُم يُرُونهُ الثَّناءَ عليه والإعجابَ بهِ، ....

قوله:[1] (قلت: معنى "عن")، (معنَى "عن") مبتدأ، وقوله: (أنّهم) خبره، وكذاك[2] قوله: (معنى "في") مبتدأ، (أنّ السهو) خبره.

قوله: (وعن أنسٍ رضي الله عنه:[3] «الحمد لله على أن لم يقل: في صَلاتهم»)[4] وإنّما حَمِد أنسٌ رضي الله عنه[5] على هذا لأنّه لمّا قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ كان المعنى: أنّهم ساهون عنها سهوَ تركٍ وقلّة مبالاةٍ، ولو قال: "في صلاتهم" لكان المعنى: إنّ السهوَ يَعتريهم[6] وهم فيها، والخُلوص مِن ذلك شديدٌ.

١ ن - ﴿ٱلْمِسْكِينِ﴾. قوله: (عُلِم) أي: مِن هذا السؤال بطريق الإنكار. قوله:

٢ ن: لذلك.

٣ د - رضي الله عنه.

٤ لم أجده مسندًا عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه الثعلبي بسنده عن عطاء. الكشف والبيان للثعلبي، ٣٣٥/٣٠ (الماعون، ٥/١٠٧).

٥ ن - («الحمد لله على أن لم يقل: في صَلاتهم») وإنّما حَمِد أنسٌ رضي الله عنه؛ د - رضي الله عنه.

٦ ن: يعتويهم.

ولا يَكُونُ الرَّجُلُ مُرائيًا بإِظْهار العَملِ الصَّالح إن كان فَرِيضةً، فمِن حَقِّ الفَرائضِ الإِعْلانُ بهَا وتَشهِيرُهَا؛ لِقَوله عليه السَّلامُ: «ولا غُمَّةَ في فرائض الله»؛ لأَنَّهَا أَعْلامُ الإِسْلام وشعَائرُ الدِّين، ولأنَّ تارِكهَا يَسْتحِقُّ الذَّمَّ والمَقْتَ فوَجب إماطَةُ التُّهْمَةِ بالإِظْهارِ، وإن كان تَطَوُّعًا فحَقُّه أَن يُخفَى لأنه ممَّا لا يُلامُ بتَركه ولا تُهْمَة فيه، فإن أَظْهَرَهُ قَاصِدًا للاقتِداءِ به كان جَميلًا، وإنَّما الرِّياءُ أَن يَقْصِدَ بالإِظْهارِ أَن تَرَاهُ الأَعْيُنُ فيُثْنَى عليه بالصَّلاح.

وعن بعضهم: أَنَّه رأَى رَجُلًا في المسجد قد سجَدَ سَجْدَةَ الشُّكْر وأَطَالَها، فقال: ما أَحْسَنَ هذا لو كانَ في بَيْتِكَ! وإنَّما قال هذا لِأَنَّه توسَّم فيه الرِّياءَ والسُّمْعة.

قوله: (ولا غُمَّةَ) أي: لا سُترة.

قوله: (وشعائرُ) الشعائر: كل ما جُعل علَمًا لطاعة الله تعالى، والواحدة: شَعيرة، وقيل:[1] شِعارة.

قوله: (وإن كان تطوُّعًا)[2] عطف على جملةِ قوله: (ولا يكون)... إلخ، وقوله: (إن كان فريضةً) جوابُه محذوف مِن جنس ما قبله، أي: إن كان فريضةً فلا يكون الرجل مُرائيًا،[3] وقوله:[4] (فمن حقِّ) علّة كونه مرائيًا.[5]

قوله تعالى: ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ يحتمل أن يكون اشتقاق "الماعون" مِن المَعْنِ،[6] قال في الصحاح: «المَعْنُ: الشيء اليسير الهيّن»،[7] وقال أيضًا: «ومِن الناس مَن يقول: أصل "الماعون" معونة، والألِف عوض[8] مِن الهاء»،[9] هذا كلامه في الصحاح، وأنا أقول: فعلى هذا يكون المعنى: يمنعون[10] معاونة الناس، أي: في الأشياء الحقيرة.

---

[1] ن: وقميل.

[2] ن: تطرعًا.

[3] ن: من أبناء.

[4] ن: قوله.

[5] ن: مراتيًا.

[6] ن - قوله تعالى: ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ يحتمل أن يكون اشتقاق "الماعون" مِن المَعْنِ.

[7] ن: التسير الحين. | الصحاح للجوهري، «معن».

[8] ن: عرض.

[9] الصحاح للجوهري، «معن».

[10] ف: تمنعون؛ ن: يمتعون.

على أنَّ اجتِنابَ الرياء صَعْبٌ إلَّا على المُرتاضِينَ بالإخلاصِ، ومِن ثَمَّ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الرِّياءُ أَخفَى مِن دَبِيبِ النَّملَةِ السَّوداء في اللَّيلة المُظلِمةِ على المِسْحِ الأَسْودِ».

﴿ٱلْمَاعُونَ﴾: الزَّكاةُ، قال الرَّاعي:

قَومٌ على الإسلام لمَّا يَمنَعُوا ماعُونَهُم ويُضيِّعُوا التَّهْليلَا

وعن ابن مسعُود رضي الله عنه: ما يُتعَاوَرُ في العَادة مِن الفَأس والقِدْرِ والدَّلْو والمِقْدَحةِ ونحوِها.

وعن عائشة رضي الله عنها الماءُ والنَّارُ والمِلْحُ.

وقد يكونُ مَنْعُ هذه الأشياءِ مَحظورًا في الشَّريعَةِ إذا استُعيرَتْ عَن اضطرارٍ، وقبيحًا في المُروَّةِ في غَيْر حالِ الضَّرورة.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سورةَ أَرأيتَ غَفَر اللهُ لَه إنْ كان للزَّكاةِ مُؤدِّيًا».

قوله: (ما يُتعاور) الاعْتِوار والتَّعاور[1] والتعوُّر بمعنى التَداول.

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنِّه وكرمه.[2]

---

[1] ن: الاعترار والتعاول.

[2] ف – السورة بحمد الله تعالى ومنِّه وكرمه؛ ن – تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.

سورة الكوثر

مكيةٌ عند أكثرهم، وقيل: مدنية. وهي ثلاثُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾

في قِراءةِ النبيِّ عليه السَّلام: "إِنَّا أَنْطيناكَ" بالنُّون، وفي حَديثِهِ عليه السَّلام: «وأَنْطُوا الثَّبَجَةَ».

والكوثَرُ: فوْعَلٌ من الكثْرةِ، وهُو المُفْرِطُ الكثْرةِ؛ قيل لأَعْرَابيَّةٍ رجَع ابنهُا منَ السَّفر: بِمَ آبَ ابنُك؟ قالت: آبَ بكوْثَرٍ. وقال:

وأنـت كثيرٌ يا ابـنَ مَـرْوَانَ طَيِّبٌ وكـانَ أَبُـوكَ ابـنُ العَقائلِ كَـوْثَـرًا

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: ("أنطَيناك")[2] الإنْطاء: الإعطاء بلغة اليمَن.

قوله: («الثَبِجة»)[3] الثَبِجة: المتوسّطة[4] لا سمينةٌ[5] ولا هزيلةٌ.

قوله: (العقائل)[6] أي: المختارات مِن النساء.

---

١ ف ن – وبه نستعين.

٢ قراءة شاذّة مروية عن الحسن البصري، وقراءة النبي صلّى الله عليه وسلّم بها أخرجها الثعلبي في الكشف والبيان، ٣٠/٣٥٣ (الكوثر، ١/١٠٨).

٣ الحديث ذكره القاضي عِياض فِي الشِّفاء فِي الفصل الأوّل فِي فصل فصاحته عليه السلام ومِن كتابه عليه السلام لوَائل بن حُجْر، قال الزيلعي: غريب. انظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٩١/١.

٤ ف: متوسطة.

٥ ن: سميته.

٦ البيت للكُمَيت. انظر: الصحاح للجوهري، «كثر».

وقيل: الكَوثرُ نَهْرٌ في الجَنَّةِ.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنّه قَرأهَا حِينَ أُنزِلَت علَيْه فقال: «أَتَدْرُونَ ما الكَوْثَرُ، إِنَّه نَهْرٌ في الجَنَّةِ وَعَدَنِيهِ رَبِّي فيه خَيْرٌ كَثِيرٌ».

ورُوِي في صِفتهِ: أَحْلَى من العَسل، وأَشَدُّ بيَاضًا من اللَّبَن، وأَبْرَدُ من الثَّلْجِ، وأَلْيَنُ من الزُّبْدِ، حَافَتَاهُ الزَّبَرْجَدُ، وأَوَانيهِ من فضَّةٍ عدَدَ نُجُومِ السَّماءِ.

ورُوِي: لا يَظْمَأُ مَن شرِب منه أَبدًا، أوَّلُ وارِدِيهِ فُقَراء المُهاجِرين الدَّنِسُو الثِّيابِ، الشُّعْثُ الرُّؤوسِ الَّذين لا يُزوَّجُونَ المُنَعَّماتِ، ولا تُفْتَحُ لَهُم أَبْوابُ السُّدَدِ، يَمُوتُ أَحَدُهُم وحاجَتُهُ تَتَلَجْلَجُ في صَدْرِه لو أَقْسَم على الله لأَبرَّهُ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنّه فسَّر الكوثرَ بالخَيْر الكثير، فقال له سَعيد بنُ جُبيْرٍ: فإنَّ ناسًا يقُولُونَ: هُو نهرٌ في الجنَّةِ! فقال: هُو مِن الخَيْر الكثيرِ.

و"النَّحْرُ": نَحْرُ البُدْنِ، وعن عَطِيَّةَ: هي صَلاةُ الفجر بجَمْعٍ والنَّحرُ بمنًى.

وقيل: صَلاةُ العيدِ والتَّضحيةُ.

وقيل: هي جنْسُ الصَّلاة.

والنحرُ: وَضْعُ اليمين على الشِّمال.

والمَعنى: أُعْطِيتَ ما لا غايةَ لكثْرَتهِ من خير الدَّارين الَّذي لم يُعْطَهُ أَحَدٌ غَيْرُك، ومُعْطِي ذلك كُلِّه أنَا إلهُ العالَمين، فاجتمعَتْ لك الغِبْطَتانِ السَّنِيَّتَانِ: إصَابةُ أَشْرفِ عَطاءٍ وأَوْفَرِه مِن أَكرَم مُعْطٍ وأَعْظَم مُنْعِمٍ، فاعْبُد رَبَّك الَّذي أَعزَّك

قوله: (السُدَد) أي: سُدَدِ السلطان.

قوله: («لو أقسَم»)[١] أي: لو سأل الله لأجابه، فالإقسام هنا: الاستعطاف.[٢]

قوله: (والنَّحرُ منًى)[٣] أي: المراد بالنَّحر: ذبح الإبل.

---

[١] الحديث في: مسند الإمام أحمد، ٣٧/٥٠ (٢٢٣٦٧)؛ سنن ابن ماجه، ٥/٣٥٨ (٤٣٠٣).

[٢] ن + قوله: (لو أقسم) أي: لو سأل الله هنا الاستعطاف.

[٣] في مطبوع الكشّاف: "والنحر بمنى".

بإعطائه وشرَّفكَ وصَانكَ مِن مِنَنِ الخلق مُراغِمًا لِقَومك الَّذين يَعْبُدُون غَيْرَ الله، وانْحَر لوَجْهِهِ وباسْمِه إذا نَحَرْتَ مُخالِفًا لَهُم في النَّحْر للأَوْثانِ، إنَّ مَن أَبْغَضك من قومك لمخَالَفتك لَهُم هُو الأَبْتَرُ لا أَنْتَ؛ لأنَّ كُلَّ مَن يُولَدُ إلى يَوم القيَامةِ من المؤمنِينَ فَهُم أَوْلَادُكَ وأَعْقَابُكَ، وذِكْرُكَ مَرْفوعٌ على المنَابرِ والمَنارِ وعلى لسانِ كُلِّ عالمٍ وذَاكرٍ إلى آخِر الدَّهر، يُبدأُ بذِكر اللهِ ويُثنَّى بذكرِك، ولك في الآخِرة ما لا يَدْخُلُ تحتَ الوصفِ، فمِثْلك لا يُقالُ له: أَبتَرُ، إنَّما الأَبْتَرُ هُو شَانِئُكَ المَنسيُّ في الدُّنيا والآخِرة وإنْ ذُكِرَ ذُكِرَ باللَّعْنِ، وكانوا يقُولونَ: إنَّ محمَّدًا صُنْبُورٌ إذا ماتَ ماتَ ذِكرهُ.

وقيل: نزَلت في العَاص بن وائلٍ وقد سَمَّاه الأَبْتَرَ، والأَبتَرُ: الَّذي لا عقِبَ له، ومنه الحمَارُ الأَبتَرُ: الَّذِي لا ذَنَبَ له.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سورة الكَوثر سَقاه الله مِن كلِّ نَهرٍ في الجنَّة، ويُكْتَبُ له عَشْرُ حَسناتٍ بعدَدِ كلِّ قُربانٍ قرَّبه العِبادُ في يَوْم النَّحْرِ أو يُقرِّبُونَهُ».

قوله: (صُنبور) الرجل الفرد لا ولدَ له ولا أخ، وهي في الأصل: النخلة التي تَنبُت منفردةً.

تمَّت السورة بحمد الله تعالى.[١]

---

[١] ف ن - السورة بحمد الله تعالى.

سورة الكافرون

مكيةٌ عند أكثرهم، وقيل: مدنية. وهي ستُّ آيات.

ويقال لها ولسورة الإخلاص: المُقَشْقِشتان؛ أي: المُبرِّئتان من النِّفاق.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ٦﴾

المخاطَبُونَ كَفَرةٌ مَخصُوصُون قد علِمَ الله مِنْهُم أنهم لا يُؤمِنُون.

رُوي: أنَّ رَهْطًا من قُريشٍ قالُوا: يا محمَّدُ، هَلمَّ فاتَّبِع دِينَنا ونَتَّبِعُ دينَك: تعْبُدُ آلِهتَنا سنةً ونَعبُدُ إلهَكَ سَنةً، فقال: «معاذ الله أن أشرك بالله غيره»، فقالُوا: فاستَلِم بعضَ آلِهَتِنا نُصدِّقْكَ ونَعبُدْ إلهَك، فنَزلت، فغَدَا إلى المسجد الحرام وفيه المَلأُ مِن قُريشٍ، فقام على رُؤوسِهم فقرَأها عليهم، فأَيِسُوا.

﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ أُريدَت به العبادَةُ فيما يُستَقبَلُ؛ لأنَّ "لا" لا تَدْخُلُ إلَّا على مُضارعٍ في مَعْنى الاستقبال؛ ....

سورة الكافرين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[2]

قوله: (إلّا على مضارع في معنى الاستقبال) يعني: إذا دخل "لا" على المضارع[3] يجب أن يصيِّره[4] بمعنى الاستقبال، لا أنَّ "لا" مختصة بدخولها

[1] ن: الكافرون.
[2] ف ن - وبه نستعين.
[3] ن: المضار.
[4] ن: تصيره.

كما أَنَّ "ما" لا تَدْخُلُ إلَّا على مُضَارعٍ في مَعْنى الحال، ألا تَرى أَنَّ "لَنْ" تأكيدٌ فيمَا تَنْفيهِ "لا". وقال الخليلُ في "لَن": إنَّ أَصْلَه: لَا أَنْ.

والمَعنى: لا أَفْعَلَ في المُستقبَلِ ما تَطلُبونَه مِنِّي مِن عبادةِ آلِهَتِكُم، ولا أَنْتم فاعِلُونَ فيه ما أَطْلبُ مِنْكم من عبادةِ إلهِي.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؛ أي: وما كنتُ قطُّ عابِدًا فيمَا سَلَفَ ما عبَدْتُم فيه، يَعني: لم تُعْهَد مِنِّي عبَادةُ صَنَمٍ في الجاهليَّةِ فكيْفَ تُرْجَى مِنِّي في الإسلام؟!

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾؛ أي: وما عَبَدتُم في وقتٍ ما أَنا على عبادتهِ.

فإن قلتَ: فهَلَّا قيل: "ما عبَدْتُ" كما قيل: ﴿مَا عَبَدتُّمْ﴾؟

قلتُ: لأَنَّهُم كانوا يَعْبُدُون الأَصْنامَ قَبْلَ المَبْعَثِ، وهو لم يكُنْ يَعبُدُ الله تعالى في ذلك الوقتِ.

على المضارع الموصوف، فإنّها قد تدخل على الماضي بشرط التكرير،[١] نحو: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة ٣١/٧٥]، وقد لا تُكرَّر، نحو: أيَّ فعلٍ سيءٍ[٢] لا فَعَلَه، وأيضًا تدخل على الاسم، نحو: لا رجلَ في الدار بالفتح، ولا رجلٌ في الدار بالرفع، / ولا زيدٌ في الدار ولا عمروٌ، وكذا قوله: ("ما" لا تدخل إلّا على مضارع في معنى الحال) لكثرة دخولها[٣] على غير المضارع، كقوله[٤] تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ﴾ [الأحزاب ٤٠/٣٣]، ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف ٣١/١٢]. [٤٧و]

قوله: (فإن قلت: فهلّا قيل: ما عبدتُ) أي: مكان قوله: ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ ليكون الكلام هكذا: "ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما عبدتُ"، فأجاب: بأنّ الكفّار كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث، فاستقام أن يقال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾، وأمّا هو[٥] -أي: النبيّ عليه الصلاة والسلام- فلم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت، أي: قبل المَبعث، فلم يستقِم أن يقال: ولا أنتم عابدون ما عبدتُ،

---

[١] ن: التكوير.
[٢] ن: شيء.
[٣] ن: وقوعها.
[٤] ن: لقوله.
[٥] ن – هو.

فإن قلتَ: فلِمَ جاء على ﴿مَا﴾ دُونَ "مَن"؟

قلتُ: لأنَّ المرادَ الصِفةُ؛ كأنَّه قال: لا أَعبُدُ الباطِلَ ولا تَعْبُدُونَ الحقَّ.

وقيلَ: إنَّ ﴿مَا﴾ مَصْدَرِيَّةٌ؛ أي: لا أَعْبُدُ عِبادَتَكُم ولا تَعْبُدُونَ عبادَتِي.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾: لكُم شِرْكُكُم ولي تَوْحِيدِي.

وهذا مبنيٌّ على أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام قبل البعثة لم يكن على شريعة أحدٍ مِن الأنبياء، واختاره الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله،[١] واستدلّ عليه بأنّ الشرائع السابقة على شريعة عيسى صارت منسوخةً بشريعة عيسى عليه السلام،[٢] وأمّا شريعة عيسى عليه السلام فقد صارت منقطعة[٣] بسبب أنّ الناقلين عنهم النصارى، وهم كفّار بسبب القول بالتثليث،[٤] والذين بَقُوا على شريعة عيسى مع البراءة عن التثليث فكانوا قليلين، فلم يكن قولهم حجة. هذا كلام الإمام فخر الدين الرازي،[٥] وهو صحيح فيما قصده الإمام، لكنه لا يدلّ على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت، كيف وقد ورد في الحديث: "أنّه عليه الصلاة والسلام كان يتعبّد،[٦] كان يتحنّث"،[٧] فالجواب عن سؤال المصنِّف: أنّه إنّما قال: ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾، ولم يقل: ما عبدت؛ لأنّ الغرض أن يقرِّر أنّهم لم يعبدوا قطُّ ما يعبده[٨] في زمان النبوّة وهو على عبادته؛[٩] لأنّ العبادة المعتبرة هي التي بعد الوحي؛ لأنّها عن معرفة وإيقان،[١٠] فَنَسَب العبادة إلى ذلك الوقت، وأيضًا يريد أن يقول: ما عبدتُم قطُّ ما أعبده الآن، وأدعوكم إلى عبادته، بل عبدتُم مدةَ عمركم غيرَه، وضَرِيتُم[١١] بعبادة غيره، فلا ترجعون إلى ما أنا عليه وأدعوكم إليه.

---

١ د – رحمه الله.

٢ ف ن – عليه السلام.

٣ ن: منقلعة.

٤ ن: بالثلث.

٥ انظر: المحصول للرازي، ٣/٢٦٣.

٦ ن: يعبد.

٧ صحيح البخاري، ١/٧ (٣)؛ صحيح مسلم، ١/١٣٩ (١٦٠).

٨ ن: يعبدوه.

٩ ن: عبادة.

١٠ ن: وابقا.

١١ ن: وهم يتم. | ضَرِيَ به ضَرًا وضَراوَةً: لهِجَ، وقد ضَرِيتُ بِهذا الأمر أَضْرَى ضَراوَةً. ويُقال: ضَرِيَ الشيءُ بالشيءِ إذا اعتادَه فلا يكادُ يصبرُ عنه. لسان العرب لابن منظور، «ضرا».

والمَعنى: إنّي نَبيٌّ مَبعُوثٌ إليْكُم لِأَدْعُوَكُم إلى الحَقِّ والنَّجاة، فإذا لم تَقبَلُوا منّي ولم تَتَّبِعُوني فدَعُونِي كَفافًا ولا تَدْعُونِي إلى الشِّرك.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سُورة الكافرون فكأنّما قَرأ رُبْعَ القُرآنِ وتباعَدَتْ مِنه مَرَدَةُ الشَّياطين وبَرِئَ من الشِّرك ويُعافَى من الفَزَعِ الأكبَرِ».

قوله: (كَفافًا) أي: تكفُّون عنّي وأكفُّ عنكم، فنكون سواءً[1] في المُكافَّة.[2]

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[3]

---

[1] ن + سواء.

[2] ن: المكانة.

[3] ف ن - تمّت السورة بحمد الله تعالى.

سورة النصر

مدنية، وهي ثلاث آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾

﴿إِذَا﴾ منصُوبٌ بـ﴿سَبِّحۡ﴾ وهُو لِمَا يُستَقبل، والإعلامُ بذلك قبلَ كَوْنه من أَعْلام النُّبوَّةِ.

رُوِيَ: أَنَّها نزلت في أيّامِ التَّشرِيق بمِنًى في حجَّةِ الوَداع.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بينَ النَّصرِ والفَتحِ حتَّى عُطِفَ عليه؟

قلتُ: النَّصرُ: الإغاثَةُ والإظهارُ على العَدُوِّ، ومنه: نَصَرَ اللهُ الأرْضَ: غاثَها، والفَتحُ: فَتحُ البلادِ، والمَعنى: نَصْرُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على العَرب أو على قُرَيْشٍ وفتْحُ مكَّةَ.

وقيل: جِنْسُ نَصْرِ الله المؤمِنين، وفتحُ بلادِ الشِّركِ عَلَيْهم.

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (قبل كونه) أي: قبل وجوده مِن أعلام، أي: علامات.

قوله: (وروي) فعلى هذا لا يكون الإعلام به قبل وقته.

١ ف ن – وبه نستعين.

وكانَ فَتحُ مكَّةَ لِعَشرٍ مَضينَ من شَهر رمَضانَ سنَةَ ثمانٍ، ومَع رسُولِ الله عشرَةُ آلافٍ من المُهاجرين والأنصَار وطَوائفِ العَرب، وأقَام بهَا خمسَ عَشرةَ لَيلَةً ثمَّ خرَج إلى هَوازِنَ، وحِينَ دَخلَها وقَف على باب الكعبةِ ثمَّ قال: «لا إله إلا اللهُ وَحْده لا شريك له، صَدَقَ وعْدَه، ونَصَر عَبْدَهُ، وهَزم الأَحْزَابَ وَحْدهُ» ثمَّ قال: «يا أهْلَ مَكَّة ما ترُونَ أنّي فاعِلٌ بكُم» قالُوا: خيرًا، أَخٌ كرِيمٌ وابنُ أَخٍ كريمٍ، قال: «اذهَبُوا فأنتُم الطُّلَقاءُ» فأعتَقَهُم رسُولُ الله وقد كان الله أَمْكَنَهُ مِن رقَابهم عَنْوةً وكانُوا له فَيْئًا، فلذلك سُمِّي أَهْلُ مكَّةَ الطُّلَقاءَ، ثمَّ بايَعُوهُ على الإسْلام.

قوله: (إلى هوازِن) أهل حُنين.

قوله: (وعده)[1] أي: في وعده.

قوله: (وقد كان الله تعالى أمكنه مِن رقابهم عَنوةً) قال أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما:[2] مكّة فُتحت عَنوةً،[3] وقال الشافعيّ رضي الله عنه:[4] فُتحت صُلْحًا،[5] واحتجَّ أصحاب الشافعيّ بقوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾ [الفتح ٤٨/٢٠-٢١]، قيل: التي عُجِّلت لهم غنائم حُنين، والتي لم يقدروا عليها غنائم مكّة، والمعنى: لم تقدروا بالقهر، وفي قصة فتح مكّة: أنَّ أبا سفيان[6] طلب الأمان لأهل مكّة فعقد رسول الله عليه الصلاة والسلام لهم الأمان وهو بمَرِّ الظُّهران، فقال: «مَن دخل المسجد فهو آمنٌ، ومَن دخل دار أبي سفيان[7] فهو آمنٌ، ومَن ألقى سلاحه فهو آمنٌ، ومَن أغلق بابه فهو آمنٌ»،[8] واستثنى رجالًا[9] [٤٧١ظ] / مخصوصين أمر بقتلهم،[10] وأيضًا فإنّه عليه الصلاة والسلام لم يَقتُل ولم يَسْبِ

---

١ ن: وعدة.

٢ د ن – رضي الله عنهما.

٣ ن: عنرة. | انظر: تبيين الحقائق للزيلعي، ٣/٢٤٩؛ مواهب الجليل للرعيني، ٥/٤٢٣.

٤ د – رضي الله عنه.

٥ انظر: روضة الطالبين للنووي، ١٠/٢٧٥.

٦ ف: سفين.

٧ ف: سفين.

٨ صحيح مسلم، ٣/١٤٠٧ (١٧٨٠)؛ سنن أبي داود، ٤/٦٣٣ (٣٠٢١).

٩ ن: زجالًا.

١٠ انظر: سنن أبي داود، ٤/٣١٨ (٢٦٨٣).

﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: في مِلَّةِ الإسلام التي لا دِين له يُضاف إليه غَيْرُها ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران ٣/٨٥].

﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعاتٍ كثيفَةً كانتْ تَدخُل فيه القَبيلةُ بأسرها بعْدَ ما كانُوا يَدْخلُون فيهِ واحدًا واحِدًا وَاثنَيْنِ اثنينِ.

وعن جابر بن عبد الله: أنّه بكَى ذاتَ يَوْمٍ، فقيل له، فقال: سَمِعتُ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقولُ: «دَخَل الناسُ في دينِ الله أَفواجًا وسَيَخرجُون مِنه أفواجًا».

ولا قسَم عَقارًا ولا منقولًا، ولو فتحت عَنوةً لكان الأمر بخلافه، وقال القاضي الرويانيّ[١] في الحاوي:[٢]

> إنّ أسفلَ مكّة دخلها خالد بن الوليد عَنوةً، وأعلاها دخل[٣] الزبير بن العوّام، ودخل النبي عليه الصلاة والسلام مِن جهة الزبير،[٤] فصار حكم جهته الأغلب، ولم يَقسِم أسفل مكّة لأنّ القتال كان على جبالها، ولم يكن فيها، وقد علّل أبو حنيفة امتناعَ النبيّ عليه الصلاة والسلام عن قسمةِ العقارات بأنّها خُلقت حُرّةً، ويقول: لا يجوز بَيع دُور مكّة، وعندنا دُورُها وعِراصُها المُحياة[٥] مملوكةٌ في سائر البلاد، ولم يزَل كان الناس يتبايعونها، ويُروَى أنّ عمر رضي الله عنه[٦] اشترى حجرةَ سَودة[٧] بمكّة،[٨] وأنّ حكيمَ بن حِزام باع دار الندوة مِن معاوية.[٩]

وقال إمام الحرمَين: «إنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام دخل مكّة مستعِدًّا للقتال لو قوتِل، إلّا[١٠] أنّه لم يقاتَل واستؤمن... فأمّا الفتح عَنوةً على معنى أنّه مُنع فقاتَل فلم يتحقّق»،[١١] ويمكن تفسير قول المصنِّف عَنوةً بهذا، وفيه تعسُّف.

---

١ ن: الزرباني.

٢ كذا في الأصول المخطوطة، والصحيح أنّ كتاب الحاوي للقاضي أبي الحسن الماوردي وليس للقاضي الرُّوياني، وهذا النصّ الذي أورده الجاربردي هنا نقله الإمام الرافعي عن صاحب الحاوي في الشرح الكبير، ٤٥٦/١١.

٣ ن: دخلها.

٤ ن: البير.

٥ ن: للحياة.

٦ د - رضي الله عنه.

٧ ن: سوة.

٨ ن: مكة. | السنن الكبرى للبيهقي، ٤٣٠/١١ (١١٢٩٢).

٩ السنن الكبرى للبيهقي، ٤٣٠/١١ (١١٢٩٣).

١٠ ن - إلا.

١١ نهاية المطلب للجويني، ٥٠٥/١٧.

وقيل: أرَاد بالنَّاسِ أهْلَ اليَمنِ، قال أبُو هُرَيرةَ: لمَّا نزلَتْ قال رسُول الله: «اللهُ أكبَرُ جاءَ نصْرُ الله والفَتحُ وجاء أهْلُ اليَمنِ: قَومٌ رقِيقةٌ قلُوبُهم، الإيمانُ يَمانٍ والفِقهُ يَمانٍ والحكمةُ يَمانِيَّةٌ».

قوله: («الإيمان يَمانٍ»)[١] اليمَن: ما كان عن يمين الكعبة مِن بلاد الغَور، قال أبو عُبيد: مكة مِن أرض تِهامةَ، وتهامةُ مِن أرض اليمَن،[٢] وبهذا سميت مكّة وما وَلِيَها[٣] مِن أرض الحجاز تهائِمَ، فمكّة على هذا التقدير يمانيّة، ومنها ظَهَرَ الإيمان، وقال: فيه وجهٌ آخر، وهو أنّه عليه الصلاة والسلام قال[٤] وهو بتبوك، ومكّةُ والمدينةُ حينئذٍ بينه وبين اليمَن، فأشار إلى ناحية اليمَن وهو يريد مكّة والمدينة، وقيل: عنَى الأنصار لأنّهم يمانون، وقال الإمام التوربشتيّ:

> هذه وجوهٌ متقاربةٌ مع ما فيها مِن التعمُّق وبُعد[٥] التناسب بين الأوّل والآخر، فإنّه قال: «جاءَكم أهل اليمن» يخاطب أصحابه والجمهور منهم أهل الحرمَين وما حولهما،[٦] فعلمنا أن المبشَّر بهم غير المخاطَبين، ثمّ وصفهم بقوله: «أرقُّ[٧] أفئدةً»،[٨] ثمّ أشار إلى ثمرة الرِّقّة واللِين، وهي الإيمان والحِكمة، وقوله: «الإيمان يَمانٍ» لا ينفي كونَه حجازيًّا، وإنّما يُنبِئُ[٩] عن استعداد أهل اليمَن لقَبول ذلك وفُشُوّه فيهم واستقرار أمرهم عليه، فإنّه فُتِحت بإمدادهم الشام والعراق زمنَ عمرَ بن الخطاب. و"الحكمة": كلُّ كلمةٍ صالحةٍ تمنع صاحبَها عن الوقوع في الهلَكات، فلمّا كانت قلوبهم معادنَ الإيمان وينابيعَ الحكمة وكانت الخَلَّتان منتهَى هِمَمِهم[١٠] نَسَب الإيمانَ والحكمة إلى معادنِ نفوسهم ومَساقطِ رءوسهم نسبةَ الشيء إلى مقرِّه.[١١]

---

١ ن: يان. | صحيح البخاري، ١٧٩/٤ (٣٤٩٩)؛ صحيح مسلم، ٧١/١ (٥٢).

٢ ن: يمن.

٣ ن: يليها.

٤ أي: قال هذا الحديث.

٥ ن: بعد.

٦ ن: حولها.

٧ ن: أرت.

٨ صحيح البخاري، ١٧٩/٤ (٣٤٩٩)؛ صحيح مسلم، ٧١/١ (٥٢).

٩ ن – والحكمة، وقوله: (الإيمان يمان) لا ينفي كونه حجازيًا وإنّما ينبئ.

١٠ ن: صممهم.

١١ الميسّر للتوربشتي، ١٣٥٦/٤.

وقال: «أَجِدُ نفَسَ رَبِّكُم مِن قِبَلِ اليَمنِ».

وعن الحَسنِ: لمَّا فتحَ رسولُ الله مكَّةَ أقبَلَتِ العَربُ بَعضُها على بَعضٍ فقالُوا: أمَّا إِذْ ظَفِرَ بأهْلِ الحَرم فليس بهِ يَدانِ، وقد كانَ اللهُ أجَارهُم مِن أصحابِ الفيلِ وعن كُلِّ مَن أرَادَهُم، فكانُوا يَدخلُون في الإسْلام أَفواجًا مِن غيرِ قِتالٍ.

وقرأَ ابنُ عبَّاس: "فتْحُ اللهِ والنَّصْرُ".

وقرئ: "يُدْخَلُونَ" على البناءِ للمفعُول.

فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿يَدْخُلُونَ﴾؟

قلتُ: النَّصبُ: إمَّا على الحال على أنَّ ﴿رَأَيتَ﴾ بمَعْنَى: أبصَرتَ، أو عَرفْتَ، أو هُو مَفعُولٌ ثانٍ على أنَّه بمَعنى: عَلِمْتَ.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فقُل: سُبْحان اللهِ، حامدًا لهُ؛ أي: فتعجَّبْ لِتَيسير اللهِ ما لم يخطُر ببَالِك وبالِ أحَدٍ مِن أن يَغْلِبَ أَحَدٌ على أَهل الحرم، واحْمَدْهُ على صُنْعِهِ.

أو: فاذكُرهُ مُسَبِّحًا حامِدًا زيادةً في عبادته والثَّناءِ عليه؛ لزيَادةِ إنعامِهِ عَليك.

أو: فَصَلِّ له.

رَوَتْ أُمُّ هَانِئٍ: أنَّه لمَّا فُتِحَ بَابُ الكعبة صَلَّى صلَاةَ الضُّحَى ثمانِيَ ركعاتٍ.

وعن عائشة رضي الله عنها: كان يُكثِرُ قبل مَوتِهِ أَن يَقُول: «سُبْحانك اللَّهم وبحَمْدِكَ أَسْتَغفِرُك وأتُوبُ إليك».

قوله: (وقال: «أجد نفَس ربِّكم»)[١] أراد به: الفَرَج.

قوله: (فليس به[٢] يدان) أي: ليس به طاقة.

قوله: (أجارَهم) أي: أنقذهم، يعني: أهلَ الحرَم.

قوله: (ما لم يخطر)... إلخ، "ما" مفعول للتيسير،[٣] و"مِن" بيان.

---

١ مسند الإمام أحمد، ٥٧٦/١٦ (١٠٩٧٨).

٢ ن – به.

٣ ن: للتبشير.

والأَمْرُ بالاستِغفارِ معَ التَّسبيحِ تكميلٌ للأَمْرِ بما هو قِوامُ أَمْرِ الدِّينِ: مِن الجمع بين الطَّاعَةِ والاحتِراسِ من المعصيَةِ، ولِيَكُون أَمْرُهُ بذلك مع عِصْمتِه لُطْفًا لأُمَّته، ولأنَّ الاستغفارَ من التَّواضُعِ للهِ وهَضْمِ النَّفسِ فهُو عبادةٌ في نفسِه.

وعن النَّبي عليه السلام: «إنِّي لأَستَغْفِرُ الله في اليوم واللَّيلة مئةَ مرَّةٍ».

وَرُوِي: أنَّه لما قَرأها رسولُ الله على أصحابِهِ استَبْشَرُوا وبَكَى العبَّاسُ، فقال عليه السلام: «ما يُبْكِيكَ يا عم؟» قال: نُعِيَتْ إليكَ نفسُكَ، قال: «إنَّها لَكَمَا تَقُولُ»، فعاشَ بَعْدَها سَنَتَيْنِ لم يُرَ فيهما ضَاحكًا مُسْتَبْشِرًا.

وقيل: إنَّ ابن عباس هو الَّذي قال ذلك، فقال رسولُ الله: «لقَدْ أُوتِيَ هذا الغلامُ علْمًا كثِيرًا».

وروي: أَنَّها لمَّا نزلَتْ خَطَب رسُول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنَّ عَبْدًا خَيَّرهُ اللهُ بَيْن الدُّنيَا وبين لِقائهِ فاختارَ لِقَاءَ اللهِ» فعَلِم أَبُو بكرٍ رضي الله عنه فقال: فدَيْناك بأنفُسِنا وأمْوالِنا وآبَائنا وأوْلادِنا.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ عُمرَ كان يُدْنِيه ويَأْذَنُ له مَع أَهْلِ بَدْرٍ، فقال عبْدُ الرحمن: أَتَأْذَنُ لهذا الفَتَى مَعَنا وفي أبنَائِنَا مَن هُو مِثْلُه؟! فقال: إنَّه ممَّن قد عَلِمْتم. قال ابنُ عبَّاسٍ: فأَذِنَ لهُم ذاتَ يَوْمٍ وأَذِنَ لي مَعَهُم، فسَأَلهم عن قولِ الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ ولا أُرَاهُ سَأَلهُم إلَّا مِن أَجْلِي، فقال بَعضُهم: أَمَر اللهُ نَبِيَّهُ إذا فَتَح عليه أَنْ يَستَغْفِرَهُ ويَتُوبَ إليه، فقلتُ: لَيْسَ كذلك، ولكِن نُعِيَتْ إلَيْهِ نَفْسُه، فقال عُمَرُ: ما أَعْلَمُ مِنها إلَّا مِثْلَ ما تَعلم، ثمَّ قال: كيْفَ تلُومُونَنِي عَليه بعدَ ما تَرَوْنَ.

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: أَنَّه دَعا فاطِمةَ رضي الله عنها فقالَ: «يا بنتَاهُ إنَّه نُعِيَتْ إليَّ نَفْسِي» فبَكتْ فقال: «لا تَبْكِي فإنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي».

قوله: (كان يُدنيه ويأْذَن له)[١] أي: يقدِّمُه ويسوِّيه مع الشيوخ.

---

١ صحيح البخاري، ٢٠٤/٤ (٣٦٢٧).

وعن ابن مسعودٍ أَنَّ هذه السُّورةَ تُسمَّى: سُورةَ التَّودِيعِ.

﴿كَانَ تَوَّابًا﴾؛ أي: كان في الأَزْمِنَةِ الماضيَةِ مُنْذُ خَلقَ المُكَلَّفينَ تَوَّابًا عليهم إذا استَغْفَرُوا، فعَلى كُلِّ مُستَغْفرٍ أن يَتوقَّع مِثلَ ذلك.

عن رسول الله عليه السلام: «مَن قَرأَ سُورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ أُعْطِيَ من الأَجْر كمَن شَهِدَ مَع محمَّدٍ يوْمَ فتْحِ مكَّةَ».

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[1]

[1] ف – السورة بحمد الله تعالى؛ ن: تعلى.

سورة تبّت

مكية بالاتفاق، وهي خمسُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۞﴾

"التَّبَابُ": الهَلاكُ، ومِنه قولهُم: أَشَابَّةٌ أم تَابَّة؛ أي: هالِكةٌ مِن الهَرَم والتَّعْجيز، والمَعنى: هلكَتْ يدَاهُ لأنّه فيما يُروى أخَذ حَجَرًا لِيَرْمِيَ بِهِ رسُول الله عليه السلام.

﴿وَتَبَّ﴾: وهَلك كلُّهُ، أو جُعِلَتْ يدَاه هَالِكتَيْن والمراد هلاكُ جملَته؛ كقَوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج ١٠/٢٢] ومَعْنى ﴿وَتَبَّ﴾: وكان ذلك وحصَل؛ كقَوله:

سورة تبّت

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

/ قوله: (أي: هالكة) يعني: أهي شابّةٌ أم عجوزٌ؟ [٤٧٢و]

قوله: (والتعجيز) عجَّزَت المرأة إذا صارت عجوزًا.

قوله: (لأنّه) متعلِّق بقوله: (والمعنى)، كأنّه قيل: عُنِيَ وأُريدَ هذا المعنى لأنّه...

قوله: (أو جُعلتْ) عطفٌ على قوله: (والمعنى: هلكَت يداه).

قوله: (ومعنى: ﴿وَتَبَّ﴾) أي: على التفسير الثاني.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

جَـزانـي جَــزاهُ اللهُ شَــرَّ جَـزائـهِ   جَـزاءَ الكـلابِ العـاويات وقَـد فعَلْ

ويدُلُّ عليه قراءةُ ابن مسعود رضي الله عنه: "وقَدْ تَبَّ".

ورُوي: أنّه لمّا نَزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء ٢١٤/٢٦] رَقِي الصَّفا وقال: يا صَباحَاهُ، فاستَجْمعَ إليه النَّاسُ من كلِّ أوْبٍ، فقال: «يا بنِي عبدِ المُطَّلِب، يا بَني فِهْرٍ، إنْ أخبَرتكُمْ أنَّ بِسَفْحِ هذا الجَبلِ خَيْلًا أكُنْتم مُصَدِّقيَّ؟» قالوا: نعَمْ، قال: «فإنِّي نَذيرٌ لكُم بَيْن يدَي السَّاعةِ» فقال أبُو لهَبٍ: تبًّا لكَ ألِهذَا دَعوْتَنا؟! فنزلَتْ.

قوله: (جَزانِي)... البيتَ،[١] أي: جَزاني[٢] جزاءَ[٣] الكلاب العاديات، جزاه الله شرَّ جزائه وقد فعل، والاستشهاد في: "قَد فَعَل".

قوله: (ويدلُّ عليه) أي: على هذا التفسير الثاني، وأمّا على التفسير الأوّل فهما[٤] دعاءان: الأوّل: على يديه لرفعه[٥] الحجَر بهما، والثاني: عليه.

قوله: (يا صَباحاه) هذه الكلمة يقولها المنذر عند إيقاده النار إذا أحسَّ بجيشٍ.

قوله: (مِن كلِّ أوْب) قولهم: جاءوا[٦] مِن كلِّ أوْب، أي: مِن كلّ ناحيةٍ.

قوله: (يا بني فِهْرٍ) فِهْرٌ أبو قبيلة مِن قريش، وهو فِهْر بن مالك بن النَضر بن كِنانة.

قوله: (بسفحِ)[٧] سفحُ الجبل: أسفله حيث يُسفَح فيه الماء، أي:[٨] يُصَبُّ، وهو مضطجَعُه،[٩] وسَفَحْتُ الماء: صببتُه.

---

[١] كأنّ هذا البيت ملفّق مِن بَيتين: الأوّل:

جَزَى اللهُ عبسًا في المَواطنِ كُلِّها   جـزانـي جـزاه الله شـرَّ جـزائِـهِ

جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وَقد فعلْ   جـزاءَ سِنِـمّـارٍ ومـا كـان ذا ذنْـبِ

وهو منسوب لعبد العزّى بن امرىء القيس الكلبي، كما في ربيع الأبرار للزمخشري، ١٣/٢. والثاني:

جـزى ربُّـه عَـنِي عَـدِيَّ بـن حاتِـمٍ   جزاءَ الكلاب العاويات وَقد فعلْ

وهو منسوب لأبي الأسود الدؤلي، كما في خزانة الأدب للبغدادي، ٢٨١/١. وفي ديوان النابغة الذبياني، ص ١٩١:

[٢] ف - أي جزاني.

[٣] ن: جزأ.

[٤] ن: فيما.

[٥] ن: لرفعة.

[٦] ن: جازا.

[٧] ن: يفسح.

[٨] ن - أي.

[٩] ن: مضطعجه.

فإن قلتَ: لِمَ كنَّاه والتكنِيةُ تكرِمَةٌ؟

قلتُ: فيه ثلاثة أوْجُه:

أحدها: أن يكون مُشتَهِرًا بالكُنيَةِ دُون الاسْمِ، فقَد يكُون الرَّجُلُ مَعْرُوفًا بأحدهما ولذلك تُجْرَى الكُنْيَةُ على الاسم أو الاسْمُ على الكُنْيَةِ عطْفَ بيانٍ، فلمَّا أُرِيدَ تَشهِيرُهُ بدَعْوة السُّوء وأَن تبقَى سِمَةٌ له ذُكِرَ الأشهَرُ مِن عَلَمَيْهِ، ويؤيِّدُ ذلك قراءةُ مَن قَرأ: "يدا أبُو لهبٍ"، كما قيل: عليُّ بنُ أبُو طالبٍ، ومُعاويةُ بن أَبُو سُفْيانَ؛ لئلَّا يُغيَّر مِنه شَيءٌ فيُشكِلَ على السَّامع، ولِفَلِيتةَ بنِ قاسمٍ أميرِ مكَّةَ ابنانِ أحَدُهما: "عبْدِ الله" بالجرِّ، والآخرُ: "عبدَ الله" بالنَّصْبِ.

والثاني: أنَّه كان اسمُه عبدَ العُزَّى فعُدِل عنه إلى كُنْيتِه.

والثَّالثُ: أنَّه لمَّا كان من أَهْلِ النَّار ومَآلهُ إلى نارٍ ذاتِ لَهَبٍ، وافَقَتْ حالُه كُنيَتَهُ فكان جَدِيرًا بأَن يُذكر بهَا ويُقالَ: أبُو لهَبٍ؛ كما يُقال: "أبو الشَّرِّ" للشِّرير، و: "أبُو الخيْرِ" للخيِّرِ، وكمَا كنَّى رسُولُ الله أَبا المُهلَّبِ: أبَا صُفْرَةَ؛ لِصُفرةٍ في وجْهِه.

وقيل: كُنِّيَ بذلك ....

قوله: (ولذلك)[1] أي: لأجل أنّ الرجل[2] قد يكون معروفًا بالاسم دون الكنية، وبالعكس يُجرى ما هو أعرف به على غير ما هو أعرف به ليكون عطفَ بيانٍ، وأشار المصنِّف بهذا إلى أنّ عطف البيان ينبغي أن يكون أعرف مِن متبوعه.

قوله: (فلما أُريد) مُرتَّبٌ على قوله: (أن يكون مشتهِرًا) وقوله: (فقد يكون)... إلخ، كالجملة المعترضة.

قوله: (وقيل: كُنِيَ) أي: أبو[3] لهبٍ، هذا إشارة إلى وجهٍ آخر لذِكر التَّكنية،

---

[1] ن: وكذلك.

[2] ف – أن الرجل.

[3] ن – أبو.

لِتلهُّبِ وَجْنَتَيْهِ وإشْراقهما، فيجوز أنْ يُذكَر بذلك تَهكُّمًا بهِ وبافتخاره بذلك.

وقرئ: ﴿أَبِى لَهْبٍ﴾ بالسكون، وهو من تغيير الأَعْلام؛ كقولهم: "شُمْسُ بن مالكٍ" بالضَّم.

﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ استفهامٌ في مَعْنى الإنكار، ومَحلُّه النَّصْبُ، أو نفيٌ.

و﴿ما كَسَبَ﴾ مَرْفوعٌ و"ما" مَوصُولةٌ أو مَصدَرِيَّةٌ بمَعْنى: ومَكسُوبُه، أو: وكَسْبُه.

والمعنى: لم يَنفعْهُ مالهُ وما كسَب بمالِهِ، يَعْني: رأسَ المال والأَرْباحَ.

أو: ماشِيتُهُ وما كسَب مِن نسْلِها ومَنافِعِها وكان ذا سَابِياءَ.

أو: مالُه الَّذي وَرِثَه مِن أَبيه والَّذِي كَسَبَهُ بنفْسِه.

أو: مالُه التَّالِدُ والطَّارِفُ.

وقوله: (ويجوز)... إلخ مِن تتِمّة هذا الوجه، وحاصله:[١] أنّه ذكَرَ تكنيتَه للتَّهكُّم، قال مقاتل: «كني باللَّهب لحُسنه وإشراقِ وجهه».[٢]

قوله: (وَجْنَتَيه) الوَجْنة: ما ارتفع مِن الخَدَّين، وفيها أربع لغاتٍ: وَجْنةٌ، ووِجْنةٌ، ووُجْنةٌ، وأُجْنةٌ، ورجلٌ مُوَجَّنٌ: عظيم الوَجَنات.[٣]

قوله: (شُمْسُ بن مالك) قال الحَماسيّ:

وإنّــي لَـمُـهـدٍ مِــن ثـنـائي فقاصـدٌ به لابنِ عَمِّ الصِدقِ شُمْسِ بنِ مالِكِ[٤]

قوله: (وكان ذا سابِياء) أي: وكان أبو لهَبٍ ذا حيواناتٍ كثيرةٍ لها نِتاجٌ كثيرٌ، وهو كالجملة المعترضة، و"السابياء": المَشيمة التي تخرج مع الولد، والسابياء أيضًا: النِتاج، وإذا كَثُرَ نَسل الغنم فهو السابياء، يقال: بنو[٥] فلان تروح عليهم سابياء

---

١ ن: حاصله.

٢ الكشف والبيان للثعلبي، ٣٠/٤٦٠ (المسد، ١/١١١).

٣ ن – قوله: (وجنتيه) الوجنة ما ارتفع من الخدين، وفيها أربع لغاتٍ: وَجْنةٌ ووِجْنةٌ ووُجْنةٌ وأُجْنةٌ، ورجلٌ موجَّنٌ عظيم الوجنات.

٤ قال المرزوقي: «التسمية بالشّمس كالتسمية بالبدر والهلال، وذكر بعض المتأخّرين أنّه يُروى: "شُمس بن مالك" بضمّ الشين، قال: ويكون هذا في أنّه علمٌ لهذا الرجل فقط... والأعلامُ لا مضايقةَ فيها». شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ص ١/٩٣. والبيت لتأبّط شرًا في ديوانه، ص ١٤٨.

٥ ن: بنوا.

وعن ابن عبَّاس: ﴿ما كسَبَ﴾: ولَدُه، وحكُي: أَنَّ بِني أَبي لَهَبٍ احتَكمُوا إليه فاقتتَلُوا، فقَام يَحجز بينَهُم، فدَفعَهُ بَعْضُهم فوقعَ، فغَضِبَ فقال: أَخرِجُوا عَنِّي الكسْبَ الخبيثَ.

ومنه قولُه عليهِ السَّلام: «إنَّ أطيَبَ ما يأكُلُ الرَّجلُ من كَسبِهِ، وإنَّ وَلدَهُ مِن كسْبِهِ».

وعن الضَّحَّاك: ما يَنفَعُه مالُه وعملُه الخبيث، يَعْني: كيْدَه في عَداوةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن قتادةَ: عمَلُه الَّذِي ظَنَّ أنَّه مِنْه على شيءٍ؛ كقَوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ﴾ [الفرقان ٢٥/٢٣].

وروي أَنَّه كانَ يقول: إن كانَ ما يَقُولُ ابنُ أَخِي حَقًّا فأَنا أفتَدِي مِنه نفْسِي بمالِي ووَلَدِي.

مِن مالهم، وفي الحديث: «تسعةُ أعشِراء البركة في التّجارة، وعُشرٌ[1] في السَّابِياء»،[2] والجمع: السَوابي،[3] هكذا ذُكر في الصحاح، في باب الواو والياء،[4] وقال في باب الرّاء: «العُشْر: الجزء من أجزاء العشرة، وكذلك العَشير، وجمع[5] العَشير: أعشِراء، مثل: نَصيبٍ وأنصِباءَ، وفي الحديث: «تسعةُ أعشِراء الرزق في التجارة، وجُزءٌ في السَّابِياء»، أي: النِتاج».[6]

قوله: (وحُكيَ)... إلخ، الحكاية عن أبي لهَبٍ دلّ على أنّ الكَسْب يكون بمعنى الولد، وكذلك الحديث.[7]

قوله: (منه) أي: ممّا يقول ابن أخي، فنزلت: ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾.

---

[1] ن + وعشرة وعشرة.

[2] أخرج أبو عبيد بسنده عن نعيم بن عبد الرحمن الأزدي مرسلًا، بلفظ: «تسعة أعشار الرزق»... غريب الحديث لأبي عبيد، ١/٢٩٩ (٤٦٦)، ولم أجِده بلفظ: "أعشِراء".

[3] ن – والجمع السوابي.

[4] الصحاح للجوهري، «سبى».

[5] ن + وجمع.

[6] الصحاح للجوهري، «عشر»، ولم أجد فيه في هذا الموضع قوله: "وجُزءٌ في السَّابِياء، أي: النِتاج".

[7] الحديث في سنن أبي داود، ٥/٣٨٨ (٣٥٢٨).

﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ قرئ بفتح الياء، وبضَمِّها مُخفَّفًا ومُشدَّدًا.

والسِّينُ للوَعيدِ؛ أي: هُو كائنٌ لا محالَة وإن تَراخَى وقتُه.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾: هيَ أُمُّ جميلٍ بنتُ حَرْبٍ أُختُ أبي سُفيانَ، وكانَتْ تَحمِلُ حُزمَةً مِن الشَّوكِ والحَسَك والسَّعْدانِ فتَنْثُرهَا باللَّيْلِ في طريق رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: كانت تَمْشِي بالنَّمِيمَةِ، ويُقالُ: للمَشَّاء بالنَّمائم المُفسِدِ بَيْنَ النَّاسِ: يَحْمِلُ الحطبَ بَينهُم؛ أي: يُوقِدُ بيْنَهم النَّائِرَة ويُوَرِّثُ الشَّرَّ؛ قال:

مِن البِيضِ لم تُضطَدْ على ظَهْرِ لَأْمَةٍ ولم تَمْشِ بين الحيِّ بالحَطَب الرَّطْبِ

قوله: (حزمةً) الحزمة: ما جُمع وشُدَّ وسطه مِن الحطَب والشوك وغيرهما.

[٤٧ظ] قوله: (والسَعْدان) السَعْدان: نَبْتٌ، / وهو مِن أفضل مراعي الإبل، وفي المَثَل: "مَرعًى ولا كالسَعْدان"،[1] ولهذا النبتِ[2] شوكٌ يقال له: حَسَكُ السَعْدان، وهو مدوَّرٌ يشبَّه به[3] حَلَمَةُ[4] الثدي، وإنّما قال المصنِّف: "والسَعْدان" بالعطف، ولم يقل: حَسَكُ السَعْدان بالإضافة؛ لأنّها كانت[5] تأتي بالحَسَك مع السَعْدان، لا بالحَسَك وحدَه، وذلك ليستتر الحَسَك بالسَعْدان، فيكون احتمال الضرر أكثر.

قوله: (النائرة) يُقال: بينهما نائرةٌ، أي: عداوة وشَحناء، وإطفاءُ النائرة:[6] عبارة عن تَسكين الفتنة، وهي فاعلة مِن النار. وقوله: (ويورِّث) أي: يبعث ويهيِّج، وهو مِن قولهم: وَرِث الميراث،[7] تقول:[8] أبوه أورَثه الشيء وورَّثه توريثًا.

قوله:

(مِن البِيضِ لم تُضطَدْ[9] على ظهر لَامَةٍ)...[10] البيتَ[11]

---

[1] يُضرَب مثلًا للشيء يَفضُل على أقرانه وأشكاله. مجمع الأمثال للميداني، ٢/٢٧٥.
[2] ن: البيت.
[3] ف – به.
[4] ن: حملة.
[5] ن – كانت.
[6] ن – يُقال: بينهما نائرةٌ، أي: عداوة وشَحناء، وإطفاءُ النائرة.
[7] ن: الميزان.
[8] ن – تقول.
[9] ن: تصطر.
[10] ن: الأمة.
[11] ذكره الزمخشري في أساس البلاغة، ١/١٩٨، وقال: "أنشده يعقوب".

جَعَله رَطْبًا ليَدُلَّ على التَّدْخِين الَّذِي هو زيادةٌ في الشَّرِّ.

ورُفِعت عَطفًا على الضَّمير في ﴿سَيَصْلَىٰ﴾؛ أي: سيَصْلَى هوَ وامرأتُه، و﴿فِي جِيدِهَا﴾ في مَوضِع الحال. أو: على الابتِداء و﴿فِي جِيدِهَا﴾ الخَبرُ.

وقرئَ: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ بالنَّصبِ على الشَّتْمِ، وأنَا أستحِبُّ هذِه القراءةَ، وقد توسَّلَ إلى رسُول الله بجَميلٍ مَن أحَبَّ شَتْمَ أُمِّ جميلٍ.

وقرئ: "حمَّالةٌ للحَطَبِ" و: "حمالةً للحَطَب" بالتنوينِ والرفعِ والنَّصبِ.

وقرئ: "ومُرَيَّتُهُ" بالتَّصْغِير.

"المَسَدُ": الَّذي فُتِلَ من الحِبَالِ فَتْلًا شَديدًا، مِن لِيفٍ كانَ أو جِلْدٍ أو غَيْرِهما، قال:

ومَســـــدٍ أُمِـــرَّ مـــن أيـــانِـــقِ

"لم تُضطَدْ"[1] أي: لم يَرتَكِب الأمرَ الذي يُلامُ عليه، أو لم تُوجد،[2] و"اللَّامة": هو الأمر الذي يُلام عليه.

قوله: (ورُفِعَتْ) أي: ﴿ٱمْرَأَتُهُ﴾.

قوله: (في مَوضع الحال) على تقدير أن تكون ﴿ٱمْرَأَتُهُ﴾ عطفًا على الضمير.

قوله: (أو على الابتداء) عطف على قوله: (عطفًا)، كأنّه[3] قال: رُفِعَت على العطف على الضمير، أو رُفِعَت على الابتداء.

قوله: (بجَميلٍ مَن أحبَّ) أي: بعمَلٍ جميلٍ، يعني: إنّي أحبَبتُ شَتْمَ أمّ جَميلٍ بحُبّ هذه القراءة، فتوسَّلتُ إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام بأمرٍ جميلٍ.

قوله:

(ومَـــسَـــدٍ أُمِـــرَّ مِـــن أيـــانِـــقِ)

---

[1] ن: تصطر.

[2] ن: يوجد.

[3] ن – قوله: (في مَوضع الحال) على تقدير أن تكون ﴿ٱمْرَأَتُهُ﴾ عطفًا على الضمير. قوله: (أو على الابتداء) عطف على قوله: (عطفًا)، كأنّه.

ورَجُلٌ مَمْسُودُ الخَلْق: مَجدُولُه.

والمَعنى: في جِيدِها حَبْلٌ مِمَّا مُسِدَ مِن الحبالِ، وأنَّها تَحْمِلُ تِلك الحُزْمَة من الشَّوْك وتَرْبِطُهَا في جِيدِهَا كما يَفْعَلُ الحطَّابُونَ؛ تَخْسِيسًا لحالِهَا وتحْقيرًا لها، وتصويرًا لهَا بصُورة بعض الحطَّاباتِ مِن المَواهِن؛ لِتَمْتعِضَ من ذلك ويَمتعضَ بَعْلُها وهُما في بَيْتِ العزِّ والشَّرفِ، وفي مَنْصِب الثَّرْوَةِ والجِدَةِ.

ولقد عَيَّرَ بَعضُ الناسِ الفَضْل بن العبَّاسِ بن عُتبَةَ بنِ أبي لهَبٍ بحمَّالةِ الحَطبِ، فقال:

مـاذا أرَدْتَ إلـى شَـتْمِي ومَنْقَصَتِـي أَمْ ما تُـعَـيِّرُ مِـن حَـمَّـالـةِ الـحَـطَبِ
غَـرَّاءُ شَـادِخَـةٌ في الـمَـجْدِ غُرَّتُـها كـانَـتْ سَليلةَ شَيخٍ ثَاقـبِ الحَسَبِ

ويحتمِلُ أن يكـونَ المَعنى: أَنَّ حالَهـا تكون فـي نَـار جَهنَّم على الصُّـورة التي كانت عليها حِينَ كانت تحمِلُ حُزْمَة الشَّوكِ، فلا تَزالُ على ظَهْرِهَا حُزْمةٌ

آخره:

لَـسْـنَ بِـأَنْـيـابٍ وَلا حَـقـائِـقِ[1]

"أيانِق"[2] جمع أَينُقٍ،[3] وهو جَمع ناقةٍ.

قولـه: (تخسيسًـا) مفعـول لـه مِـن قولـه: (والمعنـى) كأنّـه قيـل: أريـد هـذا المعنى تخسيسًا.

قوله: (مِن المَواهِنِ) "المَواهنُ" جمع الماهِنة؛ وهي الخادمة.

قوله: (لِتَمتَعِضَ)[4] أي: لتَجزَع وتغضَب.

قوله:

(مـاذا أردتَ إلـى شَـتْمي)... البيتَيـن[5]

---

[1] قال ابن منظور: «أنشده الأصمعي لِعُمارةَ بن طارقٍ، وقال أبو عُبَيد: هو لِعُقبةَ الهُجَيْمِي». لسان العرب لابن منظور، «مسد».
[2] ن - أيانق.
[3] ن: أنين.
[4] ن: لتمتغض.
[5] ن: البنتين.

من حَطْبِ النَّارِ مِن شَجرة الزَّقُّوم أو من الضَّرِيع، وفي جِيدهَا حَبْلٌ ممَّا مُسِدَ مِن سَلاسلِ النَّارِ؛ كما يُعذَّبُ كُلُّ مُجْرِم بمَا يُجانِسُ حالَهُ في جُرْمِه.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سُورة ﴿تَبَّتْ﴾ رَجَوْتُ أَنْ لا يجمعَ اللهُ بيْنَه وبينَ أبي لهَبٍ في دارٍ واحِدَةٍ».

"إلى شَتْمي" متعلِّق بمحذوف، أي: مائِلًا إلى[1] شَتْمي، ويجوز أن يتعلَّق بـ"أرَدتَ" على تضْمين معنى مِلْتَ، فيكون "ماذا" في محلِّ المصدر، أي: أيَّ،[2] و"غُرَّةٌ"[3] شادِخة" إذا فَشَت في الوجه مِن الناصية إلى الأنف، ولم تُصِبِ العينين، قيل: قال معاوية لعَقيل بن أبي طالب: ما حال عمِّك أبي لهَبٍ؟[4] قال: "في النار مفترِشًا عمَّتَك حمَّالةَ الحطَب".[5]

تمَّت السورة بحمد الله تعالى ومنِّه وكرمه.[6]

---

[1] ف ن: أي.
[2] ن – أيَّ.
[3] ف: غرّة.
[4] ن – قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ما حال عمّك أبي لهب؟
[5] الفاضل للمبرّد، ص ٩٣.
[6] ف – تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن – ومنّه وكرمه.

سورة الإخلاص

مكيةٌ، وقيل: مدنية. وهي أربعٌ أو خمسُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ③ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ④﴾

﴿هُوَ﴾ ضمِيرُ الشَّأن، و﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشَّأنُ؛ كقولك: "هُو زيدٌ منطلقٌ"؛ كأنَّه قيل: الشَّأنُ هذا وهو أَنَّ اللهَ واحدٌ لا ثانِيَ لهُ.

فإن قلتَ: ما محَلُّ ﴿هُوَ﴾؟

قلتُ: الرَّفعُ على الابتداءِ، والخبَرُ الجُمْلَةُ.

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

في الأخبار: «مَن قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثُلُثَ القرآن»؛[2] لأنّ القرآن كلَّه يشتمل على ثلاثة أشياء: الأوّل: توحيد الله وذِكر صِفاته. والثاني: الأوامر والنواهي[3] التي هي تكاليف الشرع. والثالث: قَصَصُ الأنبياء والمواعظ. وسورة الإخلاص متجرِّدةٌ للتوحيد، فتضمَّنت ثُلُث القرآن على طريق الإجمال.

قوله: (هو الشأن) ضمير فصْلٍ.[4]

---

[1] ن فلا – وبه نستعين.

[2] عن أبي الدرداء، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلةٍ ثلُثَ القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلُثَ القرآن؟ قال: «﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدِل ثلث القرآن». صحيح مسلم، ١/٥٥٦ (٨١١)؛ وفي صحيح البخاري، ٦/١٨٩ (٥٠١٣) نحوه عن أبي سعيد الخدري.

[3] ن: والنهي.

[4] ف + قوله: (هو الشأن) ضمير فصل.

فإن قلتَ: فالجُملةُ الواقِعةُ خبرًا لا بُدَّ فيهَا مِن راجع إلى المبتدأ فأينَ الرَّاجعُ؟

قلتُ: حُكْمُ هذه الجُملةِ حُكمُ المُفرد في قَولك: "زيدٌ غلامُك" في أنَّه هو المُبتدأُ في المَعْنى، وذلك أنَّ قولَه: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ هُو الشَّأنُ الَّذِي هو عبَارةٌ عنه، وليس كذلك "زيدٌ أبُوه مُنْطَلِقٌ" فإنَّ زيدًا والجُملةَ يدُلَّانِ على مَعْنَيين مُختلِفيْنِ فلا بُدَّ مِمَّا يَصِلُ بيْنَهما.

وعن ابن عبَّاس: قالَتْ قُرَيْشٌ: يا مُحمَّدُ! صِفْ لنَا رَبَّكَ الَّذِي تَدْعونَا إليه، فنَزلَتْ. يَعني: الَّذي سَألْتُموني وَصْفَه هُو اللهُ.

و﴿أَحَدٌ﴾: بدَلٌ من قَوله: ﴿ٱللَّهُ﴾، أو على: هُوَ أحَدٌ، وهُو بمَعنَى: وَاحِدٍ، وأَصْلُه: وَحَدٌ.

وقرأ عبدُ اللهِ وأُبَيٌّ: "هو اللهُ أحَدٌ" بغير ﴿قُلْ﴾.

وفي قراءة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: "اللهُ أحَدٌ" بغَيْرِ ﴿قُلْ هُوَ﴾ وقال: «مَن قَرأ:

قوله: (الذي هو) أي: لفظة ﴿هُوَ﴾.

[٤٧٣و] قوله: (وعن ابن عبَّاسٍ)[١] إشارة / إلى وَجه آخر، وعلى هذا لا يكون ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، بل يكون عائدًا[٢] إلى الربِّ الذي سألوا وَصْفه، وإليه أشار بقوله: (يعني)... إلخ.

قوله: (وَصْفَه)[٣] مفعول (سألتُموني)، وقوله: "وَصْفَه" مصدرٌ مضافٌ إلى المفعول، وقوله: (أو على: هو أحَدٌ) يحتمل أن يريد أنّه خبرُ مبتدأ، وأن يريد أنّه خبرٌ بعدَ خبر.

قوله: (وقال: «مَن قرأ»)[٤] تحقيق أنّه وقَع في قراءته كذا.

---

١ الأسماء والصفات للبيهقي، ٣٨/٢ (٦٠٦).

٢ ن: عائد.

٣ ن: وصفة.

٤ أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «الله الواحد الصَمد ثلُث القرآن»، قال الحافظ ابن حجر: «كأنّ رواية الباب بالمعنى... ويحتمل أن يكون سمّى السورة بهذا الاسم؛ لاشتمالها على الصفتين المذكورتين، أو يكون بعض رواته كان يقرؤها كذلك، فقد جاء عن عمر أنّه كان يقرأ: "الله أحَد الله الصَّمد" بغير "قل" في أوّلها». صحيح البخاري، ١٨٩/٦ (٥٠١٥)؛ فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ٦٠/٩.

"اللهُ أحَدٌ" كانَ يَعدِل القرآنَ».

وقَرأ الأعمشُ: "قُلْ هُو اللهُ الواحدُ".

وقرئ: "أحَدُ اللهُ" بغَيْرِ تَنْوينٍ؛ أُسقِطَ لِمُلاقَاتِهِ لامَ التَّعريفِ، ونحوُه:

ولا ذَاكِـــــــرَ اللهَ إلّا قلِيـــــــلًا

والجيِّدُ هُو التَّنْوِينُ وكسْرُه لالتقاءِ السَّاكِنيْنِ.

قوله: («كان يَعدِل») أي: كان[1] قراءته يَعدِل قراءة القرآن.

قوله: (أُسقط) جملة مستأنفة في جواب مَن يقول: لِمَ أُسقِط التنوين؟

قوله:

(ولا ذاكِـــــــرِ اللهَ إلّا قَلِيـــــــلًا)

أوّله:

فَـألْـفَـيـتُـهُ غَـيـرَ مُـسـتَـعْـتِـبٍ[2]

يقال: ألَفَيتُ الشيء، أي: وجدتُه، والعتَبُ: الغضَب، وأعتبني فلان إذا عاد إلى مَسرَّتي راجِعًا عن الإساءة وأرضاني وأزال عتَبي، والاستِعتاب: طلَب الإعتاب، يقال: استعتَبْتُه[3] فأعتبني، أي: استرضَيته فأرضاني، وقوله: "ولا ذاكِرِ" يُروَى منصوبًا ومجرورًا، فالجَرُّ بالعطف على "مستعتِب"، و"لا" زائدةٌ،[4] والنَصب بالعطف على "غير"، فلا يكون "لا" زائدةً، فكأنه قال: وجدتُه لا ذاكِرَ اللهَ، ومعنى البيت المَذَمّة، فإنّه لا يَطلُب رضا الله بالطاعات وترك المعاصي، ولا يذكُرُ اللهَ تعالى إلّا ذِكرًا قليلًا، ويجوز أن يريد بالقليل: العدَم، أي: لا[5] يذكر الله تعالى أصلًا. ثمّ اعلم أنّ لفظة "الله" تعالى[6] منصوبٌ؛ لأنه مفعول "ذاكِرِ"،

---

١ ن – («قرأ») تحقيق أنّه وقع في قراءته كذا. قوله: («كان يَعدِل») أي: كان.

٢ لأبي الأسود الدؤلي في لسان العرب لابن منظور، «عتب»؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٣٧٩/١١.

٣ ن ن: استعتبه.

٤ ن: زائد.

٥ ن: ولا.

٦ د ف – تعالى.

و﴿ٱلصَّمَدُ﴾: فَعَلٌ بمَعْنى مَفعُولٍ، مِن صَمَد إلَيْه: إذا قَصَدَهُ، وهُو السَّيِّدُ المَصمُودُ إلَيْه في الحَوائِجِ.

والمَعنى: هُو اللهُ الَّذِي تَعْرِفُونَه وتُقِرُّونَ بأنَّه خالِقُ السَّماوات والأرض وخالِقُكم، وهُوَ واحِدٌ مُتوَحِّدٌ بالإلهيَّةِ لا يُشارَكُ فيها، وهُو الَّذي يَصْمُدُ إليه كُلُّ مخلُوق لا يَسْتَغنُونَ عنه وهو الغنيُّ عَنْهم.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنَّه لا يُجانَسُ حَتَّى تكونَ له من جِنسه صَاحِبَةٌ فيَتَوَالدَا، وقَد دَلَّ عَلَى هذا المَعنى بقَوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام ١٠١/٦].

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأنَّ كُلَّ مَولُودٍ مُحْدَثٌ وجسْمٌ، وهُو قَديمٌ لا أوَّلَ لوجُودِه وليس بجسْمٍ، ولم يُكافِئْهُ أَحَدٌ؛ أي: لم يُماثِلْهُ ولم يُشَاكِلْهُ.

ويجوز أَن يكون من الكَفَاءَةِ في النِّكاحِ نَفيًا للصَّاحبةِ.

سَأَلُوهُ أن يَصِفَه لَهُم فأُوحي إلَيْه ما يَحْتَوِي على صِفاتِه، فقَوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ إشارةٌ

والتنوين محذوف لما ذُكِر، ولو قُرِئ بجَرِّه لخرج[١] البيت عن الاستشهاد؛ لأنَّ التنوين حينئذٍ يكون محذوفًا للإضافة.

قوله: (والمعنى) هذا المعنى مبنيّ على ما روي عن ابن عبّاس، فأشار المصنِّف أوّلًا بقوله: (يعني) إلى مَرجع[٢] الضمير، ثمّ حقَّق المعنى ههنا قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾،[٣] قدّم ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنّ مِن الكفّار مَن ادَّعى أنّ له ولدًا، ولم يدَّعِ أحدٌ أنّه مولودٌ، ثم[٤] قال: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ إشارةً إلى أنّ عيسَى لا يصلح للآلهيّة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة ١٧/٥].

قوله: (فقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ إشارةٌ) بناها أيضًا على ما رُوي عن ابن عبّاس، وقوله: "إشارةٌ" وذلك لاعترافهم به، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف ٨٧/٤٣].

---

١ ن: لخرخ.
٢ ف: موضع.
٣ ن - يلد.
٤ ن - ثم.
٥ ن: لم.

لَهُم إلى مَن هوَ خالِقُ الأَشيَاءِ وفاطِرُها، وفي طَيِّ ذلك وَصْفُه بأنه قادرٌ عالمٌ؛ لأنَّ الخلْقَ يَسْتَدْعِي القُدْرةَ والعِلْمَ لكونهِ واقِعًا على غَاية إحْكامٍ واتِّساقٍ وانتظامٍ، وفي ذلك وصْفُه بأنَه حَيٌّ سَمِيعٌ بَصيرٌ.

وقولُهُ ﴿أَحَدٌ﴾ وَصْفٌ بالوحدانيَّةِ ونفيِ الشُّركاءِ.

وقولُه: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ وصْفٌ بأنَهُ ليْس إلَّا محتاجًا إلَيْه، وإذا لم يكُنْ إلَّا مُحتاجًا إلَيْه فهو غَنِيٌّ، وفي كَونه غَنِيًّا مع كَونه عالِمًا: أَنَه عَدْلٌ غيْرُ فاعِلٍ للقَبائح؛ لعِلْمه بقُبْح القَبِيح وعلْمِه بغِناه عَنْه.

وقولُه: ﴿لم يُولَدْ﴾ وصْفٌ بالقِدَم والأوَّليَّةِ، وقَولهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ نفيٌ لِلشَّبَهِ والمُجانسة.

وقولُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ تَقريرٌ لذلك وبَتٌّ للحُكم بهِ.

فإن قلتَ: الكلامُ العرَبِيُّ الفَصيحُ أَن يُؤخِّرَ الظَّرْفَ الَّذِي هو لَغْوٌ غيْرُ مُستقَرٍّ

قوله: (في طيِّ ذلك) أي: في ضِمن ذلك، أي: في ضمن الإشارة إلى كونِه خالقًا.

قوله: (وفي ذلك)[1] أي: في وصفه بكونه قادرًا عالمًا.

قوله: (إلّا محتاجًا إليه) هو حال عن[2] الضمير، ومستند إلى الجارّ والمجرور بعده، أعني: "إليه"، وضمير "إليه"[3] يعود[4] إلى الموصوف المحذوف، أي: شيئًا محتاجًا إليه.

قوله: (عَدلٌ) يريد بيانَ مذهبه، وقوله: (غير فاعلٍ) بيان "عَدلٌ".[5]

قوله: (فإن قلت: الكلام[6] العربيّ الفصيح)... إلخ، "الفصيح" كالصفة المُوضحة لقوله: "العربيّ"؛ لأنّ "الفصيح" هو معنى "العربيّ"، يقال: كلام عربيّ، أي: فَصيحٌ، و"الظرف المُستقرُّ" هو الذي يفتقر تمام الكلام إليه، وذلك بأن يكون خبرًا،

---

[1] ن – أي: في ضِمن ذلك، أي: في ضمن الإشارة إلى كونِه خالقًا. قوله: (وفي ذلك).
[2] ن: من.
[3] ن – وضمير إليه.
[4] ن: بعده.
[5] ن + يريد بيانَ مذهبه، وقوله: (غير فاعل) بيان.
[6] ن: للكلام.

ولا يُقَدَّمَ، وقد نصَّ سيبَويْه على ذلك في كتابِهِ، فمَا بالُه مُقَدَّمًا في أَفصح كلامٍ وأَغْرَبِهِ؟

قلتُ: هذا الكلامُ إنَّما سِيقَ لنفي المكَافَأةِ عن ذاتِ البَاري سُبحانه، وهذا المَعنَى مَصَبُّهُ ومَرْكزهُ هُو هذا الظَّرْفُ، فكان لذلك أهَمَّ شيءٍ وأَعْناهُ وأحَقَّهُ بالتَّقديم وأَحْرَاهُ.

وقرئ: ﴿كُفُوًا﴾ بضم الكاف والفاء، وبضمِّ الكاف وكسْرِهَا مع سُكون الفاءِ.

فإن قلتَ: لِمَ كانَتْ هذه السُّورةُ عَدْلَ القرآنِ كُلِّه على قِصَرِ مَتْنِهَا وتقَارُبِ طَرَفيها.

قلتُ: لِأَمْرٍ ما يُسوَّد مَن يَسُودُ، وما ذاكَ إلَّا لاحتِوَائهَا على صفاتِ الله

كما في قولك: ما كان فيها أحدٌ خيرٌ مِنك، فإنّ الظرف في هذا الكلام مستقِرٌ؛ لأنّه خبر، و"اللغوُ" أن يكون الكلام تامًّا بدونه، كما في قولك: ما كان أحدٌ خيرًا مِنك فيها، فإنّ الظرف في هذا الكلام لغوٌ؛ لأنّ الكلام / تامٌّ بدونه؛ لأنّ قوله:[١] [٤٧٣ظ]
ما كان أحد خيرًا منك، كلامٌ تامٌّ بدون الظرف، واستُحسِن تقديمه إذا كان مستقِرًّا؛ لكونه مقصودًا، فكان تقديمه حسَنًا؛ لأنّ تقديم الأهمّ أولى، و"اللغو" لا يقدَّم، ومعناه الخارج مِن الجملة، ولكن صار هذا اللغو أثبتَ ههنا مِن الأصل؛ لأنّ السورة سيقت لتوحيده وتنزيه ذاته تعالى عن الثاني والوالد والولد، فكان للظرف المتعلِّق بالضمير[٢] الراجع إلى ذاته تعالى واسمه مِن المكانة واعتمادِ الكلام عليه ووُجوب صَرْف[٣] العناية إليه شأنٌ.

قوله: (وأَعْناه) أي: أشدُّ شيءٍ معنيًّا، فهو مِن "أفعَل" الذي يكون بمعنى "مفعول".

قوله: (لِأَمْرٍ ما يُسوَّد مَن يسود)[٤] قال أنس بن مُدرِكة الخَثعميُّ:

عَـزَمْـتُ عـلى إقـامَـةِ ذِي صَباحٍ   لأمْـرٍ مـا يُـسَـوَّد مَـن يَـسُـودُ[٥]

---

١ ن – ما كان أحدٌ خيرًا مِنك فيها، فإنّ الظرف في هذا الكلام لغوٌ؛ لأنّ الكلام تامٌّ بدونه؛ لأنّ قوله.

٢ ن: بالضير.

٣ ن: ضرب.

٤ ن: يسرد.

٥ خزانة الأدب للبغدادي، ٣/٨٧؛ ونُسِب في الصحاح للجوهري، «صبح»، لأنس بن نُهَيْك.

وعَدْلِه وتَوْحيدِه، وكفى دَليلًا مَن اعتَرف بفَضْلها وصَدَّق بقول رسُول الله فيها: إنَّ علْمَ التَّوحِيدِ مِن الله بمكانٍ، وكيْفَ لا يكُونُ كذلك ....

والـلام فـي "لأمرٍ"[١] متعلِّق بقوله: "يُسَوَّد"، أي: عزَمت على الإقامة في وقت الصباح، ثمّ قال: لشيءٍ مِن الأشياء -يعني: لشيءٍ عظيم وخَطْبٍ كبيرٍ- يُسَوَّد مَن يَسود، و"ما" زائدة للإبهام أو صفة، يعني: لا يجوز أن يسودَ شخصٌ إلّا بعد سبب السيادة، ومثَّل المصنِّف به: لتَحقيق أنّ فضل هذه السورة لمعنًى اقتضى ذلك.

قوله: (وما ذاك)[٢] "ذا" إشارة إلى "الشرف" الذي دلّ عليه مفهوم البيت، فكأنّه قال: شرَفُه وفضلُه لأمرٍ، ثمّ بيَّن ذلك الشرف بقوله: "وما ذاك"، أو إشارة إلى قوله: (عِدْلَ القرآن)، وهذا أوجَه، فكأنّه قال: كونُه عِدْلَ القرآن لأمرٍ ما، ثمّ بيَّن ذلك بقوله: "وما ذاك إلّا"... إلخ.

قوله: (كفَى)... إلخ، (مَن اعترَف) مفعول "كفَى"، و"أنّ" مع ما في حيّزه[٣] فاعله، و(دليلًا) حال أو تمييز قُدِّم على الفاعل، وذلك سائغ مِن غير خلاف كما مرّ في سورة الصفّ في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف ٣/٦١]، وحاصل فحوَى[٤] كلامه: أنّ مَن اعترف بفَضل هذه السورة وصدَّق الرسول فيما قال فيها لا بدّ له مِن دليل يتمسك به على هذا الاعتقاد والاعتراف، فدليله: أنّ علم التوحيد أشرف العلوم، وهذه السورة مشتملة على ذلك، فقوله: (وكيف[٥] لا) هو بيان "أنّ علم التوحيد مِن الله بمكانٍ"، وقد حذف المصنِّف المقدِّمة التي ذكرنا، فكأنّه قال: علم التوحيد أشرف العلوم، وهذه السورة مشتملة عليه.

قوله: (أنّ علم التوحيد مِن الله بمكان) "مِن" في "مِن الله" اتّصاليّة،[٦] كما في قولهم: أنا منك فَرسَخين، يقوله الدليل الخِرِّيتُ[٧] في المفازة لمَن يهديه السبيل،

[١] ن: الأمر.
[٢] ن: وما ذلك.
[٣] ن: خبره.
[٤] ن: فجرى.
[٥] ن: فكيف.
[٦] ن: التصاليه.
[٧] الخِرِّيتُ: الدليلُ الحاذق. الصحاح للجوهري، «خرت».

والعِلْمُ تابعٌ للمَعْلُوم يَشْرُفُ بشَرفِه ويتَّضِعُ بضَعَتِه، ومَعْلومُ هذا العلم هو الله وصفاتُه وما يجُوز عليه وما لا يجُوز، فمَا ظَنُّكَ بشَرفِ مَنْزِلتهِ وجَلالة محَلِّه وإنَافتِه على كُلِّ عِلْمٍ واستِيلائه على قصَب السَّبْقِ دُونَه، ومَن ازْدرَاهُ فلِضعْفِ عِلْمِه بمعْلُومهِ وقِلَّةِ تَعْظيمه لهُ، وخُلُوِّه مِن خَشيَتِهِ، وبُعْدِه من النَّظر لعَاقبتِه.

يريد: أنا معك مسافة فَرسَخين، كقول[1] الشاعر:

لَسْتُ[2] مِنْ قَيسٍ ولا القَيسُ مِنّي[3]

والمراد باتصال هذا العلم به -تعالى شأنُه عن الاتِّصال والانفِصال- هو تعلُّقه به تعالى مِن حيثُ إنّه عِلمٌ به وبصفاته، وأراد به تعظيمَه وتعظيمَ عالِميه، وقوله: "بالمكان" حال مِن الضمير في هذا الخبر، أي: حاصلًا في مرتبةٍ عظيمة ومنزلة رفيعة، ويجوز أن يقال: "مِن الله تعالى"[4] حال[5] مِن اسم "أنّ"، و"بمكان" هو الخبر، أي: أنّ علم التوحيد مبتدِئًا أمرُه مِن الله تعالى، أي: من عنايته وإرادته، حاصلٌ[6] في / مكان[7] رفيع ومَقام شريف. [٤٧٤و]

قوله: (وكيف) أي: كيف لا يكون هذا العلم عظيمًا عند الله تعالى رفيعًا عنده؟ يعني: هو علم شريف،[8] واستدلّ عليه بقوله: (العِلم تابع للمَعلوم)، ومَعلومُ هذا العِلمِ هو الله وصفاته. وقوله: (يشرف) بيانٌ للمقدِّمة الأولى، يعني: أنّ المراد بكون العلم تابعًا للمعلوم أنّ شرَف العلم بحسب شرَف المعلوم، وَضَعَةَ[9] العلم بِضَعَته. وقوله: (فما ظَنُّك) إشارة إلى النتيجة، والضمير مِن (منزلته)[10] وما بعده يعود إلى هذا العِلم.

قوله: (وقِلّة تعظيمه له)[11] أي: لمَعلوم هذا العِلم.

---

[1] ف: لقول.

[2] ن: ليست.

[3] صدرُه:

أيُّها السائل عنهم وعنّي

خزانة الأدب للبغدادي، ٥/٣٨٠.

[4] د ن – تعالى.

[5] ف – حال.

[6] ف – حاصل.

[7] ف: بمكان.

[8] ن – (وكيف) أي: كيف لا يكون هذا العلم عظيمًا عند الله تعالى رفيعًا عنده؟ يعني: هو علم شريف.

[9] ن: وصفة.

[10] ن: منزليه.

[11] ن – له.

اللّٰهُمَّ احْشُرنا في زُمْرَةِ العالِمِين بكَ، العَامِلينَ لكَ، القائِلينَ بعَدْلِكَ وتَوحيدِك، الخَائفين مِنْ وَعِيدِك.

وتُسمَّى: سُورةَ الأَساسِ؛ لاشتِمالِهَا على أصُول الدِّين.

ورُوَى أُبيٌّ وأَنسٌ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «أُسِّسَتِ السَّماواتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبْعُ على ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾».

يَعني: ما خُلِقَتْ إِلَّا لِتكُونَ دلائلَ على توحِيدِ الله ومَعْرِفةِ صفاتهِ الَّتي نَطَقَتْ بهَا هذِه السُّورةُ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَنَّه سمِعَ رَجُلًا يقرأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: «وَجبَتْ»، فقيل: يا رسولَ الله! وما وَجبَتْ؟ قال: «وَجبَتْ له الجنَّةُ».

قوله: (يعني: ما[1] خُلِقتْ) أي: السماوات والأرضون، الصواب[2] في معنَى هذا الحديث عندي أن يقال: معناه مِثل معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء ٢١/٢٢]، يعنِي: لولا الوحدانيّةُ لما تكوَّنتِ السماوات والأرض على هذا الوجه المُحكَم المُتقَن، ولكانت فاسدةً كبناءٍ بلا أساسٍ، وأساسُه التوحيد، وهذا المعنى الذي ذكره المصنِّف قريب مِن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥١/٥٦]، أي: ليَعرفوني.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[3]

---

١ ن: فا.

٢ ن: الضراب.

٣ ف – السورة بحمد الله تعالى؛ ن + وعونه.

سورة الفلق

مختلَفٌ فيها، وهي خمسُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

"الفَلَقُ والفَرَقُ": الصُّبۡحُ؛ لأنَّ اللَّيلَ يُفلَقُ عنه ويُفرَقُ؛ فَعَلٌ بمَعۡنى مفعُولٍ، يُقال في المَثلِ: "هُوَ أبيَنُ مِن فلَق الصُّبۡحِ" و: "مِن فَرَقِ الصُّبح"، ومِنه قولُهم: "سَطَع الفُرقانُ": إذا طَلَع الفجۡرُ.

وقيل: هو كُلُّ ما يَفلِقُه الله؛ كالأرضِ عن النَّباتِ، ....

سورة الفلَق

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (يُفلَق عنه) كأنّ اللّيلَ يُفلَق -أي: يُشَقُّ- فيَخرج الصبح.

قوله: (مفعولٍ) فالليل مَفلُوق، والصبح مَفلُوق عنه، ويَرِد في خاطري أنّه يجوز أن يقال: النهار مفلوق، والليل مفلوق عنه،[2] فيكون مطابقًا لمعنى قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ [يس ٣٦/٣٧]، وقوله: (مِن فَلَقِ الصبح) فهو مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ.

قوله: (وقيل: هو كل ما يَفلِقُه الله) هو بفتح[3] الياء، يقال: فَلَقْتُ الشيء فَلْقًا،

---

[1] ف ن - وبه نستعين.
[2] ف: منه.
[3] ف: يفتح.

والجبَالِ عن العُيون، والسَّحَابِ عن المَطَرِ، والأَرْحَامِ عن الأَوْلادِ، والحَبِّ والنَّوى وغَيْرِ ذلك.

وقيل: هُو وَادٍ في جَهنَّم أو جُبٌّ فيهَا؛ من قَوْلِهِمْ لِمَا اطْمأنَّ مِنَ الأرض: الفَلَقُ، والجمْعُ: فِلْقَانٌ.

وعن بعض الصَّحابة أنَّه قدِمَ الشَّامَ فرَأى دُورَ أهلِ الذِّمَّة ومَا هُم فيهِ مِن خَفْضِ العَيْشِ، وما وُسِّعَ عليهم من دُنياهُم، فقال: لا أُبالِي، أَلَيْسَ من وَرائِهم الفَلَقُ؟ فقيل: ومَا الفَلَقُ؟ قال: بَيْتٌ في جهنَّم إذا فُتِحَ صاحَ جميعُ أهلِ النَّار من شِدَّة حَرِّهِ.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: مِن شَرِّ خَلْقِه، وشَرُّهُم: ما يَفعَلُهُ المكلَّفُونَ مِن الحيَوانِ من المعَاصي والمآثِم، ومُضَارَّةِ بعْضِهِم بعضًا: من ظُلْمٍ وبغْيٍ وقَتْلٍ وضَرْبٍ وشَتْمٍ وغيرِ ذلك، وما يَفعَلُه غَيْرُ المُكلَّفِينَ منه من الأكلِ والنَّهْش واللَّدْغِ

بفتح الفاء وسكون اللام، أي: شقَقْتُه، والفِلْق بكسر الفاء وسكون[1] اللام: الأمر العَجيب والداهية، يقال: أفلَق الرجل وافتَلَق،[2] أي: جاء بالعَجَب، وشاعرٌ مُفْلِق، أي: آتٍ بالعَجيب، ويَدخل في عمومه الليل؛ لأنّ الله تعالى يَفْلِقُه عن الصبح.

قوله: (لا أُبالي) أي: لا أبالي بحُسن دُورِهم وخَفضِ عَيشِهم، ثمّ استأنف استفهامًا على سبيل التقرير بقوله: (أليس). وقوله: (فقيل) أي: فقيل لهذا الصحابيّ.

قوله: (مِن شرّ خَلقِه) أي: خَلْقِ الربِّ.

قوله: (مِن الحيوان مِن المعاصي) "مِن" في "مِن الحيوان" للتبعيض، وفي "مِن المعاصي" للبيان، وكذا بعده في "منه" و"مِن الأكل".

قوله: (والنَهْشِ) نهَشَته الحيّة، بالشين المعجمة والمهملة، أي: لَسَعَتْه، والنَهشُ[3] والنَهسُ[4] أيضًا: أخْذُ اللحم بمُقدَّم الأسنان، قال الكُمَيْت:

---

[1] ن: سكون.

[2] وأفلق.

[3] ن – نهشَته الحيّة بالشين المعجمة والمهملة أي لسَعتْه، والنَهش.

[4] ف: والنهْش؛ ن: والنهيس.

والعضِّ كالسِّباعِ والحشرات، وما وضعه الله سبحانه في الموات من أنواعِ الضَّررِ كالإحراقِ في النَّارِ والقتلِ في السمِّ.

و"الغاسقُ": اللَّيلُ إذا اعتكرَ ظلامُهُ، من قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء ٧٨/١٧]، ومنه: غَسَقَتِ العينُ: امتلأت دمعًا، وغَسَقَتِ الجراحةُ: امتلأَتْ دَمًا.

ووقوبُهُ: دخولُ ظلامِهِ في كلِّ شيءٍ، ويُقال: وقبتِ الشَّمسُ إذا غابَتْ.

وفي الحديثِ: لمَّا رأى الشَّمسَ قد وقبَتْ قال: "هذا حينَ حلِّها" يَعنِي: صلاةَ المغربِ.

وقيل: هو القمرُ إذا امتلأَ، وعن عائشةَ رضي الله عنها: أَخَذَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بيَدِي فأشارَ إلى القمرِ فقال: «تعوَّذِي باللهِ من شَرِّ هذا فإنَّهُ الغاسِقُ إذا وقبَ».

ووقوبُه: دخولُه في الكسوفِ واسودادُه.

ويجوزُ أن يرادَ بالغاسقِ: الأسودُ من الحيَّاتِ، ووُقوبُه: ضَرْبُه ونَقْبُه، والوَقْبُ: النَّقْبُ، ....

وغادَرْنا على حُجْرِ بنِ عَمْرٍو قَشاعِمَ يَنْتَهِشْنَ[١] وَيَنتَقِينا[٢]

يُروَى بالسِين والشين جميعًا.

ويقال: لدَغَته الحيّة لَدْغًا وتَلْداغًا، فهو مَلدُوغ[٣] ولَدِيغ.

قوله: (اعْتَكَر) أي: اختلَط.

قوله: (فأشار إلى / القَمر) لم يثبت هكذا في الحديث، بل الثابت هكذا: "فنظَر إلى القَمر"،[٤] ثمّ قال الشارِحون: لا يلزم مِن النظر إلى القَمر أن يكون الإشارة إليه.[٥] [٤٧٤ظ]

قوله: (والوَقْبُ:[٦] النَقْبُ) الوَقْب: كالنُقرةِ في الشيء.

---

١ ن: ينتهشْنَ.

٢ الصحاح للجوهري، «نهش».

٣ ن: لذغًا وتلذاغًا فهو ملذوغ.

٤ سنن الترمذي، ٣١٠/٥ (٣٣٦٦).

٥ انظر: الميسّر للتوربشتي، ٥٨١/٢.

٦ ن: والقرب.

ومنه: وَقْبَةُ الثَّريد.

والتعوذُ من شرِّ اللَّيلِ لأنَّ انبثاثَهُ فيه أكثرُ والتحرُّزُ منه أصعبُ، ومنه قولُهُم: "اللَّيل أخفَى للويلِ"، وقولُهم: "أَغْدَرَ الليلُ" لأنه إذا أظلمَ كثرَ فيه الغدرُ، وأُسندَ الشَّرُّ إليهِ لملابستهِ له من حدوثِهِ فيه.

﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾: النساء، أو النُّفوسُ، أو الجماعاتُ السَّواحرُ اللَّاتي يعقِدنَ عُقدًا في خيُوط وينفُثنَ عليها ويَرْقِينَ، والنَّفثُ: النَّفخُ معَ ريقٍ، ولا تأثيرَ لذلكَ اللَّهمَّ إلا إذا كان ثَمَّ إطعامُ شيءٍ ضارٍّ أو سقيُه أو إشمامُه، أو مباشرةُ المسحورِ به على بعضِ الوُجُوهِ، ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد يفعلُ عند ذلك فعلًا على سبيلِ الامتحانِ الَّذِي يتميَّزُ به الثُّبَّتُ على الحقِّ من الحشويَّةِ والجهلةِ من العوام، فينسبهُ الحشويَّةُ والرعاع إليهنَّ وإلى نفثِهنَّ، والثَّابتونَ بالقولِ الثابتِ لا يلتفتونَ إلى ذلكَ ولا يَعْبَؤونَ به.

فإن قلتَ: فما معنى الاستعاذةِ من شرّهنَّ؟

قلتُ: فيها ثلاثةُ أوجهٍ:

قوله: (ومنه وَقْبة[1] الثَّريد) أُنْقُوعَتُه.[2]

قوله: (أكثر) أي: أكثر مِن انبثاث الشرّ في غير الليل.

قوله: (وأسند الشرَّ إليه) أي: في[3] قوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾، وقوله: "إليه" أي: إلى[4] الليل.

قوله: (ولا تأثير لذلك) أنكر تأثير السِحر[5] كما هو مذهب المعتزلة، وأما عند أهل السُنّة فله أثرٌ.

قوله: (والرَعاع) الرَعاع:[6] الأحداث الطَّغام، والطَّغام:[7] أوغاد الناس.

---

[1] ن: رقيه.
[2] ن: أنقر عنه.
[3] ن – في.
[4] ف ن – إلى.
[5] ن: السخر.
[6] ن: (والرغاغ) الرّغاغ.
[7] ف: والطعام؛ ن – والطغام.

أحدها: أن يستعاذَ من عملهنَّ الَّذي هو صنعةُ السحر ومن إثمهنَّ في ذلكَ.

والثاني: أن يُستعاذَ من فتنتهِنَّ النَّاسَ لسحرهن وما يخدَعْنَهم به من باطلِهِنَّ.

والثالث: أن يستعاذَ مما يصيبُ الله به من الشرِّ عند نفثِهنَّ.

ويجوزُ أن يرادَ بهنَّ النساءُ الكيَّاداتُ، من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف ٢٨/١٢] تشبيهًا لكيدِهنَّ بالسحر والنَّفثِ في العقدِ، أو اللَّاتي يَفْتِنَّ الرجالَ بتعرُّضهنَّ لهم وعرضهنَّ محاسنهنَّ كأنَّهن يَسْحَرْنهم بذلكَ.

﴿إِذَا حَسَدَ﴾؛ أي: إذا أظهرَ حسدهُ وعملَ بمُقتضاهُ: من بغي الغوائلِ للمحسودِ؛ لأنَّه إذا لم يَظهر أثرُ ما أضمرهُ فلا ضررَ يعودُ منه على مَن حسدهُ، بل هو الضارُّ لنفسه لاغتمامهِ بسرورِ غيره.

وعن عمرَ بن عبدِ العزيزِ: لم أرَ ظالمًا أشبهَ بالمظلومِ من حاسِدٍ.

ويجوُز أن يرادَ بشرِّ الحاسدِ: إثمهُ وسماجةُ حالهِ في وقت حسدهِ وإظهار أثرهِ.

فإن قلتَ: قولهُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ تعميمٌ في كلِّ ما يُستعاذُ منه، فما معنى الاستعاذةِ بعدَهُ من الغاسقِ والنَّفَّاثاتِ والحاسدِ؟

قلتُ: قد خصَّ شرَّ هؤلاءِ من كلِّ شرٍّ لخفاء أمرهِ، وأنه يَلحقُ الإنسانَ من حيث لا يَعْلمُ كأنما يُغتالُ به، وقالوا: شرُّ العُداةِ: المداجِي الذي يَكِيدُكَ من حيثُ لا تَشعُر.

فإن قلتَ: فلِمَ عُرِّف بعضُ المستعاذِ منه ونكِّر بعضُهُ؟

قلتُ: عُرِّفت ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ لأنَّ كلَّ نفاثةٍ شريرةٌ، ....

قوله: (بل هو الضارّ) قال الشاعر:

اصبر على مَضَضِ[1] الحَسو دِ فإنَّ صبرَكَ قاتِلُهْ
النَّارُ تأكلُ نفسَها إن لم تجد ما تأكلُهْ[2]

---

[1] ن: محصص.

[2] أسرار البلاغة للجرجاني، ص ٩٦، بغير نسبة، وهو لعبد الله بن المعتز في نهاية الأرب للنويري، ١٠٠/٣.

ونكّر ﴿غَاسِقٍ﴾ لأنَّ كلَّ غاسقٍ لا يكونُ فيه الشَّرُّ إنَّما يكُونُ في بعضٍ دون بعضٍ، وكذلك كلُّ حاسدٍ لا يضرُّ وربَّ حسدٍ محمودٍ وهو الحسدُ في الخيراتِ، ومنه قولهُ صلى الله عليه وسلم: «لا حسَدَ إلَّا في اثنتَينِ».

وقال أبو تمَّامٍ:

ومـا حـاسـدٌ فـي الـمـكـرُمـاتِ بـحـاسـدِ

وقال:

إنَّ الـعُـلا حَـسَـنٌ فـي مثـلـهـا الـحـسـدُ

عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأَ المعوِّذتينِ فكأنَّما قرأَ الكتُبَ التي أنزلَها اللهُ تعالى كلَّها».

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[1]

---

١ ف – تمّت السورة بحمد الله تعالى؛ ن + وحسن عونه.

سورة الناس

مختلَفٌ فيها، وهي ستُّ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① مَلِكِ ٱلنَّاسِ ② إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ④ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ⑤ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ⑥﴾

قرئ: "قُلَ اعوذ" بحذفِ الهمزةِ ونقل حركتِهَا إلى اللامِ ونحوه: "فخُذَ ارْبعةً".

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ قيل: المراد بالأوّل: الأطفال، ومعنى "الربوبيّة" يدلُّ عليه، وبالثاني: الشُبّان، ولفظ "المَلِكِ" المُنْبِئ عن السِياسة يدلُّ عليه، وبالثالث: الشيوخ، ولفظ "الإله" المُنْبِئ عن العبادة والطاعة يدُلُّ عليه، وبالرابع: الصالحون، والشيطان مُولَعٌ بإغوائِهم[2] دون غيرهم، وبالخامس: المفسدون، وعطفه على المتعوّذ منهم يدلُّ عليه، فإنّ قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ عطف على ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾، أي: مِن شرِّ ذي الوَسواس ومن شرِّ[3] الناس، كذا ذكَرَ[4] الواحدي في تفسيره هذا العطفَ.[5]

قوله: (ونحوه: ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةً﴾ [البقرة ٢/٢٦٠]) بفتح[6] الذّال.[7]

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ن: بإغرائهم.

[3] ن – شرّ.

[4] ف: ذكره.

[5] الوجيز للواحدي، ص ١٢٤٣ (الناس، ٦/١١٤)؛ وانظر كذلك الوسيط للواحدي، ٥٧٥/٤ (الناس، ٦/١١٤).

[6] ن – بفتح.

[7] ن: بالذال. | والنَّقْل: أصلٌ اختصَّ به وَرشٌ عن نافع في كلِّ القرآن، وذلك حين يأتي حرفٌ >

فإن قلتَ: لمَ قيل: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ مضافًا إليهم خاصَّةً؟

قلتُ: لأنَّ الاستعاذةَ وقعت من شرِّ الموسوسِ في صدورِ النَّاس، فكأنَّهُ قيل: أعُوذُ من شرِّ الموسوِسِ إلى النَّاسِ بربِّهم الذي يَملكُ عليهم أمورَهُم وهو إلهُهم ومَعبُودُهم، كما يستغيثُ بعضُ الموالي إذا اعترَاهُم خطبٌ بسَيِّدِهم ومخدومهم ووالي أمرِهِم.

فإن قلتَ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ ما هما من ﴿ربِّ الناس﴾؟

قلتُ: هما عطفُ بيانٍ؛ كقولك: سيرةُ أبي حفصٍ عمرَ الفاروقِ، بُيِّن بـ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ ثمَّ زيدَ بيانًا بـ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ لأنَّه قد يقالُ لغيره: ربُّ الناس؛ كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣١/٩] وقد يُقالُ: ملك الناس، وأمَّا "إلهُ الناسِ" فخاصٌّ لا شركةَ فيه فجُعلَ غايةً للبيانِ.

فإن قلتَ: فهَلَّا اكتُفِي بإظهارِ المضافِ إليه الَّذي هو ﴿ٱلنَّاسِ﴾ مرَّةً واحدةً؟

قلتُ: لأنَّ عطفَ البيانِ للبَيانِ، فكان مظنَّةً للإظهارِ دونَ الإضمارِ.

"الوَسواسُ": اسمٌ بمَعنى الوَسوسَةِ كالزَّلزالِ بمَعنى الزَّلزلةِ، وأمَّا المصدرُ فوِسواسٌ بالكسرِ كزِلْزالٍ.

والمرادُ به الشَّيطانُ، سُمِّي بالمصدرِ كأنه وسوسةٌ في نفسهِ؛ ....

قوله: (**بُيِّن**) أي: الرَّبُّ، وهو استئناف كلامٍ لتقرير كونهما عطف بيان، فقوله: (**لأنَّه**) إلى قوله: (﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣١/٩]) تقرير أنَّ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ عطف بيانٍ بُيِّنَ به "رَبِّ النَّاسِ". وقوله: (**وقد يقال**) تقرير أنَّ ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ لزيادة البيان.

قوله: (**فإن قلتَ: هلَّا اكتُفي**) أي: لِمَ[١] لمْ يُضمَر في البواقي، نحو أن يقول: مَلِكِهم، إلهِهِم؟

= ساكن آخرَ كلمة، غيرَ حرف مدّ، وبعده همزة أول الكلمة الأخرى، سواء كان ذلك الساكن تنوينًا أو لامَ تعريف أو غيرَ ذلك، فيتحرّك ذلك الساكنُ بحركة الهمزة، وتسقط هي مِن اللفظ. انظر: النشر لابن الجزري، ٤٠٨/١.

[١] ن – لم.

لأنَّها صنعتُه وشغلُه الَّذي هو عاكفٌ عليه، أو أُريدَ: ذو الوسواسِ.

و"الوسوسةُ": الصَّوتُ الخفيُّ، ومنه: وسواسُ الحُليِّ.

و"الخَنَّاس": الَّذي عادتُه أن يَخْنِسَ، منسوبٌ إلى الخُنوسِ وهو التَّأخُّر، كالعوَّاج والبتَّات؛ لِمَا رويَ عن سعيدِ بن جبيرٍ: إذا ذكر الإنسانُ ربَّهُ خَنَسَ الشيطانُ وولَّى، وإذا غفَلَ وسوسَ إليهِ.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ يجوزُ في محلِّه الحركاتُ الثلاثُ: فالجرُّ على الصفة، والرفعُ والنصبُ على الشَّتمِ، ويَحْسُنُ أن يقفَ القارئ على ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ ويبتدئَ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ على أحدِ هذينِ الوجهينِ.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيانٌ للَّذي يوسوسُ على أنَّ الشيطان ضَرْبان: جنيٌّ وإنسيٌّ؛ كما قال: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام ١١٢/٦].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّه قال لرجلٍ: هل تعوَّذتَ باللهِ من شيطان الإنس.

ويجوز أن يكون ﴿مِنَ﴾ متعلقًا بـ﴿يُوَسْوِسُ﴾، ومعناه: ابتداءُ الغاية؛ أي: يوسوسُ في صدورهم من جهةِ الجنِّ ومن جهةِ الناس.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيَانٌ لـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ وأنَّ اسم النَّاسِ ينطَلِقُ على الجنَّةِ، واستَدلُّوا بـ﴿نَفَرٌ﴾ [الجن ١/٧٢] و﴿رِجَالٌ﴾ [الجن ٦/٧٢] في سُورةِ الجنِّ.

قوله: (لأنَّها ضَيْعَتُه)[1] أي: حِرفتُه، يقال: كلُّ امرئٍ وضَيْعَتُه.

قوله: (والرَّفعُ) أي: "هو الذي"، وقوله: (والنَّصبُ) أي: "أعني الذي".

قوله: (الوَجهَين) هما[2] الرفع والنصب.

قوله: (مِن جِهة الجِنّ) أي: يوسوس بأنَّهم يَضُرُّون ويَنفعون.

قوله: (ومِن جِهة الناس) مثل أن يوسوس في قلبك مِن جِهة المُنجِّمين والكُهَّان أنَّهم يعلمون الغيب.

قوله: (بـ﴿نَفَرٌ﴾) حيث قيل: ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن ١/٧٢]، وقوله: (و﴿رِجَالٌ﴾)

---

[1] ن: صيغته. | وفي مطبوع الكشّاف: "صَنعته". [2] ن: فهما.

وما أحُقُّه؛ لأنَّ الجِنَّ سُمُّوا جِنًّا لاجتِنانِهم، والنَّاسُ ناسًا لِظهُورهم -من الإيناسِ وهو الإبْصارُ- كما سُمُّوا بَشرًا، ولو كان يقعُ النَّاسُ على القَبِيلَيْنِ وصَحَّ ذلك وثبُتَ لم يكُن مُناسِبًا لفصاحةِ القرآن وبُعْدِه من التَّصنُّع، وأجْودُ مِنْه أن يُراد بـ﴿ٱلنَّاسِ﴾: النَّاسِي؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر ٦/٥٤] وكما قُرِئ: "من حيث أفاضَ الناسِ" ثمَّ يُبيِّنَ بالجِنَّة والنَّاسِ؛ لأنَّ الثَّقليْنِ هُما النَّوعانِ المَوصُوفانِ بنِسْيَان حقِّ الله عزَّ وجلَّ.

عن رسُول الله عليه السلام: «لقد أُنزِلَتْ عَليَّ سُورَتَانِ ما أُنْزِلَ مِثْلُهما، وإنَّك لَنْ تَقْرأ سُورَتين أحَبَّ ولا أرْضَى عند اللهِ مِنهما».

ويُقالُ للمُعوِّذتينِ: المُقشقِشَتَانِ.

﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن ٦/٧٢].

قوله: (وما أَحُقُّه) أي: ما أَحُقُّ هذا القول، يعني: ما أُثبِتُه، مِن قولهم: حَقَقْتُ الشيءَ أَحُقُّه، أي: أثْبَتُّه.

قوله: (الناسي)؛

نَسِيتُ عهدَكَ والنِسيانُ مُغتَفَرٌ   فاغْفِر فأوّلُ ناسٍ أوّلُ النّاسي[1]

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ قال الواحدي في **الوسيط**: «ذُكِرَ أنّ[2] هذا [٤٧٥و] الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس: / مِن الجِنّة، وهم الشياطين، وعطف قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾، والمعنى: مِن شرّ الوَسواس ومِن شرّ[3] الناس، كأنّه أُمِرَ أن يستعيذ مِن شرّ الجِنّ والناس».[4]

قوله: (المُقَشْقِشَتان)[5] مِن تَقَشْقَشَ البعيرُ إذا بَرِئَ مِن الجَرَب، وقَشْقَشَه الهِناء،[6]

---

[1] ذكره الرازي ونسبَه إلى أبي الفتح البُستي، وقبله:
يا أكثرَ الناس إحسانًا إلى الناسِ
وأكثر النّاس إفضالًا على النّاسِ
تفسير الرازي، ٣٠٢/٢ (البقرة، ٨/٢).

[2] ن – أن.

[3] ن – ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾، والمعنى: مِن شرّ الوَسواس ومِن شرّ.

[4] **الوسيط للواحدي**، ٥٧٥/٤ (الناس، ٦/١١٤).

[5] ن: المقشقشيان.

[6] الهِناء بكسر الهاء: القَطِران. انظر: **الصحاح للجوهري**، «هنأ».

قال المصنِّفُ: وأَنا أعوذُ بهِمَا وبجميعِ كلماتِ الله الكامِلة التَّامَّة، وأَلُوذُ بكَنَفِ رَحْمتِه الشَّامِلة العامَّةِ من كلِّ ما يَكْلِمُ الدِّينَ ويَثْلِمُ اليَقين، أو يعُودُ في العاقبةِ بالنَّدمِ، أو يقْدَحُ في الإيمان المسُوط باللَّخمِ والدَّم، وأَسْأَلُه بخضُوعِ العُنُقِ وخُشُوعِ البَصر، ووَضْعِ الخَدِّ لجَلالِه الأَعْظم الأَكبَرِ، مُسْتَشفِعًا إلَيْه بنُورِهِ الَّذي هُو الشَّيْبَةُ في الإِسْلام، مُتوسِّلًا بالتَّوبة المُمحِّصةِ للآثام، وبمَا عُنيتُ به

أي: المُبَرِّئتان مِن النفاق، وسُمِّيتا "مقَشْقِشَتين"[١] لحِفظهما الناس مِن الشرور وتَبرئتِهما منها.

قال جارُ الله العلّامة: (قال عبد الله الفقير إليه:[٢] وأنا أعوذ)... إلخ.[٣]

قوله: (من كلِّ ما يَكْلِمُ الدِّين ويَثْلِمُ) يقال: كَلَمْتُه كَلْمًا، أي: جرحتُه، وقرأ بعضهم: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تَكْلِمُهُمْ﴾[٤] [النمل ٢٧/٨٢]، أي: تجرَحُهم[٥] وتَسِمُهم، والكَلْمُ: الجراحة، والجمع: كِلامٌ وكُلومٌ، والثُلْمة:[٦] الخلَل في الحائط وغيره، وقد ثَلَمْتُه أَثْلِمُه بالكسر ثَلْمًا، ويقال: في السيف ثَلْمٌ، وفي الإناء ثَلْمٌ، إذا انكسر من شَفَته شيءٌ.

قوله: (المَسُوطِ) السَوط:[٧] خلطُ الشيء بعضه ببعضٍ.

قوله: (الشَيبة) شابَ رأسه شيبًا وشَيبةً.

قوله: (المُمَحِّصة) يريد: المُزيلة، والمَحْصُ: خُلُوصُ الشيء، يقال: مَحَصْتُه مَحْصًا، أي: خَلَّصْته مِن كلِّ عيبٍ، ومحَّص اللهُ جلَّ ثناؤه العبدَ مِن الذّنب إذا طَهَّره.

قوله: (وبما عُنِيتُ به) على صيغة المجهول، يقال: عُنِيتُ بحاجتك أُعنَى بها عِنايةً، وأنا[٨] بها مَعْنيٌّ على مفعول.

---

١ ن: مقشقشين.

٢ ف – إليه.

٣ ن – قال جارُ الله العلّامة: (قال عبد الله الفقير إليه: وأنا أعوذ)... إلخ.

٤ قراءة شاذّة منسوبة إلى ابن عبّاس وسعيد بن جُبير ومجاهد والجَحدري وأبي زُرعة. المُحتَسَب لابن جنّي، ٢/١٤٤.

٥ ن: تجرجهم.

٦ ن: والتسلمه.

٧ ن: المسوط.

٨ ن: وأنا.

من مُهاجَرتي إليه ومُجَاوَرتي ومُرَابَطَتي بمكَّةَ، ومُصَابَرتِي على تَواكُلِ مِن القُوَى وتَخاذُلٍ من الخُطَى، ثمَّ أَسأَله بحَقِّ صراطِه المُستقيم، وقرآنه المجيد الكريم، وبما لُقِيتُ من كَدْحِ اليَمينِ، وعرَقِ الجَبِينِ، في عَملِ "الكشافِ عن حقائقهِ"، المُخلِّص عن مَضَايقِه، المُطْلِع على غَوامضِه، المُثبِّتِ في مَداحضِه، المُلَخِّص لنُكَتِه ولَطائف نَظْمه، المُنقِّر عن فِقَرِه وجَواهر عِلْمِه، المُكتَنِزِ بالفَوائد المُفْتنَّةِ التي لا تُوجَد إلَّا فيه، المُحيطِ بما لا يُكتَنهُ مِن بدَعِ أَلْفاظِه ومَعانيه، مَعَ الإيجاز الحاذِفِ للفُضُول، وتَجَنُّب المستَكرَه المَملُولِ، ....

قوله: (على تواكُلٍ مِن القُوى) يريد: العجْز وسقوط القُوى، يقال: رجلٌ وَكَلٌ بفتحتين، وَوُكَلَة مثل: هُمَزةٍ، وتُكَلَة، أي: عاجز يَكِل أمرَه إلى غيره ويتَّكِل عليه، قالت امرأةٌ وهي تُرَقِّص ابنًا لها:

أشْبِهْ أَبَا أُمِّكَ أو أشْبِهْ عمَلْ[1]
ولا تكونَنَّ كهِلَّوْفٍ وَكَلْ
وارْقَ إلى الخيرات زَنْأً في الجبلْ[2]

و"الهِلَّوفُ": الثقيل الجافي الكثيف اللِّحية، و"عَمَل": اسم رجلٍ هو خال ابنها، أي: لا تُجاوِزْهما[3] في الشبَه، يقال: زَنَأَ في الجبل زنْأً، أي: صعد.

قوله: (وتخاذُلٍ) خذَلَه خِذلانًا، أي: ترك عونَه ونُصرتَه، وتخاذلَتْ[4] رجلاه: ضَعُفَتا.

قوله: (عن فِقَره) الفَقارة والفِقْرة: واحدة[5] فَقَار الظَّهْر، والفِقَرُ: جمع الفِقْرة،[6] وأجود[7] بيتٍ في القصيدة يقال له: "الفِقَر"[8] تشبيهًا بفِقْرة الظَّهْر.

---

[1] ن: عمك.
[2] نسبَه ابن منظور إلى قَيس بن عاصم المِنقَري، وقد أخذ صبيًا مِن أمّه يرقّصه، وأمُّه مَنفوسة بنت زيدِ الفَوارس، والصبيُّ هو حكيم ابنه. لسان العرب لابن منظور، «زنأ».
[3] ن: لا تجاوزها.
[4] ن: وتجادلت.
[5] ف: واحد.
[6] ن – جمع الفقرة.
[7] ن: وأحوب.
[8] في لسان العرب، «فقر»: "الفِقْرة".

ولَو لم يَكُن في مَضمونه إلّا إيرادُ كلِّ شيءٍ على قانُونِهِ لكَفى به ضالةً يَنشُدُهَا مُحقِّقةُ الأَخبارِ، وجَوْهرةً يتمنّى العُثورَ عَليها غاصَةُ البحارِ، وبما شَرَّفَنِي به ومَجَّدَنِي واختَصَّني بكرَامتِه وتوَحَّدنِي مِن ارتفاعه على يَدي في مَهْبطِ بشارَاتِه ونُذُرِه، ومُتَنَزَّلِ آياتِه وسُوَرِه، من البَلَدِ الأَمينِ بيْنَ ظَهْراني الحرَم، وبَيْنَ يدَي البَيْت المُحرَّم، حَتَّى وقَع التَّأوِيلُ حيثُ وُجِدَ التَّنزِيلُ= أَن يَهَبَ لِي خاتِمةَ الخيْرِ، ويَقِيَنِي مَصَارِعَ السَّوء، ويتجاوَز عَن فرطَاتِي يوم التَّنادِ، ولا يَفضَحَنِي بهَا على رُؤوسِ الأَشْهاد، ويُحلِّنِي دارَ المُقامَة من فضْله بوَاسع طَوْله وسَابغ نَوْلهِ، إنَّه هو الجوادُ الكريمُ، الرَّؤُوفُ الرَّحيمُ.

قال المصنِّف رحمه الله في آخِرِ نسخته: ....

قوله: (ولو لم يكن) جملة معترضة.

قوله: (الأحبار)[١] جمع: الحَبْر،[٢] وهو العالِم، أي: الأحبار المُحقِّقة، يعني: العلماء المحقِّقين.

قوله: (من ارتفاعه) "مِن" بيان لِـ"ما"، أي: مِن إتمامه.[٣]

قوله: (مِن البلد) بيان "المَهبِط".

قوله: (بين ظَهرانَي الحَرَم) أي: بين الحَرَم، مقابل البيت.

قوله: (وقَع التأويل) أشار بقوله: "وقَع التأويل حيثُ وُجِد التنزيل" إلى أنه ما أوّله أحدٌ قبلَه، وهذا[٤] قريبٌ مِن معنى ما نُقل عنه، وهو قوله رحمه الله:[٥] «الله[٦] تعالى أنزل القرآنَ، / وأنا فسَّرتُه»، ولَعَمري ما أوَّلَه تأويلَه أحدٌ قبلَه، [٤٧٥ظ]
شكر الله سعيَه وجزَّل نَوْلَه.

قال المصنِّف رحمه الله[٧] في آخر نُسختِه:

---

١ في مطبوع الكشّاف: "الأخبار".
٢ ن: الخبر.
٣ ن: لمزعامه.
٤ ن: وهو.
٥ ن: رحمة؛ ن – الله.
٦ ف – الله.
٧ ف ن: رضي الله عنه.

«وهذه النسخةُ هي نسخةُ الأصل الأولى التي نقلت من السواد، وهي أم "الكشاف" الحَرَميةُ المباركةُ المتمسَّحُ بها، المحقوقةُ بأنْ يُسْتَنْزَلَ بها بركاتُ السماء، ويُستَمْطَرَ بها في السَّنةِ الشهباء، فَرغَتْ منها يد المصنِّف تُجاهَ الكعبة في جناحِ داره السُّليمانيَّة التي على بابِ أجياد الموسومةِ بمدرسةِ العلَّامة، ضحوةَ يوم الإثنين الثالث والعشرين من ربيعِ الآخر في عامِ ثمانٍ وعشرين وخمسٍ مئة، وهو حامدٌ لله على باهرِ كرمه، ومُصَلٍّ على محمدٍ عبدِه ورسولِه وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين».

(وهذه النُسخة هي نُسخةُ الأصل الأولى التي نُقِلتْ[1] مِن السَّواد، وهي أمُّ الكشّاف الحَرَميَّةُ المباركةُ المُتَمَسَّحُ بها، المَحْقوقة بأن يُسْتَنزَل بها بركات السماء، ويُسْتَمطرَ بها في السَّنة الشَهباء، فَرَغَتْ منها يد المصنِّف تُجاه الكعبة في جَناح دارِه السُليمانيَّةِ التي على باب أجياد المَوْسومةِ بمَدرسة العلّامة، ضَحْوةَ يوم الإثنين الثالث والعشرين[2] من ربيع الآخِر، سنة ثَمانٍ وعشرينَ وخمس مئة، وهو حامدٌ لله[3] تعالى[4] على باهِرِ كرَمه، مُصَلٍّ على محمّدٍ عبدِه ورسولِه وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين).

قوله: **(المُتَمَسَّحُ بها)** أي: تُمَسُّ للتبرُّك بها كما يُمَسُّ الرُكْن اليَمانيّ مثلًا وغيره مِن الأشياء الشريفة قصدًا[5] للتبرُّك بها.

قوله: **(الشهباء)** الشُهْبَة في الألوان: البياضُ الذي غلب على السواد، وقد شَهِبَ[6] الشيء بالكسر شَهَبًا، واشتَهَبَ الرأسُ، وفرسٌ أشهبُ، واشهَبَّ اشهِبابًا، واشهابَّ[7] اشهيبابًا مثله، ويقال لليوم ذي الريح الباردة والصَّقيع: أشهبُ، والليلة شهباء،[8] ثمّ يقال للسَّنة المُجْدِبة وللقَحط: الشهباء، على التشبيه بتلك الليلة؛ لشِدّتها وصعوبتها.

---

[1] ن: نقلب.
[2] ن – والعشرين.
[3] ن: الله.
[4] ف ن – تعالى.
[5] ن: قصد.
[6] ن: شيهت.
[7] ن: وأشعاب.
[8] ن: أشهباء.

....

قولـه: (تُجـاه الكعبـة) أي: قُبالتَهـا، وأصـل "تُجـاه": وُجـاه،[١] قلبـت الـواو تـاءً؛ لأنّ الـواوَ المضمومـة تُقلـب تـاءً قياسًـا، كمـا في: تُـراثٍ وتُخَمَـةٍ، أصلهمـا: وُراث -مِـن: وَرِثَ يـرِث- ووُخَمَـةٌ، مـن الوَخامـةِ، يقـال: اتَّخـم مِـن الطعـام، وأصلـه: إوْتخـم، والوجـه المشـهور في علـم الصَّرف لقلب هـذا[٢] الـواو تـاءً في "تُجـاه" هـو مـا ذكرنـا، وقـال في الصِّحاح: «يقـال: قعدتُ وُجاهَـك ووِجاهَـك،[٣] أي: قُبالَتَـك، واتّجـه لـه رأيٌ: سَـنَحَ، وهـو افْتَعَـل،[٤] صـارت الـواو يـاءً لكسـرة[٥] مـا قبلَهـا، وأُبدلـت منهـا التـاء وأدغِمـت، ثـمّ بُني عليـه قولـك: قعدتُ تُجاهـك وتِجاهـك، أي: تلقـاءك،[٦] وتَجِهْـتُ إليـك أَتْجَـه، أي: توجَّهـت؛ لأنّ أصـل التـاء فيهمـا واوٌ».[٧]

قوله: (في جَناح) الجَناح: الجانب، ومنه: جَناح الطائر.

قوله: (السُّليمانيّة) لأنّه بناها الشريف، وهو مِن بني سليمان كان مِن أولاد الحسن بن عليّ رضي الله عنهما.

قولـه: (أجيـاد) غيـر منصـرف، اسـم جبـلٍ أو وادٍ، قيـل: ومنـه تخـرج دابَّـةُ الأرض.[٨]

تمّ بعون الله تعالى.

وقد وقَع الفراغ مِن تَنميقه وقتَ الظهر يومَ الأربعاء في مصر في خانقاه شيخو، طيّب الله ثراه، وجعل الجنّة مَثواه، في تاريخ سنة أربع وتسعين وسبع مئة، كتبه العبد الفقير الحقير البكِّيّ حامدًا لله ومُصليًا على نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وأصحابه وأزواجه رضوان الله عليهم أجمعين،

---

١ ن: وجاء.

٢ ن: لهذا.

٣ ن: ووجاهتك.

٤ ن: فتعل.

٥ ف: لكسره.

٦ ن: تلقاك.

٧ الصحاح للجوهري، «وجه».

٨ هو مرويّ عن عائشة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم. مصنّف ابن أبي شيبة، ٥٠٧/٧ (٣٧٦٠٧) (٣٧٦٠٨).

....

غفر الله له، ولوالديه، ولأقربائه، ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، رحِم الله امرأ يقول: آمين.[١]

---

١ ف: تمّ بجهدٍ وتعب، بعد نشاطٍ وطرب، فلا يُبَع ولا يُهَبْ، ولو بوادٍ مِن ذهبْ. واقع الفراغ مِن نسخه ضاحي نهار الثلاثاء سادسَ عشرَ مِن شهر الله المحرَّم، سنة ست وخمس وسبع مئة، على يد الفقير إلى الله تعالى أبو بكر بن محمد أحمد الحنفي القزويني، حامدًا لله، ومصلّيًا على رسوله محمّد وآله أجمعين. رحم الله مَن نظر فيه ودعا لصاحبه ولكاتبه ولجميع المسلمين، ما حرك، يا أرحم الراحمين. وفي هامش ف: قابَلَ مقابِلُه بنُسخته الأصل بقَدْر الإمكان والطاقة مِن أوّله إلى آخره، رحمه الله. ن: كمُل الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وحسن توفيقه، بمدرسة محمود بالشارع الأعظم بخطّ الموازين، ضَحوة يوم الأربعاء سادس ربيع الأوّل، سنة تسع وعشرين وثمان مئة، كتبه عليّ بن يحيى بن أحمد الشهير بالبجاي لنفسِه ولِمَن شاء الله تعالى بعده، اللّهمّ اغفر لكاتبه ولمؤلّفه ولمَن نظر فيه مِن الموحِّدين، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين، وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين. وفي هامش د: تمّ بجهدٍ وتعب، بعد نشاطٍ وطرب، فلا يُبَع ولا يُهَبْ، ولو بوادٍ مِن ذهبْ. نُقِلت هذه النُسخة عن الأصل المصحَّح المُقابَل، وقابلتُ عليه مِن أوّلها إلى آخرها، ما تركتُ شيئًا مِن الحاشية والقَيد والإعراب والنَقط، بقدر الوُسع والطاقة.

Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları
Yayın No. 1428
İSAM Yayınları 267
Klasik Eserler Dizisi 62

TETİMMETÜ'l-KEŞŞÂF (HÂŞİYETÜ'l-ÇÂRPERDÎ ale'l-KEŞŞÂF)
Fahreddin el-Çârperdî
Cilt 11
Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî

Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)
TDV İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM)
Tahkik/Tenkitli Neşir Birimi ilmî kontrolünde hazırlanmıştır.
İcadiye-Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
Tel. 0216. 474 08 50
www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

Editör Okan Kadir Yılmaz
İlmî kontrol Mehmet Taha Boyalık, Abdurrahman Rıdvan Haraş
İnceleme kısmı son okuma Sait Kayacı (Arapça), Mustafa Demiray (Türkçe)
Tashih (Arapça) Abdulnasır Hakimi (İmla, İndeks ve Bibliyografya), Nour Alhila (İmla)
Ali Haydar Ulusoy (İmla ve İndeks), Azat Sarsanbaev (İmla)
(Türkçe) İsa Kayaalp (İmla), İsmail Özbilgin (Bibliyografya)
Tasarım Ali Haydar Ulusoy, İbrahim Dervişmüezzin (Uygulama),
Hasan Hüseyin Can (Kapak), Ramzi Haj Mustafa (Kapak Hattı)

Bu eser
TDV İslam Araştırmaları Merkezi'nin (İSAM)
İkinci Klasik Dönem Projesi
kapsamında yayımlanmıştır.

Bu kitap
İSAM Yönetim Kurulu'nun
27/12/2024 tarihli ve 2024/11 sayılı kararıyla basılmıştır.

Birinci Basım: İstanbul, Aralık 2024 m. / 1446 h.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.)
978-625-428-646-9 (11. Cilt)

Basım Yayın ve Dağıtım
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No. 11
Yenimahalle/Ankara
Tel. 0312. 354 91 31 Faks. 0312. 354 91 32
bilgi@tdv.com.tr
Sertifika No. 48058

Fahreddin el-Çârperdî
Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf) [تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)]
/ Fahreddin el-Çârperdî ; tahkik Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî. İstanbul ; Ankara : İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM) ; Türkiye Diyanet Vakfı, 2024.
11. c. (648 s.) ; 24 cm. – (Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları ; 1428. İSAM Yayınları ; 267. Klasik Eserler Dizisi ; 62)

Dizin ve kaynakça var.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.) 978-625-428-646-9 (11. Cilt)

İSAM
TÜRKİYE DİYANET VAKFI
İSLAM ARAŞTIRMALARI MERKEZİ
مركز البحوث الإسلامية

Tetimmetü'l-Keşşâf

(Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)

Fahreddin el-Çârperdî
(ö. 746 h. / 1346 m.)

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş
Muhammed İmâd el-Nabulsî

Proje Yürütme
Mehmet Taha Boyalık

On Birinci Cilt

TÜRKİYE DİYANET VAKFI YAYINLARI